

نزل فن المغرب

# القصة

الدكتور  
عباس بن عبد الله الجباري  
أستاذ بكلية الآداب  
جامعة محمد الخامس

## كلمة شكر

أتوجه بها للفاضل المحترم الحاج  
عبد القادر المكناسي الذي أنفق على  
طبع هذا البحث فأتاح له أن يعرف النور



إلى أبي

## تصدير

بقلم الدكتور عبد العزيز الازهواني

اختلف موقف القدماء من الادب العامي وما يتصل به اختلافًا يسترعى النظر . فلو بدأنا بفروع من فروع هذا الادب - يعتبر اقرب ما يكون للادب المغربي وهو التوشيح - لوجدنا أن أحد المؤلفين الاندلسيين، وهو أبو الحسن بن بسام، يرفض أن ينقل منه شيئاً في كتابه «الذخيرة»، على الرغم من أن ابن بسام ألف هذا الكتاب غضباً لاهل الاندلس ودفاعاً عنهم، وعلى الرغم من أن رأى ابن بسام في الموشحات الاندلسية أنها «أوزان تشق على سماعها مصونات الجيوب بل القلوب» وحبته في رفض هذه الاوزان أن «أكثرها على غير أعاريض أشعار العرب» لذلك اسقط الموشحات من ديوانه، وراها خارجة عن غرض تأليفه .

ومع ذلك فقد عاش في القرن السادس نفسه شاعر مصري كبير، هو ابن سناء الملك، وقف من هذا الفن الجديد موقفاً مناقضاً لزميله الاندلسي، فقد أفرد ابن سناء الملك كتاباً خاصاً لفن التوشيح، هو كتابه «دار الطراز» استقبل فيه هذا الفن الاندلسي استقبالا رائعاً جعله يقول: «إن الموشحات مما ترك الاول للآخر، وسبق بها المتأخر المتقدم، وأجلب بها أهل المغرب على أهل المشرق، وغادر بها الشعراء من متردم» ويمضي ابن سناء الملك في التعبير عن إعجابه الشديد بالموشحات فيقول عنها «صار المغرب بها مشرقاً لشروفيها بأفقه، واشراقها في جوه، وصار أهله بها أغنى الناس لظفرهم بالكتمز الذي ذخرت له الأيام، وبالمعدن الذي نام عنه الانام .»

وإذا كان موقف ابن بسام هو هذا من التوشيح الذى يستخدم اللغة العربية أداة للتعبير ، فماذا يكون موقفه من فن الزجل الذى يستخدم اللغة العامية ، والذى ينفر أصحابه من الاعراب نفورا جعل ابن قزمان يرى أن الاعراب «أقبح ما يكون فى الزجل ، وأثقل من اقبال الاجل» ؟

ومع ذلك فإن أبا محمد العجائى الاندلسى - وهو من عصر ابن بسام أيضا - قد أودع كتابه «المسهب فى غرائب المغرب» عددا ضخما من الأزجال ، فضلا عن التوشحات ، نقل منها وأضاف إليها ما أضاف على بن سعيد فى كتاب «المغرب فى حل المغرب» ، وكذلك ألف ابن الدباغ المالى «ملج الزجالين» ثم ألف لسان الدين بن الخطيب «جيش التوشيح» وذكر ابن خالسون الفنين فى مقدمته ، ونقل نصوصا منها .

وكذلك كان موقف القدماء من الأمثال العامية : يفرد لها أبو يحيى الزجالى القرطبى فصلا فى كتابه «رى الاوام» وابن عاصم الغرناطى فى «حداق الأزهى» ويتحاشى ذلك غيرهما ممن مؤلفى كتب المسامرات والمحاضرات .

وما يقال عن فنون الأدب العامى فى المغرب يقال عن نظائرها فى المشرق ، وعن مواقف مؤرخى الأدب المشاركة منها . وما يقال عن المؤرخين يقال أيضا عن الأدباء من شعراء ونثرين ، فمنهم من شارك فى النوعين جميعا ، ومنهم من اقتصر على الأدب التقليدى أو الرسمى وحده ، ومنهم من انقطع الى الأدب العامى دون سواه .

ولا شك أننا واجدون أسبابا شخصية أو فردية وراء كلا الموقفين حين نريد معرفة الدوافع التى جعلت أحد الأدباء يتجه وجهة غير التى يتجه إليها الآخر . ولكن هذه الأسباب الشخصية والمواقف المتناقضة بين أصحاب الأقاليم من المؤرخين والأدباء ، ومن يمتلكون القدرة على التدوين والتصنيف ، لا ينبغي أن تذهب عنا القضية الكبرى .

تلك القضية هى أن عبقرية الأمة ، ممثلة فى جماهيرها الفقيرة ، لابد أن تجد لها متلفسا ومثلا للتعبير عن مشاعرها ، ولابد أن تصطنع لها

من أساليب الفنون ما تصور به ذات نفسها . فإذا ما سد أمامها باب فتحت لنفسها بابا آخر ، وإذا كثرت العقبات والعراقيل في طريق سلكت طريقا آخر ، وإذا لم تجد عند الاديب المتفصح الاستجابة الكاملة لذوقها وشعورها وفهمها بحثت عن الاديب العامي والفنان الشعبي ، غير مقتصرة على فن القول وحده ، بل متجاوزة ذلك الى فنون التعبير الاخرى من موسيقى وغناء وتصوير ونحت وعمارة وزخرفة وصنائع يدوية . وكل هذه الفنون ، جملة وتفصيلا ، ميراث لهذه الامة ، يحمل فيضا من مواهبها ، ويبرز جوانب من عبقريتها ، ويظهر سمات وخصائص من حياتها الطويلة العريضة .

وقد أتى على الامة العربية حين من الدهر صار فيه أدباء العربية - لاسباب كثيرة - في عزلة أو شبه عزلة عن مجموع الشعب . لقد أخذ هؤلاء الادباء يدورون حول أنفسهم في نطاق ضيق خائق من الموضوعات ومن المعاني والاخلية ، ويعنون بالصنعة اللفظية ، ويتلاعبون بالصيغ أو الحيل البلاغية تلاعبا باعد بين أدبهم وبين الحياة العامة . وهناك اتسع المجال أمام الآداب الشعبية ، فعوضت هذا النقص بما انتجه مواهب أصحابها في ميادين القصص والحكايات والخرافات ، وفي ميدان الشعر بأنواعه المختلفة وأساليبه المتعددة ، وكان الازدهار الذي يعرفه مؤرخو هذه الفنون ابتداء من القرن السادس الهجري وما تلاه ، فلما عاد أدباء العربية في نهضتهم الحديثة الى ممارسة مهمتهم الاصلية ، والى أداء رسالتهم الثقافية الكبرى نحو أمتهم ، أخذت حواجز العزلة ترتفع ، وأخذت الصلات الطبيعية بين صاحب الفن وشعبه تعود سيرتها الاولى شيئا فشيئا ، واقتربت المسافة بين الادب الرسمي والادب الشعبي ، وأصبح الاخير مصدر الهام وإيحاء للاول ، بل اقتربت المسافة بين لغة الثقافة ولغة الحديث اليومي ، اذ ارتفع مستوى الاخيرة بانتشار التعليم وذيوع الثقافة ، ومالت الاولى الى السلاسة والمرونة وابتعدت عن التكلف والتعقيد ، وفي هذا كله ما فيه من كسب ثقافي ومن تفاعل مشر خصب ، ومن رد الامور الى مجاريها الاصلية .

وهذه الظروف الثقافية والاجتماعية التي ردت أدباء العربية الى

مشاركة الجماهير تعبيراً وأداءً في العصر الحاضر ، هي أيضاً التي جعلت المتحدثين من مؤرخي الأدب العربي يعيدون النظر في تاريخ أمتهم الثقافي ، فلا يقفون بهذا التاريخ عند حدود الأدب الرسمي وحده ، وإنما يمدون دراساتهم إلى الآداب الشعبية ، ليشعروا أبناء الجيل الحديث بأن تراثهم الأدبي أكثر غنى وثراء وخصوبة وتنوعاً مما كانوا يظنون من قبل ، فتعود إليهم بذلك الثقة بآمتهم وبماضيها وتراثها . هذا فضلاً عن أن دراسة هذه الآداب الشعبية واجب مفترض على كل مؤرخ متى كان عارفاً بحدود مهنته ، صادقاً في أداء مهمته التاريخية .



وهذه الدراسة المستفيضة التي بين أيدينا للدكتور عباس الجاردي حلقة في سلسلة طويلة لدراسات جامعية شملت كثيراً من أقطار العروبة ، نهض بها وينهض أبناء من علماء تلك الأقطار . ولقد أخذ كثير من هذه الدراسات طريقه إلى المطابع شرقاً وغرباً .

ولا شك أن الجهد الذي بذله الباحث جدير بكل تقدير وثناء ، وأنه به يسدّ لنا إلى تاريخ الثقافة العربية ، لاسيما ومينان هذه الدراسة هو هذا المغرب العربي الذي قام بدور رائع في الأدب العامي ، حيث استحدثت فنين ذاعا في الوطن العربي كله ، هما التوشيح والزجل ، بل إن أثرهما تجاوز الوطن العربي إلى الآداب الأوروبية في القرون الوسطى ، فكان لهما فضل - يعترف به اليوم - على تلك الآداب .

ومطالعة هذه الدراسة وقراءة النصوص التي اشتملت عليها يؤكد لدارسي الأدب العربي حقيقتين :

أما أولاهما فهي أن هذا الأدب العامي قد استوعب إلى حد كبير الثقافة العربية في أصولها الكبرى ومنابعها الأصيلة . لقد وجد الشاعر العامي في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية وسيرة الرسول والخلفاء من بعده معيناً لا ينضب ، كما وجد في أخبار فرسان العرب وعشاقهم في الجاهلية والإسلام نماذج يشيد بها ، بل أننا لنجد هذا الشعر العامي وثيق الصلة بالشعر العربي فيما يتصل بالأغراض والموضوعات من غزل ووصف



ح  
وخمريات ومديح وثناء ، وفيما يتصل بالعاني والصور البيانية والاختلة  
واساليب المعالجة ، فضلا عن المثل العليا المشتركة ، وذلك الى ما يضيفه  
هذا الادب العامي من أصالة وصلب ، ومن وثبات للمواهب تنطلق بين  
حين وحين هنا وهناك ، ومن تعبير رائع عن الجماعة التي عاش فيها بكل  
ما لها من أحلام وآمال .

أما الحقيقة الثانية ، وهي بغير شك مرتكزة على الأولى ، فهي هذه  
القربى بين الادب العامي في المغرب والادب العامية في المشرق ، فالدراسة  
السريعة المقارنة بين هذه الأشعار المغربية ونظائرها في الجزيرة العربية  
والعراق والشام ومصر تكشف عن تشابه لا يمكن أن يكون عرضيا ،  
وأحسب أنها لا تترد الى مجرد الشبه الحضاري القائم فضلا بين هذه  
الاجتمعات كلها في ماضيها وحاضرها ، بل اعتقد أن شعراء العامية هؤلاء  
كانوا يتدارسون تراثا عاما مشتركا ، وكانوا على صلة مستمرة فيما بينهم  
وإن بعدت الدار . ولعلنا نجد مصداق هذا فيما ذكره ابن سميذ من أنه رأى  
أزجال ابن قزمان القرطبي مروية ببغداد أكثر مما رآها بحواضر المغرب ،  
ويؤكد هذا أيضا العناية الفائقة التي خص بها صفى الدين النحلي تراثي  
المغرب في كتابه عن الفنون العامية المسمى «العاطل الخالي» .

وكم كنت أتمنى أن يبادل الدكتور عباس الجوردي جهدا آخر في  
الكشف عن صلة هذا الشعر المغربي بالشعر العربي ، وفي لمقارنته بالشعر  
العامي المشرقي ، ولكن من الحق أن يقال أننا لا نزال اليوم في مرحلة التجمع  
والدراسة في نطاق البيئات الخاصة . حتى إذا قطعت أشواط في هذه المرحلة  
جاءت المرحلة التالية : مرحلة المنابع والدراسات المقارنة . وحسبنا أن نجد  
هؤلاء الدارسين من أولي العزم في كل قطر عربي لنظامن الى أن ما نطمح  
اليه من دراسة شاملة مقارنة سيجيء حتما ، وفي وقت قريب ، وأملنا في  
صاحب هذا البحث وزملائه كبير .

القاهرة في مارس 1970

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# مقدمة

لكل امة تراث هو عنوان شخصيتها الوطنية يعبر عن قدرة عقليتها ، ويحدد مدى عبقريتها ، ويكشف عن قوة ارادتها ويبرز طابعها القومى الاصيل فى مجالى الحضارة والثقافة . وقد مضى زمن غير يسير كان الناس - عامة وخاصة - يظنون ان هذا التراث لا يمثل فى غير ما ألف العلماء من كتب تحويها بطون الخزائن والمكتبات ، وفيما اقامت الاجيال خلال حقبة التاريخ من آثار لم يتلقها توالى العصور والازمان ، ويغفلون جانبا من التراث ، لعله لا يقل عن هذين الجانبين فى توضيح معالم كيان الامة وملامح وحدتها وابرار مقوماتها وقيمها ، ان لم يكن اكثر منها عكسا لروحها القومى وذاتيتها الجماعية ، وهو الجانب الممثل فى الآداب والفنون التى صدرت عن الشعب فردا وجماعة ، متخذة وسيلتها فى التعبير الوانا من القول والكلام والنغم والايقاع والحركة والاشارة والرسم والتشكيل .

وانطلاقا من هذه الحقيقة بدأنا نهتم بالتراث الشعبى فى المغرب ، نحاول جمعه ودراسته ، فالفينا مادته متنوعة غزيرة ، وهى على تنوعها وغزارتها تنقرض وتضيع فى غمرة التيار الحضارى الجديد الذى بهر الناس بريقه فجعلهم يدوسون هذا التراث ، جاهلين او متجاهلين انهم يدوسون فيه مقومات ثقافتهم الوطنية ومظاهر حضارتهم الاصيلية .

وكانت رغبتنا ملحة واكيدة حين عزمنا على اختيار موضوع لرسالة الماجستير ، ان نتناول جانبا من الادب الشعبى ، وهو أدب يغرينا ويجذبنا اليه فنحس له ميلا غير قليل ، فقد رافقنا رفقة عمر منذ عرفناه ترنينا فى

المهد ، لاندركه ولا نعيه ، الى ان طربنا له واعين روعته ومدركين جماله ، فاحببناه وغدونا من حبه نشعر بمزاج متجاوب معه ومنسجم بالطبيعة وانسليقة دون ماتكلف او تصنع . ولكننا لم نحس الجرأة على مواجهة الجمهور المثقف المغربي بمثل هذه الدراسة ، لاسيما بعد تجربة سابقة عايننا فيها الكثير وكنا قد نشرنا (1) بحثنا مسلسلا عن «الفولكلور» .

عدلنا في المايجستير عن الادب الشعبي وسجلنا موضوعا في الادب المغرب المغربي ، متصلنا بعهد الموحدين ، ادركنا دراسته حول الشاعر الامير ابي الربيع سليمان الموحدي ، ولكننا وعدنا نفسنا بضرورة انجاز بحث الدكتوراة في احد فروع التراث الشعبي .

وهانحن نفى اليوم بهذا الوعد حيث نقدم اطروحة جعلنا موضوعها لونا من الادب الذي اتخذ اللهجة العامية اداته .  
وتعتبر هذه الاطروحة خلاصة جهود متواصلة في الاعتناء بهذا الجانب من التراث الشعبي أكدت لنا الدوافع التي كانت حافزنا الى الاقبال عليه ، وهي :

- 1 - ان الادب الشعبي صورة للشخصية الوطنية ، مهما كانت باهتة فهي اوضح من الصورة التي يعكسها الادب المدرسي المثقف .
- 2 - ان دراسته تعزيز لاقليمية الادب وتقرير لمذهبه الذي تؤيد الداعين له منهاجا للكشف عن ادب الاقاليم العربية المختلفة وسبيل الامة العربية الى لم شتات ادبها المبعثر المجهول .
- 3 - ان الادب الشعبي مكمل للادب المدرسي وان من شأن دراسته ان تساعد على الربط بين الادبيين واجتياز الهوة الكبيرة التي تفصل بينهما .



وقد صادفنا في انجاز هذه الرسالة متاعب ومصاعب، بعضها يتصل بموقف المثقفين في المغرب من الادب العامي ، واغلبها يتصل بمصادر الدراسة اما موقف المثقفين فواجهنا فيه انكارا مطلقا علينا ان نتخذ الزجل (1) في مجلة «دعوة الحق» وفي ثلاث حلقات ابتداء من عدد نوفمبر 1962 (السنة السادسة)



موضوعا لرسالة جامعية ، وحاول كثير من الباحثين الاصدقاء تحويل فكرنا عنه واغراءنا بموضوعات فى الادب العربى المغربى او بما يروونه التراث الحقيقى الاصيل . وهم فى هذا بين عدم معتبر للآداب والفنون الشعبية من التراث ، لا تمثل قيمتها ولا يراها جدرة بالبحث ، وبين معترف بها ومقتنع بجدية الدراسة التى تدير عليها ، ولكن يراها تستهدف التسلية والترويح وتأتى بذلك فى المرتبة الثانية بعد التراث المدرسى ، لا يعدو الاهتمام بها أن يكون ترفا للعقل وترفيها عن النفس ، وآخر يرى ان العامة اثر من بقايا فترة التآخر والاتحطاط ورواسب عهد الاستعمار ، وان الاعتناء بها يعرقل سير التعريب الذى يسعى المغرب الى تحقيقه ، وانه لا يمثل غير حركة رجعية هدامة تستتر خلف المحافظة على الآداب الشعبية .

ولعلنا ان نؤكد لهؤلاء جميعا ان الادب الشعبى جزء ركين من التراث وأنه تعبير عن مقومات الشخصية الوطنية والذاتية الجماعية ، وان الاهتمام به اهتمام بهذه الذاتية وتلك المقومات ، وانه لو لم يكن كذلك ما حاول الاستعمار ان يعنى ببعض جوانبه ليتسنى له ان يتسرب من خلالها اليها ليفهم عقليتنا ويدرك اعماق ثقافتنا واصول حضارتنا لينسفها من الاساس ونحن مع استاذنا الجليل الدكتور عبد الحميد يونس نخطئ من تصور ان الآداب والفنون الشعبية «تستهدف التسلية والترويح عن النفوس المكدودة بعد عمل النهار الطويل لتتنفس لها المواسم وتنتخب لها اماكن التجمع . ان التسلية والترويح وظيفة ثانوية ، اما الوظيفة المحورية فقومية على الدوام تطلب المحافظة على ذات الفرد العزيز فى امته وتطلب المحافظة على الجماعة كلها فى آن واحد (1)» .

ولعلنا ان نؤكد كذلك ان العامة ليست مظهرا من مظاهر اللغة الفصحى فى صورة منحنى متأخرة ، وانها مزيج مركب من العربية كما وفدت الى المغرب ومن اللغة المحلية يؤمئذ ونعنى بها البربرية ، وان العربية التى وفدت لم تكن الفصحى وحدها وانما كانت معها لهجات عربية قبلية ،

(1) من المقال الافتتاحى لمجلة (الفنون الشعبية) بعنوان «المأثورات الشعبية» العدد الاول السنة الاولى 1965

وان الصراع اللغوي الذي دار في المغرب لم يكن بين الفصحى والبربرية وانما بين هذه ومختلف اللهجات التي كان يتكلم بها العرب الوافدون .  
ومن هنا - واذا ما تهيأت دراسة اللهجات العربية في كل الاقاليم -  
امكن التعرف الى صفاتها وخصائصها والى ما بها من عناصر أصيلة ،  
واتضح بالتالي كثير من ظواهر اللهجات العربية القديمة ، بل اذا ما تهيأت  
هذه الدراسة سهل تحديد مناطق التقريب بين العاميات وتوحيدها وسهل  
كذلك تطوير الفصحى وامتدادها بكثير من الجديد .

ولعلنا ان نؤكد بعد هذا حقيقة أخطأ في ادراكها من كان يتصور ان  
الاستعمار كان يحاول القضاء على الفصحى لحساب العامية ، فمن المؤكد  
انه كان يقصد الى محوهما جميعا ليحل لغته وينشرها اداة للتخاطب والفكر  
على السواء . ولسنا في حاجة الى القول بأنه لم يعد يخشى على الفصحى  
ان يقضى عليها او تزول بعد ان عادت سيادة الوطن العربي الى ابنائه ،  
فاللغة العربية الفصحى هي الرابط الجامع لشمس العرب وعماد قوميتهم  
وعنوان وحدتهم ، وهو واقع لا ينكره الا الجاهلون والمعادون ومن بقيت  
في نفوسهم وأفكارهم رواسب الاستعمار ، ولكنه انكار لا يؤثر على هذا  
الواقع في شيء .

وحقيقة أخرى في نفسنا نرجو ان نصرح بها للذين يرفضون دراسة  
الزجل خشية على العروبة ولغتها ، وهي ان اتخاذ المغاربة للهجة عامية  
عربية اداة للتعبير الشعري دليل واضح وقاطع على عروبتهم وحيويتهم  
وحبهم للغة العربية ، ولكن حذار الظن بأننا ندعو لها لغة للفكر ، فهي قاصرة  
وعاجزة عن ان تتعدى نطاق ذلك التعبير . ثم اننا فسي غنى عنها بلغتنا  
الفصحى التي يتوفر لها من الامكانيات ما يجعلها قادرة على استيعاب كل  
جديد .

واما المصادر فعلى اربعة انواع :

1 - الابحاث التي تتصل مباشرة بالدراسة ، وهي جد قليلة لاتتعدى  
بضع مقالات . وكان قد ذكر لنا الاستاذ محمد الفاسي انه مهتم منذ  
خمس وثلاثين سنة بوضع عروض للشعر الملحون المغربي فاعتبرناه بذلك

رأى البحث في الأدب الشعبي ، وسألناه أكثر من مرة - بالاتصال الشخصي  
والوسائط والرسائل - ورجوانه والحناء في الرجاء عما يمدنا بما قد  
يفيد ، ولكنه كان أبدا يردنا ويصدنا مهولا لنا امر هذا الأدب ، بخيلا علينا  
بما قد يكون جمع من نصوصه أو كتب عنه ، وشجينا حتى بالكلمة الطيبة  
تنير لنا الطريق أو تبعث التشجيع في نفسنا على الأقل .

2 - الأشياخ : سواء منهم الشعراء أو الرواة . وقد اتصلنا في  
مختلف المدن المغربية بعدد منهم غير قليل ، وكان اعتمادنا عليهم كليا في  
التعرف الى الزجل والزجالين ، ولكننا وجدناهم يختلفون في العلم الى  
حد التناقض في بعض الأحيان ، ويروون أخبارا اقرب الى الخوارق  
والخرافات منها الى الحقائق . وكان علينا ان نلهم ما نأخذ عنهم من  
معلومات وأخبار ، فوضعنا فهرسين بالجذات أحدهما خاص بالزجل  
وانثاني بالزجالين مرتب ترتيبا تاريخيا ، وكان علينا بعد هذا ان نصفي  
ما نأخذ عنهم من معلومات ونغربلها وننسق فيما بينها . ومع اننا وجدنا  
في ذلك مشقة وصعوبة ، فقد تمكنا في النهاية ان نصل الى تحديد مقاييس  
الزجل وقواعده والتاريخ له .

### 3 - النصوص الزجلية وتتمثل في :

أ - النصوص المطبوعة : وهي جد قليلة لا تتعدى ديوانا صغيرا وبضع  
قصائد متفرقة .

ب - النصوص المخطوطة : تتضمنها مجموعة الكنائيس التي وقفنا  
عليها في المكتبات العامة والخاصة . ونسجل هنا اننا لم نتمكن من الاطلاع  
على مجاميع الخزائن العامة المرقمة في حرف د : 474 - 1426 - 1504  
1535 ، وقد تبين لنا بعد البحث الطويل عنها انها اخرجت من الخزائن  
وانها في حوزة الاستاذ الفاسي . وخاطبناه في ان يسمح باطلاعنا عليها  
ولكنه لم يستجب . كذلك سألناه أكثر من مرة ان يمدنا ببعض القصائد  
وخاصة قصيدة - المصرية - وهي قصيدة طويلة لا يحفظها الأشياخ كان  
قد نظمها محمد بن علي العمراني في احتلال بونا بارت لمصر . وكنا سألناه  
عنها فأخبرنا انها مدونة لديه . وطلبنا منه - شفاهة وكتابة - ان يطلعنا

عليها او على جزء منها ولكنه للأسف لم يفعل .

ج - النصوص المروية وقد جمعنا منها عددا غير قليل بواسطة التسجيل الصوتي والتدوين الكتابي سواء من الاذاعة أو من أفواه الشعراء والمنشدين . وقد لاحظنا ان الاذاعة لا تتوفر الا على عدد قليل من القصائد بسبب حداثة عهدنا بنظام التسجيل الصوتي ، كما لاحظنا ان محفوظات الاشياخ تدور في نطاق عدد معين من القصائد لا تخرج عما يرغب الجمهور في الاستماع اليه ، بل ان تقرير جمعية - هواة الطرب الملحون - بمراكش لسنة 64-65 يثبت ان محفوظ اعضاء الجمعية - منشئين ومنشدين وهواة - لا يتعدى سبعا وتسعين ومائة قصيدة ، وان اكثر الشعراء حظا وهو التهامي المدغري لا يحفظ له اكثر من اثنين وثلاثين قصيدة . وينتج تقريرها للسنة التالية ان عدد الاشياخ الذين انشدت اشعارهم لا يتعدى الخمسين .

ولم يكن سهلا علينا ان نفهم هذه النصوص ، وخاصة منها المدونة ، بسبب تطور اللهجة وعدم معرفتنا بمعاني كثير من الكلمات وكيفية النطق بها وطريقة قراءة البيت بما يقيم الوزن . وحتى بالنسبة للنصوص المفوظة فقد كان الامر غير يسير ، اذ ان الحفاظ يختلفون في نقل النص الواحد ، وغالبا ما يروونه محرفا غير صحيح الا من كانوا عنهم عارفين بالفن مدركين لمقاييسه ، ومثل هؤلاء يحاولون التصرف في النص بالتبديل والاصلاح . وكان احساسنا بهذه الصعوبة قويا حين حاولنا - مجتهدين فسي الغالب - ان نضبط النماذج التي اوردنا ونشكلها لتسهيل قراءتها ويقرب فهمها (1) ولنفس الغاية حاولنا كتابة النصوص حسب نطقها او بالاحرى حسب النطق الذي اهتمدنا اليه ، بالاضافة الى اننا قدمنا شروحا لما رأيناه غامضا من الكلمات والتراكيب ، والى اننا لجأنا في باب الموضوعات الى نشر ما استشهدنا به من نصوص .

4 - ما كتب بالعربية او غيرها في الموشحات والازجال واللهجات والتاريخ والتراجم والآداب . وقد حاولنا ان نقف فيها على تجارب الآخرين وخبراتهم العلمية والعملية عسانا نستخرج منها بعض ما قد يساعدنا فيما (1) الاسف شديد اننا لن نتمكن من اثبات الشكل في هذه الطبعة لان الحروف المستعملة في الطباعة بالمغرب لا تتيح ذلك .

نحن بصدد من دراسة لموضوع بكر جديد . وقد اتيج لنا خلال الرحلة العلمية التي قمنا بها لتركيا واسبانيا ان نقف في حرائن اسطنبول ومديريد والاسكوريال على مصادر انارت لنا بعض مسالك السير . وكان املنا ان نجد في مصادر الأدب المغربي القديمة بعض النصوص الزجلية ، ولكننا وجدنا المؤلفين يعرضون عن ايرادها بل حتى عن ايراد الموشحات على حد مايقول عبد الواحد المراكشي متحدثا عن عبد الملك بن زهر : واما الموشحات خاصة فهو الامام المقدم فيها ، وطريقته هي الغاية القصوى التي يجرى كل من بعده اليها ، هو آخر المجيدين في صناعتها ، ولولا ان العادة لم تجز بايراد الموشحات في الكتب المجلدة المخلدة لاوردت له بعض مابقى على خاطري من ذلك» (1)



وكان المنهاج الذي سمرنا عليه في البحث هو نفس المنهاج الذي ندعو له في دراسة كل ادبنا وتراثنا عامة ، ويتلخص في اربع مراحل ، يحتاج انجازها - كلها او بعضها - الى جهود فردية وجماعية تعمل في تكتل وتناسق وتكامل ، وهي :

- 1 - التعرف الى المصادر والتعريف بها بوضع فهرس لمخطوطات الخزائن العامة والخاصة .
- 2 - اخراج النصوص مجردة أو محققة ان امكن .
- 3 - دراسة هذه النصوص دراسة تحليلية تقوم على الوصف والتقرير
- 4 - دراستها دراسة نقدية ومقارنة .

فقد بدأنا بحصر مصادر الزجل الموجودة في كل المكتبات العامة وبعض الخزائن الخاصة ، بالاضافة الى ما سجلناه من الاذاعة واقصاها الاشياخ ، وتجمع لنا من ذلك نحو الف نص ، منه مايقرب من ربعة مكرر ، ولكن تكراره اتاح لنا مقابلة بين النصوص التي وقفنا منها على اكثر من نسخة . وقد صنفنا هذه النصوص ووضعنا لها فهرس على هذا النحو :

(1) المعجب في تلخيص اخبار المغرب ص 92 مطبعة الاستقامة - القاهرة  
سنة 1949

- أولا : فهرس لكل مجموع او كناش .
- ثانيا : فهرس بالجداول للقصائد مرتب حسب الموضوعات .
- ثالثا : فهرس للقصائد مرتب حسب الشعراء .
- رابعا : فهرس للقصائد المنشدة .
- خامسا : فهرس للقصائد التي لم تهتد لاصحابها .
- سادسا : فهرس للقصائد التي يروى الحفاظ المغاربة لبعض زجالى الجزائر ، وكانوا فى معظمهم كثيرى التردد على المغرب والاتصال بأشياخه وجماهيره .

وفى كل من هذه الفهارس اشرنا الى عنوان القصيدة ولازمته واسم صاحبها ومرجعها وكذلك اسم المنشد ومدة الانشاد بالنسبة للقصائد المسجلة بالصوت .

**بهذا التحديد للمصادر وتسهيل الرجوع اليها فيما نظمنا من فهرس، مهدنا السبيل امام الذين يرغبون فى اخراج النصوص ونشرها ، وما كان فى استطاعتنا أن نقوم بذلك ونحن بصدد انجاز الرسالة لاسيما وأن عددها كثير .** لهذا حاولنا ان نمثل اثناء الدراسة بنماذج متعددة ومختلفة من النصوص وخاصة فى باب الموضوعات . وقد كان فى نيتنا ان نقتطف منها مختارات نلحقها بالرسالة ، ولكننا اعتبرنا الحاق -- دليل للزجل -- أهم من الحاق مختارات . والامل عندنا -- اذا ما أتيحت لنا فرص النشر -- ان نخرج هذه النصوص سواء فى مختارات او فى دواوين بالنسبة للشعراء الذين تجمع لنا من قصائدهم عدد كثير .

**ورأينا ان تكون دراستنا للزجل وصفية تسجيلية** نقصد منها فى المقام الاول الى التعريف بالزجل تقريريا وتحليلا ، دون محاولة لمقارنته بالادب العربى او ادب اللهجات العامية الاخرى ، وهى طريقة تتفق والمنهاج الذى فرض نفسه علينا بعد ان خططناه والذى اقتضى منا فى هذه المرحلة من الدراسة ان نركز على الوصف والتقريب والتحليل ، وهى مرحلة نراها ضرورية فى الكشف عن اى ادب مجهول . وعسى ان نوفق فى المستقبل الى القيام بدراسة مقارنة يكون اساسها ما أمكننا حصره من الوان الشبه بين

الزجل المغربي والزجل الاندلسي او بينه وبين الادب العرب وما أشار به علينا استاذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الاهواني اثناء اشرافه على الرسالة وتنبه لمرآحله المختلفة .

وما نقوله عن الزجل نقوله كذلك عن لغته ، فقد حاولنا من خلال اتبعنا ان نتعرف اليها حيث سجلنا بعض ظواهرها وخصائصها في محاولة أولية لتوصف بعيدا عن مقارنتها بغيرها من اللهجات والحكم عليها بأى لون من ألوان الحكم أو محاولة استنباط قواعدها وقوانينها التي خضعت لها . وقد احسنا في المحاولة البسيطة التي قمنا بها فى هذا المجال أن أمر المرحلة الوصفية ليس باليسير ، يحتاج انجازها الى لجان من المتخصصين لا الى فرد او مجموعة أفراد ، وأنه متى تهيأ انجاز هذه المرحلة امكن تقديم مادة أولية لدارسى اللهجات وعلماها المقارن .



**واقضى منا منهاج البحث ان نقسم الدراسة الى مدخل وثلاثة ابواب**

وان نشفعها بملحق :

**المدخل : القصيدة الزجلية والغناء الشعبي .**

استعرضنا فيه مختلف انواع الغناء فى المغرب وتناولنا القصيدة الزجلية كلون من اهم ألوان هذا الغناء وما يقوم عليه انشادها من نوبات الموسيقى الاندلسية وميآزينها ، وما يصاحب هذا الانشاد من آلات وكيفية ادائه . وناقشنا شعبية الزجل شعرا وغناء ، واثبتناها على الرغم من ان جمهوره لم يكن محصورا فى العوام ، وعلى الرغم من اننا نعرف اسماء منشئيه ، ومن ان بعض قصائده مدونة .

**الباب الاول : الشكل**

ويتكون من ثلاثة فصول :

**الفصل الاول : مفهوم الزجل وانواعه**

وهو جزءان

1 - مفهوم الزجل .

اوضحنا فيه مدلول كلمة الزجل سواء فى اللغة او الاصطلاح الادبى ،

وعلمنا لإطلاقنا هذه الكلمة على الأدب الشعبي المغربي بدلا من تسميات أخرى كثيرة يعرف بها عرضناها كذلك .

## 2 - أنواع الزجل

تناولنا فيه أهم أنواع الزجل المغربي بعد أن بينا أننا سنقصر البحث على نوع واحد منها وهو القصيدة المنظمة التي يعرف منشئها .

### الفصل الثاني : اللغة والفنية .

جعلناه خمسة أقسام :

1 - مراحل التعريب : تحدثنا فيه عن الظروف والعوامل التي ساعدت على انتشار اللغة العربية في المغرب منذ الفتح الإسلامي حتى عهد الموحدين الذين اعتبرناه آخر مرحلة شهدت تمام استعراب المغاربة .

2 - نشأة العامية : تناولنا فيه طبيعة اللهجات وأسباب نشأتها وأوضحنا أن العربية حين وفدت إلى المغرب لم تكن معربة ونقية كما قد يظن وأنها كانت تتمثل في الفصحى لسغة القراء وفي لهجات الفاتحين القبليّة ، وأوضحنا كذلك أن انصراف اللغوي في المغرب لم يكن بين البربرية ولغة القراء وإنما كان بينها وبين لهجات الفاتحين .

### 3 - خصائصها : جعلناها على نوعين :

أ - خصائص عامة تشمل اللهجة الدارجة المنتشرة في أهم المدن والمناطق المغربية .

ب - ظواهر خاصة بلغة الزجل كما طورها الزجالون وطوعوها لتعبيرهم الفني .

4 - جوانب بلاغية : عرضناها بعد أن بينا أن البلاغة قد تكون في

الشعر المعرب والعامي على السواء ، وتتمثل عند الزجالين المغاربة في :

أ - التجنيس أو الجناس .

ب - التصريف وهو أن يتصرف الشاعر في كلمة باستعراض عدد من اشتقاقاتها

ج - التضمين أو التلزم وهو أن يجعل القافية على أكثر من حرف

د - الأنشوب وهو أن يشتغل الشاعر الشطر بكلمة أو بكلمتين من



الشطر الذي قبله والبيت بشطر من البيت السابق عليه .  
 هـ - استخدام نوع معين من الكلام كأن ينظم الشاعر قصيدة كل  
 حروفها همزة أو كأن يلتزم بدء كل بيت من قصيدته أو انهائه بكلمات  
 معينة .

ز - فنية الأسلوب - وتنتمل في :

أ - التشبيه والمقارنة .

ب - الحركة والحيوية والتشخيص .

ج - الحواز .

د - القصة .

هـ - الرمز .

كما اصفنا التيها بعض اللغات النقدية التي لاحظناها على لسان  
 الاثنياء سواء منها ما يتصل بالشعر أو الشاعر .

### الفصل الثالث : العروض

ويتكون من ثلاثة اجزاء :

#### 1 البحور

ناقشنا في اول هذا الجزء ما يقال من ان بحور القصيدة الزجلية غير  
 محدودة وما يقال كذلك من انها محدودة في نطاق عروض الخليل ، وانتهينا  
 الى ان هذه القصيدة لا تفسر على تفعيلات هذا العروض في تناسقها  
 المعروف ولا تخضع لأوزانها ، وان كانت لا تبعد عن ايقاعه . ثم فصلنا القول  
 في البحور التي تعارف عليها الزجالون ، وهي :

أ - المبيت : وينقسم الى المثنى والثلاثي والرباعي والخماسي .

ب - مكسور الجناح .

ج - المشتب .

د - السوسي .

#### 2 - بناء القصيدة :

ويتكون من :

أ - مقدمة يطلق عليها السراية .

ب - اجزاء القصيدة ، وهى :

1 - الدخول .

2 - الحربة (اى اللازمة) .

3 - الاقسام (من حيث عددها وعدد الابيات داخل كل قسم)

ج - مقدمات الاقسام ، وتمثل فى :

1 - العروبي .

2 - النواعر .

د - القسم الاخير : ويضمنه الشاعر اسمه - تصريحاً او رمزاً

بالحروف والارقام - وتاريخ النظم واهداء السلام والصلاة والدعاء

وهجاء الخصوم .

هـ - الدريكة : وتتضمن - حين توجد - مايتضمنه القسم الاخير

فى العادة .

وختمنا هذا الجزء بنموذجين يوضحان البناء : احدهما من المبيت

والثانى من مكسور الجناح .

3 - نظام القافية :

تناولنا فيه :

أ - براعة الشاعر فى التقفية ، وتمثل فى نظم القصيدة كلها بقافية

واحدة وفى استعمال قوافى داخلية فى الابيات .

ب - القافية فى الاقسام حيث تتبعنا نظامها فى مختلف البحور .

ج - القافية فى المقدمات .

د - القافية فى الدريكة .

هـ - عيوب القافية ، وتمثل فى :

1 - القوافى الصيادية وهى التى لاتستوحى حرفها من موضوع القصيدة

2 - اتخاذ الهمزة قافية .

3 - الخلط بين الحروف المتشابهة المخرج .

**الباب الثانى : الموضوعات**

ويتكون من أربعة فصول :

### الفصل الاول : المرأة

عرضنا فيه لاربعة جوانب :

- 1 - المحبوبة : يمثل هذا الجانب نظرة الرجال المغربي للمرأة وافتتانه بجمالها كما تهواه نفسه وليس كما هو فى الواقع ، فجاءت بذلك الصورة التى رسم لها نموذجاً لاختلاف ملامحه من شاعر لآخر .
- 2 - المحب : تتبعنا فى هذا الجانب حال الشاعر فى معاناته من حب المرأة ، ضعيفاً ذليلاً يقاسى مختلف ألوان العذاب ويسعى للوصول اليها بشتى الوسائل .
- 3 - الحب : ويبدو تمثل المحب له قويا طاغيا ومتجبرا لا يقوى على مواجهته .

4 - ملاحظات ، تناولنا فيها :

- أ - تغزل الشاعر فى النص الواحد بأكثر من امرأة واحدة .
- ب - التغزل بالمدكر .
- ج - الرمز بالغزل فى المرأة الى معنى سامى .
- د - مدى صدق الشاعر فى غزله .

### الفصل الثانى : فى الحياة

حددنا فيه نظرة الرجال المغربي للحياة فى جانبىها الحسى والتجردى:

- 1 - الجانب الحسى : ويمثل ابتسامه للحياة واستمتاعه بملذاتها ، وتناولنا فيه :

أ - اقباله على الخمر .

ب - افتتانه بالكون والطبيعة .

ج - رخصناه بملاحظة عن شعر الفكاهة .

- 2 - الجانب التجردى : وجعلناه عن «الزهد والحكمة» . فقد عبر

بهما الشناعر عما يعتمل فى نفسه من برم وضيق بحال الدنيا وسلوك المجتمع وما يعلن به للوقائع والاحداث فى استسلام لقضاء الله وقدره وعمل يرام وعظا ناجعا للناس عساهم يحسنون سلوكهم. ويقتنعون بأن الدنيا ليست غير دار عبور لا يغتريها الا مغفل مجنون .

3 - وذيلنا الفصل بملاحظات عن :

أ - مدى اتصال الزجال المغربي بالحياة في أبسط مظاهرها واصغر مشاكلها .

ب - لجوئه في الوعظ إلى أسلوب الخطاب يوجهه لنفسه أو لغيره .

ج - تخصيصه قصائد للتذكير بعظمة الله وقدرته بقصد تنبيه الغافلين المتهافتين على الدنيا .

### الفصل الثالث : مع الناس

تناولنا فيه :

1 - المدح : وهو فن لم يعن به الزجال المغربي لما أحس فيه من فتور العاطفة وتكلف التعبير وزيف الدوافع وخلوه نتيجة ذلك من امتناع الذهن والشعور .

2 - الثناء : وهو كالمدح لم يقبل على النظم فيه ، بل أنه كان أكثر منه عرضة للضياع لعدم مناسبة موضوعه للانشاد والترديد .

3 - الهجاء : وكان من أكثر الموضوعات التي الهبت قريحة الشعائر وجذبت المنشد والجمهور لما يبدو فيه من صدق الدافع وانطباع شخصية صاحبه عليه ولما يترك في نفس السامع من احساس بالمتعة وهو يشاهد عروض المنافسة . ويلحق به القخر و «السولان» وهي قصائد في السؤال والالغاز ، والخصام او «المحاورة» وهي قصائد في المفاخرة والمنافرة .

والحقنا بهذا الفصل ملاحظة عن مدى ولوع الشاعر الشعبي بفن الخصام ، اذ لم يقصره على الاشخاص فقط ، وانما تخيله كذلك في النبات والحيوان والجماد وبعض مظاهر الكون .

### الفصل الرابع : في حمى الله والرسول

تبعنا فيه مع الشاعر الشعبي حبه للرسول عليه السلام واستعراضه لوصافه وشماله وجوانب من سيرته كالمولد والوفاة والمعراج ، وماخصه به من صلاة . وهو في ذلك لا يسعى الى غير زيارة قبره والقوز بشفاعته يوم القيامة ، وهي غاية جعلته يتحدث عن هول هذا اليوم وعن شوقه والحنين

الى البقاع المقدمة \* ثم انه لا يلبث ان يكشف عن حال ضعفه ورجائته  
الملح في ان يلقاه الله ويعفو عنه متخذاً وسيلة اليه او الى رسوله الكريم  
وساطات مختلفة من الاسراف والاولياء يتوسل بهم ويمدحهم كذلك \*  
وختمنا الفصل بملاحظة عن العشق الالهى الذى يكاد لا يوجد الا نادرا  
وعند بعض الزجالين المتصوفين \*

### الباب الثالث : الاعلام

قصداً منه الى التعريف بتطور القصيدة الزجية من خلال التعريف  
بأعلامها ، وجعلناه ثلاثة فصول تمثل ثلاث مراحل :

#### الفصل الاول : مرحلة النشأة

وجعلناه جزئين :

##### 1 - اسماء ونصوص قديمة \*

استعرضنا فيه بعض الاسماء والنصوص التى امكننا العثور عليها منذ  
عهد الموحدين فى اوائل القرن السادس حتى عهد المرينيين قبيل  
منتصف القرن التاسع الهجرى \*

##### 2 - الاصول الاولى للقصيدة الزجلية \*

حاولنا فيه - امتدادا الى ما اهتمدنا له من اسماء ونصوص - أن نرى  
ان كانت القصيدة الزجلية المغربية امتدادا للزجل الاندلسى أم  
محاكاة مباشرة لفن التوشيح كما عرفه المغاربة ام تأثرا بشعر اهل  
الامصار العرب الوافدين الى المغرب أم استمرارا لعروض البلد الذى  
استحدثه اهل المدن بالمغرب أم تطورا للأغاني والمرددات الشعبية  
المحلية ؟ وانتهينا الى ان هذه الاغاني والمرددات هى الاصل الاول  
للقصيدة وانها قد تكون حاكت عروض البلد وتأثرت بأشعار العرب  
الوافدين وخاصة منهم الهلاليين وحلفائهم ، ثم بالزجل الاندلسى  
فيما بعد حين انتقلت من البيئات الشعبية الصرفة الى بيئات راقية

#### الفصل الثانى : مرحلة التطور \*

بدأت قبيل منتصف القرن التاسع على يد عبد الله بن احساين  
وامتدت زهاء ثلاثة قرون حيث وقفنا بها عند المصمودى فى اوائل القرن

الحادى عشر • وهى مرحلة كانت القصيدة الزجلية تكتسب خلالها كثيرا من الجديد وتحاول احراز كيانها انذى ستستقر عليه سواء من حيث الشكل أو المضمون •

ولاحظنا فى ختام الفصل ان هذه المرحلة توقفت ، وان توقفها دام زهاء قرن ونصف ، وملنا فى تحليل ذلك الى اهمال الحفاظ لرواية ازجال المغاربة واقبالهم على ازجال الشعراء الجزائريين الذين وفدوا الى المغرب فى هذه الفترة ، وكانت لهم مكانة فى الدولة • وخاصة منهم سعيد التلمسانى • كما لاحظنا ظاهرة انتشار الزجل فى بيئة المتصوفين المغاربة

**الفصل الثالث : مرحلة الازدهار •**

بدأت على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوى فسى النصف الثانى من القرن الثانى عشر الهجرى ، وتجدد ازدهارها فى الربع الاخير من القرن الثالث عشر على عهد سيدي محمد بن عبد الرحمان السدى كان بدوره من الزجالين • وكان آخر بريق لنهضة الزجل فى هذه المرحلة فى اوائل القرن الحالى ايام السلطان المولى عبد الحفيظ الذى كان من كبار علماء عصره وزجاليه •

وتعتبر هذه الفترة من اخصب فترات الزجل لكثرة مانبغ فيها من الشعراء ، وقد حاولنا ان نستعرض اعلامهم الذين أتيح لنا ان نهتدى الى بعض اخبارهم وأشعارهم ، فبدأنا بالجيلالى امتيرد ، وختمنا بالحاج محمد العوفير • وذيلنا الفصل باستعراض لاسماء كثير من الزجالين المعاصرين مرتبة حسب مدنهم ، ولاحظنا ان الزجل عند هؤلاء تجمد فى صور ونماذج تقليدية بعيدا عن أية محاولة للتعبير عن الاحساس الذاتى والتكيف مع روح العصر بله التطوير والتجديد •

#### ملحق :

وقد ارتأينا ان نذيل الرسالة بدليل ضمناه جميع الفهارس التى سبق أن أشرنا اليها (1) •

وبعد ، فلسنا نزع اننا قلنا جميع مايمكن قوله فى الموضوع ولا اننا (1) نأمل نشره على حدة ان شاء الله •

أتينا بالقول الفصل فيه . وحسبنا اننا فتحنا بابا جديدا للبحث الادبي في المغرب ، واننا بذلنا في سبيل ذلك جهدا يشهد الله أنه كان مخلصا ومتواصلا . وأملنا ان يجد الدارسون من زملائنا الشباب في هذه الرسالة ما يغريهم بمواصلة البحث من أجل احياء التراث بجميع أنواعه ، وأن يجد فيها المسؤولين عن جامعة محمد الخامس ما يقنعهم بضرورة ادراج ادب المغرب الشعبي في مقررات كلية الآداب الى جانب أدبه المغرب الذي نتحمل عبء تدريسه بها .

وواجب علينا ان نرجي الشكر جزيلا الى أستاذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الاهواني الذي كان لاشرافه ما انار لنا السبيل وشجعنا على المضى والاستمرار ، والى سيدنا الوالد حفظه الله لما قدم لنا من نصائح وتوجيهات وفوائد وما بذل من جهد — باتصالاته العديدة وخلال مختلف أسفاره — في البحث لنا عن مزيد من النصوص ، والى زوجتنا الحبيبة التي ساعدتنا في التسجيل والتدوين وتحملت في صدق وصبر وتقدير ما كانت تفرضه ظروف انجاز الرسالة من استغراق كلي في البحث وانشغال عما سواه ، والى كل من أمدنا بنص أو أشار علينا بفائدة أو دلنا على مصدر ، الى الاساتذة الاجلاء السادة : ادريس بن الماحي وعبد السلام بن سودة ومحمد الهسكوري ومحمد المنوني وعبد الله گنون وعبد الوهاب بن منصور وسعيد اعراب وعبدالله الرجراجي وابراهيم الكتاني والمهدي الديرو ومحمد السفيناني والصمدى المزوار وحسن الرجراجي وجعفر الكتاني وعبد القادر زمامة ومحمد الشليخ والاخ عبد الواحد الجراي والدكتور عبد السلام الهراس ، والى اشياخ الزجل الافاضل السادة الحاج محمد بن عمر الملحوني وبنعيسى الدراز ومولاي احمد بن عبد السلام العلوي واحمد سهوم والحاج محمد العوفير وعبد القادر الجراي ومحمد بن الهاشمي وادريس المروني وهاشم السفيناني ومحمد حسن التطواني .

والله نسأل ان يوفقنا للخير ويهدينا للصواب .

القاهرة 28 ذى القعدة 1388 - 15 فبراير 1969  
عباس بن عبد الله الجراي

مدخل

---

القصيدة الزجلية

والغناء الشعبي



يمكن تقسيم الغناء فى المغرب الى انواع تختلف لغة ونغما واداء باختلاف مناطق هذا الغناء . ومن الالوان التى تتخذ العربية اداتها فى التعبير نستطيع ان نذكر :

1 - القصيدة الزجلية التى اتخذناها موضوعا للرسالة ، وسنتناول انشادها فى هذا المدخل .

2 - المواويل والعروبيات والسلامات والعيطة والطقطوقة وأعيوع والدقة وغيوان بن يازغة والمزومى : وسنتحدث عنها كأنواع للزجل فى الجزء الثانى من اول فصل فى الرسالة .

3 - الموسيقى الاندلسية وتسمى «الآلة» تطرب لها مختلف الطبقات، وهى تمثل لونا من التراث الذى انتقل الى المغرب من الاندلس ، فحافظ عليه المغاربة و اضافوا اليه . وسنستعرض نوباتها وميازينها بعد سطور .

4 - الغناء العصرى وهو متأثر فى أغلبه بالغناء المشرقى والمصرى خاصة .

5 - اغانى العمل وارقاص الاطفال وما اليها من المرددات البيئية اليومية  
6 - الاغاني والانشادات الدينية ، وتنقسم قسمين :

أ - الامداح وأغلبها فى المدح النبوى - ومن هنا جاءت تسميتها - وقد اشتهر بأدائها منشدون يطلق عليهم «المسمعين» وهى ابيات ومقطوعات تنشد حسب نوبات وميازين الموسيقى الاندلسية ، ولكن دون أن تصحبها الآلات الموسيقية .

ب - أناشيد الطرقيين وفقراء الزوايا ، وهى اشعار فى الذكر أغلبها لابن الفارض والششتري والحراق ، او اوراد وأقوال لاشياخ الطرق ، تعتمد فى تلحينها على بعض الطبعوع الاندلسية يصحبها رقص الذاكرين ، وهو رقص يختلف حركة وقوة وحدة باختلاف

إحساناً ، إذا كان مثلاً رقص درقاوة وانقاسميون هادئاً ليس فيه غير الهز المعمودى للجسم والاتاف فان رقص احماشنة وعيساوة يعتمد على تعريك قوى للجسم والاطراف مع الضرب العنيف بالاقترام على الأرض . وغالباً ما يصاحب الانشاد والرقص عزف على الآلات الموسيقية ، وتختلف هذه الآلات باختلاف الفرق ، فالآلات درقاوة مثلاً هي آلات الموسيقى الاندلسية وأن قل اعتمادهم عليها ، وانقاسميون يعتمدون على الطبل ، اما عيساوة واحماشنة فعلى النغير والغيطة والطبل والدعوى .

وتعتبر القصيدة الزجلية من أهم ألوان هذا الغناء يطرب لها العامة والخاصة من الناس ، يقوم انشادها على نوبات الموسيقى الاندلسية ومباريتها . وعلى الرغم من أنه لم تنهياً لنا دراسة موسيقية من شأنها ان تتيح لنا تناول هذا الجانب الفني عن دراية وادراك ، فقد ارتأينا - تكميلاً لمختلف أطراف الموضوع - أن نشير في استعراض سريع إلى هذه الميادين وتلك النوبات ، تسعيناً في ذلك بعض المصادر (1) التي عنيبت بتسجيلها وبعض

(1) وهي : (1) مجموع يضم قصائد وموشحات في المديح النبوى مرتب على نوبات في الانشاد جمعه احمد بن محمد العربى احضرى المراكشى (مخطوطة خاصة بالكاتب)  
(2) كتاب «الانيس المطرب فيمن تقيه مؤلفه من أدباء المغرب» لابى عبد الله محمد بن الطيب العلمى ت سنة 1134 هـ لدى ترجمة ابى عبد الله سيدى محمد البوعصامى (ط حجرية غير مؤرخة) .

(3) كتاب الحايك فى الموسيقى الاندلسية ، وهو مخطوط ، وكان اعتمادنا على مخطوطة الخزنة العباسية . وقد نشره فرناندو مارتينز ولكنه اقتصر على ايراد كلام الحايك فى التعريف بالنوبات وترجمته دون ايراد النصوص :

El concionero de AL-HA'IK ; Fernando Valderrama Martinez  
Instituto General Franco de estudios E investigation hispano-  
Arabe Tetuan 1954

(4) منظومة قصيرة للحجرات مخطوطة بالكتبة الملكية رقمها 4229 ، اولها :

وها أنا رتبته منظمة نظم لآل فى سلوك محكمة

(5) منظومة لعبه الواحد الونشريسى اولها :  
==

المعلومات التي اخذناها من المتخصصين في هذا اللون من الموسيقى بالمغرب .

اما **النوبات** فاحدى عشرة ، هي :

(1) **رمل الماية** : ذكر الحايك عن احد طبوعه (1) وهو الحسين ، انه يستعمل

«فى جميع الاوقات ونغمته الذ النغمات والحانه اطيپ الالحن» (2)

(2) **الاصبهان** : ويقال «ويقال ان ملائكة الرحمن يسبحون بهذه النغمة ،

ونغمته حادة رقيقة حلوة» (3) ويقال كذلك ان مرددات المتسولين قائمة

عليها وأن باب الجنة يطرق بنغمتها لملاءمة رقتها للتذلل والرجاء والاستعطاف

(3) **الماية** : قال عنها الحايك «انها تجلب النوم» (4) وتندر بالفراق ،

لذلك فهي غالبا ما تؤدى فى العشايا والامسيات . ويقال ان السلطان

الحسن الاول كان يتشاءم منها ويدعو الى عزف نوبة العشاق بدلا منها ،

واشتهر ذلك حتى قيل فى المثل : «عكس لقضيا افلعشيا» .

(4) **رصد الذيل** : وقد شاع عن رجال الفن انه «اذا طال الليل فعليك برصد

الذيل» وهي قولة تدل على ان هذه النوبة تساعد على السهر وما يقتضى

طبائع مافى عالم الكون اربع ففى مثلها اضرب للطبوع مجمل

وهي واردة فى : أ - مخطوط بالمكتبة الوطنية بمديرية رقمه

5307

ب - كتاب الحايك مخطوط الخزانة العباسية ص 12 - 13

ج - مجموعة احضرى ص 20 (بترتيب مختلف للايات

منسوبة للامام الوجدى ، ولعله خطأ فى انتساخ اسم

عبد الواحد)

(1) لكل نوبة مجموعة من الطبوع . يقول الحايك : «ان الطبوع

فى هذا الزمان بهذا المغرب الاقصى اربعة وعشرون طبعا

ويزاد طبع الصيكة وهي من اعذب مايكون ، ولكل تواش

وأغنية وطبوع كثيرة ... منها الجرعة والرهاوى والراست

والروكة ... وطبوع كثيرة يطول ذكرها وتنتهى الى

ثلاثمائة وستين كما وقفنا عليه فى غير ما تأليف» (ص 52

من El Concionero de AL-H'AIK وفى رأى بعض المعتنين أن

الطبوع تبلغ ستة وستين وثلاثمائة على عدد ايام السنة

الشمسية بما فى ذلك السنة الكبيسة .

(2) المصدر السابق ص 85

(3) المصدر السابق ص 92

(4) المصدر السابق ص 99

من صبر وتحمل لفراق الاحبة .

(5) **الاستهلال** : ويعتبر مما أضافه المغاربة الى الموسيقى الاندلسية على عهد دولة السعديين ، وهو عند الحايك «من الطبع المجهولين ويقال ان الذى استخرجه هو رجل يسمى بالحاج علال البطلة فى اوائل ايام مولانا السلطان الاعظم أمير المؤمنين عبد الله محمد بن الشيخ الشريف الحسنى استخرجه لمدينة فاس» (1) ويقال فى سبب تسميته انه كان يستهل به (6) **الرصد** : يقال انه يوحى بالدلال والعناد ، وانه «رقيق النغمات حلو الالحان» (2)

(7) **غريبة الحسين** : وهى نوبة حزينة يقال ان مستخرجها سلطان اسمه الحسين كانت له جارية «تسمى بالغريبة لانفرادها عن أهلها وأوطانها وكان السلطان مغرماً بها فلذلك سميت بغريبة الحسين ، ولها من الاوقات طلوع الفجر ، وهذا الطبع نغماته وألحانه تؤثر فى قلوب السامعين الرافة والحنان وسكان عبر المقل» (3)

(8) **الحجاز الكبير** : ويعرف بـ «الحجاز» يوحى بالعمق والسمو

(9) **الحجاز المشرقى** : ويعرف بـ «المشرقى» قال عنه الحايك انه «يستعمل فى سائر الاوقات وانغمه حلوة رقيقة مفرحة» (4) وقال عنه احضرى : «فيه تفريح لسامعه لانه يزيل الغم ويسلى عن المصيبة» (5) (10) **عراق العجم** : ذكر الحايك ان مستخرجه صيكة بن تميم العراقى وانه «رقيق النغمات حلو الالحان وله تأثيرات فى نفوس المستمعين ويدخل للقلوب الفرح والسرور ويجلى عنها الهموم ... ويكسب الفضل للنفوس والشرف ويقوى عزمها على الخير والعفاف ، وما من انسان كريم الشيم سمعت نفسه نغماته الا طربت اعضاؤه ورشحت انامله» (6)

(1) المصدر السابق ص 111

(2) المصدر السابق 117

(3) المصدر السابق ص 124 - 125

(4) المصدر السابق ص 138

(5) صفحة 24

(6) صفحة 144

11) **اتعشاق** : قال عنه احضرى : «نغمته حلوة لذيدة وله من الاوقات

من ابتداء الصبح الى الزوال» (1)

**وأما الميازين** التى تؤدى عليها كل نوبة فخمسة ، هى :

1 - البسيط .

2 - الباقم ونصف .

3 - البطايحي .

4 - القدام .

5 - الدرج .

وتكاد اغلب القصائد تؤدى فى الدرج ، وهو ميزان لا يوجد فى غير الموسيقى المغربية ، اذ لا اثر له فى «المألوف» و «الغرناطى» وهما الاسمان اللذان يطلقان على الموسيقى الاندلسية التى انتقلت الى تونس والجزائر . ويؤكد اكثر المختصين انه من اضافات المغاربة لهذه الموسيقى ، وقد ذكر احضرى فى مجموعته انه تفرع من «البطايحي» (2)

وتصاحب انشاد قصائد الزجل آلات يطلق عليها «لماعن» او «لمواعن» (3)

نجد ذكر بعضها عند الشعراء على حد مايقول المدغرى فى «الساحى» :

ماهر ك توشيح \* والبستان القحيح

والعيدان اتصيح \* والرباب اللى نايبح

ويقول فى «الصباحى» :

شف العود والقانون وانجناح اجنك (4) اتمنجا واسنتر احداها

وارباب امع الآلى ايجابو بنغايم لوتار

شف الآلى موسيقتو شبات اعلى حسن انغايمو فى ميزان احضاها

واكمل اصبوحننا اعلى الرضا ماغزلو حرار

ويقول فى «الكاس» :

(1) صفحة 24

(2) صفحة 12

(3) أصلها الموعين ج ماعون .

(4) لم تعد هاتان الآلتان تستعملان (الجنك والجنج) ولم نوفق الى التعرف اليهما ، وقد بدالنا من سؤال بعض المختصين انهما

كعب الخمر الكافح \* اصاحى واتراوح \* بالتعريجة واكباح

ويقول الرجراجى فى «الساقى» مشيراً الى بعض الطيور :

شف القانون امع الرباب شف الجنك الجناح

وانظر للكمنجا او شوف العود ارجيح

ينغم بالموال والرصد والسانو مصلوح

شف اصبهان امع الحسين والمايا فى تنقاح

شف العشق الصافى الزم العفا باش اتريج

والتوفيق من الكريم نعم الحى الصبوح

وفد تقل الآلات او تكثر حسب الاجواق ، لكنها لا تخرج عن نطاق

الآلات المستعملة فى معظم ألوان الموسيقى المصرية وهى :

#### اولا : آلات النفخ :

1 - النيرة او الليرة : وهى نوع من الناي ، تصنع من القصب المجوف وتكون مفتوحة من الطرفين وبها ثقب يتراوح عددها بين خمسة وسبعة .

2 - الغيطة : وهى نوع من المزمار تتخذ من الخشب ، تبدأ ضيقة فى طرفها الاعلى ثم تأخذ فى الاتساع حتى طرفها الاسفل . تثبت فى فيها قطعة مدورة من العاج او العظم بها فتحة منها يكون النفخ . ويكون بها فى الغالب سبع ثقوب ستة من فوق متساوية الابعاد وواحدة فى الاسفل . وهى شبيهة بالمزامير المصرية التى تتخذ احجاما مختلفة وتسمى :

أ، المزمار البندى وهو اطولها .

ب، المزمار الصعيدى : متوسط .

ج، السببس : وهو اصغرهما .

3 - النقيير : وهو فى شكله كالغيطة الا انه طويل ومصنوع من معدن

---

آلتان وتريتان شبيهتان بالهارب Harpe والليير Lyre

الغريثين ، وبالسسمية التى تستعمل فى بور سعيد ، والطنبورة المعروفة فى نوبة مصر ، وهما من معروضات متحف مركز الفنون الشعبية بالقاهرة ، وقد أفدنا من هذه المعروضات فى المقارنة بين الآلات المصرية والمصرية .

النحاس فى الغالب ، وتؤدى به النغمات الغليظة العميقة •

**ثانيا : الآلات الوترية ، وهى نوعان :**

**1 - داىستخرج نغمها بواسطة القوس ، وهى :**

(أ) الرباب الفاسى : وهو عبارة عن صندوق خشبى من كتلة واحدة تغطيه قطعة جلد ماعز ويكون فى طرفه الاعلى مشط معوج يشد اليه وتران غليظان يمران وسط الصندوق ، ويثبت فى طرفه الاعلى مفتاح لشد الوترين يتخذ شكل زاوية •

(ب) الرباب السوسى : وهو عبارة عن دائرة خشبية تغطيها من الجهتين قطعة مثقوبة من جلد الماعز ، ويمر فى وسط الجلد الاعلى مشط ثبت فى طرفه مفتاح لشد الوتر وهو وتر واحد مصنوع من شعر الخيل ، اما القوس فتضيب من خشب معوج بعض الشئ يشد طرفيه وتر من نفس النوع •

(ج) الكمان او الكمنجة : وهى آلة معروفة •

**2 - ماىستخرج نغمها بالنقر والنبر (1) وهى :**

(أ) العود : وهو معروف •

(ب) اتقانون : وهو معروف كذلك •

(ج) الماندولين : وهى اصغر من العود وليس لها جوف كبير ، وتكاد تكون اشبه الآلات بالقيتارة الغربية فى رقة نغمها وحدته الا ان جوفها صغير ومستدير •

(د) الكمبرى : وهو عبارة عن قيتارة بجوف خشبى صغير مغطى بقطعة جلد ماعز مثقوب تشد اليه ذراع طويلة بها مفتاح لشد الاوتار ، وهى لاثريد عن اثنين او ثلاثة • وذكر هذه الآلة وارد عند ابن بطوطة فى رحلته (2) وعند والدنا حفظه الله ان الكمبرى نوعان : «هجهوج يحتوى اوتارا ثلاثة ، وسويسد ويحتوى وترين ، واللفظة بربرية الاصل ، جوفها من خشب كغالب الآلات واحيانا تتخذ من ظهور السلحفاة • والذى يظهر انها

---

(1) قد يكون النقر والنبر بالضرب او ما يطلق عليه : الصدعة والوترة

والريشة ، وقد يكون بالاصابع وهو ما يسمى بالحس •

(2) ج 2 ص 190 وج 4 ص 106 ط باريز حيث ذكر القنابر •

آلة مغربية ، وبواسطتها والدس على أوتارها يبتدىء المتعلمون دراسة الفن» (1) ومن أنواع الكمبرى كذلك «السنيتير» وقد وجدنا ذكره عند العلمى فى «الانيس المطرب» حيث قال : «وأما الآلات التى اتخذت للغناء فكثيرة منها العود وهو أشهرها وأرباب والشبابة والجناح والسنطير وغير ذلك مما هو شهير» (2) .

#### ثالثا : الآلات الإيقاعية ، وهى الآلات التى تعرف بالصدمية :

أ) البندير : وهو عبارة عن دائرة من الخشب شدت عليها قطعة من جلد الماعز غير مدبوغة يمر فى وسطها قطريا ومن الداخل بعض الاوتار عددها اثنان فى الغالب ، تزيد الصدى حدة حين الضرب . وبالإطار الخشبى ثقبه يدخل منها الضارب ابهامه حتى يتمكن من مسك الآلة . ويكون الضرب باليد اليمنى على وسط البندير او على اطرافه مما يعطى نغمتين احدهما رقيقة حادة والثانية غليظة عميقة . ويطلق على البندير فى المصنوع اسم الطارة وغالبا ما يكون اطارها أعرض . وتجدر الإشارة الى ان هذه الآلة تعرف فى مصر بنفس الاسماء حيث يطلق عليها البندير والطارة .

ب) الدف : وهو عبارة عن مربع صغير مغلق بجلد من الجهتين ، ولعله قريب من الآلة الطبلية التى كانت معروفة عند العرب بالمربع .

ج) الطر : وهو بندير صغير توجد فى اطاره ثقب بها ازواج من الصنوج المعدنية الرقيقة تضيف الى النغم صدى وحدة وزخرفة ، وهو المعروف فى مصر بالمزهر والرق والدف .

د) الطبل : وهو معروف ويطلق عليه فى مصر الطبل البلدى . وتجدر الإشارة الى انه يضرب عليه بقضيبين احدهما غليظ ومعوج الرأس يسمى «الساهلا» والثانى رقيق ويسمى «الريب» .

هـ) الطبلية او الطبلية : وهى عبارة عن نقارتين او طبلين صغيرين ومن حجم مختلف ، يتخذان من الطين الناضج ، تغطيهما قطعة جلد يوقع عليها بقضيبين رقيقين ، وهى أشبه بالنقاير فى مصر ، الا ان هذه تتخذ من مادة «الآلة» (الموسيقى) التى كتب لموسوعة المغرب العربى التى يشرف عليها المكتب الدائم للتعريب فى الرباط .

(2) ص : 138



من معدن النحاس فى الغالب وتكون منفصلة .

(و) التعريجة : ويطلق عليها فى لهجة اهل الرباط «لگوال» وهى الآلة المعروفة فى مصر بالطبله وغالبا ماتوضع فوق الركبة او فى راحة اليد ويضرب عليها بالوسطى والسبابة ، وتعتبر اهم آلة يضبط عليها منشد الزجل الايقاع .

ولعل اصل تسمية «لگوال» : «القوال» او «الجوال» وهما افتراضان يدلان على أهمية الدور الذى كانت تؤديه هذه الآلة فى مصاحبة المنشد .  
ومن انواعها :

1 - الدربوكة : وهى معروفة .

2 - الهرازى : ويطلق عليه فى لهجة اهل الرباط «الدعدوع» وهو عبارة عن تعريجة كبيرة توضع فوق الكتف ويضرب عليها بكلتا اليدين .  
(ز) الهندقة : وتعرف فى مصر بالصاجات وهى عبارة عن زوجين من الصنوج تشبث فى الابهام والوسطى من كلتا اليدين ، وغالبا ماتتخذ مسن المعدن لانه يقوى النغم ويحليه ، وقد تتخذ كذلك من الخشب او العظم .  
بهذه الآلات وعلى تلك الانغام يؤدى المنشد القصيدة ، والعادة الا يكون الناظم ، ويطلق عليه «شيخ النشاد» و «الحفاظ» (1) وقالوا فى امثالهم : «السجاي تيولد والحفاظ تيربى» يقصدون ان الزجل ينشئ ولا يستطيع ان ينشد ويحتاج فى ذلك الى الراوى الذى يروج له قصائده .

(1) من أشهر المنشدين المعاصرين المرحوم المعطى لحسوك من مراكش والمرحوم محمد بوزوبع وانتهاى الهروشى وهما من فاس . وقد ذكرنا اسماء غير قليل منهم فى فهرس القصائد المنشدة بآخر الدليل الملحق بالرسالة . وتجدر الإشارة الى ان كثيرا من الشيوخ اشتهر بحفظ الزجل وانشاده نذكر منهم : فطومة الشراوية ومريم الشاوية وسلطانة الاسلامية (كانت يهودية وأسلمت) وعن من فاس ، والحجوية وملكة وزهور الضخامة والحاجة زينب والجامعية وفطومة الرباطية وهشومة بزغانور والسعدية الوزانية وبلارة وابريكة ومشطونة وطاطا الغالية التى يقال انها كانت مقربة للسلطان المولى عبد الحفيظ ، والحاجة بنت العنبر وهن من الرباط . ويبدو انهن فى الاصل من فاس وهاجرن الى الرباط بعد ان اوقفهن الباشا البغدادي عن العمل فى فاس .

والمنشد لا يحفظ القصيدة ونغمات الحانها إلا سماعاً ، أو «بالسمعي» كما يقولون ، وحتى لا يقتشف في الميزان كسراً أو «تركيباً» على حد اصطلاحهم فإنه يستمع الى اللحن ويردده ليستأنس به وتألفه اذنه حتى «يطيب الميزان» أي يطبخه ان صح التعبير .

ومن براعة المنشد ان «يركب» أي ان يتسلم الغناء من منشد سابق عليه بقصيدة أخرى يؤديها على نفس الميزان الذي أدى عليه هذا المنشد . ومن براعته كذلك ان «يفجج» أي يستعرض نغمات وطبوعاً مختلفة في القصيدة الواحدة ، وهي عملية أطلقوا عليها «لبدال» ومنه ما يقدم به بعض المنشدين قصيدة «المزيان» التي يقول العلمى في حربتها (1) :

حن واشفق واعطف برضاك يا لمزيان \* لا اسماحاً ميعاد الله يالهاجر  
فانهم يبدؤونها على طبع الاستهلال ثم ينتقلون الى رمل الماية فالهجاز  
فالتصبيكة .

وقالوا عن المنشد الذي لا يستطيع ذلك انه يغنى «اعلى جنب واحد» وهو دنيل على قصر بابه . ومع هذا ففي رأى المنشدين أن بعض القصائد لا تحتمل تغيير الميزان ، او على الاصح جرت العادة بعدم تغييره فيها ، ويذكرون منها :

1 - «خال وشاما» للمدغرى وحربتها :

اللايم لاش اتلوم رح سالم دعنى كف نلام ما حجت امن اغرامى  
بين خال وشاما

فانها لا تؤدي الا على عراق العجم .

2 - ومنها قصيدة «الكتاوى» للمدغرى كذلك ، وأولها :

معظم ذاك اليوم فاش صدوا ناسى وامشاوا

تركونى نواح فالرسام اضميرى كاوى

يحسن عون اللى امشاوا ناسو من بعد اكوا

ويقولون ان بعض المنشدين حاول اداء هذه القصيدة على ميزان رمل

---

(1) الحربة اللازمة (انظر الجزء الخاص ببناء القصيدة من فصل «العروض» ) .

المائة ولكنه افسدهما .

3 - قصيدة «الهاجر» التى يقول العلمى فى حربتها :

أشى عملت اسلطان مهيجنى حتى سلمت افخلطتى واضحيت من ناحتى اجفيل  
راقب فيا وجه الله عف يهاجر لوكر مسجونك سرحو اتقوز بحسانه  
فانها لاتنشد الا على الحجاز المشرقى .

4 - قصيدة «التوبة» لابن سليمان ، وحربتها :

ياراسى لاتشقى \* التاعب لابد من الفراق  
لاتامن فالديا \* ابناسها غرارا  
فانها لاتنشد الا على عراقى العجم .

5 - قصيدة «خناثة» للحبابى ، وحربتها :

عشقى فخنائا \* ياترا فالعاهد والقول ثابتا  
من تاهت بجمالها احيائى \* راحت روحى الصايلا عل لبدر بنعوت  
فانها لاتنشد الا على الصيكة والحجاز .

ومن قصر باع المنشد ان يؤدى الميزان «امصور» اى غير متقن لاتنسجم  
نغماته مع طبقة صوته ومع كلمات القصيدة ولايتجاوب معه الجمهور  
وانمازفون ، والتجاوب عندهم دليل الاتقان ، ويقولون عن الميزان السدى  
يؤدى فى انسجام انه «انفق» .

والعادة ان يبدأ المنشد البارح باحدى هذه المقدمات :

1 - **السرابة (1)** وهى قطعة قصيرة تؤدى على غير ماتؤدى به  
القصيدة ، وهى اربعة انواع :

(أ) **الزلوك** : وتنشد رقيقة حادة .

(ب) **الكباحى** : يصاحبها ضرب قوى متواصل بالكف ، وتكاد اغلب  
السرارب اليوم تكون من هذا النوع .

(ج) **الحضارى** : تنشد فى استرسال سريع .

(د) **السماوى** : يستهل انشادها ببطء كالموال ثم يأخذ صوت المنشد  
فى العلو والارتفاع كأنه يصعد بها الى السماء . ويطلق على هذا النوع  
(1) سنتحدث عنها فى الجزء الثانى من فصل «العروض» لدى الحديث  
عن بناء القصيدة .

«السرايب الحسناءيين» • ويقال ان اشياخ فاس كانوا مشهورين بانشاده  
2 - الموالم : والمالم ان يكون فى لغة مغربة ، ومن الامثلة عليه قول

الشاعر (1)

ومن عجب انى احن اليهم \* واسأل شوقا عنهم وهم معى  
وتشتاقهم عيني وهم فى سوادها \* ويطلبهم قلبي وهم بين اضلعي  
وقد يكون فى لغة ملحونة كقولهم (2) :

تأحبك ونهواك \* وفى امسبتك اكرهونى  
ماراحتى حتى نلقاك \* وعليك يتحلوا عيونى

3 - التمهيلة : ويقولون ان لكل قصيدة تمويله تكون على قالبها

وميزانها ، ويذكرون منها :

(أ) تمويلة قصيدة «التوبة» لابن سليمان ، وقد تقدمت حريتها ، وتنشد  
على ميزان عراق العجم :

أمالى يامالى أسيدى ياسيدى  
للا يامولاتى للا  
أمالى مصبرنى  
اغرايبى لامونى

(ب) تمويلة لقصيدة «المرسم» لابن على وتنشد على الصيكة :

أنا يامالى للا يامولاتى للا ادوى  
حيانا واجا ايلامى قاوت ابلمعى اوجيتنا بالغزال  
وهذه حربة القصيدة :

أنا والمرسم يا حمام ثأثنا فالزهو انت

---

(1) ذكرهما العمري فى «مسالك الابصار وممالك الامصار» منسوبين  
لابى الصفا خليل الصفدى • (الورقة 59 ظهر من مخطوط جامعة  
اسطنبول رقم 4355 لا ٨ ) حيث اورد الشطر الثانى على هذا  
النحو :

(2) واسأل شوقا من آتى وهم معى  
(2) انظر الموالم كنوع من أنواع الزجل فى الجزء الثانى من الفصل  
الاول من باب «الشكل» •

المرسوم يبكي على السماعا وانت تبكي على النشا ونا على لغزال  
وبنفس التموييلة يقدم كذلك لقصيدة «خنانة» للحبابي ، وقد سبق  
ذكر حربتها .

والاسف أن هذه المقدمات فى طريق الضياع بسبب جهل المنشدين  
لها نتيجة قلة تداولها .

وتجدر الإشارة الى ان قصائد مكسور الجناح والسوسى - باستثناء  
الحراز - يستهل انشادها بمثل هذه العبارات : «قال يانا سيدى» و  
«وهو ياسيدى» ويطلقون عليها «الدخول» . ومن الامثلة على ذلك قصيدة  
«ام الغيث» للحاج ادريس لحنش ، وحربتها :

قولسوا للاغيثا مولاتى \* رف بوصالك عل لعشيق يام الغيث  
فان انشادها يبدأ على هذا النحو :

قال ياناسيدى عمدا على لعشيق الكاوى كيفى ابنار لبنات  
مهما اتقول نارو بردت واطفات  
حين ينظر زين الخودات  
كيراهها زندت واكدات

ومنها كذلك قصيدة «القاضى» التى يقول المدغرى فى حربتها :  
اقاضى قصا اجرات لى معناها \* ماجرات الحد افناس لغرام  
ولفى لك ادعائى

فان انشادها يبدأ هكذا :

وهو ياسيدى قصا اجرات لى نحكيها الهل لغرام  
بينى وبين بوخال اكحل لرماق  
قصتى فيها ماينساق  
للرخاخ اضاير لمساق  
ناس لشواق

وقريب من هاتين العبارتين عبارات اخرى تسمى عندهم «التشجيرة»  
و «التوتية» يضبط بها ايقاع الميزان او «يشد» و «يقبض» كما يقولون ،  
وغالبا ماتوذيها المجموعة او من يطلق عليهم «الشدادا» وكأن المنشد

يحس بنقص فى الميزان وعدم انسجام الكلمات معه فيعوض بهذه العبارات، علما بأنه يلجأ الى اطالة مقاطع بعض الكلمات ومدها حسب احتياجه للنغم، وهى عملية لاشعورية تقترب مما يسمى بـ «الكم» فى العروض العربى ، على حد ما يبدو من بحر الطويل حيث تحذف نون فعولن الثانية وتصبح فعول ولكن المنشد يمد اللام تعويضاً لسكون النون المحذوف . ومن الامثلة عليها :

- 1 - ياسيدنا : ونجد الشيخ عمر شد بها بين اشطار قصيدته فى «مولاي بوبكر» على حد ما يبدو من الحربة التى يقول فيها :
- تاك اليقبال والسرور اسلوانى \* ياسيدنا \* بخلافت عالى لقدر  
نجل الملك طلعت البدر السانى \* ياسيدنا \* سيدى مولاي بوبكر
- 2 - اسيدنا سيدنا : على حد ما عند التهامى المدغرى فى سرابته التى يقول فى أولها :

داك اللايمنى فعشقى ولفى وال حال الهالك	اسيدنا سيدنا
ماذا وعظت فيك ماكفيت امن اعتابك	أسيدنا سيدنا
انصحتك افلحديث ماؤدتى لى سالك	اسيدنا سيدنا
واليوم ابلاك ربنا شف اخدود اغزالك	اسيدنا سيدنا

- 3 - ياللا ياللا : وقد جعلها المدغرى بين اشطار أبيات قصيدته اعشية الجمعا كما يبدو من حريتها التى تقول :

أنا اعشيت الجمعا شاب اشبابى	ياللا ياللا
هلكنى عزبا وشابا	ياللا ياللا
من شاهدهم يسخا بشبابو	ياللا ياللا

- 4 - دادامى اللا اهياللا : وهى تشحيرة «طامو» للمدغرى ، وتردد بعد حريتها التى يقول فيها :

جيش لغرام ياطامو مانقدر اعلى الطامو  
دادامى اللا اهياللا

ومن الشد ان يلتزم الشاعر كلمة أو أكثر فى البيت تبدو فى سياقها كأنها من صميم الموضوع وصلبه ، وهى قد تتغير فى كل الابيات وقد (3)

لاتتغير ، من ذلك :

1 - قصيدة بوعبيد الشرقي فانه التزم فيها كلمة «الفقى» فى أول البيت ووسطه ، يقول فى أول أبياتها :

الفقى جيت لك تنظر شرقى      الفقى  
من خاطرى ابغيت انسالك  
الفقى افتى لى نعرف ذوقك      الفقى  
الخمير واش عندك سالك  
الفقى الخمير فى اشرابو عشقى      الفقى  
نبنى انحللو بمقالك  
الفقى لحضرت لمدام اترقى      الفقى  
افتى امن احسان اكمالك  
ويقول فى حريتها :

الفقى لوشفت اعويشا تسقى      الفقى  
والكاس من يدها يحلالك

2 - قصيدة «صارم الطعن» للشاوى وحريتها :

آش را من لاجرد صارم الطعن \* ويركب اسفون لحروب وايعيط داني  
ها حنا هنا      ويكون ادراعو ابحال السانو  
فان القصيدة من البحر الثلاثى ، ولكنه اضاف اليها بين الشطرين  
الثانى والثالث عبارة يتوهم منها أن القصيدة رباعية ، فى حين أن هذه  
العبارة لا يقصد منها غير قبض الميزان حيث كان يمكن ان يقول بدلا من  
«ها حنا هنا» : «أسيدنا» وبلغت براعة الشاوى حدا انه فعل ذلك فى كل  
الابيات وبعبارات مختلفة على حد ما يبدو فى دخول القصيدة حيث يقول :  
آش را من لابات امساهر الجفن \* والفكرا جايلافراخر لمعانى  
بالفخاتنا      باش ايسود اعلى لوشا فازمانو  
آش را من لابحث افجهد مامكن \* واعمل مايرتضى القاصى والدانى  
والفراعنا      يقطع زى ازعيطا بوزانو  
آش را من لالهل الطايلا اركن \* واترك فزوايت لهمل هل لضغانى

والمراكنا  
وأعمل هل لعلوم من رفقانو  
آش را من لاصحب الثابت الدهن \* يسلك به الطريق جهر اکتمانی  
وقثما بنا  
آش را من لاله اشياخ افلوطن \* واروی منها اکما اروينا بعلائی  
من اشياخنا  
اقليل الطاعا امزدری شانو

والعادة ان ينشد آخر القصيدة - وخاصة اذا كان ادریدکة - (1)

سريعاً وقويا على طريقة الكباحی التي تكون عليها السرابة \*  
والجدير بالملاحظة ان بعض القصائد لا تنشد وتغنى وإنما تتلى وتسرد  
ولا يكون ذلك الا في القصائد الطويلة من امثال «هول القيامة» لعبد العزيز  
المغراوي التي حريتها :

لسم الله المعين افلسطار يهديني منهاج لقوام

وقصيدة «الذرة» لابن علي وحريتها :

يالساهي من نومك فق سبيح الرب لنا وانت تايه افلغورور لواب  
الصلاة والسلام اعلى اخيار لنسب سيدنا محمد طه اشفيح لعراب

وقصيدة «الجمهور» لعبد القادر العلمي وأولها :

يا من يشفي اضرار عبده بعد السقم ويفرح من اقوات فالصار احزانو  
والغالب ان تتم «السراودة» في زاوية او مسجد او «لمسيد» كما  
يقولون (2) وفي مناسبات دينية وخاصة ذكرى مولد الرسول عليه الصلاة  
والسلام \*

وللسراودة مثل الانشاد أسلوب معين وانغام خاصة تختلف من قصيدة  
لاخرى ، وتقتضي التركيز على بعض المقاطع والضغط على حروف القافية  
وطالة اواخر الكلمات بعنا للتأثير في نفس السامعين \*

ونلفت النظر الى احدى قصائد «السراودة» فريدة من نوعها في البناء  
جمعت أقسامها بين أبيات معربة وأخرى ملحونة ، وهي القصيدة «الغياشبية»

(1) انظرها في الجزء الخاص ببناء القصيدة في الفصل الثالث من

باب «الشكل» \*

(2) المسيد هو الاسم الذي يطلق على الكتاب القرآني ، ولعل اصله

المسجد \*



التي تنسب للشرقي والتي حربتها :

أنا مالي فياش      واش اعليا منى

فقد قدم لكل قسم منها بيتين معربين على حد ما يبدو في القسم الثاني

منها حيث يقول :

يقول لما شاء كن فيكون	ويسبديء سبحانه ويعيد
ويحكم في خلقه ما يشا	ويفعل في ملكه ما يريد
في ظلمة الارحام	صورنى من نطفا
وابدانى بالانعام	نعا من كل صفا
واخلق لى ما واطعام	وانعايم مختلفا

وكما انفردت هذه القصيدة في بنائها فكذلك انفردت في طريقة تلاوتها ، حيث يسرد البيتان على غير طريقة سرد بقية ابیات القسم ، وتكاد تكون تلاوتهما مجرد قراءة خالية من كل لحن على عكس بقية الابیات . ونظن في غير قليل من الميل للترجيح أن هذا الاسلوب السردى اثر باق من الطريقة التي كان يؤدي بها الزجل في مراحله الاولى ، وقبل ان يغنى به ، نقصد من ذلك الى القول بأن تلحين قصائد الزجل واستخدامها في الغناء تم في مرحلة متأخرة لعلها بدأت في الربع الثاني من القرن العاشر ، حين حكم الاشياخ على قصائد بوعمر و الغزالية ان تنحى من ميدان السرد في المجالس العامة ، عقابا على نظمه فى المرأة \* وسنرى (1) أن هذه القصائد انتقلت الى مجالس خاصة كان جمهورها النساء والشباب ، وأن الشعاع اضطر الى مسامرة جمهوره الجديد فأخذ ينظم له قصائد غنائية خفيفة ، لعلها كانت السبب في تحويل انظار الزجاليين الى اتخاذ قصائدهم للغناء \* وفي هذا العصر سنصادف عند الحاج اعمارة - وهو متأخر فى الوفاة عن بوعمر - بيتا يدعو فيه راوى شعره الى التغنى به دون خشية من خصومه ، يقول فى آخر قصيدة «فاطمة» :

ياراوى لبيات عنى      غنى اوصول لاتخشى من عديانى

وللحاج اعمارة قصيدة فى رثاء بوعمر و يصفه فى احد ابياتها أنه خير

---

(1) فى الفصل الثانى من باب (الاعلام) لدى الحديث عن بوعمر و \*

من غنى وشدا بالشعر وهو قوله :

النبل القد النشاد      سيد من غنى او اشدا

بل انا سنرى (1) ان الزجل المغربى حتى بداية الربع الثانى من القرن التاسع لم يكن يخضع لنظام معين فى الوزن والقافية ، وهما حجرا الاساس لتلحين اى كلام . وسنجد عند عبد الله بن احساين - وهو أول من سبق للوزان فى الزجل (2) - رفضا لتروع من الشعر لم يكن يخضع للوزن يبدو من تسميته أنه كان يعتمد على القص والحكاية ، وهو «كان حتى كان» يقول ابن احساين فى أول بيت من أول قصيدة موزونة :

نبدا لسم الله انظامى يالى ابغى لوزان

لوزان خير لى انا يامن قول كان حتى كان

ويزيد فى تأكيد هذا الرأى أن القصائد تغنى على انغام الموسيقى الاندلسية كما بينا ، ونحن لانستطيع القول بأن انتقال هذه الانغام الى المغرب تم قبل انهيار الاندلس وهجرة مسلميها الى بلاد الشمال الافريقى ، بل انا لانجد قبل الحايك - وكان يعيش فى القرن الثانى عشر للهجرة - من غنى بهذه الموسيقى وجمع شتاتها من ميازين ونصوص . ولسنا نزعم ان الغناء بالزجل تأخر حتى هذا القرن ، فميازين تلك الموسيقى كانت معروفة لاشك قبل ان يجمعها الحايك ، ولكننا لانعرف ان كانت تلاحين قصائد بوعمر و معاصريه قائمة على هذه الميازين ام انها كانت لها نغمات خاصة . و الاسف اننا لانستطيع معرفة اللحن الذى بدأ به غناء الزجل ، كما أننا لانستطيع معرفة الاسلوب الذى كانت تؤدى به القصائد قبل اتخاذها للغناء ، وان كنا لانشك فى ان «السرادة» اثر لهذا الاسلوب . والسبب ان الزجل الذى وصلنا ملفوظا لايسير على غير ميازين الموسيقى الاندلسية .

مهما يكن فان القصيدة الزجلية غدت غناء شعبيا يطرب له الجميع ،

والسر فى ذلك انها جمعت امرين :

(1) فى الفصل الاول من باب (الاعلام) .

(2) حسب ما وصلنا اليه فى البحث .

1 - كلمات يفهمها العوام وانخواص من الناس .

2 - الحان قائمة على ميازين الموسيقى الاندلسية ، وهى أغنى وأعذب ألوان الموسيقى فى المغرب .

من هنا كان جمهور الزجال أوسع من جمهور الشعراء المثقف الذى ينظم لطبقة معينة هى طبقة المتعلمين المثقفين للغة العربية ، ومن هنا كذلك كان الزجال يحاول ان يرضى هذه الطبقة الخاصة فيقتبس من لغتها غير قليل من المفردات والتراكيب ، ويضمن قصائده ألوانا من البلاغة وفنية الاسلوب (1) . وليس هذا فحسب بل انه كان يحاول أن يقدم لها معلومات تاريخية او فقهية ، لاشك انه - وهو أمدى فى الغالب - كان يتعب فى جمع مادتها بالسؤال والبحث ومجالسة العلماء وحضور دروسهم . وسنرى حين نتعرض فى الموضوعات ثلث قصائد التى تناولت السيرة النبوية (2) مثلا ان الزجال كان يبذل جهدا غير يسير فى عرض جوانب من هذه السيرة تجعل المثقفين لا يرضون عن تلك الازجال فحسب ، وانما يقبلون عليها ويفتحون لها آذانهم وقلوبهم وبيوتهم كذلك .

ويزيد فى الدلالة على هذا الجهد ما يلجأ اليه بعض الزجالين من استعراض أسماء بعض الكتب والمؤلفين ، ومن خير الامثلة على ذلك هذه الابيات من آخر قسم فى قصيدة «الجدول» للحاج الصديق المسفيوى ، وهى قصيدة شبيهة بـ «الحراز» أخبرته فيها حبيبته بواسطة وصيفتها انها محرزة بسبعة عقاريت ولن يستطيع الوصول اليها اذا لم يهزمهم ، فعزم على مواجهة هؤلاء العقاريت ودرس علم الجدول وما يتصل به من علوم يمكن ان تفيده فى الوصول الى مفاتيح النصر . يقول :

حلا انشيتها ياراوى

للعاشقين واللى هاوى

فتراجم اللباقا واعقل والميز والرشادا

صنعت الدهرى اقفير

---

(1) انظر الفصل الثانى من باب «الشكل»

(2) انظر الفصل الرابع من باب «الموضوعات» .

- قارى علم التوحيد اعلى لشيخ ارويتو  
واقريت الالفيا والمواق (1) الشهير  
وابن عاشر واقريت الرسالا (2)  
والخزرجى او كيد (3)  
وابن عطاء الله والسمرقندى واعلوم لكتوب (4)  
والدمياطى وامشاكل الزناتى  
والسريانى اعلى اوفاه انحقو (5).  
وابن سيرين والموطا وكذلك اقبلاغ ندرى سيدى خليل (6)  
والبخارى وامعاء دعوت البسملا (7)  
واكمل بالرضى مقصودى  
واظفرت بالسعادا

على أنا لانريد ان ننفي عن الرجال غاية اخرى من هذا الجهد ، غير  
ارضاء المتقنين ، كان يقصد بها الى افادة العوام وتكوين فكرهم وفتح  
ذهنهم وعيونهم على جنبات من عالم الخواص ، وهم فسى الغالب - وعلى  
الرغم من عاميتهم وأميتهم - على جانب غير يسير من الثقافة ، وخاصة منها

- (1) الفية محمد بن مالك الجيانى (ت سنة 672 هـ) فى النحو . اما المواق  
فهو احد شراح مختصر خليل فى الفقه .
- (2) عبد الواحد بن عاشر صاحب المنظومة المشهورة فى الفقه والتوحيد .  
والمقصود بالرسالة رسالة ابنى زيد القيروانى فى الفقه كذلك .
- (3) ضياء الدين الخزرجى السبتي صاحب المنظومة «الخزرجية» فسى  
العروض ، وتعرف فى المشرق بـ «الرامزة» .
- (4) يقصد ابن عطاء الله السكندرى صاحب الحكم «والسمرقندى» المشهور  
فى علم البيان .
- (5) الدمياطى والزناتى والسريانى اسماء مشهورة فى علم الجدول وسر  
الحرث .
- (6) محمد بن سيرين المشهور فى الرؤيا وتعبيرها ، وصاحب «منتخب  
الكلام فى تفسير الاحلام» ، اما الموطا فهو كتاب الامام مالك ت سنة  
178 هـ ، ولعله من الغريب ان يذكر علم البلاغة ويعتمد على مختصر  
خليل ، وهو كتاب فى الفقه ، وما نظنه الا يقصد الى مهارته فى فهم  
بلاغة هذا المختصر وحل رموزه ومعانيه .
- (7) الامام البخارى صاحب الصحيح المشهور .

ما تحتم معرفته ضروريات الدين .

ولعلنا ان نضيف غاية أخرى لامجال لاغفالها هي وليدة المنافسة التي كانت بين الزجالين ومحاولة اظهار تفوق بعضهم على بعض ، وهو جانب يؤكد لنا الصراع الذي كان ينشب فيما بينهم والذي سنعرض له لدى الحديث عن فن الهجاء (1) .

ولم يكن الزجال يحاول ارضاء المثقفين فحسب ، وانما كان يحاول كذلك ارضاء الحكام والامراء والملوك يسعى الى قصورهم يتمتعهم ويؤنسهم بقصائده ، وهي ظاهرة اضطرته الى ان يبتعد عن واقع مستوى الشعب ، مصورا حياة القصور تارة ومخلقا بخياله تارة اخرى (2) ولاجئا الى الرمز والتلميح والاشارة تارة ثالثة .

ومن المتوقع عندنا ان مثل هذا الجمهور الواسع المتباين فى مستوى حياته وتفكيره قد يدفع البعض الى الطعن فى شعبية الزجل المغربى او الشك فيها على اقل تقدير .

ومن المتوقع عندنا كذلك أن تكون ظاهرة تدوين بعض قصائد هذا الزجل ذريعة لكى يتخذ آخرون مثل هذا الموقف من شعبيته ، معتبرين وجوب التداول الشفوى فى كل ادب شعبى .

ومن المتوقع عندنا بعد هذا ان معرفة أسماء منشئ هذا الزجل قد تدعو غير هؤلاء وأولئك الى اتخاذ نفس الموقف من شعبيته ، لان تلك المعرفة - فى رأيهم - تنفى عنه الجماعية التى تعتبر السمة البارزة لكل أدب شعبى والتى تقتضى أن يكون مؤلف هذا الادب مجهولا .

ولسنا ننكر ان كل هذه ظواهر واضحة فى الزجل المغربى لامجال لتجاهلها أو اغفالها ، ولكننا لانرى فيها ما يبعده عن الشعر والغناء الشعبيين فليس فرضا على أى عمل ليكون شعبيا أن يظل محصورا فى نطاق طبقة العوام الاميين ، ولعله من التحجير على الفنان الشعبى أن نجسده فى هذا النطاق ولانبيح له أن يربط علاقات وصلات بطبقات أخرى راقية ،

---

(1) الجزء الثالث من فصل «مع الناس» .

(2) انظر فصل «المرأة» والجزء الاول من فصل «مع الحياة» .

وأن يتسرب اليها بفنه ويؤثر عليها ويتأثر بها ففى محاولة لاكتساب بعض الجديد مما لاعد له به فى بيئته . بل انا نذهب الى أبعد من ذلك فى النظر الى هذه الظاهرة بما فيها من رغبة للاقتباس والتنويع ، وفى خلط غير منظم ولامدروس . فنعتبرها دليلا مؤكدا لشعبية هذا اللون من الشعر . ثم ان المؤلف الشعبى يعبر عن واقع مجتمعه ، ولكن لامناص له من النظر الى عمل غيره والاستفادة منه وتقليد اشكاله وموضوعاته ، وخاصة تلك التى حظيت عند الجماعة بالقبول وغدت انماطا ينسج عليها ، وقد يسرف فى ذلك فيغدو عمله مجرد نقل وتقليد . وهو كفنان لامناص له كذلك من تحكيم تجربته والاستنتاج منها ، وهى كلها اشياء قد تبعده قليلا او كثيرا عن الواقع .

ومانظن تدوين بعض نصوص هذا الشعر يؤثر على شعبيته طالما أن الجماهير توارثته عبر القرون والايال وتداولته عن طريق الرواية الشفوية، لم تلجأ فى ذلك الى ما هو مكتوب . ولايساورنا أدنى شك فى أن الذين قاموا بتسجيل نصوص من الزجل فى كنانيش هم من غير طبقات العوام\*، وأنهم فعلوا ذلك اعجابا بهذا الزجل او تلبية لرغبة الكبراء والحكام . اما معرفة منشى الزجل فلانرى فيها مايتنافى والجماعية ، فليست الجماعية ان يجهل الفرد وتهدر الجماعة حقوق انتاجه وتمتص فنه وابداعه فيه ، وانما الجماعية أن تنبنى الجماعة انتاج الفرد الذى يستطيع ببراعته وعبقريته ان يقنعها به ، فتقبله وتعجب به ، وترفضه وتتداوله وتذيعه وتحافظ عليه ، طالما ان هذا الانتاج الفردى يلائم ذوقها ، وطالما انه لايصبح له كيان مالم توافق عليه (1) .

---

(1) لعنا ان نشير الى ان انتشار الطباعة اليوم سيؤثر على وسائل تداول هذا الشعر ، وسيحافظ على اسم صاحبه وحقه فى الانتاج ، لاسيما ونطاق محو الامية أخذ فى الاتساع .

الباب الاول

الشكل

## الفصل الاول

# مفهوم الزجل وانواعه



## أولا : مفهوم الزجل

إذا رجعنا الى النصوص القديمة نحاول البحث فيها عن ورود كلمة «الزجل» فانا نجدها مستعملة منذ العهود الاولى للعربية . حقا اننا لانعثر لها على ذكر فى القرآن الكريم ، ولكننا نصادفها واردة فى الحديث النبوى الشريف . يقول ابن كثير فى تفسيره لدى اول حديثه عن سورة الانعام: «قال شريك عن ليث عن شهر عن أسماء قالت نزلت سورة الانعام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى مسير فى زجل من الملائكة وقد طبقوا ما بين السماء والارض . . . وقال ابوبكر بن مردويه حدثنا محمد بن معمر حدثنا ابراهيم بن درستويه الفارسى حدثنا ابوبكر بن احمد بن محمد ابن سالم حدثنا ابن أبى قديك حدثنا عمر بن طلحة الرقاشى عن نافع بن مالك بن أبى سهيل عن انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «نزلت سورة الانعام معها موكب من الملائكة سد ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والارض بهم ترتج» . ورسول الله يقول : «سبحان الله العظيم سبحان الله العظيم» ثم روى ابن مردويه عن الطبرانى عن ابراهيم بن نائلة عن اسماعيل بن عمر عن يوسف بن عطية بن عوف عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «نزلت على سورة الانعام جملة واحدة وشيعها سبعون الفا من الملائكة لهم زجل بالتسبيح والتحميد» (1) ويقول ابن الاثير : «زجل (هـ به فيه) انه اخذ الحربة لابي بن خلف فزجله بها أى رماه بها فقتله ، ومنه حديث عبد الله ابن سلام : فأخذ بيدي فزجل بى اى رماني ودفع بى (ن) ، وفى حديث

---

(1) تفسير القرآن العظيم لاسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى ت سنة 774 الجزء الثانى صفحة 122 الطبعة الثالثة مطبعة الاستقامة القاهرة

الملائكة) لهم زجل بالتسبيح أى صوت رفيع عال» (1)

كذلك نجد الكلمة واردة فى الشعر الجاهلى ، يقول الاعشى :

تسمع للحلى وسواسا اذا انصرفت      كما استعان برريح عشرق زجل  
أى ريح مصوتة •

ويستعرض الزبيدى فى «تاج العروس» معانى كلمة الزجل فيقول :

«... (والزجل محرّكة اللعب والحلبة و) خص به (التطريب) والشد سيبويه

له زجل كأنه صوت حاد      اذا طلب الموسيقى أو زمير

(و) الزجل أيضا (رفع الصوت) وللملائكة زجل بالتسبيح والتهليل

أى صوت رفيع عال وقد (زجل كفرح) زجلا (فهو زجل وزاجل) وربما وقع

الزاجل على الغناء • قال : وهو يغنيها غناء زاجلا (ونبت زجل صوت) كذا

فى النسخ والصواب صوتت (فيه الريح) ... والزجل محرّكة نوع من الشعر

معروف محدث ...» (2)

ومثل هذا نجده فى كتب الادب على حد ما نقرأ فى «العاطل العالى

والمرخص الغالى» حيث يقول صفى الدين الحلى : «والزجل فى اللغة الصوت،

يقال سحاب زجل اذا كان فيه الرعد ، ويقال لصوت الاحجار والحديد ايضا

والجماد زجل • قال الشاعر :

مررت على وادى شيات فراعنى      به زجل الاحجار تحت المعاول

تسلمها عبل الذراع كأنما      جنى الدهر فيما بينهم حرب وائل

فقلت له شلت يمينك خلها      لذكر او مخبر او مسائل

منازل قوم اذكرتنا حديثهم      ولم أر احلى من حديث المنازل» 3

ويحاول الحلى أن يجد تعليلا للربط بين الاستعمال اللغوى والاستعمال

الاصطلاحي فيضيف : «وانما سمي هذا الفن زجلا لانه لا يلتذ به ويفهم

1) النهاية فى غريب الحديث والاثار للمبارك بن محمد الجزرى المعروف

بابن الاثير الجزء الثانى صفحة 122

2) تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الزبيدى مادة زجل

الجزء السابع ص 355

3) مخطوط مكتبة بايزيد باسطنبول رقم 5542 الورقة 17 ظهر

مقاطع أوزانه ولزوم قوافيه حتى يغنى به ويصوت فيزول اللبس بذلك» (1) وليس من شك في ان بداية استعمال كلمة الزجل في معناها الاصطلاحي مرتبطة بظهور هذا الفن . واذا رجعنا الى مختلف المصادر التي عنيت بالاشارة الى نشأته فاننا نجدتها تكاد تجمع على أن الذي اخترعه هو ابن قزمان . وليست تهجنا في الواقع معرفة اسم السابق الى نظمه بقدر منا يهمننا أن نعرف كيفية انتقال اللفظ الى الاستعمال الاصطلاحي الادبي - هنا يعرض احمد الرباط في كتاب «العقيدة الادبية في السبعة فنون المعنوية» حكاية تقول « ان أول من تناشد به الشيخ أبوبكر بن قزمان المغربي ، وقيل لما انه كان في الكتاب وكان مراهق السن ، فدخل على شيخه الفقيه غلام جميل الصورة حسن الوجه حلو الجانب فنده عليه ابن قزمان وأجلسه بجواره ثم صأر يحييه بالسلام ويوادده بالحديث فبص الفقيه ففهم وعرف ما في ضمير ابي بكر من الحب للغلام فعبس الفقيه في وجه ابي بكر وأمر الى العريف بضربه ، فضرب العريف ابن قزمان فلما فرغ العريف من ضربه اخذ أبوبكر لوحه ومسك القلم وقد كتب هذا الوزن ، وهو أول اوزان الزجل :

الملاح أولاد اماره \* والوحاش أولاد نصاره

وابن قزمان جا يغفر \* ما قيل له الشيخ غفارة

فأحس الفقيه على ابي بكر فأخذ اللوح من يده فرأى فيه ما تقدم ذكره،

فقال الفقيه :

«هجيتنا يابن قزمان بكلام مزجول يعني مقطع ، فسموه زجلا» (2) .

- 1) مخطوط مكتبة بايزيد باسطنبول رقم 5542 الورقة 17 ظهر و 18 وجه . ونفس الكلام نقرأه في «بلوغ الامل في فن الزجل» صفحة 68 مخطوطة الزيتونة رقم 4467 . ونقرأه كذلك في «تاريخ خلاصة الاثر في أعيان القرن الحادي عشر» لمحمد المحبى لدى ترجمة ابي بكر بن منصور بن علي العمري الدمشقي المتوفى سنة ثمان واربعين والفس حيث تعرض للفنون السبعة المستحدثة ومنها الزجل (الجزء الاول 108 - 109 - 110 المطبعة الوهبية بمصر سنة 1284) .
- 2) مخطوط اسعاد افندي (السليمانية - اسطنبول) رقم 2867 الورقة 6 ظهر 7 وجه

ولكننا نجد استاذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الاهواني يرى انه استعمل قبل ابن قزمان وفي نوع من الشعر الشعبي غير الزجل ، يقول : «ولعل لفظ الزجل كان فى الاصل يطلق على النوع الشعبى ثم أطلق على النوع الشبيه بالتوشيح لفظ (هزل) ثم اختلط اللفظان فيما بعد (1)» ويعتمد فى ذلك على نص ينقله من كتاب «جميع نواميس الكنيسة والقانون المقدس» منسوخ سنة 1046 اى قبل وفاة ابن قزمان بما يقرب من قرن كامل ، جاء فيه : «لايجوز للقلارقين ان يحضروا الملهى والزجل فى العرائس والمشارب بل يجب عليهم الانقلاب قبل دخول تلك الاطراب والازقان والتنحي عنهم» (2) ويعلق على هذا النص بقوله : «وهذا نص فيما نعتقد عظيم الاهمية ، وقيمته ليست فى أن الزجل كان موجودا قبل ابن قزمان فحسب بل انه كان شعبيا له مكانة فى العرائس بين الموسيقى والرقص والاغاني» (3) .

ومن لطيف ما يستأنس به فى البحث عن أصل التسمية ماذكر لنا احد المعتنين من أن لها صلة بسيدي «زجل» صاحب الضريح المعروف فى شمال المغرب . وقد وجدنا له ذكرا عند سليمان الحوات فى «ثمره انسى فى التعريف بنفسى» حيث قال عنه : «... سيدي زجل دفين بومناز من القبيلة التى تنسب اليه (بنى زجل) وقد قدم على المغرب مع موسى بن نصير سنة تسعين من الهجرة فى خلافة الوليد بن عبد الملك واسمه محمد ولقبه زجل وكان خيرا عالما شاعرا ...» (4)

ومع هذا فان المغاربة لا يطلقون الزجل فى الغالب على غير النوع الاندلسى المعروف ، أما شعرهم الشعبى فيطلقون عليه أسماء أخرى أهمها «الملحون» . فهذا سيدي ابراهيم التادلى فى «فتح الانوار فى بيان مايعين على مدح النبى المختار» يقول : «واعلم ان المديح النبوى يكون بالاشعار

- (1) الزجل فى الاندلس صفحة 59
  - (2) مخطوط المكتبة الاهلية فى مدريد رقم 4879 ورقة 333 وجه . ويشرح القلارقين بأنهم Clérigos اى رجال الكنيسة
  - (3) الزجل فى الاندلس صفحة : 59
  - (4) من مخطوطة خاصة للاستاذ سعيد اعراب - اللوحة الرابعة .
- (4)

الموزونة ذات البحور الخمسة عشر . . . ويزاد ما اخذ من هذه البحور كمخلع البسيط ومجزو الرمل ومشطور الرمل ومشطور الكامل . ويكون أيضا من الازجال والموشحات وكذا الملحون كالقصائد والبراول لكن الملحون منه ما يوافق الاوزان الخمسة عشر المتقدمة ومنه ما يخالفها .» (1)

ونجد التفرقة بين النوعين الاندلسي والمغربى واضحة عند اصحاب الموسيقى الاندلسية الذين يفرقون فى الاشعار التى تنشد فى هذه الموسيقى بين الازجال ، يقصدون بها الشعر الاندلسي المعروف بهذا الاسم ، وبين البراول (2) ، وهى اشعار عامية مغربية تنشد فى بعض ميازين هذه الموسيقى .

لهذا قد يلاحظ علينا فى اتخاذ اسم «الزجل فى المغرب» عنوانا لرسالة تبحث فى لون من الشعر الشعبى المغربى ، طالما أن المغاربة لا يطلقون «الزجل» على شعرهم الشعبى ، وطالما انهم لا يقصدون من هذه التسمية غير النوع الذى عرف فى الاندلس . ولكننا نرد على مثل هذه الملاحظة بما يلى من نقاط :

اولا : على الرغم من أن لفظ الزجل شاع اسما للفن الشعرى الذى سبق اليه الاندلسيون ، مجردا من الاعراب متعدد القوافى متجدد الاوزان ، فانا لانشك فى أنهم كانوا يطلقون هذه التسمية على كل ماكانوا ينظمون باللغة العامية . وقد سبق أن ذكرنا ما ذهب اليه استاذنا الجليل الدكتور الاهوانى من أن الزجل كان فى الاصل يطلق على النوع الشعبى وان الهزل كان يطلق على النوع الشبيه بالتوشيح . ونجد الحلّى ينسب التعميم لغير الاندلسيين حين يقول معقبا على ذكر الموشح والزجل والمزمن والمكفر : «وباقى البلاد لايعتبرون هذا الفرق بل يسمون كل ما اعرب موشحا وكل ماخلا من الاعراب زجلا وما اشترك فيه الاعراب واللحن مزنا فى أى فن قصده الناظم» (3) . بل انه نجد احمد الرباط يذهب الى «ان الشعر هو أصل كل فن معرب وأنا الزجل هو أصل كل فن ملحون» (4) . كذلك نجد الحلّى

- (1) مخطوط خزانة الرباط العامة رقم 3285 D صفحة 27 - 28 .
- (2) سنعود اليها فى الجزء الثانى من هذا الفصل كنوع من أنواع الزجل .
- (3) العاقل الحالى الورقة 19 وجه 4) العقيدة الادبية الورقة 18 ظهر .

يعتبر من الزجل شعرا عاميا لايسير على نظام الزجل المعروف ، ويعتبر نظم هذا الشعر مرحلة سابقة على نظم الزجل ، فهو يقول : «وأول ما نظموا الازجال جعلوها قصائد مقصدة وأبياتا مجردة على عروض العرب بقافية واحدة كالقريض لا يغيره بغير اللحن واللفظ العامي وسموها القصائد الزجلية ...» (1) ثم ذكر ان لمغليس فى ديوانه ثلاث عشرة قصيدة من هذا النوع أشار الى مطالعها (2) ، ومنها قوله :

مضى عنى من نحبو وودع \* ولهيب الشوق فى قلبى قد اودع  
ثانيا : اطلق بعض المغاربة لفظ الزجل للدلالة على ما ينظمون من شعر بالعامية ، فعند الشاعر الشعبي سعيد التلمساني فى إحدى قصائده متحدثا عن نفسه :

اذا كنت زجال فيها كيف تريد (3)

وعند زجال آخر اسمه على يهجو ويفخر (4) :

انكمل زجلى ولى فالزجول \* انكمل زجلى  
قولوا للعكلى يترك لفضول \* قولوا للعكلى  
والاديب على ايفوق فى لغزول \* والاديب على

وفى «نشر المثاني» لابی عبد الله محمد بن الطيب بن عبد السلام القادري لدى ترجمة الشيخ ابي عبد الله محمد بن مبارك الزعري دفين تاسوت :  
«وخاطبه سيدي محمد الشرقي :

ياساكن ارض البوادي \* لاتتعداشى الموارد  
اصحب هداة الطريقا \* تحصل له كل الفوائد  
فأجابه صاحب الترجمة بقوله :

تالله ما كان هذا \* الا من مجذوب سالك

- (1) العاقل الحالي الورقة 22 وجه .
- (2) المصدر السابق من الورقة 22 حتى 25 . ويبدو ان الحللى خلط بين الزجل والشعر الملحون الذى كان معروفا فى الاندلس والذى سنعرض له بعد سطور .
- (3) مخطوطة خزانة الرباط العامة ك 1644 صفحة 70 .
- (4) من مجموع مخطوط بالمكتبة الوطنية فى مدريد غير مرتب رقمه 5307 .

يسقى خمر الرجالا ❖ مملوك من الحق مالك» (1)

ثم قال بعد ذلك : «وماجلبه من قوله : يالساكن الخ ... هو زجل فى وزن المجتث» (2) • وعند ابن عسكر فى «الدوحة» لدى ترجمة محمد بن يحيى البهلولى (3) ان «له زجليات» (4) • ويقول محمد الكانونى فى «جواهر الكمال فى تراجم الرجال» فى ترجمة احمد بن على الغنيمى : «له قصائده ملحونة (ازجال)» (5) •

ويقول ابن زيدان فى ترجمة عبد القادر العلمى (6) : «وماينسب للمترجم من الازجال هو له حقيقة» (7) •

ثالثا : يبدو أن المغاربة على الرغم من ميلهم للتمييز بين الفنون ، وقعوا فى خلط بينها وتصور ان لم يكن خاطئا فهو على الاقل غير واضح • يقول التادلى فى «فتح الانوار» متحدثا عن أركان السماع واولها الشعر : «ان الكلام الذى يتكلم به الانسان من حيث هو اما معرب او ملحون ، وكل منهما اما منظوم او منشور ، لكن جرى فى الاصطلاح ان الموزون يطلق على النظم المعرب والملحون يطلق على النظم غير المعرب ... والملحون هو موشحات وبراول وقصدان» (8) • حيث جعل الموشح لونا من ألوان الشعر الملحون (9) • كذلك نجد القادرى فى «نشر المثنى» فى تعليقه على الابيات

(1) الجزء الاول صفحة 47 طبعة فاس • وانظر المساجلة كذلك فى «ممتع الاسماع» صفحة 128 - 129 لدى ترجمة محمد بن مبارك الزعرى •  
(2) المصدر السابق •

(3) سنعود اليه فى الفصل الثانى من باب «الاعلام» • (4) ص 46 •  
(5) ص 26 وسنعود اليه فى الفصل الثالث من باب «الاعلام» لدى ترجمة المدغرى •

(6) سنترجم له فى الفصل الثالث من باب «الاعلام» •  
(7) اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس ج 5 ص 340 •  
(8) صفحة 4 - 5 - 7 •

(9) مع اعتبارنا ان هذا خلط نشير الى ان الموشح الملحون عرف فى اليمن على حد ما يذهب صاحب «سلافة العصر» من ان لاهل اليمن نظما يسمونه الموشح غير موشح اهل المغرب ، والفرق بينهما ان موشح اهل المغرب يراعى فيه الاغراب بخلاف موشح اهل اليمن فانه لا يراعى فيه شئ من الاغراب بل اللحن فيه اعذب وحكمه فى ذلك حكم الزجل •  
صفحة (243) •

السابقة يذهب الى ان الزجل كلام مغرب وملحون حيث يقول : «هو زجل في وزن المجتث على طريقة الازجال من كونها ملفقة من الكلام الملحون والمغرب» (1) •

رابعاً : لم يطلق المغاربة تسمية معينة على شعرهم الشعبي وانما اطلقوا عليه تسميات كثيرة سنستعرضها ونمثل لها بعد قليل •

خامساً : قد تكون لتسمية الملحون الغالبة على الشعر الشعبي المغربي وما يوحى به الشبه بينها وبين تسمية الملحون التي تطلق على القصائد التي كانت تنظم في الاندلس خالية من الاعراب ، مايدعو الى الظن بأن الشعر الشعبي المغربي ربما كان امتدادا لهذا اللون من القصائد وبالتالي امتدادا للتسمية • ولكننا حين ننظر في الشعر الملحون الاندلسي والشعر الملحون المغربي ، نقيسهما بالزجل في الاندلس ، نجد الملحون المغربي في تعدد اوزانه وتنوع قوافيه وعدم خضوعه لبحور الخليل اقرب الى الزجل منه الى الملحون الاندلسي الذي التزم شكل القصيدة العربية لم يختلف عنها الا في ابتعاده عن الاعراب • فعند ابن سعيد متحدثا عن احد الشعراء بعد ان اورد له زجلا قال : «وله شعر ملحون على طريقة العامة منه :

صحبتي والعنق لمليح لمخلخل \* حبي منك ثابت وديني لمخلخل  
وعلام بعث ديني ابحك \* لو عطيت مرغوبي فيك لس اتسال  
فلقد عندك حلاوى لى منوع \* وجمالا طوع الامر يخلد» (2)

سادساً : ليس من شك في أن اسم الزجل غدا في العصر الحديث وفي معظم البلاد العربية يطلق على كل ألوان الشعر التي تنظم باللهجات العامية المحلية ؛ على الرغم من بعد هذه الألوان شكلا ومضمونا عن الزجل الاندلسي الذي لم يعد ينظم، وليس من شك كذلك في أن الناطقين بالعربية في البيئات المختلفة يحسون القوارق اللغوية التي تحول دون توحيد سنتهم ، وان حماة هذه اللغة يسعون جاهدين الى هذا التوحيد وخاصة في مجال المصطلحات

---

(1) الجزء الاول صفحة 47 - 48 •

(2) الجزء الثاني من المغرب صفحة 222 ومثل هذا الشعر هو الذي اطلق عليه الحلي «القصائد الزجلية» (انظر العاقل الحالي الورقة 22 وجه)



ونحن نرى فى هذا خطوة بعيدة نحو توحيد الرؤية والتفكير والتعليم فضلا عن محور فوارق التفاهم والتعبير ، ونرى كذلك ان دراسة الاشعار العامية بصفة خاصة واللهجات العربية المحلية بصفة عامة هى السبيل الموصل الى الوحدة اللغوية المنشودة .

لذا ، واعتمادا على هذه التعليقات ، فانا نفضل اطلاق «الزجل» على كل أنواع الشعر الشعبى المغربى ، وتدعو الى هذه التسمية بدلا من أية تسمية اخرى تطلق عليه مهما بلغت من الذبوع والانتشار . ويشجعنا على ذلك اننا لازلنا فى المرحلة الاولى للبحث عن التراث واستخراجه وتنظيمه ووضع معايير وتحديد مصطلحاته ثم دراسته والتعريف به ، وهى مرحلة اشبه ماتكون بمرحلة وضع الحجر الاساسى لاي بنية . واذا كنا نقول هذا بالنسبة للتراث عامة ، فانا نلح عليه بالنسبة للتراث الشعبى خاصة ، لاسيما فى بلد كالمغرب لايعنى فيه بهذا اللون من التراث ، بل لانبالغ اذا قلنا انه لايعترف به مادة جديرة بالدرس والبحث او أى مظهر من مظاهر الرعاية والاهتمام ، وهو موقف يكاد يتساوى فيه العامة والخاصة من الناس اما الاسماء التى يعرف بها هذا الشعر فى المغرب ، سواء عند الجمهور أو عند الاشياخ منشئين ومنشدين فهى :

#### اولا : الملحون :

يقول بوعمرى فى آخر القسم الثالث من قصيدة له فى الاخلاق والطباخ :

ملحونا اقتادل تضوى فالداغ ماخطا سرداق

والناس رايدا تطفى نور اقتادلو افكل اغسيق

ويقول حسون وتير من ابيات يعرض فيها ببوعمرى :

ملت امن السجيا ولي فيها العار والشنار

واغضب اعلى الشعر الملحون الى ناظم فاضها

ويقول المصمودى فى آخر قصيدة «الجار» :

انا حر افقلب كل اكريه ازنجار

لوينظم بالذهبي انا لو عيار

بالميزان الرجيج نعرف غايت ملحوني

ويقول المدغري :

فالملاحون اعليه لننظار

واعلى اللفاظ والمعنى حق انظارو

نعنى جوهر تاج خنار

بها عل لعوارم تفخر خنارو

ويقول عبد الرحمن بن لقيه في آخر قصيدة «للاحسنا» :

خذ الحافظ اتراجمنا

من اصميم لفكر عبد الرحمان بالموازن

خترعها في اتراجم الملاحون

ولعلنا ، قبل الانتقال الى اللفاظ الاخرى التى اطلقت على هذا الشعر  
أن نقف قليلا عند اصل التسمية بالملاحون . والحقيقة أنا فى محاولة التعليل  
أمام افتراضين مصدرهما معنيان من معانى اللحن ، هما الغناء والخطا  
النحوى وقد استبعد الأستاذ محمد الفاسى أن تكون التسمية مشتقة من اللحن  
بالمعنى الثانى حين قال : «والحقيقة أن لفظة الملاحون هنا مشتقة من اللحن  
بمعنى الغناء لأن الفرق الاساسى بينه وبين الشعر العربى الفصيح  
أن الملاحون ينظم قبل كل شئ لكى يعنى به» (1) وقال كذلك : «اول ما يتبادر  
لذهن أنه شعر بلغة لا اعراب فيها فكانه كلام فيه لحن ، وهذا الاشتقاق  
باطل من وجوه لاننا لا نقابل الكلام الفصيح بالكلام الملاحون ولم يرد هذا  
التعبير عند أحد من الكتاب القدماء لا بالمشرق ولا بالمغرب . والذى أراه  
أنهم اشتقوا هذا اللفظ من التلحين بمعنى التنغيم لأن الاصل فى هذا الشعر  
الملاحون أن ينظم ليتغنى به قبل كل شئ . ونجد ما يؤيد هذا النظر من قول  
ابن خلدون فى المقدمة فى الفصل الخمسين فى أشعار العرب وأهل  
الامصار لهذا العهد بعد أن تكلم على الشعر باللغة العامية فقال : وربما  
يلحنون فيه ألحانا بسيطة لا على طريقة الصناعة الموسيقية» (2) . ونحن  
1 مقال : «نظرة عن الادب الشعبى بالمغرب» - مجلة البينة - السنة  
الاولى العدد الرابع غشت 1962 .  
2 مقال : «الادب الشعبى المغربى الملاحون» - مجلة البحث العلمى - العدد  
الاول السنة الاولى (يناير - ابريل 1964) .

يرى على العكس من هذا ان التسمية اشتقت من الملحن بمعنى الخطأ النحوي ونعلل لذلك مناقشين رأى الاستاذ الفاسي من وجهات ثلاث :

الاولى : ان هذا الشعر لم يكن ينظم اول الامر ليفنى به وان اتخذه للغناء تم فى مرحلة تالية ، وقد فصلنا فى ذلك القول فى المدخل .  
الثانية : اننا حقا لانقابل الكلام الفصيح بالكلام الملحون لان الفصاحة قد تكون فى الملحون ، وغير الملحون ، كما سنتعرض لذلك فى الفصل الثانى من هذا الباب . وقد جانب الاستاذ انفاسى الصواب حين استعمل كلمة «فصيح» ليقابل بها كلمة «ملحون» وما نظنه يجهل ان الذى يقابل الشعر الملحون هو الشعر المعرب وليس الفصيح .

اما ثالث هذه الوجهات فهي ان استعمال هاتين التسميتين : المعرب والملحون متعارف عليه عند كل الذين تعرضوا للونين من الشعر . فابن سعيد يقول متحدثا عن بعض الشعراء : «وله شعر ملحون على طريقة العامة» (1) ، والحلى يتحدث عن الفنون المستحدثة فيقول «وهى الفنون التى اعرابها لحن وفصاحتها لكن وقوة لفظها وهن ، حلال الاعراب بها حرام وصحة اللفظ بها سقام» (2) ويقول : «... وبعض البلاد لا يعتبرون هذا الفرق بل يسمون كل ما عرب موشحا وكل ما خلا من الاعراب زجلا وما اشترك فيه الاعراب واللحن مزنا فى أى فن قصد الناظم» (3) ثم يقول : «ثم تداوله العامة ومن لآانس له بالقواعد ومن عجز عن الاعراب حتى صاروا ينظمونه ملحونا» (4) ، بل انا نجد الشعراء انفسهم يستعملون الاصطلاحين على حد ما يقول ابن مقاتل فى نهاية احد ازجاله :

كم خصم فى المقاتل \* صابوا بن مقاتل \* وكم ذا فى المحافل  
قد انشأ غصن حافل \* من حل بيت فى مربع \* ملحون بألف معرب (5)

(1) الجزء الثانى من المغرب - ص 222 .

(2) العاقل الحالى - الورقة 15 ظهر .

(3) المصدر السابق - الورقة 18 ظهر .

(4) المصدر السابق \* (5) روض الآداب لاحمد بن الحجازى مخطوط

آيا صوفيا (السليمانية - اسطنبول) رقم 4017 الورقة 101 ظهر .

أكثر من هذا ان المغاربة استعملوا الملحون في مقابل العرب على حد ما نقرأ عند التادلي في «فتح الانوار» حيث يقول : «الملحون يطلق على النظم غير العرب» (1) .

اما استدلال الاستاذ الفاسي بكلام ابن خلدون فمطعون فيه من ثلاثة وجوه :

اولها : ان كلام ابن خلدون لا يقصد به الشعر العامي المغربي ، فهو يقول : «فأما العرب أهل هذا الجيل المستعجمون عن لغة سلفهم من مضر فيقرضون الشعر لهذا العهد في سائر الاعاريض على ما كان عليه سلفهم المستعربون ويأتون منه بالمطلولات ، فأهل امصار المغرب من العرب يسمون هذه القصائد بالاصمعيات ، وأهل المشرق من العرب يسمون هذا النوع من الشعر بالبدوي وربما يلحنون فيه الحانا بسيطة» (2) .

ثانيها : ان ابن خلدون لم يذهب الى ان اللحن الموسيقى والغناء من خصائص هذا الشعر ومميزاته اللازمة له ، وانما ذهب الى أنه قد يتخذ للغناء في بعض الاحيان ، وهذا ما يفهم من استعماله «وربما» .

ثالثها : ان ابن خلدون حين تحدث عن «عروض البلد» الذي استحدثه أهل الامصار بالمغرب ونسجوا عليه في أشعارهم الشعبية لفت النظر الى خلق هذه الاشعار من الاعراب ولم يشر الى أنها كانت تغنى ، ولو كانت كذلك لما أهمل مثل هذه الاشارة ، فقد قال : «فاستحسنه أهل فاس وولعوا به ونظموا على طريقته وتركوا الاعراب الذي ليس من شأنهم وكثر سماعه بينهم واستفحل فيه كثير منهم ونوعوه اصنافا» (3) .

**ثانيا : العلم الموهوب ،** يقصدون انه هبة من الله مصدره الالهام :

يقول التلمساني يرثى المغراوي :

بستان الزهر صاحب السر المكنون ✽ علم الموهوب ماتنهيه اقراطس (4)  
ويقول المدغري في احدى قصائده «الساقى» :

(1) صفحة : 5 .

(2) المقدمة صفحة 510 طبعة بولاق .

(3) المصدر السابق صفحة 530 .

(4) الكناش ك 1644 صفحة 31 مخطوط خزانة الرباط العامة .

واسلام الله اعلى الشراف واعلى الطلبة ناس لحديث واعلى شراحو  
واعلى من يتلى قول ربنا واقرأ بالترتيل  
واعلى ناس الموهوب كافا واعلى من قصد النبى اوزار افمر كاحو  
واعلى ملت لسلام كلها يبقى جيل افجيل  
ويقول شاعر لعله احمد ابجوات فى آخر قصيدة «الحب احرك لى  
بجيوش» :

واسلامر بنا للشرفا والقاريين \* واعلى اهل العلم الموهوب  
ثانثا : السجية :  
يقول بوعمرو :

فامهامه انسجيا نغرس حرجات كلها روناق  
بالنور والنواور والطيب والشجر لبسيق  
والقلب فالسجيا قوتو وامعشتو اعلى نسق  
والفاهمين طرز الغايا يدريو قولتى تحقيق  
ويقول حسون وتير من ابيات يعرض فيها ببوعمرو :  
ملت امن السجيا ولى فيها الغار والشنار  
ويقول الجيلالى امتيرد فى آخر قسم من خلخاله :  
ماضرت اعلى طلبا اولا مشى لى عمرو خلخال  
غير ابدىوان اشطارتى وعقلى واكمال اسجيتى وترتيب اشغالى  
جلست فى هذا الحلا ودرتها فرجا للعقال  
ويقول ابن على فى آخر قسم من محاورته :

بنطافا واسجيا جبت هذا القطعا بالفاظها ومعناهم  
اذكى امن الزهر واحلا من سكر فقلوب اهل التسليم ولججود اتجيههم زقوم  
وابعا : لكلام ، يقصدون انه الكلام الحق الصادق ، وكأنهم باستعمال هذه  
التسمية على صيغة التعريف المطلق لايعنبرون ماسواه من الكلام .  
يقول المغراوى فى آخر قسم من قصيدة له فى الاشتياق لمكة المكرمة :  
ماهوشى من والى اللى ايجيب لكلام  
واعسى اللى قاصر فى اهوى افنون الكذب

ويقول ابن علي في آخر الحجام :

وامثالي عند الناس يرحأمو

يذكر في ابساط الملوك اكلامنا ويروي القلب المهوف

ويقول محمد بن علي بن ريسون :

واللي يحفظ هاذ لكلام ❖ ينجا من كل اعذاب

ويقول المدني التركماني في دريدكة قصيدته في «السولان» :

وانهيت لكلام افختم السولان

**خامسا : النظم او النظام :**

يقول المغراوي في «حول القيامة» :

نرجع لحديثنا المنظوم ❖ فتمام امشاهد لقصيد

ويقول كذلك في قصيدة الشوق لمكة المكرمة :

يا من يهجرني هكذا انصيغ النظام ❖ نعت الدر المنظوم في اسلوب الذهب

ويقول المدغري في آخر قسم من الزهو :

خذ طرز اختيم العنوان

للواسخ فيه اعلوم لكتوب لانقصاني

لازيادا نظم اترجمان

ويقول ابن علي المسفيوي في آخر «المرسوم» :

يا لحافظ نظمى بين لمحافل اتحول ❖ كررو بلسانك بكرا مع لصلا

**سادسا : الشعر :**

يقول بوعمر :

الشعر فيه اشفا لمريض ايلا افنا وزاد ارقاق

ايصيب فيه لونيس الناطق بالسكات والتحقيق

ويقول ابن علي في اول سولانه :

بسؤالي استفتخر واتلق كل من ايعاتب

اللي ايعاتبك كنو عاتبنا ❖ وغاتبك كنو غاتبنا ❖ وهكذا فالشعر اكتبنا

ويقول فيه كذلك :

وانسال امن ادعاو اعلى علم الشعر ولواهب

ويقول في اول قسم من المحاوره :

افراجا مقصيا اكما اسمعت انعاود للسامعين ترضاعهم  
برجاحت لعقل وابلاغت لجبار جبت اخصام الخودات في انهايت شعري منظوم  
سابعاً : القريض :

يقول الحاج اعمارة في آخر قسم من فاطمة :  
ياراوى لبيات على \* غنى اوصول لاتخشى من عديانى  
انظامى وقريض وزنى \* شلا يطيق عنو مظموس اعدانى  
ويقول ابن عمر الكفيف في حربة «الداعى» :  
انا زنجار فى اعيون امن ادياً \* قول للاييم الوغد الداعى  
برضا ناس لقريض حزت اشجاعا وبراغا  
ويقول احمد ابجيوات في «عرصة الرضا» :  
افلمواهب لقريض \* ساسو طايح لهلا اينوضو

#### ثامناً : لوزان : اى الاوزان

يقول العلمى في آخر «المزيان» :  
لو امدحت من لعجام ارديل فى لوزان \* ايعود ساخى مهما فقصايد ينظر  
ويقول كذلك في ختام قصيدة «كأن اخلاكى هانى» :  
واتهلا فوزانى \* واكتم ابياتها عن هل لعقول لخشان  
ويقول ابن على المسفيوى في نهاية «الورشان» :  
والحاضرين رحموا ناظم لوزان \* فى بابكم ديما مسؤول  
تاسعاً : اللغا : يقصدون الكلام ، وهى فى الاصل اللغة .

يقول امتيرد فى «ضيف الله» :  
قال افصيح اللغا الحبر الجيلالى \* لفقت اجواهر النظام  
ويقول ابن على فى اول قسم من الشمعة :  
يستغرب من لاتحدثو بخطابك \* لغريم فاللغا يسطابك  
ويقول ابن سليمان فى آخر قسم من «خدوج» :  
ولعبير اسلامى \* لاهل اللغا اعمامت هامى  
والجاحدين تحت اقدامى

ويقول ابن عمر الكفيف في آخر «الداعي» :

ياحافظ اللغا اتواضع \* لاهل المعنى اتريغ

بل انا نجد عبد الله بن احساين في أول قسم من قصيدة له في  
مدح الرسول عليه السلام يستعرض ثلاث تسميات هي : اللوغ واللغا  
واللغوا ، فيقول :

مداح مادحو بلساني والشوق ليه من لكان

والمادحو ايجب اكنانسو يرضاه ما اعيه بلسان

اللوغ واللغا واللغوا بين اللهيا امع لسان

والحب د الشفيغ الشافع فالقلب او لدخال اتصان

وقد شرح لنا بعض الاشياخ هذه الاسماء فذهب الى ان المقصود

باللوغ العربية الفصحى وباللغا العربية الدارجة وباللغوا اللهجة البربرية .

#### عاشرا : العلم الرقيق :

يقول المدغري في آخر قصيدته في الخصام بين الزهور :

نهيت حلتى لارباب العلم الرقيق

الحادي عشر : لكويحة ، سموه كذلك لصدوره عن القريحة .

يقول محمد بن الوليد التنسيطي الدرعي في حربة احدى قصائده :

ناديت بكريحتى اصوتسى \* وارفعت اكفوفى الرب الملكوت وادعيت

اقلت فى ادعوتسى \* يامن نجيت يونس اقبطن الحوت

املا قبل الموت وما بعد الموت ياربى كن لى اقموتى



## ثانياً : انواع الزجل

يقدم لنا عبد الرحمن الفاسي في «الاقنوم فى مبادئ العلوم» تحت عنوان «علم ميزان الملحون» (1) انواعاً من هذا الفن يوصلها الى خمسة عشر ينظمها فى قوله :

علم بأنواع من الملحون \* وردعاً لضابط الموزون  
له من الاوزان خمسة عشر \* على الذى كثر فيه واشتهر  
اولها الشرقى الكبير والثانى \* شرقى صغير باختلاف الاوزان  
والثالث الشرقى الذى قد طرزا \* من وزن ذاك العروبي برزا  
والرابع الشرقى الصغير صاحب \* التاء فيه زائد يناسب  
والخامس العواد والمرشوق \* ثم المزوج الذى يليق  
وبعد البهلون (2) والمسنوى \* وبعده القفر كذا العذراوى  
وبعده الحورشة العشاري \* ثم العروبي والقصيد الجارى

ولكننا باستثناء العروبي الذى سنتحدث عنه بعد سطور ، وباستثناء القصيدة التى هى مدار هذه الرسالة ، لانعرف من هذه الانواع الا العذراوى، وهو من القطع التى تنشد فى الموسيقى الاندلسية ، وقد يكون موشحاً او زجلاً .

فمن التوشيح العذراوى مانجده ينشد فى صنعتى الدرج والبسيط من نوبة الاصفهان ، وهو (3) :

(1) من أواخر الجزء الثانى من «الاقنوم» مخطوط الخزانة العامة بالرباط D 24 II والاقنوم عبارة عن دائرة معارف نظم فى حوالى خمسة آلاف بيت مقسمة على مائتين وواحد وثمانين علماً او باباً . وقد كتب عقب الايات المذكورة «بياض قدره ورقة» مع ان الناسخ يقول انه نسخ من نسخة المؤلف .

فى نسخة اخرى من «الاقنوم» رقمها ك 15 : البهلون

(3) انظره فى «نوبة الاصفهان» ص 20 و 29 تنظيم • Arcadio de Larrea

يامن ملك عقلى رهين \* رأيت على خده اليمين  
الزهر والورد والسوسان والياسمين

قلت له آس ذاك اعلى خدك \* قال لى القمر  
قلت له آس ذاك اعلى ثغرك \* قال لى الدرر  
قلت له آس ذاك اعلى شفرك \* قال لى الحور  
وما هو تحت الجبين \* حاجبين امعرقين  
قلت له انت المليح بالحق \* قال لى مليخ  
قلت له انت كحيل الحدق \* قال لى وقيح  
قلت هل بالوصال تشفق \* قال لى شحيح  
قلت له اما تلين \* وتليل العاشقين  
الزهر والورد والسوسان والياسمين

ومما ينشد زجلا من العذراوى هذه القطعة (1) :

لسم المالك الديان \* نعم المستعان \* نبدا فى اطرير لوزان  
نمدح سيد الثقلين \* ذو النور والبيان \* والآيات والبرهان  
لسم الملك الاعلى \* جل البسمل \* نبدا فى النظام اولا  
نمدح سيد الرسلا \* مصباح العلا \* احمد سيد الفضلا  
من به نرغب المولى \* يوم الزلزلا \* ينقدنا من الوحلا  
بدره لرسال \* غدا يلى صولا  
نرجا من المتعال \* قوتى على الملا  
وانقول غير محال \* لارب غير الله

يبدأ على هذا النحو ثم تستمر الاقسام على حروف مختلفة فى

Palacin بمساعدة الفريد البستاني - نشر معهد الجنرال فرانكو  
للأبحاث العربية الإسبانية تطوان سنة 1956 . وانظره كذلك فى  
كتاب «الحايك» ص 47 (مخطوطة الخزانة العباسية) وانظره بعد هذا  
غير تام فى الكتاش المخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم D 1518  
ص : 41 .

(1) الكتاش رقم 2097 ص 1 - 2 (مخطوط الخزانة الملكية بالرباط) .  
انظر بنفس المصدر نموذجا آخر مما يستعمل من عذراوى الحجازى  
الكبير (ص 57) .

القافية مع التزام قافية النون فى البيتين اللذين يبدأ بهما القسم .  
كذلك يقدم لنا ادريس الادريسي فى كتابه «كشف الغطا عن سسر  
الموسيقى ونثائج الغناء» تقسيما لالوان لكريجة يقول فيه : «فن لكريجة هو  
الفن الشائع فى المغرب والمعمول به فى مدنه وحواضره وهو المعبر عنه ايضا  
بالملاحون وذلك لان جميع الاشعار التى تستعمل فيه ملحونة يعنى الاشعار  
الجارية على ألسنة العامة والخارجة عن البحور الستة عشر وعن الاوزان  
الملحقة بها ، وهذه الاشعار لاتقل عن أربعة فنون هى الزجل والكان كان  
والمواليا والقوما» (1) .

وهو تقسيم غريب وبعيد عن واقع المغرب وحقيقة الفن فيه ، بدليل  
أن المؤلف حاول ان يخص كلا من هذه الفنون بفقرة فلم يجد غير نقل ماقاله  
المشاركة ، دون محاولة للبحث عن نماذج مغربية لهذه الفنون — ان كانت  
موجودة — باستثناء فن الزجل الذى مثل له بيتين للشيخ محمد النجار(2)  
او محاولة للبحث عن شبيهه لهذه الفنون فى المغرب . ولسنا ننكر ان فن  
الزجل موجود فى المغرب ، وهو المعروف بالملاحون ، بل انا نعتبره شاملا  
لكل الاشعار الشعبية ؛ ولسنا ننكر كذلك ان للفنون الاخرى ما يماثلها ،  
فعندنا الموال وكان حتى كان ، وعندنا اناشيد ونداءات ومرددات وألوان  
مختلفة من الاغانى والاشعار ، ولكن هذا لايكفى لحصر انواع الكريجة فى  
تلك الفنون كما لايكفى لجعلها فنونا مغربية خاصة وأنها غير معروفة بهذه  
الاسماء .

والحقيقة أنه يصعب استقصاء كل ألوان الشعر الشعبى فى المغرب ،  
والسبب ان له مواطن مختلفة وأدوات متباينة ، فهناك المدن والقرى  
والبوادي والجبال ، وهناك السهول والريف والاطلس وسوس ، وهناك  
لهجات متباعدة ، الريفية والشلحية والسوسية والعربية مع تباين بين  
البيئات التى تتحدثها سواء فى المدن او خارجها . ولكل لهجة من هذه  
اللهجات شعر شعبى خاص ، ولكل موطن من تلك المواطن أدبه الذى يختلف

(1) صفحة : 108 الطبعة الاولى (مطبعة الرباط) سنة : 1935 .

(2) انظر صفحة : 109 — من المصدر السابق

شكلًا ومحتوى عن أدب المواطن الأخرى \* وعلى الرغم من أننا قصرنا هذا البحث على نوع واحد من الزجل هو القصيدة المنظمة المقننة المعروف منشئها ، فانا نرى - خاصة ونحن بصدد فصل تعريفي - أن نستعرض أهم ألوان الزجل الأخرى الصادرة بلهجة عربية ، لان قصد الى حصر أو استقصاء ولا الى دراسة مفصلة وانما نقصد الى التنبيه اليها وتحديد أهم الملامح المميزة لها .

ولعلنا نستطيع أن نقسم أنواع الزجل المغربي الى شقين : احدهما يعرف منشئه وهو القصيدة التي جعلناها مدار هذا البحث ، والثاني لا يعرف منشئه وقد وقفنا منه على هذه الألوان :

#### اولا : البرولة :

ولعلنا أقرب الانواع الى القصيدة من حيث الميزان ونظام القوافي والابيات ؛ وهي من صنائع (1) الموسيقى الأندلسية يغلب وجودها في ميزان القدام والدرج (2) ، وتعتبر بالنسبة لهذه الموسيقى كالدريدكة بالنسبة للقصيدة (3) . واذا كانت مجهولة المؤلف فليس لانها من انشاء جماهير الشعب كما هو الشأن بالنسبة لالوان الأخرى المجهولة المؤلف وانما لان اسم منشئها ضاع ولم يعن بذكره ، والسبب ان الكلام في الموسيقى الأندلسية يأتي في المرتبة الثانية بعد النغم ، بل لا يقصد منه الا الى حفظ اللحن ، وهذا ما يفسر ظاهرة انشاد القطع قبل عزفها بالآلات (4) . وقد اخترنا نموذجين من البرولة : الاول ينشد في قدام الاستهلال والثاني في الحجاز المشرقي :

- (1) الصنائع ج صنعة وهي القطعة في الموسيقى الأندلسية .
  - (2) ميزان الموسيقى الأندلسية اربعة هي : أ) الميسيط ب) القايم ونصف ج) البطايحي د) القدام . وزاد المغاربة عليها ميزانا خامسا سموه الدرج وهو غير معروف في الموسيقى الأندلسية التي انتقلت لتونس والتي يطلق عليها (المألوف) وغير معروف كذلك في الموسيقى الأندلسية التي انتقلت للجزائر والتي تعرف بالغرناطي .
  - (3) انظر الجزء الثاني من الفصل الثالث من هذا الباب .
  - (4) وهو ما يطلق عليه «لجواب» في الموسيقى الأندلسية .
- (5)

(1) برولة من قدام الاستهلاك

بالعنس طلعت بدر التمام \* يادات المحيا الجميل  
فاق اجمالك طلعت التريا \* والشمس الواسم  
حرمتم اجمالك ياقد لعلام \* يامولات التهليل  
زرنى يازيننت انسميا \* بجمالك حاكما  
اغزالى كان غشاك لمنام \* مازال الليل اطويل  
غدى راحا سمدى اعليا \* مولاتى فاطما  
ربى اعطاك صولى \* بالحسن ياغزالى  
سمعى اغنا اسجولى \* والنوم مازهالى  
لاتنهرى ارسولى \* يا غنس لغوالى  
حضرا انقيم ياريم \* يالحظ الرشأ الناييم  
سالى اسليم مانى اهميم \* بين السرور والنعايم  
فرح لكريم لنا ايديم \* ايعود فرحنا دايم (1)

(2) برولة من الحجاز المشرقى :

غدر كاس الجريال \* زار احببى واعطف وجاد هذا الوقت ازيان  
احى الدبلا ياساقى واسقى جمع الغزلان \* ادى لى كاس امكان  
نشرّب من كف اغزال \* خمرا تضرى فالكاس لونها مثل الشمس اتبان  
واتلوح اعلى خد المليح تشعل كيف العقيان \* وتطرّد كل احزان  
نعت البرنسى الخصال \* عول الهمة والسر ولبها والزيّن الفتان  
اغزالى اللى خدو اشريف نحكيه البلعمان \* او الورد افلفصان  
فى اعيونى سحر احلال \* وانعمينى النوم احرام ما نرمش عمري لجفان  
طول الديجور اثبات كانراعى للفجر ايبان \* غير اموله حيران  
يتبسّم عن الآل \* جوهر منظوم انفيس فى الماء احكىت المرجان  
والمبسّم خاتم من اذهب صنع الله الرحمان \* فيهم حارت لدهان (2)

- 
- (1) كناش 8 صفحة 152 (مجموعة الجراى) .  
(2) مخطوط الخزانة الملكية بالرباط رقم 2097 صفحة 71 ، وانظر كذلك  
كناش رقم 17 صفحة 62 (مجموعة الجراى) .

### ثانيا : العروبي :

ولعله تجويز لرباعي ، وكأنه كان في الاصل ينظم على شكله ، وهو في الواقع لا يتقيد بعدد معين من الابيات ولا يخضع لنظام ثابت للقافية ، كما هو الشأن في العروبي الذي يتخلل القصائد (1) وانما ينطلق في الالسنة قصيرا أو طويلا ، متعدد القوافي أو محدودها ، ولكنه مع هذا يمتاز بخصائص في انشاده أهمها أنه يستهل بـ «آنانانا» ويختم بالولاويل والزغاريذ . وهو بعد هذا غناء خاص بنساء المدن يرددنه في حفلات الترفيه حين يخرجن للحقول والبساتين ، وفي المواسم والاعياد والمناسبات وخاصة موسم «الطيش» الذي يقام في البيوت والمنتزهات طوال ايام عيد الاضحى، حيث تعلق «المطيشة» (2) لتركبها البنات واحدة تلو الاخرى ، وتأخذ المغنية في الانشاد ، وهي في الغالب أم أو جدة أو خالة ، فتستهل بمثل هذا القول :

آنانانا والمحبوب اللي اهويت

يبقى دينا قدامي

وبعد ان تستعرض بعض أوصاف الطائشة ومحاسنها تذكر اسمها

على هذا النحو :

هاذيك هي «افلانة»

لضويها اعليا قلبي واعيانى

والمستعرض للعروبيات — بعد هذا — يجدها تعكس في الغالب وبصدق عاطفة الحب عند المرأة ونظرتها للرجل وتعلقها به ، وكأنها فرصة أتاحتها لنفسها لتعبر عما يخالج قلبها ، بعيدا عن أى حرج ، طالما أنها لاتنشد في غير الحفلات والمناسبات الخاصة بالنساء ؛ ومن نماذج هذه العروبيات :

(1) سنعرض له في الفصل الثالث من هذا الباب لدى الحديث عن بناء القصيدة .

(2) وتسمى في المشرق «المرجيحة» وينطقها أهل الرباط بفتح الميم وكسر الطاء . أما أهل فاس فينطقونها بضم الميم وفتح الطاء على صيغة التصغير .

- (1) اطريق سیدی مخلوف \* واطريق سیدی داود  
اتنزهوا يا لبنات \* والصغر مايتعاود
- (2) اوليد عمی اوليد عمی \* ياوريدا فی کمی  
كان الدی بینتنا \* واش جابو لامی  
اوليد عمی اوليد عمی \* يا وريدا فالكاس  
كان الدی بینتنا \* واش جابو للناس  
اوليد عمی اوليد عمی \* يالله البیرا  
انعلقو المطيشة \* فالليمون بوصرا
- (3) ارميت عینی الدراکم ولاصبت انجیکم  
\* ولیت من وحشکم کیف المطعوما (1)  
لو كان صبت طیر ابحوم من جهتم  
\* وایقول شخبار ولکم وکیفانتما  
وامحبتکم فی قلبی ملموما  
\* وامحبت غیرکم اعلیاً محروما
- (4) الطیر الطیر ابنیت لوشباك احریر  
\* ولا انوبتو ایطیر بعد ما والف  
اخوا قفزی وعمر اقفز الغیر  
\* وارمانی فی لبحور خلانی تالف (2)  
لاصاری لاقلوع لاباش انقاذف
- (5) الطیر الحر شفتک فالدلالا  
واش دوک العینین امکحلین ولا اخلیقت مولانا  
کنت فالما انصیفت لک (3) سبع اطيور عواما  
کنت فالسما انصیفت لک زوج اطيور حواما  
متی بنی اعلیک زلیجا وارخامما  
ابقییت عایش ما ناخذک غیرانا

- (1) المسحورة .  
(2) ضائع هائم .  
(3) أرسل لک .

(6) قدك يسوا اميا

وخدك يسوا ثلث اميا

وادراعك يازينت الوقفا

يسوا آلف

آلف فى غشموا

والف فى عشموم

والف من خادم تكدى فالنار

يامجبوبى ودنى توبا فالشهر

واعطينى كلما من لحديث متمورا (1)

دخلت اعليك ابعينك واحواجبك يالبدرا

دخلت اعليك بالنبى زين اتصورا

يما ياميمتى للا امنيين الزين

يغلب على لعمورا

وقد عنى الاستاذ محمد الفاسى بفن العروبيات فترجم منها الى الفرنسية نحو مائة وخمسين اخرجها بعنوان «الاعنسيات القديمة لنساء فاس» (2) ولكننا نأخذ عليه أنه لم يقدم النص العربى واكتفى بالترجمة ، فكان أن ضيع فرصة التعرف الى هذا الفن فى قالبه ولفظه الاصليين .

### ثالثا : المزوكى (3) :

يكثر انتشاره فى مناطق السهول ، وهو كالعروبى فى البناء لا يختلف عنه الا فى الاداء حيث لا يستهل بـ «آنا-آنا» ، وانما يغنى البيت او الشطر فتجيب المجموعة بـ «يوى» وينتهى مثله بالزغاريده . ويبلغ الشبه بين النوعين أن كلماتهما تختلط الى حد انه لا يفرق بينهما . أما التسمية فيبدو انها من ازكا اى صوت وصاح .

(1) جدية من التمارا بمعنى الجدة .

(2) « Chants anciens des femmes de Fès » Editions Seghers  
Paris 1967.

(3) ستمعناه ينطق كذلك بتاء بدل الميم : اتزوكى .



#### رابعاً : الموال :

وقد سبق أن رأينا (1) أن الموال عند المغاربة - سواء أكان مستقلاً أو تقديماً للقصيدة - غالباً ما يكون بالعربية الفصحى وقلما يكون عامياً .  
والموال المغربي شبيه بالموال المشرقي من حيث الشكل لا يختلف عنه إلا في الأداء واللحن . ومن خصائصه أنه يستهل بـ «آنانانا» كالعروبي ، وهذه بعض نماذجه :

- (1) تـانـحـبـك ونـهـواك \* وفي امسبتك (2) اكرهوني  
ماراحتني حتى نلقاك \* واعليك يتحلو اعيوني
- (2) مصابني (3) طير طيار \* واجوانحي تونسية  
وانطير من ابلاد لبلاد \* وانعود ماساريا

#### خامساً : السلامات :

جمع اسلام ، وهي في الغالب لاتتعدى بيتاً يتضمن التحية والشوق ، تكون أول كلماته «صفطت لك اسلامي» اي أرسلت لك سلامي ، وهي قريبة في أداؤها من العروبي . ومن السلامات :

- (1) صفطت لك اسلامي فالشمأش  
واش (4) احبيبي فالقلب ولاما ابقاش
- (2) صفطت لك اسلامي فالتفاح  
واش احبيبي اهنا ولا راح
- (3) صفطت لك اسلامي فالشموم  
واش احبيبي فارح ولا مهموم

#### سادساً : العيطة :

بمعنى النداء من عيط اذا نادى . وقد تحدث عنها الادريسي في «كشف الغطا» فقال : «والعيطة نوعان : ملالية ومرساوية ، اما الملالية فمكانها بني ملال والجبال المجاورة لها وبعض النواحي من تادلا ، ونغماتها

- (1) انظر المدخل لدى الحديث عن انشاد الزجل .
- (2) سببك .
- (3) ليتني .
- (4) هل .

دائما في غاية العلو والارتفاع شبيهة بصياح النذب والبكاء ، والالفاظ المستعملة فيها في الغالب ممزوجة بكلمات بربرية ، ويتولد منها السوسى ، وهو عبارة عن خفة الميزان وانصراف الدور ، وأما العيطة المرساوية فانها بخلاف ذلك تماما ومكانها بسائر قبائل العرب المتمدنة وهى تفوق الاولى في كثير من المواد والتأثير كما انها اجملها فنا والطفها صناعة . وكثير منها بقبائل الحوز كعبدة ودكالة والرحامنة والشاوية . والمركز الاصلى لها والذى تنشأ فيه وتنظم هو عبدة . ثم من هناك تنتفرق فى القبائل وتذاع ، ويوجد مركز آخر بالشاوية قريب من سطات يسمى قبال وبالوادي الاخضر . . . . وتتشكل العيطة المرساوية الى أنواع تتردد فيها وتنحصر وهى اكباح ويؤخذ منه الثلثى وهو عبارة عن الميزان الحضارى ثم السوسى ثم الحريرى وهو خاص بقبائل الشاوية» (1) .

وقد حاول الادريسي أن يخضع فن العيطة الشعبى بكلماته وألحانه للشعر العرب على حد ماشرح فى حديث كان القاه بالمؤتمر الاول للموسيقى العربية المنعقد بفاس فى سادس مايو 1939 ، حيث قال : «من بضع سنوات وأنا أفكر فى فن العيطة وكيف يمكن لى اصلاحه ، والتقدم به سريعا السى الامام حتى لايبقى محتقرا فى نظر المتمدنين ممقوتا لدى الفضلاء وأرباب المروءة والوقار فوجدت الامر لا يخرج عن مسألة واحدة وهى ابدال الالفاظ المستعملة فى أدوارها بالابيات الشعرية. فى الادب والاخلاق ، اذ كل منا نشاهده من التأخر والتقهقر الواقع بالعيطة وبالمشتغلين بها ليس الا من ناحية تلك الالفاظ الشنيعة والافاويل المملوءة سفها وقبحا» (1) .

ويبدو هذا الرأى مشروحا فى مقال كتبه الاديب العباس الشرفى مشيدا بما قام به الادريسي اذ «اعتبر أن مقام به اصلاح كبير على فن الموسيقى المغربية التى هى الطرب الوحيد الشائع بكثير من جهات القبائل المتراصة الاطراف المعبر عنها فى لسان العامة بالعيطة ، وذلك باجراء ادوارها فى الشعر العربى الفصيح بدلا من الكلام العامى المبثذل المشتغل

(1) كشف الغطا صفحة 117 - 118 .

(2) المصدر السابق - 119 .

فى الغالب على ألفاظ يستحى من ذكرها ومن سماعها لما فيها من السفه والحث عليه • وقد يكون فى المجلس الرجل وولده والرجل وصهره والتلميذ وشيخه مثلا فيصير ذلك الطرب المقصود به التسلية والانشراح فى نظرهم وسيلة من وسائل الكدر والاتراح يجب نبذه والتزهر عن مجلس يحتوى عليه اذا المؤمن لا يقف مواقف التهم • اما الآن بعد أن ادخل عليها مولاى اديس المذكور هذا الاصلاح الكبير الذى تلقاه أرباب الفن بجزيل السرور والابتهاج فقد اصبح فنا أدبيا لا يستحى منه ولا ينهى عنه •••» (1)

ولكن المؤلف لم يورد لنا نماذج من هذه الاشعار التى أخضعها لادوار العيطة ، كما أنه لم يذكر ولو نموذجا واحدا من العيطة فى لهجتها المحلية • فكان أن ضاعت ، خصوصا وأن الاذاعة لم تحتفظ بشيء منها لانها لم تكن قد عرفت التسجيل الصوتى فى ذلك الوقت ، وخصوصا كذلك وان هذه العيطات لم تستمر طويلا على لسان المغنين البدويين الذين لاشك أنهم لم يستسيغوا الشعر العرب فهما واداء • وكان ممكنا تطهير كلمات هذا الفن فى اطار العامية ، فلعل ذلك كان سيخدم العيطة ويطورها ويطهرها من الشوائب • واذا كنا نقول مثل هذا الكلام فليس لاننا ننكر ادخال الفصحى الى العيطة أو الى أى لون آخر من ألوان الغناء الشعبى ، بل لاننا نرى أن الاحتفاظ بفن من الفنون يقتضى الاحتفاظ بأداته ، وأداة العيطة اللغة الشعبىة • ومن الممكن التطوير داخل هذه اللغة أو بالاحرى اختيار النقى منها والقريب الى الافهام فى البيئات المجاورة •

ثم ان عملا مثل هذا يحتاج الى دراسة موسيقية لهذا الفن يتعرف منها الى المقامات والنغمات التى يودى عليها ، ويحتاج بعد ذلك الى تأليف كلمات تناسب هذه المقامات والنغمات • ثم ان تأليف كلمات لغناء شعبى بدوى كالعيطة ينبغى ان يستوحى البيئة التى تطرب لهذا الغناء ، وتتذوقه حتى تنسجم الكلمات مع اللحن وحتى يتجاوب المطرب وجمهوره مع هذا اللحن وتلك الكلمات • أما أن يأتى أحد الى هذا الفن ويحاول اخضاعه للغة لا يستسيغها أداء واستماعا فتلك جناية على الفن لخدمة له •

والعيطة كما سجلنا من أفواه المغنين نوعان : قصيرة وطويلة :  
أما القصيرة فتتكون من بيت واحد يكون في الغالب قصيرا ومتضمنا

أمثالا أو حكما وعظات ، مثال ذلك قولهم :

- 1 - مادا بنا \* كون اتاويننا (1)
- 2 - ياك اخونا \* ابغاك اي فرقونا
- 3 - أنا انتم \* وانت تفهم
- 4 - ابقى فيا لكرين \* اتوسدوه اخريين
- 5 - كملت لك الكليب \* لا تخرج عيب

على ان سهولة نظمها جعلت كثيرا من الناس ينشرونها الى حد خرج  
بها كثير من المتطفلين عن روحها الحكمى الوعظى بل خرج بها بعضهم الى  
السهل والى ما فيه السفه وينكره الذوق السليم ، مثل قولهم :

- 1 - قلبك عامر \* فيه لماسر
- 2 - الروزى (2) لحنين \* تىخلى دين
- 3 - الدرى مزوينو \* شارب البينو (3)

وأما الطويلة فأقرب الى القصيدة من حيث نظام التقفية والتبسيط  
واللازمة ، وان كانت بعيدة عنها فى اللحن والاداء \* ومن نماذجها ماغناه  
المرحوم بوشعيب البيضاوى فى نغنى المغفور له محمد الخامس وعودته  
الى الوطن :

- 1) وامن لقنيطر المكناش \* تم اتحفر الساس
- لعمرين ولغراس \* شبعوا عافيا (4) وقرطاس (اسيدى)
- اياخوتنا لسلام \* هزوا بنا لعلام \* سيرو بنا الكدام
- دابا مول الحق ايمان (5)

---

(1) معنى البيت : ليتنا كنا نتفق \*  
(2) النبيذ الاحمر والكلمة من الدخيل \*  
(3) الدرى بمعنى الصبي أو الشاب ، مزوينو أى ما اجمله ، أما البينو  
فالحمر ، والكلمة من الدخيل الاجنبى \*  
(4) العافية بمعنى النار \*  
(5) سوف يظهر صاحب الحق \* وهذا البيت هو لازمة العيطة

وجدنا والريف \* كل شئ اطريف \* ابن يوسف يرجع بالسيف  
سیدی سیدی تم اتصاب هو والدراری  
أیا خوتنا لسلام ...

الملك امشى وارجع \* العديان اقبضهم لوجع  
لقلوب ابدات اتشفع \* لكلاوى والمقرى لقرع  
(ياسیدی)  
أیا خوتنا لسلام ...

ارجع احببى للرباط \* والناس اتحيه ابلغوات 1  
حيو الملك الشجيع \* هو والامرا اجميع  
أیا خوتنا لسلام ...

الله ينصر السلطان \* اولدو مولای الحسن  
ويزين لوطيان \* دابا مول الحق ابيان  
أیا خوتنا لسلام ...

(2) انا زینى یازینى زینى فالحاما  
سیدی مولای السلطان  
نرسل لیه احماما  
أیا خوتنا لسلام ...

رحموا الشهداء اللى امشوا \* عبد الله والزرقطونى اقضاوا  
والفدائيين اللى ابقوا \* فيهم هما الرجالا اللى اسواوا  
أیا خوتنا لسلام ...

أیا خوتنا لمسلمين \* عينوا الفدائيين  
ولو ابلكلام الزين \* ينصرهم رب العالمين  
أيانا يانا اوين اوين اوين كلا (2) يلغى بلغاه

أیا خوتنا لسلام ...

والله مؤنتحسر ولا نرد القلبى  
خلى لهموم اتصرف

---

(1) ابلغوات اى بصوت مرتفع .  
(2) كل واحد .

دابا يفرج ربي

أياخوتنا لسلام

أيانا يانا أوين أوين أوين كلا يلغى بلغاه

يشهد المغنى البيتين ثم تردد المجموعة اللازمة ، ويستمر كذلك مرتين أو ثلاث مرات أو أكثر تشد المجموعة بعدها اللازمة مع عزف موسيقى قوى وحاد - أو كمباحي كما يقال - وينتهي بذلك جزء من العيطة ليبدأ جزء آخر على نفس الأسلوب والنظام . ويلاحظ انه يشد (1) البيتين فى البداية أو فى النهاية أو فيهما معا بكلمة يقبض (2) بها النغم (سيدى) أما فى نهاية العيطة أى فى الجزء الأخير فالغناء كله كمباحي وسريع مع ترديد كلمات القبض (أنا يانا ٠٠٠) وأما العزف فيبدأ بجرات للكمان تعقبها موسيقى سريعة تعتمد التعريجة والطارة والهندقة ثم يبدأ الغناء .

### سابعاً : الطقطوقة (3) :

وهى نوع من الغناء الخاص بالجبيل فى شمال المغرب ، ولكنها اخذت تنتشر حتى فى المدن وتجد عليها كثيراً من الاقبال . وهى عبارة عن مقطوعة تتكون من عدة مقاطع يتركب كل منها من بيتين بقافية واحدة ، والغالب ان تختلف المقاطع فيما بينها تقفية ومعنى . أما الانشاد فيبدأه المغنى ثم تنلوه المجموعة تردد المقطع بعده ، على انه تضاف عند الغناء فى نهاية الشطر الاول من كل بيت عبارة «يالولاد» أو «ياسيدى» حتى يشد الميزان ، كما أنه يفصل بين المقاطع بعبارة كهذه «أيانمولات الدلال» يقصد بها المغنى الى أن يسوى الميزان أو «بخاويه» على حد تعبيرهم .

1 - 2) سبق فى المدخل ان تعرضنا للشد والقبض فى الانشاد  
(٣) تجدر الإشارة الى أن الطقطوقة نوع من الاغانى الشعبية المعروفة فى مصر . وقد قامت السيدة بهيجة صدقى رشيد بتدوين كلماتها وأنغامها فى مجموعة بعنوان : (الطقاطيق الشعبية) وقالت عنها فى المقدمة (أن أصلها قطقوطة وهو ما يطلق على الشئ الصغير وانها نوع من الاغانى الخفيفة بسيطة فى تركيبها الموسيقى انتشرت فى الربع الاول من القرن العشرين) (ج 1 نشر اللجنة الموسيقية العليا - سلسلة تراثنا الموسيقى) .

وقد اخترنا من الطَّفْطوقة هذا النموذج :

تسم الله ابدينا (يالولاد)

وعلى النبي صلينا

سيدنا محمد (يالولاد)

هو الشافع فينا

(أيا مولات الدلال)

يالقايل قل الله (يالولاد)

به عمر اوقاتك

ما توجد غير الله (ياسيدي)

عند موتك واحياتك

(أيا مولات الدلال)

أيا نجوم القبلا (يالولاد)

هاذي مورا هاذي

ارفعت عيني لله (ياسيدي)

يوفي لي مرادي

(أيا مولات الدلال)

أيا جيل زرهون (يالولاد)

فيه لحجر فيه الديس

الله ايقوى حرمو (ياسيدي)

سيدنا مولاي ادريس

(أيامولات الدلال)

جاني النوم وتكيت (يالولاد)

فالظل دا لمسكيا

دوك لعيون الكوخل (ياسيدي)

حرقوا التوب اعليا

(أيامولات الدلال)

أيابنات العدو (يالولاد)

لعدو دابر بكم  
سیدی علال الحاج  
هو احجاب اعليكم  
(أيامولات الدلال)

#### ثامنا : أعيوع :

وأصله الجبل عند بنى عروس وبنى امسور وجبل حبيب ، ولكنه انتقل الى مدن الشمال . وهو أقرب الانواع الى الطقطوقة بل هو مثلها من حيث أنه مجموعة مقاطع تتكون من بيتين بقافية واحدة قد يكون بينها رابط وقد لا يكون ، والغالب أنه لا يكون وخاصة في الموضوع ، بل انه قد يفتقد أحيانا حتى داخل المقطع الواحد حيث يكون الشطر الاول او البيت الاول كله بعيدا في كلماته عن موضوع بقية المقطع ، ولكن الامر عندهم لا يهم طالما أن الوزن يستقيم والقافية تتحد .

ولاعيوع مناسبات ينشد فيها ، هي :

- (1) الصيف ، ويقصد به فصل الحصاد حيث يخرج الرجال والنساء والاطفال للحقول يحصدون ويعيعون (1)
- (2) الزيار ، أي موسم زيارة الاولياء وخاصة مولاي عبد السلام .
- (3) مناسبات الافراح كالاعراس .

اما انشاده فقد يكون فرديا او ثنائيا او جماعيا ، ولكنه حتى حين لا يكون جماعيا فان المجموعة تردد ؛ وفي كل الاحوال تلتزم اثر البيت او المقطع كلمة «آياه» ومن الامثلة على أعيوع :

- (1) اجديدا السبينا (2) \* اجديدا وماشي انبيعا (3)
- ماتسالوشي اعلى الزين \* سالوا على الطبيعا
- (2) زوج دا المسمرات اجيدود \* فالحيط مارا موشي
- وخا (4) ايجيوني عشرى \* ابحالك (5) مايكونوشي

- 
- (1) يغنون أعيوع . (2) المتدبل
  - (3) أصلها نبييها ولكنهم يحدفون الضمير .
  - (4) ولو . (5) مئلك .



- (3) التففحات دا الحمر \* بين لحزام لايبانو (1)
- ذوك لعيون الكوحل \* هما اديالو كانو (2)
- (4) رانى افراس النخلا \* ريح لهوا يدينى
- عيطت يا محمد \* من دالعباد نجينى
- رانى افراس النخلا \* ريح لهوا يدينى
- عينى اعلى كل اطريق \* آش من اخبر ايجينى
- (5) يالله امعايا يالله \* يالله امعايا نلحوز (3)
- الظل والمبا يجرى \* والنزاهما تحت الجوز
- (6) صلوا على محمد \* صلوا على نبينا
- سيدنا محمد \* هو احباب اعلينا
- (7) يايلى احيبى العالى \* عالى اوفيه انزاهما
- ياد العم ياخوتى \* غالا (4) انساعف واهما
- سيدى مولاي عبد السلام \* عالى اوفيه انزاهما
- الجلسا امع لحباب \* عمرى مائنساهما

#### تاسعا : الدقة :

وهي خاصة بمدينة مراکش وتعرف بالدقة المراكشية ، والواقع انها من حيث الشكل والكلمات لا تختلف عن الطقطوقة او أعيوع ، ولكنها تختلف عنهما في طريقة الاداء حيث يسبق الانشاد ويعقبه «التكفاف» . اى الضرب بالاكف ، ومن هنا جاءت تسميتها بالدقة . ومن الدقة هذه الاغنية التي تؤديها احدى فرق مراکش :

آش اداك (5) تمشى للزين

- (1) نهود البنات الحمر اما اضافة لا «فى لايبانو» فتفيد عندهم الحال والاستمرار .
- (2) اديالو بمعنى له .
- (3) يستعملون النون بدل لا م الجر .
- (4) تضاف غالا للمضارع فيفيد الحال والاستمرار وهي عندهم ك : «لا» السالفة الذكر فى «لايبانو» .
- (5) حملك وأخذك .

وانتيا راجل مسكين  
والزمان يغلبك فالحين  
ماسمعتنى آش ادانى

كان فالاول حب ازوين  
يجمع ما بين القلبين  
واصبح العاشق مسكين  
فالآخر اصبح نصرانى

درتها (1) بيديا واعلاش (2) مانخم (3)

كون ماجابونى رجلى ما نجى ليه  
اللى دارها بيديه ايفكها ابسنه  
درتها بيديا واعلاش مانخم

عينى تبكى  
دمعى يحكى  
لما حبو ادمى قلبى  
ادمى قلبى

تمضى ليام  
وايمر العام  
جسمى فنيان  
ياناس دا حرام

ولما العين شافت فالعين  
قلت لو يازين أنا مسكين  
قال لى صافى  
صافى صافى

عاشرا : غيوان بن يازغة :

اي غناء بن يازغة ، وهو منتشر فى مدينة صفرو ومنطقة البهاليل

- (1) عملتها  
(2) اعلاش بمعنى لماذا وأصلها على اى شىء \*  
(3) خم بمعنى فكر \*

ويازغة والمنزل • ومن اشهر مقطوعاته «فاطما وردا معروفًا» وهى تتكون من ثلاثة اشطار بقافية واحدة ثم شطر رابع بقافية مختلفة :

فاطما وردا معروفًا

هى السلسلا دالشرفا

ماصلحت لى نخطفا (1)

وانعبي لبنات فحوص (2)

ومنها هذه المقطوعة مكونة من أربعة أشطار بقافية واحدة ثم شطر خامس بقافية مغايرة :

خرجوا يالشبايا

لبلاد شدت الحريا

وازهو قبضت الصينيا

اتكب غير لك اوليا

كل واحد ايشد كاسو

وقد تكون المقطوعة من ثلاثة اشطار فقط يتفق الاولان فى القافية ويختلف عنهما الثالث كقولهم :

كانخمم والقيت الراس كاع (3) خاوى

كانموت وسلطان الزين كايداوى

او ما الطبا (4) والو ماعرفوا اشيبيا

ومثلها قولهم :

كانخمم والقيت الراس فيه لفوات (5)

اشحال من كيا فيها اديال حب لبنات

مايداويها حد ابلا اطبيب تدوا

هذه ألوان من الزجل لم نقصد من ذكرها الا الى اظهار مدى انتشاره

- (1) أصلها نخطفها ولكنهم يحذفون الضمير •
- (2) انعبي بمعنى ناخذ وفحوص من حوص اى خطف وسرق •
- (3) كله •
- (4) الاطباء •
- (5) لفوات بمعنى الزائد أى أنه غير طبيعى •

وتكيفه مع مختلف البيئات لغة ونغما وأداء ، وهو انتشار لو شئنا تحديد مداه لاضطررنا الى تتبع كل المرددات والأغنيات . واذا كنا قد قسمنا الزجل الى نوع يعرف منشئه ، وهو القصيدة التي جعلناها مدار هذا البحث وآخر لايعرف منشئه ويمثل بقية اللسان ، فان هناك نوعا آخر من الزجل خاصا في شكله وموضوعه يعرف منشئه ولكنه بعيد عن القصيدة وعن كل الانواع الاخرى ولايغنى به ، وهو «الحكمة» ويتكون من بيتين غالبا مايكونان مصرعين ومتضمنين لحكمة او اكثر . وقد اشتهر بنظمه الشيخ عبد الرحمن المجدوب (1) الى حد اصبح ينسب له كل مايردد من حكم بين الناس حتى ولو لم تكن له . ومن الامثلة على حكمه :

- (1) سافر تعرف الناس \* واكبير القوم طيعو
- اكبير الكرش والراس \* ابنص فلس بيعو
- (2) ولد ابنادم لا تربيه \* بعد ما تربيه نادم

(1) توفي سنة ست وسبعين وتسعمائة للهجرة ودفن بمكناس . انظر في ترجمته وحكمه :

أ - مناقب محمد بن احمد الحضيكي ج 2 من صفحة 190 حتى 197 (الطبعة الاولى)

ب - مرآة المحاسن من أخبار الشيخ ابي المحاسن لابي حامد محمد العربي بن ابي المحاسن الفاسي صفحة 11 - 13 - 18 - 19 - 20 43 - 189 - 190 (الطبعة الحجرية)

ج - كتاب ممتع الاسماع في ذكر الجزولي والتباع ومالهما من الاتباع من صفحة 101 حتى 107 (ط حجرية) .

د - ابتهاج القلوب بخبر الشيخ ابي المحاسن وشيخه المجدوب لعبد الرحمن الفاسي حيث خصص لترجمته الباب الاول (الباب الاول في التعريف بالشيخ المجدوب رضي الله عنه) ويستمر من صفحة 14 الى 65 (مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 326 ك) وتوجد من الابتهاج نسخة اخرى بنفس الخزانة مسجلة تحت رقم ك 2302 ويبدو أنها متأخرة عن الاولى .

هـ - القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمن المجدوب \* تصنيف نور الدين عبد القادر المطبعة الثعالبية بالجزائر .

و - Les gnomes du Medjdoub - H. Decastries Paris 896

ز - Les quatrains de Medjdoub - : le sarcastique, Poète maghrébin du XVI<sup>e</sup> siècle par J. Scelles-millie et B. Khelifa G. P. Maisonneuve et Larose - Paris 1966.

- ياسايلنى اعلى الغول \* الغول هو ابنادام  
 (3) المال يا المال \* اليه لبنات مالوا  
 اللى ما عندوشى المال \* مايعمل حتى كلبى ابخالو  
 (4) احفر السرك ودكو \* فالارض سبعين قاما (1)  
 خلى لخلايق ايشكوا \* الى يوم القياما  
 (5) من لا يطعمك عند جوعك \* ولا يحضر لك فى امسايب  
 لاتحسبوا من افزوعك \* قد (2) حاضر قد غايب  
 (6) الغرب امريض \* وابوذنى اسمعت انذيرو  
 والله ما يتمنوا لمغاربا \*  
 غير اللى كان شميرير اعلى شمريرو (3)  
 (7) ياسيلنى اعلى قرن الثالث عشر  
 اكحل مافيه مارا \*  
 الكسوا اكسوت لمسلمين \* ولقلوب اقلوب النصارا  
 (8) يااذ الزمان يالفدار \* ياكاسرنى امن اذراعى  
 طيحت من كان سلطان \* وركبت من كان راعى  
 (9) اقبط الاجر اقبل الدوا \* واترك اعليك احديث اللى هاوى  
 لمريض اذا ابيرا \* ينسى خير لمداوى  
 (10) البس قدك والعب امع نذك \* واشرب او كل ماتريدو  
 وماتخالط غير اللى يعرف \* قيمة اباك وجودو  
 كذلك اشتهر بالنظم فى هذه الحكم الشيخ محمد الشرقى (4) \* ومن  
 اقواله :

- (1) القامة من مقاييس الطول \* (2) قد بمعنى سواء \*  
 (3) الشميرير القبة وهى كناية عن النصارى والكفار \*  
 (4) توفى سنة عشر وألف ودفن بجعيدان من بلاد تادلة \* انظر فى  
 ترجمته وحكمه :  
 أ - كتاب صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادى عشر لمحمد  
 ابن الصغير الافرانى صفحة 25 - 26 - 27 (ط حجرية) \*  
 ب - مناقب الحضيكي - الجزء الثانى صفحة 91 - 92 - 93  
 = (الطبعة الاولى) \*

- (1) احفظ العلم واقراءه \* الجهل ظلما اعظيما
- من لا يقرأ ما يلو جاء \* في ادنيتهو كالبهيما
- (2) حب الناس ريح افريح \* من ريحهم اسقيت لمراير
- واللى ايكيل امن الريح \* ماتمتللو اغراير
- (3) خلطت الناس تفسد الدين \* ياصاحبى رد بالك (1)
- وايفرقوا بين لثنين \* وايضيعوا راس مالك
- (4) لابد من يوم معلوم \* ترتد فيه لمظالم
- أفرحت من كان مظلوم \* أويل من كان ظالم
- (5) اطلع الفجر وعلا \* يالغابطين فالنعاسى
- انبات نسجد ونركع \* اياك (2) تنجا ابراسى

ج - مرآة المحاسن صفحة 266 (ط حجرية) •

د - نشر المثنائى لمحمد بن الطيب القادري الجزء الاول صفحة 47 - 48  
(الطبعة الحجرية) •

هـ - ممتع الاسماع من صفحة : 110 الى 115 •

و - كناش مخطوط بخزانة الرباط العامة رقم ك 3027

(1) خذ بالك وانتبه •

(2) علنى أنجو •

## الفصل الثاني

# اللغة و الفنية

## مراحل التعريب

لا يخفى أن الفتح الاسلامي كان يستهدف أمرين : نشر الدين من جهة ، ونشر العربية أدواته ولغة القرآن من جهة ثانية . وكان طبعيا - واللغة تسائر الفتح وتواكبه - أن تستقبل بسهولة ويسر حيث يستقبل بسهولة ويسر ، وأن ترفض بقوة وعنف حيث يرفض بقوة وعنف .

لذلك تعرضت حركة التعريب في المغرب لمختلف الهزات والانتكاسات التي تعرض لها نشر الدين (1) ، بل أكثر من ذلك نستطيع أن نقول انها سارت أبطأ منه ، خلافا لطبيعة الامور وما كان ينبغي أن يكون ، لسبب بسيط هو أن فاتح المغرب لهذا العهد الاول كانوا في أغلبهم جنودا «يدخلون اليه غزاة مجاهدين على ظهور خيولهم فيفضون الوطر من فتح الاقطار والامصار ثم ينقلب جمهورهم الى وطنهم ومقرهم من جزيرة العرب» (2) .

لهذا كان ينص على عدد رجال العلم الذين يصاحبون جيوش الفتح حين يوجئون على حد ما يروى من أن موسى بن نصير ترك في البربر ،

- (1) لم يكن أمر الفتح الاسلامي يسيرا في المغرب كما قد يظن ، ففي الوقت الذي استطاع المسلمون أن يقيموا خلال بضع سنوات دولة واسعة الرقعة في المشرق ، فانهم ظلوا زهاء قرن من الزمان يحاولون تثبيت دعائم الدين في بلاد الشمال الافريقي والمغرب خاصة . ويكفي للدلالة على ذلك أن نعرف أن البربر ارتدوا اثنى عشرة مرة على حد قول ابي زيد القيرواني ، وأن اسلامهم لم يستقر الا بعد فتح الاندلس (انظر تاريخ ابن خلدون ج 6 ص 110) ، وأن نعرف أن الحملتين اللتين وجهتا لفتح المغرب أو بالأحرى لمواجهة تفشى المذهب الخارجي فيه سنة 122 - 123 لقيتا فشلا ذريعا حيث هزمت الاولى في معركة طنجة وقضى على الثانية عند وادي سبو وكانت بقيادة كلثوم .
- (2) الاستقصا ج 1 ص 165 طبعة القاهرة .



«سبعة عشر رجلا من العرب يعلمونهم القرآن والاسلام» (1) ؛ وعلى حد ما يروى كذلك من ان عمر بن عبد العزيز بعث مع اسماعيل بن أبي المهاجر «عشرة من التابعين أهل علم وفضل ومنهم عبد الرحمن بن نافع وسعيد بن موسى التجيبي» (2) .

ويذكر أبو عبد الله المالكي في «رياض النفوس» أسماء تسعة من هؤلاء الفقهاء العشرة هم :

- أبو الجهم عبد الرحمن بن نافع (3) .
- أبو مسعود سعد بن مسعود التجيبي (4) .
- أبو عبد الرحمن الحيلي (5) .
- اسماعيل بن عبيد الانصاري المعروف بتاجر الله (6) .
- موهب بن حى المعافري (7) .
- حيان بن أبي جبلة القرشي (8) .
- أبوتامة بكر بن سودة الجذامي (9) .
- أبو سعيد جعثل بن عاهان بن عمير (10) .
- اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر (11) .

وأغلب الظن أن ما يقال من أن حسان بن النعمان «دون الدواوين» (12) ونشر العربية وجعلها لغة البلاد الرسمية لا يخلو من مبالغة ، وأغلب الظن أن ما يقال كذلك من ان خطبة طارق بن زياد دليل على انتشار اللغة العربية بين البربر لا يخلو بدوره من مبالغة .

وربما كان تسرب المذهب الخارجي الى المغرب في هذه الفترة (13)

- (1) البيان المغرب ج 1 ص 37 طبعة لبنان .
- (2) المصدر السابق ص 45 - 46 .
- (3) ص : 72 4 ص : 66 - 67 (5) ص : 64
- (6) ص : 69 - 72 (7) ص : 73 (8) ص : 73
- (9) ص : 74 (10) ص : 75 (11) ص : 75 .
- (12) البيان المغرب ص : 29 .

(13) ما كادت حركة الفتح تبدأ في المغرب حتى بدأت فئات الخوارج المنهزمة في المشرق تفد عليه وخاصة منها الاباضية والصفيرية تحاول الترويج لمذهبها الذي وافق طبيعة البربر الاستقلالية وميلهم الى رفض كل سيادة تفرض عليهم سواء كانت عنصرية أو دينية .

عاملا من أهم عوامل تأخر حركة التعريب عن أن تساير نشر الاسلام ، والسبب أن أمر الدين والمذهب غلب الخوارج وسيطر عليهم ولم يدع لهم مجالا لنشر اللغة ، فقد أغفلوا امرها ولم يكونوا ينظرون اليها سوى أنها لغة الكتاب المقدس ولغة العلم لاحاجة تدعو اليها في الحياة العامة . ولعل هذا ما يفسر لنا سر بقاء كثير من المناطق التي انتشر فيها المذهب الخارجي على لهجتها البربرية لم تحاول ابدالها بلغة الدين الجديد .

وربما كان من الادلة على ان اللغة كانت لاتزال تتعثر أن العملة التي ضربت في نهاية القرن الاول للهجرة والتي كان بعضها يحمل اسم موسى ابن نصير ، كانت مكتوبة باللاتينية ، على الرغم من أنها متأخرة عن حركة الاصلاح النقدي التي قام بها عبد الملك في المشرق (1) ، بل انه توجد سبع رسائل بعثت من رومة الى رجال الدين المسيحي في الاقاليم الافريقية مؤرخة في منتصف القرن العاشر الميلادي ومكتوبة باللاتينية ، مما يدل على أن الذين تلقوا تلك الرسائل كانوا يعرفون هذه اللغة (2) .

ومهما يكن ، فقد استطاع المغرب على عهد الادارسة ان يعيش في ظل نوع من الاستقرار ساعد على توطيد الاسلام ونشر اللغة في مناطق غير قليلة ؛ ونستطيع أن نعزو توسع حركة التعريب في هذا العهد الى خمسة عوامل :

1 - حالة الاستقرار التي سادت مناطق نفوذ الادارسة ، خاصة وأن مؤسس دولتهم لم يدخل المغرب غازيا وانما دخله لاجئا ، وخاصة كذلك ان البربر سعوا اليه وولوه امرهم وباعوه عن رضى وطواعية .

## 2 - عروبة الادارسة .

3 - انشاء جامع القرويين الذي كان له دور كبير في النهوض باللغة العربية والفكر الاسلامي في المغرب . وربما كان ذلك الدور ضعيفا في هذه

---

(1) انظر مقالا حول تعريب الشمال الافريقي لوليام مارسى W. Marçais « Annales de l'institut d'études orientales ». Faculté des lettres de l'université d'Alger T 4 1938 P. 8

(2) المصدر السابق ، ومن أهم ماتفيده هذه الرسائل انه كان يوجد سنة 1050 م خمسة قساوسة وأنه لم يبق منهم سنة 1076 الا ثلاثة .

الفترة ولم يقو الا فى الفترات التالية ، ومع ذلك لانريد ان ننكره حتى فى مراحلہ الاولى ، خاصة ونحن نعرف أن المساجد جميعها وفى كل البلاد الاسلاميه كانت تعتبر مدارس علم الى جانب انها مراكز عبادة • لذلك لا ينبغي - ونحن نشير الى هذا العامل - أن تغفل اثر الجوامع الأخرى ، وخاصة فى سبينة التى حلت لتحمل مشعل الثقافة فترة غير قصيرة •

4 - «سروج القرويين» حتى زعمت ههنا الى المشرق والقيروان والاندلس وعودتهم الى بلادهم وقد صقلت الستهم وزودوا بأفكار وعلم جديدة لم يكن لهم بها عهد من قبل ، نذكر منهم :

أ - دريس بن اسماعيل القفاسى ، رحل الى المشرق والقيروان والاندلس ، دارسا ومدرسا ، وعاد الى فاس حيث توفي سنة 357 •

ب - أباجيدة بن احمد اليزنسى القفاسى ، رحل الى المشرق وكان عالما بالفقه المالكي والشافعى ، وهو صاحب كتاب «الفتوى» الذى الف فى الوثائق على المذهب الشافعى توفي بفاس سنة 365 •

ج - عبد الرحيم بن احمد الكتامى السبتي المعروف بابن العجوز ، رحل الى الاندلس والقيروان ، وكان من فقهاء المالكية ، توفي سنة 413 •

5 - كثرة الوفود القروية التى قصدت فاسا فى هذا العهد ، قادمة اليها من الاندلس ، والقيروان • أما القيروانيون «وكانوا ثلاثمائة أهل بيت» (1) فقد وفدوا حوالى سنة 189 وأقاموا فى العدو اليسرى ، وعمروها حتى عرفت بعدوة القرويين • وأما الاندلسيون «وكانوا جماعا غفيرا يقال أربعة آلاف أهل بيت» (2) فنزلوا بالعدوة اليمنى وعمروها حتى أصبحت تسمى عدوة الاندلس ، وكانوا قد هاجروا من بلادهم على اثر ثورة الربض التى قامت على عهد الحكم بن هشام سنة 206 • ويعرض ابن ابى زرع أسماء بعض القبائل والأشخاص الوافدين فيقول:

(1) الاستقصا ج 1 ص 73 •

(2) المصدر السابق •

«وفى سنة تسع وثمانين ومائة وفدت على ادريس رضى الله عنه وفود العرب من بلاد افريقية وبلاد الاندلس فى نحو الخمسمائة فارس من القيسية والازد ومدحج وبنى يحصب والصف وغيرهم ، فسر ادريس بوفادتهم وأجزل صلاتهم وقربهم ورفع منازلهم وجعلهم بطانته دون البربر فاعتز بهم لأنه كان فريدا بين البربر ليس معه عربى فاستوزر عمير بن مصعب الأزدي وكان من فرسان العرب وساداتها ولأبيه مصعب مآثر عظيمة بأفريقية والاندلس ومشاهد شئ غزو الروم كثيرة ، واستقضى منهم عامر بن محمد ابن سعيد القيسى من قيس عيلان وكان رجلا صالحا ورعا فقيها سمع من مائذ وسفيان الثوري وروى عنهما كثيرا ثم خرج الى الاندلس برسم الجهاد ثم جاز الى العدو فوفد بها على ادريس فيمن وفد عليه من العرب ؛ ولم تزل الوفود تقدم عليه من العرب والبربر من جميع الآفاق فكثر الناس وضائق بهم مدينة ويلي» (1) .

ولعلنا نستطيع أن نضيف الى هذه العوامل اربعة عوامل أخرى لاشك أنها ساعدت على التعريب :

1 - قرب اللهجة البربرية - وقد تأثرت بالفينيقية - من اللغة العربية .

2 - عدم مقاومة اللهجة البربرية للغة العربية الا فى المناطق الداخلية النائية ؛ اما فى المدن والسواحل والمراكز الهامة فقد كان السكان لا يرون بأسا فى تعلم اللغة الجديدة طالما انها لغة الفاتحين ، فقد القوا اتخاذ لغة الفاتح ومزجها بلغتهم ، اذ ليس من شأن هذه الطبقة من السكان - وهى طبقة لها مصالح - ان تقاوم ، بل انها تهادن وتداهن وتملق لتبلغ اغراضها وتحقق مصالحها . ومن هنا كانت هذه الطبقة اسرع من غيرها الى تعلم اللغة العربية .

ولعل مما يعطى اهمية لهذا العامل ان اللغة لا توجد فى الواقع

---

(1) «الانيس المطرب القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس» لابی عبد الله محمد بن عبد الحليم المعروف بابن ابى زرع : مطبوع على الحجر بفاس دون تاريخ . صفحة (14) .

ولا تمارس ولا تنطلق الا في المدن والمراكز المتجمعة حيث يتحرك الناس ويتحدثون ، على عكس البوادي حيث يغلب الصمت على الفلاحين الذين يقضون الساعات الطويلة في الحقول متباعدين ساكتين .

3 - تقدير المقاربة المسلمين للقرآن الكريم واعجابهم بلغته واعجازه .

4 - تهجير اقوام من المقاربة في شكل سبي الى المشرق وعودة بعضهم الى المغرب وقد تعلموا اللغة العربية فقد « قال الليث بن سعد : لما قدم موسى بن نصير الى افرنجية قبل فتحه الاندلس ومعه جماعة من الناس اخرج ابنا له يسمى عبد الله الى بعض نواحيها فأتاه بمائة ألف رأس ثم وجه ابنا له آخر يسمى مروان الى ناحية اخرى فأتاه بمائة ألف رأس ، ثم توجه بنفسه الى ناحية اخرى فأتى بمائة ألف رأس ، فبلغ الخمس يومئذ ستين ألف رأس . قال الليث فلم يسمع بمثل سبايا موسى بن نصير في الاسلام . قال أبوشيبة الصدفى : قدم مروان بن موسى بن نصير من السوس الاقصى وهو يجر الدنيا جرا بالسبي ، فلما قدم رسوله على موسى خرج معه وجوه الناس تتلقاه فلما التقيا قال مروان بن موسى : مروا لكل من يلقاني مع أبي بوصيفة وصيفة ، فلما أمر بذلك سمع موسى للناس ضوضاء وصياحا ورأى لهم حركة فقال : ما هذا ؟ قالوا : مروان ابنك امر للناس بوصيفة وصيفة ، قال موسى : مروا لهم من عندي بوصيف وصيف . فانصرف الناس كلهم ومع كل واحد منهم وصيف ووصيفة » (1) .

وليس من شك في ان المغرب - لهذه العوامل مجتمعة وخاصة قدوم الاندلسيين في هجرة منظمة تضم كثيرا من الفقهاء ورجال العلم - قطع مرحلة في التعريب لا يستهان بها ، كان من المنتظر أن تعقبها مراحل اخرى لولا انه تعرض في أواخر أيام الادارسة وبعدها لاضطراب شديد ظل يعانيه حتى عهد المرابطين .

(1) ضمیمة في بحث الدكتور محمود مكى :

Egipto y la historiographia arabico - espanola

صفحة 224 (مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمديرية - العدد الخامس سنة 1957 عدد خاص بمناسبة مرور خمس سنوات على انشاء الصحيفة) .

وكان محتما ان يتأثر سير التعريب بهذا الاضطراب ، خاصة وأنه كانت لاتزال للبربر قوة ومنعة ومراكز لم تخضع بعد للإسلام . ومن غريب الامر أن تكون العوامل التي ساعدت - وكان من الممكن أن تساعد أكثر - على نشر اللغة العربية هي نفسها العوامل التي خلقت هذا الاضطراب وأضرمت ناره . فقد بدأ العرب - بعد أن عزوا وكثر عددهم - يستبدون بالامور ، ويوزعون بينهم المناصب واخذتهم النخوة العربية والعصبية القبلية فكان أن شق المغاربة لهم عصا الطاعة ، وكان أن دخلت البلاد في عهود مظلمة من الفوضى نتج عنها أن تاخر أمر اللغة وأمر الدين كذلك .

وبعد قرون من الاضطراب والخمول ، أتيح للمغرب أن يعرف على عهد المرابطين حياة مستقرة لم تلبث أن خلقت نهضة شاملة اثرت في مختلف مجالات الحياة وخاصة في مجالى اللغة العربية والثقافة الاسلامية . وأظننا نستطيع أن نعزو هذه النهضة التي شملت التعريب الى عوامل أهمها :

1 - **قوة الدولة** في مجالات الدين والسياسة والاقتصاد ومانتج عن هذه القوة من استقرار بعث الطمأنينة في نفوس المغاربة وثبت العقيدة في قلوبهم وأتاح لهم فرص التعلم والدرس .

2 - **الوحدة مع الاندلس** وما حملت الى المغرب من روافد في جميع ميادين العلم والحياة فتحت للمغرب آفاقاً حضارية وثقافية ، فقد اقبلت وفود العلماء والفقهاء والادباء من الاندلس الى المغرب في تدفق لم يكن له مثيل ، ووفد على ابن تاشفين «من كل علم فحوله حتى أشبهت حضرته حضرة بنى العباس في صدر دولتهم واجتمع له ... من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الاعصار» (1) . وكذلك فعل ابنه على ، فلم «يزل ... من أول امارته يستدعى أعيان الكتاب من جزيرة الاندلس وصرف عنايته الى ذلك حتى اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك» (2) .

3 - **انشاء المدارس والرباطات** في مختلف المراكز بقصد تثبيت الوعي

---

(1) المعجب لعين الواحد المراكشى تحقيق العلمى والعريان (ط القاهرة) صفحة 163 - 164 .

(2) المصدر السابق صفحة : 173 .

الدينى والاصلاح الاجتماعى ، وبقصد نشر التعليم وتعميم الثقافة .  
وأهم هذه المعاهد كلها جامعة ابن يوسف التى أسسها على بن يوسف بن  
تاشفين فى مدينة مراکش .

4 — **عناية المرابطين بالثقافة** ، فقد كانوا شغوفين بالعلم محبين لرجالهم فى  
كثير من الصدى والتفانى والاخلاص . ولاعجب فالدولة قامت على  
اساس من العلم والاصلاح . واذا كان يوسف بن تاشفين قليل المعرفة باللغة  
والثقافة العربيتين ، فانه كان — باجماع المؤرخين — محبا للعلم مقربا لاهله،  
ونقول قليل المعرفة ولانقول جنحلا — كما يحلو لبعض الباحثين ان يصفوه  
— لانه لاشك نال من هذه المعرفة قسطة ابان دعوة ابن ياسين ومرابطته معه  
ومع ذلك فالباحث فى كتب الطبقات سواء منها الاندلسية او المغربية  
لايلبث ان يكشف النقاب عن أسماء كثير من أمراء الدولة وكبرائها الذين  
كانت لهم عناية خاصة بالعلم امثال :

زاوى بن مناذ بن عطية الله بن منصور الصنهاجى المشهور بابن  
تقسوط (1) .

خلوف بن خلف الله الصنهاجى (2) .

- عمر بن امام بن المعتز الصنهاجى الملقب بالفقيه القائد (3) .
  - الامير المنصور محمد بن الحاج داود بن عمر الصنهاجى اللمتونى (4) .
  - الامير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين المعروف بأبن تعيشت (5) .
  - ابوبكر بن ابراهيم المعروف بأبن تافلويت (6) .
- ولعل حركة التعريب سارت بعيدا على عهد الموحدىن حيث نشط نظم

- 1 التكملة لكتاب الصلاة لمحمد بن الابار القضاعى ج 1 صفحة 89 طبعة  
كودير .
- 2 الجذوة لابن القاضى صفحة 115 طبعة حجرية .
- 3 التشوف الى رجال التصوف ليوسف بن يحيى التادلى المعروف بأبن  
الزيات تحقيق ادولف فور نشر معهد الابحاث العليا المغربية سنة  
1958 صفحة 198 .
- 4 التكملة ج 1 صفحة 193 .
- 5 المصدر السابق ج 2 صفحة 616 ووفيات الاعيان ج 2 صفحة 488 .
- 6 مقدمة ابن خلدون صفحة 519 - 520 .

مسائل اللغة العربية ، وحفظ متونها ، وازدهرت ، دراستها ودراسة العلوم اللسانية المتصلة بها ، وشاعت في لغة التخاطب بين مختلف طبقات الشعب لدرجة أن من يتتبع المقابلات التي أوردها ابن هشام في كتاب «لحن العامة» بين الكلمات العربية والكلمات المغربية العامية لا يجد الفروق كامة الا في المعنى الجديد الذي اكتسبه اللفظ العربي من جراء انتقاله من بيئة الى بيئة أخرى مغايرة ومختلفة .

ومع ذلك فقد لجأ الموحدون الى البربرية وسيلة للاتصال بالجماهير والتأثير عليها ؛ فالمهدي يدرس بالبربرية ويؤلف بها كتبه في المذهب ويأمر بالنداء للصلاة بها على حد اتهام المأمون له (1) ، وعبد المؤمن يكتب لولاته بأن «يؤمر الذين يفهمون اللسان العربي ويتكلمون به ان يقرأوا التوحيد بذلك اللسان» (2) و «كانوا لا يقدمون للخطابة والامامة الا من يحفظ التوحيد باللسان البربري» (3) . ولكننا نرى ان مجال البربرية كان محدودا لا يتعدى الدعوة الدينية ، وان العربية لانتشارها كانت قد غدت أداة الدولة في جميع المصالح والمرافق .

ونستطيع أن نعزو هذا الانتشار الى العوامل الآتية :

#### 1 - هجرات بني هلال وبني سليم للمغرب ، وكان قد استقدمهم المنتصور (4)

- (1) الاستقصا ج 2 ص 212 (2) رسائل موحدية صفحة 39 نشر بروقنسال
- (3) القرطاس لابن ابي زرع ، صفحة 46 .
- (4) انظر تفاصيل اخبار هاتين القبيلتين في الاستقصا ج 2 من ص 145 الى 158 والقرطاس صفحة 154 وتاريخ ابن خلدون ج 6 صفحة 12 . ويبدو أن استدعاء العرب واستقدمهم للمغرب بدأ على عهد عبد المؤمن (انظر المن بالامامة لابن صاحب الصلاة ص 172 - 173 تحقيق عبد الهادي التازي) وعلى عهد يوسف بعده (المصدر السابق ص 412 - 413 - 414 - 415) . ويقول ابن صاحب الصلاة ان يوسف امر في مراكش «بدخول اشياخ العرب والوفود للمبايعة واخذ العهد عليهم في ذلك فدخلوا . . . ونمت بيعتهم» . (ص 433) وكان قد امر « . . . بتمييز العرب المذكورين وان يحضروا بين يديه في رحبة قصره العتيق بدار الحجر داخل حضرة مراكش . . . فابتدأوا بالدخول عليه . . . على ترتيب توحيدهم اولا في قبائلهم السابقة لهذا الامر العزيز وعشائريهم فكان الذي ابتدأ أول يوم قبيلة زغبة لتقدمهم في التوحيد وأمروا ان يدخلوا في كل يوم بعدد معلوم مسن



بعد أن قدموا الطاعة اثر انتصاره على حليفهم ابن غانية . وكان لهذه الهجرات اثر كبير جعل ابن خلدون يرى ان «العرب لم يكن المغرب لهم فى الايام السابقة بوطن وانما انتقل اليه فى اواسط المائة الخامسة أفاريق من بنى هلال وسليم اختلطوا فى الدول هناك فكانت أخبارهم من أخبارها ...»  
وأما آخر مواطن العرب فكانت برقة» (1) ومثل هذا يراه ابو القاسم الزياني حيث يقول انه « لم يكن بالمغرب كله أحد من قبائل العرب الى ان جرحهم المنصور الموحدى بمكيدة الجهاد» (2) .

- 2 - وفود جماعة من غز مصر (3) ، وهم طائفة من الموالى اتراك الاصل حالفوا بنى هلال وبنى سليم فى انضمامهم لثورة ابن غانية .  
3 - وفود جماعة من عرب بنى معقل كانوا بدورهم حلفاء لبنى هلال (4) .  
4 - زيادة توافد الاندلسيين على المغرب بعد ان تمغربت الاندلس .

كل هذه العوامل كان لها اكبر الاثر فى انتشار اللغة العربية على نطاق واسع شمل الحواضر والبادى والجبال والسهول حيث عاش الوافدون مع البربر حياة واحدة جعلتهم يتجانسون معهم ويتبادلون أساليب العيش والاعراف ، مما زاد فى تغلغل العربية وتمكنها من اللسنة لدرجة اصبح البربر كلهم على حد قول الفريد بيل يتقنون اللغة العربية فى جبال

---

القبيل المأمور له فتمادى تمييزهم على هذا الترتيب الغريب مدة خمسة عشر يوما يدخلون غدوة حتى صلاة الظهر ثم يرجعون بطائفة اخرى من بعد صلاة الظهر الى آخر النهار على ترتيب القبائل المذكورة والعشائر»  
(ص 434 - 435) .

- (1) ج 6 ص 4 من تاريخ ابن خلدون .  
(2) الترجمانة الكبرى فى أخبار المعمور برا وبحرا صفحة 69 نشر الاستاذ عبد الكريم الفيلالى (وزارة انباء المغرب سنة 1967) وقد علق الناشر على هذا الكلام برأى غريب قال فيه : «يلاحظ ان المؤلف لم يصل علمه الى ان قبائل بنى سليم وبنى هلال ورباح وصباح وبنى معقل وهى قبائل قدمت منذ الفتح العربى الاول من صعيد مصر الى عموم المغرب توجد خصوصا بالجنوب» .  
(3) انظر المعجب صفحة 288 .  
(4) انظر الاستقصا ج 2 من صفحة 159 حتى 162 .

الاطلس (1) وغدوا - كما يقول كوتبي - يستنكرون الأصل البربري ويرفضون الانتساب اليه ولا يكتفون باستعمال اللغة العربية فحسب بل يؤكدون انهم عرب وأنه لا تجرى في روقهم نقطة من الدم ليست عربية (2) وهو رأى يؤكده ما جاء في دائرة المعارف الاسلامية من أن البربر «تغيروا تغيرا عظيما لاختلاطهم بالعرب حتى ليستحيل تمييزهم في أغلب الاحيان (3)

---

A. BEL

(1)

LA RELIGION MUSULMANE EN BERBERIE

(établissement et développement de l'Islam en Berbérie)

P 204

F.F. Gantier (2)

LES SIECLES OBSCURS DU MAGHREB

P 410

(3) الترجمة العربية مادة : بربر \*

## نشأة العامية

لسنا نريد أن نذهب أبعد من هذا في تتبع مراحل التعريب ، فليس من شك في أن عهد الموحدين شهد تمام استعراب المغاربة ، وليس من شك كذلك في أن هذا الاستعراب سار في اتجاهين :

**الاول :** انتشار العربية الفصحى لغة للكتابة والعلم : وتتمثل في نصوص القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف والعلوم والآداب ، وهي لغة مشتركة بين أبناء العربية والاسلام في كل الازمنة والاقاليم . ولسنا بصدد التعرف الى هذا الاتجاه .

**الثاني :** انتشار العربية لغة للتخاطب والحياة العادية اليومية ، وهي لغة لم تكن معربة بأى حال من الاحوال ، وانما كانت لهجة دارجة (1) تختلف في المغرب عن غيره من الاقاليم ، وهي التي يهمنا ان نتعرف اليها . و «اللهجة في الاصطلاح الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي الى بيئة خاصة ويشترك في هذه الصفات جميع افراد هذه البيئة . وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها ، ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال افراد هذه البيئات بعضهم ببعض وفهم ماقد يدور بينهم من حديث فهما يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات . وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات هي التي اصطلح على تسميتها باللغة . فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص» (2)

(1) كان علماء العربية القدماء يطلقون على اللهجة : اللغة واللحن . أما ما نسميه نحن لغة فكان يطلق عليه «اللسان» وبه ورد معناها في القرآن الكريم .

(2) «في اللهجات العربية» للدكتور ابراهيم انيس ص 13 الطبعة الثانية لجنة البيان العربى - القاهرة سنة 1952 .

وتتميز اللهجات داخل اللغة الواحدة بثلاثة عناصر :

**اولا :** طبيعة الاصوات •

**ثانيا :** مبنى بعض الكلمات •

**ثالثا :** معنى بعض الكلمات •

على أنه مهما اختلفت اللهجات في الاصوات ، فإنه ينبغي ان تظل مشتركة — ولو الى حد — في مباني الكلمات ومعانيها ، لانه متى اتسع نطاق الاختلاف في بناء الكلمات ودلالاتها واصبح كبيرا ومبعدا للفهم ، استقلت اللهجة لتصبح لغة •

ونستطيع ان نعزو تكوين اللهجات الى عوامل أهمها :

**اولا :** توارث الكلام جيلا اثر جيل •

**ثانيا :** طبيعة الاقاليم •

**ثالثا :** الاحتكاك بالاعاجم والاتصال بهم ومدى هذا الاتصال وما ينقل

به من كلمات وتراكيب اجنبية •

**رابعا :** اختلاف الالسنه والحناجر قوة وضعفا وصلابة ورخاوة •

وقد تنبه ابن حزم الى بعض العوامل حين قال : «... والعربية التي هي لغة مضر وربيعه لا لغة حمير لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن اهلها فحدث فيها جرش (1) كالذي يحدث من الاندلسى اذا رام نغمة اهل القيروان ومن القيروانى اذا رام نغمة الاندلسى ومن الخراسانى اذا رام نغمته • ونحن نجد من سمع لغة اهل فحص البلوط وهي على ليلة واحدة من قرطبة كاد ان يقول انها لغة أخرى غير لغة اهل قرطبة • وهكذا فى كثير من البلاد فانه بمجاورة اهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها بتديلا لا يخفى على من تأمله • ونحن نجد العامة قد بدلت الالفاظ فى اللغة العربية بتديلا وهو فى البعد عن أصل تلك الكلمة كلغة أخرى ولا فرق فنجدهم يقولون : فى العنب العينب وفى السوط اسطوط وفى ثلاثة دنائير ثلثدا • واذا تعرب البربرى فأراد أن يقول الشجرة قال الشجرة واذا تعرب الجليقى ابدل من العين والحاء هاء فيقول مهمدا اذا اراد ان يقول محمدا • ومثل

(1) الجرش الحك ويريد احتكاك اللغات بعضها ببعض •

هذا كثير • فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية أيقن ان اختلافها انما هو من نحو ما ذكرنا من تبديل الفاظ الناس على طول الازمان واختلاف البلدان ومجاورة الامم وانها لغة واحدة في الاصل» (1) •  
ويذهب الدكتور ابراهيم انيس الى أن تكون اللهجات يعزى الى عاملين رئيسيين هما :

« 1 - الانعزال بين بيئات الشعب الواحد •

2 - الصراع اللغوى نتيجة غزو أو هجرات» (2) •

حقا لقد اتسع نطاق العربية باتساع رقعتها في بلاد مختلفة فصلت بينها حواجز طبيعية وسياسية جعلت اتصال أبناء هذه البلاد محدودا •  
فكان أن نشأت في كل اقليم وبعد فترة ما - طويلة او قصيرة - لغة جديدة متطورة عن اللغة الاصلية تطورا يخضع لطبيعة البيئة والسكان وظروف الحياة في مختلف نواحيها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية •

وحقا كذلك ان الصراع بين العربية ولغات البلاد المفتوحة يختلف قوة وضعفا من اقليم الى آخر • ولكن من الخطأ الظن بأن العربية حين وفدت الى هذه البلاد كانت معربة ونقية بل انها كانت تتخذ شكلين :

الاول : اللغة المعربة المتمثلة في القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وما حمل الفاتحون من علوم •

الثاني : لغة الفاتحين ، وتمثل لهجات مختلف القبائل والطبقات التى شاركت فى الفتح •

ولعله من الانصاف أن نقول ان الصراع بين العربية واللغات المحلية لم يكن صراعا بين لغة القرآن وتلك اللغات ، وانما كان بين هذه وبين اللغة التى كان يتكلم بها الفاتحون ويتخاطبون فى حياتهم اليومية العادية ، أى بين اللغات المحلية وبين مجموعة من اللهجات العربية ؛ اذ من الخطأ الظن

---

(1) «الاحكام فى اصول الاحكام» لابی محمد على بن حزم الظاهري ج 1 ص

31 - 32 الطبعة الاولى مطبعة السعادة • مصر •

(2) «فى اللهجات العربية» ص 18 •

بأن هذه اللهجات لم تكن موجودة ، بل انها كانت تعايش العربية الفصحى في موطنها الاصلى ومنذ أول عصورها حتى في غير التخاطب • فليس من شك أن العرب في جاهليتهم كانت لهم اشعار غير تلك التى وصلتنا والتى تمثل مرحلة نضج الشعر والتى يرجع تاريخها الى حوالى قرن ونصف قرن قبل البعثة ! وليس من شك كذلك أن هذه الاشعار التى لم تصلنا كانت بمختلف اللهجات العربية ولم تكن بلغة قريش وحدها لان قريشا لم تكن قد تمت لها السيادة • وحتى بعد ان أصبحت للغة قريش مكانتها فى بلاد العرب - وهى المكانة التى عززها الاسلام حيث أصبحت لغة الدولة والدين - لم يقض على اللهجات القبلية الدارجة •

ومع ذلك كان العرب فى صدر الاسلام يأنفون من الابتعاد عن النطق الفصيح • فقد كان اللحن على عهد الرسول صلوات الله عليه يعتبر ضلالا ، ويروى عنه أنه قال ، وقد لحن احد المسلمين بحضرته : «ارشدوا اخاكم فانه قد ضل» و «يروى ان عمر رضى الله عنه كان يضرب على اللحن • فأما العرب فاذا لحن الواحد منهم لقربه من الحاضرة ونزوله على طريقة السابلة سقطت عند اهل اللغة منزلته ودفعت ورفضت لغته» (1) • وكان بنو مروان يبعثون اولادهم للبادية حتى تنشأ السننهم مستقيمة ، فانه يروى أن عبد الملك الزم ابنه هشام ومسلمة بالبادية فكانا فصيحين • أما ابنه الوليد ومحمد فلم يخرجوا فكانا لحانين • وكان يقول : «اضر بالوليد حبنا فلم نوجهه للبادية» ويروى كذلك انه : «قيل لعبد الملك بن مروان : عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين ، قال : وكيف لايعجل على وانا أعرض عقلى على الناس فى كل جمعة مرة أو مرتين ، يعنى خطبة الجمعة وبعض ما يعرض من أمور» (2) •

- 
- 1 «نقد النثر» لأبى الفرج قدامة بن أبى جعفر الكاتب البغدادى • تحقيق د • طه حسين وعبد الحميد العبادى • نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة 1938 •
- 2 «البيان والتبيين» للجاحظ ج 1 ص 135 طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - سنة 1948 - تحقيق عبد السلام هارون •

وماكاد امر الدولة الاموية ينتهى - وهى الدولة العربية الخالصة - حتى تفشت العجمة وانتشر اللحن ، فقد غلب الطابع الاسلامى على دولة بنى العباس ، وهى دولة فارسية ما فى ذلك شك ، اتاحت فيها فرص المناصب الكبيرة ومراكز السلطة لغير العرب ، فلم يكن غريبا ان تتعرض اللغة لهزات عنيفة وتواجه انماطا من اللغات ومن اللهجات ، ولم يكن غريبا بالتالى أن يصيب العربية تغيير كبير أبسط مظاهره شيوع الاخطاء وتفشى اللحن وانتشار الاساليب المولدة \* يقول ابوبكر محمد الزبيدى فى «لحن العوام» : «ولم تزل العرب فى جاهليتها وصدر من اسلامها تبرع فى نطقها بالمسجية وتكلم على السليقة حتى فتحت المدائن ومصرت الامصار ودونت الدواوين فاختلف العربى بالنبطى والتقى الحجازى بالفارسى ودخل الدين اختلاط الامم وسواقط البلدان فوقع الخل فى الكلام وبدأ اللحن فى السنة العوام» (1) \*

وبذلك دخلت الفصحى فى صراع مع العاميات كان من نتائجه أن بدأ الناس - وحتى المتعلمون منهم - يعتبرون العربية النقية التى لم تتأثر بالتيارات الجديدة لغة خشنة جافة ، واصبح اللحن يغتفر \* يقول قدامة : «وربما اغتفر فى دهرنا هذا اللحن والخطا للانسان فى كلامه لكثرة اللحن فى الناس وانه قد فشا وعظم وفسدت الفصاحة بمخالطة العرب الاعاجم والاقباط وسائر الاجناس (2)» \* بل اصبح يجب على المتكلم ان يلحن فى بعض المواقف وفى هذا يقول قدامة : «وأما المواضع التى يجب أن يستعمل اللحن فيها ويتعمد له فى أمثالها ويكون ذلك مما يوجبه رأى فهو عند الرؤساء الذين يلحنون والملوك الذين لايعربون ، فمن الرأى لذى العقل والحكمة والحكمة والتجربة الا يعرب بين ايديهم وأن يدخل فى اللحن مدخلهم ولايريهم أن له فضلا عليهم ، فان الرئيس والملك لايجب ان يرى احدا من تباعه فوقه ... ومن ذلك مايحكى عن بعض من تكلم فى مجلس بعض الخلفاء الذين كانوا يلحنون فلحن فعوتب على ذلك فقال : لو كان الاعراب

1) صفحة 4 طبعة اولى - القاهرة سنة 1964 تحقيق د \* رمضان عبد التواب \*

2) نقد النشر ص : 143 \*

فضلا لكان أمير المؤمنين اليه أسبق (1) .

لذا لم يكن عجيبا ان نرى انجاحظ يتحدث في «البيان والتبيين» عن لغة مختلف طبقات الناس ويجعل بابا للحن وآخر للمحانيين البلغاء ، ويذكر انه «قيل لأبي حنيفة : «ما تقول لرجل اخذ صخرة فضرب بها رأس رجل فقتله ، اتقيده به ؟» قال : «لا ولو ضرب رأسه بأبا قبيس (2) وأن أبا شيبه قضى واسط قال : «أتيتمونا بعد أن أردنا أن نقم (3)» .

ولم يكن عجيبا كذلك ان نرى مجموعة من العلماء في حدود المائة<sup>٥٠</sup> انثالثة تؤلف في لحن العامة امثال أبي عبيدة وأبي حنيفة الدينوري وأبي عثمان المازني وأبي قاسم السجستاني والفراء والمفضل بن سلمة ، وان نرى مجموعة أخرى تؤلف فيما بعد عن لحن الخاصة امثال ابي هلال العسكري والحريري ، في وقت ظل آخرون يؤلفون في لحن العامة امثال ابي بكر الزبيدي (ت سنة 379) وأبي منصور الجواليقي (ت سنة 539) .

يتضح لنا من هذا كله أن اللغة العربية التي انتشرت في المغرب كانت تتخذ شكلين :

**الاول :** مغرب تمثله النصوص المدونة والمروية ، وقد تكيف - ولو الى حد - بالاقليم الذي القى بظلاله عليه وأكسبه طابعا محليا يميزه عن غيره .

**الثاني :** عامي ، وتمثله خمس مجموعات من اللهجات :

- 1 - لهجات الفاتحين الاول .
- 2 - لهجات الوافدين من الاندلس والقيروان .
- 3 - لهجات بني هلال وبني سليم وحلفائهما .
- 4 - لهجات المغاربة الذين كانوا يحاولون أن يتعلموا اللغة العربية في المغرب .

5 - لهجات المغاربة الذين رحلوا الى المشرق أو الاندلس والقيروان

وعادوا الى بلادهم .

- 
- (1) المصدر السابق ص 144 .
  - (2) البيان والتبيين ج 2 ص 212 .
  - (3) المصدر السابق ص : 222 .



ولعلنا نستطيع ، مما نعرف من مواطن نزول مختلف الوافدين ، أن نذهب الى ان لهجات أهل الاندلس والقيروان كانت منتشرة فى فاس والمناطق المتاخمة لها فى الشمال ، وأن لهجات بنى هلال وبنى سليم كانت منتشرة فى الجنوب . ومع ذلك فالواقع ان من كل هذه المجموعات ومن اللغة العربية الفصحى كذلك ، وبالتأثر لاشك باللهجة او اللهجات البربرية المحلية ، «نشأت بالضرورة لغة للتفاهم لايمكن ان نصورها بسهولة كافية الا اذا ضربنا مثلا *Lingua franca* أو *Pidgin english* او غيرهما من اللغات المصطنعة لتقريب التفاهم عند الضرورة . وقد استعانت لغة التفاهم المذكورة بأبسط وسائل التعبير اللغوى فبسطت المحصول الصوتى وصوغ القوالب اللغوية ونظام تركيب الجملة ومحيط المفردات وتنازلت عن التصرف الاعرابى واستغنت بذلك عن مراعاة أحوال الكلمة وتصريفها كما ضحت بالفرق بين الاجناس النحوية واكتفت ببعض القواعد القليلة الثابتة فى مواقع الكلام للتعبير عن علاقات التركيب (1)» .

---

(1) «العربية دراسات فى اللغة واللهجات والاساليب» تأليف يوهان فك : *Johann Fuck* ترجمة استاذنا المرحوم الدكتور عبد الحليم النجار، مطبعة دار الكتاب العربى . القاهرة سنة 1951 .  
وفى تعليق بنفس الصفحة ان *Lingua Franca* اصطلاح اوروبى يقابله فى بلاد الشرق تعبير اللغة الافرنجية ، وهى خليط من الكلمات الايطالية والفرنسية واليونانية وغيرها ، يستعمله المشارفة فى التفاهم مع الاوربيين . و *Pidgin english* اصطلاح على لهجة انجليزية مبسطة محررة من القيود اللغوية يجرى التفاهم بها بين الانجليز والاجانب على الاخص فى بلاد الشرق الاقصى .  
و *Pidgin* كلمة محررة عن *business* الانجليزية .

## خصائصها

الاسف شديد أنا لانعرف حال العامية حين نشأت في المغرب ولاحين تطورت عبر القرون - وما أسرع ما تتطور - طالما أنها غير مقيدة بكتابة او قواعد - ولسنا نجد من وصفها الا اشارات عابرة خفيفة كالتى قدم المقدسى حين تحدث عن اقليم المغرب فقال : «ولغتهم عربية غير انها منغلقة مخالفة لما ذكرنا في الاقاليم ، ولهم لسان آخر يقارب الرومى ... والغالب على بوادى هذا الاقليم البربر وأكثرهم بكورة السوس وهم قوم على عمل الخوارزمية لايفهم لسانهم ولاترضى طباعهم (1)» .

كذلك نجد ابن هشام اللخمي في «لحن العامة (2)» يتعرض للغات العامية في مختلف الاقطار ومنها المغرب . وقد نشر استاذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الاهواني بحثا بعنوان «الفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة (3)» اختار منه بعض الالفاظ الاعجمية التى تسربت اللهجة المغربية الاندلسية من البيئة المحلية كما اختار بعض الالفاظ التى اكسبتها هذه البيئة معنى جديدا .

ولو شئنا أن نتعرف الى حال هذه اللهجة بعمق واستقصاء وتفصيل لاحتاج منا ذلك الى بحث مستفيض ومجال واسع لايتيحان لنا في هذا الفصل ولايتيحهما موضوع الرسالة نفسه . لذلك فأنا نكتفى بالقاء الضوء على بعض الخصائص التى من شأنها أن تقرب هذه اللهجة الى القارىء البعيد عنها وتسهل فهمها عليه .

وقد قسمنا هذه الخصائص الى قسمين : احدهما عام يشمل اللهجة

(1) «أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم» ص 343 طبعة ليدن 1909 .

(2) مخطوط بالاسكوريال حيث توجد منه نسختان رقم الاولى 46 ورقم الثانية 99 .

(3) مجلة معهد المخطوطات المجلد الثالث سنة 1957 .

إندارجة المغربية ، ونقصد اللهجة العامة المنشورة في أهم المدن والمناطق ،  
والثاني خاص باللهجة الزجل ، وهي تدخل في نطاق اللهجة العامة لاختلاف  
عنها إلا في بعض الجوانب التي حاول الشعراء تطويرها أو إضافتها تطويعا  
لاعتهم حتى تسعفهم في التعبير الفني .

#### أولا : خصائص عامة (1) :

1 - فتح عين اسم الفاعل فيقال في :

صالح = صالح (بفتح اللام)

عالم = عالم (بفتح اللام)

باستثناء لهجة الجبل فانها تحتفظ بالكسر .

2 - تسكين عين فاعله فيقال في :

جارية = جارية (بتسكين الراء)

قابلة = قابلة (بتسكين الباء)

نادمة = نادمة (بتسكين الدال)

3 - حذف ياء مفاعيل مع تسكين الميم وفتح العين ، فيقال في :

مفاتيح = مفاتيح (بتسكين الميم وفتح التاء)

مزامير = مزامير (بتسكين الميم الاول وفتح

الميم الثاني)

4 قلب ( ا ء ) انتهائية الى تاء تانيث مربوطة فيقال في :

حمراء = حمرة

ثلاثاء = ثلاثة

صحراء = صحرة

5 - حذف الياء في وادي فيقال : واد بتسكين الدال

وكذلك في جوارى فيقال : جوار بتسكين الجيم والراء

- 1) انظر في ذلك : I — Louis Brunot ; a) Introduction à l'arabe marocain. G-P. Maisonneuve et Cie Paris 1950  
b) Sur le thème verbal F'al en dialectal marocain Mélanges W. Marçais Paris 1950 P. 56.  
2 — G. S. Colin : Notes de dialectologie arabe Hesperis - T. X 1930. Fas I.

6 استخدام صيغة المثنى للجمع فيقال :

ويدان (ج واد )

فيسان (ج فاس)

7 - استخدام الجمع للمثنى فيقال في :

ضربتهما = ضربتهم ابزوج (تضاف ابزوج لتأكيد التثنية)

قرأتهما = أقرتهم ابزوج

8 - استخدام الجمع بمعنى المفرد ، فيقال في :

جنة = جنان

قبر = قبور

روض = رياض

خلق = اخلاق

عضو = اعضا

9 - نطق اسم الموصول : الذي = الى ، وهو نطق تكاد تشترك فيه

جميع اللهجات العربية .

10 - التزام بعض الاسماء الخمسة لحالة واحدة ، مثل :

اباك - خاك

احموك

11 - خضوع الاضافة لاسلوبين :

1 - مركب باستخدام كلمة متاع او ديال ، فيقال في :

كتابي = الكتاب اديالى

دارنا = الدار امتاعنا

2 - بسيط باستخدام الضمائر والتزام الحركات على هذا النحو:

أ - النصب في حالة الخطاب فيقال :

عمك - خالك - كتابك - دارك .

ب - الرفع في حالة الغائب المفرد ، فيقال :

راسو - جدو - بيتو .

ج - السكون في بقية حالات الغياب فيقال :

حبيبا - رجلها (للغائبة)

بلادهم - دارهم (للمغائبين والغائبات)

12 - ورود اسم الإشارة على هذه الصيغ :

هاذوك

هاذول

ذوك

ذوكا

13 - تسهيل الهمز ، فيقال في :

رأس = راس

بئر = بير

14 - تشديد الضمير الغائب المفرد ، فيقال :

هو - هي

15 - نطق حرف الجر (فى) دون مد الفاء مع ميل الى فتحها ،

وكتابتها - ان كتبت - متصلة دائما بمجرورها : فالسدار -

فالببيت .

16 - نطق (له) و (به) على حالتين :

1 - له بكسر اللام وتسكين الهاء (ومثلها به)

2 - لو بالضم والمد (ومثلها بو)

17 - ابدال هاء الغائب واوا فيقال في :

كتبه = كتبوا (مع تسكين التاء)

ضربه = ضربوا (مع تسكين الراء)

وقد تحذف هاء الغائبة كذلك فى لهجة الشمال ومنطقة صفرو

والبهايل فيقال في :

كتبها : كتبوا (مع تشديد الباء)

ضربها : ضربوا (مع تشديد الباء)

18 - تسكين أواخر الكلمات وعدم اتخاذ الحركات وجواز التقاء

الساكنين .

19 - ورود الفعل المضارع فى حالة المتكلم المفرد على صيغة الجمع ،  
فيقال :

نكتب - نلعب (بتسكين آخر الفعل)

20 - ورود الفعل المضارع فى حالة الجمع على نفس الصيغة مع مد  
آخر الفعل وضمه فيقال :

نكتبو - نلعبو

21 - حذف نون الجمع فى المضارع ، فيقال فى :

ياكلون : ياكلوا

يمرحون : يمرحوا

22 - زيادة حرف (الكاف) أو (التاء) فى أول المضارع للدلالة على  
الحال والاستمرار ، فيقال :

كيخدم - تيقرا

ويلاحظ أن لهجة الشمال تزيد (اللام) وعبرة (غالا) فتقول :

لايلعب - غالا يقرأ

23 - إضافة حرف الشين للتعبير عن النفي فيقال :

ما تلعبش - ما تجريش - (بتسكين الشين أو كسرهما)

24 - استخدام صيغة افعال للدلالة على الصيرورة ، حيث تبني  
عليها :

1 - افعال مشتقة من الألوان ، فيقال :

احمر : صار احمر

اصفر : صار اصفر

2 - افعال مشتقة من بعض الصفات ، فيقال :

اعرج : صار اعرج

ارطاب : صار رطبا

أطوال : صار طويلا

احماض : صار حامضا

اصلاح : صار صالحا

25 - استعمال صيغة مفعول (بفتح الميم وكسرها) لمجرد الوصف ،  
فيقال :

محساد - مغيار - مبراص - مزيان

#### ثانيا : ظواهر خاصة :

نظرا لان اللغة العامية لا تستعمل الا للشؤون العادية فانه «من الصعب على من يريد التعبير بواسطتها عن احساساته الخاصة وأفكاره أن يكتفى بمفرداتها المحصورة فيضطر الى الاقتباس من اللغة الفصحى ، ولم يأت هذا بالطبع في أول الامر الا لشعراء كانوا من المثقفين الذين تعلموا العربية الفصحى وأجادوها مثل سيدي عبد العزيز المغراوي في القرن العاشر» (1) فقد ادخل اشياخ الملحون - والمثقفون منهم خاصة - كثيرا من المترادفات وكثيرا من الغريب . وجاء الاميون منهم فقلدوهم في استعمال هذه الالفاظ . ثم ان هؤلاء الاميين كانوا يجلسون الى العلماء ويستفيدون من الدروس والمجالس مما قوى ثروتهم اللغوية . ومع ذلك لم يكونوا يتقيدون وكانوا يتصرفون في الصيغ والتراكيب . ومن هنا نلاحظ جملة ظواهر ، منها انهم :

(1) جمعوا قصيدة على قصيدان وأسملة على نمل وكأس على كيوس وحاجة على حيجان .

(2) لجأوا الى الصفات وسموا بها كقولهم للقلب الخبير والساكن ، وللبحر الزخار والمثلى ، ولشمس العشية الذهبية ، وللغزال الحذار أى الذى يحذر الصياد ، وسموه الجفال والشروء . وكثر ذكر الغزال فى شعرهم لتشبيهه المحبوبة به فأطلقوا عليه الدامى والدروج والربراب والريم والزهمام والزهموم والمها والصياح والعراض والعهبوج وانقرهوب والشادى وشارد العفا والشرشة والشريد والوسنان واليطلول واليعفور .

من هذا قولهم فى أسماء العيون : أبصار وأتماد وأحداق وأرماق

---

(1) مقال «لغة الملحون» لـاستاذ محمد الفاسى - مجلة البحث العلمى عدد 4 - 5 السنة الثانية يناير غشت 1965 .

وأرماش وألحاط وأعيان وأغلاس وأغناج وتمود ورموق ورواق

ومقلات وانجال ونجلات ونواجل ونيام .

(3) اشتقوا من الاسماء صفات فقالوا : رجيل للرجل الشجاع الصابر ،

ورجول لكامل الرجولة . وقالوا : مبشور - مشتقة من البشر -

اى فرح مبتهج ، واشتقوا من الادب : مدوب .

(4) استعملوا المفرد بمعنى الجمع وخاصة فى صيغة فعول ، فقالوا : حسود

يقصدون الحساد وجحود بمعنى الجاحدين .

(5) استعملوا صيغة تفعال فى المصادر فقالوا :

التحقاق بمعنى التحقيق

التجفال بمعنى التيه والصد

التغراد بمعنى التغريد

التفرد بمعنى الانفراد

(6) استعملوا صيغة تفعيل فى غير المعنى الذى تؤديه هذه الصيغة فقالوا:

التزهيد بمعنى الزهد

(7) استعملوا صيغة فاعيل بمعانى :

1 - فاعل فقالوا : جهيل بمعنى جاهل وحسيد بمعنى حاسد

2 - منفعل فقالوا : سكيب بمعنى منسكب .

3 - متفعل فقالوا : حبيك بمعنى متشدد .

(8) استعملوا صيغة افعال بمعنى استفعل فقالوا :

استقام بمعنى استقام .

(9) استعملوا مركبات اضافية للدلالة على بعض الكلمات والمعانى ، فقالوا:

للقلب أمير الاكنان وأمير الحشا وأمير الاسيار (اى الدواخل) ،

وللخمر بنت الدوالى ، ودم العنقود ، وللمحبوبة ام النيت (اى

الشعور السوداء) وأبو دلال وأبو دواح (اى صاحبة الحلق) وللغراشة

أم الوبرات .

(10) استعملوا بعض اللفاظ فى معانى معروفة فى العربية فقالوا :

الاحبار بمعنى الشعراء الكبار .



- البطارق بمعنى العلماء الراسخين •  
الميز بمعنى الذكاء مع لباقة وظرف •  
11 استعمالوا كلمات عربية فى غير معانيها المعروفة مثل :  
الوسنان للغزال •  
العانس للفتاة الجميلة  
12 تصرفوا فى بعض الالفاظ اخضاعا لها للوزن والقافية ، فقالوا فى :  
البنفسج : بلفجج وبلفجوج وبنفجيج •  
اتماد : تمود •  
13 أضافوا ياء الى بعض الكلمات ، مثل :  
اطوادى : فى اطواد بمعنى الجبال •  
كتمانى : فى كتمان  
14 استعمالوا التنوين فى بعض الظروف : قبل وبعد •  
15 استعمالوا التنوين فى بعض الافعال : ليس • وتكون بمعنى ما النافية  
وبمعنى لم • وجعلوها تدخل على الماضى • ومع ذلك فكثير استعمالها  
بدون تنوين •  
16 استعمالوا ذى فى هذه •  
17 استعمالوا اللذى فى الذى  
18 استعمالوا لان او لان (بنون ساكنة مشددة او مخففة) فى لان  
19 استعمالوا كن فى كأن  
20 ثم انهم توسعوا فى لغتهم «فاستوعبوا أسماء الازهار والالوان  
والاطعمة والطيور والحيوانات والاشجار والملابس والاسلحة وآلات  
الموسيقى وأواني المنزل والاثاث وأدوات الصنائع فأدخلوا كل ذلك  
فى لغتهم حتى صارت من أوسع اللغات وأغناها بل حتى صار ذلك  
من العوائق عن تفهمها وتذوقها لكثير ممن ليست لهم ممارسة ومعرفة  
خاصة بهذا الانتاج الادبى الضخم» (1) •

---

(1) مقال «لغة الملحن» للاستاذ محمد القاسى — مجلة البحث العلمى عدد  
4 — 5 السنة الثانية — يناير غشت 1965 •

## جوانب بلاغية

تنطوى اللغة العامية بطبيعتها على شفافية وفعالية ومرونة وحيوية تجعلها قادرة وباستمرار على امتصاص المعاني والأفكار الجديدة واكتساب اللفاظ والتراكيب الوافدة ، يساعدها فى ذلك عدم تقيدها بقواعد وقوانين متجمدة تحول دون تكيفها مع الواقع واستقبال كل الروافد واحتضان أى جديد .

ولكنها مع ذلك لا تكون صادقة وساحرة وجميلة إلا إذا كانت متصلة بمشئها محتفظة برهافتها وقدرتها على التعبير فى مستوى بلاغى رفيع . أما الاتصال فليس من شك فى «أن اللغة إذا كانت منفصلة أو شبه اجنبية بالنسبة للشاعر فقد بطل سحرها فى نفسه وسقط التجاوب العاطفى بينه وبينها فأصبحت عاجزة أو أصبح هو عاجزا عن أداء هذا التعبير الوجدانى فى صورته التامة الكاملة الدقيقة التى تشعر بالراحة وتزيح عن صدره ما يجثم عليه ويمتلىء به من انفعال وجدانى . . ان الشاعر لابد أن يمتلك أدواته اللغوية امتلاكاً كاملاً ليكون قادراً على تصريحها فى أغراضه واستخدامها فى نظمه» (1) .

وأما البلاغة فإن الحديث عنها قد يثير غضب الذين لا يعترفون باللغة العامية أداة للتعبير الجميل ، وهم كثيرون . وقبل أن نكشف لهؤلاء عن جوانب البلاغة ومظاهرها فى شعر أدائه اللهجة الدارجة ، فانا نرى أن نستعرض أقوالاً لابن الأثير وابن خلدون لعلها أن تخفف من حدة غضب الرافضين للعامية وأدبها وأن تبعث فى نفوسهم بعض الاستعداد للنظر فى هذا الأدب .

---

(1) «ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار فى الشعر» لاستاذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الـهـوانى ص 16 - 17 - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة سنة 1962 .

يقول ابن الاثير متحدثا عن الطبع والآلات ، وهى العلوم ، ومنها اللحن : «وملاك هذا كله الطبع فانه اذا لم يكن ثم طبع فانه لا تغنى تلك الآلات شيئا ، ومثال ذلك كمثل النار الكامنة فى الزناد والحديدة التى يقدح بها ، ألا ترى أنه اذا لم يكن فى الزناد نار لا تفيد تلك الحديدة شيئا (1) » . ويقول كذلك مبينا أن اللحن لا يقدح فى الفصاحة والبلاغة : « . . أن الجهل بالنحو لا يقدح فى فصاحة ولا بلاغة ولكنه يقدح فى الجاهل به نفسه ، لانه رسوم قوم تواضعوا عليه وهم الناطقون باللغة فوجب اتباعهم ، والدليل على ذلك أن الشاعر لم ينظم شعره وغرضه منه رفع الفاعل ونصب المفعول أو ما جرى مجراهما وإنما غرضه إيراد المعنى الحسن فى اللفظ الحسن المتصفين بصفة الفصاحة والبلاغة . ولهذا لم يكن اللحن قادحا فى حسن الكلام لانه اذا قيل : جاء زيد راكب ، ان لم يكن حسنا الا بأن يقال : جاء راكبا - بالنصب - لكان النحو شرطاً فى حسن الكلام ، وليس كذلك ، فتبين بهذا أنه ليس الغرض من نظم الشعر إقامة اعراب كلماته وإنما الغرض أمر وراء ذلك ، وهكذا يجرى الحكم فى الخطب والرسائل من الكلام المنثور (2) » .

والى نفس الرأى يذهب ابن خلدون فى قوله : «ان العلم بقوانين الاعراب إنما هو علم بكيفية العمل وليس هو العمل ، ولذلك نجد كثيرا من جهابذة النحاة المهرة فى صناعة العربية المحيطين علما بتلك القوانين اذا سئل فى كتابة سطرين الى اخيه أو ذوى مودته أو شكوى ظلمة أو قصد من قصوده خطأ فيها عن الصواب وأكثر من اللحن ولم يجد تأليف الكلام لذلك والعبارة عن المقصود على أساليب اللسان العربى . وكذا نجد كثيرا ممن يحسن هذه الكلمة ويجيد الفنين من المنظوم والمنثور وهو لا يحسن اعراب الفاعل من المفعول ولا المرفوع من المجرور ولا شيئا من قوانين صناعة العربية فمن هذا تعلم أن تلك الملكة هى غير صناعة العربية وانها مستغنية

- 
- (1) المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر «لابى الفتح ضياء الدين بن الاثير ج 1 ص 8 طبعة الحلبي مصر سنة 1939 .
  - (2) المصدر السابق ص 18 - 19 .

عنها بالجملة (1) » .

ويضيف مدافعا عن شعر أهل امصار المغرب من العرب ومحددا معنى البلاغة : «... ولهؤلاء العرب في هذا الشعر بلاغة فائقة وفيهم الفحول والمتأخرون والكثير من المنتحلين للعلوم لهذا العهد وخصوصا علم اللسان يستنكر هذه الفنون التي لهم اذا سمعها ويمج نظمهم اذا انشد ويعتقد أن ذوقه انما نبا عنها لاستهجانها وفقدان الاعراب منها ، وهذا انما اتى من فقدان الملكة في لغتهم ، فلو حصلت له ملكة من ملكاتهم لشهد له طبعه وذوقه ببلاغتها ان كان سليما في الآفات في فطرته ونظره ، والا فالاعراب لا يمدخل له في البلاغة ، انما البلاغة مطابقة الكلام للمقصود ولتقتضى الحال من الوجود فيه سواء كان الرفع دالا على الفاعل والتصب دالا على المفعول أو بالعكس وانما يدل على ذلك قرائن الكلام كما هو لغتهم هذه فالدلالة بحسب ما يصطلح عليه أهل الملكة فاذا عرف اصطلاح في ملكة واشتهر صحت البلاغة ، ولا عبرة بقوانين النحاة في ذلك وأساليب الشعر وفنونه موجودة في أشعارهم هذه ماعدا حركات الاعراب في أواخر الكلم (2) » .

ومثل هذا يؤكد مختصرا في تاريخه حيث يقول : «... الا ان الخاصة من أهل العلم بالمدن يزهدون في روايتها ويستنكفون عنها لما فيها من خلل الاعراب ويحسبون أن الاعراب هو أصل البلاغة وليس كذلك (3) » اما مظاهر البلاغة (4) في القصيدة الرجزية فيحصرها الاشياخ النقاد

- (1) المقدمة (فصل في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم) ، ص 492 طبعة بولاق .
- (2) المقدمة (فصل في اشعار العرب وأهل الامصار لهذا العهد) ص : 511
- (3) تاريخ ابن خلدون ج 6 ص 18 طبعة بولاق .
- (4) يجدر بالذكر أن الشاعر الشعبي استعمل كلمة بلاغة . يقول ابن علي في أول قسم من «المحاورة» :

افراجا مقصيا اكما اسمعت انعاود للسامعين برضاهم  
برجاحت لعقل وابلاغت لجبار جبت اخصام الخودات في انهايت  
شعري منظوم

ويقول كذلك في آخر قسم من «الحجام» :

غير ابلاغنا فاشعر وانظامو

عمرى ماوشمت ولانعرف واشمة ولانا داخل لكلوف

في أربعة عناصر (1) :

**اولا : التجنيس او الجناس ، ولا يكون عندهم الا تاما .**

ومن الامثلة عليه قول الكندوز في «غاسق لنجال» ، وهو اكثر الشعراء براعة فيه :

بحفاك عمدا لي عدت انحيل

ماشمفك تعذابي اولا محاني

سيف لجفا امحاني

لعباد لامحاني

فامحاني الاولى جمع محنة ، والثانية فعل محا فاعله السيف ،  
والثالثة فعل لمح بمعنى رأى فاعله العباد . ومن الامثلة عليه كذلك :

دمعائك القلب الدامي ملو الخوف

واتمزق لكسا واكذاك الحافي

والردا وقماش الحافي

ازحفت من ذا القدم الحافي

فالحافي الاولى بمعنى الغطاء والثانية بمعنى الفراش والثالثة بمعنى  
حافي القدمين .

ومن الجناس الوارد في هذه القصيدة :

كمن املح به اصياري باتو اهتوف

واغضبت عن النفس وقلت اكتافي

انت اسباب اكيود اكتافي

وبلمليح احماوا اكتافي

فاكتافي الاولى فعل أمر من اكتفى ، والثانية بمعنى التقييد من كتف

أي كبل وقيد ، والثالثة بمعنى الاكتاف ج كتف .

ومنه كذلك قول ابن احساين في قصيدة «فاطمة» :

كيفي يانا انهار ناموا \* عيني فعيون موحرام

---

(1) نلفت النظر الى أنا سنعود الى هذه المظاهر البلاغية في «الباب الثالث» لنرى نشأتها وتطورها .

واعقبلى من الهام هام \* بالحال الى اقلب شاما  
فوق الورد الناسما

فالهام الاولى بمعنى الرأس والثانية فعل الهيام .  
ويقول الزلايجى فى «الدعى» :

نهزم الدعى دون اتصال \* حتى يرضى بالقهرا عن افعالى  
وانفصلوا افعالى

فافصالى الاولى من الفصل والمفاصلة ، والثانية جمع فصلة ، اى  
قطعة .

#### ثانيا : التصريف :

وهو فى الواقع نوع من الجناس حيث يتصرف الشاعر فى كلمة  
باستعراض عدد من اشتقاقاتها ، وغالبا مايفعل ذلك باسم الحبيبة . يقول  
المدغرى فى «زهرة» :

مانظرت اغزالى زهرا  
انجمت الزهر  
او لنظرت الخد فزهرا  
ابطيب ازهاروا  
ويقول فى «مسعودة» :

مكولوا المسعودا ياطلوع اكواكب لسعاد  
انا من سعدى اسعادتك وانت مسعودا  
انت بدر السعود وانت لالهلال اسعود  
ويقول ابن على فى «كنزة» :

ماكيف اوصالك كنز  
وافضل من مال ايلا كنزوا  
عاجنى ياشمس لحاسن ياكنز  
ومن التصريف فى غير اسماء الحبيبات قول عباس بن بوسنة فى  
حربة قصيدة له تأملية :

لاتغرب فالغرب امع لمغربا \* الغرب اغريب سايرا فيه اغريبا  
من اغرايبوا عن اهلو غربا

ثالثا : التضمين او التلزم :

وهو أن يضمن الشاعر القافية اكثر من حرف ويلتزم ذلك في كل القصيدة او في بعض اقسامها وهو ما يسمى في الادب العرب بلزوم مالا يلزم . وقد برع فيه الحاج احمد الغرابلي ، ومن خير الامثلة على تضمينه قصيدة «ملكة» يقول في القسم الاول منها ملتزما حرفي اللام والكاف :

يا من اطلوع اهلالك  
يفجى اظلام لحلاك  
نحكي اشموس لفلاك  
لله جد لي بوصالك  
تنكي ابزورتك عدالك  
لني اغلام حسن اجمالك  
قبل انصيام يامولاتي وناغلام مملوك  
ومن لفراق مهلوك  
ويلا تزورني تتعافا ذاتي الهالك  
لو تجفى قلبي ايواصلك  
ويلادرتني ابقى العار اعليك  
وفي القسم الثاني منها يلتزم حرفي الراء والكاف ، فيقول :

امحاسنك واسرارك  
فتنا الكل من راك  
وابهاك ليس يدراك  
لازلت نرتجي بشارك  
ياتي المرسى بخبارك  
وايفيدني ابصح امزارك  
وانقول سعد سعدى واكمل قصدى ابيوم مبروك  
واضحى الرقيب متروك  
انجدد لفراح ونغنم ساعة امباركا  
وانقول لك الله اينصرك

من ارقى متواك مامعاه اشريك

رأبعا : التشب ، وهو ثلاثة انواع :

1 - تشب كلمة ، وهو ان يستهل الشطر بكلمة من الشطر الذى قبله والبيت بكلمة من البيت السابق عليه وغالبا ماتكون آخر كلمة فى الشطر او البيت ، وهكذا وكان القصيدة سلسلة مرتبطة الحلقات • ويطلق على الاجزاء المنشوبة : «لطارش» (1) وقد برع فيه محمد بوزيان • ومن خير الامثلة على تشبه قصيدة «المحبوب» التى يقول فى احد أقسامها :

محبوب خاطرى من فكندو عمدا لى \* عمدا لى والنوم ضج من لنجال  
لنجال على الخد دمعها سلسالى \* سلسالى يهو اكما لمطر هطال  
هطال امن افراك اللى زاد اهبالى \* اهبالى من فكند امن اهويت اغزال  
اغزال اقلبها غيرو مايحلالى \* يحلالى وصلو ايللا نعم بالوصال  
ومن هذا النوع كذلك ماجاء فى قصيدة «الجار» للكبير بن عطية المراكشى:  
امن اهواك هيح وجدى وافنانى \* وافنانى خلا امدامعى طوفان  
طوفان فوق حدى والنوم اجفانى \* واجفانى محبوب خاطرى ببيان  
بيان ياهلى واش اعطف جيرانى \* جيرانى لغنر عيب للجيران  
جيران ماتدور الجار \* والجار ما بقى مهجور  
مهجور بين صبه النار \* والنار تزييد اشروور  
اشروور ما طغا بامطار \* وامطار امن اماج ابهور  
ابهور فايضا زادت تمحانسى \* تمحانسى زاد بالتيهان

2 - تشب كلمتين : على حد مانجد عند الحاج احمد الغربلى فى

قصيدته «عين الرحمة» ومنها :

أعين الرحما الراحما ياقرت لنيام \* ياقرت لنيام جد لى يابحر التعظيم  
يابحر التعظيم والفضل يساعين الرحما

(1) لعلها من الطرش بمعنى القذف وكأنه يقذف بها من شطر لآخر • وعند بعض الاشياخ أن «لطارش» تطلق على كل الكلمات التى يقصد الى تكرارها حتى ولو على غير نظام التشب كقول الدراز فى حربة «زهرة» : بمزاري بمزاري - جد لى بوصالك نبرا - يامولاتى زهرا



3 - نشب شطر ، وقد برع فيه التهامي المدغري ، وخاصة فى قصيدته «فأرحا» التى يقول فى أحد أقسامها :

سلتك ببهاك يالرايح \* مالك سكران دون راح  
ونا عقلى امعاك راح \* بايت من ليعت لجرايح  
ساهر والناس رايحا

بايت من ليعت تجرايح \* عقلى بهواك ما ارتاح  
وانبرد ابغير أح أح \* بين التنهاد والجوايح  
كاوى بجمار لافحا

بين التنهاد والجوايح \* بالشوق اتكمد لجراح  
الى من دكت اللماح \* والغالب مابقى ايسامح  
ولايدري امسامحا

الغالب ما بقى ايسامح \* سيفو مملوك اللكفاح  
وخيولو تكلب لمراح \* بين المسمار والصفايح  
كمن قومان طايحا

بين المسمار والصفايح \* واسنون الهند والرماح  
تزلغ من شوفها الماح \* قولوا لصبيغت اللوامح  
عطفى بخلاك فأرحا

قولوا لصبيغت اللوامح \* ياغصن ايميس فالدواح  
أمهر اشروود اقلب طاح \* رفدى ياللا الطايح  
باللى سماك فأرحا

ولم يكتف الشاعر الشعبى بهذه المظاهر يكشف بها عن قدرته على التعبير الفنى الجميل ، وانما حاول اظهار هذه القدرة فى استخدام نوع معين من الكلام ، وهى محاولة لاتخلو من تكلف ولاتعنى غير تطويعه للغة وبراعته فى ذلك ومهارته . وقد وقفنا من ذلك على نوعين :

أحدهما أن ينظم الشاعر قصيدة كل حروفها مهملة (1) ، ومن الامثلة

---

(1) هذا قريب مما ذكره الرباط فى «العقيدة الادبية» لدى ذكره أنواع الصنعة فى الموالم حيث قال : «صنعة المخزوم وتعريفها أن يجعل

على ذلك قصيدة للنجار يقول في حربتها :

ململا لعلا الصمد الاله

عل الماحى صلى واعطاء سر ملكو

ويذكرون أن الشيخ محمد بن الشليخ السلوى عارضها بقصيدة كل

نقط حروفها من فوق وأن الشريف البقائي المكناسى عارضها بقصيدة كل

نقط حروفها من أسفل ، والاسف انا لم نتمكن من الوقوف ولو على بيت

واحد من هاتين القصيدتين \*

ومن الامثلة كذلك على الشعر الخالية حروف كلامه من النقط قصيدة

للكبير بن عطية تسمى «أناشمة» يقول في حربتها :

روم حرم الهادى واسع امكارم احماه

لمرام اموصل والود ولمكارم

مامسى محروم الساعى لوراد احماه

والثانى أن يستعمل الشاعر اسلوب «الختم» ، وهو ان يلتزم بدء

أبيات القسم او انهاءها بكلمات معينة ، على حد مانجد عند بوعمرى فى

قصيدته «زهرة» حيث يقول بادئا كل بيت بـ «زهرة»

زهرا زهوا للذات ❦ مصباح الخودات

---

الناظم جميع أحرف مواله مهملة عدا آخر حروف القوافى معجمات \*

ومثاله أقول :

أمحمد محمد رسول مرسل ومدحه لز

واعمل اكما اعمل العالم واهل العز

كم له مدد كم هلك ساحر وسهمه حز

ورمحوكم دحا حاسد واعدها دز» \* (الورقة 149) (ظهر)

وتجذر الاشارة الى ان المغاربة عتوا باظهار مثل هذه البراعة حتى فى

غير هذا المجال على حد مانجد عند المرحوم احمد بن العياشى اسكيرج

فى رسالتين الفهما بالحروف المهملة هما :

أ) مطالع الاسرار لمدارك الاحرار فى شرح صلاة الفاتح لما اغلق

(مطبوعة على الحجر) \*

ب) مدد الوصول لادراك السؤل على حل كمال الصلاة على رسول

الله على روحه السلام (مطبوعة على الحجر بفاس سنة 1332) \*

زهرا عل لبنات \* حازت لبها وثباتا  
زهرا شمس انبات \* بالحسن اتجلات  
زهرا من عادات \* زين عبلا وخناتا  
وعلى حد مانجد كذلك عند الشريف محمد بن لحسن فى قصيدة «هنية»  
فقد ختم كل بيت من أبيات القسم الاخير منها باسم «هنية» ، يقول :  
خذ ارأوى روض لفنان \* فمديح للا بوتيتين اهنيا  
بها زال الهول واهوان \* صعبى واشهدت باللحطين اهنيا  
وقد برع فى ذلك التهامى المدغرى الذى يقول مثلا فى قصيدة «طامو»  
بادئا كل شطر بكلمة : «مال» =

مال جفنى ساهر طول البهيم \* مال جفئك فسرور امقيما  
مال خدى ساقط ورقو اسقيم \* مال خدك ففراح انعيما  
ويقول فى قصيدته «مير لغرام» بادئا الفرائش بكلمة «أنت» والغطا  
بكلمة «أنا» :

أنت اغلا وزين من الياقوتا الضاويا  
ونذ بزین غالى مملوك اولاً يلى احميا  
أنت ايهما من الشمس المرفوعا الغاليا  
ونا بنار شمس خبودك كاوى بنار حيا  
ومن اروع ما نظم الشعراء على هذا الاسلوب قصيدة ينتهى كل بيت منها  
بـ «اقفل» فى الشطر الاول و «قفلو» فى الشطر الثانى \* وقد ذكر لنا منها  
الشيخ بن عيسى الدراز هذا البيت :

ياحاضى (1) باب افلخلا من غير اقفل  
مايحضى باب غير من كان ابقتلو  
وأخبرنا أنه عارضها بقصيدة على نفس الاسلوب لم يذكر منها  
غير بيت واحد يقول فيه :

عندى مفتاح به نفتح كل اقفل  
لو يجتمعوا جميع لقفال ايقتلو

## فنية الاسلوب

لنبدأ نريد أن نختم هذا الفصل عن لغة القصيدة الزجلية وفنياتها دون

أن ننف عند بعض خصائص الاسلوب فيه ، وهى :

- 1 - التشبيه والمقارنة .
- 2 - الحركة والحيوية والتشخيص .
- 3 - الحوار .
- 4 - القصة .
- 5 - الرمز .

والحقيقة أنا سنبسّط الحديث عن هذه الخصائص فى «باب الموضوعات» عرضا وتمثيلا ، ونتتبعها فى مختلف المواطن التى وردت فيها بما يعطى عنها صورة واضحة الملامح مكتملة الاجزاء ، ولكننا مع ذلك نرى لزما علينا فى هذا الفصل أن نقف عند تلك الخصائص وقفات قصيرة تكون بمثابة اشارات تنبيه لما سيأتى مفصلا فى ذلك الباب ، وهى وقفات نراها ضرورية لاسيما وان تتبعنا فيه لهذه الخصائص ، رغم ما سنعمد اليه من تفصيل ، سيجىء خاضعا لتقسيم الموضوعات وتابعا لسيرها وما يقتضيه تسلسلها .

### أولا : التشبيه والمقارنة :

لم يترك الزجال المغربى أى شىء لم يخضعه للتشبيه والمقارنة ، مستعينا بكل ماحوله فى الحقيقة والواقع او بما وجود عليه به خياله ، سواء فى ذلك باستعمال أدوات التشبيه أو عدم استعمالها . فقد شبه المرأة بالغزال واطائر والياقوتة والقمر والزهرة والمصباح ، وتتبع جميع ملامحها فشبه الشجر بعقد الجوهر ، والقدر بالراية وغصن الآس ، والخد بالوردة ، والخال بالغلام ، والغرة بالبرق ، والانف بزهر السوسان وعصفور صغير ، والصدر بقطعة رخام ، والبطن بقماش صافى مرقوم ، والنهدين بالتفاح ، والذراعين

بالسيوف ، والاصابع بالاقلام ، والسرة بالكاس سالت عنها الخمر ، والافخاذ بأعمدة من ذهب ، والسيقان فى حمرتها بقطعة من البلور اشعلت فيها شمعة كبيرة ، واللون الابيض بالعاج ، والاسمر بالخمر او ماء الذهب ، ثم عكس فعمد الى هذه الاشياء المشبه بها فشبهها بمفاتن المرأة •

ونظر فى مظاهر الطبيعة والكون وتأملها فشبه الشمس حين تغرب بقرس شقراء ارخى عنانها فغدت تغير على الروابى والسهول ، وحين تتجلى فى كبد السماء كعذراء فى عنقوان النمو وعز الجمال • وشبه الفجر عند الطلوع ببدر مضى وعروس برز من الحجاب وحوله الكواكب كالفاتنات وشبه الليل بسultan من السودان يقود جيوشا من الفرسان تمتطى خيولا دهماء • وشبه الارض فى حلتها الربيعية الجميلة بعروس سلطنة ، واديمها المنور بزراوى مفروشة من نسيج الخالق • وشبه النخلة بعروس بكر وعناقيدها بالياقوت والجواهر والعقيان ، فى حين شبه عناقيد الدوالى بانثريات • وحين تأمل الدنيا وجدها كالحسناء الفاتنة يعشقها كل الناس • ولم يكتف الشاعر الشعبى بالتشبيه المجرد فحسب ، وانما عمد كذلك الى المقارنة فاعتبر جمال محبوبته يفوق الشمس والقمر ، وأن البدر يفار من نور جمالها فيحتجب ، وأنها ياقوتة يتضاءل أمامها الجواهر والذهب والفضة • وحاول أن يقارن بين حاله وحال محبوبته فقابل بين قلبه المشتعل وقلبها المرتاح ، بين لونه الاصفر الذابل ولونها البهى الجميل ، بين سهره يرعى النجوم ونومها الهادى ، بين سلوها وانشغاله ، بين قوتها اللذيذ وقوته المر ، بين صحتها ونشاطها ومرضه ووهن عظمه ومزاجه •

وقارن كذلك بين حاله المعذب وقد فارقتة الحبيبة وبين بعض الاشياء الاليفة لديه كالشمعة المحترقة لفراق مملكتها ورعاياها ، والحمام الباكى لهجر انثاه ، والرسم الخالى من الاحبة •

وقابل بين الصبح والليل ، بين الصبح فى قدومه كسلطان ارخى ذيل ازاره لابساً حلة من الديباج وبين الليل فى توديعه كغراب أسود شابث عذاره ، بين الصبح كنسر يعلو فى تحليقه وبين الليل سال دمع غرابه • وقابل كذلك بين نفسه ومظاهر الطبيعة فبعث فيها من ذاتيته ما جعلها

تعكس حال نفسيته وحيوية عاطفته في تجاوب وامتزاج مع هذه المظاهر  
كتشبيبه الشمس في غروبها وذبول لونها بالحبيب الذي هجرته محبوبته  
قاصفر لونه .

### ثانيا : الحركة والحيوية والتشخيص :

يكاد هذا العنصر في الواقع يغطي على القصيدة الزجلية ، فالمحبة  
ليست نائمة في خدرها او محجبة ، وانما هي دائمة التحرك تصول بجملها  
في قوة واعتزاز ، وتتبختر في ثيابها وتميل بقدها مع هبوب النسيم .  
والمحب في حاله المضنى كسفينة تتقاذفها الامواج ، وهو لا يفتأ عن الحركة  
سعيًا للوصول الى حبيبته ، يذهب الى المنجمين ويقصد الاضرحة ويزور  
محبوبته ليلا متنكرا في هيئة «ضيف الله» فننهض من منامها ، وتدخله  
ونكرمه ؛ وقد لا يتهيا له ذلك فيتتكر في صفات أخرى يحاول بها ان يغري  
محزرها ؛ ثم انه ذائب الحركة في البحث عن التذكار الذي اعطته محبوبته  
ايام يوم جادت عليه بالوصال فضيعه .

والحب سيف قاطع وسلطان طاغية يهجم في جماعة من الابطال ،  
وأمر جائر مروع يقود الجنود للقتال وقد لعت اسلحته وخفقت أعلامه ،  
وبحر هائج لانهاية لحدوده ما مخرت عبابه سفينة الا اغرقها وشتت الواحها  
وشخص ما يعاني المحب من التيه والضنا والشغف والهيام فجعلها  
ملوكا للعشق تطغى وتجور . كذلك بعث الحياة في الشمعة فجعلها تتكلم  
وتحاور ، وفي الدوالي فصورها تتمايل معربة بل جعلها تتزوج وتنجب  
بعد أن شخصها وشبهها في نموها بصبيات يكبرن في حجر امهاتهن  
وصونهن . والحركة في مجلس الشرب لا تفتقر ، فمن العربة الى الوقوع  
على الارض الى النهوض الى الموسيقى والغناء والرقص .

أما الطبيعة والكون فحاول تشخيصها وابرار اوصافها في صور حسية  
ملموسة نابضة بالحركة والحياة ، فالليل يهجم والشمس تروح وتشرق ،  
وضوء الصبح يطرد الظلام ويزيحه ، والربيع يقبل ويحيى الارض بعد موتها ،  
والطر يتزوج الارض فتحمل منه وتنجب .

وينعكس هذا العنصر حتى على الهجاء حيث يستوحى الشاعر معانيه

من المعارك الحربية فينظم قصائد «البوغاز» و «الرامي» و «المهراز» (أي المدفع) والقرصان (أي السفينة الحربية) والغطاس (أي الغواصة) ، وهي قصائد لا تشم منها إلا رائحة القذف والضرب والتحطيم .

#### ثالثا : الحوار (1) :

وهو نوعان :

- 1) حوار قصير يمكن أن نقول انه يأتي عرضا غير مقصود لذاته ، كالذي يجريه الشاعر بينه وبين محبوبته يشكو اليها فيه مما يقاسى فسى حبها عارضا لحاله المعذب ، فتجيبه ناشقة عن أوصافها من خلال مقارنة مع حاله هو ؛ ومثله الحوار الذي يديره مع انشمة والحمام .
- 2) حوار طويل يقصد الشاعر اليه كالذي نجده في قصائد «الحراز» حيث يتنكر المحب في هيات مختلفة ، وفي كل مرة يدخل مع محزن حبيبته فسى حوار .

ومثل «الحراز» المرافعات كقصائد «القاضي» التي تصور لجوء المحب الى ممثل القضاء عساه ينصفه من جور محبوبته ، وكقصائد «الخصام» او ما يطلق عليه «المحاورة» . والحوار فيها قد يدور :

- أ - بين اناس كما بين الحضورية والبدوية ، والخدام والحر ، والزمنية والعصرية ، والشابة والعجوز ، والسمراء والبيضاء ، والطويلة والقصيرة ، والسمنية والنحيفة .
  - ب - بين نباتات كالورود والزهور .
  - ج - بين طيور .
  - د - بين جمادات كالقطة والغراف .
  - هـ - بين مظاهر كونية كالليل والنهار .
  - و - بين أشياء وهمية يشخصها الشاعر كالحوار الذي اجراه المدغرى للتيه والضنا والشغف والهمام مع محبوبته التي رفع اليها المحب دعوى ضد هذه الاطراف ، وقد جعلها ملوكا للعشق اغتنمت فرصة غياب محبوبته فاستقرت في قلبه ؛ وتستمع المحبوبة الى شكوى حبيبها والى
- 1) انظر الفصل الثالث من باب «الاعلام» لدى ترجمة الجيلالي امثيرد .

دفاع خصومه ثم تجيب لتثبت في الامر وتحسمه .  
وقد كانت تتخذ بعض هذه القصائد لادوار تمثيلية او ماكان يطلق  
عليه «البساط» . والحوار في كلا النوعين يتعدد مجاله بتعدد الاطراف  
المشاركة فيه ، وهو في الغالب حوار مباشر يقدم له بفعل القول .

#### رابعاً : القصة (1) :

يبدو الشاعر الشعبي مغرماً بالأسرد والقص مستوحياً في ذلك الخيال  
أو الواقع أو التاريخ .

- (1) فمن القص الخيالي ما يحكيه في قصائد «الخران» و «الخصام» و  
«الخلخال» و «الدمليج» وقصائد «الحجام» و «الفصادة» و «الوصال» .
- (2) ومن القص الواقعي ما يحكيه عن الخمر متتبعا مختلف مراحلها منذ  
غرست الدالية الى أن نمت ونضج عنها وعصر وعق ثم عرض  
للشرب .

ومنها كذلك ما يحكيه مثلاً في قصيدة «المطر» (2) عن الفقير  
ومعاناته من البرد والمطر في فصل الشتاء .

- (3) ومن القص التاريخي نظمه لصفحات من السيرة النبوية في قصائد  
«لخلوق» و «الوفاة» و «المعراج» او نظمه لتكبة الحسين أو لبعض  
الحوادث والاحداث التاريخية على حد ما فعل الكفيف الزرهوني في  
هزيمة ابي الحسن المريني في القيروان .

ويدخل في هذا النوع ما يطلق عليه «القصائد الايوبية» أو  
«الغزوات» وهي التي تحكى قصص الانبياء والاولياء ومحاولات ابرار  
ما فيها من خوارق وكرامات . ويقول الاشياخ ان المغراوي كان اكثر  
الشعراء نظماً في هذا الباب ، ويذكرون له أسماء قصائد منها :  
«المؤودة» و «الشداذية» و «جرير بن جرير» . ويذكرون كذلك  
«النباش» للجيلالي امتيرد و «العيواجية» للكبير بن عطية و «الكهفية»

- 
- (1) انظر الفصل الثاني من باب الاعلام لدى ترجمة محمد بن عبد الله بن  
احسماين وكذلك الفصل الثالث لدى ترجمة الجيلالي امتيرد .
  - (2) انظر تحليلها في الفصل الثاني من باب «الموضوعات» (ملاحظة) .



لغائم القصرى و «النمرودية» للغرابلى و «البغدادية» للمكى —  
القرشى ؛ ولكنه لم يبق من هذه القصائد الا الاسم ، والسبب أمران :  
أولهما : انها قصائد طويلة يمكن ان يطلق عليها : «ملاحم» ومن شأن

القصائد الطويلة أن يقل حفظها والا يقبل على سماعها فتضيع .

الثانى : ما ذكره الاستاذ محمد الفاسى حين قال : « وقد كان رجال  
الاستعمار أيام الحماية يمنعون انشاد هذه القصائد فى الاسواق ، وكان  
المراقبون اذا تقدم لهم أحد المداحين يطلب الاذن فى السفر للتجول فى المدن  
والقبائل قصد ترويح بضاعته اول ما يسألونه عنه هل يحفظ «الغزوات» فان  
أجاب بالنفى اعطى الاذن والا منع لانهم كانوا يخشون بعث العاطفة الوطنية  
والدينية فى النواحي التى كانت ماتزال بعيدة عن اثر الدعة الاستقلالية» (1)

#### خامسا : الرمز (2) :

ويتمثل فى ثلاثة جوانب :

(1) رسوم الوشم ، وتصور حيوانات وأسلحة وإبطالاً وبساتين ، وهى  
وغيرها أشياء يقصد الشاعر أن يرمز بها الى مختلف حالات المحب ،  
فالغزال للهجر والنفور ، والخيول والاسلحة لمدى القوة والمقاومة ،  
والاغراس والورود للوصال .

(2) الجفريات : وهى القصائد التى تأمل فيها الشاعر أحوال المجتمع  
والناس واستعرض المفاكر والعيوب ، ولكن فى رمز وإشارة وتلميح .  
وغالبا ما يلجأ فى ذلك الى الحيوانات ، فيمثل بالضفادع والذئاب  
والبوم للسفلة الذين غدوا سادة وبالسباع والنسور لكبار القوم  
الشرفاء الذين أذلهم الدهر .

(3) بعض قصائد الخصام كـ «النجمة» للفيلسوف (3) ، وهى تمثل خصاما  
بين الليل والنهار وصراعا من أجل الفوز بالنجمة ، وهى قصيدة

---

(1) مقال «الادب الشعبى المغربى الملحون» مجلة البحث العلمى - عدد 1

سنة اولى . يناير - ابريل 1964 .

(2) انظر الفصل الثالث من باب «الاعلام» لدى ترجمة العميرى .

(3) انظر تحليلها فى آخر فصل «مع الناس» من باب الموضوعات .

وطنية رمز الشاعر فيها بالنجمة الى الحرية وبالليل للاستعمار  
وبالنهار للوطن •

والجدير بالإشارة أن الشاعر لا يلبث في قصيدته أن يفك الرمز  
ويخرج منه الى التوضيح والتصريح بالرأى والفكرة وهو ما يطلق عليه  
الاشياخ النقاد «الدسيس د المعنى» كأنه يدس المعنى للسامع حتى لا يظل  
يبحث عنه ويحاول الوصول اليه او ما يسمونه «تيحسس على المعنى» ومن  
الامثلة على ذلك ماورد في قصيدة جفرية لعبد الله اعلى يقول في أولها  
رامزا الى أن الاحوال تغيرت وأن الدنيا صفت للسفلة فغدوا سادة :

فرعنت اليوم اعلى البيزان اتولت •

بينت انيابها ودركت الصولا •

والسبع اخشى امن الضبع بعد الزهرات •

لزم التحدير خاف من ولد الغولا •

ويستمر كذلك في رمزه بالحيوانات ثم يكشف في الآخر عما يقصد

اليه من نقد لواقع الناس والزمان فيقول :

لمساجد كنعود افلنعات •

ترجع لقوام عن القبلا مشغولا •

يقوا لبنى عند لتجار لطغات •

ويكثر المال ولثياب المشكولا •

الى جانب هذه الفنية وتلك البراعة والمظاهر البلاغية نلاحظ عند اشياخ

القصيدة الزجلية لمحات نقدية مختلفة نستطيع أن نجعلها في فرعين :

أحدهما خاص بالشعر والثاني بالشاعر •

أما ما يخص الشعر فيتمثل في تقسيمهم له من حيث جودته ووضوح

معانيه وأفكاره واستقامة وزنه الى الاقسام التالية :

(1) كلام بالغ : بمعنى بليغ

(2) كلام مرصع : بمعنى منمق جميل (مرصع)

(3) كلام ابيض : بمعنى بسيط واضح المعاني لاغموض فيه

(4) كلام اكحل : بمعنى معقد وصعب

(5) كلام امسلس : بمعنى مستقيم لا كسر فى ميزانه

ونظروا الى الشعر بعد هذا من حيث لغته فاعتبروا من عيوبها استعمال

الاعراب والكلمات الفصيحة أو ما اطلقوا عليه «البرص» (1) .

**وأما ما يخص الشاعر** فيتمثل فى تفريقهم بين السجى والوهبى أى

بين صاحب السجى والموهبة . وعندهم أن السجى هو الذى ينظم شعرا

فيه عواطف ومعانى وأفكار . وفرقوا فى السجى بين أنواع ثلاثة :

**الاول** : المنقول وهو ان يروى الشاعر ما فى الكتب وينظمه كما هو

الشان فى قصائد مولد الرسول عليه السلام ووفاته ، وهى

قصائد تحكى ماورد فى السيرة النبوية .

**الثانى** : الهبى وهو أن يصف الشاعر الواقع وينقل الحقيقة كما فى

المحاورات .

**الثالث** : الغيظ وهو أن ينقل الشاعر احساس نفسه وانفعالاتها كما

فى القصائد التى تملأها العاطفة سواء كانت عاطفة حب أو دين .

أما الوهبى فهو الذى له قدرة على النظم فى سهولة ويسر ، دون أن

تكون له عواطف ومعانى وأفكار . ومن هنا قالوا «لامعرب على وهبى» أى

لاجدوى من مناقشته فى المعانى .

ويذكرون أن من الشعراء الوهبين أحمر المريق وهو من كبار أشياخ

مراكش المعاصرين (2) . وكان يملئ على حفاظ شعره فى وقت واحد خمس

قصائد أو أكثر ، وكأنه المدرس يملئ آيات القرآن الكريم على التلاميذ فى

الكتاب . وذكر لنا الشيخ محمد بن عمر المراكشى أن من الأمثلة على شعره

الوهبى قوله فى قصيده من باب (السما فوقنا والارض تحتنا) :

شموف اولاد اليوم من كثر لحرام اعموا

ماقبطو فيمانهم غير الله ايداوى

---

(1) وهو كالتزنيـم بالنسبة للموشح والزجل (انظر العاظمى الحالى الورقة 17 ظهر و 18 ظهر) .

(2) كان من جلساء السلطان المولى عبد الحفيظ . توفى سنة 1365 هـ ، ولقب بالمريق لانه كان دائما فى حالة جذب يبلل الريق لحيته .

وايلا غاب الصبح لاطبيب ايداوى بدوا

واش المركب دون رايس وقومانو بر ساوا

واش لغنم ابدون سارح ترعى لخطاوى

ويعتبر الشيخ محمد الجابري في فاس كالشيخ المرياق في مراكش ،

اذ يحكون عنه أنه كان درازا وكان يملئ على صناعه اكثر من قصيدة في

الوقت الواحد وهو امام منواله ينسج •

وكما فرقوا بين السجاي والوهبي فكذلك فرقوا بينهما وبين نوعين

آخرين من الشعراء ، هما : السلاخ والمساخ •

أما السلاخ فهو الذي يسطو على شعر غيره فيحتفظ بالمعاني ويبدل

في الالفاظ ، ويطلقون عليه كذلك «الخياط» أي الذي يخييط ويربط بين

ما يأخذ من هنا وهناك ؛ وقالوا في أمثالهم عن عمله «اخياطا مزيانا احسن

امن اسجيا امذبرا» يقصدون ان خياطة مثقنة خير من سجية غير ناضجة •

وأما المساخ فهو الذي يسرق شعر غيره ويمسحه بمحاولة القلب في

المعاني والالفاظ •



الفصل الثالث

---

المعروض

## البحرور

يظن كثير من الناس انه لاحد لبحور الزجل ولا حصر لها ، وأن «صاحب الف وزن ليس بزجل (1)» . ويظن آخرون أن عروض الزجل محدود لا يخرج عن نطاق بحور الخليل ، وأن من الممكن تطبيق تفعيلات هذه البحور وأوزانها عليه .

أما أن بحور الزجل غير محدودة فقول لا يخلو من مبالغة وتهويل وتعجيز . حقا ان الزجالين - سواء في المغرب أو غيره - نظموا اشعارهم على أوزان لا نجد لها مثيلا في العروض العربى الذى حدده الخليل ، وحقا كذلك انهم مزجوا فى الزجل الواحد بين أكثر من وزن ، وهى ظاهرة تبدو معها بحور الزجل كثيرة وجديدة وبعيدة عن العروض العربى ؛ ولكننا مع هذا لا نرى لا نهائية لتلك البحور ، بل على العكس من ذلك نحس ونحس هذا لا نرى الى ما ينشد عليها - مهما كان جديدا - أنه لا يختلف عما الفنا سماعه فى الشعر المغرب ، تكييفه نفس الروح ويضبطه نفس الايقاع ، بل نحس - فى ظن غالب - ان الذوق العربى العام يستسيغ موسيقاه ويطرب لها ويرتاح حتى عند الذين لا يفهمون كلماته .

وأما أن أوزان الزجل محدودة فى نطاق العروض العربى لدرجة امكان تطبيق تفعيلات الخليل عليه ، فقول نراه بدوره جانب الصواب ، والسبب أن الذين يذهبون اليه يغفلون أمرا لعله أهم عنصر فى هذا الشعر ، الا وهو موسيقيته التى لاتتيح مثل ذلك التطبيق ، بل تتكسر وتضيع لمحاولاته . وليس يخفى أن فى تفعيلات الخليل وما نشأ عنها من أوزان جانباً صناعياً أساسه الاسباب واللاتاد وما تنعرض له من علل وزخافات . وقد بلغ هذا الجانب عند القراهدى - وهو جانب تأثر فيه بعلم الصرف ومقاييسه -

---

(1) هو قول شائع ، وقريب منه ماورد فى «العقيدة الادبية» من ان «الحافظ لالف وزن فشلان» (الورقة 24 ظهر) .

درجة جعلته يعتبر «مستفعل لن» و «فَاع لاتن» تفعيلتين مستقلتين عن «مستفعلن» و «فاعلاتن» مع ان الايقاع واحد . بل اكثر من ذلك نجد العروضيين يفترضون لبعض البحور اصولا تطورت عنها كقولهم فى المديد أن اجزاءه ثمانية هى :

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن (مرتين)

ولكنه لم يرد فى الشعر الا مجزءا حيث سقطت التفعيلة الاخيرة ، وكقولهم فى الوافر ان اجزاءه ستة ، وهى :  
مفاعلتن مفاعلتن (مرتين)

ولكنه لا يرد صحيحا حيث تقطف عروضه فتصير مفاعل ، ثم تحول الى فعولن .

ومثل هذا وذاك يقال فى الهزج والسريع والمضارع والمقتضب ، بل انه لا تكاد توجد قصائد على الوزنين الاخيرين ، ولم ترد فيهما الا ابيات متفرقة ، لعلها بقايا أوزان عربية قديمة ، مثلها فى ذلك مثل الشواهد الشاذة فى اللغة أو النحو أو غيرهما ؛ ومن يدري فقد تكون من اختلاق بعض الرواة العابثين الذين كانوا يحاولون اثبات سعة روايتهم وارضاء الامراء والخلفاء واتحافهم بالطريف النادر ولو باختلاقه . ومع ذلك نجد الخليل يعتمد هذه الابيات المتفرقة القليلة ويعمل فيها صناعته ويضع لها وزنا وأصلا لهذا الوزن .

لذا ، فانه ليس من السهل القول بأن الزجل يسير على التفعيلات العربية ، او بالاحرى انه يسير عليها فى تناسقها المعروف . ومع ذلك فمن المؤكد انه يخضع لايقاع العروض العربى وليس الى أوزانه وتفعيلاته ، فأوزانه تختلف ، وتفعيلاته تنباين فى العدد والمقدار . وهذا ما يجعل من الصعب ، بل من المستحيل ، أن نزع أن هذه القصيدة او تلك من بحر الكامل أو الوافر أو غيرهما . ولو عيىء للاوزان المجزأة من يحصيها ويدرسها وينظمها لا يمكن ارجاع بعض قصائد الزجل الى أنماط من هذه الاوزان .

ويزيد فى خطأ الرأى الذى يذهب الى ان اوزان الزجل محدودة أن

اتخاذ مثل هذا الرأي يقتضى بادئ ذى بدء حصر كل النصوص الزجلية ،  
اذ عملية تحديد الاوزان لا يمكن ان تتم الا بعد جمع هذه النصوص واستقراء  
ماتيسير عليه من بحور \* ومادامت هذه العملية غير ممكنة ، طالما ان ما بين  
ايدينا من نصوص لا يمثل الا نسبة ضئيلة مما انتجه الزجالون ، فمن العبث  
والخطأ أن نسطر احكاما مسبقة ونحاول اخضاع الازجال لها ، وانما العكس  
هو الصحيح والصواب ، أى أن نستقرى ما عندنا من ازجال ونحاول أن  
نستنبط منها احكاما ونستخرج قواعد \*

ثم انا لانرى جدوى - ونحن نريد أن نتعرف الى عروض القصيدة  
الزجلية فى أن نثبت مطابقتها أو مخالفتها للعروض العربى المعروف ، طالما  
أن لاشياخ الزجل التقاد ميازين تعارفوا عليها ، نرى من الانفع والاجدى أن  
نعرضها ، بعيدا عن أية مقارنة بالبحور العربية أو حتى مقاييسها وحركاتها  
الموسيقية ، لان ادراك نسب الايقاع وابعاده فى الزجل يقتضى الاستماع  
اليه ودراسته ملفوظا ومغنى به ، وهو شرط لايتوفر لنا الا فى حالات نادرة  
معروفة \*

وللزجالين المغاربة تفعيلات خاصة يزنون بها أشعارهم ، أساسها النغم  
والايقاع (1) ، يطلقون عليها «الصروف (2)» وهى نوعان :

(1) لعلها لاتخرج عما ذهب اليه اخوان الصفا فى الرسالة الخامسة من أن  
«فوائين الغناء والالحن . . . ثلاثة أصول وهى السبب والوتد  
والفاصلة \* فاما السبب فنقرة متحركة يتلوها سكون ، مثل قولك :  
تن تن تن ، ويكرر دائما \* والوتد نقرتان متحركتان يتلوها  
سكون مثل قولك : تنن تنن تنن \* يكرر دائما والفاصلة ثلاث نقرات  
متحركة يتلوها سكون مثل قولك تنن تنن تنن فهذه الثلاثة هى الاصل  
والقانون فى جميع مايركب منها من النغمات ومايركب من النغمات  
فى جميع اللغات من الالحن ومايركب منها من الغناء فى جميع  
اللغات» (رسائل اخوان الصفا وعلان الوفا ط صادر - بيروت -  
الرسالة الخامسة من القسم الرياضى فى الموسيقى ص 197 - 198)  
وقد استعرضت الرسالة بعد ذلك جميع أنواع الايقاع المركبة من هذه  
النقرات وانتهت الى أن منها ثلاثة مفردة وتسعة ثنائية وعشرة  
ثلاثية \*

(2) يطلق هذا الاسم اساسا على القطع المعدنية التى تتخذ مقاييس لوزن  
الكيل أمثال الكيلو ونصفه وما اليهما \*



1 - الدندنة : وهي قائمة على «دان دانى» وهو مقياس موسيقى صرف . ومن الامثلة على تطبيقها قولهم بالنسبة لهذا البيت من شجرة ابن على :

الا باكيا بسقامك شوفى اسقام حالى  
من قيس وارثو بعد افناه اغرام حب ليلي  
أدان دان دانى دانى يادان دان دانى  
أدان دان دانى دانى يادان دانى  
وقولهم بالنسبة لحربة «المزيان» للعلمى :  
حن واشفق واعطف برضاك بالمزيان  
لا اسماحا ميعاد الله يالهاجر  
دان دانى يادانى دان دان يادان  
دان دانى يادانى دان دان دانى

## 2 - مالى مالى :

ويبدو أنهم وجدوها لا تكفى وحدها لضبط الايقاع الموسيقى ، فأضافوا اليها بعض الكلمات مثل : «الرادا - العادا - سيدنا - للا مولاتى للا ٠٠٠» أو ما اليها مما يشدد به الميزان ، كما سبق أن رأينا فى الانشاد (1) . والغالب فى قياس الميزان أن يبدأوا بهذه الكلمات ثم يختتموا بـ : «مالى مالى» . ومن الامثلة على ذلك قولهم فى هذا البيت من «وردة ابن سليمان» :

لاتلومونى فى ذا الحال جيت نشهد وانودى  
ياعدولى فالمرت اسبابى خد الورد  
للا يامولاتى للا ويامالى مالى  
للا يامولاتى للا ويامالى مالى  
ومع ذلك فالشعراء حين ينظمون لا يقيسون بهذه «الصروف» ، وانما يقيسون ببعض القصائد المشهورة التى غدت نماذج أو شبه نماذج لهذا الوزن أو ذاك . ومثل هذا نلاحظه حتى عند المنشدين ، فانهم لقلة معرفتهم

(1) انظر المدخل

الموسيقية لا يدركون ميازين الانشاد الا بهذه الطريقة ، كقولهم ان «فضيلة»  
للحاج ادريس لحنش من قياس «الباكي» للتهامي المدغرى ، وكقولهم ان  
«وقت الزهو» لمحمد بن على على قياس «الزهو فبنات وشبان» للمدغرى  
كذلك .

والعروض عند الزجالين المغاربة يقوم على بحور وعلى أنواع من  
الميازين داخل كل بحر . وأطلقوا على البحور «لرمات» جمع مرمة ومعناها  
المثنوالم وهو الآلة الخشبية التى يستعمل النساچ والدراز ، وأطلقوا على  
أنواع الميازين داخل البحر الواحد «قياسات» جمع قياس (1) .  
ويمكننا تقسيم بحور هذا العروض الى اربعة أنواع هى :

1 - المبيت .

2 - مكسور الجناح .

3 - المشتب .

4 - السوسى .

اولا : المبيت (2) : أى القائم على عدد معين من الاشطار فى البيت وعلى  
عدد من الابيات يلتزم فى كل قسم من أقسام القصيدة ، وهو الغالب فى  
استعمال الشعراء . وربما كان أقرب من غيره الى شكل بحور الشعر  
المغرب ، ويتفرع هذا النوع الى أربعة أشكال من حيث عدد الاشطار التى  
تكون البيت :

1 - المثنى : أى الذى يتركب البيت فيه من شطرين ، يطلقون على

الاول «الفراش» وعلى الثانى «الغطاء» (3) . وله «قياسات» متعددة لاسبيل

1 أى القياس .

(2) واضح أن التسمية مأخوذة من البيت . ونجدها عند ابن على فى  
آخر «الموسم» حيث يقول : «من حبر معلم» \* يا حمام اروي المعنى لمبيتنا»  
ونجد عند الحاج عمارة فى آخر قسم من فاطمة :

«ياراوى لبيات عنى \* غنى اوصول لا تخشى من عديانى»

(3) من عجيب أنا نجد مثل هذه التسمية معروفة فى فن الموالم المصرى على  
حد ما نقرأ عند ميلاد واصف فى «قصة الموالم» حيث يقول : «أما  
مواويل القرش والغطاء» وينشدها أكثر من مغن فهى تنظم على طريقة  
«الموالم النعمانى» فى أسلوب التقفية الا ان كل قطعة تتكون من ثلاثة

الى حصرها ، أسأسها النسب الايقاعية فى موسيقى البيت \* ومن نماذجها:

أ - قصيدة «الحجة» لابن احساين ، وحربتها :

يالحضرا قولوا بالسر والجهار \* الصلا والسلام اعلى النبى المختار  
وهو أسهل «قياسات المثنى» ، سواء فى النظم أو الاداء ، ويطلقون  
عنه «قياس لمشركى» (1) ويصفونه بأنه «لحويط لقصير» أى الحائط  
القصير القصير ، وهى عبارة تقرب فى مدلولها من قول العروضيين فى  
بحر الرجزانه «حمار الشعراء» .

ومنه كذلك قصيدة «الهاوى» لابن على ، وحربتها :

ياالهاوى تهوا من لا ايليه سطوا \* تب ياراسى وارجع للغنى القوى

ومثلها قصيدة «فروح» للمدغرى ، وحربتها :

مانروح اللفراح ولاانروح بالراح \* دون راحت روحى حور اللوامح افروح

ب - قصيدة «زهرة» لبوعمرو وحربتها :

زورينى قبل الا نقبار \* ياهلال الدار زهرا

ج - قصيدة «الوردة» لابن سليمان ، وحربتها :

لاتلومونى فى ذا الحال جيت نشهد وانودى

ياعندولى فالموت اسبابى خد السوردا

د - قصيدة ابن على «صلوا على الصديق الصادق» ، وفى حربتها

يقول :

صلوا على الصديق الصادق جد الشراف نور العين

امام تنبيا بلقاسم محبوب ربنا الرحمان

هـ - قصيدة «الساقى» لامتيرد ، وحربتها :

---

مواويل كل موال على حدة يتحد الشطر الاول والثانى والثالث  
والسابع فى قافية وينشد كل موال من القطعة احد المغنين \* يبدأ  
المغنى الاول بالموال الاول وهو «الفرش» عارضا مشكلته فى الحياة  
فيرد عليه المغنى الثانى بـ «الغطا» شارحا رأيه الخاص فى قضية  
زميله \* أما المغنى الثالث فيعقب عليهما بـ «القفلة» او المغزى العام\*  
(انظر صفحة 57 - 58) .

(1) انظر الفصل الثانى من باب الاعلام لدى الحديث عن الحاج اعمارة .

الساقى وكض لريام رد بالك للنوبا لاتغيب عن مولاها  
كسب ياساقى راح الليل

ويلاحظ أن «الفراش» أطول من «الغطا» \*

و - قصيدة «الديجور» للمدغرى ، وحربتها :

شف الشكنايا شى اشكا ابهجرو شى بالتيهان شى ابعشغو واغرامو  
شى بانفرگا شى جايب لهديا يرحل ويكيم  
وفيها يلاحظ كذلك أن «الفراش» أطول من «الغطا» ، بل أكثر طولاً  
من «فراش» القياس السابق \*

ز - ومن المثني ما يبدو رباعى الاضطار ، وهو فى الواقع ليس أكثر من  
من «فراش» و «غطا» ، وأن قسم كل منهما قسمين ، على حد ما نجد عند  
امتيرد فى «انعيد اصيامى» حيث يقول :

انعيد اصيامى ، وانكلع كفارت لوزر  
عنقت اغزالى ، فالدجا حتى بان الحال  
وعلى حد ما نجد كذلك عند انشاوى فى قصيدة «صارم الطعن»  
وحربتها :

آش را من لاجرد صارم الطعن ، ويركب سفن لحروب وايعيط دانى  
هاحنا هنا ، ويكون ادراعو ابحال السانو

فالفراش هو قوله «آش را ... دانى» ، وهو مقسم قسمين :

والقطاء هو «ويكون ادراعو ابحال السانو»

أما «هاحنا هنا» فمجرد «تفريشة» شد بها الميزان كان يمكن الا يضيفها  
الناظم ويترك «الشدادا (1)» يقولونها او يقولون غيرها من العبارات التى  
يشد بها الميزان \*

2 - الثلاثى : اى الذى يتكون البيت فيه من ثلاثة اضطرار ، ومن

«قياساته» :

أ - قصيدة «عبله» لبوعمرى ، وحربتها :

---

(1) انظر المدخل حيث الحديث عن الانشاد \*

ايلا تعدبت اعذابى من انواجلى \* ويلايانا اهنيت واسعدنى فالى

اسبابى افلهنا اغزالى عبلا

ب - قصيدة «ذابل لعيان» للعلمى ، يقول فى حربتها :

روف ادابل لعيان \* يابو حجيين امعرقا اوزينا

زور لعشيق يراك امن التيهان ياغزيل

ج - قصيدة الحمري فى «التصلية» ، وحربتها :

حلى الله اعليك يلهادى خاتم لرمال \* عد ادواب البر والاسماك اللى فالمالى

العايش واللى امضى ومن هو مازال اكبيل

د - قصيدة «زينب» لابن على ، يقول فى حربتها :

يابدر ماغطاك احجاب \* فى ادجا ياشمس النهار السعيد يازنوبا

فاين العهد يازينب

ويلاحظ أن الشطر الثانى أطول من الاول والثالث .

هـ - قصيدة «راحا» للمدغرى ، وحربتها :

ياعيون المهر يا سالف الظليم اجيد الصياح

أطاوس بين ادواح ، يا قمر ساحى

اقطيب الياس أخذ الشقيق ياراحا

ويلاحظ أن الشطر الاول طويل وان الثانى قصير ، وهو تقسيم

التزمه الشاعر فى القافية ، أما فى الانشاد فالشطر واحد :

و - قصيدة «الباكي» للمدغرى ، وحربتها :

شهدوا بين ايلا فنيت وامضيت من الوجنا وخالها واخدود الجلاز

والشاما والخال والشفر \* لهوا خدوج ولغزال السعديا

ويلاحظ أن الشطر الاول جد طويل .

3 - المربوع أو الرباعى : أى الذى يتكون البيت فيه من أربعة أشطار .

ومن «قياساته» :

أ - قصيدة «باها» لحسون وتير ، يقول فى حربتها :

غاوى الباهى \* من ابها من لالها اشبيه

مولاتى باها \* الحايض اصغر وزين وجاه

ب - قصيدة «آمنة» للحاج محمد بن عمر المراكشي ، يقول فيها :  
أمینا حبك نیران \* اعلی نیران \* کادیا فاصمیم الوجدان  
فاصمیم اکنانی

ج - قصيدة «طامو» للعلمی ، حربتها :

طامو یابھیج الخدادا \* الحر المسرازا یاغایت لمجید  
دیری اللعاشق امرادو \* ینکی بک کل احسود

د - قصيدة فی «التصلية» لابن احساین ، يقول فی حربتها :

صلی الله امع املایکو عل لحبيب الساری \* وامر هل لیمان افلبشر  
بصلات الہادی امع اسلامو بایات اسوارو \* صلی الله اعلیه وافرا  
ویلاحظ أن الشطرين الاول والثالث أطول من الثاني والرابع .

ومثلها قصيدة فی «التصلية» للغرابلی ، يقول فیها :

لسم الله الواحد لعظیم الحی الجوادی \* ننشد حلا طیبها اشدا  
لسم الله اسما معظما بها یبدا البادی \* ویتال امرادو افما ابدا

هـ - قصيدة «فارحا» للمدغری ، يقول فی حربتها :

دسنی تحت لخلال بین ادروءک ملّاح \* واللبا والسدواح  
انهیداتک تفاحا \* انا خایف امن اعیونک ایجرحونی یافارحا  
ویلاحظ أن الشطرين الاول والرابع أطول من الثاني والثالث .

و - قصيدة «حجوبة» لابن علی ، حربتها :

یاللی زینک فآق الشمس والقمر افلحجاب \* صلتی بحروف اعجاب  
صغ لوجابی \* عالجنی بوصالک یالریم حجوبا

ویلاحظ كذلك أن الشطرين الاول والرابع أطول من الثاني والثالث .

4 - خامس نشطار أو الخماسی : ای الذی یتكون البیت فیہ من

خمسة أشطار . ومن «قیاصاته» :

أ - قصيدة «فاطمة» لابن احساین ، وحربتها :

قالت یما اتقول طامو \* قلت وأبیك یالطام  
یاقد اعلام فاللطام \* قالت ترا یقول طاما

ترات ایقول فاطما

ومنها قصيدة «فارحا» للمدغرى ، وفى حربتها يقول :

سلتك ببهاك يالرايح \* مالك سكران دون راح  
أنا عقلى امعاك راح \* بايت من ليعت لجرايح  
ساهر والناس رايجا

ب - قصيدة «أساداتى اولاد طه» للحاج ادريس بن على ، وفى  
حربتها يقول :

أساداتى اولاد طه \* برضاكم عالجوا الحال  
ياناس الجود ولفضال  
أنا فى عار للافاطما \* الزهرا الطاهرا  
وقد يختلط مع الثلاثى اذا ما ضم الشطران الاول للثانى والرابع  
للخامس ، ولكنه ليس ثلاثيا .

ومنها قصيدة الطيب الواسترى المعروفة بـ «تاج لملاح» ، وفيها يقول:  
رغبوا تاج لملاح فيا \* ايجينى غير بالسلام  
ويراعى صلت لكرام

لاخير فاللى اجفا احبيبو \* واغدر بعد لموالفا  
ومن هذا القياس ما قد يختلط مع الرباعى اذا ما جمع الشطران  
الاولان كقصيدة «زهرة» للغرابلى ، وحربتها :

أنا فى عارك أهلال الدارا \* ياكركب السحار  
يازهرت دوحى لزهار \* أما قاسيت امن امراير  
وانت لليوم هاجرا

ثانياً : متسور الجناح :

وفيه يتكون قسم القصيدة من أربعة اجزاء :

1 - المدخول : وهو عبارة عن شطر فى استهلال القسم لاغطاء له ،  
يبدو كالمطائر الذى كسر احد جناحيه . ويؤكد هذا التعليل فى التسمية  
أن الاضطار التى تأتى بعد المدخول غير مبيتة ولاغطاء لها فكانها هى الاخرى  
مكسورة الجناح .

2 - مجموعة من الأشعار القصيرة تسمى «لطيلعات» أو «لكراسا(1)»

3 - بيت على وزن الحربة وقافيتها كأنه تمهيد لها .

4 - الحربة أى اللازمة .

ومن الأمثلة على مكسور الجناح قصيدة «المزيان» لابن على ، وهذا

أول أقسامها :

1 - الدخول : ته بجمالك عل لقمار .

2 - لطيلعات : الشمس اتغير ايلا اتشوف زينك .

لبدر امن اجبينك والبان غار منك

اسبح من الظليم الوفرا

واضوا من لكواكب غرا

والحاجبين فوق الطرا

نحسابهم نرين

وامعرقين باثنين

واشفار فوق وجناك ناموا

3 - البيت :

اصوارمو استلو من لجفان \* واجفانك غلبو يافهيم شوف اجفاني

ولخدود اسبغهم الجلار \* عل لبياض احمرار

4 - الحربة :

ليا قال المزيان \* وصف هذا الحسن ياللى تهوانى

قلت يا دابل لشفار \* توصافك لايحصار

ومثلها قصيدة «غيثا» للحاج ادريس ابن على ، وقد بلغ من براعته

فيها أنه التزم قافية التاء فى كل القسم بل فى كل القصيدة ، والعادة أن

تنوع القافية داخل القسم وان تختلف من قسم لآخر كما سئرى بعد .

يقول فى القسم الاول منها :

1 - الدخول : عمدا اعلى لعشيق الكاوى كيفى ابنار لبنات

(1) ولكنها غير لكراسا التى يقدم بها للاقسام كما سئرى فى الجزء الثانى

من هذا الفصل .



2 - **المطيلعات** : مهما تقول نارو بردت واطفات

حين ينظر زين الخودات

كيرها زندت واكدات

حتى عاشق مسكين ماسطاب امنام اول قوت

غير ايشاهد لبنات كيشاهد بيان الموت

والزين اعلى المملوك ليس يرثي

سلطان كيجور ويعدل ويامو اعطاتو

3 - **البيت** : ونافساير اوقاتي \* نسعى ارضاه واقف ولانقول مليت

4 - **الخربة** : قولوا للاغيثا مولاتي \* رف بوصالك عل لعشيق يام الغيث

**ثالثا : المشتب :**

ويتكون القسم فيه من بيت يفصل فيه بين أول أشطاره وبقيتها  
بمجموعة من الاشطار القصيرة تسمى كذلك «لمطيلعات» فكان داخل البيت  
محشو بهذه الاشطار الزائدة ، وهذا هو الاصل فى التسمية اذ المشتب  
ما تملأ به «اللعوف» و «المضربات (1)» .

ومن الامثلة عليه قصيدة «التوبة» لابن سليمان ، وفى أول أقسامها  
يقول :

1 - **اول البيت** : ما فيها مايبقى

2 - **المطيلعات** : غير نعم الباقي

ياغفيل مالك شاقى

لاين تاتزيد احماقى

وين من غرتهم بالمال والنصر

ما فازوا غير ابلقبر

مانفهم فيها تدبير

آسعادت من دار الخير

نال سلوان

واعليه ماصعاب هان .

---

(1) جمع «مضربة» وهى المرتبة فى اللهجة المصرية .

3 - بقية البيت : وانت ارمئني لهلاكى فى ذا الاسواق

نلحقها مخلصا

اولا وجدت اعمارا

ويتضح لنا البيت بشبهه وقربه من الحربة التى تقول :

ياراسى لاتشفى

التاعب لايد من لفراق

لاتامن فالدنيا

ابناسها غرارا

ومنها قصيدة «قمر الدار» لعبد السلام الجربى ، وحزبتها :

واجب لى نعدار يذ لاتلوموى فى حال لغرام يذ أناسى مابيا

غير قهر الدار

وفى القسم الاول منها يقول :

1 - اول البيت : صاك ابعسكر جرار

2 - لطيفات : للطام اتانى

مايحن من تمحانى

ونانجيل وفانى

غير نرتى وادموع العين حايفا

من فوق الوجنات ساجفا

نعنى لسواقى

وهيجت نيران اشواقى

اولا وجدت الدايا راقى

اعجز طبى

والجسم صار امهيبى

اكسانى الظما ياناسى

3 - بقية البيت : جسمى استقام

واخلاكى كطعيا

اولا وجدت ايمارا

رابعاً : السوسى (1) :

ويتكون القسم فى قصيدته من ثلاثة اجزاء :

- 1 - بيت من شطرين يستهل به القسم .
  - 2 - مجموعة من الاشطار المرسلة دون تقييد فى العدد والوزن والقافية  
لايخضع لغير تسلسل الانشاد .
  - 3 - بيتان أو ثلاثة أبيات على نفس الوزن والقافية ، تكون كالتمهيد  
للحربة التى تتحد واياها فى الوزن والقافية .
- ومن الامثلة عليه قصيدة «الزمنية والعصرية» لحسن اليعقوبى ،  
يقول فى أول أقسامها :

1- بيت من شطرين : يا حضرا سمعوا ماصار

بين زوج ابنت افلحجار

2 الاشطار المرسلة : شابا عصريا بكرا

والاخرى زمنيا عذرا

فرجونى بين الحضرا

وكنت حاضرا

نصفى لخصامهم

نسمع العصريا

اتقول للزمنيا

يا جارتى اهتيا

سمعى منسى اخبار

من يوم اسكنت احدى جارا

وانتيا فاشفار

ياحسبى لله سالباً بخصامك جمع لفكار

عمرى ماشفت اتقول شئ مدرسا

ولا احضرت مجالسا

ولا اهواتك الدراسا

---

(1) بعض الاشياخ يطلق عليه «المزلوك» ومعناه فى الاصل الخيط الرقيق .

ايلا اهواتك

بك اعوار الناس

جارحا بلسانك فات لقياس

مشغولا بيا

ولا العنت شيطانك الشرير

خوذيني نصفك تتشتمى فيا

جهرًا بلا خفيا

فالستا ساعى لعشيا

عند اغروب النهار

قالوا للشتام النار

بلسانك قلت اعلى الشكارا

3 - بيتان : أ - مصحوبا ديما امعايا مملو ابلكتوب عل لفتخار

سابقا بالمعيار

كابرا أميا فالسب الغتب والزورا

ب - لالك المدرسيا فايقا عل لبكار

ياتسمعى لخبار

بالزمنيا غشيا اموخرا للورا

4 - الحربية : آش را من لارا لبنات يوم قاموا لكحار

زوج هيقات اصغار

شأبا عصريا وامع الحاجبا فالجورا

ويكثر السوسى فى قصائد «المحاورات» مثل «الحراز» و «الخصام»

بل يكاد يكون خاصا بها ، ولكن مع ذلك نبدى ثلاث ملاحظات :

الاولى : أن بعض قصائد «الحراز» نظمت فى غير السوسى مثل حراز

الشماوى ، وحربته :

شف حراز الريم حجوبا ❀

بارت احيالو واطفرت ابدات لجمال بعد العز ولعجاب

وحراز مولاى الحسن ، وحربته :

شف حراز الدامي كيف صار لو \* حتى بارت حيلتو وحزت ام ادلال  
وحراز خديجة للفلوس ، وحربته :

حراز اخديجا سابغ الشفر حرزها يامن اتسال عن شوف انجالي  
واغلبتو: بحياالى او حزت ولفى سابغ لنجال

**الثانية :** ان بعض قصائد «الخصام» نظمت فى غير السوسى مثل  
«العربية والمدينية» لمحمد بن على ، وفى حربتها يقول :

ما بين العربية امع لمدينيا حاضر افلخصام وامعاهم  
حتى اتعايرو ودار المعيار من بعد اخصام الباهيات فالصلح اجريت لهم  
**الثالثة :** ان قصائد نظمت على هذا الوزن ، وهى ليست من المحاوره

كقصيدة «الربيعية» لمبارك السوسى ، وحربتها :  
يوم الجمعا خرجو اريام من بهجت فاس البالى

سربات ايخيروا لعقل انحكيم غزلان  
يوم الجمعا خرجو اريام

ومثلها قصيدة «الجدول» للحاج الصديق المسفيوى ، وحربتها :  
لله يارسول سال الدامي واش ما عند خاطر باس

اما بعد هذا فيقال فى أصل تسمية هذا الوزن بالسوسى قولان :  
(1) انه نسبة لمبارك السوسى لسبقه الى النظم فيه ، مع ان الراجح لدينا  
أن الشيخ امتيرد هو الذى سبق اليه (1) .

(2) انه شبيه بالفرد السوسى المنسوب لمنطقة سوس ، ومعروف أن سكان  
هذه المنطقة مشهورون بالتجارة والاقتصاد ؛ ووجه الشبه ان الجزء  
المرسل فى هذا الوزن - على الرغم من عدم وجود تبين وتقفية  
لضبطه - يحتوى على مراكز يقف عندها المنشد فى ايقاع معين كأنه  
يعد الفلوس على طريقة السوسيين .

---

(1) حسب ما انتهينا اليه فى البحث .

## بناء القصيدة

### اسم القصيدة :

يسمى الزجال المغربي قصيدته «لقصيدا» أو «لقصيد» ويجمعها على «قصدان». يقول الجيالي امتيرد في آخر قسم من «خلخال اعويشا» :  
والى سالك عن ناظم لقصيدا    قل افصح اللغا الحبر الحيلالي  
ويقول ابن سليمان في آخر قسم من «المرعد» :

احافظ لقصيدا زد الثقلا اعلى لبهايم  
احضى اعقول لهل الدعوات الناكرين لحسان

ويقول المغراوي في آخر «التوسل» :

وامدحتك فسى باب روضتك ابهاذ لقصيد

ويقول المدغري في آخر بيت من «أم كلثوم» :

أنت ليا مملوك واغلامي    ونا كذاك لك احببيا خدى الخدها وقصيدى مقوم  
ويقول ابن علي في آخر بيت من «القرصان» :

وعلى الجاحدين حجا افقصداني

ويذايجول فاسلوع يلقاها اموضعا بشهدود وتبيان

ويقول العلمي في أول القسم الاخير من «كان الخلاقي هاني» :

احافظ قصداني    سلى اجوارحك قبل ايعموك لكفان

ويسمى كذلك «القطعة» على حد قول ابن علي في آخر قسم من «المحاورة» :

بلطفنا واسجيا جبت هذا القطعا بالفاظها ومعناهم

اذكي من الزهر واحلا من سكر ققلوب هل التسليم ولجود اتجيهم زقوم

### مقدمة القصيدة : السرابسة :

يقدم الزجال المغربي لقصيدته بقطعة قصيرة تكون في نفس البحر

يمهد بها لضبط ايقاع الوزن الذي سينظم عليه ، تسمى «السرابسة» (I)

والغالب أن تتكون من هذه الاجزاء :

I - أبيات تمهيدية يطلق عليها «الدخول» (2)

(I) لعل أصلها من انسرب وتسرب بمعنى دخل .

(2) انظر «الدخول» بعد سطور لدى استعراض أجزاء القصيدة .

2 - « ناعورة » (I) وهى أبيات قصيرة نادرا ما تكون أكثر من ثلاثة .

3 - بقية الابيات

4 - « الردمة » (2) وهى الشطر الذى يختم به ، ويكون كالفاصل

بين السراية والقصيدة .

وعند الاشياخ أن الذى لاينظم السراية لقصيدته لا يستطيع ضبط ميزانه بل لايعتبر شيئا ، وقالوا فى ذلك « من لا يوزن بسرارب ميزانو يبقى عايب » . ومع أنها تتفق مع القصيدة فى الوزن والموضوع فانها تختلف عنها فى الانشاد ، وقد سبق أن رأينا (3) مختلف أنواعها فى الانشاد ، وهى :

1 - السماوى .

2 - الحضارى .

3 - الكباحى .

4 - المزلوك .

ويلاحظ اليوم - نتيجة ضعف مستوى النظم والرواية - ان الشعراء لم يعودوا يقدمون لقصائدهم بالسرارب وان المنشدين لا يمهدون بها كذلك ، وان فعلوا فانهم يخلطون ، حيث ينشدون سراية هذه القصيدة لتلك ، حتى ولو لم تكن منسجمة معها فى الموضوع ، فكان أن تعطلت هذه المقطوعات وضاع أكثرها ، وما بقى منها ينسب فى الغالب لغير أصحابه أو لا يعرف قائله . ويطلق على السرارب التى يجهل اسم منشئها اسم «اسرارب أحرأمين» ، وكان بعد هذا أن بدأت السراية تنفصل عن القصيدة وغدت تعتبر عند البعض نوعا مستقلا من الزجل .

ونموذج لهذه المقدمة تمثل بسراية لحمد بن على جعلها تمهيدا

لقصيدته «دامى لجدار» يقول :

1 - المدخول

أقلبى كن عن امصابك صبار \* الصبر مفتاح الكنوز والمدخيرا  
محبوبك لا تعاتبو ولو جار \* وارتجا وصلو بعد السوايع لعسيرا

(I) انظر « النواعر » فى الحديث عن مقدمات الاقسام

(2) انظر « الردمة » بعد سطور عند ذكر العروبي (3) فى المدخل

لو طال الهجر لا غنى من لمزار \* يا لى ما جبت لهل لغرام سـيرا  
انشوف اجمالى واقفا انجيرا

## 2 - الناعورة

يا عمهوج لجـدار \* ما هو عمهوج الراتنع لقفار  
يا شنيار الصغار \* يا بدر اتجلى فكمال دارا  
يا كوكب السحار \* يا من حبو فى ساكنى اتوارا

## 3 - بقية الابيات

يا سالب مهجتي ولاجاب اخبار \* لا تشوق بصرى فى ذاتك لنيرا  
لا مان اطلببت امن الحال والشفار \* جرحوا ذاتى جرح اليلدا جبيرا  
ازدبت الكى عن اجراحي بالنار \* آش يطفى نارى واغصايصى اكثيرا  
واهوايا ما ستار \* لهوى طالب يفدى الثار  
هذا عشقى ولا وجدت ما نختار \* عشقى فاسميتى تفتار  
الا وقت اتجور على القلب نارو \* يشتد القلب امن اكدارو

## 4 - الردمة :

( توجدى كانقول يا ستار )

## اجزاء القصيدة :

يقسم الزجال المغربى قصيدته الى عدة اقسام ، ويطلق على عملية التقسيم اسم «لفصالا» (I) والغالب أن تبدأ القصيدة بمطلع يسمى «الدخول» ولا يعتبره من الاقسام ، تتلوه «الحربة» ثم تتوالى الاقسام بعد ذلك تفصل بينها الحربة فى الانشاد . والعادة أن يضمن القسم الاخير اسمه والصلاة على الرسول والدعاء للاشيخ والعلماء والمنشدين والهجو للخصوم ، وقد يشير فيه الى تاريخ النظم .

وبعض الشعراء لا يnehون قصائدهم بآخر قسم منها وانما يضيفون له جزءا يهتمون به قد يطول وقد يقصر ، ويطلقون عليه «الدريدكة» . وفيما يلى نتتبع كل هذه الاجزاء التى تتكون منها القصيدة :

---

(I) اشتق منها فعل «فصل»



**أولاً : الدخول (I) :** ويطلق على أول جزء من القصيدة (2) ، وسيتضح لنا من خلال النموذجين اللذين سنمثل بهما لبناء القصيدة في آخر هذا الجزء من الفصل ، وهما قصيدة «هنية» من المبيت لمحمد بن الحسن و «الذهبية» لانبجار من مكسور الجناح .

والجدير بالاشارة ان الشاعر الشعبي كثيراً ما يستهل الدخول بالبسملة أو الخطاب يوجهه لنفسه أو غيره ، والغالب أن يستهل بالبسملة في قصائد المدح النبوى والتوسل والتصلية والمعراج وما إليها مما يعبر عن عاطفة دينية . من ذلك قول محمد بن احسان في أول «تصليته» :

بسم الله ابديت حلتى يامن صاغ اشعارى \* محلاها مفتاح للشعر  
ومنه قول المغراوى في اول قصيدته له فى مدح الرسول عليه السلام :  
بسم الله الجواد \* به ابديت السلام \* عليك فى المقام  
ومنه كذلك قول العلمى فى توسل له :

بسم الفتح المعبود رب الوجود الودود الدايم المرشاد  
ومثله عند الفلوس فى أول قصيدته فى «سيدنا الحسين» حيث يقول :  
ابديت باسمك يا من هو اعليم لسراد \* فى امديح الماحى نور لعضا وليقين  
وعند عبد القادر الجرارى فى «المعراج» اذ يقول :  
ابديت بسم المولى لمقسم لرزاق \* رب لكوان الحق الدايم لحقيق  
اما الخطاب (3) فقد يوجهه لنفسه أو غيره .  
ومن الخطاب الذى يوجهه لنفسه قول المغراوى فى قصيدته «فى الشوق لمكة المكرمة» يحدث عينه وقلبه :

ابدل نومك ياعين بالسهر ولنواح \* احمل يا قلب اكسدارى

---

(I) نشير الى ان اصطلاح الدخول معروف فى الموسيقى الاندلسية وهو البيت الاول من الصنعة الخماسية والسباعية اى التى تتكون من خمسة أبيات وسبعة .

(2) ويطلق كذلك على أول بيت فى القسم .

(3) سنرى فى الفصل الثانى من باب الموضوعات ان الشاعر الشعبى لجأ فى الوعظ الى الخطاب (انظر الملاحظة الثانية فى آخر هذا الفصل) .

من هم الغريا والجفا وبعد لملاح \* أين عرفا يا نصارى  
هطلوا بالدمع ابصارى

ومنه قول المدغرى يخاطب «اللايم» :

الايم لاش اتلوم \* روح سالـم  
دعنى كف للام \* ما حجت امن اغرام  
بين خال وشاما

ومنه قول امتيرد يخاطب السائل فى «مصباح الزين» :

اسايل لا تسال ترك اجوابى واسؤالى \* وانظر حالت حالى  
وجهى يوريك ما فقلبى من غير اغشاشا  
ومنه كذلك قول الفلوس فى «حراز خديجة» يخاطبه المولع بالزهو :  
يا من هو مولوع بالزهو اتراجم لغرام صنع لبيات اسجالى  
واتأمل كيف اجرى القصة الحراز الختال

ومثله قول ابن على يخاطب «الشعمة» :

سلتك لله على شجرالك \* واعلاش باكيا مادالك  
واش كان قصتك واش انهوداك

**ثانياً : الحربة :** وهى اللازمة ، وبها تعرف القصيدة وتميز عن غيرها من القصائد التى قيلت فى نفس الموضوع ، ومكانها من القصيدة بعد جزء «الدخول» ثم تكرر فى نهاية كل قسم وبها ترد المجموعة على المنشد .  
ويزعم بعض الاشياخ ان اسم الحربة تحريف لـ «خروبة» ولكنـه افتراض لا يفهم منه ما يوحى باللازمة أو التكرار او حتى الانشاد والغناء .  
وربما كان أقرب الى القبول الافتراض الذى أبداه أستاذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الاهوانى من انها قد تكون تحريفا للخرجة المعروفة فى الموشحات والازجال الاندلسية .

والمفروض ان تكون الحربة على «قياس» ابيات القصيدة اى من نفس

الوزن ، مثال ذلك حربة قصيدة زهرة لبوعمرو وهى من المثنى :

زورنى قبل الانتقار \* ياعلال الدار زهرا

فان ابياتها تسير على نفس «لقيام» حيث يقول فى أول بيت من

القسم الاول :

مال قلبى يرمى بشرار ❖ شاعلا فى قلبو جمرا  
وهذه حربة قصيدة «فاطمة» لابن احساين من البحر الحماسى :  
قالت يما تقول طامو ❖ قلت وايبك يالطام  
يا قد اعلام فاللطام ❖ قالت ترا يقول طاما  
ترات ايقول فاطما

وفى أول بيت من قسمها الاول يقول على نفس «القياس» :  
قولوا لى اقوا ملامو ❖ لو كان انظرت بالنيسام  
مولاتى باشت الريم ❖ ما تلقى افلهوا املاما  
ولا تصغى املاوما

وقد سبق ان رأينا فى الجزء الاول من هذا الفصل انه فى «مكسور  
الجناح» يختم القسم ببيت يكون على وزن الحربة ويمهد لها ، وكذلك رأينا  
بالنسبة «للسوسى» حيث يختم القسم ببيتين أو ثلاثة على وزن الحربة وتمهيدا  
لها . ومثل هذا يقال عن «المشتب» الذى يكون فيه البيت على وزن الحربة .  
ومع هذا فانا نصادف «حربات» لا تتفق مع أبيات القصيدة فى عدد  
الاشطار ، ويطلق عليها : «الحربات المثنية» حيث يضيف لها الشاعر شطرا  
أو اكثر . ومن النماذج على هذا النوع ما نجده عند المغراوى فى «هول القيامة»  
وهى قصيدة مبيتة من فراش وغطا ، يقول فى أول اقسامها :

نعم القيوم خالق اكوان الكونين ❖ وسير امسيرها على وفق امرادو  
ولكنه أضاف فى الحربة شطرا ثالثا فقال :

صلوا وسلموا على شارق لنوار ❖ محمد شافع لسلام  
انهار البعث والقياما

ونجده كذلك عند الكندوز فى قصيدة مبيتة من فراش وغطا يقول  
فيها :

يا حباب انشالو صدوا مع الطريق ❖ كيف يزها لى عاد العيش  
فقد عمد الى حربتها واضاف لها شطرا ثالثا فقال :  
ياللى قبلتو الصادق الصديق ❖ خبروه ابحالى بكمال جودكم  
سيدنا محمد سيدى وسيدكم

ومثل هذا نصادفه عند الجراري في «المعراج» حيث يقول في أول

بيت من القسم الأول :

بعد تمجد المجد انوضح لحبر ❖ اعلى المعراج اصاح افليلت السرا

ويقول في الحربة وقد جعلها ثلاثية الاشطار :

الصلاة اعلى الهادي راكب لبراق ❖ سيدنا محمد لمشرف الصديق

من اسرى من حرم الحرم افلغسيق

وقد يضيف الشاعر أكثر من شطر الى الحربة على حد ما فعل ابن على

في قصيدة «الذرة» وهي مبيتة من قياض لمشرقي ، يقول في أول «الدخول» :

سبح المولى تسبيح اللسان والقلب ❖ وقدر المولى تقديس النجاء لقراب

ومع ذلك فقد جعل الحربة من بيتين فقال :

يا ساهي من نومك فق سبح الرب ❖ لمسا وانت تأيه افلغرور لسواب

الصلاة والسلام على اخيار لنسب ❖ سيدنا محمد طه اشقيع لعراب

**ثالثا : الاقسام :** وسننظر فيها من جانبين أولهما عددها وعدد ابياتها

والثاني مقدماتها :

#### 1 - عدد الاقسام والابيات :

قد يكثر في القصيدة عدد الاقسام أو يقل ، كما ان عدد الابيات داخل

القسم الواحد قد يكثر أو يقل حسب نفس الشاعر وحسب ما يقتضى الموضوع

وما عند الشاعر أن يقول فيه ودوافعه اليه ، وهو تحليل يطلقون عليه

«السبب والمعنى» .

والغالب ان يتراوح عدد الاقسام من اربعة الى عشرة ، وكذلك يكون عدد

الابيات داخل القسم الواحد . ومع ذلك فان عدد الاقسام قد يرتفع في بعض

القصائد التي تكون مادة موضوعها غزيرة متوفرة ؛ وقد وقفنا من هسائه

القصائد على اربعة هي :

أ - قصيدة «هول القيامة» لعبد العزيز المفاوي فانها تتضمن ستة

وعشرين قسما ، وهي التي يقول في حريتها :

صلوا وسلموا على شارق لتوار ❖ محمد شافع لسلام

انهار البعث ولقياما

ب - القصيدة «الفياشية» لمحمد الشرقي ، وتشمل تسعة وعشرين قصيدة ، وهذه حربتها :

انا مالى فياش ❖ آش اعليا منى

ج - قصيدة فى التوسل لعبد القادر العلمى تعرف بـ «الجمهور» بلغ عدد أقسامها اثنين واربعين ، وهى التى يقول فى اولها :

يا من يشفى اضرار عبود بعد السقم ❖ ويفرج من اقوات فالصدر احزانو

د - قصيدة «سيدنا الحسين» لمحمد العيساوى الفلوس ، فان عدد أقسامها خمسة واربعون ، وفى حربتها يقول :

يا حضرا سمعوا وفات نور لنوار ❖ ولد فاطما الزهرا سيدنا الحسين

أما بالنسبة لعدد الابيات فى القسم الواحد فانه قلما يزيد على عشرة . وقد بلغ فى قصيدة «الشمعة» للشريف مولاى التايك ستة عشر بيتا فى القسم الاول واحد عشر فى الثانى وثلاثة عشر فى الثالث واربعة عشر فى الرابع والاخير . ومثل هذا الاختلاف بين الاقسام شاذ ولكن الاشياخ يعللونه بـ «السبب والمعنى» كذلك . وسنكتفى بعرض القسم الاول وهو يحكى قصة النحلة على لسانها حيث تقول :

بلسان حالها قالت لى نحكى لك ❖ اشخى عما حملت من لـدراك
ويلا اتصيف شلا توصف فوصافك ❖ عن حالى وما كان لى اقبل لحراك
وانت اغرايبي عاودها بلسانك ❖ وضح ليفادا واشرحها بلغاك
واخبر بكرحتى فالناس الى سمالك ❖ لا تكتم سولان حدث امن اصغاك
ازمان كنت فقصر محبوبك امشاك ❖ واكذك انايا فصورت التشبهاك
بكمال صورتى صورنى صوارك ❖ شهدا معلوما افملك من لـملاك
بعمالتى انصول اسلطانى ما لك ❖ واجناد ابطالى اتروح التيباك
وظفرت بالسعادة فزمان امبارك ❖ ما ضاها ملاكتى املك لتـراك
وامنين راد ربي بالوعد السالك ❖ كسروا جندى ماتلا انفع لـمراك
وابهن فى ابساطى بهاز ابخالك ❖ كانوا يعتادوه ناسنا فتـراك
بعد لهلاك عصرونى عصرا محابك ❖ واهدت اعسولى اولوا وجدت افكاك
ولاوا دوبرونى بالصهد الهالك ❖ طرحونى حتى اصفيت للتدلاك

واصفات لوضايح وازجعت اسبابك \* ولى داي يا شميخي اكثر من ذلك  
 كالموا انت اعروسا لفتيلا تاجك \* بها يشرق نور مهجتك واضيالك  
 بها افكل حضرا يعلا مرتابك \* واعلى الزاهى ماتلا ايفيد اغلاك

## 2 - مقدمات الاقسام :

من براعة الشعراء ان يقدم لاقسام قصيدته بأبيات قليلة يمكننا تقسيمها  
 الى نوعين : احدهما «العروبي» والثاني «النوعى» :

### أ - العروبي :

وهو غير «العروبي» الذى تغنيه النساء والذى اعتبرناه نوعا مستقلا  
 من الزجل (I) . ويقولون انه كان فى الاصل يقدم به لاقسام المبيت المثنى  
 ولكنه لم يعد كذلك ، حيث نصادفه حتى فى غير المبيت . ويتركب من عدد  
 من الابيات تنتهى بشطر يتيم يطلق عليه : «الردمة» و «التديرة» و «التديلة»  
 وهى كلها كلمات توحى بمعنى الختم والانهاء .

وعند الاستاذ محمد الفاسى ان العروبي الذى يقدم به للقسم يتكون من  
 بيتين كل واحد منهما بشطرين يضاف اليهما شطر خامس (2) . وهذا تقييد  
 لا أساس له . حقا ان العروبي قد يكون محصورا فى القالب الذى ذكره الاستاذ  
 الفاسى ، على حد ما نجد عند الشيخ !متيرد فى «فاطمة» اذ يقول مقدمـا  
 للقسم الاول :

أنا يا فاطما احسانك ما نسمام \* و انت لحسان من تليثو من ناس  
 اكشفتى سرنا ولو حتى بغطاه \* عيار الحب طابعك كشف انحاس  
 حتى بنيان ماعلا دون الساسو

ولكننا وقفنا على «عروبيات» يتعدى ابياتها هذا التحديد، واثبات الدليل  
 يقتضى منا ان نعرض نماذج من هذه العروبيات ، وهى مكونة من :

I - ثلاثة ابيات والردمة كما فى «التطوانية» للحاج ادريس لحنش على  
 حد قوله فى عروبي آخر قسم من القصيدة :

ايا حماة دينا لعنو الشيطان \* هذا الغفلا اعلى اعداكم حتى ليس

(I) انظر الجزء الثانى من الفصل الاول من باب «الشكل»

(2) انظر مقدمة «الغانى القديمة لنساء فاس» .

ما تفتكروا انهار دخلوا التطوان ❖ وخرج فيها الكافر المسلميين  
وابقات الناس حائرا بين الطرقتان ❖ وهل ليمان كاتقول ابصوت احنين  
الله ايجود بالنصر لعلام الدين

2 - اربعة ابيات والردمة ، ونجدها عند العلمى فى «التوسل» حيث

يقول فى عروبي أول اقسام القصيدة :

يا من رسى اجبال وارصدها بصخور ❖ وابحور الطاميا ابقهرو محصورا  
ما يرشفها حفير ما يمنعها سور ❖ وافراتن موجهها افماها مكسورا  
واحجب ضو النهار بظلام الديجور ❖ واهزم لغسيق ابلعجر باهى الصورا  
يا عالم ما بدا وما تخفى لصدور ❖ سلتك بملايك لحجوب المشهورا  
احفظ ذات لهما من كل اضرورا

3 - خمسة ابيات والردمة كما هو عروبي احد اقسام «الجمهور» للعلمى،

وفيه يقول :

عبد القادر وصاحبو مول الخلوات ❖ بو وحشيا ومن افقربو من لسياد  
وعلى والحاج والاسعد باهى الخصلات ❖ سيدى عبد العزيز لمام الاستاذ  
يصرخ ويغيث ويحمى عند الحزات ❖ ويحل ابقدرت لمهيمن كل اعقصاد  
والشيخ الى ابراهنو كالشمس اضوات

مول البركا الظاهرا سيدى عياد

وارجال اخرين فى امانزلها اختفات ❖ اسألت ابحق جاهم خالق لعباد  
يوفى قصدى ولا يخيب لى مراد

4 - ستة ابيات والردمة على حد ما نجد فى نفس قصيدة العلمى السالفة

الذكر حيث يقول :

يابن عزو يا لكوكب الصدرى ❖ الحاج الطيبى اتوافى مظنونى  
العدويا وجارها سيدى بصرى ❖ والحزىو الصالحا والقرموسى  
سيدى النجار والاشقرثم البدوى ❖ والشبلى طيب الشذا زهر افنونى  
سيدى الجزار طلعت البدر الزهرى ❖ بوطيب منو شمس قلبى واعيونى  
والوالى ابن عبود والشيخ الحضرى ❖ والشيخ الجنان لا تجهل ملحوسى  
عطفوا عطفنا مختنرا تشرح صدرى ❖ وادعوا بدعوتى الله وعينونى  
عبد ارضاكم ما نظن اتهينونى

5 - احد عشر بيتا والردمة كما في قصيدة «سيدنا الحسين» حيث يقول  
الفلوس في عروبي آخر قسم من القصيدة :

مهما دخلوا اضريح لطيب المهتاد \* قالوا يا جدنا الهادي محمد  
لوريت شين صار بنا دون افناد \* في كربلا امع اجيوش الا تنحده  
قتلوا الانصار والاصحاب مع الاولاد \* وابن هاشم كلها يا محمد  
قتلونا دون حق فامهامه لوهاد \* واحنا فالشوم ولعطش يا محمد  
وقطعوا روس آل بيتك هل لعناد \* تركوا لشيخ افلوطا يا محمد  
سفكوا دم لشراف واعصوا الاحد \* سبوا على المرتضى يا محمد  
لوريت شين كان دار ابن زياد \* هو واهلو وشيعتو يا محمد  
طعن الحسين كل من كان افلجناد \* ولا رحموا اطفالنا يا محمد  
قطعوا راسو ولا اخشواو من الجواد \* داسوا بالخييل مهجتو يا محمد  
كشفوا حرير دون لعدا والحساد \* وبعدها اسبوننا يا محمد  
داروا لنا اقبال واغلال ولكيلاء \* ما شفقوا من احوالنا يا محمد  
وجهناهم للقوى يا محمد

6 - ثلاثة عشر بيتا والردمة (I) على ما نجد عند العلمى في «الجمهور» حيث  
يقول في عروبي أحد اواخر اقسام القصيدة :

اللهم ارضى اعلى خلایف عز الدين \* قد انجوم السما قد احماس الديجان  
قد اعداد لشجار واعشوب البحرين \* وما فالبجر امن اعجايب عل الموان  
قد اعداد لرمال فاقفار الارضين \* وما من هايما اتسبح اعلى لوطن  
اللهم ارضى اعلى ملوك الحرميين \* اعداد ما فكل تريا من بستان  
واعداد انسيم زهرها بعد الفجرين \* وانغام اطيورها اترج اعلى كعدان  
قداما سبحو السمارس وامقنيين \* والحرمل والسرند والطيح الحسنان  
ما غنى اليتروك وارقص بالجنحين \* مهما شاف لهزار لحسن بالترنان  
وما بات حمام اعلى البرج اينين \* باصوات امرخما اتبكى بالتحنان  
واعداد النحل والنمل وادوا باخرين \* وانوار اعلى لصناف بارزامن لغصان  
(I) لا توجد في النص الذي بين ايدينا ردمة لهذا العروبي ولكننا عرضناه  
على بعض كبار الاشياخ فدلنا عليها .



اللهم ارضى اعلى اهل السر المبين \* رضوان الا ينتهى عن طول ازمان  
ما حملت امن اخلايق اجواف الثقلين \* بملايك طايعا اوحش وانس وجان  
اللهم ارضى على كوكب هل ليقين \* ابا بكر الزكى وعمر وعثمان

وابن ابى طالب الافضل قوم الشجعان

ابن عم المجتبى الشافع فالعصيان

وانصر يا ذا الجلال لماس السلطان

ويلاحظ أن بعض الشعراء التزموا نفس «الردمة» فى كل عروضيات  
القصيدة على حد ما فعل الحاج ادريس لحنش ، فانه التزم قوله «الله ايجود  
بالنصر لعلام الدين» فى كل عروضيات قصيدته «التطوانية»

ب - **النوع (I)** : ويسمى كذلك السويرحات ولكراسا (2) :

I - الغالب ان تكون مكونة من ثلاثة ابيات قصيرة مكونة من شطرين  
أو ثلاثة أو اربعة فمن الامثلة على ذات الشطرين ما قدم به الشاوى فى  
أول قسم من قصيدة له فى «التصلية» حيث قال :

وجدو من هو حى واجــــــد \* قبل لوجود وظهر للمخلق اوجدادو  
جعلو محبوب احبيب ما جــــــد \* كرمو وفضلو واهدى به اعبادو  
ويح من اعصاه وكان جاحــــــد \* جهنم اجزاء فيها مقعــــــادو  
ومن السويرحة ذات الثلاثة أشطار قول المدغرى مقدها لاول قسم من

«الساحى»

(I) من لطيف المصادفة ان نجد عند الرباط فى «العقيدة الادبية» ذكرا  
للتاعورة تكون فى الموال يقول عنها : «صنعة التاعورة وتعريفها ان  
يجعل الناظم اربعة أغصان مواله رتبهم كل غصن خمس كلمات مطلع  
كل كلمة ميم ويجعل الميم حلقا فى الوسط ويطالع من الحلق مجرى  
كل كلمة فيصير الموال مثل التاعورة (الورقة 149 ظهر 150 وجه) .

(2) ج كرسى. ولكراسا فى مقدمات الاقسام هى غير الكراسا التى تكون فى  
مكسور الجناح والمشتب كما سبق أن أشرنا الى ذلك فى الجزء الاول من  
هذا الفصل .

وتجدر الإشارة الى ان الكرسى فى الموسيقى الاندلسية هو الشطر الاول  
من البيت الثانى من الصنعة الثنائية أى المكونة من بيتين ويكون ميمــــرا  
فى تلحينه .

شف البدر الواضـح \* بين النجوم رايبـح

لغروب رخف الجناح

وانجوموا لوضايـح \* بالفرح تدايـح

حسنت بنسيم الصباح

والديجور الجانـح \* تلقى اسريع اجوانـح

وهرب بخيالو وراح

ومن السويـرحة ذات الاربعة اشطار ما نجد عند امتيرد في «الكاس»

حيث يقول في تقديم أول قسم من القصيدة :

طاب اشراب كاسـي \* بوجسود لعناسـي

واحبابي وناسـي \* اجميع بالوجد ايميسوا

مصباح الغلاسـي \* داحت عن امياسـي

واتفاجا اكباسـي \* اكل عاشق بونيسـو

رتخا كل كاسـي \* واذهب شر باسـي

انصبـح انماسـي \* الكل سلوان اعريسـو

2 - وقد تكون مركبة من اربعة أبيات ، كل بيت :

أ - من شطرين كما عند عبد السلام الزفرى في «خلخال يامنأ»

حيث يقول في تقديم أول اقسام القصيدة :

ابقـات جـوالا \* لفكار وين تعمل هذا الخلخال

اهميم لا حالـا \* خوفى عليه من لعدو والعسـال

قلت بمقـالا \* عندي اخرايني فالصونا بقفـال

دون لسـالا \* بالزرد ولقنا وسيوف العسـال

ب - أو من ثلاثة اشطار على حد ما نجد عند العلى في «الساقس»

حيث يقول في سويـرحة ثالى قسم :

راح الليل اولـا ابقـي \* الا وقت لمعانقـا

كب ورا وارخى الرواق

والاطيار الناطقـا \* عل لشجار البامقـا

عمرت بلغاها اسواق

كَبِ الخمر الخارقا \* في كيسان ابناةا  
من زاج ابلاد العراق  
تظهر خمرا بارقا \* فللاوانى شارقا  
كلون اسحق الرماق

3 - وقد تكون مركبة من خمسة ابيات كما عند المصمودى فى مقدمة  
أول قسم من قصيدة «الجار» وفيها يقول :

ما يشبهنى عاشق الجـار \* بالحب سرت ديوانى واخلاقى اصفر  
نار الحب اقوى امن النار \* منها اعذاب قلبى يا صاح ينزبر  
من قوتها سارت اجـمـسـار \* بين لحشا اوسط المهجا وامع الصدر  
نار اتمادى فيه بشرى \* واعيت ما نلاهى وانكابد فالصبر  
جيت انزور احامات السـدار \* لا حى لا مونس لا غاشى لا خبر  
القسم الاخير :

قد يطول أكثر من بقية الاقسام ويتضمن فى الغالب اسم الشاعر  
وتاريخ نظم القصيدة واهداء السلام والصلاة والدعاء وهجاء الخصوم :  
أولا : ذكر اسم الشاعر : وقد يكون بالتصريح أو الرمز :

1 - فمن الذكر الصريح للاسم قول المغراوى فى آخر مرثيته للمنصور  
السعدى المعروفة بـ «لعزو» واصفا نفسه بالفصيح :  
وارحم المغراوى الناظم افصيح لعراب \* بالبلاغا غير الجهاد أيلفحو  
ومنه قول الحاج ادريس بن على فى «فضيلة» واصفا نفسه بالاديب  
وقصيدته بعذراء متوجة :

وختمت القطعا ايقول لاديب الحاج ادريس بن على بهاجر الذيل  
حلايا حفاظ صايلا \* كعداد تاجها امكلى تكليلا  
ومنه قول الحاج اعمارة فى «فاطمة» مشيرا الى أنه مقيم فى مدينة فاس:  
والاسم على اسألنى \* الحاج بن الحاج اعمارة ومكانى  
ارض الياقوتا الساطعا سلسالت لكرام

مولانا يدريس بن ادريس البدر الضاوى

الرضوان عليه عد مازاروه امن اقوام

ومنه قول عبد الرحمان القرى فى «زهرة» داعيا الله ان يحتفظ  
مدينته مراکش :

واسمى ما يخفى القـرى : عبد رحمان طالب لغنى فاشعاره  
يحفظ بهجتنا الحمـرا : إيجاه النـبى وازواجـه واصهاره  
ومنه قول الحاج عبد الفضيل المرينسى فى «جهنم الخودات» واصفا نفسه  
بالذكى وبأن خبره مشهور ومصرحا بتلميذته للنجار :

واسمى معروف الحاج عبد الفضيل المرينسى الاخفات اخباره  
الذكى تلميذ النجار

2 - اما الرمز للاسم فقد يكون بالحروف أو بالأرقام أو بهما معا :  
أ - فمن الرمز بالحروف قول الجيلى امتيرد فى «طرشون» رامزا الى  
الجيلى بالجيم واللامين وواصفا نفسه بأنه أفصح الاشياخ ورئيس الشعراء :  
قال افصيح لشيخ جيم الامين رايس الحبار  
ومنه قول امبارك السوسى فى «زهره» مستعرضا حروف مـبارك  
ومصرحا بالسوسى :

واسمى لى يقرأ ابينو ميم وباللعارفين تفسارو  
والرا امورخا والكاف افشهار  
والكنواسوسى

ب - ومن الرمز بالأرقام (I) قول محمد بن على ولد اريز فى «الطاهرة»  
واسمى اثنين وتسعين بالحروف ظاهرا : واصحاب ايجاد حاضرا  
والحرف الاول دفعو مشهور

(I) بناء على قيمة حروف أبجد ... وترتيبها عند المغاربة كالآتى :

80	70	60	50	40	30	20	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1
ف	ع	ص	ن	م	ل	ك	ي	ط	ح	ز	و	د	ج	ب	ا	

1000	900	800	700	600	500	400	300	200	100	90
ش	ظ	غ	ذ	خ	ث	ت	س	ر	ق	ض

وقد ورد فى القاموس المحيط للفيروزبـادى أن «المشاركة» يكتبونها على  
الترتيب المعروف فى اللغة الآرامية والعبرية وهو :  
أبجد هوز حطى كلمن سـعـفـص قـرـشـت تـخذـضـظـغ .

فائنان وتسعون هى مجموع قيمة حروف م ح م د بالاضافة الى انه ذكر رفع الحرف الاول .

ومنه قول مولاي على البغدادى فى «خدوج» :

واسمى ظاهر فاميا اشرح منهاجى تسبى البدھاج

فالعين بسبعين واللام بثلاثين ومجموعها مائة .

ومنه قول محمد بن على المسفيوى فى «المحبوب» :

واسمى فبجد محسوب يالمحبوب اربعا والخمسا والزوج فى احسابى

فكتابة الاربعة والخمسة والاثنين متتابعة ( 4 - 5 - 2 ) تعطى رقم

اربعة وخمسين ومائتين وهو مجموع قيمة حروف م ح م د ا ب ن ع ل .

ج - ومن الرمز بالارقام والحروف قول المذنى التركمانى فى

«الزهو» :

واسمى ما يخفى اشهر فبجد المن اقراه

(صين جب) والجليل من لا يسها وينام

فقد رمز بـ «صين جب» فالصناد يستين والياء بعشرة والنون بخمسين

والجيم بثلاثة والياء باثنين فيكون مجموعها خمسة وعشرين ومائة ، وهى

قيمة حروف ا ل م د ن ومنه قول احمد بن رقية فى «الشمعة» .

فى رمز النون اسمى يا سالك » زد جيم لى سالك

فقيمة النون خمسون تضاف اليها ثلاثة فيصبح المجموع ثلاثة وخمسين

وهى مجموع قيمة حروف ا ح م د .

ومنه ما نجد عند محمد العيساوى الفلوسى الذى كان يخفى اسمه فى

قصائده الوطنية بمثل هذه الرموز :

I - اسمى للل والبا امضمنا

أى بثلاثة لامات وباء ومجموع قيمتها اثنان وتسعون وهى قيمة حروف

م ح م د

2 - اسمى كعب

فالکاف بعشرين والعين بسبعين والياء باثنين فيكون مجموعها اثنين

وتسعين . ومن هذا ما نجده كذلك عند الشيخ محمد بن عمر المراكشى الذى

يرمز لاسمه فى الغالب بـ : «بمن» فالباء باثنين والميم بأربعين والنون

بخمسين ومجموعها اثنان وتسعون وهى قيمة حروف محمد .  
يلاحظ أن بعض الشعراء سكتوا عن اسمهم ولم يذكروه لا رمزاً  
ولا تصريحاً ، وهؤلاء هم المدغرى والعلمى والسلطان سيدى محمد بن عبد  
عبد الرحمان والسلطان المولى عبد الحفيظ العلويان .  
ويقولون عن السبب فى ذلك بالنسبة للمدغرى وسيدى محمد بن  
عبد الرحمان ان المدغرى كان صديقاً لهذا الامير الذى كان بدوره ينظم ، ولكنه  
لم يكن يريد ان يعرف عنه ذلك . وحتى تنسب قصائده للمدغرى طلب  
منه ان يعدل عن ذكر اسمه فى قصائده . ومثل هذه الظاهرة لو ثبتت -  
ستجعلنا نشك فى القصائد التى تنسب للمدغرى ، فان بعضها - على الأقل -  
من نظم سيدى محمد بن عبد الرحمان . ويذكرون من هذه القصائد -  
«عزبا وشابا» التى يزعمون ان الامير نظمها حين شاعده «بزقاق لحجر»  
فتاتين تطلان من الشباك ، وكان فى طريقه لزيارة الاضرحة بفاس على  
عادة الامراء والملوك العلويين ، وهى عادة لم تنقطع الا بنفى محمد الخامس  
سنة 1953 .

اما العلمى فانا وقفنا على قصيدتين يصرح فيهما باسمه ، هما :

أ - قصيدة «الشافى» وفى آخرها يقول :

وبالبحث عن اسميتى بعد السلوان \* عبد القادر اعلام رب الفوقانى

ب - قصيدة «سم الفتاح المعبود» ، وفى آخر شطر منها يقول :

وارحم نساج لقصيدة العلمى

واما المولى عبد الحفيظ فيعلن فى قصيدة «الزين» ان من عادته اخفاء

اسمه :

والناظم طبعو يخفى اسميتو فسجلا \* خذ صافى در وعقيان

ومثل هذا يقول سيدى محمد بن عبد الرحمان فى «الزهر» :

الحافظ ويلا سالك تالف العنوانى \* اسمى صونو بالكتمان

كذلك يلاحظ ان بعض الشعراء أشاروا الى اسمهم فى اول القصيدة أو

وسطها وليس فى الآخر . فابن سعيده فى «التوسل» يذكر اسمه فى البيت

الرابع من «الدخول» فيقول :

ابن سعيد السرى جد يالسلطان \* غر عنى يانجل ابن الدبيح طاها  
وامتيرد فى «لفصادا» يذكر اسمه فى وسط القصيدة على لسان الفائنات:  
قالت ازيام الحضراوين عز لشيخ \* لفصيح الجيلاى شندگ لغزارا  
على أن ذكر اسم الشاعر فى الزجل تقليد معروف (I) حتى عند المشاركة  
على حد ما نجد عند ابن مكاس فى وسط زجل له حيث يقول (2) :  
يوم وهو جاني بضججة \* وجبين معقود وعابس  
قال لى والله مانت حجة \* فى الهوى يابن مكاس  
تبقي تشكى لاي من جـا \* وآخرو ما قلت امس  
وعلى حد ما نجد كذلك عند ابن مقاتل فى آخر زجل له اذ يقول (3) :  
كم خصم فى المقاتل \* صابوا بن مقاتل  
وكم ذا فى المحافل \* قد أنشأ غصن حافل  
من حل بيت فى مربع \* ملحون بألف معرب  
وهو تقليد معروف كذلك عند شعراء أهل امصار المغرب من العرب  
اذ يذكرون اسمهم فى اول القصيدة كقولهم :  
قال الشريف بن هاشم على \* ترى كبدى حرا اشكت من اذيرها (4)  
.....  
تقول فتاة الحى ام سلاممة \* بعين اراع الله من لارئى لها (5)  
.....  
يقول بلا جهل فتى الحى خالد \* مقالة قوال وقال صواب (6)  
ثانيا : تاريخ نظم القصيدة :

- (I) فى «بلوغ الامل فى فن الزجل» ص 9 لدى الحديث عن ابتداعات الزجالين : «ذكر اسم الانسان نفسه على آخر زجله ويسمونه الاستشهاد ويثنى فيه على نفسه الثناء البالغ» .
- (2) روض الآداب للحجازى مخطوط آياصوفيا رقم (4017) الورقة 103 وجه.
- (3) المصدر السابق الورقة 101 ظهر .
- (4) مقدمة ابن خلدون ص 511
- (5) المصدر السابق ، ص : 518
- (6) المصدر السابق ، ص : 517

وقد يكون بالتصريح أو الرمز :

1 - فمن التصريح بالتاريخ ما سجل به المغراوي قصيدته في

«المدح والتوسل» حيث قال :

الشريف ورخ هذا القصيد السعيد     ليللة عشر والحساد  
سنة خمسة عشر والى عام     سلمك لله جود

2 - ومن الرمز اليه قول النجار في «الخلق» :

تاريخ النظامي ما اخفى اثلاثين المن يقرأه

القاف ونصف الرأ     زد الف تكمل حسابو للهادي تهديه

فاذا أضفنا الى ثلاثين قيمة القاف وهي مائة ونصف الرأ وهي مائة

كذلك اذ الرأ بمائتين ، وزدنا كل ذلك على الف يكون تاريخ نظم القصيدة

ثلاثين ومائتين والف .

ومنه قول الفلوس في قصيدة «سيدنا الحسين» :

خذ تاريخ النظم افعام - شرق - بجوار     ورمز - حا - و - الالف - وبعدهم ستين

فقد رمز ب - شرق - و - حا - و - الالف - فالثين بالالف والرأ بمائتين والقاف

بمائة والحأ بثمانية والالف بواحد ، ثم زاد عليها ستين ، وبذلك يكون

المجموع تسعة وستين وثلاثمائة والف .

ثالثا : اهداء السلام والصلاة والدعاء :

يقول ابن علي في -التصليّة- مهنيا سلامه للعلماء الفاهمين للقرآن

الكريم والاشراف والطلبة وأهل الوفاء والاحسان :

واسلامنا اعلى ناس العلم الماهرين فالبيين

واعلى لشراف واعلى الطلبة وهل لوفاء وهل لحسان

ويقول العلمي في «طامو بهيج الحنادا» يطلب من حافظ القصيدة ان

يهدي سلامه للمنشدين وأهل المعاني والطلبة .

أهدى سلامنا للنشادا أهل المعاني والطلبا يامن احفظ لقصيد

ويقول محمد بن الوليد في قصيدة له في «مدح المصطفى» عليه السلام

مهديا سلامه للخلفاء الراشدين ولاصحاب الرسول العشرة وازواجه

وللمهاجرين والانصار والابناء قاطمة ، ومصليا على الرسول الاكرم ، سم



مسلماً على الشعراء .

واسلام ربنا يتهيا فى كل حال دايم

اعداد ما فعلمو سبحانو ربنا العالم

وارضا على لخلافا

ابوبكر الصديق اعثمان اعلى اعمر

الى ايجهد فالسبيل امساك     وارضى للعشرا المهاجر الانصار  
واعلى اسيدنا لعراب التياك     والازواج ابجلا والطاهرين لقمار  
اولادلا بهم الاستمسك     الصلاة والسلام افكل ليل وانهار  
اعليك يالهادى طيب لمساك     قد لرياح قد ارعدها المطار  
واعداد القلم واللوح الفلاك     والعرش والكرسى وكندامياه لبچار  
واعداد ماخلق فالدنيا من ياك     دايم مادام الملك لغنى القهار  
بالطيب ولعبر وعبر وامساك     والسلام انهيبو للمهدين لخبار

#### رابعا : هجاء الخصوم :

ويطلقون على القسم الاخير اذا اشتمل على الهجاء «الزرب» تشبيها له  
بالسياج الذى يحيط بالحدائق والبساتين ويحميها ، فكان هذا الزرب  
يحمى القصيدة ويرد عن صاحبها الخصوم .

يقول ابن على فى «صلوا على الصديق الصادق» واصفا قصيدته بانها  
ديباج ودرة تضىء لم يملك مثلها سلطان ، وطالبا من حافظها الا يخشى  
المدعين العاجزين :

خذ ادباج ياحفاظ لدرار فى اسلوك الجين

درا على التراكى تضوى ماضم زيبها سلطان

يا حافظ اللغا لا تخشى داعى اعليه هاذى دين

لعديم عرفو مديانى والى اعديم ما يودان

فعسى الى انعرفو ما فجيابو الجين ولاعين

فخلاص ابن على ماد الوييقى ايجول كل اوطان

ويقول اميرد فى «خلخال اعويشا» يطلب من الراوى أن يصول

بقصيدته التى شبهها بالابريز وان يهمل الجهلة الجاحدين الفارغين الذين

لا يفقهون رمزا ولا يدركون معنى ، ومتألمًا لحال الفوضى الذي أصبح عليه  
الشعر بعد ان كثر مثل هؤلاء المدعين الذين لا موهبة لهم ولا فهم :

خذ ارأوى يبريز منظم —وم \* غنى اوصول بين ارباب اليضمار

والغنى من لا لو قول مفهوم \* عقلو اكفينج دهر ماجاب اخبار

قولو ما بين الناس مدموم \* ولا يشبهو متمد نكار

الجاحد اعماء ولادا يفادا ما بين اقماهر اللغا جبجو خالى

ما يفقه رمز ولا يحق معناه عكلى هرتال

اولا هي سباب لكلام وامضار اهلوا واتفرقوا وليس اجبر والى

واقوات البدعا ولججود كثره والفن اقلال

قل للداعى عادم لمواهب لو فيد كترت لوغا ما يقوالى

وقت اما شلا فى اعطاء يصدف دكت لبال

#### الدريكة (1) :

وهى حين توجد تتضمن ما يتضمنه القسم الاخير فى الغالب ، وقد  
تكون طويلة او قصيرة .

فمن الامثلة على الدريكة القصيرة ما يقول ابن على فى آخر «المزيان» :

ما تخفانى طرغان \* سالك فيها ببيان \* شفتها بعيانى

بالبكا والصوم اتكدار \* والفرغا والتفكار

والوهم امع الجولان \* والفرغ مع الصومان \* والسقام اكسانى

رقت النفس امثيل اشعار \* بسر الذات اشهار

والسمانى كترجمان \* ولا مثلى ندمان \* والطبع سيسانى

مايشع العاشق بسزار \* ايوصلو لو يهجار

ولا ينكر سولان \* ولا يرحم رقبان \* فالقصا والدانى

عفت لصحاب النور \* عازالوا فى لقطار

والاسم فالتبيان \* ابن عنى فالعنوان \* شاهر عنوانى

والسلام الالامت لجبار \* مافاح انسيم ازهار

(I) من درذك اذا ضرب برجله سريعا على الارض ، وربما سميت كذلك لانها  
تنشد بسرعة .

ومن الامثلة على الدريكة الطويلة قول الشاوى فى نهاية «التصليصة»  
مشبها قصيدته بعذراء يستعرض اوصافها :

- |                          |   |                                  |
|--------------------------|---|----------------------------------|
| صلى الله اعلى المهــدى   | ✽ | امام من ادنى وسيد امن اتنادا     |
| واعلى الخلفا هل المجدى   | ✽ | واعلى الصحاب واعلى الالاف ليعادا |
| اصلاة نونديها افنشمى     | ✽ | للصادق للصادق كهف التوادا        |
| من عشقى واشواقى اوجدى    | ✽ | وامحبتى وغيوانى وامعن هذا        |
| نتهاى العدى افرصى        | ✽ | فبساط هل المعنى دايرا وقادا      |
| تسقى هل لمحبا اصرخدى     | ✽ | واعلى اعشيقها تفجى كل انكادا     |
| بتيوت اتبيح نار فكدى     | ✽ | واكمال قدها يشبسه للطرادا        |
| واجبين ايلوح ونار تكدى   | ✽ | غرامع طواجب واعيون اسرادا        |
| والانف احكىطو طير فردى   | ✽ | والمرشقين قرمز واخودود اورادا    |
| والشعر اجواهر امن افرندى | ✽ | والجيد جيد مهرا تاكت شرادا       |
| وامعاصم كبرقين تزدى      | ✽ | واضعود كانعوت اصوارم لهنادا      |
| واصدر عشق المغروم يبدى   | ✽ | حقين فيه تنمايح خرق العادا       |
| والسرا من راها ايسودى    | ✽ | فمحاسن البطن تسلب هل لعبادا      |
| والخضر من خسران يفدى     | ✽ | واردافها اتردف والورك ازىادا     |
| وارفاغ افلون ارخام همدى  | ✽ | سيقان والقدام امن اوطاوه سادا    |
| بها رفرف فالجو بندى      | ✽ | فمنازل السعادا تاكت سعادا        |
| لرباب الفن السلام نهدى   | ✽ | بالصدق ولوفا وامعانى وايفادا     |
| والجاحد ما يقوى الجهدى   | ✽ | ايلا اظفى ابجهدو باقى يتادا      |
| ويح الداعى من نار وقدى   | ✽ | خلات فى اعضاه املاهب لهادا       |
| ويلا شال يمسى افكيدى     | ✽ | شدهام للمضايق عرت لوعادا         |
| امقلد بحسامى وزردى       | ✽ | يوم نوعى انهد امن ابغى يتماادا   |
| يعرفنى وامعايا وعندى     | ✽ | ليس نمشى انعرو كيف المرماادا     |
| لفظ ارباعى انظام امسدى   | ✽ | فمنازل الصفا برضات النشادا       |
| افحصن احماهم فاح ندى     | ✽ | واكملت بالرضى واثباتا وانجادا    |
| واصفا شربى من هل الودى   | ✽ | حبر الزمان حاشا مثلى يتعاادا     |

اراحم ترحم ضعف جسدى \* يوم التشور من زفرات الكهادا  
كمل لى ياكريم قصصى \* «هزم» (I) دوزو فزمام السعادا  
نمودجان الايفساح :

وهذان نمودجان لبناء القصيدة احدهما من المبيت والثانى من مكسور  
الجناس :

أولا : قصيدة «هنية» : للشريف محمد بن الحسن ، وهى من  
المبيت المثلث ومن أربعة أقسام :

#### 1 - دخول القصيدة :

يحسن عون العاشق لبها من حر الغيوان \* يحسن عونو كل حين نيرانومكديا  
بين الثلج امع الصهود واجمار الولفيا  
يحسن عونو بالمصادفا واصدود الهجران

كيف ابيات يصبح مايلوراخا قطعيا  
يتشكى من ملقاه وادموعو مجريا  
يحسن عون العاشق لبها والزين الفتان

يحسن عونو مايلواوقات يوجد اسليا  
ياك الزين السيوف له بالهجر مستقيا  
يحسن عونو لوايتيه تيه اشروود الغزلان

يلقى تيه الزين بالهجر للقاء اتهديا  
هذا حالو مايليه فاحكامو شرعا  
كيف املكنى من اصباى واترك لوني يرقان

قبل انشوف ابهاك الريم امامن كيا  
لسعتنى قبل لوصال الغزال اهنيا

#### 2 - الحربية :

نصر الله اجمال صورتك ادايل لعيان \* امبروم التيت لال لغزال اهنيا  
بك اغنمنا يالباهايا بشرا واهنيا

(I) رمز بذلك لاسمه فالهاء بخمسة والزاي بسبعة والميمان كل منهما  
باربعين فيكون المجموع اثنين وتسعين وهى قيمة حروف م ح م د :

3 - لكراسا :

اما من كيا ابنيـــــران \* بشواظها اضحييت انصارع نيراتي  
نصبح كيف اثبات سكرـــــران \* من غير خمر هايم والوجد افنانني  
واخبيري من هول ولهـــــان \* انراقب لوصال اهنيا يوفاني

4 - القسم الاول :

وماعن كهلى املت واحمول الحب ارزان  
يدريهم من به كان بالفركا مايبـــــا  
ايسلم عشقي اولا يزيد املام اعليا  
ومابحت ابما اخفى ودمع اعينوني طوفان  
وما ندهل ساكني اوروح الذات افهـــــيا  
فمسايغ لغرام صاك لي بجنود اقويا  
وما حرمت لمنام باشواقى من لجفان  
وما حرب بالحوش مير العشق اعليا  
وما من ليعات فالحشا منو مكـــــيا  
وماغرد فالبهيم طرفى ونا يقظان  
وما راقبت لالهال فغروب الذهبـــــيا  
يطالع كوكب هلتى امعاء ابغير اخفيا  
وما بحدث لوصال بعد انحدث ادهان  
تنزهي وانقول ياهلال الزين انتـــــيا  
مالكاونا غلام يابوتيت اهنيا  
ثم تتوالى الحربة والاقسام الباقية كل قسم بكروسيه ، ونذكر منها  
القسم الاخير وهو خال من الاسم والدعاء والهجاء نظرا لان بالقصيدة دريدكة،  
الصدر مرمر به يوصـــــان \* وانوابغو اتفافح زهوا ترضانـــــي  
والضعدين ابروق لمـــــزان \* اكفوف من الكمخا وارطب من فاني  
وامقاييس زندين البـــــان \* بخويتم الذهب تكليل اعقيانـــــي  
والبطن الطاوى اعلى اقماش الهنـــــداروان  
والسرا طاسا اوصافها فتناء امزـــــيا  
من لوريق انعوم فى اعتيق من الحميا

والرديف المالى امع لخصر وافخاذ السيقان  
 كن اسوراى فى اوصافها نفها كليـ  
 والساق المدعوج عن اقدام الوصف اهديا  
 لجمالك نهدي اعشور لوصاف ابغز وشان  
 وماوصف ابهاك ما اتحد اثناء اسجيا  
 لازلت امسلى ابصورتك صبحا واعشيا  
 نصر الله ابهاك ياوداد القلب اللهفان  
 ياقد اعلام المبارزا يوم المشليا  
 يامن لازلت اعلى اوصاف الحسن اصبيا  
 كب واملا الرايقا بالخمر الكيسان  
 هات لى حتى انقول فتمام الخمرىـ  
 بشرا واهنيا اعلى اقدم الريم اهنيا

##### 5 - الدريكة :

خذ اراوى روض لفتان \* فمديح لال بوقيتين اهنيا  
 بها زال الهول واهـوان \* صعبى واشهدت باللحظين اهنيا  
 بها سعد الفال وازيان \* سعدى وراحتى بعد البين اهنيا  
 ولفى من نهوا افتيهان \* وناثبالها فى تحصين اهنيا  
 واتماضت اهموم لحزان \* بوجود مالكى بدر الزين اهنيا  
 بودواح اسبيغ لجفان \* ذات لبها وحمى الرشفين اهنيا  
 بهنيا لازال فرحان \* قلبى اولايلى اعليها فين اهنيا  
 لاهنيا للذات سلوان \* هنو الريم كحل الشفرين اهنيا  
 اهنيا بها العنوان \* مختوم فى انهايت تضمين اهنيا  
 واسلامى من غير بهتان \* لهللها ولها فالحين اهنيا  
 اعقب اشدها افكل بستان \* يهدى انسيم طيبو من طيب اهنيا  
 قال ابن الحسن يعـلان \* مملوكها افزوج اتسعين (I) اهنيا  
 اشريف النسب المضمـان \* لازال فى امحبته تمكين اهنيا  
 واهل الجود احباب واخوان \* يتوادو ابطيب التفنين اهنيا  
 (I) يشير باثنين وتسعين الى مجموع قيمة حروف اسم محمد .

رادف اساقى املا الكيسان \* بوجود مالكي بدر الزين اهنيا  
ياربى وانت الرحمان \* اجعل لختام حسن ليقين اهنيا  
ثانيا : قصيدة «الذهبية» لانجار وهى من مكسور الجناح :

#### 1 - دخول القصيدة :

غدر كاسى يامديم قبل اتروح الذهبيا  
بوجود لامتى والقوم اللى لاموا  
ماجاوا لنا اخبـار  
قرب لى نسطاب فرجتى بعقيق الحميا  
بشرا اعلى الرضى كاس كب امدامو  
واحنـا ما بين الاشجار  
فى بستان ارفيع امحتفل وادوات الحسنيا  
فوق الروض امع الورد راها ترقص قدامو  
واتكلم فرغت لطيار

#### 2 - الحـربـة :

غدر كاسى يامديم قبل اتروح الذهبيا \* شف لبهيم حين اتكن بظلامو  
واهلب عن ضى النهار

#### 3 - عروبي :

اساقى ساعـت الزهو تحيى لقلوب \* واتسلى بالفراح بالشوق الجالى  
اساقى صاحب لهوا عقلو مسلوب \* مولوع بالريام والكاس المالى  
شف الحودات حين تاكت من لحجوب \* هاذيك الذى اتصـول بالذكر السمـالى  
ولا فاتو ابـحال ساعـت اليوم الـيالى

#### 4 - القسم الاول :

أ - دخول القسم (مكسور الجناح) :

لله فين توجد هذا الفرجا اليوم

ب - لطيلعات :

لما امحضر برباب وعيدان

بين لتشين امع الرمان

جالسين اريام اشبان

تحت لغصان

هذا الذاك سكران

ج - بيت ينتقل به للحربة :

واريامنا ايرقصو من غير اخفيا    هاجوا وهيجو قلبي صاب امرامو

وارشفنا كاس لعقار

وتستمر الاقسام الثمانية على هذا النحو ، ونقف عند الاخير :

خذ من الدر ولزمرد عقد انقيس    يحيى روض لعشيق ويشرح الجلاس

به انهد لوجود والى كان اعكيس    لنى حبر النظام معنى قياس

واسلامى للشياخ دهات التجنيس    بالندا امع لعبير عن ساير الجناس

من لاطاع لشياخ لابد يمساس

خذ لقماش يامن لاتدرك له سوم

محال اتوجدو فخرين اتجار

هدبه القوم الفجار

قل لهم قال انجار

هيت انجار

نغما الكل فجار

الى ادعا ابجهلو مافيه امزيا    شيوخ الكلاب حدو ينجح فخيامة

ما حملوه اهل لجدار





## نظام القافية

ويطلقون عليها «القافية» و «الحرف» .

يقول الجليلي امتيرد في سرابة له :

قالت ناس الشعر والقوافي « الزين ابلاقيه صورتو تعدا

ويقول ادريس المريني في ثورته (I) على قيود الوزن والقافية :

أنا بغيت ننظم والحرف ابدا يغور

اعلاه مايكون الشعر ابلا حرف

وقد كانت القافية فرصة للشاعر الشعبي ان يظهر براعته . واجماع

الاشياخ أن هذه البراعة تظهر في امرين :

**أولهما :** استعمال القافية على حرف واحد ، ووصفوا القافية التي

تكون كذلك بأنها على «مخها» اي لم يدخلها حرفاً آخر . وسنرى ان غير

قليل من القصائد سارت على هذا النوع من القافية الصافية اذا شئنا أن

نترجم المصطلح الشعبي .

**ثانيهما :** استعمال قوافي داخلية في البيت ، ويذكرون لذلك نماذج

فريدة : منها مانجد عند المدغري في «الحاجة» حيث جعله مكوناً من سبعة

حروف حيث يقول :

من بك قالى قلت الحاجا

حاجا

بحواجب نقشات خرقت لهـاج

واخدود طاهجا

واغوانـج

واجعابها افروج

---

(I) سنتحدث عن هذه الثورة في الفصل الثاني من الباب الثالث لدى

ترجمة المريني .

### اعلـوج

ومنها ما نجد عند هاشم السعداني في «الساقى» حيث جعل البيت

مكونا من أحد عشر حرفا ، يقول :

غـدر يـاساقـى

من امدامك نسقى

يا طيب لخلعوق

اسقيني بالريق

والرحيق

واشفق

من ذاتى الشايقا

وارحم من شاق

للملاق

ياك المعشوق

حق يوفى لعشيقـو

ويقول الاشباح ان عبد الهادي بناني زاد فنظم البيت في «الساحى»

مكونا من ثلاثة عشر حرفا. والاسف اننا لم نوفق في العثور على هذه القصيدة

أو حتى على جزء منها .

### القافية في الاقسام :

#### أولا : البيت :

1 - المثنى : يسير فيه نظام القافية على هذا النحو

أ - التزام قافية واحدة في الفراش والغطاء ( ١ - ١ ) ، وقد تكون :

I - بنفس الحركات كما عند الحاج ادريس لحش في «المرحسول»

وحركته :

الغادى للرباط هاك اسلامى لسيادى « اولاد الولى بن لمهيدى

2 - بحركات مختلفة كقول الشاوى في حربة «الوصية» :

يا لنايم فق امن النوم راقب الفجر الطالع

قم تغنم ربحك وتفوز ابلغنايم والطاعـا

ب - التزام قافية في الفراش وأخرى في الغطاء ( ١ - ١ ) كما عند

الجيلالى امتيرد فى قصيدة «ضيف الله» وحررتبها :

اضيف الله رد لجواب اصغى لى « لا تحشم رد السلام

وكما عند ابن على فى «الهجران» :

ايلا تهجرنى اخيلتى مصبرنى لجفاها

ويلا تاهت عن اوصالها مانقطع لياس

ج - قد تسير أبيات القصيدة كلها على قافية واحدة ، وقد تخضع

لبعض التغيير ، وخاصة فى «قياص لشركى» حيث تسير أبيات القسم على

قافيتين ، وتكون قافية الحربة على حرف الابات الاخيرة فى القسم ، ومثلها

قافية الدخول ، وتتخذ هذا الشكل :

1 - الدخول : ب ب (فى عدد معين من الابات)

2 - الحربة : ب - ب

3 - القسم الاول : ا - ا (فى عدد معين من الابات)

(فى عدد معين من الابات) ب - ب

4 - القسم الثانى ج - ج (فى عدد معين من الابات)

(فى عدد معين من الابات) ب - ب

5 - القسم الثالث : د - د (فى عدد معين من الابات)

(فى عدد معين من الابات) ب - ب

وهكذا يبدأ القسم بعدد من الابات على قافية جديدة ويعود للقافية

الاصلية التى تسير عليها الحربة ، ويسمى هذا التغيير أو بالاحرى هذا

الانتقال من قافية الى أخرى ثم العودة الى القافية الاصلية «السراح والرواح»

واشتقوا منه «اسرح وراح» (I) .

ومن الامثلة على ذلك «العرصة» للتهامى المدغرى .

يقول فى دخول القصيدة :

حل عينك واتنزه زرد شوف واسطاب « فى ادواح العرصا وازهارها اعجيبا

اغصانها بالفرجات اتعانقوا بتزحاج « كيف عنق لحبيب احبيب بعد غيبا

اتمايلو وعربطو فرياضهم بشراب « من اكيوس انداهم امرونقا اسكيبا

الزهر يضحك والطل بيكى افتنحاج « كن عاشق تضحك لبكاه شى احيبا

ولوتار اتجاوب بانغام عود وارباب « فيد عدرات اصوات اوتارها اطربا

(I) كذلك أطلق الاشياخ «الرواح» على نهاية القصيدة او نهاية القسم .

ويقول في الحربة

ياالعرضا صول فرحى ابطيب لطياب  
طيبك سيدي ولد الساكنين طيبا

ويقول في القسم الاول

شف لبلنزا صانت فى احضان سلطان  
قدما واقدرا باثنين زين فى زين

عاليا فسمها لها من لبها شان  
فى احجاب احببان مارات كيفها عين

غرسها ما حاط اوصفو البيب فوزان  
لو يزول اقمعتى انعوتوا سنين فسنين

فى ارياض الملك امربى ايصور واصحاب  
ولياه السلسا قجنداولو اعديبنا

امختت السيم الصبح بنسيمها الهباب  
كابرا افتربت طيبا طيبا اخصيبنا

ويقول فى القسم الثانى :

شف رنج التشمين اليم كن خودات  
من ابناات العربان الصايلات بالتييت

بالعقيق اعقيان امخمس اكلادات  
ابطالها من بهم ستغات دايم اتغيث

دى اتيه اعلى عاذى كابرات فخنات  
زايدات اعقول الى شافهم تشنتيت

الرحيل اعجبوك الراشكات لهداب  
فالهودج وهمارو رايدا انجيبنا

حايطابهم اسود السروت لنجاب  
ويح من شاط ايعاود قصتر اغريبنا

وهكذا يستمر فى بقية الاقسام يبدأها بثلاثة أبيات على قافية جديدة  
ويعود فى البيتين التالين لقافية الباء :

وليست كل القصائد تقتصر على ثلاثة أبيات ثم اثنين ، بل أنا نجد بعضها يسير على ستة بدل ثلاثة كما عند الجرازي في قصيدة «المعراج» مع ملاحظة أنه في قافية الابيات الستة لم يلتزم حركة واحدة، ونمثل لها بالقسم الثاني حيث يقول :

حين وصل للقدس وعاد في احماه  
ادنا الحلقت لنبييا بعد شافها  
ثم ربط البراق اخلفو اوراه  
زاد للمسجد احضرتو اينالها  
ثم صلى ركعتين ونال مبتغاه  
بعد صلى ترك البقعا وفاتها  
بعدها جبريل اباناء باش جاء  
من خمر والانا لخرا اختارها  
من الحليب اروى الساكنو اظماه  
قال جبريل الفطرا حزت فالها  
ليه نصب المعراج وقال في الغاه  
عول الجولا لا مخلوق جالها  
الى حضرت من اختارك دون من اسبق  
امن الرمدال الى نورك عنها اشريق  
ازداد شوق المحبوب اشاق للملاق  
حين صعد وجبريل امرنسو ارفيق  
اما الحربة فعلى حرف القاف كالبيتين الختاميين .  
وكما لاحظنا أن القافية في الابيات الاولى مختلفة الحركات فـ  
الغراش والغطاء فانا قد نلاحظ مثل هذا «القياس» ولكن بقافية مختلفة على  
هذا الشكل :

أ - ب

أ - ب

أ - ب

ج - ج

ج - ج

مثال ذلك قصيدة «الذرة» لابن علي ، وهي على حرف الباء في الحربة

والدخول

ما ينقصو في ملك الله ما يزيدو

أولا يليهم في ملك رب لشيئات تصراف

كيف شا يفعل ماشا ولحكام بيبدو

أولا حدث افساير لشيئا غير باش يعرف

كان فالملك اعلى درا بجل جودو

أولا تحملو درا ولا بحمل يوصف

غير احمل القدرا والقدرا من العرب

افلشيئات اقدرتو واعلى لشيئات غالب

كون الكونين وما من لكوان يوجب

افرض امن الدرا ما شا رب لرياب

على أنه ليس كل قصائد «قياس لشرطي» على هذا النمط في القافية

حيث نجد بعضها التزم قافية واحدة في كل القصيدة ، مثال ذلك قصيدة

للعلمي في «الحكم» يقول في حريتها :

زال تقليدو من صلى افخلف لمام » ايلا ايكون افسر اضميرو ايقين جازم

فقد التزم الميم الساكن في كل الابيات والاقسام .

2 - الثلاثي : ويسير نظام القافية فيه على هذا النحو :

أ - التزام قافية واحدة في كل الاشطار وان اختلفت الحركات على حد ما نجد

عند الفقيه العميري في «زهرة» حيث تتخذ القافية هذا الشكل :

أ - أ - أ

وهكذا في كل ابيات القصيدة ، وهي التي يقول في حريتها :

انت مكمولت لحاسن زهرا » يارياض امزخرف بشار

وانت زهرت الزهور وانت لغزال ازهيرو

ب - عدم التزام القافية في كل الاشطار ، وتتخذ ثلاثة أشكال :

1 - أ - ب - ب

وهكذا بأن تكون الاشطار الاوائل من حرفد والمسطرين التاليين من حرف آخر . مثال ذلك قصيدة «الزهو» للمدني الترمكاني ، فانه التزم حرف الهاء في الاشطار الاولى وحرف الميم في الشطرين التاليين ، على ما يبدو من التجربة التي يقول فيها :

الزهو افلكتوب الرقات أماقال الله : واصلات المختار والفجر في وقتو والصوم  
والحج الجهاد فالنصارى يوم المعلوم  
وعلى هذا النمط يستمر في كل أبيات القصيدة .

2 - أ - أ - ب

ومثاله «الساقى» لنفس الشاعر ، وفي حريته يقول :  
أساقى رادف الرحيق أعلينا ليام راضيا : بوجود الريم راضيا  
سلطان ارضي اعلى الرعى والزين الله ينصرو

3 - أ - ب - ج

وهكذا يكون كل شطر بحرف في كل أبيات القصيدة على حد ما نجد عند امتيرد في «هشوما» ، فقد التزم اللام في الشطر الاول والراء في الثاني والميم في الثالث ، يقول في حربة القصيدة :

غدر كاسى هات نوبتى يا ساقى واسقى الباهيا زينت نقط الخال  
لا تغفل عن رايت النصر : مصباح الدواعى ولغى هشوما  
ومثلها قصيدة «أم الغيث» للحاج ادريس لحش ، فقد التزم فيها الشاء فى الشطر الاول والميم فى الثانى والسين فى الثالث ، يقول فى حريتها :  
كيف اجبرى لى ياهل لهوا فى حضرت سلطانت النساء لغزال ام الغيث  
أشريف العذرات فاطما : ملوك الزين بينهم ضعت افكاسى

3 - السباعى : ويسير نظام القافية فيه على هذا النمط :

أ - التزام قافية واحدة فى كل الاشطار على هذا الشكل :

أ - أ - أ - أ - أ - أ

كما عند مولاي عبد الواحد فى «البتول» فانه التزم اللام فى كل الاشطار مع اختلاف فى الحركات كما يبدو من التجربة التي يقول فيها :

أجى بوصالك ما سخيت واتعالى \* يمداد صاحب الحال  
داوى اجوادح اعليلا \* أشوم ليعتنى من افراق البتول  
ومثلها قصيدة «فارحا» للمدغرى حيث التزم الحاء مع اختلاف كذلك في  
الحركات :

دسنى تحت لخلال بين ادروك لملاح  
واللبيا والبدواح  
وانهداتك تفاحا

حققت ايشرفنى اعينوك ايجرحونى يا فارحا  
ب - اختلاف فى قافية الاشطار كالتزام الاشطار الثلاثة الاولى لحرف  
والرابع لحرف آخر على هذا الشكل .  
ا - ا - ا - ب

ومثال ذلك قصيدة «طامو» لامتيرد ، فقد سار فى الاشطار الثلاثة الاولى  
على حرف الجيم بحركة واحدة وفى الشطر الرابع على الميم ، يقول فى حربة  
القصيدة .

طامو يا طامو الحجاج \* بك اقوى عشقى وهاج  
واسكن وسط اسيار لمهاج \* وارضىيت احكاممو  
مع ملاحظة أنه يسرح ويروح ولكن ملتزما بحرف الحاء فى أول ابيات  
الاقسام على هذا النحو من قوله فى القسم الثانى :

فالبهجا بين لملاح \* بها كل اعشيق داح  
طاب ارياض اشدها وفاح \* وعيقت ادواحمو  
ويستمر كذلك بضعة ابيات ثم يعود للقافية الاصلية فيقول :  
بحرى لام ادلال مهاج \* عذبي مارات اغنجاج  
نردع بها قوم اللجاج \* من لا يولاممو

4 - الخماسى : ويسير نظام القافية فيه على هذا النمط :  
أ - التزام قافية واحدة فى الاشطار الخمسة مع اختلاف فى الحركات  
على هذا الشكل :

ا - ا - ا - ا - ا



مثال ذلك قصيدة «فاطمة» لابن احساين ، فانه التزم فيها الميم ، يقول  
فى حربتها :

قالت يما اتقول طامــــو \* قلت وايبك يالطــــام  
ياقد اعلام فاللطــــام \* قالت ترا ايقول طاما  
ترات ايقول فاطما

ومثلها قصيدة «لغزال» للجيلالى امتيرد فانه التزم فيها الكاف ، يقول فى  
حربتها :

هل لى بالفارخا ايلاكــــى \* ويبوح حيها لخليــــك  
لاين بوصيدها اغليــــك \* لغزال الشاطنا اخلاكــــى  
ما هو فنجوع خالكــــا

ب - اختلاف القافية فى أشطار البيت ، وتتخذ مثل هذا الشكل :  
أ - ب - ب - ج - د

مثال ذلك قصيدة «أسادتى اولاد طه» للحاج ادريس بن على ، فانه جعل  
الشطر الاول على حرف الفاء والثانى والثالث على اللام والرابع على الميم  
والخامس على الراء ، يقول فى حربتها :

أسادتى اولاد طاهــــا \* برضاكم عالجوا الحال  
يا ناس الجود ولفضال

أنا فى عار للا فاطمــــا \* الزهرا الطاهــــرا

ومثاله كذلك قصيدة الطيب الواسترى «تاج لريام» فانه جعل الشطر  
الاول على حرف الياء والثانى والثالث على الميم والرابع على الباء والخامس على  
الفاء ،

يقول فى حربتها :

رغبوا تاج لملاح فيــــا \* ايحبنى غير بالسلام  
ويراعى صلت لكــــرام  
لاخير فاللى اجفا احبيــــو \* واغدر بعد لمواقــــا

### ثانيا : مكسور الجناح :

تخضع القافية فى هذا الوزن لنفس تقسيم القصيدة ، كما سبق أن رأينا ، وتسير على هذا النحو :

1 - دخول القصيدة - ان وجد - يكون على حرف قافية الحربة (أ)

2 - الحربة : على نفس القافية (أ)

3 - دخول القسم : (مكسور الجناح) على قافية مختلفة يلتزمها فى دخول كل الاقسام (ب)

4 - المطيلعات : وهى لا تسير على نمط معين داخل القسم الواحد ، وتختلف حروف قافيتها من قسم لآخر .

5 - البيت المهد للحربة ، يكون على نفس قافيتها (أ) .

ويمكن الرجوع الى النماذج التى مثلنا بها لهذا الوزن فى الجزء الاول والثانى من هذا الفصل ؛ ونضيف اليها هذا النموذج ، وهو قصيدة «الجلار» للمدغرى ، وقد بدأها مباشرة بدخول القسم ، فانه التزم حرف القاف فى كل الاشطار التى دخل بها للاقسام وجعل للمطيلعات قوافى دون تقييد داخل كل قسم وجعلها تختلف من قسم لآخر ، وسار فى قافية البيت الختامى على نفس قافية الحربة وهى الرء ، والتزم ذلك فى البيت والحربة فى كل القصيدة . يقول فى القسم الاول :

أ - الدخول : مهما اتخاضم العنبر والمسك العبيق

ب - المطيلعات : واهلال عيدو البرنى والغرار

ولدام أكاسى البلار

والموبرا شغل الحرار

واكداك فوق زخار

صارى اقويم

ج - البيت :

والطماج اعليها اتكابحوا بجهارا \* ايشمروا الحرب اسقارا

بينهم اعلى تاج الزين افلضامر \* شلا نحكى اليوم صزار

د - الحربة :

بين الزهر والجلال \* والظليم والحداد  
والرخام اتفاح اقوس والشمابر \* خرجوا على عانسي الكحاح  
ويقول في القسم الثاني

أ - الدخول : واسباب ما حكيت اخرجت افداج لغسيق

ب - المطيلعات : نسر في ارياض امفتح لكمام

صبتهم ايشيروا بكلام

في احروف امعاني واخصام

دون تدمام

عن عانسي ام احرام

جالو او جولو

ج - البيت

دخلوا ميدان كاخول الغار \* دالذا يعييط ورا  
بالمعاني واخصام اكثر ولماير \* ما حشمو ماتقاوا عار  
على أن من الشعراء من التزم في هذا «القياس» حرفا واحدا في قافية  
كل القصيدة سواء في الدخول أو المطيلعات أو البيت والحربة ، مثل الحاج  
أدريس بن علي لحنش في قصيدة «أم الغيث» ، فإنه التزم التاء في كل الاشطار  
والايات ، وقد سبق أن ذكرنا جزءا من قصيدته .

### ثالثا : المشتب :

يلتزم فيه الشاعر نفس القافية في البيت والحربة ، أما المطيلعات التي يحشو  
بها البيت فلا تنقيد بقافية سواء داخل القسم الواحد أو من قسم لآخر . وقد سبق  
أن مثلنا بقصيدة «التوبة» لابن سليمان و «قمر الدار» لعبد السلام الجبري  
في الجزء الاول من هذا الفصل وهما من خير الامثلة على ذلك ، ويمكن أن  
نشير لنظام القافية فيهما بهذا الشكل :

القسم : أ ( - - - )

أ - ب - ج

الحربة : أ - أ - ب - ج

### رابعا : السوسى :

تسير فيه القافية على هذا النظام :

- 1 - تلتزم فى كل الأقسام قافية البيت الذى يبدأ به القسم .
- 2 - لا تخضع الأشطار المرسلة لآى تقييم سواء فى القسم الواحد أو بين الأقسام .
- 3 - تلتزم قافية الأبيات التى يختم بها القسم فى كل الأقسام .
- 4 - تلتزم قافية هذه الأبيات فى الحربة أو بالأحرى تكون هى على حرف الحربة ، فهى تمهيد لها وزنا وقافية . ويمكن تحديد شكل هذا النظام كالاتى :

البيت : أ - أ

المطيلعات : دون تقييم

الأبيات الممهدة للحربة : ب - ب - ب - ب - ب

الحربة : ب - ب - ب - ب - ب

ويتضح ذلك من خلال القسم الذى مثلنا به فى الجزء الاول من هذا الفصل من قصيدة «الزمنية والعصرية» لحسن اليعقوبى .

القافية فى المقدمات :

أولاً : السرابية :

سبق أن قلنا فى الجزء الثانى من هذا الفصل أن الكثير من «السراب» ضاع ، ولم يبق منها الا القليل . ثم ان السراب الموجودة لا تعرف قصائدها فى الغالب ، ومن هنا كانت صعوبة النظر فى قوافيها وتحديد النظام الذى تسمير عليه سواء فى أبياتها أو بالنسبة للقصيدة التى تقدم لها . وزاد فى هذه الصعوبة أن الشعراء اليوم قلما ينظمونها ، وإن فعلوا فانهم يجعلونها مستقلة .

ومن فحص السراب التى وفقنا الى جمعها - وهى جد قليلة - نستطيع أن نذهب الى انها تسمير فى القافية (I) على شكلين :

---

(I) نلفت النظر الى أن ارتباط قافية أبيات السرابية بقافية النواجر التى تتخللها شبيهه بالارتباط القائم بين قافية أقسام القصيدة وما فيها من سويرجات (انظره بعد سطور لدى الحديث عن القافية فى السويرجات)

٢ - أن تكون على حرف واحد فى القافية ، ومن الامثلة على هذا الشكل  
سراية ابن على التى يقول فى أولها ، وهى على حرف الراء :

أُقلبى كن عن امصابك صبار ❖ الصبر مفتاح الكنوز والذخيرا  
ومنها كذلك سراية المدغرى التى يقول فى أولها ، وهى على حرف الحاء :  
أنا الى البلغم قلبى مجروح ❖ ولهوى منوفانى ماجبرت راحا  
- أن تختلف قوافى أبياتها ، ويبدو لنا أنها لا تخضع فى ذلك لنظام معين ،  
وتسمير مع طبيعة النغم والايقاع ، وان كنا نلاحظ أنها تكاد تكون فى التقفية  
قريبة من العروبي ، ويظهر ذلك من أول جزء فى سراية لامتيرد ، يقول فيه :  
اعلاش أمحبوب خاطرى تجفينى ❖ الجافينى واعلاش دالجفا  
حببتك من خاطرى ولارديتنى ❖ كاتمنينى يا شارد لعفا  
خالفت فالقول باش وعدتينى ❖ ولا وصلت رسمى فاسيت ماكفى  
قالت ناس الشعر ولقوافى ❖ الزين ابلاتيه صورتو تعدا  
والخير صاحبو يعرف

### ثانيا : العروبي :

ويسير نظام القافية فيه على هذه الاشكال :

٢ - أ - ب

أ - ب

ب

حيث تكون «للفراشات» قافية و «للغطاوات» قافية مختلفة ، وعلى حرف  
«لغطاوات» تكون قافية «الردمة» . ومن الامثلة على ذلك «عروبيات» قصيدة  
فاطمة لامتيرد ، ومنها عروبي القسم الثانى من القصيدة :

كان اسهيتى اتيقظى من حال اسهوك ❖ ويلاتهنى التيه اتعريك ايامو  
نظرى بلامح لبصار الى سبقة—وك ❖ كما فرغوا يفرغ سوقك وازحامو  
سيرى حتى يشرب عودك بالجامو

ويلتزم ذلك مهما كثرت أبيات العروبي على حد ما سبق أن مثلنا فسى  
الجزء الثانى من هذا الفصل .

2 - أ - أ

أ - أ

أ - أ

أ

حيث تكون كل الاشطار على نفس القافية ، ولكن مع ملاحظة أن حركة حرفها في «لفراشات» تختلف عن حركاته في «لغطاوات» وأن حركة قافية «الردمة» تتفق مع حركة حروف «لغطاوات» ونمثل لذلك بعروبي القسم الاول من القصيدة «التطوانية» للحاج ادريس لحنش حيث يقول :

نسعوا الله فالنصر نعم الرحمان \* والفتح الازول والظفر وتمكين  
واجب نتوجهو ونحتالو ببيان \* لقتال الكافرين ونسألو المعين  
افدوق امع ليمان وينصر السلطان \* نعم المنصور سيدنا سبط الحسين  
الله ايجود بالنصر لعلام الدين

وهنا كذلك لافرق بين أن تكون الابيات قليلة أو كثيرة . والملاحظ أن العروبيات في القصيدة الواحدة لا تلتزم قافية معينة حيث يستقل كل عروبي بنظام معين للقافية .

### ثالثا : السويرحات :

يكون نظام القافية فيها كالآتي :

I - أن تلتزم ابياتها نفس القافية وأن تختلفت الحركات ، وفي هذه الحالة امان تتفق هذه القافية مع قافية القصيدة أو لا تتفق ، لا فرق في ذلك بين أن تكون السويرحة كثيرة الابيات أو قليلتها .

أ - من نماذج الاتفاق سويرحات «تصلية» محمد الشاوي ، وهذا مثال منها يمثل سويرحة القسم الرابع :

يعجز فوصافو كل ناشد \* وافضايلو لكثيرا شلا ينعدادو  
لو كان البحر امداد نافد \* والارض كالواح اتمثال انشادو  
والخلق ايوصف فالشواهد \* لا وصفو اعشور افضايل امدادو  
فهى على حرف الدال الذى ثغيت به كل القصيدة على ما يبدو من

حربتها التي تقول :

صلى الله اعلى الشفيح نور الحق المرشاد

عين الجود الطاهر الزكى ربى واسنادى

طه مول التاج واللو والحوض المسورود

ب - ومن نماذج الاختلاف سوييرحات قصيدة ادرسية للغرابلى تذكر منها

«سوييرحة» القسم الثانى ، وهى :

نور اجبينك نور وهـاج \* يوهج فى ادمال امهاجى فادهاجو

يعلا ويفوق نور لتـواج \* يصرع كل غاوى يقصم باعجاجو

به الحق اشهير لبـلاج \* والى ايكون كاره هو بعاجو

فقافية السوييرحة على حرف الجيم فى حين أن القصيدة دالية كما

يتضح من الحربة ، وهى :

غثنى واحمنى من اعدايا بدر الوقاد

واتشافع فعييد عاصيا تاهت موكودا

أمولاي ادريس يا هلال العز السعود

2 - ألالتزم أبياتها نفس القافية فتتخذ شكلين :

أ - قافية موحدة فى «لفراشات» واخرى «للغطاوات» لا علاقة لها

مع قافية القصيدة ان كانت ثنائية الاشطار : أ - ب

مثال ذلك سوييرحات قصيدة «خديجة» لامتيرد ، وحربتها :

لوصول الوصول \* صولى يامولاتى اخديجا

صولت عبلا وجازيا صولى ياسلطانت الريام

وفى سوييرحة القسم الثانى يقول :

عتنون أغبت الصـلاح \* جيد أرغبنا رغبة شاد

واضعود اصروام لكفاح \* والصدر امحصل النهاد

ابطن واعكون للفسـراح \* سرا واردا للعنـساد

ب - على الشكل الآتى ان كانت رباعية الاشطار :

أ - أ - أ - ب

ومنه سوييرحات «الدمليح» لمحمد الدمنااتى الناصرى على حد قوله

في سويرجة القسم الاول من القصيدة :

يا مسرار السمات      بك احيات اجسادات  
فخلووقك لسمات      فثايقا راح اصوابيح  
ما مثلك فخنسات      كابرا فامحنسات  
نظرا فيك اغنسات      سالبها لاهل اتسابيح  
صوت ابر نجلسات      عرصافيك نجلسات  
لمحاسن واجلسات      صورتك كل اعصابيح

واللا حظ، بعد هذا امرين :

احدهما أنه قد تنفق جميع سويرجات القصيدة الواحدة في نفس القافية كما في قصيدة «التصلية» للشاوي وقد سبق أن أشرنا اليها .  
الثاني أن يكون لكل سويرجة - داخل القصيدة الواحدة - نظام معين للقافية يختلف من واحدة لآخرى على حد ما تكشف عنه قصيدة «خديجة» لامتيرد ، وقد سبق أن أشرنا اليها كذلك .  
القافية في الدريدكة :

تنظر فيها من وجهين :

1 - قافية أبياتها : والغالب أن تكون موحدة في «لفراش و لقطا» ، وإن اختلفت الحركات ، وتكون على هذا الشكل أ - أ  
وعلى هذا النحو سارت أغلب الدريدكات التي مثلنا بها .  
وقد تختلف قافية «لفراش» عن قافية «لقطا» فتتخذ هذا الشكل :

أ - ب

ومن الأمثلة عليها دريدكة قصيدة «هنية» لمحمد بن الحسن ، فهي تسير على هذا النحو :

خذ أراوى روض لفنان      فمديح لال بوتيتين اهنيا

وقد سبق أن اوردناها .

2 - من حيث علاقة قافية أبياتها بقافية القصيدة وما فيها من سويرجات ، ويكون على ثلاثة أشكال :

أ - أن تنفق قافيتها مع قافية القصيدة بما فيها السويرجات ، مثال



ذلك دريدكة «تصلية» الشاوى فانها على حرف الدال اكبقيّة أبيات القصيدة.  
ب - أن تتفق قافيتها مع قافية السويرحات وتختلف مع قافية بقية  
أجزاء القصيدة . مثال ذلك دريدكة «مسعودة» للمدغرى ، فانها على حرف  
اللام ، وكذلك السويرحات ، أما بقية أجزاء القصيدة فعلى حرف الدال .  
ويقول فى البيت الاول من الدريدكة :

مسعودا تشغى المعلال ❖ عشقى افحبها عمرو مايتبالا  
ويقول فى البيت الاول من آخر سويرحة :

الزين احكامو اعلى حال ❖ حب الله فاز ابهيبا واجلالا  
ويقول فى الحربة ، وعلى قافيتها سارت كل حروف القصيدة :  
تولر المسعود ياطلوع اكواكب لسعاد  
أنا من سعدى اسعادتك وانت مسعودا  
وانتيا بدر السعود وانت لهلل اسعود

ج - أن تختلف القافية فى الدريدكة عن قافية السويرحات وسائر  
أبيات القصيدة ، مثال ذلك دريدكة «الذهبية» للتهامى المدغرى ، فانها  
جاءت على حرف الحاء فى حين جاءت قافية السويرحات ميمية وقافية  
الاقسام رائية ، يقول فى أول بيت من الدريدكة :

خذ العشق بين لفصاح ❖ درتو امقابل الصبرحى بفصاحو  
ويقول فى أول بيت من سويرحة أول قسم :

شف الشمس ارخات لكمام ❖ عولت لدرواح افتيها واقياما  
ويقول فى حربة القصيدة ، وهى على قافية الاقسام :

شوف الذهبيا اخدود هامن ذهب التشحار

وارخات اصروع اللجام فوق الوطيان اتغير

نعنيها شكرا امختنا من خيل المنصور

عروب القافية :

وقفنا منها على ثلاثة :

أولا : السقوافى «الصيدية» :

جرت عادة شعراء الزجل المغربى أن يستمدوا قافيتهم من موضوع

القصيدية ، وهي ظاهرة تتضح في معظم قصائد المحبوبات حيث يكون حرف القافية متفقاً مع آخر حرف في اسم المحبوبة ، ومن الأمثلة على ذلك قصيدة «كمزة» لابن علي ، فإنها على قافية الزاي ، يقول في حربتها :

ماكيف اوصالك كنز \* وافضل من مال ايلا كنزوا

عالجني ياشمس لحاسن كنزا

ومنها كذلك قصيدة «للاحسنا» لعبد الرحمن بن الفقيه ، يقول في-

حربتها :

ألا حسنا \* ماصايلا الحسنك حسنا \* أيا روامك الوسنانا

درت لحاسن \* حسنك به لبدور سنا

صولي بكمال زينك المحسون

وتتضح هذه الظاهرة كذلك في بعض الخمريات مثل «الكاس»

للمدغري ، يقول في حربته :

الساقى وكض لعناس \* رادف الكاس

واسطاب امع الريام طيب اوانسا \* لاترتي للبرئيس

ومثله «الساقى» للعلمي حيث يقول في حربته :

راح الليل اعلم لفجرتاك الصبح الراقى \* ياساقى

دور اعلى الحضر بفناجلك تزيان الموسيقى \* وازرع للساعي ايفيق

واعتبروا القصائد التي لا تسمي على هذه الظاهرة معيبة وأطلقوا عليها

«قصائد صيادية» ، ومن الأمثلة عليها قصيدة «طامو» للمدغري ، يقول في

حربتها :

نصرو رايت لكفاح \* بو وجنات الوضاحا

والشاما والخال والشفير والغنج الدباح

طامو ياقوت الروح

ومنها كذلك قصيدة «ميناء» للحسن بن شقرون ، فإنها على حرف الميم ،

يقول في حربتها :

ميناء باشت لملاح \* مينا روح ادخالي وراحت واصلاح

من اجفاها جمرى لحلاح \* طعنتني دون اسملاح

### ثانيا : اتخاذ الهمزة قافية :

على الرغم من أن شعراء الزجل نظموا قصائدهم على قوافي من مختلف الحروف ، فإننا لم نعثر لهم على قصائد في حرف الهمزة . وتبين لنا بعد بحث هذه الظاهرة أن العامية تحذف الهمزة وأن استعمال الهمزة فيها يعتبر من «البرص» الذي سبق أن تحدثنا عنه (I) ، وأن اتخاذها قافية يعتبر بالتالي برصا كذلك

ثم حدث سنة 1965 أن ولدت لجلالة الملك الحسن الثاني بنية سماها «أسماء» فأخذ الشعراء ينظمون قصائد في التهنئة على قافية الهمزة :

من ذلك قصيدة للشيخ الجيلالي من سلا ، يقول في حريتها :

بنت اهمام الشعب سيدنا حسن الاسماء

الاميرا أسماء

منأى امع ارجائى

قرت عين احبيبتنا وراحت لقلوب املاها

ومنها قصيدة لعبد الحميد العلوي ، يقول في حريتها :

نفحت لعبير العاطر الذكي نور النور الا يطيق يشفاء الرائي

راحت سلطان اوطانا وفرحت شعبو أسماء

ومن الامثلة كذلك قصيدة لحسن اليعقوبي يقول فيها :

آش را من لا را لوطان يوم لتبساء

بالخلق المبروك ابقرت لمرائسى

أرض من بعد ماكانت كنها البيداء

من ارمال الصحرا صبحت روض مائسى

كلها حرجات وعرصات امن الرياء

امياها دفاقا واشجارها افياىسى

ولطيّار اعليها من زينها ابغساء

هيجت الصاحي بانغامها اغنائسى

---

(I) أنظر الفصل الثاني من الباب الاول .

وصار شعري ينساب امن الصميم كالماء  
فى اجداول لجراج اصاح امن احشائى  
كيف مانشدى شدو الطير وسط بطحاء  
بين ناسى واهلى واخططو املائى  
وكيف ما يرقى شعري اعلى اللغا الخنساء  
ولبشاير بالسعد اتتنا اصدائى  
وكيف مانطهج كيف طهجو ارجال ونساء  
ونطفح كيف طفحو لبساتن لظمائى  
وكيف ما نستوحى ونانرى الايحاء  
لهم الكاتب والرسام والروائى  
من اخلق المصباح الى اجلا الظلماء  
طيب لعبير العابق ساير لجوائى

#### ثالثا : الخلط بين الحروف المتشابهة المخرج :

والسبب راجع الى أن العامة لا يفرقون بين هذه الحروف فى النطق ،  
من ذلك خلطهم بين الدال الموملة والذال المعجمة ، يقول محمد بن الوليد  
فى قصيدة فى «الملح النبوى»

لولاك لا ابغاثا لاجفا لانا لاجسر صراط اعدى

لانهار لا ليل خلف ذا افهاذا

ومنه خلطهم بين التاء المثناة والتاء المثناة ، يقول محمد ولد افريجة

فى أول قصيدة «خنانة» :

يا ذى الزين الوارث امين امجيك أمولاتى الخنتا

سبحان امن انشاك أقدر المرح الصقييل ارايا فى تشجيع بن شجعان ازناتا

ومنه خلطهم بين التاء والطاء ، يقول محمد بن عمر المراكشى فى حربة

«السردة» :

واضيغ افراسا ملا ايليه ضرسات كيملوج فمضيغو عاد تيسرطو

ومنه خلطهم بين الضاد والطاء ، يقول احمد ابجيوات فى حربة

«مربعة الرضا» :

سولتك بالفاظ \* مدرا زغما يا عرضت الرضا \* مازلت فالعز ولظنا  
واحجابك لغليظ \* والا ماك الغير خوضو  
ونجد عند الحسن اليوسى فى «المحاضرات» نموذجا من الخلط بين  
الضاد والظاء فى زجل لآحد شعراء هوارة لم يذكر اسمه ، لعله عروبي ، وهو  
قوله :

ايلا ابرك لى الزمان واركبت اعليه \* واللى راد بى المولى الملقاه اعراضا  
برك لى مركوب مانى ضاربـــــــــــــــــه  
\* ما نحساب ايامى اعليا مقتاضا

نصبر لحكام المولى حتى تتقاضى

وقد علق عليه اليوسى بقوله «قوله مقتاضا من الغليظ وابدل من الظاء  
عنا ضادا» (I) .

---

(I) كتاب المحاضرات ص 49 طبعة حجرية .

وعند الحل فى «العاطل الحالى» ان الخلط بين هذه الحروف بين  
الممنوعات فى الزجل . وقد أشار فى الورقة (53) ظهر ، الى شعر لابن قزمان  
فيه استعمال الظاء مع الضاد والذال مع الذال ، كما أشار فى (54) وجه ، الى  
استعمال الذال مع الذال فى زجل لابن حسون المغربي .

الباب الثاني

الموضوعات

الفصل الاول

المرأة

يعتبر الغزل بالمرأة أكثر الفنون إيعاء لشعراء القصيدة الزجلية بالتعبير ، ففتح قلوبهم وعيونهم وأطلق مواهبهم وقرائحهم وأخصب ذهنهم وخيالهم ، فنظروا إلى المرأة بحسهم مفتونين بجمالها ، ورسموا لها لوحة واضحة الملامح زاهية الألوان ، ونحتوا تمثالا متحرك الأطراف مكشوف الملامح دقيق القسمات ، كل ما فيه رائع فتان ، يحرك القلوب ويهيج الخواطر ، اودعوه تصورهم للجمال كما تهواه نفوسهم وليس كما هو في الواقع ، فجاء بذلك مثالا لا يعنى امرأة بعينها ، وإنما نموذجا تسجوا جميعا عليه ، ولكنه مع ذلك تصور ان لم يكن منبعثا من البيئة فهو متأثر بها إلى أقصى حد . فقد وضعوا المرأة في مقام رفيع ، ونظروا إليها مخلوقا متفوقا ممتازا هو جوهر الحياة ومحور الكون . وهى نظرة مقدسة للجنس الآخر ما نظنها وليدة البيئة الحضرية التى ازدهر فيها هذا الشعر ، وإنما هى وليدة البيئة البدوية الصحراوية التى نشأ فيها كما سنرى بعد . (I)

وليس من شك فيما افادت دراسات البيئات من ان سكان المدن أقل تقديرًا للمرأة من سكان الصحارى والارياف حيث تتمتع المرأة بمركز اجتماعى لا يقل عن مركز الرجل ، وحيث ترتفع إلى مستوى المشاركة فى العمل وتحمل أعباء الحياة .

ووصفوا حالهم محبين ضعفاء ، يعانون من عشق هذا الجمال أنواعا من الجوى والشجن والشوق ، وألوانا من اللوم والهجر والنفور ، ويسعون إلى الوصال بالرجاء والاستعطاف تارة ، وبالعتاب والوعظ أخرى ، ولكنهم حين يفشلون يلجأون إلى القضاء عشاه ينصفهم مما يقاسون أو إلى الحيلة لعلها تقربهم من الهدف الذى يسعون ، وكأننا بهم فى اصطناعهم تلك المظاهر واجتيازهم هذه المراحل لا يقصدون إلى غير تعميق الجرح وتهويل الموقف والبلوغ بالنأساة إلى ذروة تتعدى الترغيب والتشويق إلى استدرار العطف والاشفاق . وحتى هذا الجانب النفسى من الحب بدأ

(I) فى الباب الثالث .



عندهم متشابهة ، فجاءت حكاياتهم وقصصهم واحدة ، وكذلك جاءت آلامهم وأحزانهم وما يتخذون لشغائهم من علاج . ومن يدري فلعل هذا الشعركان فرصتهم للتعبير عما يعتل في نفوسهم من أدواء ليس مصدرها الحب وإنما مصدرها ظروف خارجية أخرى لا نعرف عنها شيئا .

ومن خلال كل ذلك يبدو تمثلهم للحب قويا طاغيا متجبرا لا سبيل الى فل سلاحه او هزيمته .

وفرقوا بين الشعر الذى يغلب عليه وصف الجمال وبين الشعر الذى تملأه العواطف ، فاصطلحوا على الاول العشق ، ومعظم قصائده تحمل أسماء الحبيبات ، ولم يتركوا اسم امرأة لم ينظموا فى صاحبته ، وتعتبر زينب وزهرة وفاطمة وخديجة أكثر الاسماء لهم الهاما . واصطلحوا على الثانى الغزل ، وتعرف قصائده بالمحسوب واللائم والجافى والعاشق والمرسول والشمعة والحمام والمرسم ، وهى كلها أسماء توحى بحال من أحوال الحب والهيام .

ولم يعتبروا من الغزل قصائد اطلقوا عليها « تراجم » ، اعتبرناها نحن من صميمه ، وهى كما يبدو من تسميتها قصائد ترجمها الخيال الى حبكها ونسجها دون ان يكون لها حدوث فى الواقع ، مثل الحجام والفسادة والحرار والقاضى والضيف والخلخال والدملج ، كما سيتضح من خلال الفصل ، وكانهم غلبوا فى التسمية الشكل على الموضوع ، وكثيرا ما يفعلون .

### اولا : المحبوبة

نظر الشاعر الشعبى الى المحبوبة فوسمها **بألقاب وأوصاف** تنم عن بعض ملامح جمالها أو تكشف عن عاطفة من العواطف المتأججة فى قلبه .  
فزهرة بوعمر و « هلال الدارة » :

زورينى قبل الا تقبر \* يا هلال الدارة (I) زهرا

(I) الدارة الشئ المستدير او الجماعة من الناس تتخذ مجلسا دائريا وتحلق ، وبهذا يحتمل وصف « هلال الدارة » مفهومين : اولهما هلال مدور مكتمل وثانيهما هلال مضى فى جماعة الفائنات .

وهي عنده «سلطانة الابتكار» :

للا سلطانة لبتكار \* ما يلي سواك امرا  
وخديجة امتيرد «سلطانة الريام» يطلب منها ان تصول صولة  
عبلة وجازية :

لوصول اتصول \* صولى يا مولاتى اخديجا  
صولت عبلا او جازيا \* يا سلطانة الريام  
وجمال حجوبة ابن على يفوق الشمس والقمر والبرق :  
ياللى زينك فاق الشمس والقمر والبرق افلحجاب \* صلت بحروف اعجاب  
عالجنى بوصالك يالريم حجوبا

وجمال طاهرته يفوق جمال حور الجنان :  
صولى اعلى الريام ابدك الغرا الزاهرا \* ما تشبه ليك الطاهرا  
حر يا تسبى امن اجنان الحور  
أما زينبه فبدر غير محجوب وشمس النهار السعيد :  
يا بدر ما غطاك احجاب \* فالدجى يا شمس النهار السعيد يا زنوبا  
شايق انشوفك يا زينب

وحبيبة ابن سليمان تاج كل جمال ومؤدبة :  
لوقات احلات \* جادت لى حبيبا  
حبيبا تاج كل زين \* اصيغت لهداب  
حبيبا فوصافها امأدبا

ولابن سليمان خديجة هي قمرية البروج وياقوتة فى تاج وريم :  
يا قمرية لبروج \* أياقوتا فى تاج  
يا لريم خديجا \* زورينى يالخط الدروج(I)  
امولاتى خدوج

وخديجة المدغرى - زعيم شعراء الغزل بلا مدافع - لها بياء وهاج،  
وهي كنز ربحه وشمس ضحى مشرقة :

اسباب كيتى واهجرتى واكرايحي او تهايجى \* ذات لبها الوهاج

---

(I) الدروج : الغزال .

سلطانك الريام اغزالي بوسالفين خدوج

شمسك واضحا \* شارقا في وسط الضحى  
وانقلب اضحى

ايدوب يا كنز ارباحي \* طيبك تفجعا  
وفاطمته راية الكفاح وياقوت الروح :

نصرو رايت لكفاح \* بوججات الوضاحا  
والشاما والخال والشفير والغنج الدباح \* طامو ياقوت الروح  
وزهرته قد الخيزرانة جميلة الاسم وراية النصر وتاج العوارم :  
دام الله ابها امحاسن ازهيرو \* قد الخزران زيت لاسم زهرا  
وهشومته سلطان كل حسن :

نصرو اسباب غيواني (I) \* سلطان كل حسن  
شاما اهشيمتي هشوم من عزها اعليا  
وحليمته ذات دلال :

الناس كلها باش اكوانا سباب اعدامي

كي اكويتها من عند بودلال احليم  
وزينبه ذهب التذهيب وسلطان الموالعات :

انا زكت فيك اذهب التذهيب \* اسلطانك الوالعات زنوبا  
وفروحة همام الخودات :

ياسباب الصمد ولكلاح (2) \* ياكمال الزهو ولغراح  
يا همام الخودات (3) افروح

وفارحنه غصن مائس ومهر شرود :

قولوا لصيغت اللوامح \* ياغصن ايميس فالدواح  
يامهر اشروود افلبطاح

رفدى ياللا الطايح (4) \* بالي سمالك فارحا

---

(I) الغيوان غير محدد المفهوم ، ويعتدل الغواية والغنى .

(2) الكلاح : الضنا .

(3) الخودات : الجميلات

(4) الطايح : الواقع ، من طاح اذا وقع على الارض ، ورفده انهضه وأقامه .

أما كلثوم فترى اق لسقامه وياقوتة فى سلسلة من ذهب معروف  
العيار وشمس تضيء اماكنه لم يستطع عنتره بلوغها بشجاعته وسلاحه :  
فى كلثوم ترى اق لسقامى \*

كلثوم كنها ياقوت فى سلسلة امن اذهب تشجارو معلوم  
كلثوم شمس اضواء فرسامى \*

كلثوم ما ادركها عيسى فضخامتو اشجع اشناحو (I) مقيوم  
وللرجراجى « حبيبة » هى مزاج الخاطر وباشت الابكار والبدر  
الساطع وتهليل العز والنصر وتاج الجمال والمحاسن :  
نصر الله بهاك يامبراح الخاطر \* يا توكت لبدر \* ياباشت لبكار  
اتهليل العز والنصر \* تاج الزين والمحاسن حبيبا  
وللشيخ الشاوى راضية هى مصباح دجاء وضياء عينيه ، وهى مالكة  
له بيها ثها المكتمل :

نصرو المالكى مصباح ادجاي \* مولاتى لغازال راضيا  
مكمولت لبها اضيا عينا

ولمولاي على البغدادى خدوج هى ربح راحة مهجته :  
زورينى ياروح راحت امهاجى \* بهواك ساكنى هاج  
ام اسوالف ازباجا (2) \* تستاهل النصر مولاتى خدوج  
وللشيخ علال الكحيلى زهرة هى باشت الصوارم والريام :  
اباشت لعوارم خنارى \* امعاك شرع الله اعلى كل حال يازهرا  
مغروم بك لا اتجفنى \* اباشت الريام ازهور  
وللفقيه العميرى زهور هى تاج بنات الهوى :  
هل تعطف بالرضى اسبغت نجال \* مولاتى سلطانت الريام  
تاج بنات لهوا ازهيرو

ولعبد السلام الجربى محبوبة هى قمر الدارة :  
واجب لى نعدار \* لا تلومونى فى حال لغرام  
اناسى ما بيا \* غير قمر الدارة

---

(I) يغلب على المغاربة قلب لام السلاح نونا .

(2) سوالف ازباجة اى سوداء .

أما مبارك السنوسى فله زهرة تفوقت عن عبلة وجازية وكل الإبكار :  
سلبت عقل زهرا \* ابليها والحسن الكمول حازت اسرارو  
بشمائل لبها فاقت عل لبكار \* فاقت عن عبلا او جازيا وامجاسن لبكور  
وملكة الغرابلى راية المملكة ومالكة وفى حماية الملك :  
أرايت لملكنا ياهولاتى السالكا \* لك العبد او كل ما املك  
نصرو ملكنا احمائت الملك  
وفطومة المكى الصويرى تاج الريام ومصباح الموالعات وراحة الروح  
وزهو الانظار :

نصرو تاج الريام لغزال الطام \* عانس (I) الفرج زهو انيامى (2)  
مصباح الموالعات راحت روحى فطوما  
وفاطمة عبد الهادى العامرى راية الهمام وزينة الريام و «بودواح» (3)  
انا فى عار قامتك يا رايت لهمام فاللطام \* لوجيب (4) زينت لرسام  
رفقى بى اوجن واعطف يا بودواح فاطما  
وتكاد تشبهها طامو ابن عمر الكفيف :  
مدرا (5) اقزور رسمى بوسالف طامو \* مولاتى لغزال فاطما  
بودواح اروامك الزهزاما (6)  
وفضيلة مولاى احمد بن عبد السلام العلوى هلال انجمال المكتمل :  
روفى ياضى انجالى \* ياهلال الزين الكمول  
ذات لجمال افضيلا

---

(I) العانس البكر الجميلة ، وهى من الكلمات التى استعملت فى معاني غير معروفة بها فى الفصحى حيث تطلق العانس على المرأة التى طال بها المكث فى بيت اهلها دون ان تتزوج فخرجت من عداد الإبكار .  
(2) النيام : العيون .  
(3) البدواح : الخرسنة أو العلق .  
(4) لعلها الشمس من وجبت الشمس وجوبا اذا غابت او لعلها من وجب القلب وجيبا اذا اضطرب وما نظنها تصغير وجبة بمعنى الصدفة الحسنة .  
(5) مدرا كلمة للتمنى لعل اصلها : من درى او من يدري او من يدريك .  
(6) الزهزاما : الغزال ، والروامك : العيون ، وأصلها من رمق اذا نظر .

ومارية الفلوس مشموم الورد والزهر وسلطان الباهيات :

نصر الله ابهاك يا هلال الدار \* يارايث النصر يا سابغ لشفار

يا مشموم الورد والزهر \* سلطان الباهيات ولفى مريا

ولعبد الهادي بناني «زهور» هي تاج العوانس :

كولوا لدواحت لزهار \* تاج لعوانس ازهور

رفقى ابعاشك ونعمى بالزورا عل لوكار

وله «فاطمة» هي الغزال ومشموم البنات وجميلة الاسم ومصباح الجمال:

ايا مشموم لبنات لغزال زينت لاسم \* جدد اعلى المغروم

يا مصباح الزين فاطما

وبشمى من التفصيل ، ولكن فى أوصاف عامة ، تناول شعراء الزجل

جمال محبوباتهم على حد ما يعرض لنا الجيلالى امثيرد فى «خدوج» ، فهى

بديعة الجمال رقيقة الملامح ، وهى فاضلة وعاطفة ، ذات حسن جميل ساطع ،

ليست لها مثيلة فى بنات جيلها ، يوافقها خليلها وتوافقها فى طاعة متبادلة :

خدوج ابدعت لجمال \* خدوج اريقث لحروف

خدوج امنارت لفضال \* خدوج انهايت لعطوف

خدوج ماتها امثيل \* فبنات اليوم ابلجميع

اخليلا رايماء اخليل \* طاعا وخليلها امطيع

ومثل هذا يقوله ابن سليمان عن خدوجته التى لا يعرف لجمالها شبيها

فى أى زمان ومكان :

زينك ما هو فعلوج (I) \* ولا هو فمدون او لفلاجى (2)

فاللى امضى او ماجى \* ما شاهدوا اغناجى (3)

لو صبت ملتقاها بعد التهجيح

---

(I) العلوج : الاعجام ، والكلمة واردة فى الفصحى بصيغة علوج  
واعلاج جمعا لعلج بكسر العين وتسكين اللام .

(2) الفلاجى : البوادر

(3) الاغناج : العيون ، والكلمة واردة فى الفصحى غنجا بتسكين  
النون وضمها .

وعند المدغرى أن جمال زينبه معروف فى الشرق والغرب ، يشهد لها به  
البدر والكواكب بل ان ضوء البدر تعجب له فاحتجب :

زينب زينها فالشرق أقالغرب \* شاهد لها بدر الدجى واكواكب  
زينك فيه ضى لبدر اتعجب \* حتى ادخل امن اغشاء فاحجابو  
وتغنى المدغرى فى وصف زهرة فاعتبرها زهوا لذاته ومصباح الفائنات ،  
حازت البهاء والثبات ، وظهرت شمسا تتجلى بحسنها وتفوق بجمالها عبلة  
وخناثة ، وقية يزهى بها مزاج حبيبها ، تصول وقد اجتمعت فيها ثلاث خصال  
هى الحياء والطيبة والظرف . ثم انها تنسب لاجرار أهل الجود ، فلا غرو أن  
يراهما تاج فائنات الحضر ومصباح البساتين وقررة عينه وزهرة الورد والرياحين ،  
وسلووا وغاية ما ينتزه فيه أولو النظر الفاهمون :

زهوا زهوا للذات \* مصباح الخودات  
زهرا على لبنات \* حازت لبها واثباتا  
زهرا شمس انبات (I) \* بالحسن اتجلات  
زهرا من عدات \* زين عبلا واخناثا  
زهرا من وفات \* واخلاصى زهات  
زهرا بالصولات \* حازت نوصاف اثلاثا

لحيا والطيب امع الظرافا من نسب اجرار هل الجود الكبرا  
زهرا تاج اعوانس لحضر \* مصباح لغراسات قرت عينا  
زهرا زهر الورد \* والزهر \* والسلوان أعايت لمنازه لهل النظرا  
وقريب من هذا ما وصف به الحاج ادريس بن على لحنش ياسمينته ،  
فهى ياقوتة فريدة يتضاءل أمامها الجوهر والذهب والفضة ، علا شأنها على  
جميع بنات جنسها وغدت شمس الضحى تستحى من خيالها وتغيب :  
انت اجواهرك مكنونا وامعلقا اثنيين  
وانت ياقوتا والياقوت اقليل فى امثالك

والجوهر الصافى والذهب واللجين

قدام صورتك تتلاشى وايناطرو اقبالك

(I) انبات : ظهرت ، من نبا الشىء نبوة ونباوة اذا برز وارتفع عن  
الارض .

أنت الذى اعلا شأنك على لبنات كاملين

الشمس فالضحى تستجيا واتغيب امن اخیالك  
وعنده كذلك حبيبة على هيفاء ناعمة ، فازت بانهمة والسر والطيبة  
والذكاء والظرف والجمال الحقيقى والوقار والهيبة ، يشيب لرؤيتها شباب  
أهل الغرام ، وقصته معها أغرب من كل الغرائب ، لو حكاهما للجبال لاندكت:  
هيفا اونا عما حازت هما اوسر او طيبا  
والميز والظرافا والزین الى اعلى ترتیبو

سبعان امن انشأها واكرمها ابلوقز والهيبا  
لوشاعدوا بهاها شعبان عمل لغرام ايشيبو  
اغربتى امعها عدات اجميع كل اغريبيا

لوجيت يا عدولى نحكيها الملجبال ايريسو  
ويخاطب عائشة بان بهاءها غير موجود عند سلطان لافى المغرب ولا فى  
الصين ، وبأن جمالها عربى وأخلاقها حضرية ، وان أى جمال او خلق غير ذلك  
ليس بشئ :  
ابهاك الا هو عند سلطان ولا افغربنا ولا هو فانصين (I)

يزها قلبى بجمال صورتك سبعان امن انشا  
والزین الى ما كان زین عربى واخلاك امدينت حضر ماهوشى  
أما بنعيسى الدراز ففاطمته ليست ياقوته محصنة لا تدرك بقيمة فقط،  
ولكن مقامها عال رفعه رب السماء ، وهى ليست متفوقة بجمالها على جميع  
الافاتنات ليس غير ، وانما هى تفرض عليهم الحكم والطاعة فيخدمونها ويقبلن  
أقدامها . ولكنها رغم الصولة تمتاز باللفظ والذكاء والفهم ، يكفى حبيبها أن  
ينظر اليها ليحس الفوز والنخوة والاکرام ، ثم انها تسبى العفول  
بكياستها وحسن منطقها . واذا كانت تشغل الاذهان وتحير الالباب ، فانها  
تسلى عند المنادمة وتفرج الكروب :

اياقوتا امحصنا ما تدراك ابقينا ۞ عروفا فمقام

علاه ربى رافع السما

(I) الصين كناية عن اقصى مكان ، أما الغرب فالمقصود به المغرب .



لك جميع الريام طاعوا بالقهر اخديما \* واتقبل لقدام

واعلى ساير نغياد حاكما

والصول ولحلاطفا واعينا (I) وافهاما \* من شفت المنيام

فزت بالنخرا ولمكارما

تسبى لعقول ابلكياس والفاظ احكيما \* كندهسى لفهام

واتسلى فوقات لمنادما

وينظر الدراز الى زهرة انها ذخيرته وراحة خاطره ومصباح بصره

وينبوع كل خير ، تجير الكسر بوجودها الذى يشهد لها به الكهول

والصغار ، وهى عنصر صاف اذا سقت روضا اثبت واثمر :

ياراحت لخواطر \* يا مصباح لبصار

انت اذخيرتى أينبع الخير \* يا جبرت من كان اكسير

يهدر الجود عالج اضرارى \* جودك كتحقو كهل واصغار

يا عنصر الصفا من تسقى روضو اسخار (2)

ونا ابغيت روضى يطفح بزهار \* بعد زهرو ينعم بشمار

وغالبا ما تكون مثل هذه الاوصاف العامة تمهيدا لرسم صورة المحبوبة

مفصلة الاجزاء مكتملة الابعاد ، لم يترك الشاعر جزءا واحدا من جسمها

لم يطل النظر اليه ، مبتدئا بشعرها الفاحم وعينيها الفاترتين ، ومنتهيا

الى ساقها الذهبى الممتلىء وخلقائه ، منتبها ما بين ذلك لم يترك ملمحا

الا توقف عنده ليعن فى وصفه وتشبيهه .

وقد برز المدغرى فى تقديم لوحات رائعة كهذه التى رسم لطامو

وهنية حيث يبدو الميسم عقدا من الجواهر تصونه الشفاه الحجر ، والقنود

عائلة يمنة ويسرة تساير النسجيم فى عبوبه ، والشعر مظفرا ومسدلا

نفوح نسماته الذكية وقد لمع فيه الياقوت الرفيع ، والغرة لامعة كالبرق

أو الهلال او الشربا والنجم ، والحاجبان مقومين كحرفى لون فى سطر

---

(I) العياقة : قوة الادراك .

(2) اسخر انتج ، ومنه قولهم : «الله اسخر» فى الدعاء بالتوفيق

والنجاح فى عمل من الاعمال .

وقد مالا على عيون ساحرة ذباجة كالسيوف تغطيها اهداب عالية الريش ،  
والخد فى حمرة طبيعية غير مصطنعة بالمساحيق كالوردة يحرسها خال  
فى لون الغلام ، والانف كزهر السوسان ، والذراعان كسيوف يجمدها  
عنثرة يوم الوطيس ، والرقبة تذكر بظلي الغيافى النافر الحذر ، والصدر  
قطعة من الرخام الصافى برزت فيه تفاحتان ، والبطن يأخذ قلب العاشق  
فى طياته ، والسرة ككاس سالت عنه الخمر ، والافخاذ أعمدة من ذهب  
فى قصور العمالقة والخميين ومن يفخر بهم من الاقوام ، تعلوها قبة تفوق  
قباب السعدين ، والسيقان حمراء كلون الجمر شبيهة بقطعة من البلور  
أشعلت فيها شمعة كبيرة ، يسقى من لونها كما سقى ابن الملوح  
دون خمر :

والمبسّم جوهر فالشعر \* عقدو مصيون فالشوف العكريا (I)  
واسبابى يوم انظرت لقدود اتميل اتساعف النسيم ايمين وايسار  
واسوالف واظفاير الشعر \* والياقوت الرفيع بنسوم اذكيا  
والغرا واجبين لاح فوق الوفر ابرق اهلال والتريا والغرار (2)  
والحجين نونين فاسطر \* عطفو عطفًا اعلى السيوف المسقيا  
والشفر الدباح بالصوارم واهداب امريشين فوق الغنج السحار  
والخد العكري ابلا اعكر \* والخال اغلام فوق وردا محضيا (3)  
والمعطس سوسان نيل اركوبوا للسلطان عكرو من ذهب التشحار  
والضعدين (4) امسيوف تنشكر \* عند ابن عبس فى انهار المشليا  
والركبا عراض فى افيافى مايا من حى ما يروم الغاشى حدار (5)  
وانوابغ تفاح فانصدر \* والصدر ازخامتو اصفاه امر مريا

- 
- (I) العكرية الحمراء ، ويطلق العكار على مسحوق النوجه وقلم الشفاه.  
(2) الغرار نجم لامع .  
(3) محضية أى محروسة وفعلها : احضا ونعل اصلها فى الفصحى  
حظى حظوة عند فلان اذا أصبحت له مكانة عنده .  
(4) الضعد : العضد (مقلوبة) .  
(5) الحدار : الغزال ، ومثله العراض ، اما الغاشى فهو الغريب ولعل  
أصله فى الفصحى غشيه غشيانا بكسر الغين اذا جاءه .

والبطن الطاوئى اعلى لطاوى يطوى قلب لعشيق على الالو تحكار  
والسرا بالكاس تنعمر \* والكاس اجرات فى اطرافو حميا  
وافخاد اسوارى امن الذهب فمنازه لعمالق او لخم اقوم التفخار  
صانوها فى قبت النصر \* ولا توجد فى اقبوب السعديا  
والساق اسقاني اكم اسقى قيس ابن املوح من دون اعجاز  
ساق احمر من واضح الجمر \* نحكى بلار فيه شمعا رطليا (I)  
ومثل هذه اللوحة يرسمها الحاج ادريس بن على لعنش لحبيبتة  
لا يضيف اليها الا بعض اللمسات كتشبيبه القد بغصن الآس وتصويره  
ضفائر الشعر ملقاة على الاكتاف تفوح نسمات طيبها كأنها تفوح من روض  
السوسان ، ووصفه العيون بفنور لا يفتن معه تعذيب العشاق ،  
وتلوينه الخد بلسون القضة المصقولة بالذهب ، وتشبيبه  
الانف بعصفور صغير ، والرقبة بالكافور وعنق الغزال ، واضافته الشنب  
الى الثغر والخضاب المنقوش الى الكفوف ، واعتباره وجود التفاح على الصدر  
فى كل المواسم حكمة عجيبة بالغة .

قدك خزان فى روض ناعم اخصيب \*  
ولا اغصين من الياس هن النسيم اقطيبو  
واضافير الشعر على لكتاف اهوات فى تطيب \*  
نحكيه فى ارباض السوسان ايلوح فى ترحيبو  
وانظرت حاجبين او شهدت اشغاه فى تهذيب \*  
واعيون فاترا ما يفتن لعشيقها تعذيبو  
واخدود لون قلب الفضا لشلل ابتدعيب \*  
وجنا تحت سيف اللحظ الى هدنى تهديبو  
غنجوم كطوير يرنى مشروح فى تركيب (2) \*  
وانعز فيه جوهر منظوم امزين تشنبيبو

(I) يقال شمعة رطلية او شمع الرطل للشموع الكبيرة ، ولعل  
الصفة مأخوذة من الرطل الذى يعنى فى القصصى المينا الذى يوزن به  
وكأنهم كتوا به عن ثقلها .

(2) التركيب : الترقب ، ويلاحظ أن القاف فى غير المعلن  
(14)

ركبا اشقيقت الكافور فالتجراد واستلهيب \*

اتقول عراض امشوش خايف امن اطلبيو

درعين صافيا وامعاصم واكفوف فى تخضيب \*

مكتوب فيه جدول له اجميع لعقول اينبيو

وارخامت الصدر فيها حكم بالغ واعجيب \*

طول لفصول تنظر عينك تفاحها واتصيبو

وهكذا تكاد تكون الصورة واحدة عند كل الشعراء لا يختلفون قليلا

الا فى تتبع اجزاها وتلوينها على حد ما نجد عند محمد بن عمر الكفيف

الذى لم ينس ان يرسم الاصابع كالاقلام ، ويشبه اليهود بتفاح على قدر قبضة

اليده ، والبطن بقماش صاف مرقوم ، والسيقان بسمك الشابل (I) الا انها

لم تمس الماء :

اصابع كنهم قلوب

وانهود كتفاح للكمشا راموا

• • •

ابطن امن اقماش صافى مرقوم

• • •

وافخاذ كاشوابل فالما لا عاموا

ومن لطيف تقديم اوصاف الحبيبة ما لجأ اليه التهامي المدغرى من

عكس التشبيه وجعل الاشياء التى اعتاد الشعراء ان يشبهوا بها لتحديد

ملامح المرأة ، تسعى فى خصام ومتافسة الى التمثل بهذه الملامح والتشبه

بها واعتبارها رباطا جميلا يصلها بالمرأة . ولم نجد شاعرا غير المدغرى

لجأ الى هذه الطريقة المعكوسة فى وصف المرأة ، بل لم نجد له فيها غير

قصيدة واحدة هى التى يقول فى حريتها :

بين الورد والزهر والجلار والظليم والحداد

والرخام اتفاح اقوس ولناير خرجوا اعلى عانسي الكحار

بالغرب ينطق جيما مغلفة كتطق المصريين فى المدن للجيم ، وجرت

العادة بكتابه كفا بثلاث نقط . اما يرئى فلعلها من رنا فى الفصحى بمعنى

أطال النظر .

(I) الشابل نوع من من سمك الانهار كبير الحجم ، لا يظهر فى غير فصل

الشتاء . ويعتبر من احسن الانواع واغلاها .

قصدت هذه الاشياء الشعاع لتثبت الشبه الذى يربطها بحبيبته  
فادعى الورد انه شبيه بخدها ، وادعى الزهر ان شذاه قريب من نسيم  
ثغرها الباسم ، وادعى الجلائر ان لونه كلون شفاهها ووجنتها ، وادعى  
الظليم ان لونه من لون شعرها وشفائرها التى تعدت القار :

وادعى الورد قال الخد اشقيقتى اشقيقتى

وادعا الزهر قال الثغر الميسوم

امن اشدها انسيمو منسيوم

جاوب الجلائر المنهموم

قال بقيوم

شفا برزق مختوم

لوني ولونها واحد

والوجنا اشقيقتو بثمارا

شامتو اعليه يمارا

والظليم ادعا قال الشعر والضفاير

من لوني فاق اعلى القار

وتدخل كوكب الزهرة والبدر المشرق والقوس والمتاثر فادعوا  
قرابتهم مع غرة حبيبته وجبينها والحواجب والعيون ، وكذلك المسك  
ادعى أخوته لخالها العنبرى الطيب :

واكذلك نجمت الزهرا والبدر الشريق

القوس ولناير قالوا غرا

ولجبين احاجب بترا

ولعيون اجحاب النحرا

عل العذرا

فقلوب هل انهجرا

والمسك فى اجياب الملوك ادعا انجالها بجهارا

طيبت شامت المسرازا

قالت ذاك العنبر هي اختو او ساقن  
عن خيتو غايت لكجار

وادعت الغزالة شبه جيدها وزعم التفاح الشبه بنهدها وزعم الموير (١)  
شبه اديمه ولونه بصدرها وساقها ، وكذلك ادعى صارى السفينة شبهه  
بقدها :

وادوات قالت الحدارا دون التطبيق  
الجيد والصدر وكذلك التفاح  
والموير شغل الرجاح  
قل يفصاح  
قالوا جميع ياصاح  
انهود فالصدر اساق لمغيون جهازا  
حقين على لختيارا  
ريت حتى صارى قرصان بانظواهر  
فى قدو وقدها احتار

ولم يعجب الحبيبة ان تتسابق هذه الاشياء الى جمالها متخاصمة  
ومتنافسة فشكتها الى الشاعر متهمة اياها بالزور والبهتان السافرين :

وادوات قالت اصغا ياذا الحبر اللبيق  
هاذوا اتخاصموا عن حسنى بجميع  
كلها طمع ابلا تطميع  
من ابها خدى حسن ارفيع  
دايم سطيع  
فهماى اطمع ايريع  
ادعاوا ابلفجور  
او قالوا من صورتى اداوا ايمارا  
شوف لامت القرقرارا

---

(١) القماش الذى يطلق عليه فى مصر القطيفة :

واش شبهوا فى زينى زورهم ظاهر  
لامت لبهوت ابلجهار

وأخذ يبحث القضية ويقارن فوجد قدها ناعما والصارى عودا  
يابسا ، ووجد ريش الظليم قصيرا وضوء القمر والنجم يتسوارى ولا يدوم ،  
وكذلك ضوء المنائر ، اما جبينها والغرة فنورهما يسطع فى كل وقت  
وحين .

زكيت فى ابهاها وابهاهم للطريق  
واجبرت قدها ناعم والصارى  
يابس اعلى عود بـارى  
شفّت ريش اظليم اصحارى  
ابعيد شارى  
فاسواق لمشارى  
ريش اقصىر  
ونظرت الكسرا  
اموضعا امع الشرار  
نور زينهم اتسوارى  
ولجبن اغرتها فاقت لمناين  
يسطع بالليل والنهار

ونظر الى الحواجب والعيون فوجد رميها أقوى واشد عما ترمى به  
الاقواس والرماح والسيوف حين تكون فى يد الابطال الشجعان ، وكذلك  
نظر الى لون خدها فوجد فاق لون الورده :

وانظرت حاجب العذرا واللحظ الرشيق  
اجبرتهم يخجل منهم حمرى  
امن الرما فالوكدا عذرى  
بالرماح اسيف اسقطرى  
ابسم يسرى  
شدو شجيع دهرى

ماكيف دكت العين اجوايحتها على لعشيق ابارا

بالنشاشب البتارا

سلم للوجنا والورد ظل حاير

فى خد اهمامت لبكار

ونظر الى المسك والخمر - مهما تكن صافية فى البلور - فوجدهما من

سلع التجار ، اما خالها وشفاهها وريقها ففاقت كل تجارة :

زكيت بالنظر فالمسك أخمر الرحيق

مهما يكون صافى وسط البلار

صبتهم سلعا للتجار

. . .

الخال والشفافى أريق عانسى الممرارا

فايتين كل اتجارا

آش جاب البلار أمسك والعواطر

لوصاف اسبيغت الشفار

ونظر الى الصدر والنهد والساق فوجدها أصفى من الذهب والفضة ،

ووجد الرخام صخرأ أصم والتفاح فى الشجر عرضة للعب الاطفال ،

والحوبر سلعة عند باعة الحرائر ، أما البطن فمنير فاق كل حرير مشهور :

مكننت فالصدر والنهد ابشوف لحديق

اوساق صبتهم زهوا للنظرأ

اصفا من العسجد والنقرا

والرخام اجبرتو صخرأ

اصميم حجرا

تفاح فوق شجرا

به الاطفال تلعب وهوبر فى احوانت الحرارا

بين لامت السمسارا

والبطن فى حسن طيو رفيع ناير

يغلب الحرير مشتهار



ولم يلبث الشاعر بعد هذا البحث المقارن في المزايم المقدمة له (I)  
أن دعا كل اصحابها واتهمهم بالزور والتهجم على حبييته ، واخبرهم انهم  
ليسوا غير جوار لها يحق عليهم ان يخلجوا ويكفروا عما صدر عنهم ،  
ونهاهم عن التخاصم اذ يكفيه أنه يسمع مثل تلك المزايم عند الشعراء :

وانطقت قلت لهم سمعوا قول احقيق

نقهاوا كلكم اجمع احشمو

يا صحاب الزور اندموا

لاش عن بوتيت اتهجموا

أكتشتموا

ولوا لا تخاصموا

يكفا الى نسمع من امثلكم كيفها بشطارا

بين لامت الشعرا

ياك لها حسن التقويم سر ظاهر

وانتما تحتها اجوار

وقد يتخرج شاعر كعبد القادر العلى من تتبع كل اطراف الجسم  
ويكتفى بالتشبيب العف الكريم ، يصف فيه بعض الملامح الظاهرة لا  
يتعدها ، وفي نطاق المعروف من الاوصاف والتشبيهات ، يقول مثلا في  
البتل وقد شبه قدها براية او شجر كبير :  
امثيل قامت شى رايا قدها العالى \*

او ابلنسرا احكيت فالروض المكحول (2)

زلعتنى (3) بشفار امضى من لعوالى \*

والحجين لعطاف والشفر المصقول

طال عشمقى واهواى فى ابها اغزالى \*

ذات الحسن ليهيج والزين المكحول

---

I يلاحظ ان المدغرى لم ينتمع الادعاءات بدقة وغلبت عليه سجيته  
فاندفع فى الوصف والمقارنة غير ملتزم بها .

(2) المكحول من اكдал فى البربرية بمعنى البستان الكبير .

(3) زلع : لسع .

ومن اللطيف ان نجد المجبوبة تطلب من حبيبها ان يصفها على حد  
ما طلب «المزيان» من العلمى الذى رد بأنه لا يحصر لوصافه :  
ليا قال المزيان \* وصف هذا الحسن يالى تهوانى  
قلت يا ذابل لشفار + توصافك لا يحصر  
واكتفى فى الوصف ببعض الملامح الظاهرة على عادته فبدأ بقوله :  
ته بجمالك عل لقمار \* الشمس اتغير  
الى اتشوف زينك \* ليدر من جبينك  
والبان غار منك

وختم مؤكدا على ضرورة ستر ما عدا ذلك :  
والغير ما اتجيبو هدرا (١) ولا عليه تبين  
ويواجه العلمى نفس الطلب من مزيان آخر :  
قال المزيان اتصيف لى زينى \*  
امدح امحاسنى كيف امدحو ناس لغرام ابدور لحسان  
...

ولكنه يجيب بنفس الرد ويضيف أن الهلال ونجوم الليل شاهدة  
بأنه جميل :  
شيخد (2) اوصافك يالدعيني \*  
لهلال قلت والنجوم الديجور شهدوا بين انت مزيان  
ومثل هذا نجده حتى عند بعض الشعراء الذين لا يتخرجون من  
الكشف عن المرأة ، امثال الحاج ادريس لحنش الذى تطلب منه عائشة  
أن يصف جمالها فيصبر لها عن عجزه :  
قالت لى بوسالفين وصف زينى يا عاشق لحاسن وانما شى (3)  
قلت لها مانقو انصيف ذاك الزين اعيشا  
اعيشا ما نقدر افلوزان \* انصف ذاك لبها وابديع الزين

---

(١) الهدرا : الكلام

(2) شيخد اصلها أى شىء يحد .

(3) الانماش النقطة تكون فى الوجه ، وهى فى الفصحى النمش بفتح  
النون والميم .

أما شاعر كالفلوس فتطلب منه مارية أن يصفها فيفعل :

لكن يا عاشق ليها وصفنى فمناهج اللغا وامواهب لشعار

قلت لها يا طلعت نبدر أمر تعمال فيك روى مسببا

وكذلك تطلب رشيدة فيلبى طلبها :

قالت يا عاشق ليها وصف زبنى افطرز لشهاد

ومن براعة بعض الشعراء انهم لا يعرضون اوصاف حبيباتهم في

أسلوب مباشر فقط ، وانما يقدمونها لنا كذلك من خلال مقارنة بين حالهم

وحالهن ، وقد تكون هذه المقابلة بسيطة على حد ما نرى عند بوعمرو في

« زهرة » حين يقارن بين قلبه المشتعل وقلبيها المرتاح ، بين لونه الاصفر

الذابل ولونها الباهى الجميل ، بين نومه الطائر من عينيه وبين نومها

المغمض لعينين شبيهتين بعينى مهرة :

مال قلبي يرمى بشرار \* شاعلا فى قلبى جمر

مال قلبك ما جاب اخبار \* واش ما وصلتك هدرا

مال لوني باهت مصفار \* امن اضرار اعذاب الهجرا

مال لونك باهى مسرار \* يالى ما مثلك كمرا (I)

مال نومي من عينى طار \* امن التنهيدا والزفرا

مال نومك نيم لشفار \* يشفار اعيون المهر

وقد تبلغ المقابلة غاية الحبك والاتقان كما عند السدغرى الذى يقدم

لنا فى حوار رائع يتبادل فيه الشكوى مع حبيبته ، ومن خلال مقارنة بين

حال كل منهما ، وصفا لـ «راحة» على لسانها حيث جعلها تصف نفسها

فى ردها على شكواه . فاذا شكنا جمر نار قلبه ذكرت له جمر خدودها ،

واذا شكنا سواد الليل وطوله ذكرت له شعرها الاسود الطويل ، واذا

شكنا سيوف الهوى ذكرت له سيوف عينيها ، واذا شكنا قلائد دموعة الهطالة،

ذكرت له قلائد جيدها ، واذا شكنا هموم صدره الظاهرة ذكرت له التفاح

الناتئ فى صدرها ، واذا شكنا نحوله ذكرت له حول خصرها ، واذا شكنا ثقل

حملة ذكرت له ثقل وركها ، واذا شكا غرقه في بحر حياها ذكرت له  
سيقانها السابحة كسمك الشابل ، واذا شكا قيود هواه ، ذكرت له  
خلخال رجلها المصباح :

امنن اشكيت اجماري قالت لبدر حتى جمرى لاح  
فوق اخدودي لجلال (I) \* زاد تلحاحي  
نار قلبك واخذودي ما نزول لجلال  
الى شكيت اكمال الليل الطويل قالت زين الدواح  
حتى نادون امزاج \* ليلت اشباحي  
من اشعور السالف اكحل اطويل فجباحا  
الى شكيت اسيف اهوايا اتقول حتى نا عل لكفاح  
عندي سيفين اوقاح \* غايت اسلاحى  
فوق خدى تدمى بهدايا الجراحا  
الى شكيت اقلايد وادموع هاطل بالدمع الكفاح (2)  
قالت راحت ارواح \* صمغ توضاحي  
شوف حتى نا فاللب اقلايدو امراحا  
الى اشكيت اغدايد صدرى اناتك ووقوفى لجلال  
قالت نهدي تفاح \* لاح وضاحي  
واقف امبند (3) شف اغدايدو الطفاحا

الى شكيت انحولى تشكى انحول ذاك الخصر افلوشاح  
واتقبل يارجاح \* تيمه ومزاحي  
دابداك اولا صايب امن اقيومها راحا  
الى شكيت اتقال احمولى اتقول وركى فاق ابترجاح  
عمر لقميص او داح \* افيمت اطراحى  
اخلاكك اوركى من تقل الحمول نضاحا

---

(I) لجلال : ملتهب .

(2) الكفاح : السائل المنهمر ، ومنه تفح الماء اذا اهرقه .

(3) امبند : بارز ، ولعل أصله في الفصحى من البند بمعنى العلم .

الى اشكيت اغروقى فبحور حبها قالت لى يا صاح  
عندى شابل سباح \* فالبجر ضاحى  
دايم احشاك أساكى فاللجوج سباحا  
الى شكيت اقيود اهوايا اتقول اسمع الخلخالى صاح  
كيف اكيودك صياح \* قال يالاحى  
اسوا لكىودك واسوايا فالنغام صياحا

ومثل هذا نجده عند عبد الرحمن بن الفقيه المراكشى الذى يبدأ  
شكواه لخديجة بقوله :

اشكيت لها من طول اشكايتى اللبدور افداجى

قالت انظر شعرى كحل اطويل وابدور اسريجا  
واذا كان جسم المرأة فى القصائد التى تصف الجمال يبدو مجردا  
عن اى تزيين مضاف ، فان الشاعر الشعبى فى القصائد التى اطلق عليها  
اسم «الحجام» والتى وصف فيها حفلات الوشم ، **زىن جسم المحبوبة**  
**بألوان من الصور والرسوم** تمثل حيوانات واسلحة وابطالا وبساتين  
وخياما وهوادج وغيرها مما يوحى بالتعبير عما يكن من عواطف الحب  
وما يحس من آلام الفراق وما يتمنى من سعادة اللقاء ، وكأنه يرمز بوشم  
هذه الاشياء الى مختلف حالات المحب والمحبوب ، فالغزلان للهجر والنفور،  
والخيول والاسلحة لمدى القوة والمقاومة ، والاغراس والورود للحظات  
الوصال ، وهكذا تبدو مخيلة الشاعر ذهبت بعيدا فى تأمل أحوال المحب  
المختلفة .

فهذا ابن على العمرانى يخاطب الحجام ويطلب منه أن يختار للبياض  
الوشم المناسب ، وان يرسم بين حواجيبها خمسة الكف لترد نظرات  
الحاسدين ، وعلى خدها خالا كالنون المتصل بنقطه ، وفى صدرها وحوشا  
عظيمة وخيولا ملجمة واغراسا لاشجار الفواكه وطيورا متسرنة وبسطا  
وقصورا من الخزف تكون أبوابها من الرخام تفرش بأرائك الحرير  
والزرابى واسرة النوم ، تضىء ذلك كله شموع يخسف الهلال لضوئها :  
شوف الليياض اوناسب اوشامو \*

بين لحواجب اعمل خمسا تلقى الا ايبارك فيها وايشوف

شوف الورد الوجينات فكمامو \*

وفخدها اعمل خال اوشاما نون متصل بالنقط معروف

. . .

فصدرها دير (I) اوحوش يعظامو \*

لرخاخ ولفيال وعنقات وما ايعمر الخلوات ولطروف

. . .

فصدرها دير اخيول قيامو

لولا اللجومات ايطيروا لكن كلها بلجامو ملقوف

. . .

فصدرها دير اغراس تنعامو

لوزات بين شي جوزات وخوخات والنكاص ابنسعات ايروف

دير التفاح ايفوح بنسامو

ولمزح وصفرجل متضلل بينهم ضل الا هو مسقوف

فصدرها دير اطيبار ترنامو

دير العصفور افصيح لكلام

دير البوح الى باح بكتامو

فصدرها دير ابساط لمرامو \*

من لبديع ابني اقصور امن الرخام رامت له ادفوف (2)

دير افراشات احريير فرسامو

الحواف والزرايبي دير اخوامي امعروجا واتسارح واقتوف (3)

دير النمسيات (4) لنامو

ديما اقليل نوم العاشيق من حرما القاه امنامو مختوف

دير اشماغ للداج واظلامو

اشمعت ايلا قابله لالهال امن اضياها يضعي محسوف

---

I دير امر دار اي عمل .

2 الدفوف والدفيق ج : دفقة وهي الباب .

3 اللحواف ج لحاف وهي متكبات محشوة بالصوف تعتبر أساس أثاث البيت المغربي ، اما الخوامي فجمع خامية وهي السبنارة ، واما التسارح فما يسرح فوق اللحواف ويطلق عليها .

4 الناموسييات : الاسرة .

ومثل هذا نجده عند الشيخ محمد بن موسى في حجامه الذي  
يقول فيه :

أحجام اغزال ولقى لوجب لئلا الطام \* فصدرها نيل لوشام

واعمل بين النهود عرص واركمها غايت التركيم

ويوصي ابن علي حجام محبوبته بأن يعنى بالآلة وأدواته من منديل  
مرقوم وطاس مذهب ومشارط أحد من السيوف مصنوعة في أغشية رومية  
ومناشف للتجفيف :

معونك يا حجام فقوامو \*

للناس انوصفو فالميآت البالفين من لبلاغ موصوف

متديلك من القماش تركامو \*

الزردخان ما يشبه ليه او بنهم من كل امثال اصنوف

طاسك حتى سموام ما سامو \*

من خالص الذهب يا حجام اولاً ايخلصوه (1) اعداك ابمصروف

وامشارط بالخزانات ينقامو \*

وامنبتين بتقات الاكيفو انقات وافرغ من كل اسيوف

واغشاهم رومي صان فرواهو \*

واجفانف لبحر منزولا تحساب من البحر الى مكفوف

دادى يوصى الحجام ان يكون منتبها حتى لا يؤلم الحبيبة :

يا حجام اوشم للزين \* كن عايق فايق فالعين

رطب يدك لا تقصح اغزالي (2) بودواح

أما المدغرى فيغضب لعدم حضور العملية وعدم استشارة الحجام

له فيما رسم ويدعوه للمقاضى ولكن تتدخل المجبوبة وتطلب منه ان  
يسامحه :

وجابك يا حجام لغزاله \*

لله باش من موجب اجرحت الباهيا طاهو بوخلخال

(1) ايخلص مضارع خلص الشيء اذا دفع ثمنه .

(2) قصح : ألم .

لو كان كنت حاضر ما تمنع لي \*  
كيف تجرح زهوت نجلي \* يالحجامة وتقلت لي

...

هذه اكرزيت الى مثلك يدعى افلمساييل من غير اشوار \*  
اجي بلا اخفا للمقاضى مداعين  
قالت الخنار اسمح لو ...  
وارضيت الحجامة بريال من بعد ما اسمحت افحقى ههما اسمعت رغبت  
دابل لشفار

ومثل قصائد الحجامة قصائد الفصادة ، وهى التى تصور الحفلات  
التى كانت تقام لاجراء الدم حيث تحضر الحسان متزينات على حد ما  
يقول امثيرد :

آش را (I) من لا احضر امع اوجوه لريام \*  
يوم حنطو فثياب العز الفصادا  
ريت ذاك الدم الوردى بشوف لنيام \*  
زنجفور افيلار اصفا من لعقادا  
ويحاول ان يقارن بين جراح الحبيبة وقد فصدت ، والجراح التى  
احسها الحجامة فى قلبه وهو يفصد :  
اجرح الحجامة وانجرح من غير اجراح \*  
عدت جراحهم فالقلب اجراحو  
هما تجراحهم اطل ادماء ساح \*  
اهو فالضمير دكات ارماحو  
اما المدغرى فيجعل الحجامة ترتعد يده لرؤية ذراع الحبيبة ويفقد  
وعيه لجمالها :

امين شاف الدرعين اترعد ايدر غاب من زيننت الخدادا

لمعلم عاد فشدنا \* ما قدر عنهم يتعدا

به فاقوا لعوانس وتنهدوا

---

(I) آش را أصلها اى شيء رأى ويقصد بها الاستفهام الانكارى .



له قالت وحدا وحدا \* مهمل اعلى ديك الخودا

لا اتشوف العينين الى ايحكنو

ومثل هذه المناسبات تكون في أيام الربيع ، وتقام في البساتين ، وتستعد لها الحسان يبرزن في أجمل الحلي وأفخر الثياب ، يقول فضول الرئيسي :

اواه يامنين اتجمعوا لريام \* في ازمان النوار (1) وانوار الفصا

لبسوا من الديام (2) انواع الحجان \* في ارياض امحتفل مزيان  
كيف راحوا ما بين اغصان

جازوا الريام اشمايل الظرافا وحروف الزين \*

كل اغزال تقطف فالنوار ايسار ويمين

### ثانيا : المحب

يعاني الشاعر من حب عذا الجمال الوانا من الآلام والاضراء لا تنقطع  
منها شكواه . وقد سبق ان رأينا عند بوعمر و المدغري وعبد الرحمن بن  
الفقيه مقارنات بين حال المحب والمحبوب كشفت عن أسقام الاول وأوصاف  
الثاني ، ونريد ان نضيف اليها مقابلات أخرى محصورة في نطاق معاناة  
المحب وعدم مبالاة المحبوبة على حد ما نجد عند المدغري في مقارنة بين  
سملوها وعناثها في مراكش واغترابه وانشغال باله ، بين انطلاقها في سرور  
دائم والتهابه على الجمر حزينا باكيا سجيئا مريضاً لا يجد طيباً يعالجه ،  
بين نومها الطيب الهادي وسهره الدائم في رعي النجوم ، بين قوتها اللذيذ  
وفوته المر ، بين زهوها في صحة ونشاط ، ووهن عظمه ومزاجه :

انت امسليا فالبيجا ونا غريب لوطاني \* مفروق عمن ابغاني

انت مهني ونا بك اجوارحي تشطنو (3)

انت اعلى اسرورك ونا فوق اللهب مكواني \* نصلي ابدمعت اعيناني

انت معافي وناقلي في اكياد (4) سجنو

---

(1) ازمان النوار كناية عن فصل الربيع .

(2) الديام الثياب واصليها في الفصحى الاديم .

(3) تشطنو اجوارحو فهي مشطونة اي مشفولة ومهمومة .

(4) اكياد : قيود .

انت اعلى الزهو والفرجا ونا مريض لكنانى \* ولا اطبيب دوانى  
 انت ازيان حالك ونا حالى ازداد حزنو  
 انت افطيب نومك ونا نرعى انجوم ديجانى \* مارام نوم لجفانى  
 انت امسكنا ونابك ادواخلى اتسكنو  
 انت الباذ قوتك وناقوتى امرار بهجانى \* حتى اشفاو عديانى  
 انت امختنرا ونا عظمى ولخلالك وهو

ومثل هذا يخاطب به طامو :

مال جفنى ساهر طول البهيم \* مال جفناك فسروور امقيما  
 مال خدى ساقط ورقو اسقيم \* مال خدك ففسراح انعيما  
 مال حالى ناحل فانى اهميم \* مال حالك فنزايه ديما  
 مال كبدي من عجرك حالجيم \* مال كببك كاسى ياريمما

واذا تركنا مثل هذه المقارنات - وسنعود الى نوع آخر منها بعد قليل -  
 نانا نجد الشعراء عبروا مباشرة عما يقاسون من احوال الحب ، فابن سليمان  
 يشكو السهر والقلق ونار خدوج وسلطانها الذى سلب عليه الحسام  
 فاحس بالفالج يشله :

نارك فالقلب اتروج

واخيالى ما يخفاك عن امهاجى

سهران طول داجى

واعييت (I) مانراجى

اهواك صاك لى سلطان احريج

زادنى فالخاطر تهجيج

سال احسامو للتوديع

سرت مفلوج من زينها المفلوج (2)

والشماوى يشكو بدوره من خدوج ان طرفها رماه بسهم سام ، ويطلب  
 الناس ان يكلموها لتعالجه :

(1) اعنييت اى اعيانى .

(2) مفلوج الاولى من المثاليج والثانية من فليج الاسنان .

جمرى من لهوا مسروج (I) \* والحب ياعدو لى ارمى لى وسط لمهاج

حربا مسموما حر سنها وداج

...

قولوا اللا خدوج \* روفى اعلى العشيق المجروح من لغناج

ابقى مسكين اينوح ما ظفر بعلاج

والملكى الصويزى هجم عليه سلطان حب فطومة بطغيان وأبطال زعماء

فتركة نحيلا يبكى ذاته السقيمة وحاله المذموم :

سلطان الحب صاك ببطال ازعام \* ما قصد دونى راد اللطام

وناحالى النحيل ذاتى معدومسا

والحب اطفى واتركنى يافوهام \* كانغرد عن طول ايام

لا حالا اتشابه الناحالى حالا مدموما

والحب كما عند امتيرد فى «بحر الهوى» اصم وابكم واعمى ، نحيل

مقيم لا دواء لدائه ، يختلط عليه الليل والنهار ويضيق به الفضاء الواسع :

مولاه اخريس اللسان واعمى من بصر الماحو \*

زيزون اطرش ما يلو اسمع (2)

تراه افلوقات افقه ادجاه امن اصبرحو \*

تراه يضيق لوسع

ناحل ساقم ساخف (3) لعضا من تمكين اجراحو \*

ما رامو فاللدوايا اربع (4)

وهو كما يصوره عبد السلام الجربى فى «قمر الدارة» فى محنة دائمة

---

(1) مسروج : مشتعل .

(2) هذا تكرار من الشاعر لان الزيزون هو الاخرس وقد ذكره . اما الاطرش وهو الضعيف السمع ، فهو كذلك فى القصص اذ الاطرش يفتحون الصمم القليل .

(3) ساخف اى مرتضى وهشى عليه .

(4) اربع تحوير لربيع اقتضت القافية ، والمقصود به العشب (الدواء) .

نحيل فان نواح ، دموعه منهمة كالسواقى ونيران قلبه هائجة ملتهبة ،  
غليل لا يجد علاجاً لجسمه المنهك ، وقد بدا غير قادر على تحمل الحب او  
على مواساة نفسه بغير البكاء ، بل انه لم يجد طبيباً لدائه العضال :

. . .

ونانحيل فانسى

غير نرتى وادموع العين حايقا (I)

من فوق الوجنات ساجقا

نعنى لسواقى

وهيجت نيران اشواقى

اولا اوجدت الداياراقى

اعجز طبى والجسم صار امهيبى

. . .

ونامالى مكدار عل لهوا ياناسى

ولا اعرفت انواسى

بالبكا ارحت احساسى

لا اطيب ابىرى كيتى امخالقا

. . .

ويشبه العلمى حاله المتقلب فى « المزيان » بسفينة تتقاذفها الامواج

ركائها طائر مكسور الجناح :

مثلى امع لغرام اسفين ما بين موج

موجا تلوحها موجا ترفدها

ولا اقدر رايسها يرصدها

غماديا فالبحر وحدها

اعلى جهدها

مثل الطير الى اجناحو واتى

ولا اشفق من تمراتى (2)

---

(I) حايقة : نازلة . (2) التمرات : المحنة والعذاب .

اما المدغرى فيشبهه نفسه فى «البترول» بقمرى سكران فارق طير  
جنسه ، واسير قيده نصرانى لا يمل من الجفاء ، وطفل قطم قبل الاوان  
يفوق نواحه نواح جميع الاطفال :

نحكى قمرى اعلى اسطاحو سكران ايظل حالت الى مثمول  
فارق طير اعليه ما نزل  
ولا شى ميسور فى اكبالو واحل والى اميسرو ليس ايطول  
نصرانى فجفاء ما ايميل  
ولا صبي اصغير قبل احليبو مفظوم عن انهود معزول  
تنواحي ما نوحو اطفال

لهذا فان هواه عنيف لو حكاك للحجر لتكلم ودعا له بالشفاء وعذر  
حاله وقدر قصته التى فاقت كل قصة ، او للغراب لشباب واصفر لونه  
وجرت مدامعه وبكت عليه أمة الطير ، او لجبل رضوى لاغمى عليه وذاب  
وغدا بحرا هائج الامواج :

لو عدت اهوايا اعلى الحجر يتكلم وايقول لى الله ايشافى لضرار  
حالك من حال الى اينعذر \* عدات اقصيتك اعلى كل اقصيا  
لو عدت اهوايا اعلى الغراب ايشيب اتبكي اعلى امشيهو لامت لطيار  
ويولى فى حالتو صفر \* يرقان المدامعو من الوجد اسخيا  
لو عدت اهوايا على جبل رضوى يسخف ويضحى ايدوب ابصحت لخبار  
ويولى بشكايتى ابجر \* موجو طوفان ما تسلكو بحريا  
ويعتبر بهذا حاله كقيس ويدعو الناس الى رؤية صورة ابن الملوح  
مجسمة فيه :

هذا هو قيس يالى ما شافو أجى اتشوف قيس ابعتك ما صار  
قيس اغبر فى ساير الدهر \* ونا بعد افناننى لهواويا  
ومن لطيف الشكوى ما قدم عبد الرحمن القرى المراكشى متألما من  
التيه والضنا والشغف والهيام حيث اعتبرها ملوكا للعشق استغلت غياب  
حبيبته « زهرة » لتستقر سهاما فى قلبه بعد أن قسمته بالقرعة ديارا

ومنازل ، حيث تصبت الخيام ودقت الطبول وصوتت الرعود فسالت  
جفونه مدرارا :

ملوك العشيق اتمكنوا فقلبي جعلوه اقرار

عاد انزل التيه والضنا والشغف الهيام كلها الزم اقرارو

عن لسهام ابقرعت الصبايا قسموه اديار

نصبو لخيام ازامت الطبول ازكلمت ارعود هل جفنى مدرارو

وعظم الامر عليه وسعى الى الطبيب فأشار عليه بعلاج وحيد هو

وصال المحبوبة ، وارسل لها فرقت لحاله وحضرت ، فرفع اليها دعوى

ضد هذه السهام انها جارت عليه وتكتلت ضده :

لك ادعيت التيهان والضنا والشغف الهيام لبلهوا عنى جارو

اتحموا على افغيتك يا زهرت لزهار

ولكن السهام حاولت الدفاع عن نفسها فردت لتكشف عن حالها ،

وهى فى الواقع تتحدث بلسان حال المحب اذ جعلها تنطق بما يحس

وتعبر عما يكن . تقدم السهم الاول فشكا شر سلطان التيه يعظم حين

تغيب ، ورجاهان تسكن لواعجه وتفك اسره وتعالجه بعطفها من الاستقام:

وابغيتك يازهرا اتشاهدى سلطان التيهان حين يعظم بشرارو

وقت ما غبت كيزيد بعد اللعات اشحار

...

وابغيتك يازهرا اتسكنى رعدى واتفكى اجوارحى من تيسارو (I)

واتدونى ابمدت لعطف تنج من لضرار

فأجابته زهرة بان التائه فى حسنها ينبغى أن يساعد ويلين ، والا

يعتبر نفسه متعب الفكر ، وبان طالب العطف والوصال ناج ، وان من شكا

لنغالب ظهر حقه ، وان العاشق الذى لا يبحث عن دوائه ليس جديرا

بالعشيق :

وادوات ازهور قالت الذى تاه ابحسنى لا يظن فالتعب افكارو

يسعف غرض التيهان كان لاموا حالو يعداد

---

(I) التيسار : الاسر ، وفعله يسر

من طلب العطف انجا او من اشكا للغالب حقو ايان واضح تشهارو  
من لا يبحث فدواه ما يلسو فالعشيق افتخار  
وتقدم السهم الثاني يشكو في كدر وحسرة ما اصابه من الضنا بعد  
أن انقضت لحظات البروز والسرور ، ويأمل ان تعجل له بعلاج ناجع  
ينقطع به السهر ومراقبة الطيف وتكف به الدموع المتهاطلة كالامطار تسقى  
اقحوان الخدود :

زاد السهم الثاني افحسرا \* شاكي امن الضنا متكدر تكدير  
قال ازهررا بعد لمبارا \* واسوايع الزهو وليت افتحسير  
راشف من خمرو اضاك غمرا \* نبغي اتبادري لي بعلاج اجدير  
وابغيتك يازهررا اتمهلي عن صور الدمع لغزير همامع بمطار  
غرس الكحوان اعلى الخدود واسقاه امن المدرار  
وابغيتك يازهررا اتنولي عطفتك لي فاندجا امراقب غرارو  
هاجر لهجوع الطيف صورتك متشخص لبصار  
فأجابته زهرة بأن من واجه ضنا القدر والشعر الاسود وسهام العيون  
وغرة الجبين الساطع فان تقبيل الخد يوافقه علاجا يريح أعضاء ويزيل  
كدره :

قالت زهررا من صادف الضنا بين القدر اتمت ليل غاسق تعكارو  
واسهام العين اغرت الجبين الساطع بنسوار  
تقبيل الخد وافقوا ايلا عظم اضمناه طردوا من اصميم اسيارو  
اصيب السراج في اعضاء يرتاح من الشكار  
وتقدم السهم الثالث شاكي نار الشغاف التي تذيب جسمه شر اذابة،  
ثم لا يلبث بعد احتراقه ان يجد الثلج يحيط به والزمهير ، ويطلب منها أن  
تعالجه باطفاء جمره وتبريد جسمه :

والسهم الثالث دون فترا \* زاد اشكا امن الشغف ابقول اجهير  
قال ازهررا نارو الزافرا \* بها ايدوب جسمي تدواب اشيرير  
بعد ايولي فالنار قاترا \* يلقى الثلج حايط به وزمهير  
وابغيتك يا زهررا اتعالجي من ولي مثل حديد مهلي فجمارو  
والثلج احذاه (I) ايلا القى من الشغف تبرد اجمارو  
(I) احذاه بجانبه ولعل اصلها في الفصحى هذا حدوه .

فاجابته زهرة بان من طغى عليه الشغف واسره وجعله يشكو  
الاضرار لا بد واجد علاجه فى خمر الشجر :

قالت لوجيبا امن اطغا عليه الشغف اجعلوا يسير واشكوا بضارو  
لا بد اعلاجو ما يكون فمصالى من الشغار  
وتقدم السهم الرابع فى النهاية فرجاها ان تؤمنه حتى لا يفنك به  
الهيام عقابا له بعد ان شكاه ، وهو غير قادر على مواجهته :  
وابغيتك يازهر ائامنى خوفى من فتكو امنائين افشيت اسرارو  
لا ايعقبنى بعد السكون ونا مالى مقدار

وكان جوابها أن أمرت بنصرة الشاكين :

وادوات المحبوبا او-آمرت اسهام الشكيا ابود لعطف ينصارو  
كل سهم انظرتو ابعين لعطف سرا واجهار  
وكانت النتيجة ان اسر امير العطف ملوك العشق وانتصر على ارباب  
أهل الجور ، فلم يعد للتيه والضنا والسقم والهيام اى وجود وزال عن القلب  
همه وكدره :

جاوا ارباب هل الجور عند زهرا طلبوها الفلمكار يبقى تكدارو  
فى قلبى حاربهم مير لعطف بوفوق لمسارو  
ملوك العشق اضحاوا يسرا \* فسنبسل لعطف يسرهم امزارو  
ما باقى لملتيه جيرا \* وكذلك الضنا متضمحل اثارو  
والشغف اجنودو افكسرا \* جند لهيام كاشف لعطف عيارو

...

زالت عن قلبى الكسرا (I) \* فبساطسلطنى اضخام فى تسوارو  
ولم يكتف الشاعر الشعبى فى التعبير عن حاله بمقارنته بحال  
محبوبته او عرضه فى نوع من الشكوى وانما لجأ الى لون طريف من  
المقابلة جعله يدخل فى حوار رائع مع بعض الاشياء الاليفة لديه على حد  
ما نجد عند امثيرد فى « الشمعة » التى يقول فى حربتها ، مستفسرا عن  
سبب نواحها :

---

(I) الكسرا : الغمة .



لله يا شمعنا كرى واعلاش د التواح والناس افلفراخ

وانت اجواهر ادموع ابكاك السلا اهطيتلا

وعلى احد ما نجد كذلك عند محمد بن الوليد فى شمعته مستفسرا عن

نفس السبب :

واعلاش يا شمعنا تبكى مالك \* عدلى واشيرو اسباب ابكاك

وتقف قليلا عند شمعة ابن على العسراى التى يقول فى حربتها :

لله يا شمعنا سلتك ردى لى اسوالى \* واشمبك (I) قال لىالى تبكى مادالك اشعيل

فهو يطلب منها أن تخبره بحقيقة أمرها مؤكدا لها أن أمره أعظم وأخطر :

ليا دون اخفا اشكى إبا فذخالك واحكى قصتك نصغى لك

وناقصتى بها نتعداك

وقبل أن يتركها ترد على سؤاله يفترض أنها تبكى من نار أو سقم أو

فراق ، ويقارن بينه وبينها مبينا أن نار قلبه فاقت كل نار فى جسمه العليل ،

وأنه ورث سقمه من قيس بعد أن أفناه سقم حب لىلى ، وأنه مفروق عن حبيبته

صابر على الفراق ، ويتساءل عن سر حالها ما دامت لم تفارق خليلا أو خلية :

إذا باكيا من نارك نيران فى ادخالى

عدات كل نار افذاتى واجوارحى اعليلا

ويذا باكيا بسقامك شوفى اسقام حالى

من قيس وارثو بعد افناه اسقام حب لىلى

ويذا باكيا بفراقك مفروق عن اوصالى

واعلى لفراق صابر شيصبرنى اعلى لعقيلا

ونت امنين جاك احكى لى اللولى والتالى

ما فارقا اخليل ابحالى ما فارقا اخليلا

وتجيبه بأنها كانت فى الاصل نحلة تصول فى مملكتها محجة لا تخرج

الا فى أيام الربيع لقطف الزهور ، ولكنها هوجمت فى عقر دارها ، وأخذت

للمعصرة حيث صفيت ليتخذ شيدها قوتا ودواء ، وليلف شمعها على فتيل

ويوضع على حسكة (2) ويشعل ليلقى عليها قطراته ودموعه . ولكن الشاعر

(I) واشمبك : أصلها اى شئ بك . (2) الحسكة : الشمعدان

بصبرها بها ان فارقت مملكتها وبنات جنسها فهي في صحبة قوم آخرين  
أفاضل ، حيث تسهر مع أهل المال والعشاق وفي مجالس العلم وبيوت الله .  
وتضطر الشمعة في الأخير الى الاعتراف بأن ما تقاسيه من نار ليس غير عشر  
ما يحسه ، وأن قصبتها ليست سوى احدى قصص عشقه وهواه :

صبرنى يا حير اللغا بشعارك      ليا ايخبروا بخبارك

يدريه امن اكون اسوايا واسواك

نارى نحكيا كم لعشور افنارك      واسراى اتجى لسرارك

قصا امن اقصىص عشقك واهواك

وكما توجه المحب الى الشمعة فكذلك توجه الى الحمام ليئنه شكواه  
مما قاسى من الجفاء ومن هجر المحبوبة لرسمه بعد أن نصبت لها الشباك ،  
كما نصبت لائى الحمام . ويسأل الرسم فلا يجيب فينسكب دمه لان كل  
حبيب يزوره محبوبة الا هو والحمام فانهما لا ينعمان بهذه الزيارة . يقول ابن  
سليمان مخاطبا حمامه بهذا الكلام :

قرب نحكى لك يا حمام اعلى ما قاسيت بالجفا

كيف اجرى لك هكذا أجرى لى نعتاد الطير ما يزوم الغيرة خوفا

نصبو ليه الشبكات عديانى كانت فيه حالفا

ونابهم كنت ما نبالى ما يحصل عندهم لولا صادفوه اصدا

طيرى ما هو طماع غير الوعد الغلاب ما اعفا

خلى رسمى يا حمام كيف اخلات التنا ارسامك بعد التولاف

سولت المرسم لا اخبار اعطانى والدمع ساكفا

بالتغراد ايقسم الليالى غير انا يا حمام وئت في ذا التشغاف

راكل احبيب ايجيه محبوبو ويزورو عل لوفاف

واييات افراحا اسليم سالى فاش ايجيه الرقيب لودار الفشواف

وقريب من هذا ما نجده عند ابن على الذى وجد المرسم خاليا من

المحبوبة فقال :

جيتك يا رسم الباهيات صبتك خالى مهجور

سكانك جابونى انزورهم كله وايسن ساروا

واعطنى لخبار

ومثله الكندوز الذى يقول فى مرسمة :

جيتك يا رسم الباهيات صبتك حاجب لبدور

حجبهم غنى او شوقهم زاد القلبى نارو

مكوانى صبار

واذا كان ابن سليمان قد قابل بين حاله وحال الحمام فان ابن على أدخل

الم رسم فى المقارنة فجعل يبكى على الشمعة يقول :

انا والمرسم يا حمام ثالثنا فالزهو انت

الم رسم يبكى اعلى الشمعا وانت تبكى اعلى التناوتا عل لغزال

فقد ألف المرسم الشمعة وظنها لا تغيب ينظر الى ضوءها كلما حضر

المحبيب ، وألف الحمام أنناه كما ألف المحب حبيبته فى رسم لا يطأه أحد

نر هذه المجموعة الاليفة وغير القدر المحتوم ، والفراق الذى شئت شملها

وتركها فى جال يبكى له الجمار كما بكى لسرورها الاعداء والعذال :

والفت المرسم يا حمام الشمع تحساب نابتيا

وقت ما تارك لغزال اخياها شعال

ولت تتنعم كيف تتنعم لعقول المحدثا

والفت انتاتك كيف والفت انا لجمال

فى رسم اعظم ما اوطاوا اوطانو خيل لعت اعتا (I)

غيرانا وانت والتنا والشمع ولغزال

والوعد امحكم ولغراق اللى غيرنا امثالنا

كيفى كيفك يا حمام كيف المرسم فالجمال

لنايبكى الصم ولقصا وانبيكو اللى صامتا

كيف ابكاوا اعلى اسرورنا لعدا والعذال

ومع كل ما يعانى المحب من آلام ، فهو لا يتردد فى تقديم الطاعة عبدا

مملوكا لمحبوبته عساها أن تكون راضية عنه . فامتيرد يرى الطاعة أمرا واجبا

فى الغرام فيخاطب فاطمة بمثل هذا القول :

---

I خيل لعتا اعتا : لعل المقصود بها العاتية

طاعتك لازم عنى واجبا افلغرام

وابن على يتساءل عما اذا كانت مستقبله زينب مملوكا لها يلزم الباب :

يا ترى تقبلنى مملوك لازم الباب

والمدغرى يتعلق بحرم فاطمة ويرجو ألا ترفضه خادما وعبداء على الطاعة:

زاوك افحرمك قبلينى اخديم الال طيما اعبيد اعلى الطاعا يا طيما

وهو يشهد الناس أنه غلام أم كلثوم دون ما بيع أو شراء لا يرى

فى ذلك أى لوم :

شهدوا باين وديت فختامى أنا غلام كلثوم دون البيع والشرا مافيهاشى لوم

وهو فى «لعشيق ديما يتغلب» مملوك يخدم ركاب سيده يسير أمامه

أن ركب عارفا بشروط الركب وآدابه :

مملوك سرت نخدم من تحت اركابو سابق كدامو ايلا اركيب

حافظ فضميرى اشروط الركبا

والعلمي يتمنى لو أن المزيان يبادل نفسه الحب حتى تتساوى العواطف

ويرتاح من الجفاء مقابل مضاعفة الطاعة والخدمة دون ما تقصير :

لو كان اكما نبغيك تبغينى تنقاد (1) لحبا تسخر للجانبين سر الصدق الامان

انتيا من لجفا اتنهينى \* وتا انزىد فالخدم والطاعا ولا اتشاهد منى نقصان

والمزيان بدوره يوصى محبه أن يصبر على جفاء كاسبه وسلطانه وأن

يخضع ويركع بين يديه ويتأدب لجمال صورته فى همه وشان ، وهو بعد

هذا لا يريد مالا أو غنى وإنما الطاعة ، وهى فى امكانه :

تصبر لجفاى ايلا اعشقينى \*

عشاق لبها مكسوب المملوح ابلقهر ولبها سلطان

واخضع بين ايدي واهدينى \* بنديق (2) اكباتنى واتأدب لجمال صورتى بالهما والشان

فمنع الدنيا ليس يغوينى \* لكن طاعتى تملكها يا عاشق لبها بالخير والحسان

والعلمى فى «توكت لاهلال» مملوك لا يخرج عن طاعة سيده ويستبشر

لاوامره ونواهيته ، ويرى ان الغلام لا بد أن يطيع مولاه كما يشاء ويرضى :

مملوك مايلى عن باب الطاعا اخروج

(1) تنقاد : يصح لها قد واحد أى تتساوى

(2) بنديق : طاطا وركع للسلطان

نرضى المن يكسبني ابهاه  
نستبشر عن أمرونهاه  
ولغلام ايطيع المولاه كيف يرضاه  
ومثل هذا يقوله الحاج ادريس لحنش لام الغيث :  
مانا الا عبد قلت لها واثت يا مولاتي ابشاي (I) ترضاي ارضيت  
بل هو حين يستغيث بها ويطلب منها أن ترحمه بقبلة قبل فوات الاوان  
يؤكد لها أنه عبد موروث :

قولوا الال غيث رنا بك. كانستغاث  
روفي اعلى افريد احواك وغيثيه  
يا للي بيهاك اسيتيه  
لاش على الجمار ارميته  
احميه اقبل بالغالبا قبل ايفوت الفوت  
ياك اتعرفيه الالا اعبيد عندك موروث  
ويرى الحاج احمد امر يقق نفسه مكسوبيا لزينب بحكم القدر المحتوم  
ولكنه راض بما كتب له :

بالحكم الواجب \* عبدها متملك مكسوب  
راضى مكتاسبى . شفت العين اجنات كما اكتاب  
أما الفقيه العميرى فخديم لزهير صابر على هجرها :  
صابر صابر الحبها اشحال ونسى مملوكها اغلام  
وعاد صابر اعلى اهجيرو

ورغم كل هذا التفانى بظل المحب يعانى من الفراق والهجر والنفور  
والفجأة الطويلة ويخبر العلمى عن فراق محبوبه الذى جفاه وتركه فريدا  
بلا عقل ، براوده طيفه وخياله ، فيقول :

كيف ايواسى اللى افرق محبوبو وابقى ابلا اعقل فى لرسام افريد  
كيف اجفانى احبيب قلبي  
ظل غير صورتو وانعوتو واخيالو

من لاعمرى انظرت زين ابلبدور ابخالو

ويصور لحظة الوداع وقد ذهل وتقل لسانه وارتخى جسمه وانهمرت  
دموعه ولم يقل شيئا لمحجوبه :

ماصبت حين ودعنى ولفى ما نقول

دهلوا اجوارحى واثقل السانى

وارتخاوا اعزوق ابدنى

وهطلوا بالدمع اعيانى

ولكن محجوبه حياه وجلس اليه وجعله يستمتع بقرينه قبل أن يودعه  
وبمنحه قبله الرضى ليتركه مسلوب العقل :

أولا اسباني حتى جاني افلون قانى

واحيانى بالسلام واجلس واسطبت (I) اكعادو

امنين شافنى امسلى نيم شفرو وقال لى ودعتك يا سيدى

قبل بعد لوداع راضى باش املكنتى

اوهاز عقلى وامشى فى حالو

ويستعظم المدغرى فى «الکناوى» يوم الفراق ، وقد تركه أحباؤه مكويا  
ينوح فى حالة تدعو الى الرحمة والاشفاق .

معظم ذاك اليوم فاش صدوا ناسى وامشاوا

تركونى نواح فى ارسيم اضميرى كاوى

يحسن عون اللى امشاوا ناسو من بعد اكوا

وهو كالعلمى لا تتركه المحبوبة فى «الفراق» دون أن تسلم عليه ، ولكن  
ليس بقبله وانما بعناق كاعتناق حرف اللام ألف :

لا ايعيد افراق المعشوق يالعشاق بعد ما عنقنى تعناق لام مرشوق

وتطول الغيبة بالعلمى ، فيشتد غرامه ويقوى عزمه ويطول كتمانته حتى

كأنه مسحور سحره راجب رومى يستحيل أن يحن قلبه فهو أفسى من الحديد،

ويتساءل عن هذا السجر أهو طلسم او تعزيم فى الجدول بخط عجمى :

اشتد غرمى واقوى عزمى

(I) اسطاب : استمتع ، وأصله استطاب

اعيينت نكمي

كيف اللي داخلوا مسجور اعلى قلب اجواه  
واللي مسجور ارحيب رومي امحال يحن ليه قلبو اقسي من لحديد  
ما تعرف داسجور طلسم او اعزيم ابخط عجمي .  
وهو قد اشتاق الى جمال محبوبته ولم يعد قادرا على تحمل الفراق رغم  
صبره الشبيه بصبر قيس على غرام ليلى وصبر عنتره على غرام عبلة ، خاصة  
وانها لم تبعث له رسولا أو مكتوبا ، مما حيره وجعله يسأل عنها كل من لقيه :

طالت أسيدى هذا الغيبا

واتوحشت ابها

اولا قدرت للفراق امعا

...

نصبر اكما اصبر قلب لعشيق النكيب

قيس لغريم فهو ليلى

واشواق عنتر من عبلا

...

لاكتب لارسول اقدم من عند الحبيب

اجميع من القيمت انسالوا

وانقول احبيبي مالو

ما بان ما ظهر بخيالو

وهكذا يبدو الفراق على حد قول المدغرى مزهقا للنفوس مجفقا للريق  
مشيبا للشباب مروعاً لسرور العاشقين بخيول جيشه وأعلامه ونباله الممزقة  
الفتاكة ورماحه المريقة للدماء :

ريت لفراق اوعدى بالنفوس زهاق ❁ افلحلاقم ريق اهل الشوق به مسروق

ريت لفراق ايشيب بالصبا ولشواق ❁ كن عاشق فصبا امن الفراق مخروق

ريت لفراق سرور العاشقين ملاق ❁ ابلخيول افجيشو واعلام ليه موثوق

ريت لفراق انبل سهمو اسريع مزاق ❁ من اسنون ازماحو دم لعشيق مهروق

فلا عجب والبين بهذا الاثر أن يتخيله ابن سليمان حجابا بينه وبين

حبيبته في شكل سور رواقى من الحديد عرضه خمسون ميلا ، له باب يسمى

باب الرضى ، لكنه فى الطرف الآخر قد أغلقته الجببية :

سور البين ارواكى امن الحديد عرضو خمسين ميل فوتاكو (1)

هذا انظن به اغزالى تضريك (2)

بابو اسميتو باب الرضى من عندو مغلوک

وعلى عادة الشاعر الشعبى الشغوف بالتنشيه والمقارنة والرمز فقد  
تخيل المحبوب الهاجر طائرا نأفرا خصه بقصائد أطلق عليها «الطرشون» ،  
وهو اسم لنوع من الطيور . يقول ابن على العمرانى متحدثا عن طرشونه الذى  
غاب وهو يخاف أن يصطاده أعداؤه فيتشفوا فيه وينتقموا منه :

طرشونى من لى الصيادا ماريت ابخالو      لله واش ما شفت لى طير غاب لى  
خوفى ايصيدوه اعدايا ويقطعو احبالو      يقدوا فيه ثار المغلوب الا ايقدى  
ويقول ابن على المسفيوى عن طرشونه الذى غدر به وجفاه فانهكه فراقه ،  
وهو يطلب من الله أن يجمع به الشمل ويحقق الامة :

طرشونى غاب ياهلى واغدرنى واجفانى      وافرako رشانى

نسعى لكريم به يجمع شملى وامنايا

والمحب لا يعانى من الهجر والنفور فقط ، وانما يعانى كذلك من اللائم .  
ونجد المدغرى يعذر لائمه لانه لم يذق من كؤوس شراب الحب ولم يجرب  
انهوى وأهواله وكيائه وآلام الفراق والهجران :

لو ذقت يا لايم كيسان اشرابى      تعذر من روحى الشاربى

واتجرب لهوا وجمر اشرايو

واتشوف كيتى وهجرتى واشغابى      واجنود الهجرا الشاغبا

وامحاور لهوا او حر اشغابو

ونجد العلمى مثله يلتمس العذر للائمه الذى سلم من الجراح والظعن

واللسع ، فيقول له :

سر أمن لام

ذاتك من لجراح سالما

---

(1) اى فى وثاقه ، والمتصود الاساس

(2) تضريك : تستر .



ما طعنوك اشفاق نايم

ما بهضوك اتيام

مالسك امن الصديق شمي ارقيم

ويقول للائم آخر ينهاء عن اللوم حتى لا يبتلى ، ويؤكد له انه لو ضمن

سلامته من الهوى لما مل من سماع لومه أبدا :

كف للام

دعنى يا لايم

حالى بسلام يكفك مشتغل

سلم يامن لام لا اتبلا

لو اعرفت لهوى بلامك يتراك

ما تقنط بسلام

ما نمل من قولك هيهات ما نتخل

ومن عجيب أن احمد اجوات استطاع ان يؤثر على اللائم ويجعل قلبه يرق ويذهب رسولا الى فاطمة . فهو بعد أن نهاء عن اللوم وحذره من الوقوع فى الحب ، طلب منه أن يسأل ويجول ويستفسر عن الباب الذى يمكنه أن يدخل منه دون خوف ، فاذا كان يريد أن ينظر فليتنظر الى حال جسمه العليل ينبئه بالخبر اليقين ، واذا كان شجاعا من الابطال فليقف الى جانبه ليحميه ، واذا كان حكيما منجما فليسلب له عقل محبوبته مقابل ان يهديه نفسه ، واذا كان يوالىها فليذهب اليها ليلومها وينهاها كما جاء يلومه وينهاها حتى تجود له بالوصال ، وسيقيم له اذ ذاك ليلة زهو-وسرور مقابل ما قدم له من مساعدة . فلم يلبث اللائم أن أخذ فى البكاء وذهب الى فاطمة يحمل لها رسالة الحبيب :

ألايم لا تلوم سلم

واعذر ناس لغرام

ليديك الله أتزطم

بالنعل افلمقام

من لا يوزن ولا يخمم

محسوب من لغشام  
والناس احوال  
والحال امن اهلو ماتحول  
نبيك اتسال  
واتسقى (I) بعد ما تسول  
وتجول اشحال  
وتعرف الباب امناش تدخل  
ياك العقل نور من صنعت العالى  
سر به الحكما حاكما  
القلب ايشموف والنظرا للعين السرديا  
ويلا كنت اتشوف شوف اخیالى  
شوف من حال الدات الساقما  
لعل اىخبروك بالكتم فالسريا  
.....  
ويلا كنت اشجيع من لبطالى  
.....  
أجى فكتافى اوكون لى فانتحزار احميا  
ويلا كنت احكيم  
نزل اشكال اسرار العاطما  
واسلب ليا عقيلها ونالك اهديا  
ويلا كنت اعلى للمليح اموالى  
سير بعدا لوم اعلى فاطما  
وانهيها كيف جيت اتنهينى وارغب فيا  
مضر اتجود لى بوصالى  
الى اتجنى بالزورا عازما  
نفرح بمجيك وانقيم ليلا زهويا  
شفيت لايمى وابكى من حالى  
.....  
وارجع حتى ادى امعاء ابرا (2) بخط ايدى

---

(I) تستفسر ، واصلها فى الفصحى تستقصى . (2) ابرا : الرسالة .

والشاعر الشعبي لا يكتفى بالشكوى مما يعاينه وإنما يحاول أن ينفذ إلى قلب حبيبته والوصول إليها بشتى الوسائل ؛ يحاول بالرجاء والاستعطاف على حد ما نجد عند العلمي الذي يلتمس من محبوبه أن يحن ويشفق ويعفو عنه وينبهه وينهاه ويطلق سراحه ويفديه ويؤوره ، وهو مستعد لقبول كل الشروط :

قابل اشروطك حن واشفق واعطف لى احوالك زورو ويزورك  
نبهو وانهيه ابهيك نمرح منجوناك بالجاهى وانعم لى ابلفكاك  
وافدى ميسورك لن حالو محسوب اعليك واعلى مغلوبك جد واصفح  
وعلى حد ما يسمعنا الطيب الواستري الذى ضيع اوقاته (I) وافنى ذاته طمعا  
فى رضى المحبوب وتفانيا فى حبه :

ضيعت فيك اوقاتى ❁ وافنيت فيك وارشييت

وافنيت ما نطمع ذاتى ❁ برضاك يا من اهويت

رفا يا ضيا عقلتى ❁ رنا ابهيك افنيت

وهو لا يطمع الا فى أن يذكره ويؤوره :

أنا افعارك أسطاني توفي ازيارتي واتفكدنى يا عنايتي

يامن طاعوا ليك بالقهرا لبنات

وابن على المسفيوى كذلك لا يطمع من محبوبه فى غير الزيارة :

ياهلل الزين المهيب بالمحبيب جدلى بقدامك يا ضيا اهدابى

والمدغرى يطلب من الله أن يجمع بينه وبين حبيبته فى اعتناق على التهاد

جميل :

المولى لاقى لاقى ❁ اقريب لاقى

لاشى لاقى ❁ انعاود عناقى

اعلى الذهب مازين التعناق

والكندوز لا يرجو من جميل الخال الا أن يزوره ويصله بعد ان عذبه بتيهه :

أيا سابع لئجال ❁ عذبتنى بالتيهه يا شملاى

زر رسمى يازين الخال ❁ كم لى نرجو لوصال

(I) لعله يقصد اوقات الصلاة كناية عن الدين

أما سيدي العربي مول الغربية فهو يزجو من أمير الهوى بعد أن ملك عقله وشوى كبده أن وجود على أخصانه بغيث يروى غرسه ونباته :

يامالك عقلي بكلكبادتشمواوا جد بامطارك لغصاني انبات راوي

وقد ترق المحبوبة وترد ولو باعتذار كما فعلت مريا التي زادها الفلوس نارا بشكواه ، فخافت عليه أن يذوب من كثرة السهر ، ولكنها أكدت له ما يعرف من أنها تحت حكم أهلها ، وأنهم لا يرضون العار ، وأن المحكوم لا بد وأن يخضع لقدره :

وادوات اغزالي اهلال عيدي قالت لي يا عشيق حسني زدتنى نار  
خوفى غير اتذوب بالسهر ذات العشاق دايبا بالولفيا

قالت لي يا عاشق لبها تدرينى تحت لجكام واهلى ما ترضى عار  
والمحكوم ايصرف لقسدر هذا عذرى احكتلك دون اخفيا  
وسألها عن الحل فى هذا الوضع فدعته الى الصبر لما فيه من حكمة خفية ،  
فما كان منه الا أن قبل الارض ورجاها ألا تحرمه من رؤيتها ، وأخبرها انه  
سيلازم الابواب صباحا وعشية :

قلت لها يا رايت لملك كيف المعمول فدننى يدامى (I) لوكار

قالت لي مصقولت الصندر الصبر املح فيه حكما سريا

طلحت وبست الارض قلت لها ما عندى ما انقول يا من حزت توقار

لا تحرم جفنى امن النظر هانا عند لبواب صباحا وعشيا

وقد لا تلتفت المحبوبة فيلجأ الى بعض العتاب كما فعل امتيرد وهو يصارح  
طامو بأن الافاضل يستحون من العيب وانها لم تستح ولم تكافىء ولم تكرم  
ولم تجاز ولم توف أو تواف ، ويحذرهما فتنة الجور ونهاية الظلم ويذكرها بفناء  
الدنيا وأهلها وبرحمة الله التى تشمل الجميع ويدعوها الى أن تغتنم شبابها  
وتزوره قبل فوات الاوان :

والعيب يا بدع الصورا به لفضال تحشم

وانت ما احشمت

ما كافيتى

ماكرمتى

---

(I) الدامى : الغزال

ما جازتني

ما وافقتني

ما اوفتني

الجورفتنا

والظلم انما يتو الضمنا

نهجر نهج اظليم

والدنيا كيف اترايها اهلها راحل وامقيم

غنمي صغرك ربي ارحيم رحمان

فضلوا اكثر

وارحمتمو منشورا لعل اعبادو

بها اجميع يرحامو

زوري احبيب قلبك والمولى يالريم غفار

ومثل هذا يقوله العلمي لمحبيه يطلب منه أن يرحمه بعد ان اهلكه ،

ويلبى طلبه لكي يجزيه الله ما دامت نجومه مضيئة وهلاله ساطعا بين الافلاك

قبل أن تحجبه غيوم الزمان وتطفىء نوره :

وارحم بعد لهلاك

واطلق مطاوبك

تاجر لكريم ايكفيك

ما حيد انجومك ضاويها واهلاكك بين نفاك

من قبل اغيومك

ايستطف ضو ويخليك

وباعتف من هذه اللهجة يؤنب امتيرد فاطمة (I) في عتاب ممزوج بوعظ فيأخذ

عيبها أنها تنكرت له بعد عشرة طويلة حسنة ويكشف لها عن عيبها وقد تجلى

اثره في سقام جسمه ويلفت نظرها الى أن أهل الحياء لا يصدر منهم عيب مهما

طال بهم الحال ، وأن الجميل يساعد نفسه الايام وأن القبيح يصادف

لتائج أفعاله :

(I) يطلق الاشياخ على قصيدة فاطمة هذه : «ايرابي فاطمة»

اي تربيتها .

بعد حسن العشر اكمال طيب لمرام زام زعدك واهطل بفراقتو اسكيبو  
بان عيبك واغشاني فالجوارح اسقام وناس لجيا لوطال الحال ما ايعيبو  
لمليح امساعد وامساعداه ليمام ولقبيح افعالو وامصايبو اتصيبو  
ولا يكتفى بهذا بل يزيد في وعظها عساها ترق وتلين ، ويحاول ان  
يفهمها ان لكل شئ نهاية مهما علا وعظم ، وانها لو كانت قصرا ضحما على  
الحيطان لانهدمت اسواره ، ويدعوها الى ان تستيقظ من سهوها وتيهيها  
وتنظر في حال من سبقوها لتعرف انها منتهية مثلهم :

كان كنت اقصر اتعلى او حاز تضخم لو اعلات الحيطان اسوارها ايريبو (I)  
كان اسهيتى اتيقظي من حال اسهوك ويلا تهتى التيه اتعريك ايامو  
نظري بملامح لبصار الى سيقوك اكما فرغوا يفرغ سوقك وازحامو  
ويختم تأنيبه بمصارحتها بانها ان رفعت قدرها صغر ، وان الادب  
يدل على النسب الطيب ، وبان شمسها مهما اشرفت فان الليل لا محالة  
حاجبها ، وبان عمرها مهما طال لا بد وان شيب الكبر يصيبها ، وبانها  
مهما حكمت واستبدت في الحكم فان ساعة الظلم لا تدوم وصاحب الظلم فان:  
ايلا اترفعي قدرك يصغار لاداب ايدل اعلى اكمال طيب النسما

لو اشمرقت ولاحت فالجوشمسك اعلام لاغنى الليل اينادى خلفها احجيبو  
لو اتعيشي ما عاشو فالزمان لهرام لا غنى من لكبر باتيك جند شيبو  
ولو احكمت واتحكمت يفرغ لحكام سماعت انظلم اتفوت وناسها ايعيبو  
وهو لا يحاول ان يعتذر عن هذا العتاب وانما يلح عليه تأنيبا لها لو  
عقلته ، ويطلب منها ان تتخلى عن الصمد والجفاء وتنظر اليه وان تصون  
عرضها وتكتم عيبها وان تفي بالقول الصادق . ولا يترك خطابها الا ليؤكد  
لها عتابه وانه سيعود اليه :

جدثتك لجديت للعاقل تنبيه تركى صد الجفا اوصول فوصالى  
عرضك صونيه وعيبك الناقص كتميه ما احلى من فا بالصدق والقول الوافى  
حافيتك ابلحفا او ما زال انحافى (2)

(I) ايريب مضارع راب اى انهدم (2) الحفا : العتاب وفعله حافى .

وقد يلجأ المحب في محاولاته الى ارسال مبعوث يخبر المحبوبة بحالته وبناته بها ، وقد اطلق الشعراء اسم «المرسول» على القصائد التي تحكى ذلك. ومن اروعها مرسول الحاج احمد القزائلى الذى بعثه من مراكش الى فاس بعد ان اخذ منه العهد انه سيحضر له محبوبته ، ولكنه عاد بمفرده ولم يحقق الغاية من سفره ، فامسقط في يد المحب وتاه عن عقله وانهمرت دموعه ، وسأل المرسول اول ما سألته عن المحبوبة التى وعده باحضارها ضدا فى العواذل ومقابل مكافأة سخية ، تلك المحبوبة التى اشتاق الى خيالها وفارق من أجلها احبابه ووطنه ومنزله وعشيرته :

ليه ارسلت ارسول اعلى او عس يبلغ قصدى امناء وايتوك اهلالي  
وايسلنى بعد لفراك كيف اتسلت ازمان  
قاولنى مرسولى ايحضر و امسكت العهد لوثيق واحصرت امقالو  
من المبهجا لمدنت لحضر صفتو (1) عجلان  
امشى وارجع بعد حين وانويت جابو كيف قال وفا فقوالو  
وانصيب ون افريد واعلاش امشى ما بان  
مهما سلمت اعليه طاش عقلى واخرجت على لحوال وادموعى سالوا  
اول فكلامى قلت له واين دابلى لعيان

. . .

ياك امرسولى قلت ما تولى حتى ياتى امعاك ضد افعدالو  
ونا نسعى بيشمارتى (2) انهار اتجى بالمزيان  
امرسولى واين لجبيب وين (3) الذى اشتكت اخيالو  
وافرقت احبابى واسوطان ورسمى والعشيران  
وما زال يلج على المرسول ان يخبره بحال المحبوبة وسيرتها وهل هى  
سالية او مثله مهمومة شاكية ، باكية منكدة ، حتى انباء - بعد ان مهد له بان

---

(1) صافت وصيغت : ارسل .

(2) البشارة فى الفصحى التبشير ، وهى هنا المكافأة التى تمنح للمبشر .

(3) واين بمعنى اين ومثلها وين .

لا غنى عن الصبر لكى يهون الصعب — ان اعداءه حاموا حول محبوبته  
وانهم لا شك حرزوها ومنعوها عنه ، ولكنها تشكو افتقاده ناحية حزينه  
بالليل والنهار ، فقد استطاع المرسول أن يصل الى دارها ويبلغها كتاب  
حبيبها الذى عظم فى عينها ، فقبلته وقراته بكثير من التحقيق ودمعها يسيل .  
فكان جوابها أنه من المستحيل أن تنساء ما دام لم ينسها وانها تشفق عليه  
من المحن التى لا قبل له بها وان القدر هو الذى فرق بينهما وان لكل قدر  
كتابا واجلا وان ايام الهجر لا محالة منقلبة الى سلو وسرور ، وهى تريد منه  
ان يمهله حتى تصادف غفلة الحسود او تضلله فتلحق به ليغنىما ساعة زهو  
يرتشفان فيها الكؤوس ، وتؤكد له ان ذاتها وبهاء حسنها وصورتها  
وجمالها وروحها وكل جوارحها ملك له وانها ان تخلت عنه تكن خائنة :

امرسولى لله فدنى واخبرنى عن سيرتو اوحالو واحوالو

سالى ولا كيفى اهميم شاكى باكى نكدان

قال المرسول اعاشق الزين اصبر لا غنى والصعب يهوان  
محبوبك دارت به اليدين لا ريب حرزوه اعليك العديان  
لكن من فقدك ناحب احزين نواح فالضيا وعكاب (I) الديجان  
محبوبك اوصلت المنزلو بكتابك وارفع ملتقاه ابتقبالو

واقراء اوحق اشواهدو اودمع انجالو هتان

قال احببى محال يترك من بالى ونا ما اتركنى من بالو

حاشا حتى نرضى انمعنو ما يستهل لمحان

غير الوعد افرقنا وهكذا قدر مولانا او كل وعد بمجانو

وايام الهجر لا غنى اتعود اسرور وسلوان

قلو ايمهل عنى حتى انصيب نفعل لحسود او منى ينضالو

والجيو انغنم ساعت الزهو برشيف الكيسان

ذاتي وابها حسنى اوصورتى واجمالى والروح ولعضا مكسوب لو

الى دزت ما دمت افلحيا يحسبنى خوان

ولكن المحب يرد على المرسول بأنه يخاف ان تطول مدة الهجر التى



تعد ساعتها في حسابه يوما واليوم زمانا :

جدوبت ارسولى قلت له خفت ايام الهجر اعلى اخبيرى يطوالو

عنى ساع فى عوض يوم واليوم فى عوض ازمان

كذلك قد يلجأ المحب الى القضاء عساه ينصفه من جور المحبوبة ،

وقد اطلق الشعراء على هذا اللون من القصائد اسم «القاضى» :

وقد ذهب امتيرد الى القاضى ليفصل بينه وبين حبيبته بعد أن غابت

عنه وهجرته وتكررت له ، وهو من حبيها مروع مسحور ، ويرجوه ان ينظر

فى حاله ويطرد عنه الاكدار :

وهو ياودى جيتك يالقاضى تفرقنا ابلفصال

الى الحق فيا قبضو منى \* مال ولفى تاهت عنى

القاضى يحسن عونى \* ما افطنى ولفى اتغيب عنى

من حبيها ادهانى \* سحر ادهانى

...

اهجرتنى ميلافى اخيلتى صالت عل لبدور نكرتنى يا حسرا

شوف من حالى بالفيقه طرد اغيارى

ويتوجه القاضى الى المحبوبة يطلب منها أن تجيب فتد بان المدعى لا

يسمى لغير العار ، وانها لم تكثر لامرء لانه قابلها عند باب دارها يوم

كانت خارجة للزيارة ، ونظر اليها وطلب منها أن تصاحبه فى فسحة

فرفضت ، وهو اليوم بدون حياء يتاضيه بعد أن زور فى الشهادة ، وهى

تؤكد أنه مجنون وأنه لم ينظر بعينه الى جمالها ولم يظفر منزله بها ولا

اشتعل شمع من اجلها ، وما تظنه الا يقصد المزاح :

قالت اميدى هذا جا ايحارب العارى \* ونا يالقاضى ما جبت اخبار

غير اجبرنى في باب دارنا يوم اخرجت انزور (I) \* وارمقنى بالنظرا

قال ياديك الهيفا ارواح تنسارى \* ونا ما ابغيت اتبعو للدار

وادعانى يالفقى ابلا احيا دار اشهود الزور \* اشهنو دا الحكرا (2)

...

(I) المقصود بالزيارة زيارة المقابر واضرحة الاولياء والصالحين .

(2) الحكرة : الاحتقار .

وهو ياسيدي قالت بالقاضي هذا به ليهبال \* عمرو ما نظر زيني بالماحو  
اولا ظفر بي مركاحو (2) \* اولاً شعل عني مصباحو  
الحب لاحو مهما اضوا امراحو \*

عنوا ابقي امزاحي \* ما هسو ساحي  
وغضب القاضي لهذا الرد ، ورمى المدعي بالغدر كأنه يريد ايداءه ،  
وطلب منه أن يفارقها وان يترك الفجور والا يقوه باي كلام :  
دار لفقيه ابغيظ رايد اشراي  
وانطق قال لي ياذاك الغدار  
فارق عنك مكمولت ليهي لا تدعي بفجور  
ما نقبل لك هدرا

وحاول أن يعرب عن حقيقة حبه فطلب منه القاضي أن يحضر الشهود،  
ولكنه رد بالأشهود له غير الخليفة وطائر الحساني وكؤوس المسطار وبعض  
انواع الخمر ، ولكن له ما يثبت به دعواه وهو الوشم الذي رسمته بين  
نهديها ، ويمثل طيوراً احرا ولبؤة ، وقصوراً ومنازه ، وطلب من  
القاضي ان ينظر بعينه حتى يتأكد :

كلت لو ما حضرو حتى اشهود فوكاري  
الا اخليتي وكؤوس المسطار (2)  
والحساني والكاس كيظل عكب الديجور  
وانواع من الخمر  
وهو ياودي واسمع بالقاضي وانظر زين لغزال زكي املا محك  
فبديع اصدرها  
فيه دارت ما يعجبها  
اكما ابغت اعلى خاطرها  
تاج لبها  
سبحان امن اخلقها

---

١) المركاح : المنزل .

2) المسطار كما في الفصحى نوع من الشراب حامض ولعله لم يقصد  
به غير الخمر رغم انه ذكرها .

فحروفيها انزاهها ما تنساهاها ايمرتها  
نورها صيغ ياقارى  
بين النهود نزلت اطيور احرار  
واعملت الليث امع البيتو وامنازه واقصور  
وانظر زين العفرا

واراد القاضى أن يتأكد من هذه الامارات فرفضت المدعى عليها لافنة  
نظره الى أن كشف العورة حرام فى المذهب وان ما يقوله لم يرد فى  
الكتب :

قالت اغزالي للقاضى انبين اعوارى  
هذا حرام فالمذهب ما يذكر  
شين قلت محذوف يافقيه ما جابوه اسطور  
واغتاض القاضى ، ولكن المدعى طلب منه أن يحكم بالمشهور ، ونظر  
القاضى الى وشمها فتناه عن عقله وغدا خصما للعاشق واعتبره ظالما . ولكن  
المدعى حاول ان ينبه ضمير القاضى وان يخوفه الله :  
قلت لو خاف امن المولى واشف لضرار  
انا اعشيق كيف اجرى لى نهجسار  
فعاد للقاضى وعيه وحكم له بان طلب من المحبوبة ان تسامحه  
ونترك هجره .

واذا كان كذلك حكم قاضى امتيرد فان قاضى المدغرى حكم له حيث  
طلب من المدعى عليها ان تغفو وتصفح ، وخوفها انشعور بنفس الاحساس  
اذا ما حضرت مجلس الحسان ، وكأنه اراد ان يحرك غيرتها ، وكذلك  
فعل اذ امر خدامه ان يقودوهما للدار :

قال لفقيه سامح يادلبها الواضح  
خوفي اتذوق ما ذاق الى شفت اريام تتمايح فمكاني  
قال لفقيه فالحين الخدامو اقوام  
زيدو ابدوك قدامى للمركاح  
ليه سرنا من غير اشحاح

والدمع عن خدى سياح  
بالسرجاج  
ونا انجى ابلقصوح  
سرنا اجميع دون اوقيح  
لبساط شارق افترضيح  
شل انصيف بالتصحيح  
سخنا اعلى ابطاحو  
واريام فيه صاحوا  
بنغام رايقا تشرح من قلبو اظلام وافجا هول احزاني  
شاف الشرود (I) عند القاضي حر الخيام  
وادهاه في ادهانو كيف ادهاني  
اتوازن اهوانو واهواني  
اوافق هجره هجراني  
اوقال هاني  
نكويت ليس هاني  
والى اكواوا بالنيزان  
واعذاب ليعت التيهان  
ما ضرهم شين كان  
امين شفتو راني  
اعطفت عل العاني  
عاد لخصام صلح ابطلعت بدر التمام واختمت العنواني  
أما قاضي مولاي علي البغدادي فبكي من شدة التأثر لحال المحب حتى  
أغمى عليه :

لفقى ابكى بدموع لنيام  
من حر لهو الهيام  
حتى اغشى اعليه العبال وغاب لعشيق عن قصد امرامو

---

(I) الشرود : المغزل .

ولاحد اشياخ مراکش - لم نهتد الى اسمه - قصيدة فى خصام بين  
شابة وزوجها العجوز رفع أمرهما الى القاضى فمالت نفسه للزوجة وحكم  
بطلاقها ، ولكن الزوج استنجد بالامير فرد له زوجته ، وهى القصيدة التى  
يقول فى حربتها :

اشهدت اليوم اعجوبا

شايب ظل امع شابا فمعاير والخصام

كان اتسالو يا حاضرين

واذا ما قشلت هذه المحاولات فان **المحب يلجأ الى الحيل** يسعى بها  
للوصول .

ومن الحيل ان يقصد الفقهاء والمنجمين ويتخذ الحروز والشمائم  
والتعاوين على حد ما فعل الشيخ الجيلالى حين عجز عن الوصول الى طامو ،  
فانه لجأ الى طالب من اولئك الذين يسطرون الجداول حاذق للفلسفة والحكمة  
وعلم التنجيم ، فاخبره بعد أن تعمق فى سر بحور علمه ان حفظه من حظ  
محبوبته ، وان نجمة ظهر فى برج من ابراج النصر تلوح اضواءه :

ناديت قلت فاجى كرى يامن ايرى او يعلم

بلى اهويت ساعدنى بانوارو

شوف مالو واش اغيارو

كان يعطى حد اخبارو

القيت طالب خطاط افلافسى انعرفو مدوب احكيم

شرح معنى فى كل فن قارى علم التنجيم

غرق سرو فبحور سر وعلان

وانطق قال لى محبوبك سعدك امن اسعادو

نجمك تاك فقوامو

فى برج امن ابراج النصر يرمى اضياه سيار

وكشف له الفقيه عن سر هجر محبوبته وانها تخشى من الرقيب  
لكنها قادمة بعد الصدود ، واعطاء حرزا طلب منه أن يعلقه ويحجبه  
ويصونه ، وسوف لا يلبث اثره ان يظهر بمجيء الحبيبة ، مؤكدا ان للاسماء

سرا عظيما :

نفقيه قال لى محبوبك بعد الصدود يقدم  
هو أحبيب وانت له احبيبو  
لكن ايخاف امن ارقيبو  
ها حرز التجديبو  
علقو تنظر لو برهان  
الاسما لها سر اعظيم  
حجبو واحضيه اعلى السوام  
تنج من كل ارجيم

وسرعان ما ظهرت نتيجة الحرز فجاءت الحبيبة تطرق الباب وتم  
الوصول .

كذلك لجأ ابن على المسفيوى الى مثل هذا النفقيه حين غاب عنه  
الطرشون وظل يبحث عنه دون جدوى فى كل احياء مراکش ، ولكنه لم  
يلبث ان سمع هائفا يناديه ان اذهب الى باب دكالة عند الفسقية فستقضى  
حاجتك . واسرع الى المكان فى غاية الشوق والظما وشرب من ماء الفسقية  
وزار ضريح الولي سيدي لحسن ونام فى مقامه ، لكنه لم يحس الا ورجل  
يوقظه يبدو عليه من الاعيان ، فقيه نجيب شيخ منجم ماهر داعية ، فاخذه  
المحب الى بيته حيث استنحضر النجوم واستفسره عن حاله . ولم يلبث  
أن ظهر سره عجيبا اذ سطر جدولا بالهندية وعزم عليه بالسريانية ، وما  
أن انتهى منه حتى حضر الخديم (I) فاوصاه ، وغاب ليعود فى الحين  
وخلفه الطرشون ، فما كان من المحب الا ان دفع المقابل بان اقام حفلة  
فى غسق الليل دارت فيها الكؤوس وعزفت الموسيقى :

اسمعت السان حالى جاوبني يائيسانى \* بعد ما ندانى  
الحاجاشور باب دكال فالسقايا  
سرت ايشموقى الشورها او قلبى عظمانى \* القوس الفوقانى  
اشربت والقيت حاجتى مقضيا فالغايا  
زرت الولي الشاهر السر افكل اوانى \* اشفا ضر احزانى  
سيدي لحسن هبتى ولى من لولايا

(I) المقصود به الخديم الجنى .

فمقامو نمت ما فقهت اصاح من جاني \* يقظني نوم اجفاني

اجلسيت واقريت ما كتب امن الحب اقرايا

سلم اعنيا ارجول مارات تها اعياي \* ظاهر من العياي

شير (I) عني او قال زيد الدهنيا

افقيه انجيب شيخ ناجم ماهر دهقاني \* ضايفت فمكاني

حضر لنجوم ثم والقلب امعاء ادوايا

اشكيت اعليه قصتي بعد ماسقسانى \* ورائي كتمانى

واظهر سمرو اعجيب وانعم لي بفدايا

اكتب جدول عمره بالهند ملائى \* عزم بالسرياني

حتى جاء الخديم وصاه اكل اوصايا

غاب ولي اسريع فالحين ابلا جتجاني \* فخلافو سلطانى

طرشوني عز مرسمي تربيت لودايا

واعلى وجب لبشارا حضرت اوائى \* فاغسيق الديجاني

قبساط ارفيع امحتفل والسطعا والمايا

ونجد العلمى حين طالبت غيبة محبوبة يقصد الى ضرب الفسال

وقراءة (2) الخط لبشر بانه سينقاه بعد سبعة ايام :

بعد ان طرحت اشكالك

واضربت سورت الفال

الخط قال لبشارا ليك اقريب

محبوبك تلقاه بعد سبع ايام اترجاه

ومن الحيل ان يتنكر المحب في صفة شخص يطلب الضيافة على حد

ما فعل امثيرة في « ضيف الله » حيث طرق باب دار المحبوبة في الليل

فذهبت من نومها وفتحت له ورحبت به واكرمته على أنه ضيف الله ،

ولكنها لم تلبث ان كشفت امره فعاتبته - مداعبة - انه كذب وانه يقظها من

نومها دون اشفاق ، وطلبت منه أن يسألها لتبادله السؤال مستغربة من

امكانه الخفى عن عيون الاعداء والعواذل الذين وقفوا له بالمرصاد ، ودعته

(I) شير : اشار ، (2) يبدو انه فعل ذلك بنفسه .

الى الصفراء وخمر الشجر بعد ان اكد لها انه لا وقت للنوم فى هذه الليلة  
الهائلة الصافية التى تعادل ليالى بما فيها من متعة ونعيم :

انت هو الضيف ما شفق حالى لكذوب اندينا احرام  
قالت لى سالنى انفيك بسؤالى عن بعد سموييت لمنام  
واخفيت اتلى اعيون اعدا وانكالى لحضرتك شددو احرام  
هات الصفرا وزيد غدر فمصالى قلت لها ما بقى امنام  
ليلا فى ليالها المنعوم اليالى لا ريج اييب لا اغيام  
اما احمد بن الحاج فبعد ان قضى ضيفا على محبوبته عشية مكتملة  
المتعة ليس لها مثيل نادته للوداع وانتجهين ركابه حتى لا يشعر اهلهما  
بشيء ، فقد آن وقت الرواح ، والمسافر عابر لا امل له فى المقام ،  
وافترقا فى عبرات منسكبة وجذوات مضرومة بعد ان اكدت له انها لن  
تنساه مهما طالت الايام :

واغنمنا فرجت لعشينا \* مكحول ما لها امثيل  
نادت الباهيا اعليا \* قالت لوداع يا خليل  
خفت اهلى لا اتفيق بيا \* هات المركوب للرحيل  
هذا وقت الرواح \* لمسافر رايح \* ما ارجى امكام  
حافوا عبراتنا اسجام

قلت تبقى ابخير جذوت ضرمت افقلبنا اضريم  
قالت حاشا اندوزك اقطع واجزم نو طالت ليام

ومن المحيل ان يتنكر المحب فى صفات مختلفة يحاول فى كل منها ان  
يكسب ثقة الحراز ، وهو الشخص الذى يحرز محبوبته اى يحصنها ويحول  
بينها وبين الآخرين ، ويكون فى الغالب زوجها ، ولكنه يرده ويطرده فى  
كل مرة الى ان يتمكن من خدعه فيدخل بيته ويتصل بمحبوبته فى غفلة منه .  
فالشاوى جاءه متنكرا فى هيئة عالم فقيه مؤدب من أحبار الطلبة ،  
عارف بعلم النحو لا ينطق بغير لغة عربية فصيحة ، فى يده صحيح  
البخارى ، وخطب عليه متفنا فى خطبته بعد أن سلم عليه ، واخبره  
أنه قصد حماه ليكرمه ويحسن ضيافته ، وان لاهل العلم اسارا موهبة ،  
وكل من اكرم عالما فكأنما اكرم النبى . وظل يحدثه بهذا الاسلوب حتى



ظن انه سلب ليه ، ولكنه فوجئ به ينظر اليه بعيون متلوبة وينبهه الى ان مكان الفقيه هو بيت الله حيث يجدر به ان يقيم حجرا وبفيد الناس وينفعهم بعلمه لتكون له مرتبة ومكانة . اما بيته فليس له في دخوله اية مصلحة ، وطلب منه أن يبتعد دون ما حاجة الى اللجاج والعتاب :

جيتو طالب بفعال مدوبا

حبر امن احبار الطلبة دهرى افقيه قارى علم اليعراب

ناظف بالعلم بالقاض معروبا

فيدي اكتاب امام البخارى ارحالتي تعجب عن لمداب

اخطبت بقنوني المسسوبا

بعد السلام قلت اسيدى حماك جيت قاصد زاك رغب

ايك الروح اتع الذات مكسوبا

فمقامك السعيد اكرمى واحسن اضيافتى بلطافا وصواب

لصحاب العلم اسرار مرصوبا

واجمع امن اكرم عالم اكرم النبى اكرم فحديث المجتاب

ودويت معاه شحال من نوبا

حتى اطمعت فيه وقلت اسلمتو ابقايت اللطافا والتلاب

وانظر فيما بعيون مقلوبا

لفقيه قال لى ايحق يمشى البيت ربى يعمل محراب

وايفيد الناس اكل موجوبا (I)

ينفع الناس بعلمو وينفعو وايدر لو مرتاب

غنتت فالحال واصعوبا

دارى ادخولها ما لك فيه اصلاح سر بعد وانف لعتاب

وجاءه فى صفة تاجر يحمل معه صناديق الذهب والفضة والاقمشة

يريد ان يصاحبه ويودع عنده سلعته ولكنه رفض صحبته واشار عليه بدور

السلعة حيث يمكنه ان يحفظ بضاعته . وجاءه فى صفة عبد سودانى يعرض

بنفسه للخدمة ولكنه طرده لكرهه السواد ولان اهله اوصوه بعدم اتخاذ

(I) اكل موجوبا : اى بكل الواجبات الدينية التى يجب على الناس معرفتها .

الوصفاء . وجاءه في صفة فارس معه شباك للصيد وخلفه عبدان ، واهداه غزالا وطلب ضيافته ثلاثة ايام ، فهدده وطرده ورفض قبول هديته لان عنده في اغراسه غزالا احسن منه . وجاءه في صفة باشا ترافقه الفرسان ونصب قبته واعلامه وأوعمه أنه يحمل كتابا من السلطان ، ولكنه رده بحجة انه ليس بوزير او قائد أو أحد المسؤولين حتي ينزل عنده الباشا ، واخيرا جاءه في صفة هيفاء بعيون واهداب جميلة سوداء وخدود وردية وجمال يصد التائب عن توبته ، وصافحته بايد مخضبة بالحناء منقوشة فذهل لهذا الخضاب والنقش وغربت شمسها ، وسالها اهو رقم على اليد ام كتاب ، فاجابته بانها تستطيع ان تخطط روضا عجيبا ابهي واجمل ، وله ان يسأل العجائب والشابات حتى يتأكد ، فمسك بها والح عليها في أن تنقش يدي حجوبة ، وأدخلها الى الدار في غاية الفرح وهو لا يدري من ادخل ، وخرج مسرعا لاحضار لوازم الحناء . وعرفت حجوبة سر حبیبها الذي جاء في صفة هيفاء نقاشة ، فخلع زى التنكر بعد ان خدع الحراز ، وهدم كل بنائه ، ونعم بقرب حبیبته واخذها عنده وباتا في غاية الزهو والسرور يتسابقان الكؤوس على ضوء الشموع ونغمات الاوتار :

جيت هيفا بشفار مهدوبا

واعيون غاسقا واخدود اورد اوزين يكسر توبت من تاب

صافحت بيديا المخضوبا

بشمائل لبها وانقش الحنا امنين راه نبهض وارطاب

شمس العكلى ولات مغروبا

وادوا اوقالى يا هيفا هادو اتراكم ايديك او الكتاب

قلت اندير اريضات معجوبا

ابها اوسر ما شافت عينك مر اسأل اعكايز واشواب

شبر فيا بيدو المغضوبا

انت بغيرتك اتورنى قيدين لال شى صنعات اعجاب

واتشوفى بدر الزين حجوبا

لدار ابلعزم دخلنى فرحان ما عرف ياويجو ما جباب

واخرج يجرى باخلاك مرهوبا  
وايجيب لى اشروط الحنا وما ايخص وايوالم باستحباب  
عرفتني لوجيبا المحبوبا  
فالحن طارت التنكيبا (1) افرغ لقمم والكل جالو لكتاب  
واسلات اعضاي المرغوبا  
واديت عارمي وارشحت (2) ابحرزها او كل ما شيدراب  
بتنا فالزهو واسرور اطيوبا  
نتودو اكيوس الخمر فبساط حارساه اصوارم واجباب  
لا واشى لا حساد مركوبا  
غير لغزال والصفرا والكيسان والوتر والشمع اللهاب  
ومثل هذا نجده عند ابن على الذي تنكر للحراز فى صفة عذراء وعالم  
وبدوية وعبد وبطل وتاجر ، ولم يوفق الا فى هيئة حكيم .  
وربما كان حراز البغدادى اشهر ما ينشد فى هذا الباب حيث قصده  
المحب فى صفة باشا ومجنوب وعبد ولم يوفق الا فى صفة الفقيه ، وهو  
الحراز الذى يقول فى حربته :

مال حراز الدامى ما ايثق بيا هيهات \* حارس فى كل اوقات

اعلى الدوام ايجنب ولا ابرومنى قطعيا

وهكذا وبمختلف الوسائل والمحاولات ، يتم الوصال بعد طول عناء  
ومرارة صبر ، فالطبيب الواستري جاد عليه الدهر وارخى له الزمان عنائه  
مكمل سلوه وزهت ايامه يوم زاره محبوبه جودا وانعاما دون سابق اعلام ،  
قاطعا اوصال التيه والجفاء ومنكلا بالرقباء :

الزمت الصبر ما كفى واخفيت ما فكنانى

حتى جاد الدهر بالزهو وكمال السلوان

والوقت ارخى لى اعنانو

وايسامى ولات ناشطا

بوجود الى اهويت يوما وصلت لمكانى

من غير انويا قصر فالجفا والتهيان

---

(1) التنكيبية : النقاب والحجاب . (2) رشح به : خدته .

جاد اعلى بحسانو  
وانعم لى من بعد ما اوطا  
محبوب القلب يامس زارنى يا عثمراى  
وانعم لى ابلوصال وانكا جمع الرقبان  
صايل عن جمع اكرانو  
ابديع الوجنا لمنقطا

وكذلك تزور حبيبة محمد الشاهد السلوى فينعم بالوصال ، ولكنه  
لا يقنع بمجرد اللقاء ومشاهدة الحبيبة ويريد ان يستمتع بحبه كاملا ، اذ  
عنده ان النظرة وحدها لا تطفى لهيب القلب ، وان من العبت اطالتها ،  
وان كل من شاهد الجمال يضطرب لا مجاله :

معلوم الشوف ما اطفى نار الجوف \* غير باطل قوى تشوافو

والى شاف لمليح عمرو ما يتقافا

والعلمى يتم له الوصال فيحمد الله ويشكره ان عافاه من سقمه ،  
فقد زال غمه وظهر نجمه بين الابراج كالهلال ، ونال المقصود ودان له  
وقت السرور فزهت ايامه وازهرت اغصانه بعد ييس وذبول ، وظهر بدره  
ساطعا مضيئا ، فلم يبق له الا ان يستمتع بالاعتناق والارتشاف :

لله الحمد والشكر زال اغتامي \*

واطلع بين ابروج ناير نجمى كن اهلل

عافانى ربى ابريت امن اضرار اسقامى \*

والمقصود الى اطلبته وفانى به الحال

واعطف لى وقت السرور وازهات ايامى \*

والقح غصنى بعدما الوى واييس واذبال

واتيقظ بدرى اوتاق سراج اهمامى \*

ما باقى غير لمعانقا وارشييف الكيسان

وعند ابن على المسقيوى أن الوصال متى تم فانه سيلهج دون انقطاع ،  
وتحلو كاسه ، ويلد شرابه ، ويظرب قلبه ، وتتحسن علاقاته مع أهله  
وأحبابه ، ويخصب روضه ويظهر ، وتدمو أغصانه وتزهر ، ويغنى طائرته ،

وينشد أنغاما حلوة شبيهة في التعبير بـخطاب المحب ، ويظهر بدوره مخترقا حجة ليضيء السهول والروابي ، ويحلو الزمان ، ويستريح البال ، ويهنا المحب في مكانه :

بك نلهج طمى اغيهوب المـحبوب بك يحلا كاسى وايلذلى شرابى  
بك قلبى زاهى مطروب بالمحبوب بك زهرت ناسى واهلى امع احبابى  
بك روضى لاقح مخصوب بالمحبوب بك طهيج اغصانو بالفيض والخصابى  
بك غنى طيرى فشمهوب المحبوب بك يشمد ميات ايشابهو اخطابى  
بك بدرى تارك امن احجوب بالمحبوب بك ضموى فوق الوطيان والروابى  
بك ازبان الزمان ياراحت لكتان المحبوب رالى يهواك بك يهنا فمكانسو  
ويقدم مبارك السوسى عرضا للحفلة التى سيقم انزارته زهرة والتى  
ستستمر يوما كاملا فى روض مزدهر معطر بمتى ألوان الورود والاشجار ،  
تعرف فيه الموسيقى وتدور كؤوس الخمر على الحسان :

يوم اتزور العذرا

بالزهو يتباشم قلبى ايلوح تكدارو

وانقيم فى ايساطى ليلا وانهار

بالآل (I) وافناجل نخمر على لريام اتدور

وانوار مشتهرا

فى ارياض امعطر

والورد فاح بازهارو

والياسمين طهجت ما بين اشجار

وينتشر فى وصف الروض ، ثم ينتقل الى وصف جمهور المدعوين بل

المدعوات بقوله :

جبت اوصاف النوار جبت اوصاف الجمهور

ثم يأخذ فى استعراض أسمائهن على هذا النحو :

نبدا ابراضيا اوهموم الخنار وامهنى وافصيل افارحا او محلا واطهور

(I) الآلة تطلق فى المغرب على الموسيقى المعروفة بالاندلسية .

ومن لطيف الوصال ما تم لامتيرد مناما في شهر رمضان حيث أفاق  
بعد الفجر ليجد نفسه مضطرا الى القضاء والكفارة :

انعيد اصيامي      ونكلع كفارت لوزر  
عنقت اغزالي      فالدجا حتى بان الحال

وقريب من هذا يحدث لابن سليمان اذ زاره محبوبه في رمضان فذاق  
من شهده وجنى من ورده ، فاتهم بالافطار ، ولكنه يستفهم محاولا أن يلتمس  
لنفسه عذر المريض وأنه لا شيء عليه :

أصاح زارني محبوبى يامس كنت صايم  
شهد اقطعت واجنيت الورد قالوا كلت رمضان  
مهجور قلت ماذالى  
أحبيب خاطر واش لمريض يفطر

واذا ما تم الوصال فان المحبوبة تخلده بتذكار تقدمه لحبيبها يكون  
فى الغالب حليا ، سوارا او خلخالا ، ولكنه لا يلبث أن يضيع له فيبحث  
عنه فى عناء الى أن يلقاه .

من هذا ما يخبر به امتيرد فى «خلخال اعويشة» ، وقد اودعته اياه  
على اثر الزيارة أمانة أوصته بأن يصونها ويحفظها ليحضرها يوم الوصال.  
وخبا الخلخال فى جيبه ولكنه ضاع منه ، فاحتار فيما عسى يجيب به  
صاحبه ان سألت عنه :

مهما ودعت الزيم شاق شوقى من تشواقى واهواوا بالدمع انجالى  
يوم اتودعت امع لغزال مدت ليا خلخال  
هذا أمانا ياعشيق قالت صونو واحضيه وجدو يوم اوصالى  
فى مكتوبى درتو اعلى الرضا واتوضر وانشال  
خلخال اعويشا درت لبيها فى مكتوبى يا فهميم درتو وامشى لى  
كيف المعمول ايلا اتسالنى مولات الخلخال

ثم أخذ فى تقييم الخلخال وانه ثمين لا يقدر بمال ، وبدأ فى البحث  
عنه فى كل مكان فلم يعثر له على أثر ، واضطر اخيرا الى فقيه منجم

استطاع بكتابة الجدول وعن طريق الخديم الجنى أن يحضر الخلخال .  
اذ ذاك أرسل للمحبوبة فحضرت على التو وأقام لها حفلا مضيئا مطربا  
بالوان الغناء والاناشييد ، يتساقى فيه مع محبوبته الخمر والرحيق ، وفي  
هذا الجو المنعم الممتع حكى لها قصة الخلخال فأشفقت عليه وضمته اليها  
وقالت له : ان النظرة فى الحبيب خير من ألف خلخال ، فرجع أمامها  
ليبادلها القول بأن وصلها لا تفديه الاموال ، وانها كنزه وكمال فرحته  
وربحه وذخيرته وهناءه وغناه وغاية رأسماله :

وارسلت المولاتى اوجات تنهد تهليل لبكار عراض الفالى  
بحاسنها وابها اجمالها تضرب لمثال  
واعملت افراجا عن اوصولها ما بين الصفرا والرحيق والضو ايلالى (I)  
والغاني ينشد باشعار وارقايق كل اسجال  
واحنا نرها برا وخذ (2) واغزالي تدرج فالبساط واتكب المالى  
سقطت ولفى دوك النجال مدت ليا قصال  
ارويت او طحت اعلى انهودما واحكيت لها اقصىتى اللولى والتالى  
يوم امشى لى خلخالها اوشفقت منى لغزال  
حازتنى مولاتى اعلى اصدرها قالت لى ياعشيق حسنى واجمالى  
النظرا فالمحبوب. خير لى من الف خلخال  
بندقت اوقلت اجد يالعدرا ياتاج القاصرات حرت لغوالى  
وصلك عندى يادرت ليها ما تفديه اموال  
انت كنزى واكمال فرحتى وانت ربح اذخيرتى وغايت رسمالى  
أنت لهننا والفرح ولعنا واكمال الرسمال  
ويحدثنا الفلوس عن دمليج (3) ازهيرو الذى ضاع منه ولم يعثر عليه ،  
وبعد أن بحث كثيرا عنه فى احياء فاس قابل فتاتين أخبرته احدهما أن  
الدمليج موجود عند هيفاء سمراء عثرت عليه يوم كان يزور السلطان ،

---

(I) ايلالى : يتلألا

(2) براوخذ أى بهات وخذ .

(3) الدمليج بالميم والباء سوار يكون غليظا فى الغالي.

فقبل الارض بين يديها ورجاها أن توافيه به ، فودعته بعد أن ضربت له  
موعدا عشية يوم الجمعة بجديفة «جنان السبيل» عند الصهريج الكبير :

قالت وحدا يا عاشق لبها دمليجك موجود عند هيفا بركيا

قالت لى صبتو انهار كان ايزور اتسلطان

اوطحت اوبست الارض قلت لها لاقتى به يالريم العذريا

قالت دبا ياتيك ابلوفا واطمئنان

قلت لها ياتاج لبدر وين ايتكون الميعاد ابشارا دون اخفيا

قالت يوم الجمعا الجايا تلقانا وكدان (I)

أجنا لجنان السبيل قدام الصهريج لكبير وقت الذهبيا

تم ارجنا (2) ولا اتصينا نرجاوك يعلان (3)

والتقى معهما فى الميعاد المحدد ولكن سوداء العينين شرطت عليه اذا  
ازاد الدمليج أن يذهب معهما لرشف الكؤوس ، فأخذ يلتمس منها العذر  
لانه لا يقدر على خيانة محبوبته بعد عشرة طويلة ، ويرجوها أن تراقب فيه  
وجه الله . فلم تلبث أن أخرجت الدمليج ، فدعا لها ان يجزيها الله بكل  
خير ، وردت على شكره بأنه لا جميل وأن مثله لا يهان . فودعهما فرحا  
ناسيا كل ما فات :

قالت لى سود النجال دمليجك عندى دون ريب ولا شكيا

لكن ايلا تمشى العندنا تسطاب الكيسان

قلت لها ياعز لبنات مالى قدرا حتى انخون بعد الولفيا

راقبى فيا وجه لكريم نعم الحى المنان

جبدت لى دمليجى اوقلت لها ايجازيك ا بكل خير خالق لبريا

قالت فالعين ابلو اجميل ماشى مثلك يهان

تم ودعت الباهيات وافرحت قلبى وانسيت كل ما فات اعليا

والقانى بالدمليج رب لورا خالق لكوان

---

(I) وكدان اى بكل تأكيد

(2) ارجنا اى انتظرنا .

(3) يعلان اى علنا .



وللحاج محمد العوفير « خاتم » يقول في حريته :

خاتم ولفى تاج ليها اتوضر وامشى لى  
كيف المصنول ايللا اتسال عنو درت لجمال  
رينت لاسم ليل

وفى القسم الذى يعثر فيه على الخاتم تكشف له المحبوبة ان بالخاتم  
نفسه أسراراً تجعله « مرصوداً » عليها مهما ضيعه المحب فهو يرجع اليها  
تلقائياً :

قلت لها يا سلطانت لعوالم شمالى  
صيغى بعدا لقصيتى اتحير جمع العفال  
اشرىيا وطويلا  
وابديت انعيد البودلال عن شين اجرى لى  
يسوم خاتمها ضاع لى  
وصرت افقدو معلال  
واعضاي افتنخيلا  
ثم ضحكت الباهيا اضيا نور اهلالى  
وادوات وقالت ريع امن احوالك واغنم لوصال  
وازها دون ادبيلا  
الخاتم عندى يا عشيق فخرزين على  
واسبابو يا محبوب خاطرى يا عاشق لجمال  
فيه اسرار اجزييلا  
مرصود اعلى اسمى اباسم الحى العالى  
وين ما خليتو ايجى العندى من غير ابدال  
بالحكميا لوصيلا  
وامنين اعرفتك يا علاج قلبى وادخالى  
عن حبي ومن افراقى خاتمى تبقي فى تدعال  
لك ابعتت ارسىيلا

### ثالثا : الحب

لعلنا من خلال هذا الاستعراض لوصف جمال الفائنات وحال المحبين  
نستطيع أن نستخرج الصورة التي رسمت للحب في ذهن الشاعر الشعبي:  
فامتيرد يراه سيفا يقطع قبل الطعن ، ويرى فسادا أكثر من صلاحه  
لا ينفع ولا يحمل غير الشقاء والتعب :  
هذا حال الحب ولهوا ياطامع بنجاحو \*

سينفو قبل الطعن ينقطع  
وافسادو بنهايت لفعل أكثر من تصلاحو \*

اشقاء اتعبو ابلا انفع  
وهو يتخيل الحب أميرا طاغيا جاثرا حاقدا مروعا يقود جنوده لقتاله ،  
وقد لمعت أسلحته وخفقت أعلامه ، وعامت خيله على خيول المحب وقهرته  
يوم المقاتلة بالسيوف والرماح والسكاكين والاشواك :  
مير الحب اظفا اوجار عنى جاب اجنود اعلى اقتالى حاكك لكلاك  
لطرارد واعلوم شاكا  
عامت خيلو اعلى اخيولى لكلاك  
بالضركا (I)

والسيف ولقنا والرمح أسكين كل ستمل جاني دكاك  
قهروني يوم لمدكا

ويتخيله كذلك بحرا لا نهاية لحدوده ، ما مخرت عبابه سفينة الا شمت  
الواحها ، لا تنفعها في مواجهته الاعمدة والقلاع :

لهوا بحررو مايلو انهايا توصاف اكلاحو \* حتى عاشق به ماظمع  
أما من قرصان سار فوقو تشنات الواحو \* مانفعو صارى اولو اقلع  
وللحب عند ابن سليمان سلطان على رأس عسكر كبير يضم جيوش  
كل القبائل جاءت مستعدة لخوض معارك من أجل الموت أو الحياة  
متعطشة للقتل :

---

(I) الضركة نوع من النبات الصلب له اشواك حادة .

من كل اكبيل جاتنى اليوم محلا (I) \*

جابهها سلطان الغيوان

ينويو الموت امع لحيا افكل امقاتلا \*

كيف شور الما للعطشان

وهو كذلك عند مولاي على البغدادى فى « خدوج » سلطان طاغية

يروع مزاج المحب ، وقد استقر فى قلبه بخيوله المتحفزة المدربة :

سلطان الحب اطفى اوروع امزاجى \*

رسى افير لمهاج

خيولو تظل حدراجا \*

ديما امحربا عنى غير اتروج

ومثل هذا نجده عند عبد السلام الجربى فى « قمر الدارة » حيث

هجم عليه الحب بجيش جرار قاصد لصراعه دون ما عطف أو اشفاق

عليه من محنه ونحوه وفناء جسمه :

صداك بعسكر جرار \* للطام اتانى

ما يحس بمحاننى \* ونا انجيل واقانى

وهو يرى الحب راكبا فرسا ملاليا جاء يقصد قتاله وقد استعدت

خيوله وفرسانه ، كل متقلد سيفه ، وخلف هذه الخيول فرق أخرى

لا يستطيع أحد أن يواجهها . ومع هذه وتلك جيوش الهوى الذى بدا شجاعا

كميا شبيها بعنترة أو ابى زيد ومعه خيول شقراء قوية :

والحب اعلى جار راكب الملالي (2)

عنوا ابغا لقتالى

وامر لخيول اتشالى

كلها متقلد سيفو عل لونا

وامحال اخرى امرادفا

صاكت مراهم

---

(I) المحلة الجيش

(2) لعله نسبة الى بنى ملال .

ما يطيق قادر يلقاهم  
ولهوى بجيوشهم امهم  
اكنى عذبي  
بركاب له ذهبى  
يشبه عنثرا ولا بوزيد لهمام  
له اخيول اقويا  
اوكلهم اشقارا

وحاولوا من معاناة تجربة الحب أن يستخرجوا حكمة او ما يشبه  
الحكمة . وكان العلمى - شاعر الحكمة ذون منازع - أكثر الشعراء طرقا  
لهذا الباب ، اذ حاول فى هدوء الحكيم المتامل أن يستنتج بعض الافكار  
ويقدم بعض النصائح . وعنده أن عشق الجمال طبع غريزى فى كل شخص  
لبيب لا يفتر عن أوصاف حبيبه يعتبرها المسك الذكى فى حبيبه يتعهد  
النعس بطيبه . أما الالفه فريحتها غلابة لا داعى فيها للعتاب ، والشارب  
يعذر فى حال غيبوبته ، يسرح به الهوى فاقدنا لوعيه لا يميز داه من دوائه :

عشق لجمال طبع اغريز افمن هو اليب  
ديما امعاه نعت احبيبو  
كالمسك الذكى فى جيبو  
متعاهد النفس ابطيرو  
والولف ريح غلاب  
متروك فيه لعتاب  
مول الشراب يعذار افحال الغيبا  
دايع به اهواه  
ما يميز داه امن ادواه

وهو يرى ان التمسك بالصبر ضرورى والتمهل لازم لبلوغ المقصود  
ونكاية الحسود ، وان من ألح فى طلب الرضى لابد أن يدركه ، وان مجبا  
لم ينل مراده دون تعب ، ويرى الا خوف من هيجان الحب ، فالرعد يكون  
له صوت يرهب القلوب ولكنه فى هديره مبشر بغيث يعقبه :

من لازم الرضا أو طلبو لا بد أيصيرو  
والى ابغا ايعيظ احسودو يتبع ابلهل مقصودو  
حتى ينكمل معدود

ما نال صب امرادو الا ابتعب وجهاد  
صوت الرعد يتوك لقلوب ارهيبا  
بعد هدير الغاه اينبشم بانغيث امن اوراه

وهو لا يستغرب من تغير أحوال المزيان يقبل ففتحسن حاله ويدبر  
فيخسر حظه ، يزور فيشرق المكان من ضيائه ويهجر فلا يبقى لبهائه اثر.  
ويستشهد بثلاثة امثال شعبية ، يقول الاول أن الجمال لا صديق له ولا  
معاشر ، ويقول الثاني أن الذي لا يصبر للمحن لا يبلغ السلو ، ويقول  
الثالث أن الذي لا يعطى دناتير كثيرة لا يستطيع أن ينعم بالجمال (I) :

تروغ حتى ييدا حالى امعاك يزبان \*  
اتفر منى ييدا سعدى امعاك خاسر  
اتزور حتى يشرق امن اضياك لمكان \*  
اتفر حتى ما يبقى امن ابهاك اثر  
كلما قالوا اصدق افلمثال اهل الزمان \*  
مايل الزين اصدق ولا ايلو امعاشر  
ما ابلغ سلوان الى ما صبر لمجان \*  
ولا امك مزيان الى ما ارخى اداناسر

---

I) يبدو غريبا أن يستشهد العلمي بهذا المثل ويذهب لهذا الرأي  
لأنه لا أثر لعنصر المال في العلاقة بين الرجل والمرأة كما رأينا ، بل  
العكس هو الصحيح . وقد صادفنا مثلاً في خلخال امتيرد أن اعويشه تؤكد  
له أن النظر الى المحبوب خير من الف خلخال ويبادلها الرأي فيذهب الى أن  
وصلها لا يقدر بمال . بل أن العلمي نفسه يقول له المزيان :  
«وامتاع الدنيا ليس يغيوينى » ، ولعل العلمي عبر عن واقع المرأة  
في الحياة وميلها الطبيعى للمغنى والثراء ، ولعله كذلك يقصد ما تكلفه  
حفلات زيارة المحبوبة من نفقات . ومهما يكن فإن مثل هذا الرأي يظل  
غير واضح .

وفي روح يبدو عليه بعض التشاؤم يذهب العلمى الى أن ورق المحب  
ساقط ، فهو دائما نحيل عليل ، يصغر لونه يوما عن يوم ، لا يجد راحة  
لاعضائه ، يهيم فى النهار ويقطع الليل بالسهر والزفرات :  
ورقت مول الحب ساقطا ديما ناحل كل يوم تنظر لونو يصفار  
كنو اعليل ما يوجد راح فى اعضاه  
وايظل ايهوم بالنهار وايبات ايقطع لبهيم ابزفرات  
وايسراعى لوقات  
والنسوايع حتى يفجى النهار ضو وايمد اجوانح الليل ويزهر  
بنجوم فى اسماء  
وينامو كاع (I) لبصار  
وابصارو ساهرين مسكين ايبات  
ولكنه يتراجع قليلا عن هذا التشاؤم ليرى فى « طامو » أنه لا دوام  
لاى حال ، فكما أن الرخاء لا يدوم ، فكذلك لا تدوم الشدة ، فيوم حلو  
كالتمر ويوم مر كالحنظل :  
معلوم كيف ما دامت رخفا عما اتدوم شدا  
هذا امواجب احكام اصروف الدهر  
يوم احلا من طعم التمر  
ويوم كمثل الحنظل مر  
ويرى ان طريق العشق والزمان والايام واحد ، فمن سعدت أيامه تهيأ  
له كل شئ ووجد كل ما يريد ، واذا حسن حظ العاشق وصل سريعا ،  
واذا ساء نفر بنفس السرعة .  
العشق والزمان وليام اطريقهم وحدا  
والى اسكامت ايامو ياسعدو  
كل شئ يسخر بين ايدو  
كلما يبغيه ايوجدو  
ولا يبعاد

إذا اسكام سعدو دغيا (1) اتراه يوصل  
والى اعوج لو ميمونو (2) دغيا اتراه يجفل  
وعنده في «اللائم» ان بحر الغرام عميق ومآن ، يفيض كل يوم ،  
وأن بحارة كثيرين ضاعوا في قعره ، وان ربح الهوى يذهل العقل ويبث  
داء السهر والغفلة :

بحر لغرام غارق واعميق أومالى  
كل انهار ايفيض ويحمل كم من رايس في تخمونجلا  
نوريك طبع لهوى يامن يصغى لى  
ريح اهواه ايشوش لعقل وايقيق ضر السهر والغفلا  
وكذلك نجد عند المدغرى بعض النظرات التأملية كهاته التي يرى فيها  
أن أحدا لا يستطيع أن يهزم العشق والهوى وان كل المحبين مغلوبون ،  
وليس لهم الا أن يرضوا بالهزيمة :

لعشق الهوى مارينا غلابو ❖ والعاشق ديما ينقلب  
كيف ايدير اللى ما ارضى بالغلبا  
وعند المدغرى في « للا اصفية » ان قتيل الحب لا دية له :  
من مات امن اعيون المولوع ما يليه ديا  
ويرى ابن سليمان في «حجوبة» ان صفات الحب عجيبة وان أحدا لا  
يقدر على اخفائه :

صفات الحب اعجوبا ❖ يكذب من قال اغرامو يخفيه  
ويرى في « عطوش » ان عاشق الفائنات مجنون ، يفقد العقل  
وانتدبير ان واجهته جيوش رامية ، وهو لا يستطيع ان يعمر الاوطان :  
عاشق لريام اهبيـل ريت رسمو ما ياوى  
عقلو مثل الكدرى (3) ايلا ايجيه الرامى بجيوش ما تعمر به اوطان  
وعنده في نفس القصيدة أن أساس سور الجمال مغشوش :  
اركبت اعلى سور لبها اوصبت الساسو مغشوش

---

(1) دغيا : بسرعة .

(2) الميمون الحظ .

(3) الكدرى : الحمار .

كذلك يرى الحاج ادريس لحنش فى « فضيلة » وهو يحاول ان ينسى قلبه همومه ، انه لا يشق بالهنات ولا يامنهن الا مجنون ، مواثيقهن باطلة ، لا تقى بالعهود منهن الاقليات ، يعرفن ميل قلب العاشق اليهن دون تغيير او تبديل فيجازينه بالهجر والتيه والجفاء والصدود ، ويكسرن القلوب من الجور ، ويبخلن بخلا لا مثيل له ، واذا ما اختار أحد من يراها منهن عاقلة فانها تسقيه المرارة فورا دون امهال :

وانقول ألقى انس همومك ما يامن افلبنات غير اللى كان اصبيل  
امواثقهم حق باطلا \* من توفى منهم فالعهد اقليل  
وايعرفوا قلب لعشيق يبغيهم ويعرفوا محبتو ما فيها تبديل  
وايجزوه ابلمقبلا \* بالهجر والتيه ولجفا والتخليلا  
ويكسرو لقلوب جور منهم ويبخلوا بالدوام بخل الاثيه امثيل  
من تختار وتقول عاقلا \* تسقيك امرار خرقا لا تمهيلا

#### وابعا : ملاحظات

لا نريد أن نختم هذا الفصل دون أن نبدى بعض الملاحظات المتصلة  
بأغزل عند شعراء الزجل :

**أولى هذه الملاحظات** ان بعض الشعراء يتغزلون فى نفس النص فى  
أكثر من واحدة ، وخاصة امثيرد والمدغرى والرجراجى ولحنش ، فانهم يبدون  
متعلقين بمحبوبتين فى آن واحد وفى أكثر من قصيدة .  
يقول امثيرد فى هنية وهشومة :

سر احمان

كل للريم اهنيا ولغزال هشوما لوصول اتصول

كل اصل يجبد لصلو

ويقول فى تاجة واختها زهرة :

دام الله الحسن ولحاسن فغزالى تاجا \* تاجا هى اوختها زهرا بودواح

ويقول المدغرى عن طامو وهنية :

شهدوا بين ايلا افنيت واضنيت من الوجنا او خالها واخدود الجلار

والشاما والخال والشفر \* واسبابى فالريام طاهو وهنيا



ويقول في مينا والبتول :

الله اينصرك ياميننا وايدوم عزك ياغزال البتول

ويقول الرجراجي في طاهو واختها ازهيرو :

عازم بوصالك ياهرحت الطام ❖ ام السواجل الطام

انت اوخيئك ازهيرو

ويقول الحاج ادريس لحنش في أم الغيث وفاطمة :

كيف اجري لي يا اهل لهورى في حضرت سلطانت النساء لغزال ام الغيث

اشريف العذرات فاطما ❖ مارك الزين بينهم ضمت افكاسي

وليست هذه الظاهرة غريبة ما دام الشاعر حتى وهو يتغزل في

امراة واحدة لا يقصدها بالذات وانما يقصد المثال والنموذج ، فاذا كان

هنا هو القصد ، فليس يهم أن تكون الوسيلة اليه واحدة او أكثر .

**الثانية :** ان غزل الشاعر الشعبي لم يكن دائما بالمرأة وانما كان

يتجه في بعض الاحيان الى المذكر على حد ما نجد عند محمد بن موسى في

«لغزال» الذي قابله أول مرة بباب الكتاب ، وهو غزل لا يختلف عن الغزل

بالمرأة في شيء من الحديث عن اللوم والحساد والهجر والوصل بل حتى

اوصاف الجمال لا نجدها تتغير وان كانت لا تتعدى ملامح الوجه والاوصاف

العامة ، بل ان الشاعر يرى ضرورة اخفاء بقية الاوصاف :

من يوم فاش صدفتو في باب لمسيد (I)

وانظرت حاجبو واتماد

تمثيل شى اجعاب اهناد

وجبين فاييق الفرقاد

واحدود كن ورد افتح من لعماد

والخال العنبري والشاما من فوق احدود

والقد امجود غنجور باز قرنس وثغر جوهر و انضيد

واشفوف كمثل عسجد

والريق كمصل لشهاد

(I) لمسيد هو الكتاب القرآني ، ولعلها تحريف للمسجد .

والجيد كن جيد الشاد

حد لوصاف هذا عن قصد امرادى

وبالباقي واجب نخفيه اعلى جمع لحسود وانزید المجد

بل انه يصرح باسمه فيقول :

يا هلى رغبوى اتمادى \* ينعملى ابلوصال يسعد رسمى بوجود لغزال محمد

ومثل هذا نجده عند المدغرى الذى يقول فى حربة « غزىل » :

دام الله اجمال صورتك يا شادى \* انت اعلى ايتى وامرادى

اغزىل يسلب من جا ايصيدو \* زنجار فى عين سيدى محمد

وكذلك عند الحاج ادريس لحنش فى « المهجور » حيث يصف

محبوبه شابا عالما شاعرا ظريفا قصيحا وفيما صادق القول :

محبوبى ولد الرضا انظيف \* واكذلك اخلاقو امنظفا

تالم قارى شاعر اظريف \* بقصاحا والصدق ولوفا

شلا افلحسان ما نصيف \* ما فيه الكل غر لجفنا

...

شاب رضى واعذارو ايللا امجرنى محبوبى انعود بالكشر

ويلا جاد برضاه نستبشر

وقبل هؤلاء جميعا تغزل امتيرد (طرشون) فى طالب حافظ للسور

اسمه محمد وكان قد غاب فخرج يبحث عنه فى كل مكان الى أن قابل

بعض أصدقائه فأخبره انه موجود بالمدرسة :

ما هو قاللى فالمدرسا طائب حافظ لسوار

يتبساها توكت تقمار

ميمين اوها او دال وضع لهل المعنى اسميتو

زدت انصيبو اكما احكى لى \* سلمت اعليه يا كرام

قلت التاج ليها اغزالى \* ما لك ياناكر الطعام

انت بزموك به سالى \* ونا للتعب والسقام

وقد يتبادر الى الذهن أن مثل هذا الغزل يدل على انحراف عند هؤلاء

الشعراء وشذوذ فى الجنس ، او ثنائية وازدواج فيه على أقل تقدير ، ربما

كان ذلك صحيحا ولكن الى حد ، ذلك ان مثل هذه الظاهرة قد يكون لها تعليل آخر يجعلها مجرد تنفيس عن ضغط المجتمع على الشاعر وكبته لجماع عواطفه .

**ثالثة هذه الملاحظات** تتصل بما يقال من أن بعض هذا الغزل رمزى لا يقصد منه الى وصف جمال المرأة او حبها وانما يقصد منه الى تعبير اسمى .

من هذا ما قالوا عن «فاطمة» الحاج عمارة من أنها لا تعنى غير فاطمة الزهراء . ولكن لنستمع اليه يقول فى حزينتها :

أنا قطمونى اعلى احوالك اباشت لريام  
ونت مقطوما اعلى اعذابى يافاطما  
والى فرقنا ايلينا ما طالت ليام  
وفىها يقول :

فاطما يا باقة البان \* ياسائف الظليم اشعوروا وفيانا  
يا لهلال ادعيد رمضان \* بقواس حاجبك اهدابك طعانا  
أفاطما سود اعيان \* ادخيل بك لك خد السوسانا  
أفاطما خاتم الشفوف ايتيه من لام  
أفاطما طاستوا ابخمر الريق اختيما  
واتغاروا عقدين امن الدر افغايت لنظام

لعله لا يعقل أن يخاطب فاطمة الزهراء بهذه الاوصاف .

ومن هذا كذلك ما قالوا عن «طامو ابهيح الخدادا» للعلمى من انها لا تعنى هى الاخرى غير فاطمة الزهراء ، ولكننا حين نتمعن فى القصيدة نجس ان الرجل كان يقصد الى التغزل فى محبوبته ، اذ ليس من السبقول أن يقول فى بنت الرسول مثل هذه الابيات :

بتنا اوبات الخمر يتزادا  
لا اعدو لا واشى لا حراز احسيد  
فهبساط امحتفل مركاتو  
الكاس والشمع موقود

لى ادراعها بات اوسادا  
اوريقها بات اشراوى انرشغو ايطعم الذيدا  
ايشربو امن احلا تورادو  
غفران ربنا موجود  
ولكن ليس معنى هذا أن الشاعر الشعبي لم يرمز باسم المرأة الى  
معنى اسمى ، بل انا نجد الشيخ ابن ابراهيم (I) ينظم قصيدة فى  
« مباركة » يرمز بها الى مكة ، يقول فى حربتها :  
حرمت نعم لغنى المالك  
ديرى ياللا امعاك  
شموع المولى ايللا اهداك  
نستحسن فى ابها اجمالك  
أمولاتى امباركا  
ولهذا علق المدغرى عليها فقال بأن مباركته (2) لا تصلح خادمة  
لمباركة ابن ابراهيم .

ومثلها مباركة الكندوز التى حربتها :  
جودى يا طلعت لبدر برضاك  
حرم ادخيل من سماك  
لېها اعطاك كيف ابلانى بك ربنا يهديك  
أمباركا  
وفى آخر بيت يخل الرمز فيقول :  
واسمك ميم او كاف تغنى سماك  
واحذف باور اللى ادراك  
يعرفنى جبت لاسم للذى هو بك  
أمباركا

---

(I) وهو معاصر للتهامى المدغرى .  
(2) وهذه حربتها :

نادى نادى اليوم فالك \* واخصب بعد الجفاف لأك  
وامهالك تاك الفللاك \* والوعد اعلى الضيا اصفالك  
باللى ترضى امباركا

أما آخر الملاحظات فحول مدى صدق الشاعر فى هذا الغزل وبالتالى فى حبه ، ولعلنا لن نتردد فى الشك فى صدقه وهو يتغزل فى عشرات انثائات وبنفس الاوصاف والاسلوب . ونخشى ان يكون الحب الذى عبر عنه مصطنعا لا حقيقة له فى الواقع وان يكون نظمه فيه مجرد صنعة ومهارة وتقليد . بل انا فى بعض قصائد « التراجم » تجد الشاعر يصرح بذلك ، فابن على يعترف فى الحجام بانه لا يعرف من أمر الوشم شيئا وأن المسألة بلاغة ومهارة :

غير ابلاغ فالشعر وانظاهو \*

عمرى ما اوشمت ولا نعرف واشم ولا داخل لكلف

والفلوس يقول مثل هذا فى دمليح ازهيرو :

ليس عندى دمليح يالسايل ولا شفتو اولا اقبطتو فيديا

الا ترجما امن اتراجم الوهب اولوزان

ولكننا لا نريد أن ننفى عن الشاعر صدق الحب وبالتالى صدق التعبير، أو بالاحرى لا نريد ان نقطع بهذا النفى . فمما لا شك فيه أن اغلب هذا الغزل من النوع الاباحى المادى الذى لا يكاد يكون لصدق العاطفة فيه وجود ، وقد كانت حياة معظم الاشياخ تساعد على هذه الاباحية من سهر وشرب وما يتبعهما ، وهو جو موبوء لازال بعضهم يتنفس فيه حتى اليوم ، ولعلمهم اتخذوا الحب وشعره ذريعة لستر شهواتهم ونزواتهم واحاطتها باطار عاطفى غذب جميل وربما كان بعض الشعراء يقلدون ناسجين على منوال غيرهم دون معاناة للحب او تجريب للاباحية ، ولعلنا بالنسبة لمثل هؤلاء نستطيع ان نذهب الى تحليل نفسى مصدره الكبت الذى كان يسيطر على بعض الاوساط والذى كان ينفس عنه الشاعر بالقصيدة أو القصائد ينظمها دون ما تخرج من مجتمعه . وقد ينطبق هذا التحليل ليس على الشعراء فقط ، وانما على الحفاظ والمنشدين كذلك . ونكاد نميل الى تفسير آخر اساسه اتخاذ اوصاف الحب وحكاياته وسيلة جميلة للتسلية وملء جزء من الفراغ الكبير الذى يحسه الشاعر فى ذهنه وقلبه . ولعلنا لن نغفل فى نطاق هذا التفسير انتقال الشاعر الشعبى الى بيئة القصور ومحاولته امتاع الكبراء والامراء والملوك .

ومع ذلك فلا نستبعد أن يكون بعض الشعراء غير هؤلاء ، وأولئك تغزلوا عن حب صادق في زوجاتهم . وقد صادفنا فكرة الزواج عند أكثر من شاعر ، فبوعمر في «زهرة» يذهب الى انه لا داعي لحيرة العاشق ، وبالصادق — وهو كناية عن الزواج — تنم العشرة ويلم الشمل :

والذى عاشق ما يختار \* بالصادق اتم العشرا

وكذلك يذهب المدغرى في « طامو وهنية » الى أن كسب الجمال رهن بصحة الملكية ، اى بعقد الزواج يوثقه القاضى :

ما يثبت قاضى اهل النظر \* للزين اكسبتو ابصح الملكيا

وقد أكد لنا أكثر من شيخ ان قصيدة امتيرد المسماة « اترابى فاطمة » والتي سبق ان مثلنا بها لعنصر التأنيب والوعظ فى مواجهة صدود الحبيبة ، لا يعنى فيها غير روجه ، بل ذكروا لنا أن فاطمة هذه نشأت معه فى البيت تحت رعاية أهله الى أن بلغت سن الزواج فزوجوها له ، ولم تكد تمر سنوات معدودة حتى تغيرت عليه وأذاقته الوانا من العذاب فاضطر الى طلاقها ، ولكنه لم يقدر على الفراق فنظم فيها أزيد من عشرين قصيدة ، ومع ذلك لم ترق لحاله فما كان منه الا ان أنشأ هذه القصيدة المليئة بالعتاب والتأنيب والوعظ .

ومثل هذه الاخبار والحكايات كثيرة على لسان الرواة والحفاظ ، حتى انهم يكادون يجدون تعليلا ونسبة لكل قصيدة وخاصة قصائد المدغرى ، فانهم يجعلونها قيلت فى سيدات القصر ووصيفاته ، وينسجون لذلك قصصا وحكايات أقرب الى الخيال الشعبي منها الى الحقيقة والعقل . والواقع انه قد ينطبق ذلك على بعض قصائده لا سيما وأنه كان مقربا لاسلطان المولى عبد الرحمان وولده سيدى محمد ، ولكن ليس بالدرجة التى تروى عن الحفاظ . واذا انطبق هذا الراى على المدغرى فانه لا ينطبق على غيره حيث نستبعد مثلا ما يقال عن «فضيلة» الحاج ادريس لحنش بأنها زوجته هجرته ولجأت الى قصر السلطان فنظم فيها القصيدة ، وعلم السلطان بالامر من القصيدة نفسها فطلب منها ان تكف عن الهجر وتعود الى زوجها ، فمثل هذه القصة يبدو عليها لا شك أثر خيال الرواة .

الفصل الثاني

في الحياة

الحياة ظواهر وأوضاع وتيارات ، تكيف المجتمعات وتطبعها بسمات مميزة خاصة ، وتلزم الناس بالسير في ركابها راضين عنها أو كارهين . والشاعر الشعبي ، كانسان يعيش في مجتمع ، مجبر على التزام نمط الحياة الذي تفرض معطياتها عليه ، ولكنه كفنان مرهف الحس عميق الإدراك ، ربما رفض هذا النمط وثار عليه ، وإن فعل فإن مظاهر الثورة تبدو في الصراع الذي يعتمل في نفسه يكشف من خلاله عن ردود فعل تمردية تختلف باختلاف نظرة الشاعر إلى الحياة .

ونستطيع أن نلمس نظرة الزجال المغربي إلى الحياة ، مع ما قد يكون فيها من وجوه التمرد ، واضحة في جانبها التجردى والحسى ، فيبدو في هذا راغبا في الاستمتاع بالحياة وملذاتها ، مقبلا على الشرب في ولسع واسراف دون اعتبار للتحريم الدينى وتقاليده المجتمع ، ويبدو في ذاك سائطا على الدنيا رافضا لمتعتها ، في استسلام لقضاء الله وقدره ، وفي غير قليل من من الشؤم والقسوة على الناس ، يستنكر سلوكهم السيئ يعزو إليه كل المصائب والنكبات ، ويحاول وعظهم وارشادهم واقناعهم بأن الدنيا تافهة فانية ، وبأنها ليست غير دار عبور لا داعى للتعلىق بها ولا جدوى .

ومن عجيب أنا قد تصادف التيارين يختلجان في نفس الشاعر الواحد ، وكأنه بتجرده وميله إلى الزهد يحاول التكفير عن افراطه في الحس والمجون . وليست هذه الظاهرة غريبة كما يبدو لأول وهلة ، فقد عرفت الشعر العرب نماذج حية لها تجلت في اثنين من أكبر شعرائها هما أبو العتاهية وأبو نواس .

ولعلنا في غير حاجة إلى البحث عن مدى صدق الشاعر الشعبي في سلوكه لهذا الاتجاه أو ذاك ، إذا ما اعتبرناهما ظاهرتي تمرد على المجتمع والحياة ، وهو تمرد لا ريب يلقى فيه الجانب التعبيرى اللسانى على جانب الممارسة والسلوك ، فليس ضروريا إذن أن نعرف ان كان الشاعر يعبر عن واقع حق حين يرفض الحياة أو حين يتشبث بها ، وإن كنا لانخفى شكنا في واقعيته كما لم نخف من قبل شكنا في صدق حبه للمرأة والجمال . ومن يدري فلعله في مجونه إنما يكمل اطار هذا الحب . وحتى بهذا الافتراض



فإننا نظل في نطاق التمرد والتنقيس عن كبت المجتمع ، دون اغفال لعامل  
التسليية وملء الفراغ من جهة وعامل امتناع الملوك والكبراء ووصف تعرف  
حياة القصور من جهة ثانية ، وعامل التقليد والصنعة من جهة ثالثة ، وخاصة  
عند الشعراء الاوساط الذين لا يعبرون الا من خلال تجارب الآخرين ، وان  
كنا لا نستبعد عن بعضهم صدق الممارسة والمعاناة ، سواء لهذا التيار أو ذلك.

## الخمر والطبيعة

وجد الشاعر الشعبي لذته ومتعته في الخمر ونفسه كذلك ، فأمعن فيها النظر والفكر ، متفنناً في تسميتها ووصفها وحكاية قصتها ، ومتحدثاً عن الساقى وأوائى الشرب ونظامه وأدبه وجوه ورفاقه ، محاولاً اغراء من لم يشرب بعد في حث على الاستمتاع بملذات الحياة وإغتنام متعها ، مادام الله يغفر الذنوب ويعفو عن الزلات . وكان الحديث عن وقت الشرب ومجلسه مبيلاً الى النظر في الطبيعة والكون اطارا جميلا لهذا المجلس .

### أولا : الخمر :

وتعرف قصائدها بأسماء «الدالية» أى الكرم و «الكاس» و «الساقى» و «الساحى» و «الخمرية» و «الخمار» .  
لم يترك الشاعر الشعبي اسماً من أسماء الخمر المعروفة لم يستعمله ، فهي مدام عند امتيرد :

آش من فرحا دون امدم  
وهى الراح والصفراء عند ابن على :  
كب ياساقى كاس الراح لعتيق

كب ياساقى هات لنفسك طيب لمدام واسقنا بالكيسان

داروا بالصفرا يا نديم ايجابو اللغا فى لبهم بالكاس اولاحوا  
وهى الرحيق عند ابن سليمان :

كاس الرحيق داير علقى حايير  
امعاه طاير ندرى رشقاتو

وهي دم العنب عند المدغرى في «الكاس» :

دم العنب الصالح \* فيه اعلاج أجوارح \* ناس المعنى والصلاح  
وعنده كذلك في احدى قصائد «الساقى» أنها بنت الدوالي ودم العنقود :

هاك دم العنقود افطبت لمساقى (I) \* بنت ادوالى امخنت فحدايق

اعلى السقا واسراير توثيق

بل انا نجد المدغرى = وهو شاعر الخمر الاول - يستعرض معظم

اسمائها في «الساقى» الذى يقول في حربته :

قلت اصباحى هنات لى الكاس اغفل وارجع لى اجعا ونخلنى يا حضار

طاح على القمصال ابلتتر \* سلك راسو وسار هربان اجهار

فيذكر منها المدام والسلافة والخل والقهوة والمسطار والمخلتم والنزيف

والقرقف والجرحون والرحيق والخندريس والنشوة والبرنيس والشتايا

والشموس والشمول والشمولة والراح والمعثة والحميا والصارعة وبنت

الدنان والرموز والقيارة والصبها والصفية ودم العنقود وفاجية الهول ومفشية

الاسرار والجريال والعجوز والحمراء والمقدمة والهرمزية والمذبة والقسميسية

والشربة وحليب الدالية ولبن العصارة وقتالة الاحزان وبنت الطرب والخمر

وراحة الافكار والمشعشعة والعراقى والصرخدى والجوهري والصنسدلى

والمزايجى والاصفر والعدراء والماحيا(2) والغضنفر والطاوسى والفتاك وعصار

الخدود وبوغليا والخمار واللماح ومراح البصر وبنت الكروم :

واصغ نشرح لك لمدام اوصفو وسميتو نحسبها لك اسطار

كن الطيف اظريف امشتهر \* سلفك عرضى انزيد لك دون احزارا

نحسب لمدام والخل والقهوة والمسطار والمخلتم(3) وانزيف اتجار

قراقف اجرحون مشتهر \* ارحيق اخندريس نشوا بتارا

برنيس اشتيا والشمول اتمولا اوراح ومعتق للتخمار

حميا والصارعا اذكسر \* بنت الدنان والرموز اقيارا

الصبها والصفيا اودم العنقود امفاجى الهول افاشى لسرار

(I) لمساقى الطعم .

(2) أى ماء الحياة والمعروف فى المغرب أنه مشروب خاص باليهود .

(3) فى م 2 ص 4I بالخاء وفى ج 108 ص 4I بالخاء .

واتجريال العكوز ابلكبسر ۞ غارت من جازيا اعروسا فمنازا  
الحمرا ومقدما وهرموزيا وامذهبا وقسيسيا تذكر  
الشربا لدا المن اسكسر ۞ احثب الداليا ولبن العصارا  
قتالت لحزان دارت اقلايد فى لبا اعلى ابساط احمر من عكار  
بنت الطرب الكل من ازهر ۞ والخمر افلبريق راحت لفكارا  
شعشعا وامشعشعا واعراقى وصرخدى اجوهري ما كيفو دكار  
الصندلى وامزايجى الصفر ۞ والعدرا ماحيا اسريعا فالغارا  
واغضنفر والطاوسى وفتاك اعصار لخدود بوغليا ياخمار  
واللماح امراحت لبصر ۞ هادو اسميات بنت لكرم اجهارا  
**والخمر فى أوصافها** على حد ما نجد عند محمد بن الوليد فى  
«الصفراء» بديعة الحسن المكمول، ودررة أسرار كأنها قمر اشرق بضياثة أو نجم،  
فرحت بها الخلاعة وبلغت منها ، يطلب منها ، أن تصول ببهاثها وقد  
ايدها الله بالقبول ، وبجلها وأثنى عليها ورفع شأنها ، بها صال الكرام،  
وفيهما وبالهامها نظم الشعراء وكل من لم يزه بها بهجر ويضيع عمره ، ثم  
انها حازت رضى الملوك وتزينت لها الفاتنات وذاع صيتها فى كل بلاد الله :

صولى صولى ببهاك يا بديع الحسن المكمول

فرحت لخلعا بك يا الصفرا وابلغت امناهها

يادرت لسرار

قال يانا سيدي وانت كن قمرا

شرقت بضياها وايلا غرار

صولى يا الصفرا صولى ربه اعطاك

اعطاك ربنا لجيل

حسن لقبول والتبجيل

واسنا مراتب التفضيل

بك لكرام صالوا حتى نالوا

اعليك قالوا لكلام أوضحوه لشيخ هل المعقول

ضاع ازمانو من لازهى امعاك

ايا موعياها مبكاه اينهجار  
وانت ارضاوك للموك ارفعو ائناك  
غنمو افصورتك ووانك  
وبنات الزهو قدامك  
برزوا زينو لوصالك  
ونت الله شكرك وارفع قدرك شماع خبرك  
غرب اصحرا افايجا وامداين واقلول  
بك اسجيت لكلام ساقط المايا واشدناها  
بوجود المسرار  
ويصفها ابن على في «الصباحي» بأنها في لونها ذهبية كالسماء ، وحباها  
كالشهب ترمى بها الرقيب :  
والراح كالسما ذهبيا \* يرمى اعلى الرقيب اشهابو  
وقريب من هذا نجده عند المدغرى في «الديجور» حيث يشبهها  
بالهلال :  
والصفرا تمطع كهلال واكواعبها مثل النجوم فالخمرا عاموا  
وهل الخمرا فبساط كل عذراوى حايـز ريـم  
وهى عنده فى «الزهو» معتقة من عهد الهرمزان :  
صف لى تدراج الكيسان \* من امدام اصرخدى ذوقى امعتقو دهقانى  
افعاهد اقديم الهرمزان  
ويحكى المدغرى قصة **الخمـر** فى «الساقى» فيبدأ بالترحم على البستانى  
الذى شرس الدوالى فى روض مزهر ، وعمرها بالمياه الى أن برزت اوراقها  
واغصانها ، وبدأت فى ابتهاج متطلعة للعلو ، واعتنى بتربيتها وكأنها صبيات  
تربيهن أمهاتهن يحملنهن فى الحجر ويرضعهن من لبنان تديهن المداىء ثم لا يلبث  
النمو أن يسرع بهن فيصبحن شابات بالغات تطل نهودهن وتنسرب شعورهن  
على الصدر ويلبسن ثياب الحرير . وما أن اكتمل نمو هذه الدوالى حتى خطبتها  
ريـح الصبا للريـح الغربية (I) وتزوجتها فى حفل بهيج ، انطلقت فيه مياه  
(I) الريح فى اللهجة المغربية مذكر

الصهاريج والفسقيات وعزفت موسيقى اصدااف المطر الغزير ، وحضره  
الهزار ، وقدم الفجر هديته نسيما طيبا طربت له الاطيار ورقصت أغصان  
الشجر . ثم حملت بعد ذلك وتوحيتم على ثريا ضريح سيدي بلعباس ، كان  
أهداها له السلطان اثناء زيارته ، فأنجبت غناقيد شبيهة بهذه الثريا ،  
فاقت الذهب في صفاء اللون ، ما كادت تنضج حتى جناها ولد الغرام ،  
وعصرها في ثوب الهوى وصفافها وعتقها في صون الى أن عبت نسمايتها  
تبعث على النشوة وتنفى الهجر والصد والاسقام والاكدار ، ثم خرجت  
لحضور مجلس الشرب صفراء منيرة تحيط بها الكؤوس ، وكأنها البدر يوم اكتماله  
قد التفت حوله النجوم :

ارحم اعلى الغراس يوم غرس ادوالى فى ارياض امنع بنوار  
واسقاها بمياه تنهمر \* ولقحت ادواحها وتاكت مسرارا  
ربها تربيت الصبيات فحجور امته اعلى تهدين المدرار  
بشرغين افغايت الصغرى \* طلقات اضفرتها اعلى غيظ الجارا  
وبعدها بالرضا رجعت اعزيبات احكىتها ابناات المجد الجدار  
عن لبلوغ اطفحت للنكر \* ديك الهادى الوات بالتيه اكرارا  
بلغات اطلو انهودها واسوالفها جات حايفا عن ليمن وايسار  
لعبو فوق ارخامت الصبر \* ولبست اقماش سندسى عند اذكارا  
اخطبها ريع الصبا الريح الغربى عقدو أزواجها بحضور الهزار  
فبساط الفرجات والزهر \* واخصوص اتفور والصهارج همارا  
بشهود الآلى وصيغت الآلا صدفه الجواهر أمن المزن الغزار  
راحت فى عبروقها اخضر \* من فوق اسيرها زهوا للنظارا  
جاب الفجر اهديتو ابطيب انسيمو غنات لو انزايه لامت لطيار  
ورقصت القطبان فالشجر \* وارخات اكمامها اعلى الفرج ابشارا  
تكلات اصاحى افروضها واتوحيتم اعلى اتريت الطرشون الصرصار  
سيدي بلعباس يندكر \* أهداها لو اهمام لشراف ازيارا (I)  
ولدت شى اعناقده كفها تسطع بضياها اولا مثلها ذهب افتشجار  
(I) تطلق الزيارة على الذهاب الى الضريح وتطلق كذلك على ما يقدم له من  
هدية أو نذر ، وهى فى البيت بالمعنى الاخير .

صنّع الله الخالد لكبير  
 اجنّاه ولد لغرام اعصرها في قوب لهوا وصفها للتقطار  
 عتقها في غايت الخفـر \* وعبقت انسوها ابشوا بتـار  
 انفات المجر اصم والبين اضيق الهم والجفا واغصايي لمرار  
 والسقم فالقارب ولكـر \* زالت بشعاع نورها عن حضار  
 حضرت الصغرا اكم البدر ليلت واج الكواكب اكيوس اضياها ستار  
 كيسان الفجر امع التـر \* منسم لبساط عل الخضرا سمار  
 وهو في «الساقى» الآخر يرسم صورة الدالية منعمة في الحدائق دائمة  
 السقى ، وقد الثوت اغصانها في حلقات على سرير موثق ثابت ، مائلة معربة  
 في كسب رعتون ، وقد تدلت منها عناقيده كثريرات في السماء علت  
 بأسلاك من الذهب :

حالك دم العنقود افطبت لساقى \* بنت ادواى امختت فحدايى  
 اعلى السقا واسراير توثيق  
 اغصانها عربطت والتوات افلحلاقى \* فكساويها امكسلا واعبـار  
 امشرغنا بخراس التحليق  
 ولعنائد مثل اتريات فالافاقى \* واقمصلها امعلقا بتعالـى  
 امن اسلوك الذهب افتوريق

أما الساقى فيراه امتيرد مولها حيران ، ويسأله فيبرد بأن السبب كامن في  
 الخمر وفي الجمال الفائت الذي ينظر اليه :

بالساقى مالك ولهان \* عدلى لا تكتم سولان \* مال حالك مالـو  
 قال لي مكوانى حيران \* خاطرى والساكن دهمان \* والى به قتالـو  
 لدام احسن الحسن \* والتظر والعشق الفتان \* والهوا واهوالـو  
 ويطلب منه ابن على أن يكون مطيعا للامانات ، وأن يلبي طلبات  
 الحاضرين وأن يكون منتبها

اعمل فالحضرا ما بفينا \* طع لبها اوكن فى حالك يقظان  
 ويريده المدغرى أن يكون ليبييا واعيا منتبها ، وأن يتشد مواويل  
 وأشعارا حلوة رقيقة ، وأن يوقظ السكارى عساهم يفيقون ، وأن ينحنـى  
 امام سوداء العيون ويقبل الارض بعينه بين يديها، وأن يزهى القلوب ويحركها

بالوتر والطبوع الشقيقة :

كأس دم العنقود من لبريق ساقى    وابغى ساقى البيب دهرى فايق  
فى اغزيل الموال اريقق

شم أساقى واسقى غسق ارماقى    وانغم بشعار كن حبرى عايق  
وكنض الطايح ياك ايفيق

بندق آكل الارض بشفر لمداقى    وازها صحى لقلوب من لعلايق  
ابلوتر واطباع التشمويق

وقريب من هذا يقوله العلمى لساقيه يوصيه بأن ينحني أمام المليح :  
طار اغراب الداج ولخمر فاللاوانى باقى    يا ساقى  
أهدى كأسك اللملح واخضع لوبتبنديقنا    وافهم معنائى اوعيق  
ويريد المدغرى من ساقيه كذلك أن يشمر عن ساعده وأن يسقيه  
ورفاقه بفراصة حتى يفرج عنهم الضيق والهموم :

قرب الصفر ا هات الكاس

امن ايديك اسقنا يا صاحب الخمر بكياسنا

مزق اضنانا والتكبيس

شمر اكمامك للتشواتس

طوف واسقى واهدلنا اغناجلك بفراسنا

ما يعالك فالزهو اوتيس

ويطلب محمد بن الوليد من الساقى أن يكون خفيفا سريعا فى الصب  
غير بطىء :

الساقى ضيف الله ضيف    غدر الكاس أكون اخفيف

باش تطفى هذا اللهفا

وعند محمد الشليح فى «الكاس» أن حبيته هى التى تسقيه وتسقى  
جلاسنا :

كبي ياباشا رادفى كاسى من خمر المراس

فاجى تشوشى    يا هلال الخودات اعبوش

كبي الكاس    واسقى جلامسى



طالت الفرجا يا سلطانت النسا \* بوجودك واكدونا اتسنا  
 ما كان بهاس \* ففسق حناسي  
 بعد تكت ليلت لوصال غالسنا \* غابو اهل لفجور ولحراسنا  
 ومن نظام الشرب وأدبه ما يلفت اليه امتيرد نظر الساقى، حيث يريد  
 أن يوقظ الحسان ، وأن ينتبه لدور كل شارب والا يكف عن الصب طالما  
 الليل ممدد ستاره .

الساقى وكفى لريام \* رد بالك للذوبا لا تغيب عن مولاها

كب واسقى مازال الليل

ويطلب منه ابن على أن يسقى ويشفع ، ففي ذلك علاج العاشق :

كب ياساقى الراح لعتيق واردف للعشيق عاذاك اصلاحو

بوجود ابتات الحى كب ياساقى كاس الراح

أما ابن سليمان فيريد منه اذا عريد ووقع أن يوقظه بانشاد الاشعار،

وأن يعينه للسكر من المرشف بمجرد صحوه :

اذا نطيج وقظنى بشعار النظام

ما نصحا حتى اتردنى بالمرشف سكران

ومن أواني الشرب يذكر ابن على الكاس والابريق :

كب يا ساقى هات لنا \* صب لمدام واسقنا بالكيسان

حتى طار اغراب لغسيق وارفع فوق كاس لبريق فرجا بصباحو

ويذكر كذلك فى «الصباحى» أواني البلور :

كب لمدام ياساقى من بلار \* اصغ اوطف بالخمـــــار

ويذكر ابن سليمان الكؤوس والفناجين الملونة :

كب اكبوس افناجل لخمى نشيد عل للوان

ونجد ذكر الفناجين عند المدغرى كذلك :

فق اصاح هات افناجلك واغنم نشوت راحى

ويزيد عليها الطاسة :

كنت امهنى اسليم ما تعرف ياخنارى \* كاس اول طاسا اولاخمر

اولاندرى اشروطها فحضرت الخمارا

وعند محمد بن الوليد في «الصغرا» أن أواني الشرب أكواب مختلفة،  
منها قرفية فخارية ومنها صدفية وخزفية ومنها زجاجية وبلورية ، ومنها ذات  
ألوان صفراء وزرقاء :

وأكوابو المشتعرا

أعلى الصناف داروا

أكداك أوجاروا

أحبب حار

لن أرفع الشراب بهم وانزاح الهول

قرفي واصداف زاجي والودع والخابوري انزاه

والعلسج أبسلار

وعند العلمي في «الساقى» أنها كؤوس من زجاج عراقي (I) شفاف :

كب الخمر الخارقا \* في كيسان إنداقا (2) \* من زاج أبلاد العراق

تظهر خمرا بارقا \* فالأوانسى شارقا \* كلون اسحق الرماق

بل أنا نجد ابن سليمان لا يريد من ساقية أن يقدم له الخمر فسى

الكؤوس ، وإنما يريد أن يملأ فمه ويسقيه ، ويكفيه الريق بلا خمر :

أنا أبلاد أكيوس أسقيني \* عمر امراشك واعطينى \* الريق أبلاد أحمريكفيني

والوقت المفضل للشرب عند امتيرد في «الساقى» هو الليل :

زد غدر كاسك وأملأه \* ليلنا بالعز اغنمناه

بعد قالو ليلتنا ياالشيخ لا تنساها

وعند ابن علي أنه يمتد حتى الفجر اذ يبدأ سمنار الظلام يرتفع كأنه  
غراب طار وركع فوق الكؤوس والابريق ، ايدانا بالصبح حيث بدت خيوط  
الشمس الأولى مشعة تضيء غرة الفجر الذي بدأ كسلطان جميل تبايعه  
الأشجار وتنحنى له ، وقد هب نسيم البستان طيباً وألنمى جبين الفجر  
ضوءه على الكواكب وأخذت الطيور تغرد فوق أغصان الشجر المائل ، وفاحت

(1) يطلق في المغرب هذا الوصف على زجاج الملون .

(2) لعل المقصود بها كؤوسا مستوردة من مدينة البندقية الإيطالية .

الازهار المختلفة من ورد أحمر وسوسان منير كالمباهى بسلاحه، والخابورى (1)  
 يخبر بحكم العاشق ، والياسمين البهى الكاوى والخيلى (2) مشمرا للكفاح  
 بخيله ، والنرجس ثمرعى عيونه زهر «الزين والبها» فى الغدو والروح ،  
 والخيزران تتمايل قضبانته تميم مع الرياح :  
 حتى طار اغراب الغميق واربع فوق كاس البريق فرحا بصباحو  
 والبستان اعل انسيم الخضرا طيبو صباح  
 وجبين الفجر ضمرى اعلى لكواكب واطيار ادواحن اعل ضيو صاحوا  
 فوق امنابر لغصان كل طير ايفرد بفراح  
 واهمام القلا كشرىف حاكم دار العجلا غرت مصباحو  
 أمر لشجار ايباعوه لحسن بجمال الصبح  
 مالت لشجار وفاحت لزهار وغنات اطيوار اعل لفجر وتلقاحو  
 ضحكت بالفرح اتغاير الزهر فى ظل اللقاح  
 شف الورد العكرى ايفوح شف السوسان فى امصباحوا تبها بسلاحو  
 شف الخابورى ايبخبر الحكم لعشيق الفضاح  
 شف ابها حسن الياسمين كيوخلاى فى حالتى امكثر تجياحو  
 شف الخيلى خيلو امشهر مشمور الكفاح  
 شف اعيون النرجس كترعى لبها والزين فى اغداه وقرواحو  
 واقوام اقضييب الخيزران يتمايل بين ارياس  
 وعند ابن على فى موضع آخر أن الليل قد أقبل سلطانه يسدل  
 الظلام بأجنحته ، ويملا الفضاء بعساكره وينصب خيامه كأنه فارس سودانى  
 شجاع يمتطى فرسا أدهم ويسل سلاحه ؛ وتجاوبت معه النجوم فلاح  
 ضياؤها فى الجو ، وتحت علمه أخذت بدور الجمال طريقها للمكان وكأنهن  
 عرائس لم تنظر العين مثلهن ، وفى المكان مدت فرش ملونة بين الاشجار  
 والروض البهيج وجدوله المنسربة :  
 حضر بالك يا عاشق لبها شف اهمام الداج مد بالظلام اجناحو  
 عمر لفضا بعساكره ودق اخباة افليباح

(1) هو النوع المعروف فى الفصحى بالخابور .

(2) لعل أصله الخيرى وهو الزهر المعروف بهذا الاسم فى الفصحى

نحكي سوادني اشجيج يتبختر بفارتو اعلى ادعم سل اسلاحو  
وانجوم القبلا لاجلو فالجو اضماهم لاح  
وابدور الزين القاصرات تحت اعلامو يامن اتسال للمرسم راحوا  
همان اعرايس كل ريم شلا شافت للمساح  
لبساط ايحير لعقل بفرشات عل للوان ما بين ادواحو  
والرياض امهيج بغرايسو اجدول بين ادواح  
أما ابن سليمان فيستمر مجلس أنسه يوما وليلة ولا ينتهي الا فسي  
العشي وقد اصفرت الشمس ، وهو وان لم يشف لوعته فان الوقت الحلو  
الذي أمضاه على قصره خير من مائة عام :

هذا انهارنا جوزناه (I) اعلى التمام  
شمس لعشي راحت صفرا \* فالزین ما اسخت ابنظرا \* باقى ماشفت الحضر  
ليلا اويوم عندي فعواض اميات عام

وأما العلمى فى «الساقى» فيفضل الفجر :  
راح الليل اعلم لفجرتاكي الصبح العراقى \* يسا سساقسى  
دوز اعلى الحضر بفناجلك تزيان الموسيقى \* وازرع (2) للساهى ايفيق  
وكذلك يفضل المدغرى فى «الصباحى» :  
اغنى الصباحى يانديم واسطاب ارضيع الكاس ولطيار اقمناها  
لاترتى للبرئيس كب ورا (3) ربى غفار

- 
- (1) جوز بمعنى قضى واعضى ، وهى من -جاز بمعنى فات ، لاتستعمل الا فى المنطقة الشمالية من المغرب اما فى الجنوب فيستعملون دوز وداز. ويبدو غريبا أن ترد عند ابن سليمان الفاسى  
(2) ازرع هنا بمعنى صب له أو قدم له الحمر ، وهى توحى - سواء فى هذا الاستعمال أو غيره - بالمركة الخفية السريعة .  
(3) أرا بمعنى هات لاتستعمل الا بهذه الصيغة كاسم فعل الامر ، ولعل أصلها ارى مضارع راي فى المتكلم كأن الطالب يريد أن يعطى الشيء حتى يراه بعينه .

والوقت عند الحاج ادريس لحشش في «الساقى» هو العشية عند

الغروب :

ووقى اعليا واحدى لنا عن فرجت لعشيا امدام المباح  
أساقى عقب النهار هذا فوز ابوقت السرور واستقنا بين ادواح  
شف الذهبيا الرايحيا .. ليست ثوب لغروب والليل اغشاها  
ومثله يريد انجار في «الذهبية» أن يفتنم لحظات الغروب ليشرب :  
غدر كاسى يا مديم قبل اتروح الذهبيا  
شف ليهيم حين اتمكن فظلامى اغلب على النهار  
ويرسم امتيرد في «الساقى» اطارا طبعيا لجلس الشرب فى غايصة  
الروعة والجمال ، فالطيور تغرد وتسبح والحسان ينشدن القصائد والعروبيات  
والاغنيات ، ولاغصان تتمايل والنسيم يهب :  
شعاع لخمير فينات الحى باح وافشا مكنون اسرارها وطار احياها  
لاح طير الحسنى الكسيسل  
ذلك فقصايد تنشد ذلك بعروبيا تلفظ والخرى يغناها  
كنعت المايا والذليل  
تلقى الفجر والليل تشال ولطيوار اتسبح المن انشأها  
ولقصان اكساها تبجيسل  
عب من جى افلاك انسيم بعد طرلت لقام البين للوداع ادعاها  
كينادى بالعزم ارحيين  
ويقول امتيرد كذلك فى «فرجة لعشية» :  
بالصفرا والكيسان خمرا نشروا معصورا  
ما بين العرسان ولعرايش وكيوس اتروج وعلى حضرت مللاخ  
هاذى تسقى واتزيد  
والنوبا ماتنسها  
ديك اتجاوب بنشيد  
يامجلا صوت الفاها  
لخرى ترقص واتميد

بكرايح شف اهوها

هادى تسحر لدهان

لخرا تفتن مبشورا

ديك اثريا ديك كمنارا فغساق اديوج

شرق اضياها وضاح فى حرجا عل اللوان

بخلاعتهم مشمورا

يتمكن ويروح امن انظرهم تأيه مفلوج

يتشكى دون اجراح

مايفدهم ثمان

هل لخدود المعصورا

ملا لتقهم مانتج ماشلا فنتوج

يوم اوقرها يشحاح

ويستعرض المدغرى فى «الساقى» أنواع الطير التى اعتلت أغصان

الاشجار مغردة مسبحة لله فرحة طرية ، ويشير الى المغنى ينشد الاشعار

وعازف العود ينقر برفق فتزهى لنقره اليرام ويقمن للرقص :

شف يا ساقنا لغراس • خاطبين اعليهم لطيار قاطبا عساسا

ايسبحو من له التقديس

شف لمام ابشوقو ماس • ولبشيقايغنى بفصحتو الغاه اتواسا

جاوب الحريل والسمريس

شف كمرى يرثى فهواس

امجاوراه امقنين بصوتها الهول اتناسا

شف كالل امثيل اعريس

شف لطيار افطيب اغراس

اكما ازهنا لاريب ازهاوا افرحوا دون اعكاسا

كل طير افمعلاه اوجيس

شف غانى ينشد عساس

شف مول العود ايزهى اريامنا بسياسا

له قاموا فرحا وارقيس

ونجده كذلك فى «الساحى» يصور جو المجلس الساحر فيذكر المغنى  
ينشد بأنغام وتواشيح يصاحبها العود والرباب ورقص الفاتنات :

ماشقت أساحى ارحيق ينظم فالكاس اعقود ويضحك فالسمع النواح

والغاني بنغام فاصححا \* لوتاه احجك من الخمر الكفاحا

ماهرك توشيح \* والبستان القيسح

والعيدان اتصيح \* والرباب الى نايح

لو شفت ابتلميح \* فتجيات افتلميح

بنغاييم واشطيح \* والسقايس وادواوح

ويضيف المدغرى فى «الصباحى» الى هذه الآلات الجناح والجنك

والكمان والسنترى :

شف العود والقانون والجناح والجنك اكمنجا واسنترى احدها

وارباب امع الآلى ايجاوبو بنغاييم لوتار

شف الآلى موسيقتو شحات اعلى حسن انغاييمو فى ميزان احضاها

واكمل اصبوحننا على الرضا ماغزلو حرار (I)

ولكنه لا ينسى التعريجة

كب الخمر الكافح \* أصاحى واتراوح \* بالتعريجا واكباح

ومثل هذا التصوير البديع لآطار مجلس الشرب تجده عند الرجراجى فى

«الساقى» حيث يقول :

شف البستان ارفع مبهج  
موجود فيه كل ماكنحتاجو

شف اغصان الروض كعرايس داحت بدواح

بخلخل وادبالح اعقود الجوهر لوضيـح

وادواوح واكمامها ابلعطر تهجى واتفوح

شف البان ايبان كهفيف الزين المياح

يتنهنا بنساييم لعطوف امرح تمريح

متمنع فطفاحت الشباب امورد واجموح

(I) يعنى قصيدة «الصباحى»

شف السمرجل شامخ النهود ارحى لدواح  
بالفرحات اتعاقوا بعشيق الالوتبريح  
والتشمين امقابلو امع الفرصاد الممدوح  
شف الليمون الشط والرنج من عطر وفياح  
والورد القانى ابطبتو يجلى كل اطريـح  
والورد النسرى امع الورد العكرى منصوح  
شف الجار افدوحتو امعكر قدونصاح  
وامعمم بعبارق السباني للفرح اجنيح  
والياس انوار املون بوشامو مسروح  
شف اليزيدى شف طـحـاج \* وامدلك اكف لقصور فطهاجـو  
شف السوسان ابطيب نفاج \* والخزان وامضل الملك ابتاجـو  
وانظر للخابورى افتبهـحـاج \* والزين ولبيها مترونق فدباجـو  
شف المعشوق اشف عاشقو بغرامو نواح  
والنمام ارقبهم فى قلبو جمر الفيح  
والديدى والديدحان والخطما واليربوح  
شف الشكوكى انقول عشقى شاكى لحلاح  
والخيلى خيلو امسرجا فالמידان اطفيـح  
والباغ ابخالو وسامتو للعكرى مجنوح  
شف الجمرا طاهجا البهر شاخص بلمـح  
يتزها فالغالب ايجول ابنظر واطميـح  
والحكم افحكمو ايجور ما يشفق من مكروح  
شف اليرقان اموا ازرقا حتى التحل اوجاج  
والبهجا والفن الفلمحابق زاهر وانصيـح  
السوسان امع لقرنفل واشكرنط ملقوح  
شف اجداول فهدرها سر امن الفتاح  
فخلخل لدواح جاريا تلحج بالتسميـح  
واتعرض فنواور خواص ابماها عذبي مسيوح



شف اترابع افكل منهاج \* وارياضنا امزخرف زاهى تفواجو  
شف امشوات الساج والعاج \* والياسمين واسرايرها انهاجـو  
شف افرشات حرير وادبـاج \* وامخاد واخدادي بالذهب انساجو  
شف اطيوار النعام كتعربط بما سربت راح

صبحت نشوانا ابلهوا تفجى هول التذليـح

بالسر المكتوم كل طير ابما فيه اينـوح

شف الحداد ابمايتو ايحير عقل الرجـاج  
والسمريس اتقول شى اصبى يقرأ بالتوضيـح

والنحاف ايجاب الزطوض ايشكى للبوـح

شف الزرزور ايتيه ويرقص وخفك ابلجـاج  
يتهد ويبدل النعام اسجول اتوشيـح

ما مثلو نساد رايق المعنى بالموضـوح

شف الهيزار ابلغتو ايحير فمسا واصبـاج  
ويغرد فالليل والنهار ابصوتو لفصـيح

والكلال ايروج افلقفز بنشيدو ممدوـح

شف ازرويال ايتروك يفصح فوق الفصـاج  
ومقنين اخادم الجنان اتوضـح توضيـح

والحضرا غى غايـت الزهو والعز المنصـوح

وانظر للصبح امطرده السـاج \* ضوا ابرايـتو بيضا من تبلـاجـو  
والشمس امعالمها اقلبـراج \* لقحت كل روض ازعرت احراجـو  
وازهنا ما بين لثنـسـاج \* لا وعد لارقيب ايروج بهراجـو

شف القانون امع الرباب شف الجنك الجـاج  
وانظر للكمـنجا اوشوف العود ارجيـح

ينغم بالموال والرصد والسانو مصلوـح

شف اصبهان امع الحسين والمايا فى تنقـاج  
شف العشق الصافى الزم العفا باش اتريـح

والتوفيق من لكريم نعم الحسى الصبوـح

وفي الرفقة يرى ابن علي أن يكون كل واحد مصحوبا بخيلته  
يزهى بها ويتسلى في صفاء ، بعيدا عن العواذل والحساد :  
كل الخليل اقبلتو اخيلا \* بالعز والرضا في ساعته لوصال  
يتسلوا في حضرا اجديدا \* بقلوب صافيا رغم اعلى العمدال  
كل خليله قد لبست افخر الثياب وعلا جبينها تاج كالبدنر الوضاح  
مرصع بأعلى الدر والجوهر ، وقد شربن حتى عربدن ووقعن ، ولكن لم يلبسن  
أن أفقن مترنمات بأحسن الاشعار :

لبست لبسا واعلى اجبينها تاج ايحير الضمير من متع الماحو  
بالجوهر والدر النفيس تعنى بدرا وضاح  
رشفوا كيسان الخمر وعربطوا واطغوا الوالعات فالحين اوطاحوا  
ثم قاموا واتنغموا وصاحوا بشعار افصاح  
وكذلك يرى المدغرى في «الديجور» :

والصفرا تسطم كهلال واكواعها مثل النجوم فالخمر عاموا  
وهل الخمر فبساط كل عذراوى حايذ ريـم  
ولكنه لا يلبث في «الساقى» أن يهوى الشرب مع جماعة الفاتنات :  
شف حضرا تسحر لغلاس \* شف خودات اهواويات افلهوا وناسا  
راخفات شعر داج اغليس  
ويود ابن سليمان أن يشرب مع حبيته في جمع احبابه وأهله :  
يحلا امع القاك اشرابى \* ما بين لا متنى واحبابى  
تنسى امحاينى واعذابى

أما أنجار فيريد في «الذهبية» أن يفوز بالشرب مع أبكار المدينة :  
أساقى فوز بالنزايه والفرجات \* وازها بعوانس لحضر وافخر بهم  
نبهم للسرور وازرع الطاسات \* ساعف غرض الريام لنك ساقيهم  
أش من فرجا اتلذمن غير الخودات \* زهوا للعاشقين فرحا بمجيهم  
وقد يعرفون الشاعر الشعبي عن الخمر الى غيرها ، على حد ما تصادف  
عند الرجراجى الذى لا يرغب في غير الاتاي والسكر من عيون حبيته  
وخدها :

الساقى بين للاح كب اتأى الفراح : ترك الخمر او لا تقربو بالتصحيح  
واسكر بعيون لمليح : ومن الخد المروض  
وعلى حد ما نصادف كذلك عند الحاج ادريس لحش الذى يريد أن  
يشرب من الخمر المباحة .

رف اعلينا يامديم واهدى لنا عن فرجت لعشيا امدم المباح  
ولكن مثل هؤلاء الشعراء سرعان ما يجدون من يغريهم بالشرب :  
فهذا امتيزد فى «فرجة لعشمة» قدمت له الفائنات كأسا مليئة بسائل أبيض  
مصفر شك فيه أن يكون ماء ، وادرك أنه غير مباح واعتذر عن شربه ، فعجب  
لامره وضحك ، والحق عليه فى أن يشربه حتى تظهر له آثاره ، فهو زهو  
بنى عذرة المشهورين وسلواهم ، شاربه أكثر بطشا من السيف وأحد من  
أسنة الرماح واسرع من ربح البحار ، ينطلق لسانه وتنتشى جوارحه وتحمر  
وجناته وينزاح عنه ستار الحياء ، وكل من لم يذقه لا يرتاح :

رفعوا لى كاس املان : ابيض وامعاه اصفورا  
هذا لماشكيت قلت لهم للعقل اخروج : ما هو ليا مباح  
قالوا لى خد اشرب : تنظر واتشوف اعمالو  
قلت لهم ما تقرب : منا فى حالت حالو  
واضحت لهم اعجب : ضحكوا الريام وقالوا  
هذا زهو السلوان : لبنى عذرا المذكورا

مولاه ابطش من اسهام واسرع من ربح الجوج

واقطع من سن ارمباح

فوق اجوارح نشوان : واعلى الوجنات احمورا  
ايسرح للسون واكشف لحي للمهروج

من لاذقو ما ارتاح

وهذا المدغرى فى «الكاس» يغرى صاحبه بالشرب منكرا عليه - فى  
استفسارات - جفافه ، فهو لم يطرب للغناء ، ولم يشرب كوؤوس الفرح ،  
ولم تصبه سهام العيون فى شغاف قلبه ، ولم يعض تفاح الصدر ، ولم يذق

رحيق الشفاه ، ولم تهزه ريح الهوى ، ولم يهزمه جيشه القوى بخيولـه  
المتوتبة وسيوفه القاطعة ، ولم يسهر الليالى متأوها متوجعا جريحا ، فليكف  
عن الجولان والهيام فى صباحه ومساءه ، وليشرب كأسا مترعة تمحو الهموم :

غدر كأس الراح لتأونت عقلك ساحسى \* يا صاحسى  
اسمع ما قالوا الناس فالكأس ابغير امزاحا \* واقبل منى ذا النصيح  
وانت عقلك رايح \* ماهزوك اكثر اريح (I) \* مادقت اكيوس لغراح  
ما عكروك الوامح \* وسط القلب الجارح \* مانكويت امن الماح  
مماضيت اتفاح \* فوق الصدر اطوافح \* مادقت اشغوف لجباح  
ما هزك ريح لهوا وغيوانو بين ارياحسى \* يا صاحسى  
ماهزماك جيشو امع انصالو بخيول اطفاحا \* تبى بسيف الذبيح  
ما هزك فالنوم من اسنول انشاشب وارماحى \* يا صاحسى  
ما خلاك اعلى لفراش اوجاعك تداحا \* ولا قاصك شى اجرىح  
...  
يكفأك أصاحى اتجول هايم فمسا واصباحى \* يا صاحسى  
غدر كأس الراح ابلقداح اهمومك تدماحا \* اغلغل فى مرطايح

بل يذهب الى أبعد من ذلك فيعد الذى لا يشرب من الدواب :  
من لاعربط سارح \* فمراتع واتسارح \* عدو من كسب لمراح  
وماكاد يقدم على الشرب تحت تأثير الاغراء حتى رأى فى العرشف  
صلاحه وعلاجه ، وأقبل عليه بلهفة عساه يعوض ماضاع من عمره :

اسقيه اسقسىه قال لى فالقمصال اصلاحي \* يا صاحسى  
أرا لى نفدى الى امضى من عمرى واتماحا \* واملاى حتى انطىح  
بل انا نجده فى «ساح» آخر يغرى صاحبه حتى يلين ويستجيب ويرغب ،  
ولكنه يتعامى عنه ولا يلبي رغبته ، ويتركه يتحرق الى أن يضيق به الحال  
فيغرى رأسه ويكشف عن رغبته الجامحة ويطلب مباشرة من الساقى أن

(I) ج كريمة وهى الغناء عامة وتطلق خاصة على النوع الذى يقوم على  
قصائد الزجل .

يصب له في القدح الكبير حتى يغتم ويعوض ما فات ، وأن يرمى القدح الصغير  
الفناء ؛ وما كاد يشرب حتى غاب وغابت معه همومه ، ثم أفاق وأتى على  
كل الخمر ، بل أن مغريه خافا على نفسه أن يشربه لكثرة ما أبدى من لهفة :  
فاق الساجي امن اسهوه جدد فيا الشوفا وهزنى واغمزنى بالمح  
تخلتو (I) وارجعت لى اججحا ٠ جايتعاما اعليه دزتو برجاجحا  
وبعدها ضاق به حالو عمرا راسو زاد للصفرادون امزاج  
وانطق للساقى فى امكاجحا ٠ قال اسقنى امن الرحيق الفراجحا  
كب ارالى ابلكبيرياك انغمو ما فات والصغير ارميه اللمرح  
صاح اساح اغاب ما اسححا ٠ واصبح همو ابكاس لمدام اتماححا  
فاق ارقص ابلاخفا واضرب الرش (2) ادوا قال لى اسقيه اوسقسقيه اصاح  
واضعم فالصفرالشارححا ٠ وادوالى قال لى مرتك (3) لاراحا  
سقت الساجي اشرب كل شى سلكت انهارى وخفت لايشربنى يا صاح  
وعنده أن الذى لا يشرب مصاب ، حياته فارغة ، وهو وغد شحيح  
بخييل :

من لا اشرب اريح ٠ عايش ريس اقريح  
كابى وغد اشحيح ٠ عاش قزمانو كالح  
ونجد المدغرى نفسه يتحدث عن مغريه بالشرب فيعترف - فى  
مزح بين خمر العنب ومدام الحبيب - بأنه كان يجهل كل شى عن الخمر وأنه  
كان سليم الجسم مرتاح البال الى أن رآها فى عيون سكرى ، وشاهد  
عصيرها على خدين جذابين . وكان قبل شرب المدام - ويقصد مدام العيون  
والخدود التى كانت مطيته للمدام الاخرى - حرا مرتاحا مزهرا روضه ،  
بعيدا عن طريق الهوى ومشاكله ، لا يشرب كووس الهجر ، ولا يشعل الجمر  
فى قلبه ، ولا يعرف اللوعة والسهر ومرارة الغرام :

- 
- (I) لم أجبه من نخل نخالا  
(2) لعله الزق ، وضربه أى شربه عن آخره  
(3) مرته والمرأة التعب والمحنة .

كنت امهني اسليم مانعرف ياخنارى \* كاس اولاً طاساً اولاً خمير

ولاندري اشروطها \* فحضرت الخمارا

أنا سيدي حتى انظرتها \* من اشفار اسكارا

أنا سيدي واعصيرها \* اعلى الخدين السرارا

أنا سيدي قبل لمدام ما داخل تحت احكام غير مرتاح

ما عرفت اللهوا جراً \* اولاً شربت اكيوس الهجر \* اولاً شعلت افقلى جيرا

سطلوق معذرفى اعدير \* زهو امكدل بازهارى \* ما نعرف ليعا ولاسهر

فى طيب النوم ما عرفت اللغرام امرا

وكان الاعراء بالشرب سبيل الشعاع الشعبى للتعبير عن رأيه فى

الاستمتاع **بهذات الحياة** فامتيرد ينصح ساقيه الحيران الموله أن يستمتع

بالحياة حين تتاح الفرصة ويفرح والفرح لا يتم بغير الشرب ووجود الحسان،

وينصحه أن يتمتع بصره ويتنزه فى هذه الوجوه على ضوء الشمع ونقرات النغم،

فقد فات أمس بسروره وشقائقه ، وقديما نصح بالايستبدل الانسان ساعة

الهناء والسعادة بالتعب والشقاء ، ويطلب منه ألا يكون بخيلاً :

قلت للساقى شد احزام \* لاتعاتب نفسك بملام

خذلك ايفادا

افعل ما فعلو هل لغرام \* حين تعطف عنا ليام

فرحها يتزادا

آش من فرحاً دون امدام \* واش من حضرا دون اريام

للقلوب اذا

متع ابصارك واتزهى افوجه لحباب او مايداوى لقلوب واشتهاها

بالنغاييم واشمع اشعييل

آش باقى لك من تنكاد ليلت البارح معلوما ابفرحها واشقاها

ما يحضر امعاها تهوييل

... قول فات اصحيح اسمعناه لا اتبدل ساعت لهننا ابتعبها واشقاها

اولاً تكون عل لجواد ابخييل

كيف يذهل عقلك ويغيب ولعوارم قدامك كلها ابما عتناها  
 هب نفسك للطوع اتميل  
 وابن على يريد أن يفوز بالزهو والسلوان مادام الله سيعفو ويغفر :  
 دبا ربى يعفو اعلىنا \* ازهأ وفوز هذا حد السلوان  
 وهو فى «الصباحى» يدعو ساقيه الى أن يغتنم شرب الفجر . مادام  
 الزمان فى غفلة ، وأن يشعل مصباحه بالهناء ، فمن لم يفز ويغنم لن يتسلى .  
 اغنم امع للميح اصباحك \* أما ترى الزمان فغفلا  
 واشعل ابلهنا مصباحك \* من لا يفوز ما يتسلى  
 أما المدغرى فيدعو الى تنزيه النظر وترك الهوم بالاخذ والعطاء واغتنام  
 وقت المنادمة بالشرب فى الطاسة فليس فى لحظات السرور والصفاء ما يقلق  
 ويزعج ويبعث فى القلب الوسواس ، وليس مثل الخمر نشوة ولا فى  
 شربها باس :

نزه ابصارك لوح الباس  
 هاك ورا اغنم ازمان لمنادما بالطاسا  
 ما فساعت لهنأ تهويس  
 لا يروم اخبيرك وسواس  
 كب وانشط واتزهي ما عليك فالوسوسا  
 ليس يهوانا غيرك ليس  
 رادف اعلىنا بالوناس  
 ما بهال الصهبأ تشموا اولا فخمرك باسا  
 كب وكفض من كان انعيس  
 وهو يرى فى «الزهو» أن متعة الحياة فى البنات وسكنى القصور  
 والفروسية والموسيقى والغناء واللباس والتنزه فى الطبيعة وشرب الخمر :  
 الزهو فبنات اشبان \* ولنازه والخيال اميت لوتر والغانى  
 ولقماش روض اكيمان  
 وأما محمد بن الوليد فى «الساقى» فيشرب ليطفىء لهفته :  
 الساقى ضيف الله ضيف \* غدر الكاس اكن اخفيف  
 باش نطفى هذا اللهفا

وعنده في «الصفراء» ان الخمر تذهب الوسواس والاهوال ، والله  
لا معنى لحياة الذي لا يروى منها ظمأه ولا يحيى نفسه بأنغام الاوتار ، بل  
ان النفس تحاسب صاحبها ان لم يجعلها تزهى وتستمتع ، وعنده ان متسع  
الدنيا كامن في الكتب والخيل والبنات ، ثم ان الله غفار :

طاب الزهو ولد الشراب واذهب وسواس الهول

فرجا بيام العز ولها فرجا لمن ابغاهما  
بشعر يابشار

آش را من لاکب ازو اوهاج افدولت لفحول  
آش را من لاجاد وسخاوزها نفسو حياها  
بنغايم لوتار  
من لازهي نفسو اتحاسبو قالوا هل لعقول  
زهو الدنيا لكتوب والسروت البنات انزاها  
والمولى غفار

وقريب من هذا نجده عند العلمي في «الساقى» حيث يرى سرور  
الدنيا وزهوها في الجمال والخمر ، ويرى الصولة والعزة في الغنى  
والفروسيية :

سرور الدنيا وزهوها فالزين العراقى \* يا ساقى  
والصولا والعز في اركوب الفرسان حقيقا \* وامح القضا ولوريق  
وعند أنجار في «الذهبية» ان لحظة الزهو تحيي القلوب وتسد بالافراح:  
اساقى سامت الزهو تحيي لقاوب \* واتسل ابلفراح بالشوق الجالى  
والشاعر الشعبى في اقباله على الشرب واغتنامه للذات لا ينسى وبه  
ويأمل في عفو وغفرانه ، يقول ابن على :

دابا ربى يعفو اعلىنا \* ازها اوفوز هذا حد السلوان

ويقول المدغرى .

قل للساحى ايفيق امن النوم يسمع انصاحى \* يا صاحى  
بمعالم وارباح لهوا تهدي طيب الراحى \* مولانا غانى اسميخ  
ويقول كذلك في «الساحى» :

فق اساحى هاك فنجالك والقاء ارشفو ارشيف ياك المولى سماح  
قالت هل لوفى السامحا \* من لا اشرب لدام ما فيه اسمحا



كما يقول في «الصباحي» :  
 غنم الصباحي يانديم واسطاب ارضيع الكاس ولطيار افمغناها  
 لا تترتي للبرائيس كب ورا ربي غفار  
 ويرى العلمي في «الساقى» أن الله كتب السعادة للسعيد والشقاء  
 للمسقى ، وأنه لا داعي لاستنكار الذنوب أو محاولة تجنبها ، ثم ان الله غنى  
 مشفق رحيم :

غادر لي تمطاب فرجتي يتحقق روناقسى :: يا ساقى  
 خل الخل وهات لي الصهباء الكاس احديفا :: وامل لي ذاك لبريق  
 كاتب مولانا السعيد ساعد والشاقي شاقى :: يا ساقى  
 لا تستنكر امن اذنوب اولاتكل عن تيقا :: مولانا غاني اشفيق  
 والامل عند انجار في «الذهبية» أن يمحو الله ذنوبه ويقلل توبته بجاء  
 الرسول صاحب الشفاعة :

وانهايت حديث انطليو من لاينام يمحي اذنوبنا وايتوب اعلينا  
 بجاء محمد نبينا

اشفيح فينا

حشا ايھون بنا

ربي اكريم من لاتخفاه اخفيا

معلوم ابلوفا وعبيدو يرحامو

بعد النكد امع لوزار

على أن بعض الشعراء لا يقصدون من الخمس حين يتحدثون عنها غير  
 الخمس الصوفية ، وأبرزهم ابن رموية والحراق وشقور ، يقول ابن رموية  
 في دليته يخاطب المريد السالك :

اشرب لازم الكيسان ووصال للاقسوان

لقد ضاق الزمان عن الجاهل لعتسود

قد شربنا كؤوس زالت بها البوس

غيرنا مات اس (I) ولاعرف مقصود

(I) كلمة غير واضحة ولعله يقصد مات أسى .

واسبقه للعروحا ولا تكن احقسوت

اغنم كأس الراح \* هاحبيبك زار  
اسبق اودور \* انف الشرور \* طول الدهور  
صب الشراب \* فالنكد غاب \* والخير صاب  
رشف لكواب \* امع لحباب \* عين الصواب  
فازها فيامك \* لو اتعيش انهار

من عند الغنى تغنيــــى	واتنزهنى امع لجبيب ابلا فخرى
اسق يا ساقى الخمرى	هذه ساعى الرضى
اطبب فيك ايلا تفدلى	واتنزلنى فى امراتب لعللا
ايا الساقى كب واسقنى	وشربنى امن اكوس الخمرى
هز لقلوب هزهم هـرى	ياللى بيدك كل عزى
داوى لقلوب باش تبرى	ياللى بيدك كل قدرى
ياسادنى يا مولى	نظروا نظرا خالصا فى
أنظرت فيكم نظروا فى	نشرب شربا حقيقى
سعدى بك وارضى اعلى	يا محمد سرى فى

مجالاً خمر الحب دون سداق من غير اعراقى \* خمر قبل الكرم خالفاً  
واسرائل اقزوحى ومهجتى واعروقى واسفاقى \* ليا بالازال سابقاً  
بمدام الرسول الاكرم سقيت اوراقه وتفتحت ازهاره وفاح شذاها ،

وبهواه أينعت أشجاره وبالحب ترنمت الاطيار مفردة بأصوات سماوية تنشد  
تواشيع الفنون والاشواق ، وتسبح بالسنة ناطقة لا يفهم تسبيحها غير  
الخالق الكريم :

بمادامك ياسيد الرفاقى نسقات اوراقى \* وازهارى بشداك وارقا  
واشجارى بهواك طافحا فالهستان الناقى \* واغصانى فالجو خافقا  
وانهارى بشناك فسواقى ماها دفاقى \* وادواحي بالعشق باسقا  
واطيارى بالحلب كتلاعى ما بين احداقلى \* بصوات الكريم طالقيا  
بتواشيع لفنون ولشواقى تنشد كزواقى \* واتسبح بلسون ناطقيا  
ما يفقه تسبيحهم الا نعم الخلاقى \* من ودك بسرار خارقيا  
وقبل هؤلاء جميعا كان المدغرى فى «الكاس» قد وصف الخمر بأنها  
معنقة لم تعصر ، وبأنها سبقت فى وجودها الكرم وبأنها ألطف من  
الهوى وارق من النسيم ، يكفى شم عطرها الفياح لكى تسكر وتثلف العقل  
وتسيل الدموع :

خمر اقديم ابلا عصير من قبل الكرم افلاحى \* يا صاحى  
الطف من لهوا ورق من لرياح للياحا \* يتلف عقلى الى ارجيح  
من شمو تكفيه طبتو ابلعطر الفياحى \* يا صاحى  
يضحى ما بين لقطار سايح دمعو سباحا \* ما بين الحضر اسبيح  
ولكننا لا نخفى شكنا فى أن يكون قصد الخمر الصوفية رغم النغمة  
الفارضية التى تطفئ على هذه الابيات والتى يبدو أنها مجرد صنعة ومحاكاة،  
وترجع هذا المشك بقية القصيدة التى يغرى فيها صاحبه بالشرب كما  
تقدم . وما نقوله عن المدغرى نقوله كذلك عن العلمى الذى سبق أن مثلنا  
ببعض شعره .

#### ثانيا : الكون والطبيعة :

إذا كان الشاعر الشعبى قد اغرم بجمال مظاهر الكون والطبيعة  
فاتخذها اطارا لمجلس الشرب ، فانه ظل يتعشق هذه المظاهر حتى بعيدا عن  
جو الخمر ، فوصفها وصفا رائع التصوير بأروع التعبير يكشف عن سلامة  
ذوق ، وصحة . وجدان ، ورقية إحساس وشعور بالجمال ،

واستجلاء لحقيقته حيث وجدت . وهو فى وصفه يقارن ويشخص ويبرز المعانى فى صور حسية ملموسة نابضة ، يبت فيها الحركة والحياة ، ويبعث فيها من ذاتيه ما يجعلها تعكس حال نفسيته وحيوية عاطفته فى امتزاج وتجاوب مع تلك المظاهر . وأطلق على قصائده فى ذلك أسماء «الذهبية» أى غروب الشمس و«الصبوحى» و«الديجور» أى الليل ، وهو عندهم الداج والبهيم ؛ وأطلق عليها كذلك أسماء الربيعية و-العرصة و-البستان و-المشموم و-النحلة وما إلى ذلك مما يوحى بمظهر من مظاهر الطبيعة والكون .

### 1 - الكون :

وصف المدغرى الشمس <sup>الغروب</sup> صفراء ذهبية ، وشبهها بغرس شتراء أرخى عنانها فغدت تغير على الروابي والسهول ؛  
شف الذهبيا اخودها فى ذهب التشحار  
وارخات اصروع اللجوم فوق الوطيان اتغير  
نعنها شكرا امختنا من خيل المنصور  
ويرى الحاج ادريس لحنش أن الشمس فى لوتها الذهبى لبست ثوب الغروب وقد هجم عليها الليل :

الساقى عكب النهار فوز ابوقت السرور واسقنا بين ادواح  
شف الذهبيا الراحا .. لبست ثوب لغروب والليل اغشاها  
ويسبح لله الذى جعل الشمس تشرق فى كل أرض ، تزهى وتروق فى أول الضحى ، وتعلو لتلقى أشعتها على الجدران ، ثم تتجلى فى كبد السماء يخطف سماها الابصار وكأنها اندراء فى عز ثوم وشبابها ، لا يستطيع أحد أن ينظر إلى جمالها ؛ وإذا ما حان الغروب بعد ذلك يصفر جبينها فى لحظات اتروح له لابسة أردية حمراء ؛

أساقى سبجان ربنا هذا الشمس افكل ارض تتجلى عل لبطاح  
واتزهى فى أول الضحى .. تنشر فوق لدار ببروز اثنائها  
تبدأ بها بعد ذلك تتجلى فى كبد السما اسناها يخطف للماح  
كعدرا فاصغر طافحا .. لامن يقوا يشوف فجمال ارباها  
ايلامان اغروبا اسماعا يصغار اجبينها اللغروب اتروح ارواح

نكسواوى يا صاح ناصحيا .. عكسنى مغلول فى فيه تقرب فى ماها  
وهى فى حالة الغروب - وقد احمرت خدودها وغدت معصرة -  
شمسوية بالبكر التى شربت حتى نملت وغابت عن وعيها ، فاختطفها عاشق  
كان متربسا لها وغطاها بأجنحته . وترك أهل الغرام يتوادعون وينوحون  
تجلى نغماتهم الطيور والاشجار ، ضارعين الى الله أن يعيد لهم اللقاء .  
وكذلك فعل جميعه الذى أغضض جفنيه استحياء وهو يودعه، معتذرا ومصافحا  
ومقسما أن يزوره ثانية لينتزه وياه :

والشمس احمارو اخدودها ونعصرو نحكى اعويتها زرعت كاس الراح  
وامنين اتغاثات طايحيا .. جار اعليها اوصيف عاشق وداهها  
عس اعليها ابلعيان حتى غابت عن حالها اوغطاها تحت اجناح  
واترك هل لغرام نايحيا .. تتوادع ابلقراق والوقت ادعاها  
واطبور البستان ناحت اعلى الفرقا بصوات حالها واكذلك لدواح  
رفدت العشاق فاتحيا (I) .. بكفوف ارزاقها ايولى ملقاهها

شف الى نهواه نيم اشقارو واستحيا وقال لى ودعتك يا صاح  
واستعذر لى ابلمصافحا .. واحلف حتى ايجى ونشمو انزاهها  
وعند المدشرى فى «الذهبية» أن الشمس فى غروبها تذبل وتصفر  
كالحبيب الذى هجره حبيبه بعد أن وعده بالوصول ، فظهرت على خده آثار  
الفراق ، ولبس ثوب الضمنا الاصفر ، وسكب الدموع ، وذبل لونه وفقد  
الصبر ، وحارت العقول فى أمره ، كلما انحدرت شمس العشيّة للغروب  
زاد لونه تغيرا خشمية من الليل وطوله وما يكثر فيه من قزع وتنهّد واتسكاب  
الدموع ، يبوح اصفرار خده بصادق خبره ، وتزيده شمس العشيّة تذهيبا  
وكانها عذراء تدور على أفلاك المحبين :

ريمت الغروب الشمس ابلهوا تذبال وتصغار  
كن احبيب امقاولوا احبيبو وارجع للغيـر  
خلاه افوكرم ابلا رفيق امفرد مهجور

---

(I) رفد الفاتحة اى رفع كفية ليقرأ الفاتحة ويدعو الله .

وظهرت افخسود اعلامت الفرثا من لضرار  
والبس خابورى امن الضنا واسكب دمع اغزير  
بسموا سيوف لفرآك جرحودىما معكور  
وادبال اخيالو اوخالتو طاحت من لغيار  
فغرامو واشكايكو وعشكو لعقول التحير  
يحسن عونو عادى الصبر بالفرثا مقهور  
ما حد لعشيا تغرب ألونو فالتكدار  
من خوف الليل الطويل والفرعا والتقيير  
والتنهاد اكيت الصبر وامدام لبحور  
فوق الخد اصغورتو اتبوح ابصحت لخبار  
والذهيبا كاتزيد فوق اخدودو تشحيير  
نعنها عذرا اعلى افلاك الغوان اتدور  
ومثل هذا الربط بين الغروب والوداع نجده كذلك عند علال الصدراى  
فى ذهبيته حيث يقول :

الشمس اغروبها اعبارا  
راحت مشمورا  
وانبات اكوكب السيارا  
كانت محصورا  
والبدر انبا ودار دارا  
ليلت عاشورا  
والبين جار  
تفرقنا من بعد لمزار  
واتودعنا من لوكار  
واقد واجمار  
قلبي واش جا يصبرو .

ويبلغ هذا الربط عند الحاج محمد النجار حدا يجعل شمسه لا تغيب  
فقط يوم ودع أهله فى الصحراء للسفر الى فاس ، ولكن تصاب بالكسوف

فتظهر النجوم فى وضوح النهار وتنتشر الظلمات :

لله يا على سمحوا فى شئ فات

وادعيوا لى انصيب امنايا

فى بلد فاس كنز اغنايا

عند الشراف هل لعنايا

يسقونى السقوا بعد السقوا انال تقوا

تبسط لكفوف ضى وادجا للخالق ساير لخلايق يغفر الواتى

فجميع السيات

الين آوين الشمس فالسما ريناها كسفات

حتى ظهور النجوم فالنهار الكهار العاتى

والظلمة سدات .

ويصف المدغرى الليل فى «الديجور» فيدعو لرؤيته، مال ظلامه وأطلق  
كواكبه فى هالة وهمة كأنه سلطان من السودان أقبل فى حلة فخمة راكباً فرسا  
ضخماً أدهم ، بيده أمان الملك وضمانه ، وخلفه جيوش من الفرسان ملأت  
الافاق تحيط به من كل جهة ، يمتطى جنودها خيولاً دهماء ملجمة مائجة كأنها  
البحر الزاخر لابسة حللا من ريش الغراب والظليم :

شف الديجور ارخى اكواكبو من شور القبلا ايهيل ويميل اظلامو  
سلطان امن السودان ينتقل فى هما وازكيهم  
لابس برناط فوق امن ادهم متكلمهم كورى افشان صولت تضخامو  
قابط لمان امن الشريف واكبل فى زى افخيهم  
شف اجيوشو تاكو اوعمرو لافاق اييمين اشمال خلفو ومامو  
فاق اهيكل دهما اتموج نحكى زخار اطميمهم  
شف اخيامو فالكور كوروا بعساكر فرسان كلها قابط الجامو

بكساوى من ريش لغراب وارياش اجناح الظليم  
والليل بسكونه وهيبته وغموضه ملجأ يأوى اليه المحبون ، بثونه  
هموم وأحزانهم . وانطلاقاً من هذه الحقيقة اتخذ المدغرى وسيلة لحوار يقصده  
منه الى تحقيق غاية وتبليغ رسالة، فهو بعد أن شبهه فى «الديجور» بالسلطان،

تخيل المحبين حضروا يقدمون له شكواهم مصطقين فى ساحة قصره ، منهم  
من يشكو الهجر ومنهم من يشكو التيه ، ومنهم من يشكو العشق ومنهم من  
يشكو الغرام ، وآخرين جاءوا يقدمون له الهدايا يرجونه ان يظل مسددا  
ستاره عليهم لينعموا بملذاتهم ويستمتعوا :

شف المشهور فالحين عمروه ارباب الغوان وامر اعلى خدامو  
دارت بالشكاي اصفوها فى حرب اتخزيهم

شف الشكاي شى اشكا بهجرو شى بالتيهان شى ابغشقو واغرامو  
شى بالفرخا شى جايب لهديا لليل ايگيم

تقدم المهجور يشكو هجر الحبيب بعد طيب الوصال اسيرا باكيًا  
رائيا ، وقد طال صبر قلبه وأقسم الحبيب الا يفك أسرہ ، وهو يرجو الليل  
أن ينظر ل حاله ويتدخل بلطف لديه ليكشف له عن حقيقة حال البين ، لكنه  
يلين ويقبل استعطاف محبه فيرد عليه السلام ؛ ويود منه أن يجمعهما فى  
مجلس أنس يستمتع فيه بالنظر الى جمال حبيبه والاستلذاذ بكلامه ، عشاء  
يرفو خرق قلبه الكليم . ويجيبه الليل بأن عليه - رغم الهجر - الا يئأس ،  
وأن يظل بأبواب حبيبه وفي خدمته ، وأن يلاين ويسعف هواه فى غير شؤم ،  
وأنه مهما طال به الهجر لابد وان يلتقى مع حبيبه فى مجلس شرب وأنس ،  
فكل من لازم باب الجود لابد داخله :

زاد المهجور اشكا ابهجرو . من بعد طيب الوصال ارجع مهجور  
قال اداجى قلبى اهبرو (I) . هذا اشحال ونا نرتى مهجور  
والهاجر خلانى اهبرو . بشمايلو احلف لاطلق الميسور  
ابغيتك ياليلى اتسوف من حالى واترغبو الى انجى نسعى ادمامو

يقبل تدمامى لايردنى بالقهرات اهميم  
ابغيتك ياليلى اتقول بلطفًا لله عاشقك زد اسلامو

واتبين لو حال الصدود من بعد الوصل ادميم  
ابغيتك ياليلى اتمنا فبساطى نشفا ابهاه ونسمع اكلامو  
يرفى ما قطع يادجورنا من قلبى لكليم



قال المديحور اللى اطوال هنجرو يخدم لجيب لايذول عن امقامو  
ويساعف غرض اهواه لا يكون افلغرام الشيم

من لازم باب الجود لاغنالو من مدخل لو اقلول بالهجر ايامو  
يتلاقى بالمحجوب بين كاس اساقى ومديم  
وتقدم التائه يشكو حائرا مرارة الهوى وجور مالكة وتيه بشبابه،  
ويرجو الليل ان يتكلم لعل ان يطفى نار قلبه ويعالج سقمه ، ويطرد  
محززيه ، ويعيد الماء الى مجراه ، ويقفل الباب بقلب سليم ، ويود منه أن  
يلم شملهما حتى يرتاح قلبه من اللوعة ؛ وعساه بعد ذلك أن يقبله خادما  
وعبدا له . ويحيب الليل بأن من صبر وتحمل الهجر والجرح لابد - مالم  
يمل - أن يفوز بصيده مهما طار ، وينصحه بالامهال والمسايسة والطاعة  
حتى يفوز بالنظر الى جمال حبيبه ويشرب معه :

شف التيهان اشكا ابضرو \* من تيه مالكو حارت لولـ  
قال اداجى لهوا امرو (I) \* من تيه امن اهويت اريت امن الجور  
هو تايه فشباب صغـرو \* ونا امتبعو راين دار انـدور  
ابغيتك ياليلى اتكـلو ياك ايعالج نار ضر قلبى وسقامو

تغنم اجر الملهوف ابلهوا ياليلى لبـيم  
ابغيتك ياليلى اتقـول للمحجوب ايرد لحررز الكـدامو

والما للمجرا والرتاج اللباب افقلب اسليم  
ابغيتك ياليلى اتلم شملى يقرغ قلبى ابلعتو من تخمامو

لعل من بعد الصدود يرضانى عبد اخديم  
ادوا لبهم اقال من اصبر وتحمل حمل الصدود وعكر اجسامو

يقبض صيندو ولو طار لاتمل اصدود لغريم  
ارضى غنو حتى ايولف اتبعو بسياسا ولا تخالف لكلامو

حتى تشفا فجمال صورتو والكاس افتعويم  
وتقدم العاشق يشكو السهر ، تكشف صفرة لونه ما فى قلبه من  
داء وتكفى الغاهم للقضاء والحكم ، ويرجوه أن ينظر الى حاله مكويا

بمفاتح حبيبته ونظرات عينيه ، ما نظرت اليه الا زادت جراحه آلاما ، متلهفا الى الماء وهو  
يجرى متوفرا في مكانه ، ويستفسره عن وسيلة لاطفاء عطشه ومعالجة رشح  
سهام حبيبته . ويرد الليل ليؤكد له أن العاشق في حيرة مستمرة يقضى  
ليله بين الخوف والرجاء ، ويخشى الفراق حين يتم له الوصال ويظل مشغول  
البال عند الهجر دائم البكاء والالين :

زاد المعشوق اشكا ابسهـرو \* واصفورتو كتبت اعلى الخد اسطور  
واظهر فوق الوجنات سرو \* كيف يخفى اخبار القلب المضروب  
والي عايق يقضى ابنظرو \* ايجود ويصفح عن حال المعدور  
ابغيتك ياليلي اتشوف حال المكوى بحساسنو وخزرات انيامو

وقت ماريتو كيزيدنى تجراح اتعيدم  
ابغيتك ياليلي اتشوف حال الملهوف اماه ما اخطا وسط ارسامو

صبرو راحل بغرام امن اهواه امع العشق افهيم  
ابغيتك ياليلي اتقول باش اتبرد لله رشكات اسهامو

لنى عطشان الحب ولهوا شربى شرب الهيم  
ادوا لهيم اقال ذاك حال العاشق مشغول طول عمرو فعظامو

مايين ارجاه أخوفو كايكسم داجو تكسيم  
ايلا كان الحبيبو امعاه يخشى من لفراق الصعيب من بعد امكامو

ويلا فرقو يبقى امعلق الخاطر غير ايزيم  
وتقدم المغرم يشكو القهر وأهواله الكثيرة ، ويشكو أوصاف حبيبته

التي لاحد لها ولا حصر ، ويريد من الليل ان ينظر الى من اسود حاله  
وادلهم وطال ، شبيها بحاله وبشعر الحبيبة الطويل المرخى على الاوراق فى

سوالف ملتوية كالشعابين تاركة باله فى كدر وسواد ، وقد الهبته نار  
الخدود ولسعته الحواجب والعيون لسع الارقم ، وكأنها فى نظرتها سيف

ابن عيس يغرس فى قلبه ، وهو بعد هذا يشكو زندق حبيبته يلهيان نسا  
حشاه وقد انهمرت دموعه غزيرة كالمزن شبيهة بلآلى ثغر الحبيبة وجوهر

جيدها . ويجيبه الليل بأن من اكنوى بنظرة العيون مصادف اعدامه ، ولكن  
الله يچود بالصحو بعد الغيم :

زاد المغموم أشكا أبقيهم — سرور \* وادمعو امزون اعلى الخد اتفور  
قال أداجى لهوال كثرور \* شلا انعيد من رمكات اليعفور  
توصافسور عندى ما نحصرور \* بهم جيت شاكى من غير افجور  
ابغيتك ياليلى اتشور من هو حالو اكحل اطويل او حالك تدعامور  
مثل اشعور الباهى اطويل وعلى الوركين افخيم

واسوالفها مثل التعابن الملويا فى خاطرى اكحالم واهامور  
والقوس السعنى من الحاجب القايس لسع ارقيم

سيف عنترا فدواخلى امن الخزرا فى يوم اكباح جرد صمصامور  
والهيبور من لخدود باهلى والوجنات اجحيم

وادموعو مثل اجواهر الشجر ولاجوهى جيدها اعلى حسمن اقوامور  
والزند زند نارى افلحشا من برقو لوسيم

وادوا لبهم أقال امن اكوا من خزرت لعيون ذاك صادف تخدامور

لكن الله ايجود بالصحو من بعد التغيم  
وتقدم الذى هجره احبته يشكو حر نار الفراق فى قلبه وغدرهم به  
بعد أن وعدوه بالوصال تاركين قلبه ملتها لايعرف الطبيب له علاجا ،  
ويسأله عما قد يفرج هوله وهيامه ، ويريد منه ان ينظر اليه بفراصة وعقل  
ويعالجه ويخبره بمكان احبته ان كانوا تحت جناحه ام فى خصب ينعمون .  
ويرد الليل بأنه ينبغى له ان يسأل ويجول ويقتفى أثر رحلتهم ، وان لم  
يقدر على ذلك فليصبر على الضيم ، فكل من يعمل يصل ، وليس امام العاجز  
الا أن يصبر وألايشكو اذ عجزه هو سبب ما يقاسى ، والذى يتمسك بالامل  
يفوز لابد بغوث من الله :

زاد المغموم أشكا ابغدرور \* قلبو ابجر نار الفرمقا مدعور  
قال اليلى حباب غدرور \* بعد التفاق عن لودا و اشهور  
تركوا قلبى كاوى ابجسور \* عكز الطبيب ما عرف الدياشور  
ابغيتك ياليلى اتفدى بغاد تفجى احوال قلبى واهيامور  
وانظر فىا بفراست لعقل لك حبر احكيم

ابغيتك ياليلى اتعالج الصب الى رحلوا احباب قلبو قيامور  
واداوا امعاهم خاطرى اولا باقى له احليم

ابغيتك ياليلى اتكول لى واين صدوا لمتى واين حامور  
لاينهم تحت اجناحك السعيد اوفى خصب انعيم

ادوا لبهيم قال سول الوجول اتبع ارحيلهم فى أثرو هامو

كان انت ما قديت يالداعى اصبر اعلى الضيــــــــم

من اخدم اوصل والعائز يصبر لايشكى عكزو اسباب هجرو واعدامو

والى ما قطع اياس لاغناه ايغيثو لكريمــــــــم

وهكذا قضى الليل وحكم بفكره لارباب الهوى ، وفصل بالحق حــــــــسى

شاع خبره فى كل مكان وجد فى العمل ساهرا يشهد له الشمع والخمر :

أمرواحكم واقضى ابفكــــــــرو :: لرباب لهوا بالحكم المشهــــــــور

واقفل بالحق أشاع خبــــــــرو :: الفكل فج بين امدان وادشــــــــور

واجتهد فالخدمه ابسهــــــــرو :: بشهادت الشمع والخمر المعصــــــــور

أما الذين قدموا الهدايا - وهم أهل الانس - فجأؤا يطلبون منــــــــه

ان يطول وقد حلا النغم وشعشعت الخمر وأضاء الشمع :

جأوه ناس الفرجات ولخلاعا وهداوه أراودوه عن طول امكــــــــمو

قالو لوياسلطان هل الحب ابغيناك اتقيــــــــم

احلات الصيغا ولمدام شعشع والشمع ازهى اولاح فخدود اريــــــــمو

والكيسان افميدان حربها تجرى فى تعويــــــــم

ويدعو المدغرى فى «الصباحى» للتمعن فى طلوع الفجر ورؤية البدر

مضيئا كعروس برز من الحجاب وحوله الكواكب فائنات يرعاهن تحظن به

يمنة ويسرة ، ويدعو كذلك - مستغلا أسماء الكواكب فى تلاعب لفظى رائع -

لمشاهدة المشتري ولوعا بشراء العاشقين ، له سوق عامرة بهم ، وزحل

باعثا حمرة على الخدود كعصير الخمر ، والزهرة زاهرة خدودها يزهى

المحبون بجمال ضوئها ، والكيوان يكوى القلوب بلانار ، والمريخ مرخى

لثامه ، والشرى متملية من سناها بعقد والنجم يزهى العاشق بغرته ، ويبهر

بضياء مناره ، والنسرين يسرى فى الرياض بعسكره والنسيم يفوح عطره

منبثا بطلوع الفجر :

شف البدر الضاوى اعريس تاك افحجبا واكواكبوا اعوانس يرعاهها

دارت دور المقياس به عليمين وايســــــــار

شف المشتري له سوق عامر برقاب العاشقين والع بشراها

شف الزحل ارقى اعلى لخدود اعصير المسطار

شف الزهرا زهر اخذوها وتزعمى اصحاب لهنوا عن حسن اضياها  
شف الكيوان اكوا ابكيتو لقلوب ابلا نسا

شف المريخ ارحى اللتام شف الثريا لابسا عقود امن استافها  
شف التسرى يسرى اعلى الرياض بصاكر جبر

شف الغرار ابغرو ايمن العاشق وامازرو ابشر بضيها  
شف النسايم اطلعت لفجر يعطوك لجبر

أما الفجر فكسلطان راكب فرسا أشهب ، وقد سدك فى يساره مسحات  
حادة يركض خلف وصفائه فى كل مكان مشمرا عن ساعده بحزم :

شف الفجر احكيثو اشريف راكب اشهب وبلا اعلى يسارى ممضاها (1)  
يجرى اعلى وصفاء الكلى جيه ابحزم تشاير

وهو قد اشرف على الاطلال متوليا كانه المولى اسماعيل ، ناسرا عليه  
المنصور وضاربا بسيفه المصفول فى جيش الظلام ، يسير خلفه شمس من

الخيول الشهباء النجبية الصاهلة :

شف الفجر اركب فوق لطلال \* قاييم نعيه مولاي اسماعيل (2)  
شف اعلامو منصور قشبال \* سيفو اعلى احيوش الديجان نصقيل  
شف كم من اشهب ارفيح مازل \* شهبان خاطف الكضا له اصهيل

ويقارن ابن عل بين الصبح والليل ، بين الصبح كسلطان ارحى ذيل  
ازراه لابسا حلة من الديباج ، وبين الليل فى توديعه كغراب اسود شابت عذاره  
واضاءت مناره ، بين الصبح كنسر يعلو فى تحليقه ، وبين الليل سال دمع  
غرابه وقد بدا الضوء من خلال ذلك متجليا يطرد الظلام وينيره ، وظاهر  
حمام القبله كالامام فى المحراب ، ودار القلك بشيئة ربه قاحتفت الكواكب  
وهب النسيم من بين الظلمة والنور يحرك الاشجار :

الصبح كغريف ارحى ذيل ايزارو \* والبس امن الديباج اقمار  
والليل كغراب اسود شاب اعذارو \* واشعل امن اضياء امنسارا  
الصبح كالنسر يتعلسى \* والليل سال دمع اغرابو

(1) ما أحدها .

(2) فى رأى استاذنا الجيل الدكتور عبد العزيز الازهرانى أن ذكر اسم  
السلطان فى مثل هذه القصائد ربما يدل على أن بعضها كان مداخل  
للمديح ولكن البروة لم يحفظوا هذا المديح .

والضوء فى السماء اتجلى \* رسل اعلى الظلام اعقابو  
انظر اترى احمام القبلا \* مثل ليما فى محرابو  
الفلك كيف دار ابصنعت دوارو \* واخفى اكوابو سيارا  
هب النسيم بين الداج وانهارو \* شوش ادواحنا المسرارا  
وعند المدغرى فى «الذهبية» ان الشمس أرخت أكمامها معولة على  
الرواح ، وقد أحست بالليل فارسا حازما مشمرا يجمع جيشه يريد  
الهجوم ، فركضت هاربة من بين الاشجار تبدو أشعتها كأسماء الشابل  
تلمع وتضيء :

شف الشمس أرخت لكمام \* عولت للرواح افتيها واقياما  
حست بالديجور لغلام \* جمع لجيوش زاد الحركا بزعاها  
وهربت وعرت لوهام \* خللت لى الرمح اشقرا بسلاما

...

والشقرا تجرى اعلى اجهدها ما بين اشجار

والفارس تبريمتو اعجب محزوم افتشمير

وامزارح شمس لعشى اشوابل تلمع واتنور

واذا كان كذلك موقف الشمس أمام جيش الليل الجرار ، لم تطفئ  
مقابله - وما كان لشيء أن يوفق بينها وبين عبيد أسير - فان النهار قد  
اختطفها وحملها بحزم على أكتافه وغاص بها فى الغروب لتزف اليه فى عرس  
يشيع خبره فى الصباح ، ولم يترك لجيش الليل غير الضباب ، وحاول هذا  
الجيش أن يعثر عليها ولكن دون جدوى ، وظل الليل يعض الندم يرمى  
بحره بالموج والظلام ، وشكت اطياره فى اوكارها باستثناء أم الحسن التى باتت  
متنغمة ، وحز فى نفسه أن يختطف النهار المشرق نجمة الانارة ويتزوجها ، وان  
يتكرر ذلك كل يوم :

شف الشكرا شافت المظلام ابعسكر جرار

واعرفها مثل الظليم ما طاقت لو بعكسر

واش ايلاقى بينها اويين الميسور

حوصها جيش النهار عن كهلو فالتشهار  
واغطس بها في اغروبها محزوم افتشمير

خلى غير الرعد والضباب الجيش الديجور

طلق الليل اعساكرو اعليه ايمين وايسار

شرق اغرب اعياء ومايوكد ومن دير الديسر

ماوجد وجرا اول الكاو المنزلها شور

...

حوص خيتو ولد لهمام : وابقى الليل بات افغصا وانداما  
يرمى بحرو موج واضلام : بسواد فوق برناطا دار اعلاما  
واشكات اطيرو افلرسام : من غير أم حسن باتت نغاما  
وابقات الغصا افخاطر الديجور الغوار

حين اخطف لو شارق النهار انجمت التنوير

واعمل بها عرس كان فالصبوحي مذكور

وابقى جيش الليل فالنهار ايعوم ابتكار

يخطف شمس اعشيتو ايفادى تارو بهدير

واتروح اعروسا امثيل جيش الفجر المجهور

ويصور المدغرى الصراع على النجمة بين الفجر والليل ، وكان كلا منهما  
سلطان بعسكره وجيشه ، أحدهما - وهو الليل - راكب فرسا أدهم ،  
والآخر - وهو الفجر - راكب فرسا أشهب . وبينهما ظهرت النجمة  
بهية مضيئة بارزة كأنها عذراء منعمة . وتقابل الجيشان ، جيش الليل بسلحه  
وخيله ، وجيش الفجر بالقمر المضيء . وادعى الليل أن النجمة ملكه طوال  
الاجيال ، وزعم الفجر أنها زوجه بالعشق الحلال وانها دائما فى رعايته  
تلازمه لاتحيد عنه . وماكاد الجيشان يلتحمان فى قتال مرير حتى انتصر  
القمر وحاز عروسه وليس رداء غدا يعرف فيه :

يقط جفئك شف شف حرب الفجر مع الليل

كن اهمام امع اهمام بين اعساكر وامحال

واحد عن ادهم لخر اعلى اشهب مشمول  
فالميدن اتحاربوا اعلى نجما حرب اطويل  
والنجما بناتهم حسن ابهاها شعبال  
نعنها عذرا امخترا تاكت بين افحول  
الدجا اشل فجمالها بالعدا والخييل  
والفجر ادهم فبه بالكمر حربو قتبال  
واتلاقت الخيل البتر والسيف المسلول  
الرجا ادعا وقال دك ملكي من جيل الجيل  
والفجر ادعا قال دك زوجي العشق احلال  
في حوزي ديم املازما جنبى ليس اتحول  
اتلطمت الخيل افلكفاح ابعيط واصهيل  
عامت الكمر اعلى اجيوش ادهم لبطال  
حاز الفجر امروستى وليس ايزار مرفول

## 2 - التقييم :

وبنفس الاسلوب الذي وصف به الشاعر الشعبي عظام الكون ،  
ذاتياً نابضاً بالحيوية والحركة والمقارنة ، صور مظاهر الطبيعة ، فهذا حماد  
الخمري في « ربيعته » يصور انهزام جيش الشتاء أمام الربيع الذي أقبل  
كسلطان منصور حاز كل فخار ، نصفت السماء من الغيوم ودمت ثوب الحزن  
وبدا في الأفق قوس قزح بألوانه المختلفة كأنه على خصرها حزام (I) :

بداوت لمشاتي كالجيش ايلا انهازم افلكحار  
من بعد زام طبلدى واتنصر سار افلفقار اكسير  
اوجا اهمامنا لسمى الربيع حاز التفخار  
وصاب ما يصيب المنصور ايلا امشى اعداء احقير  
ارمات السما ثوب حزنها ولبست الافتخار  
واتحزمت بالسبع الدوان اللى اهداهما لخبير

(I) يطاق في المغرب على قوس قزح : حزام للا فاطمة الزهراء .



وهذا امتيرد يرى في « ربيعته » أن الربيع أقبل بأنواره ، وعمت  
البركة والهناء والخير ، وغدت الأرض في حلتها السندسية المنقوشة كعروس  
سلطانة منورة أحيائها بعد الموت بغزير الأمطار ، وبدأ المطر في تباه زوجها  
الأرض تمرد بحاسته : ويوم ضمها وسقاها حملت منه ووضعت للسرور  
ذكورا وأنثا : فازهرت الأنوار من كل صنف بقدره الله ، وخرج الناس  
للتنزه من كل مكان :

فصل : الربيع قبل بنوارو

عامنا عام البركة ولهنا والخير

من بركت النبي صلى الله اعلى باهى الصورة

انقش الأرض بحكمت اسرارو

صبحت اعروسا سلطانا امنوراتنوير

واثابها اسندسى وانراورها افراش منضورا

من بعد موتها احيائها \* بعوارض لمطار اسقاها

سبحان ذا الثنا والعظم والجود

لمطر كابعا يتباهى \* والأرض زوجتو فحضاها

محاسنو ابدعت لجمال اسود

فنهار ضمها واسقاها \* منو احملت فوق افضاها

ضعت للسرور اذكورا واغيوه

لنوار كل صنف اتصوارو

كيف صور واصنع من هو الكل ذنب اغفير

من طبت الجنان الساعد للساعدين بالزورا

هاج الربيع وافتح نوارو

فيه لخلايق تهدي كافا اكهل واصفير

لنزايهو اكبل من كل ارسام له واقطورا

ثم اخذ في وصف الاشجار والطيور على حد ما سبق ان رأينا في اطار

مجلس الشرب .

وعند الطبيب الواسع في سرايته الربيعية أن في قبال الربيع

سعادة الايام وانتشار مظاهر الخير ، فقد جاد الزمان وضحك  
وانفجرت الاكدار وزالت الاحزان ، وظهرت الزهور المختلفة  
اليها ، وبدت الارض كأنها من حور الجنان ، طاب عليها السرور  
وهى بهذا عروس زفت البه فجاد عليهما الزهو وغدت بارزة  
وأجمل الحلل :

فصل الربيع كبل والوقت ازيان ❖ واعلامات الخير للو  
جاد الزمان واضحك تفر السلوان ❖ والتكد اتفاجا اوزال  
وابطايح الزهر اعلى كل الوان ❖ تسبى من راها اب  
والارض رى حوريا من رضوان ❖ واعليها طاب لل  
نحكي اعروس واعروسا فى اوان ❖ اعليهم جاد الزه  
صبحت بارزا فكساوى حسان ❖ دام الله اجمالها وا

ومثل هذا نجده عند غانم الفاسى فى «ربيعية» :

الربيع اقبل فيأمو الريح غلاب ❖ وانكسات البيدا بك  
كعروسا من كل اقماش زايداديباج ❖ حانطا بشياى الكبر  
هايجا عدر اويا امن احراج لغناج ❖ ابلعاسن تسبى فاء  
جات ايام الزينا بالزهو ولفراح

اقبل فصل الربيع وايام السلوان

الزهو اتى وانشرح

وعنده أن الربيع من فضل الله ونفحة من نفحات الجنة  
حال ايام الربيع من جنت رضوان ❖ بانث لوراق والزه  
سبحان الوحيى عظيم الشأن ❖ بدع اجميع لشيآت  
جاد اعلينا برحمتو والسلوان

أما ابن على فيرى فى «الزهو» أن وقت الزهو يدعو للنظ

فى ايام الربيع والاستمتاع بجماله كسب :

.....

وأشجارها ، تتعاقب أغصانها فى ترحاب كما يتعاقب الاحبة بعد طول غياب ،  
تتميل معربة من شراب كؤوس الندى الرائق السكيب ، وقد ضحك الزهر  
وبكى الطل ناحيا كأنه عاشق تضحك الحبيبة لبكائه ، تنجاوب معه نغمات  
أوتار العود والرباب المطربة تنقر عليها أيدي العذارى :

حل عينيك وانتزه زد شوف واسطاب  
فى ادواح العرصا وازهارها اعجيبا  
اغصانها بالفرجات اتعاقبو اترحاب  
كيف عنق الحبيب احبيب بعد غيبا  
اتمايلو وعربطوا فرياضهم بشجار  
امن اكيوس انداهم امرونقا اسكيبا  
الزهر يضحك والطل ابكى اقتنحاب  
كن عاشق تضحك لبكاه شى احبيبا  
ولوتار اتجاوب بنغام عود وارباب  
فيد عدرات اصوات اوتارها اطربا  
وهو يشبه اشجار البرتقال والليمون محملة بفاتنات من بنات العرب  
الذين يسرع أبطالهم لانجاد كل من استنجد بهم ، وهن يصلن بسمرتهن ،  
تزين أجيادهن وصدورهن قلائد العقيان :

شف رنج اللتشين اليم كن خودات  
من ابنات العربان الصايلات بالتييت  
ابلعقيق أعقيان امخمساً املاذات  
ابطالها من بهم استغاث دايماً اتقيمت  
ويشبه اشجار الرمان المصطفة بعرائس لابسات حمراء متوجة  
الرؤوس :

شف صف الرمان ابهيح كالعرايس  
لابسات العكرى فعراشها اعلى الراس  
ويشبه اشجار التفاح بأبكار أطلت نهودهن الصغيرة ، وماكادت تطل  
حتى اخذتهن الخيرة والدهشة من اكف العشاق وتملكهن الخدر والرغبة :  
(21)

شف صف التفاح اربا افأرض لامير

كاعنات اضحت انهودها اصغيرا

كيف طلوا وانبهضوا حازهم تحيير

من اكفوف العناق راهبا احديرا

ويشبه الورد بخدود أبكار المدينة عائدات من الحمام ، شعورها مبتلة

تقطر على ماء ورد الخدود العنبرى الطيب ، يعتدلن ويملن فى ريح غلابة

كأنهن سفن تمخر العباب :

شف صف الورد اىحاكى اخدود لبكار ٠ ساكنات البهجا (I) البيضاء ابنا لحضر

جايات من حمام اشعورها قطار

فوق ماورد الخدين طيب عنبر

...

كايعدلو وايميلو ريحهم غلاب ٠ كاقراصن فالبحر امنازهو اسجيبا

ويشبه النخلة بعروس بكر تمتلذذ الياقوت والعقيان والجواهر ،

تتمايل مع هبوب الريح من العريضة والسكر ، وقد أرخت شعورها مسدنة

ومضفرة ، وهى من بنات الحضر زاهية كريمة يفوق جودها الوافر جودحاتم

شف ديك النخلا تحكى اعروس ~~بكر~~

امقلدا ياقوت وعقيان والجواهر

كتعربد فى اريوح احوالها ابسكرا

اشعورها مسروحا وامضفرا اضفاير

من لبنات المزيانا زاهيا وحضرا

غالبا حاتم طى ابجودها الوافر

ويشبه أحواض الزهور تكشف عن ابتسامتها من النقاب كوجنات

السكرارى :

ولحواض بنوار امبسا امن انقاب

كن وجنات السكرنات بالصهيبيات

---

(I) البهجا من أوصاف مدينة مراكش .

ويشبه أديم العرصة بزرايى مفروشة للتنزه متناسقة ، زاته رقم  
حريري يفرج الكروب ، ليس من نسج الانسان ولا كتابته ، ولكنه من نسج  
البارى جلت قدرته ؛ أما جداول الماء وسواقيه فكالتعاين تجري ملتبهة  
الاجواف :

شف ارض العرصا ماكيفها ازرايى \* امفرشا لنزايه هندي الذي اينسدا  
ابلهرير امرقم يفجى ادجا كرايى \* ماتنسجو بصباغ اولادخل الكتبا  
بيد مول القدرا منسوج يا حبايى \* اتفكروا واعتبروا تلقاؤ كل رغبيا  
شف ذاك لما فسواقى انسج صباب \* اكما التعان تجرى واحضانها الهييا  
وتجد عند المدقري كذلك وصفا غير مباشر للزهار والانوار فى «النحلة»  
حيث يستعرض مختلف الانواع التى تمتصها ، يقول مخاطبا اياها فى حربة  
القصيد :

صولى ياشاما الظريفا وازهاى أغنى ودندنى وقطفى منى لزهار  
أترىاق اعلاج كل ضر \* أبنت الملك ملك هما واتار  
وفيهما يرحب بالنحلة ويهنيها على الصولة التى تتمتع بها فى أمة  
الطير ، ويطلب منها أن تغنى بين الورد والزهور وحدود الجميلات وعيونهن  
الذباحة ؛ أوحى الله لها فى كتابه وألهمها للتجول فى السهل والوعس  
وبطاح الندى لقطف الانوار ، وجعل فى شهدها دواء وحكمة وكسبا :  
سهلا واهلا بك بالنحلا واهنيا يالصايلا صلتى عن لطيار  
غنى بين الورد والزهر \* واخودود الزين ولعيون النحارا  
أوحى لك الله فى اكتابو لهمك لبطايح الندى ولقيط النوار  
والجولا فالسهل ولوعس \* واجعل فيك الدوا وحكما واتجارا  
أما ابن على المسفيوى فى «المشموم» فيدعو العاشق الى قطف الزهور  
وضمها فى باقات لتقديمها الى احسان :  
يالعاشق قطف النوار بين لريام \* كل وحدا ركم لها افنوع مشموم

وينستعرض أنواع الزهور التي تضم الباقية وكأنها عرائس النيل  
فيقول :

من افنون النوار اجنى اعرايس النيل  
والزهرقان السرى والشقيق والياس  
بابنوج اطماج أقرمزى اشتخيل  
ولبهر والسوسان امجاوز واستكلماس  
ياسمين اغنبار امع لها افتتاحيل  
ولعشيق أعاشق والرنج والنجاس  
اقرنفل والخلى والورد فاح بنسام  
ولحكم دون اشريع ابلاغرام محتوم  
خد الجوار أشككى اشكا ابلاغرام  
باح سرو من عشق الباهيات بقيوم  
امشرقا اوشامها يسحر لعقول  
وفزين ازويول الراحا اللمقال  
والباغ وابنفجيج والديدى متمول  
نشوان افغايتو وعنها ما يسلا  
والعقيون الددحان اصبح معلول  
شاف الزين لبهيج من فايق عبلا  
ولم يكن الربيع وحده الذى يتيح فرصة الخروج للتنزه والاستمتاع ،  
وانما كانت غير قليل من الفاسمبات تتيح مثل هذه الفرصة لاستعراض جمال  
الطبيعة والفائنات كشعبانة وعاشوراء ويوم الزيارة ، يقول اميرد فى  
شعبانة :

يوم لتنين افشعبان السعيد يامن ييغانا  
لنزايه كبلت اعوانس لمدين الحمراء (I)  
آش را من لارا لريام يوم داروا شعبانا  
كعرايس نحكيها بارزا افحضرت كسرا  
(I) الحمراء من أوصاف مدينة مراکش .

ويقول الحاج محمد النجار في عاشوراء :

أجى اتشوف يامن لاشاف الهايجات يصداوا

كيف شافت غينى حسن يوم عاشور

ويقول الشيخ العربي الفاسي في خروج الفاتنات للزيارة يوم الجمعة :

خرجوا لبيكار

يوم الجمعة لسواحل لبحر

بالآل وانغايم لوتر

حاموا الزخار

شف امدينه سلوان (I) زاهرا

خرجوا لبنات للزيارة \* واجى يامن ابغا ايزور

تهنا واتشوف دالعبارا \* خرجوا في افراثن لبحور

قالوا يزهوا بالتمارا \* خرجوا برا لقصور

#### ملاحظة : شعر الفكاهة :

قبل أن نترك هذا الجانب الباسم المقبل على الحياة الى الجانب العابس الجاد ، نود أن نقف وقفة قصيرة عند فن من الشعر الشعبي لاشك انه تعبير عن روح الاستمتاع والابتهاج ، وهو شعر الفكاهة ، وتعرف قصائده باسماء كـ : « الزردة » أى الوليمة ، و « الطجين » و « الفار » و « الكلب » ولكن الاسف أنا نبحث عن هذه القصائد ولا نعثر منها الا على بقايا قليلة . وقد أكد لنا الاشياخ انها ضاعت في اغلبها بسبب ما كانت تثيره بينهم من شغب وشنآن جعل المنشدين يتحاشونها وكذلك الجمهور .

من ذلك ما يحكى من أن الناس كانوا يطلبون من المنشد قصيدة

« الفار » فيقولون له :

« أنه تيجي احلو من فمك » فيرد : « اعلى اوجوهكم » ؛ ويقولون انه كان

للغالى الدمناتى قصائد في « الكلب » وكان الناس يطلبون الاستماع اليها

بمحضره بمثل قولهم « قولوا لنا الكلب دا الغالى » وكأنهم يشتمونه ، فتضايق

من ذلك وأحرق كل إنتاجه في الموضوع ، وحرم على حفاظ شعره أن ينشده .

(I) مدينة السلوان يقصد بها مدينة سلا .

ومن القصائد الباقية قصيدة «الزهو فى طبلا حسن» ، وهى تنسب  
للسلطان سىدى محمد بن عبد الرحمان ، وفيها يرى أن الزهو فى مائدة  
أكل جميلة وصينية شامى عليها برادان ، وكؤوس ملونة :

الزهو فى طبلا حسن

لبرارد زوج وكيسان

لونهم يهوانى

احكيتهم حرجت بلعمان

مهتل فوصاف الكيسان

عين علجا والخابورى (I) امع لخضر يهوانى

شمس لعشى يسحر لدهان

وفيهما يقول مستعرضا اوانى الشامى وملحقاتها من صينية وبرارىند  
وكؤوس وزنابيل (2) وبقاريح (3) وبابور (4) وقوالب سكر ومرشات «5»  
ومبخرة «6» :

ولبرارد نحكى شابات يافهيم اوزانى

امحزمين بهمام السلطان

ولبقارج مثل الفرسان

راكمين اسروتا وامحزمين المدانى

...

در بابور اصغر فلوان

شعل نار على كلب ابلمجبا فانى

- 
- (I) العلجا هو الازرق السماوى والخابورى هو الاصفر .  
(2) هى فى الغالب اوانى ثلاثة احداها محبوب الشامى والثانية لقطع لسكر  
والثالثة للنعناع .  
(3) بالباء أو الميم ج بقرج بفتح حرف الراء - ومد نطقه فى البوادرى -  
وهى آنية غلى الماء ، وتعرف فى المشرق كذلك بهذا الاسم .  
(4) جهاز غلى الماء ويطلق عليه فى المشرق السامور .  
(5) مرشات تملأ بماء الورد والزهرة للتطيب وهى فى الغالب من الفضة .  
(6) مبخرة احراق العود .



عشق الطبل والكيسان

ولقالب مثل الشبان

...

والزنبيل مثل البيران

ولمراشى نحكى غزلان

بارزين اقطبلا والعود افلمبخرافاني

عبق اتسم بالدخان

ويقول عن الحلويات والمأكولات ذاكرة البسطيلة (1) وكعب الغزال (2)

والغريبة والمحمرات والمحشوات والمقليات والمشرملات (3) ، من ضلعة (4)

ومروزية (5) وشواء وطواجين وكسكوس بالفراخ والحمص والبصل :

در بسطيلا فالغطران (6)

واطباصل (7) من كعب اغزال من شغل مخزاني (8)

واغريبا من شغل اليمان (9)

(1) ورقات رقيقة من العجين محشوة باللوز المطحون أو قطع الفراخ والبيض، تطلق وتجمع على شكل دائري .

(2) قطع من الحلوى محشوة باللوز على شكل الهلال .

(3) نوع من طبخ اللحوم يشترط فيه قبل طبخها أن تشرب بالتوابل وخاصة الفلفل الأحمر .

(4) لحم محمر في السمن والغالب أن يكون قطعة واحدة ومن لحم الصدر، ومن هنا كانت التسمية .

(5) ويطلق عليها «المعسل» وهي نوع من اللحم المعسل يوضع عليه اللوز والزبيب .

(6) ، (7) هي الصحون .

(8) نسبة الى المخزن أي الحكومة والسلطان ، وهو وصف يقصد به الشيء المتقن الرفيع سواء في مأكلا أو ملبس أو غيره .

(9) تبدو هذه النسبة غريبة ولعله قصد أن أشكال هذا اللون من الحلوى في اختلافها ودقتها شبيهة بأشكال الوشي أو الرقم اليماني المعروف

امحمرات اثلاثا فبيان

امحمرات اثلاثا ومقليات اثلاثا ثانی

امحمرات ادجاجات اسمان

حمر الضلعا فالفران

لمرزيا لمقليا ياكل الشبعاني

واشبو امن لحم الخرقان

والطواجن مثل الوصفان

ولفرارج مثل الصبيان

فوك لكسكسو بالحمص والبصل روياني

والسمن مدوب تزمان

ومنها كذلك قصيدة «الزردة» للحاج محمد بن عمر المراكشي ، ويرى في حربتها أن المضغ فن وفراسة وأن الذي لا أضرار له يظل يلوك الاكل في فمه قبل أن يبتلعه :

ولمضغ افراسا من لا ايليه ضرسات ❦ كيلوج فمضيفو عاد تيسرطو  
وعنده في دخولها أن الصديق الذي لا ينفعه بخبزتين لا يعول على  
طجينه ومقره ، ويكتفى بشد حزامه ، مقنعا بطئه بالشبع من طعام لم  
يطبخه بنفسه ، ناسيا اياه ليعود الى قوته الذي اعتاد ، ولكنه وجده غير  
ذي طعم ولم يسغه فلفظه .

ولحبيب الا ينفعني ابزوح خبزات ❦ مانعول عن طجينو اولا مرقطو  
انشد كرشى وانقنعها انقول شبعات ❦ امن الطعام ملاطيطو اولا نصبتو  
انظن كرشى عمرات اولا عتيق حدجات

وانسى من بالى قوتو اولا قبلتو  
كان لي قوتي وابداني به نسقات ❦ ما نسيبتو به امبالى اولا تركتو  
امين دقتوصبتو مافيه شى النسقات ❦ ملفاه ارميتو من بعد ما مضغتو  
وفي عروبي من القصيدة يتحدث عن الوائم التي يذهب اليها في  
غاية الزينة حيث يجد كل ما يشتهي من موائد رصت فوقها الطواجين  
وأصناف الاكل المشبع الشافى للأمراض :

كم من زردا امشيت فيها ليس اجلست  
والقيت اللي ابغيت فيها عل لنعمات  
وادخلت الدارها امقيب وزينت  
قربت لصحونها اللي قبلت  
واطواجنها امعمر جات وحضرت  
فوق اميادي امبرجا زهوا للهدات  
وما وجدت امن اطعام اصناف اعملت  
يشفى ضر لبدان من هي زردات  
واليوم ابطون منها شبعنا واروات  
وهي قصيدة تبدو مستوحاة ومقتبسة من قصيدة فى «الوصاية»  
للعلمي يقول فى حربتها :  
اللعب من غير اشطارا فوق روس حربات  
هكذا مثلث ابندام فى اعشرتو

وفى اولها يقول :  
حبيب الا ينفعنى افيوم حرات \* ما نحمل عن قلبى غل امن اكلفتو  
ننساء ونترك حسو انحسبو مات \* وانعود ياراسى زليت امن اعشرتو  
ولعله واضح أن «زردة» ابن عمر ليست غير قلب لموضوع «وصاية»  
العلمي . على أن قلب القصائد ومسناها يشكل نوعا خاصا من الشعبي الحكامى  
يمرغ فيه أشياخ مراكش ولاسيما الشيخ أحمر الراس ، وهو أن يأخذ  
قصائد جدية فيمسحها ويقلبها الى موضوع هزل ، ومن الامثلة على ذلك قوله فى  
الابيات التى أصلها (I) :

اللازهور ازهر واظهارو \* بك الزهر الا ازهر  
صولى صولى يا غزالى زهرا  
فهو قلبها الى ماياتى :  
سكران ريت يامس يلفظ بشعارو \* اسكر وطاخ فى دولت لىكار  
ماشاق حتى اتكون العشرا

---

(I) من قصيدة : «زهرا» للتهامى المدغرى .

ومن ذلك أنه أخذ «حراز البغدادى» :

مال حراز الدامى ما يتق بياهيها \* غير حاضى لوقسات  
بالدوام امجنبنى اولاً يرومنى قطعياً

فقلبه الى الخراز :

مال خراز البالى ما يتم الكلبات \* شابات وعزبات  
كل من جات يبطش بهـا \* ويقضى لها اربح وخطيـا  
وفيه يقول مستنكرا حال الزمان وما تقضى فيه من انحلال خلقى :

اوصل الزمان فاش ابغوا اميا ملعرج قتالا

ويلا اعيوا ايولوا ايقرجطو (I) ابلا جنوى

ولكن هذا النوع ضاع كذلك بسبب ما كان يشيع فيه من فحش وعبارات  
نابية ، بعد أن ظل تداوله محصوراً فى نطاق خاص .

---

(I) ايقرجط أى يخنق . وهو هنا يشير الى واقعة كانت حدثت بمدينة  
مراكش ، مجملها أن خرازاً يسمى الحاج الاعرج كان ورعاً متديناً ولكنه كان  
يتصيد النساء الباغيات ويحتال عليهن حتى يأخذهن الى دكانه ، وكانت له  
فيه مضمورة ، فيذبحن ويلقى فيها بمونهن . ولم يكن أحد يعرف كيف  
يختفى هؤلاء النساء الى أن وقع ذات مرة أن طمر احداهن وأخذ قفطانها  
وباعه فى السوق ، ولم يكن هذا القفطان ملك القتيلة وانما كانت قد استعارته  
من احدى صواحبها ، وحين اختفت المرأة وانتظرت صاحبها القفطان فلم  
يصل ، أخذت تبحث وتساءل ، وصدفة وجدت فى السوق فتمسكت به ،  
وانتهى البحث والتحقيق الى أن الذى باعه هو الحاج الاعرج فحكم عليه بعد  
أن اعترف بجرائمه ، وطوف فى المدينة قبل أن ينفذ فيه الاعدام ، وكان  
يصيح أثناء تطويفه بأن الفساد كثير ، وأنه لم يكن يسعى لغير الإصلاح ،  
وكان يقول بأنه لو أطلق سراحه لبضعة أيام لما بقيت باغيه واحدة فى مراكش

## الزهد والحكمة

يتمثل جانب التجرد عند الرجال المغربي في شعري الزهد والحكمة ، يقصد منهما الى الكشف عما ينفع في نفسه من بزم وضيق بحال الدنيا وسلوك الناس ، والى وعظهم وارشادهم عما هم يحسنون هذا السلوك ، وقصائده في ذلك تعرف به «الوصاية» و «التوبة» و «القلب» و «الطبايع» و «الموعظة» و «النفسية» وما اليها مما يوحى بروح التأمل والتنبيه . ولا تكاد نجد قصيدة لا يملأها الوعظ المباشر المقصود بعيدا عن حديث الشاعر عن نفسه وتأمله لحياته في حسرة على ما فات منها ومحاولة استخلاص العبرة له وللآخرين ، وكأنه نظر الى المجتمع فوجد الاوبئة تنتشر من مجنون وانحلال ، والى الناس فألقاهم منشغلين بمفاتن الدنيا عن الدين ، فتحركت عاطفته الاسلامية واحساسه بمسؤوليته الاجتماعية ، فتصدى يعبر عما ينفع في نفسه وما يراه السبيل الى الاصلاح . وعلى الرغم من أن الوعظ غدا غرضا مستقلا قائم الذات ، فانه لم يتج الفرصة للشاعر أن يطيل النظر ويتعمق ويحلل في جدل فلسفي او اقناع منطقي ، وظل مجرد حكم وعظات تتسم بالبساطة والسذاجة ، وان لم تخل من بعض التعليل وخاصة في ذم الدنيا والتزهيد في الحياة والنظر الى الموت ، ولكنه تعليل مصدره العقيدة في صورها البسيطة . وكان يمكن أن ينطلق الشاعر الشعبي في ذم الدنيا من تجربة صوفية تجعله يخلق بروحه في أجواء العشق النبوي — ولانقول العشق الالهي فهو لا يكاد يوجد كما سنرى (I) — لا يرجو غير الاتصال بحضرته عليه السلام ومشاهدة نوره لينعم بمتعة حبه الروحي بعيدا عن متع الدنيا وملذاتها ونزوات الجسم وأهوائه طالما أنهما ثنائيان ، ولكنه لم يفعل حتى في أضيق حدود هذا النطاق ليتأمل الكون ويدرك كنه أسرارها وما وراء حجبها أو لينظر اليه ولو مشدودا الى اطار الطبيعة لا يتعداه ، واكتفى في ذم الدنيا بنبيذها والتزهيد في

(I) في آخر الفصل الرابع من باب «الموضوعات»

متاعها مادامت دار فناء زائلة ، ومادام الانسان مجرد غابر لها الى الدار الآخرة . وانطلاقا من هذه الفكرة المتأثرة بالدين ، رسم الشاعر الشعبي للحياة الدنيا صورة بشعة منفرة خسيصة لا يغتر بها الا مغفل مجنون لا يعتبر من الماضين ، وهى صورة نجدها فى القصائد «الجفريات» (I) التى يستوحى فيها الشاعر واقع الحياة والناس ليتنبأ بما سيقع من أحداث ؛ ونجدها كذلك فى القصائد التى صورت الوقائع ، وهى قصائد يغلب عليها الاستسلام لقضاء الله وقدره .

أما الموت فنظر اليه الشاعر الشعبى نتيجة حتمية للانسان والحياة، لاقدرة على تجنبه والفرار منه ، وسبيلا للخلاص من متاعب الدنيا ، ووسيلة الانتقال الى العالم الآخر حيث نعيم الجنة الدائم والسعادة الحق، واعتبره مقياس التسوية بين البشر . جديرا بالتأمل وان لم يكن بالشئ الغريب ، فقد طالت ألفسة الانسان له وهو ينظر فى التاريخ فيرى فناء الدول وموت الانبياء والعظماء، بل يرى الناس حوله يموتون وكذلك الطبيعة ، حقا انه يأتى بغتة ، ولكنه على ذلك سهل كالنوم .

وقد ظلت فكرة الموت ودم الدنيا سطحية عند الشاعر الشعبى لم يتعمقها ولم يفلسفها ولم يتأمل جزئياتها ودقائقها ليكشف عما يعتمل فى نفسه وكل انسان ، وعما يتطلع اليه دون أن يعرف كيف يصل اليه أو يدركه أو يعبر عنه .

يقول المغراوي فى تنبيه الانسان الى أن الدنيا فانية وإن الدوام لله وحده ، ودعوته الى أخذ العبرة من الفناء مادامت الصحة لاتدوم والشباب يخون :

مادام الملك غير للدايم لمعين ❖ وماسواه اقلورا كلو فانى  
خالق لشيآت كلها رب الكونين ❖ نفنا واكداك بامرو نعم الغانى  
الصحا ماتدوم والصغر تخوين ❖ اسمع منى الصبح وافقه تبيانى  
عبر من ذاتك فالزمان ❖ واش لــــــبدان

(I) نسبة الى الجفر وهو جلد ماعز كان يستعمل فى الكتابة ويزعم الروافض أن جعفرا الصادق كتب لهم فيه ما سيكون من حوادث الى يوم القيامة .

ما زالت      فالديسان      \*      كيف كانت اكبيل  
واعلم      بان الرحمان      \*      رب جمع لكوان  
غانى      مغنى منان      \*      ليس ليلو امثيل  
واعلم بان البقا المن يحيى لعظام      \*      من له الملك حق دايم بدوام

ويحاول أن يبينه العبرة من الغابرين على هذا النحو :

وين نوح فسلام

وين لفضيل سام

وين يدفت أحام

...

وين أيوب افلر صام

...

وين صالح وحام

...

وين داود لهمام

...

وين ابراهيم وين اسماعيل نجاد      \*      وين يسحاق وين يعقوب اولادو

وينو الياس وين دانيال اهل الجد      \*      وين ذا النون اسرور قلبو واعبادو

وين ادريس زال به اغيار النكد      \*      أذ القرنين من ابلغ فى تجهادو

وين موسى المعهود

...

وين شعيب أهود

...

وين النمرود أصولتو

...

وين جالوت ادنيتو

...

وين فرعون الامتو

...

وهو يرى ان الدنيا ليست غير دار مزاح وشقاء وبكاء، من تبعها ذهل عقله

وغدا نهي تعب دائم :

الدنيا ما تصلح غير دار لمزاج

. . . .

دار التعب الكلاج

. . . .

ولبكا والتواح

واتبعها عقلو جاح

عمرو ما يريح

مثل الدنيا عنده كمثل نزل يحط به المسافر أو قنطرة تعب نهرها في  
سوق تعمم بأموال التجار ، فواحد يربح وآخر يخسر ، من ضحكته له بشعرها  
لا يلبث أن يبكي شاكيا من الفقر والغدر :

الدنيا كيف شئ انزلا بين امصار ٭ والاقنطرا اتدوز عن شئ نهر  
والاسوق عامر ابدال التجار ٭ واحد في اسلعتو اربح والثاني اخسر  
لاتمن ضحكها ايلا ضحكته بشعار ٭ من ضحكته لو ابكنا من اشكاها بلغفر  
غدارا ما تدوم منى خذ لخبر

وهي عنده حسناء فاتنة ، يحبها كل من يراها وتحلو في قلبه ، ولكن الذي  
يفوز بها ويدوق عسلها لا يلبث أن يسقي منها المر :

هذا الدنيا احكيها الا طفلا ٭ حاطت بيها اشمائل الزين المكمول  
من راها دون ريب في قلبو تحلا ٭ مهما يطمع في ازمان كل اوصول  
من واغاتو اودار منها شئ خصلا ٭ بعدن يسطب اعسلها تسقيه ادقول  
وعنده أن الدنيا لا يامنها الا مجنون أغوته بالكذب ، وان شرابها الحلو  
يعود مرارة وغصة ، وأنها سرعان ما تسترد ما تمنح :

الدنيا ما تدوم يا صاحي هيها ٭ من يامنها اهبيل اسلبتو بعد اعطاتو  
لو تسقيه لمصال ترجع بالغصات ٭ أما من امر سلبتو بعد اعطاتو  
والدنيا عند النجار دار شقاء ونكد وغرور :

دار الشقا ودار النكد ودار لغرور

أويح امن اغواتو امسال ٭ عقلو امع الطمع والمسال  
ولا اتفيد فيه اعمسال ٭ الزاهدين دركوا فيها نهج لفلاح



بلسان الذكر والصوم \* واصلات النبی المعصوم  
وعند ابن علی فی «الوصایة» ان الفجار یرونها جنة وأن الصوفیة یرونها  
جحیم المومنین ، فما أسعد من تركها وتخلی عنها :

جنا کلل فاجر واجحیم المومنین شافتها الصوفیا  
یأسعدت من سلم فی اهواها وخلاء

وعند ابن سلیمان فی «التوبة» أن البقاء فیها لله :  
ما فیها من یبقى \* غیر نعم الباقی  
یا غفیل مالک شاقی \* لیس تاتزید احماقی  
وعند العباس الحرار فی «وصایته» انها دار الغرور ملیئة بالآفات، سلوانها  
أحزان وسرورها غصات وضحکها بکاء وصدقها کذب :  
امن اکثر دار لغرور بالآفات \* ترکوا الفانیاً منها لغدر مودوت  
سلوانها احزان واسرورها غصات \* اضحکها ابکاواصدقها افشروابھوت  
سبحان امن اخلقنا واءهرنا بالموت

ومثل هذا یقول علال العلوی فی «الراس» :

...

عمرها ما عطات العاهد الحد اولا خشمات عار

دلیت لغرور ولقرار

...

یاماضحکت عن ابنادم

...

وبعدھا التغبرر

...

ایلا تضحک غیر مررا نکد مررات ابنگدار

...

وتقول أوام کیف صار

...

ما ظنی فی ازمان یقدر من شاقو عاد ناکرو

ومادامت الدنيا كذلك ومادام الفناء محتوما فلا داعی للتفكير فی الموت

فهو سهل كالفرم ، ذلك ما یراه ابن حماد ویدعو نفسه الیه :

أُرأسى يأمسوم كيف ايجيك النوم ❖ من هم الموت ما تخم يالعمما  
ما تعرف كان ترحل الليلا واليوم ❖ تحمل واتشوف للطريق اتعاما  
أما ابن سليمان فلا يريد فى «الطبيب» أن يموت ، ونحس عنده رهبة  
من الموت لانكاد تجدها عند غيره لعل مردها الى شبابه (I) :

الطبيب يعرف دايا والدوا سومو غالى

عالجونى ياناسى لا نموت موت الغفلا

وكما أحس الشعراء الشعبي الضيق بالدنيا فكذلك أحسه بالناس ،  
وهكذا يرى العلمى فى روح من التشاؤم ، أن كل أبناء جيله مطبوعون  
بطابع واحد ، فشاغبيهم النفاق والتحايل والمصانعة والخداع ، وهى كلها  
علامات الخراب :

هاذوا شروط اعلامات التخراب

عاد النفاق امودا بين الناس الكبرا

بالحيلة ولمصانعا ولخدع عادت اخلاق اطبايعهم مقلوبا

مذهبهم ندرية خممت اولاد جيلنا شاع بعضا وحدا مضروبا

شاع الرياء ولم يعد وجود للاحسان والصدق والحياء والعرض

والحسب :

شاع الريا والاحسان اغبر والصدق غاب

وارتفع الحياء والعرض والحسب

وغدت الصعوبة وسيلة للاغراض ، فالذى يخالط أحدا يريد أن

يشمت فيه ، يغدر به بمجرد أن تتاح له الفرصة :

ولات عند ناس اليوم الصعيا اسباب

الى اتخالطو يبغي يشمت فيك

غير تركن لو يغدر فيك

مايخليك داير كابوس لغدر فيك يتسناك

ومن أجل هذا فهو يدعو الى معاملة الناس بالمثل :

من لا يخدع ويلطف ويصانع ويدارى لعدا ويرشى لخوان

ما يوجد حتى رايك فالرخفا والشدا ابخاوتو يستعسان

(I) أصيب ابن سليمان بداء القلب ومات وهو دون الثلاثين .

والغنى عندهم عزيز في كل مكان ، لو ظلم وقف الناس يحمونه  
ويخوضون في سبيله الحروب ، يتزاحمون لتقبيل يده ، ولكن ليس حبا فيه  
وانما في أمواله ، واذا ما افتقر انفض عنه الناس حتى الاقرباء منهم إليه :

مول الدنيا عزيز اقلقرا ولبدون \* وامنل ذاك ايرفعوا بجانبو اهل البيد  
لو يظلم يوجد من يكون فحمامعون \* وعليه القوم ايصارعوا الحرب الشديده  
ما بهم فيه امحبتهو احسن الظنون \* واين كان يتزاحموا اعلى بوس اليد  
ويلا افتقر واحماق به فقر ايهون \* واقريب فالنسبا ايعود منو ابعيد  
فالغنى تخضع له الهامات وتعتبر سياته حسنة ، أما الفقير فيبغضه  
الناس بلا سياة ، سواء عندهم موته وحياته ، اذا سكنت قلوبنا عنه  
انه ختال واذا نطق استعاذوا من صوته :

مول الدنيا يخضعوا له الهامات

سياته عند هل الخدع حسنة

وقليل المال ابغضوه ابلا سياة \* استعوا عيشوا اسروا موثو  
ايلايسكت يصير ختال وبهات \* ويلا يلوى القوم تسعاض من صو و  
وفي نفس الروح وميل الى القوة يرى العلمى في قصيدته في «المسولى  
«بد الرحمان» أن الاعمى لا يبصر جمال الضوء ، وان الاصم لا يصفى لرائع  
لايكار ، وأن الحق ليس له صديق يذكر في هذا الزمان ، غير السيف وصلت  
في وجه الطغاة والبغاة الجائرين :

ما يميز حسن الضو النواجل العور

ولا ايهز الصمك طيب الغا افكـارو

الحق ماله صديق افدا الزمان يذكر

دون صدر السيف ابلاشتت اضمائر

من اطنى وابغى واتتوى وخالف اوجار

ابراهن الهند ابخسران لعدا اتبادر

وهو يرى ان قلب الجاهل البليد لاينبهه غير الحسام ، أما غير ذلك

فستحيل كما يستحيل أن يسك الذهب من القصدير ، أو يزول طعم المرارة

من الحنظل او يغزل خيط الحرير من الدوم ، أو يحارب بشوكة السمسم — — — ،  
أو أن يعصر الزيت من الرمل ، أو يتخذ العسل من اعشاش الزنابير :

ما يلين اقلوب الطامس تذكير

لحسام ايودب ويعلم التماسا

ما ينفزع سك لبريز من القزدير

اولا تزول من الحنظل طيبب لمرورا

اولا ينغزل من عرق الدوم خيط لحرير

اولا تكون الحرب من شوكت السمسم

كان محال امن الرملا الزيت يعصار

اولا تكون لعسل امن اعشاش الزنابير

وعنده أنه يستحق المكروه كل من لم يؤد زكاته وبغى بالفساد ، وان

الصبيان يذهبون ضحية الكبار والنساء ضحية الرجال :

يستهل من لايسخا بزكا ولعشار

واستهل من يبغ لفساد واضرورا

راح ذنب الصبيان اعلى اوقاب لكبار

وراح ذنب النسمان افدمت الذكورورا

والسبب أن الدنيا بهرت الناس وأعمتهم عن الحق والصواب ، وأنهما

بدأت تغرى حتى ذوى البصيرة :

بهجت الدنيا تركت كل واحد مسحور

عاد حسن ابهاها يسبى هل لبصيرا

ويرى أنه لا لذة في حلاوة تخالطها المرارة ، ولافضل في مدح يعقبه

الندم :

لاصلح فاللذا بعدن احلات تحرارا

ولا افضل فالمدح المعكوب ابلمعاير

وعنده في «المدار» — وقد بدا عليه الاعتدال في الرأي — أن الحياة لا تخلو

من الحلاوة والمرارة :

يوم الشاوق اويوم اخلو اويوم زقوم ❖ اويوم مستعدل بين الطيب والزهامة  
وبمثل هذا المنطق يعبر في «طامو» :

معلوم كيف مادامت رخفا ماتدوم شدا

هذا مواجب احكام اصروف الدهر

يوم احلا من طعم التمر

ويوم كمثل الخنظل مر

ويصل هذا الاعتدال عند غير العلمى الى حد الدعوة لعدم التأفف من

الزمان فالخير والشر دائما موجودان ، وليس من داع للبكاء طالما ان كتاب

الله محفوظ في الصدور ، وطالما أن رحمة الله تمحو أوزار المذنبين :

يقول الشاد :

لا تقولو شى يا حسرا اعلى الزمان ❖ الخير والشر افكل ازمان كايينين

ما حد اكتاب الله فالصدور ❖ لاه نكيوا اعلاه

ما قاطعين باس من رحمت الله ❖ واحبيننا الشافع رسول الله

فاش جا ذنب المخلوقيين ❖ عند واسع المغفران

وبهذه النزعة يدعو الى ضرورة المعاشمة والمعاشرة ، مادام الناس اخوة

يعيش بعضهم لبعض ، ويخدم بعضهم بعضا حتى يكتووا كالبنيان المرصوص :

خوك عبدك وانت ذيما لخرك مملوك ❖ لاتأديه الله يهديك ما يؤديك

لك عايش وانتيا له كعيش ❖ لاتكونوشى طوبافشى ابني اهشيش

عيشوا بالله والنبي ولقرآن امع لحديث

ونعيم السعى الى غير ذلك وقد جعل الله الناس طباعا مختلفة كما يقول

محمد بن السدوسي :

سبحان الله للطبايع دالناس ❖ ما بقى من لاهاج اغرامو

والناس احوال كل واحد فى حالت حالو

وشبيه بتشماؤم العلمى تشماؤم النجار الذى مل الحياة ومجنها ولم يعسا

يرجو غير الموت فهو طوال حياته يعانى من الحزن :

مل قلبى من دنيا كلها امحان ❖ اولا بقى يترجى الايموت هانسى

امن اصبايا لشبابي واسقى لحزن .. ومن اشبابي لازلت اليمنى اعانى  
وهو قد خبر الناس فلم يجد فيهم غير الذئاب والشعالب الخبيسة  
متنكرة لى صورة خرفان واحمال ، كل منهم يكيد للاخر ، يبعدهم عن الادمية  
بعد ما بين السماء والارض :

غير الذيب الخاه وتعالب الخسمان .. فى ابطاين لغنم هذا الذاك جانى  
بين لادمى واقولم هذا الزمان .. قد ما بين الارض امع اسمها الغانى  
ويحس الغربة فى مثل هذا الجو ويتسماءل هل هو من هؤلاء الاقوام  
أم أن وقته فات أو لم يحن بعد :

واش انا من هذا القوم بالعرفان .. اوباقى وقتى ولا امضى ازمانى  
وقريب من هذا الروح التشاؤمى نجد عند تلال العلوى فى قصيدة  
«المجد» حيث يرى أن «المجد» - ولعله يقصد به الخير - لا وجود له ولا أثر ،  
سأل عنه فى السهول والجبال ف قيل له غاب اسمه وخياله ، وسأل عنه  
العلماء والعارفين فى كل الملل فأكدوا له غيبته وأنهاهم يبحثون كذلك عنه ،  
وسأل عنه الذين فتمشوا عنه فى كل مكان وقصدوا من أجله الاولياء فقالوا  
انه غاب حين صادف العراقلى ، وسأل عنه رجال الفن والذوق ، فأجابوه بأنه  
غاب حين كثر الكذب والبهتان ، وسأل عنه التجار وأصحاب الاموال فقالوا له  
لقد ذهب بعد أن فشا البخل ، وسأل عنه أرباب الصناعات فى مدينة فاس  
القديمة فأكدوا له أنه لن يعثر له على أثر :

اسألت اعلى الشريف لاسم ما بين او طام مع لجبالى  
قالوا لى غاب له الاسم وكذلك اخيالى

واسألت اعليه ناس لى واهل التنبه افلمالى  
قالوا لى غاب حقا وكذلك اعليه انمالو

واسألت اعليه امن اتجول واقصد اعليه كل والى  
قالوا لى غاب بعد وصلو صادف عرفالى

واسألت اعليه امن اتفنتوا والى بدعو الفن دالى  
قالوا لى غاب حين كثر البهوت بسجالى

واسألت عليه أفلحتاجر والنهابا وهل المالى

قالوا لى غاب لاتسول لردال ابخالو

واسألت عليه فالصنائع وابحثت افاستنا البالى

قالوا لى غاب ليس توجد منهم قلالو

ومن خلال هذه النظرة للحياة والناس يحاول المشاعر الشعبي أن

يكون إيجابيا شيقا بعض النصائح التى يمكن أن تجنب الوقوع فى مخالف

الدنيا ومهاوى الزلات .. من هذه النصائح عدم مطاوعة النفس والهوى

والشيطان نهم أعداء ، يقول ابن على فى «الوصاية» :

والنفس والهوى والشيطان أعداء لاتطاعهم قطعا

واش من عاقل يامن يافهم فعده

ويقول الشماوى :

لعن الشيطان \* بالغافل كما لعنوا الله مولانا \* مهما يدور بك اخزه ولعنه

ويقول عبد الوارث فى «الفياشية» :

خالف نفسك واقطع \* كل علاقا عنك

واشبهوا (I) لاتتبع \* واسقطنا من ذهنك

واعروق اهواك قلب \* عافت نفسك منك

ومنها لتكشف فى اللباس وعدم الزهو به ، يقول ابن احساين ينهى

عن لبس الحرير وما يبهى الابصار اسوة بالرسول الذى نزع «الفروج»

لا تملك افروج امن احريز وتبهى لعيان \* واعظم بين ايمان الانبيا نعم العدنانى

نزعوا نزع البغض بعد جاه اهديا فالحين

ويقول كذلك :

لاتتبختر فكساك واتفايش واتانى

ولكنه لا يريد أن يتمسك ويكون ذليلا ، فالمسكنة والذلة لليهود فى

كل وقت وحين :

لاتتمسكن فالحيات ما فالدين اتمسكين \* والمسكنا لليهود افسايرلزمانى

ومنها الدعوة الى عبادة الله واقامة الصلوات ، فعبد الله بن احساين

(I) أصلها أى شئ تهواه .

ينبه الى وجوب أدائها مع المحافظة على الصلاة الوسطى ، وهى العصر عـلى  
المشهور :

قم الصلا حين وقتها لاتنفس مديان ❖ والعصر عندك ايفوتك وقتوسانى  
حافظ عن جمع الصلا وهاد الوسطى تمكين

ويحث المغراوى على عبادة الله :

اعبد مولاك رب وحدانى ذا العرش ❖ اعبد مولاك لاغنى ذيك يمحيه  
ويرشد الشاوى الى صلاة الفجر وضرورة اغتنامها ، فهى ربح وفوز  
بالغنائم والطاعة :

يالنايم فق امن النوم راقب لفجر الطالع

قم تغنم ربحك واتفوز ابلغنايم والطاعة

ويلج كذلك على الصلوات الاخرى :

ابغيتك اصلات الظهر تلتقاك سابع للجوامع

لا اتفرط فيها واجعل اغناك تقوى واقناعا

ابغيتك اصلات العصر لا تفوتك اوبها دافع

اهويل الفاقا والمغرب صونها دون اضياعا

ولعشا ودهما فى اوقتها بتضارع

والشفع الوتر زد لعضاك راحا وارياعا

ومثل هذا يقوله الحاج ادريس لحنش :

اتلها فالدين كن رجل ثبت اقدامك ❖ صلى بالخشوع امع الناس اوقاتك

وانجد فى بعض نصائح السلوك الصوفية ، كما عند مولاى محمد الزبادى

المنالى ، حثا على المحافظة على الصلوات وملازمة الزاوية وتلاوة الاحزاب

ولازراد :

لوقات احفظها والزوايا اتلازم ❖ ابلحزاب ولوراد امرتين بيمينان

يافقير اصنعتك هى الذكر دايم ❖ والصلا والسلام اعلى النبى العدنان

أو كما عند محمد بن رموية فى داليته اذ يقول :

خذ طريقنا معهودا واشيوخها موجودا

ولسرار منها تبدا للعجب السعود



انجريد عن الحسن وعن الحب للجنس  
واقصد حضرت القدس لبي باسم المقصود  
يا طالب الالهام امن اصدور لعلام  
افنا طول الدوام فى اشرايع اهل الجود  
بالسهر والصيام والعزلا والقيام  
والتصديق ابدا القوم انت بهم اتعود  
وعند المدنى التركمانى أن الزهو فى قراءة الكتب وأداء الصلوات  
والمحافظة على وقت الفجر وفى الصوم والحج والجهاد :  
الزهر افلكتب الوقات ۞ واصلات المختار فى وقتو والصوم  
والحج الجهاد فالنصارى يوم المعلوم  
ومن النصائح الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، يقول ابن احساين  
فى «اللقمانية» يدعو الى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فى شدة لاتلين  
وفى أى مكان وزمان :  
وامر بالمعروف فىن ما كنت لاتليان  
وانهى عل المناكر لقباح افكل ازمانى  
ومنها الحث على التوكل : يقول المغراوى :  
اعمل تكلك فالله ۞ لاتترجى سواه  
ويقول بوخريص فى «المدونة» :  
دير تكلك ياقانط افلغنى السلطان ۞ اتوجدو وقت ما تدعيه سامع احنين  
ويقول ابن على فى «الوصاية» :  
اياك لفلاحا والرزق الضامنو ايجيبو لك اوليا تولو كيف يدبر فديتو ورساء  
ويقول علال العلوى :  
أنا تكلى فالله يوقينى ۞ لقديم الدائم من لاينام ولاتراه اعينان  
جيد الجواد الا ايحافينى ۞ المالك لكريم الغانى من لاتنطرد من بابوسعيان  
وتتضح الدعوة الى التوكل وترك التدبير عند عبد الوارث فى «الفياشية»  
حيث يقول :

نقنط من رزقى لاش \* والخالق يرزقنى  
 أنا مالى فياش \* واش اعليا منى  
 ...  
 منى آش اعليا \* ونا عهد مملوك  
 والأشيا مقضيا \* ما فى التحقيق اشكوك  
 ربي ينظر ليا \* وناظري متسوك  
 ....  
 والارزاق اعلى الله \* ناكل من رزق الله  
 يا قلبى لاتهتم \* واصرف هم الباطن  
 المقدور لو محتهم \* كيف اتري واتعين  
 سلم تسلم واعلم \* أن المقضى كاين  
 ...  
 خذ الرفق ادليك \* واترك عنك التدبير  
 واستقنع بقلبك \* ياتك الله بكثير  
 ذا التعب الكل اعلاش \* وقل الشى يغنى  
 ....  
 قالواى وقتك ضايق \* والنفقا ما تكسب  
 قلت ارزاق الرزاق \* من ذا يقوى يحسب  
 قالوا امئى للاسواق \* واتمول واتسب  
 قلت افراح لعشاش \* خالقهم يرزقنى

ومنها طاعة الله والرسول والوالدين ، يقول الحسن :

بادر بطاعت الله اوقوى زادك

طع الله اوطع النبى واخدم والديك \* تظفر بالنجاح ويتنور خالك

ومنها اختيار الرفيق الذى يطيع الله ، يقول ابن على :

واختر من اترافق شف الى طاع خالقو جعلو ولفيا

اعسى ايجلبك واتولى للوحيد وحده

ويقول غانم القاسى فى «التوبة» يدعو الى العزلة وعدم اتخاذ الرفقاء

اذ لم يعودوا صالحين :

أقربى ما بقى امع من اقصدادق • ويكون اليبب محتفل وعشير صادق  
عش هانى وحدك وكل فاجر انفيه • وكل من حب اولاد اليوم زايد اشتقاء  
عش وحدك خلى لهل البلاء ابلاهم • كان ملتى مل لظه ارفيع لمقام  
كل من دازك دوزو هون به وانكيه • بعد ما يعمر سرقو لاغنا امن اخلاء

ومتها صون اللسان والفرج ، يقول ابن على :

وحضى السانك وفرجك واعرف من انساك ناظر فيك . وويا

ويقول لحنش :

لا نسقم مخلون أدب السانك لا يدك

تعبان . انسان ايلومك فى امهالك

ومنها غص الابصار عن المحرمات كما عند ابن على غى «الوصاية» :

غص لبصر اعلى المحرم وافسوفت المحرم كل اخطيا

اقليل من شاف وضربو الشيطان ولا خطاه

واتسع نطاق التوصية عند الشاعر الشعبى حتى غدا ارشادا الى

ما قد يعود على الانسان بالخير فى دنياه او الى ما يمكن أن يعتبر أدب ~~معاذ~~ ~~معاذ~~

ومعاملة . ونصيحة العلمى أن يتحلى المرء بخمس خصال ويتجنب خمساً

أخرى اذا أراد ان يكون سعيدا ، ان يتحلى بالصمت والعزلة والمسالمة وترك

الملام ولقناعة وأن يتجنب الحسد والكبر والجفاء وضيق الضيق والطمع :

من حفظ خمساً دالحسنات حفظ محكام

اوفيه رسمخوا كرسخ اوشم اخامهاسم

الصمت والعزلا ولهدنا وترك الملام

ولقناعا من كسبهم امن ايمانهم

يعتدل ميمونو والسعد له يستقام

يرتفع بعد الخفض الهممت الضراغم

ومن اترك خمساً دالسيات ترك عزام

من اجملت المحروم الى عليه حازم

لحسد والكبر ولجفا وضيق لشيام

والطمع بيت الدل انصاب لحشاميسم

كل سبيا من ذا السميات ضرر سمام

فاق سم الحيات الرقط السوداء

ومن النصائح التي نكاد نجد لها عند كل الشعراء : صلة الرحم ، يقول  
ابن احساين يوصي بصلة الرحم ولو بعبور البحار والوديان :  
واصل رحمك وبين كان شكك لو ابحور اويدان

ويقول ابن علي :

واصل الرحيم ولا تقطع صلتك اقرب اولا بعديا

وصلو لا تقطعو اولا يصلك اخطاه

ومنها المحافظة على حسن الجوار ، يقول ابن احساين يوصي بالمحافظة على  
مال الجار وعرضه واعانته ، مشيرا الى أن الرسول ظن أنه سيورث من كثرة  
ما أوصى جبريل عنه :

أما وصي اعلى الجار جبريل افكل اوان

حتى ظن الزمزمي عل الجار فمكاني

يورث ورث الدم لون ما أتاه التبيين

مال الجار احضيه كن مالك صونو تنصان

واعلى عرضو كيراقب لجليل الغانسي

واختصار القول كل جار الجيرانو عين

ومنها الصدق والوفاء ، يقول ابن علي :

الصدق ولوفا فالكلمة والعاهد ولقبول من الوهبيا

من اقبل عنو رب الكائنات هنــــــــــــــــاه

ويقول الحاج ادريس لحنش :

شد احزام الصدق ولوفا اعرف مايعنيك

ومنها التخلي عن البخل والاسراف ، يقول ابن احساين :

لا بخل لا سرف كيرضى رب العالمين

ويقول ابن علي :

الرفق اقل معيشا قالوا افضل من التجارا بالف ميا

ومنها تمجيد الكرم ، يقول الشاوي في «الجواد ولبخال» :  
يا مولى عمر نعم لجواد لفضـال      ولبخال اعطهم لخلا اوتـم لخـلا  
ومنها الحث على التواضع ، يقول لحنش :  
لا ترفع هما اعلى لعباد اذا رفعوا بك      بوس لقدم لاتحسب اكبر شأنك  
اياك العجب يخطر لك ببالك  
اذا عظمت نفسك كل لها مالك  
اذكر لها الموت تنهزم الذات وتهنيك  
وابقى اتجول فالى فاتوا قدامك  
ومنها عدم الفخر بالآباء ، يقول بوخريص :  
لأقول أنا بويـا كان سيـد لكران      شف ماتغرس من بعدو انت ابتحسين  
ومنها الحث على الصمت ، يقول العلمى :  
الصمت كيقولو لعرب حكما      مجدوه اشعار القدمـا  
اسكات عام احسن من كلما ابغير ندما  
ويقول لحنش :  
واتعود بالصمت فيه سر اكثر ايقويك  
واتصب غايت الراحا من شيطانك  
ومنها تجنب الغدر والشبهة والتجسس والغيبة والنميمة والمزاح واللهو ،  
يقول ابن على :  
اياك لغدر والشبهـا وامواقف لشيـات الى سويـا  
خوك فالناس الى وتاك كن لوخـا  
نوصيك لاتجس لاتغتـب لاتنـم لاتجهـل ازليا  
واعظ الخلق افوجهو لاتسبو فقفساه  
ويقول الحاج ادريس لحنش :  
واترك قيل اوقال ولمزاح اوشين يلهيك  
خوفى اعليك تمضى فاللهو ازمانك  
لاتدخل ما بين زوج بالشر احرام اعليك  
واتشتت لحياب ابتزويق اكلامك

ومنها فعل الخير دون انتظار الجزاء ، يقول ابن احساين :

اهل الخير اولاتعاينو يرجع لك تانى

ومنها عدم لرد على الشر بالشر ، يقول ابن احساين داعيا الى عدم الرد

على الشرير معللا بأنه يكفيه جزاء أنه خفف معاصي المظلوم :

من غتبك يكفبك فيه خفف عنك عصيان

ومنها الصبر على المحن ، يقول ابن احساين :

اصبر ياراسى اولا تكون عل لحان احزين

ويقول ابن على فى سرابته .

أقلبى كن عن امصابك صبار ٭ الصبر مفتاح الكنوز والخير

ومنها معايرة أهل العلم والدين ، يقول ابن احساين :

واهدي وتهدا وعاشر اهل الدين وليقين

ويقول لحنش

واصحب ناس الدين لاتخالط من لا يوريك

ومنها الرفق بالصبيان والايام وتوقير الشيوخ واغاثة المحتاجين ، يقول

ابن احساين :

وارفق بالصبيان وليتيم رحمو بالى كان

والشايب نوصيك وقرو ولو نصرانى

فت الى استنطت بك كن اشلى الصعب اخوين

وكانت «الجغريات» فرصة أخرى ليهجر الشعاعى الشعبي عن نظائره

المشاهدة للزهاد الذى يراه يتنكر للمستحقين ويصفو للسفلة ، ومن قصائد

يتأمل فيها أحوال المجتمع والناس ويذكر العيوب والمناكر المنتشرة ، «عتمدا

فى الغالب على الرمن والتلميح والاشارة والتشبيه والمقارنة . ومن خلال تأمله

يتنبأ بما ستفضى اليه هذه الاحوال من ظروف ووقائع وأحداث

ويذكر الاشياخ للفقيه العميرى لامية جفرية يحفظون منها قوله :

ذاك الولد المهبول ٭ أصاو من أناضول

الفرخ يشبه اخوالو

وهو قول وجده الناس مطابقا لوضع المولى عبد العزيز (I) بعد أن هزله  
أخوه المولى عبد الحفيظ (2) ، إذ أن أمه تركية ، مع أن الشاعر كان يعيش في  
عهد المولى عبد الرحمان (3) . ومثل هذا قليل عن زازية الموقت التي أولها :

أسايفك البكافر باريك  
استفد أكن عايق واتبع الشرا  
واعتبر ما ذكره فيها عن هزيمة فرنسا تنبؤا بما تعرضت له أئمة  
الحرب العالمية الثانية مع أنه كان كان يعيش في أواخر القرن الماضي . وللموقت  
المرسوم جغريو يستغرب فيه للصيف غدا شتاء والربيع خريف ، وقد تكلسم  
الطمبور - كذاية عن نطق الجداد أو صولة الفارقين - وهذا الناس في ضيق ،  
وانتشر الخلاء والبخل ، وفشت المخدرات ، وكثر التهب والخطب - ولم تعد  
الدرهم غير رغبة في اليد لا قيمة لها ، وانعدمت البركة ، وأجدبت الأرض  
فلا تنتج نبي صيف أو شتاء ، وتمكن الجرح من القلوب ، وهبت ريح الكساد  
عاصفة على لاسواق ؛ وهو زمان ليست للمولى فيه سطوة ، وإنما هو الدهر  
ينصرف في العباد كيف يشاء ، تارة يقبل ويرضى وأخرى يمسخط ويعاف ،  
وليس يو جد وزير يقبل شكوى المظلوم ليبلغها دون خيانة أو مقابل . وليس  
غريبا أن يرى كل هذا بعد أن غدا الدين رخا والإيمان ضعيفا في نفوس  
المغاربة ، وبعد أن علا شأن اليهود (4) وأصبحت لهم سطوة ، وأذلوا المسلمين ،

(1) تولى من سنة 1311 إلى 1325 هـ . (2) تولى من سنة 1325 إلى 1330 هـ .

(3) تولى من سنة 1238 إلى 1276 هـ .

(4) تجدر الإشارة إلى أن موضوع اليهود أثار غير قليل من شعراء  
«الجفريات» لاسميا في هذه الفترة . ولا يبدو ذلك غريبا عندنا في التاريخ  
تفيد أن الجمعية اليهودية في بريطانيا كانت قد أرسلت سنة 1280 هـ  
أحد أعضائها اسمه روشايل تطالب حكومة المغرب بمنح حقوق وامتيازات  
 لليهود ، وأن بريطانيا ساندت هذه المطالبة بواسطة سفيرها في المغرب ونشر  
السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن ظهيرا أعلن فيه رأى الشرع ومسا  
يوجب لليهود من حفظ الذمة وعدم الظلم ، فاتخذ اليهود هذا الظهير ذريعة  
للتجبر والطغيان مما اضطر السلطان إلى نشر ظهير آخر يبين فيه القصد  
من «ظهير الحقوق» ، ذهب فيه إلى أن الإيضاء إنما هو في حق أهل المروءة  
والمساكين منهم المستغلين بما يعينهم وإما صغاليكهم المعروفون بالفجور  
والتطاؤل على الناس والخوض فيما لا يعنى فيعاملون بما يستحقون من الأدب  
(انظر الاستقصاء للناصرى ج 9 ص 113 ط دار الكتاب سنة 1956) ولكن  
اليهود استمروا في سلوكهم محتمين بالدول الأجنبية وسفاراتها وقنصلياتها  
في المغرب .

وغدا المغرب ينتخبط في متاهات العمى والغواية :

سبحان الله صيغنا ولي شتورا \* وارجع فصل الربيع فالبلدان احرى  
ملى فالغرب عندنا طنبور ادوا \* والناس افضى حال ملغلا والصيف  
ثم اتشبا الكيف وكثرت النشوا \* وافشبا فينا النهيب والهيىف ولخطيف  
وادراهمنا اضحات فيدينا رغوا \* لابركا ابقات لاشمتوا لاصيىف  
والحرص اعلى اقلوبنا لنالقسوا \* وادفع ريح لكساد على لسواق اعصيف  
فزمان ما تشوف للولى سطوا \* والدهر بين لعباد كي قبل واييف  
ولا تلقى اوزير كي قبل شكوا \* ويبلغ مايخون ماي رضى تكليف  
قلت اوعدى اضحات فالدين الرخوا \* ولى ليمان عندنا فالغرب اضيف  
ليهود قصدت لعلو دركوا سطرنا \* واقبلنا دلهم عاد الغرب اكيف

وقريب من هذا قصيدة الشيخ محمد بن عمر فى «لهرج ولفتان» ،  
يقول فى حريبتها مؤكدا ان الهرج والفتنة - كما اخبر الرسول عليه  
السلام - مسجلان على هذا الزمان حيث يكثر الجور والفوضى والاحوال :

لهرج ولفتان به اخبر طه ايماننا \* حدثنا عن ازمانا  
ايـجـورـ الزمـانـ \* يقوا هول اتفرتنو  
ونيهما يذهب الى ان الناس فتنوا بالدنيا وشغلوا بهومها ففدوا كالذواب  
لا يحسون محنها ، فقد انقلب الزمان ، ولم تعد للعيش متعة او غناء ، وعمت  
الفوضى ، وكثرت الفتن واتعدمت الاستقامة ، وافتقد العاقل الذى يرشد  
الناس للخير وينبهم للشر :

يا اخ الولهان \* بهوم الدنيا الفاتنا  
من شطنت لنا اقلوبنا \* عشنا كالحيوان  
لا من غاق ابتمحانو  
وانقلب الزمان \* لا لذا فالعيش لا هنا  
والدنيا راها امقدنا \* من كثرت لفتان  
لا من غادى فيمينو  
لا عاقل يقظان \* ينهنا عن سو افعاننا  
وينبهنا ويفيدنا \* ولفساد ايمان  
واعوان الوقت اتعينو



والسعيدى لعمري وعلى قصيدة يتقن فيها باحث لال فرنسا للهفريب،  
وفيها يصف حال الزمان كما أخبر به الاجفار ، فقد كتبت في الواحها أنه  
في السنة الحادية عشرة ستكثر عيون المياه ويتفرعن الضفادع في الوديان.  
وتتقوى الذئب ، وتضعف السباع ، وتصول البومة على النسور ، وتنزل  
مكانة ذوى الهمة والشمان ، وتعلو مكانة السفلة ، ويصبح الفجار فى قرار  
مكين ، ويغدو الوجهاء والشرفاء كالحيوان ، ويظهر القول الحق تخبر به  
الاجفار معلنا دخول الفرنسيين : ( ل ف ر ن ص س )

بعد الصلا على الرسول انوضح ببيان  
شرط الساعا نوصف حال الزمان  
بها لاجفار خبروا باقى السنين

نظروا فالواح باحوا بالكتمان  
فى عام احداث غمخوض العيين  
ويتفرعن اجران فى اجمع الويدان  
اتقوى الذياب والسبع ارجع مسكين

حتى موكا اتصول على اجمع البيزان  
واعل الرفعا تخمد ويعلو من شين  
ناس الرفعا تعود خافضا بعد الشان  
تضحى قوم لفجور فى اقرار التكيين

واهل الجاه يضحوا مثل الحيوان  
يا اسفا الحق يبقى باين ايوان  
خبروا به لافار لام وفا ووا ونون وصاد وسين

وعو يعرى - من خلال الجفر بالطبع - انه فى السنة الثامنة والعشرين  
ستخرج الجيوش ، وتكثر الاهوال والمحن والفتن ، ويضميق العيش على  
الفقراء والمساكين ، ويتولى الحكم قوم طغاة ، وتقسو القلوب بعد الدين ،  
ويبسم الحظ للاغنياء ، ويكثر البنيان ؛ ويعرى أنه ستشدد الازمة فى العام  
الرابع والثلاثين ، وتدمع العيون فى السنة السادسة والخسين حيث  
سيموت الناس خلال شهرى شعبان ورمضان ، ولكن لن تلبث البشرى أن

تظهر في العام التاسع والستين لتهب ريح النصر على العام الرابع والسبعين :  
تخرج لحررك (I) في عام اثني عشر وعشرين

تكثر لهوال ولمحان امع لفشيان  
ويضيق العيش على لفقير المسكين \* ويتولوا الحكم القوم الطغيان  
ترجع لقلوب قاصدا من بعد اللين \* ايخرجوا هل المال ويكثر البنيان  
وما يقع عام اربعا وثلاثين \* بعد شد اتدوز واتعم البلدان  
تدمع العين عام ست او خمسين \* واتموت الناس بين شعبان ورمضان  
يظهر بشار عام تسعا وستين \* فيه لبشر ايبان ما بقى تمحان  
ريح النصر في عام اربعا وسبعين (2) \* خبير الاجفار فيه يرتاد الولهان  
ومن «الجفریات» قصيدة «لطف الله الخافى» للحاج أحمد الغرابي

وفيهما يعزو الى ضعف الايمان فساد الزمان وتولى الطغاة بالقهر والجور :

لولا ضعف الايمان \* ما يضعاف ازمان  
ويولوا الطغيان \* بالقهر جايرين  
لقد شاعت المحرمات وكثرت المعاصي وغفلت القلوب عن الموت ، فكان  
طبعيا أن تظهر العلامات دون خفاء ، فتطغى الظلمات ويفشو المكر والكذب ،  
وتغير الحياة قوما يطغى عليهم حب الشهوات ، يأكلون السمحت ويفسدون  
صناعيا :

بحنا بالمحرمات \* والمعاصي اقوات  
واقلوب الناس اضحان \* غافلا عل الموت  
العلامات انبات \* للسور ماخفات  
واقوات الظلمات \* والمكر البهوت  
قومان صمت واعمال \* غرتهم الحيات  
تبعوا حب الشهوات \* وقت سحت اسحوت

(I) لحررك ج حركة وهي الغزوة وخروج الجيش للحرب .

(2) تجدر الاشارة الى ان تاريخ نظم القصيدة كما باخرها هوالف ومائتان  
وأربعة وسبعون : «تاريخ عد شر بالفاهم» قالعين بسبعين والبدال  
بأربعة والستين بالف والراء بمائتين .

فلم يعد شيء يحب في هذه الدنيا وقد عم النفاق فلا عهد ولا ميثاق  
ولا صديق ، صعب الوقت وضاق وكسدت الاسواق ، فلا بركة في الارزاق ،  
وكيف والناس حادوا عن الطريق ، فأصبح الدين غريبا وكذلك أهله ،  
وانعدم المرقى بالضعفاء والاخوة والجيران ، وتنكر الدم لفصيلته :

ما باقى ما يعشاق \* فى ازمان النفاق  
لا عهد لا ميثاق \* اتوجدو لا اصدقاء  
الوقت اصعب وضاق \* كسدت لسواق  
لا بركة فارزاق \* خارجين الطريق  
الدين اغرب وانساق \* فى بعض الافاق  
واهلو فقدو الرفاق \* ما بقى ما يليق  
والدم من دمو جافى \* ما يرفق غانى بضعيف خو اوجار  
وهو يرى ان مثل هذه الشدة طبيعية طالما ان الناس لا يتجنبون المعاصى ،  
ولا يلجأون للاحسان ، ولا يخالفون الشيطان ، ولا يحسون باليقين :

ما جنبنا عصيان \* ما فعلنا احسان  
ما خالفنا شيطان \* ما حسنا بيقين  
لذلك يلزم الاستغفار فى الليل والنهار ، وفى خشوع وذل واحتقار ،  
وتلزم التوبة الى الله عساه يجبر الكسر ، ويمحو الاوزار ، ويقلل من  
العثرات ويجود بخيره وفضله الذى لا حصر له :

لزمنا الاستغفار \* فالضيا ولسحار  
بالذل والاحتقار \* والخشوع الكبير  
وانوبو للقهقار \* كافا ابلجهار  
وانقولو يا جبار \* اجبر اللى اكسير  
امحى عنا لوزار \* أمقيل الاعشار  
فضلك شلا يحصار \* جد عنا ابخير  
وهو لا ينسى ضعف الامة وقضاء الله وقدره ، فيرفع يده اليه بهذا  
الدعاء :

يا نعم المحي الكافى \* اكفنا شر الوقت ما نسوف اغيار  
(23)

يا مول الفضل الوافى \* فضلك مايتها ولا اتحدو إسطار  
عجل يدواك الشافى \* وارحم ضعف الاما الغارقا اقلوزار  
قادر تبلى واتعافى \* تنسخ الشدا ابلغفو اكما افلخبار  
يامول اللطف الخافى \* الطف بنا افما اجرت به القدرا

كذلك كانت الاحداث الحربية السياسية والازمات الاقتصادية  
والاجتماعية تبعث الشعاع الشعبى على التأمل ومحاولة البحث عن الاسباب  
والمسببات واستخراج العظة والعبرة، يغلب فيها عليه أن يعتبرها قضاء وقدر  
من الله ، وأن يقف منها موقف الضعيف العاجز متألما باكيا رافعا اكف  
الضراعة الى الله أن يفرج الكرب ويوجد بالعفو .

فالكفيف الزرهولى فى القصيدة التى يذكر فيها خروج أبى الحسن  
المرينى الى القيروان وهزيمته يرى أن الله مالك عقول الامراء وشاد نواصيها  
كل زمان ومكان لا يدبرون الا بأمره ، وان النصر رهن بطاعة الله ، وان  
الهزيمة نتيجة حتمية للعصيان :

سبحان مالك اخواطر الامراء \* وانواصيها كل حين وازمان  
ان طعناء عطفو لنا نصرا \* او ان اعصينا غضنا اكل اهوان  
ويرى أن قلب السلطان كالجوزاء، وان قلوب الرعية تجرى مجراه، وتتبعه  
وتستنير به ، ان عدل فاح نسيمها يخترق الآفاق بعيره الذكى ، وانكشف  
الحجاب وبدا نوره يسطع كالصبح بضيائه يعم أثره على الانسان والحيوان  
والنبات والجماد ، وان جار ساد الفقر وحل الران فى القلوب :

قلب السلطان يقال كالجوزا \* وقلوب الخلق جاريا مجراه  
ان كان عادل ابرأفت العزا \* يطلع منها نسيم ايشق اذكاه  
اذا يعدل قد فتحت الغمرزا \* كنو مصباح وهو اتصير لضيائه  
حتى فالسنبلا أفاالتسرى \* يظهر عدلو انعم وفالحيموان  
ون كان جابر بنا قترا (1) \* يطلع منها على لقلوب السران

والشيخ الاكل فى قصيدته التى يتحدث فيها عن وضع المغرب

والمسلمين فى القرن الثالث عشر واحتلال الجزائر (2) ، يرد الامر الى قدر

(1) من القتر والاقتر بمعنى الاثتار او من القتر ج «قتره بمعنى الغبار»

(2) كان احتلال الجزائر سنة 1246 هـ (1830م) ومعروف ان المولى عبد

الله ومشيتته واذنه ، فقد قضى أن يرتد العرب ويفشل المسلمون ، وأن يحذل الكفار هذا الجزء من بلاد العروبة والاسلام :

العرب ابقدرت الله اتعود مرتدين  
اتعود باذن الله سكان للكفرا

ويستشهد على ذلك بقول ينسب للرسول يؤكد أن كفة المسلمين ستنتقلب في آخر الزمان ، وأن القرن الثالث عشر سيشاهد قهرهم وذلهم :  
قال الرسول مقتاح دولت لخيار ❦ يابن خلوف (I) راقب شف ما يطرا  
آخر الزمان ينعكس وتنقلب ليام ❦ قرن ثالث عشر فيه ابني ممر  
يتفقوا على ابلاد تسمى ياككرام ❦ هاذك زاويا فالزمان هذكسورا  
فيها الولي لمخصص وينذكر بعلوم ❦ جعلو الله عساس اقبالت الكفرا  
سبحان مالك الملك الواحد لعظيم ❦ آخر الزمان ماذا تحوز من قهرا  
هذا القصاص مذكور عام امن اسمين ❦ في قرن ثالث عشر ابلا عيسرا  
وفي استسلام لقدر الله وقضائه ينتقل للحديث عن الموت والفناء :

لروح غانما ولجنات مرميم ❦ مالك ملوك يبقى اولا بعدها عبرا  
سبحان امن اخلقنا بعد العدم كان ❦ من بعد اوجدنا نضحا والثراب مدفونين  
سبحان امن اخلقنا امكون لكوان ❦ واجعل اوكيل عنا عزرائيل  
ويؤكد فكرة القضاء والقدر في قوله :

يا مالك السما يا عظيم يا جواد ❦ واجميع ما جرى بسبب القادرا

الرحمن كان يسماند الامير عبد القادر الجزائري في حربه مع فرنسا ، وهي حرب استمرت من 1246 الى 1264 هـ فقد قدم الامير الطاعة لسلطان المغرب على أن يتيح له محاربة المحتلين من ارض المغرب خاصة بعد أن هزموه سنة 1259 . ولكن فرنسا لم ترض عن ذلك وارادت ان تعاقب المغرب على موقفه ، فقامت بحملة سنة 1260 في «اسلى» من اعمال مدينة وجدة عند الحدود المغربية الجزائرية هزم فيها المغرب واضطر على اثر الهزيمة أن يعقد معاهدة مع فرنسا كان من أهم بنودها نفى الامير عبد القادر من المغرب ، وهو بند اضطر السلطان المغربي الى محاربة الامير الجزائري وارغامه على التسليم ، فما كان منه الا أن سلم نفسه سنة 1264 .

(I) يخاطب الشعائر الجزائرى الاخضر بن خلوف . ونخشى أن تكون القصيدة ليست للاكل كما يرونها الحفاظ وانما لابن خلوف .



ما هي دار لكلام من جاكيرجـل ٠ شف القومان سايرين اقول اقول  
واحنا فاتباعهم ابلقدر الموصول

وليس يموت أحد دون أجله المعلوم ولو احاطت به الاخطار والمصائب،  
ومن حان أجله فلا يستطيع تأخيرهما كان غنيا ذا مال، وليس في مقدور احد  
ان يهرب مما كتب له الله وسجل له وحكم به عليه :

ما يموت افلورا مخلوق دون أجل ٠ لو يكون اوسط الغضب ما يوصو  
ومن اكمل محسوبه ولو كان كاسب موال ٠ ما ينفعو الا ذغيا (I) ايمد رجلو  
كيف يمنع من مكتوبه او كيف ينصال ٠ من احكم الرب اعليه وسجلو  
حقا ان مشيئة الله قد نفذت ، ولكن لابد من لطف منه يفرج الكروب،  
فلا شدة الا وبعدها فرج ، وتلك حكمة الله حتى يذكر ويحمد في كل  
الاحوال :

كل من راد الله عل لورا اتودا ٠ او لازم لطفو ايفاجي هم ضيق لنكاد  
كيف معلوم الرخفا بعد كل شدا ٠ باش يذكر الله افكل ضيق وارغاد  
ثم ان لقاء الابطال ومقابلتهم شرف ، ومن لم يلقيهم محتقر مهما غلا  
شأنه :

من لا يلقى ليطال لو يعلى محفور

والذي يغفل عن الاعداء ويسكت عنهم اويهادنهم مغرور :

والغافل فالزمان عل لعدا مغرور

ومثل هذا نجده عند الحاج ادريس بن علي في «التطوانية» (2) حيث

يوصي الغافل الساهي أن يستعد للجهاد بعد ان جار الاعداء :

اساهي خذ اخيـار ٠ وافهم تعبير القول ولشارا

نوصيك ياغفيل احتال لامر لجهاد لعدا جاروا

واذا شاء الله رحم الضعف ، وجبر الكسر ، وأثنى بالفرج ، واتساح

للمغاربة غزو الكفار وارغامهم على الرضى بالغلب ، وبدد شملهم وكسر

سفنهم :

(I) حيناً وبسرعة .

(2) قامت حرب تطوان مع اسبانيا سنة 1276 هـ (1859) في اول عهد  
السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن .

ايلا راد الستــــــــــــــــار ۞ ايفاحى عل لسلام اد لكبدار  
 يرحم ضعفنا وايعاملنا ابلغراح فعسى تجبارو  
 ونغزو فالكفــــــــــــــــار ۞ حتى يرضوا الغلب بجهارا  
 ويبدد لكريم اشملهم وسفونهم لهم يكساروا  
 وعنده ان الرومى - والمقصود به الكافر - مكر ، وهى حقيقة تسميها  
 بعض الناس ، فمجنون كل من يقتل به ويامن لجواره ، فهو فى مكره مثل  
 النار ان لم تخدم فى الحين تزيد اشتعالا ، لا مثيل له فى الغدر ، فهو  
 يطمع بجذ فى مدن المغرب ، ولكن الشاعر يدعو الله الا يحقق طمعه :  
 والبعض انساوا ما صــــــــــــــــان ۞ ما يعرفوا بين الرومى هل امكارا  
 مهبول كل من يتغرا فهذا الزمان والكافر جارو  
 الرومى مثل النــــــــــــــــار ۞ قالوا ناس التشبيه ولعبــــــــــــــــار  
 اذا ماطفتها فالساعا اتزيد هذا تمكارو  
 ليس ابخالو غــــــــــــــــدار ۞ طامع فمدون الغرب بتمــــــــــــــــار  
 لهلا ايوصلو ولا يوفى له ظن هو وانظارو  
 واذا كان المغاربة قد أصيبوا بهذا العدو فلانهم شغلوا بالدينار وآنهمكوا  
 فى الاخذ والعطاء وقوى بينهم البغض والحسد كبارا وصغارا ، لم يعودوا  
 ينهون عن المنكر ويوقرون السادات ويزورون الاولياء ، وقليل منهم من  
 لا يؤذى جاره :  
 آيا اولى لبــــــــــــــــار ۞ اعتبروا نظروا افسد العــــــــــــــــار  
 واتأملوا فهذا لقول اللى بان ياسمى اثارو  
 لتهنا بالدينــــــــــــــــار ۞ وغبظنا بالدنيا البخوذ ورا  
 واقوى البغض والحسد افهذا الجيل فى اكبارو واصغارو  
 لانهى اعلى المنكــــــــــــــــار ۞ لا توقير السادات فزيــــــــــــــــار  
 وقليل من اتصيبو فى هذا الجيل ليس كيدى جارو  
 وهو تعليل نجده عند الموقت فى «الزازية» حيث يقول :  
 سكان الغرب كلهم عباد اللوــــــــــــــــين ۞ فيهم اللى باع دينو بالخبرا  
 ويرى الحاج ادريس ان الامل فى الجهاد ، ولكن لا جهاد بدون تقوى



وصبر ، فهما كالاساس للبيان ، وليس يكون حصيما اى بيان بسسبون  
أساس :

ليس ايقوم لجهاد يالامت لخبران ••• دون التقوى امع الصبرهأذو باثنين  
تمثيل الساس للذى رايد بنيسان ••• اشمن بيان دون ساس يكون احصين  
وما حدث ليس غير تنفيذ لحكم الواحد القهار ، فعسى الله أن يعفو  
ويظهر وينصر دين الاسلام على ملة الكفر بجاء رسوله المختار :

من نساعوه لعفو امع اطهارا ••• ينصر ديننا عن ملت لعدا ابجاه طه مختارو  
وللشيخ اسماعيل المراكشى قصيدة أنشأها حين فرضت حكومة الحماية  
اول ضريبة على المغاربة يقول فى حربتها متوسلا الى الله الا يلجئ الناس  
للمخلوق ، وأن وجود عليهم بعفوه ويجيرهم من الضيق :

لاتولجنا للمخلوق ياخالق ••• جد لنا بعفوك اوجرنا امن الضيق  
ويقول فى دخولها متوسلا اليه بحرمة البسملة واسرارها أن يفرج  
كرب الزمان المظلم ، ومتوسلا اليه كذلك برسوله الا يحاسب الناس على  
تقصيرهم لانه مشفق رحيم :

حرمت البسملا واسرارها افلائق ••• فرج اعلينا من هذا الزمان لغسيق  
لك زكنايا الاعى اقمول لبسراف ••• لاتحافنا بالنقصان لك اشفيق  
ومنها هذا العروبي يرجو الله فيه أن ينظر الى ضعف الناس وقس  
ضائق الاحوال ، وكلت العقول ، واوثقت الصدور ، وذابت الاكباد محترقة  
بنار الشدائد ، وبكت القلوب مخفية دموع العين ، وغدت الاجسام كسفن  
غارقة :

انظر من حال ضعفنا ضاقت لخلاق ••• كلت لعقول افالصدور الموثوقا  
وبالعوض اكبادهم دابت من لحراق ••• من ناز الوقت والشدائد محروقا  
وقلوب اتنوح خائفا دمعت لرماق ••• وامثيل اجسامنا اسماين مغروقا  
وللشيخ ابن عمر المراكشى قصيدة فى أزمة «البون» اى بطاقة التموين  
ايام الحرب العالمية الثانية ، يرجو الله فى حربتها أن يحن ويجير من الزمان  
وفتنه ، والا يترك الناس فى الصف بالوسائط :

حن يامولانا فينننا ••• اوجرنا فالزمان

او جرننا من لفتــان ۞ ولا تخلينا في سرييس (I) بالوجهيا  
وفيها يؤكد فكرة قضاء الله الذي قدر الغلاء، ويرجوه أن يعين الناس،  
ويفرج ما نزل ، فهو وحده العاطف المشفق :  
كل شيء ابقدرت المولى ۞ من اعلينا قدر لغلا  
ايعيننا بقدرتو رب لعباد ۞ عالم بنا يفجى ما تصدر بنا  
شعم المعيين ۞ من غيرو مالنا احنين  
ويرى أن ما قامت به الحكومة من جمع للقمح وتنظيم لتوزيع الخبز  
الهام من الله ، وهو الذى امر ولاية المراكز أن يعينوا رجالا يشرفون على  
العملية ، يساعدون الضعيف والعاجز والمرأة والمريض والكفيف والطالب  
والشريف :

لهم المخزن من لا ينام  
ايجمع الزرع افكل عام  
حتى ياامر به لكريم  
الى محتاجو افكل يوم  
ايقبضو طايب (2) منهم  
ومر الولايات كل مركز يعملو لو ارجال  
رياس ايعرفو اللفصال  
وايساعدوا ضعيف الاما  
والعاجزين والى حرما  
وايميزو الطالب ويرفعوا بالشريف  
والى مضرور امع لكفيف  
ومثل هذا يقوله نبي قصيدة اخرى فى الموضوع :  
جاد المعين برحمتو وافجا كل ضيق  
بالهام من المولى قام المخزن

---

(I) سرييس أى الصف ، او ما يطلق عليه فى مصر «الطابور» ، والكلمة  
من الدخيل الفرنسى .

(2) طايب أى ناضج .

بالزرع الى كان اخزن

بيعان المسكين احسن

افكل مسكن امراكن دارها

للمساكن أفقرا

او ماعملها لصحاب الزرع افلمطامر

الشحاتا هل لقطار

ولمحمد لحلو قصيدة فى نفس الازمة ، يرى فيها أن الزمان أصبح مرا

والمصائب كثيرة ، وماذا عسى يفيد ؟ فقد خاض الناس فى المناكر ، وعمرت

الاسواق بالمعاصى ، وظهرت علامات كثيرة وعجائب تحير العقول ، فلا الكبير

يهاب ، ولا الصغير يحترم ، ولا الجار يوقر جاره ، لاهياء ولاعهد - وشغل

الشیطان الناس عن أداء صلواتهم وعن كل ما يهمهم :

هذا الوقت امرار \* ولمصاب كثر و شنهو ايفدنا

خضنا فالمنكار \* ولمعاصى بها عمرو اسواقنا

علامات اكثار \* ولعجائب فيها تقها اعقولنا

لا رهبا لكبار \* لا صغار ايحشمو فى جيل وقتنا

الجار امع الجار \* لا احيا لا عامد حجات باينا

لهنا الخمرار \* عن اصلاات الخمسا والى ايهمنا

شف الوقت احمرار \* من افعالنا هذ الوعيد صابنا

ويذكر بعض مظاهر الغش المتفشى فى اوساط التجار ، فالجزار يخلط

لحم الغنم بالماعز ، واللبان يضيف الماء للحليب :

شف الى كزار \* كايبيع النعجا غللى (I) اسوخننا

شف الى بكار \* بالمياه ايخبط لنا احليينا

ويستعرض بعض مناكر الوقت فيذكر منها كثرة النساء وتبرجهن في

جلاليب واحذية ملونة ، يزين عيونهن وخدودهن ، ويلون أطرافهن ويكشفن عن

اساورهن وقفاطينهن الجميلة ، وقد بدت الخواثم والايدي المخضبة بالحناء :

---

(I) تقلب بعض الالسنه نون الغنم لاما .

لعيالات اكشــــــــار ❖ بحاللب واسبابطها املونا  
ويصبغو لظفــــــــار ❖ والدمالج فوق الكبوط باينا  
والعينين اكبــــــــار ❖ ولخدود الحمرا تلمع بايــــــــا  
بقفاطن تشكــــــــار ❖ ولخواتم وحنانيها امزينا

وفى الوقت الذى يبقى الرجل فى الدار تخرج المرأة بهذا التبرج ،  
وتأتى بالسكر والدخان لتكيف مزاجها به :

الرجل فالــــــــدر ❖ ولمرا فالزنقا تمشى امشرغنا  
واتجيب السكــــــــار ❖ والدخن هذا هو ارشوقنا  
وليست الشابة وحدها التى تعرض زينتها وانما العجوز كذلك تضع  
المساحيق على وجهها ، وتصبغ شعرها ، وتظن نفسها جميلة فتأتى المنكر ،  
ثم ان الساحرات كثيرات :

لعكوزا ثــــــــوزار ❖ كاتعكر وتقول أنا امزونا (I)  
تفعل فالمنكــــــــار ❖ والشعر اتصبغو ما هو افدينا  
السحرات اكشــــــــار ❖ كايسحرو ويقولو ياخديمنا

ويعطينا صورة لحال العيش الضيق الذى نتج عن أزمة البطاقة ، فلا  
أقمشة موجودة ، ولا صابون للتنظيف ، واوقية السكر التى تسمح بهــــــــا  
للبطاقة لم تعد كافية ، وليست فى الدار مؤونة فلا سمن ولا زيت ولا فحم ،  
وليس فى السوق لحم الغنم او البقر أو الجمل ولا سمك «المرنا» المعروف  
وهى حياة جعلت ربة البيت تقلق وتعرب عن هذا القلق فى قول لزوجها  
بأنها ضاقت بطبخ الخضر كل يوم وخاصة البطاطس ، وكأنها موصى على  
أكلها من طرف الطبيب :

لا كــــــــان اظهــــــــار ❖ لا صويين باش انگلعو اوسخنا  
أبــــــــون السكــــــــار ❖ ولوقيا ماباقشى اتقدينا  
لا عــــــــولا فالــــــــدر ❖ لا سمن لا فخر لا زيت كاينا  
لا غلــــــــمى يذكــــــــار ❖ لا جمل لا بگرى لا حوت مرنا  
لمرا بالمعــــــــار ❖ كاتقول للرجل طابو اقلوبنا

(I) تصغير مزيانة بمعنى جميلة .

عيننا لخضار \* كل يوم الخضرا هي اطيابنا  
بطاطا فغطار \* واش لبطاطا نعتها اطيبينا  
ومع ذلك فكل شيء متوفر في السوق السوداء يباع في الخفاء :  
تحت الكونطوار (1) \* كل ماتبعي من لسلوع كايذا  
جيب المرشى انوار (2) \* كل سلعا مخزونا ليس باينا  
وهو لا يرى في ذلك كله الا تنفيذا لحكم الله وقضائه ، فيرجوه ان ييسر  
الامور وينشر رحمته لتعود الاسعار كما كانت ، حتى تزهر الايام وتزدهر  
الحياة :

تصريف القهار \* ولقضا يتصرف بحكام ربنا  
يا عالم لسرائر \* يالمولى يسر لنا أمورنا  
ربى يا غفار \* ليس عيبت فالى مخلوق كيفنا  
حامل من لوزار \* لكن ارحمتك ياربى اتعمنا  
يا رازق لعمار \* يا لغنى من لا يخفاك حالنا  
ويرخصو لسمار \* كيف كانوا تزهر لنا ايامنا  
يسا نعم الستار \* جد برحمتك يالكريم غتنا  
وللحاج محمد بن عمر قصيدة في نفي محمد الخامس يقول في حريتها:

قولوا يا هلى معظم يوم السبت افلمدين الحمرا يذكار  
عمنا لطف الله وخمد نفتارين  
وفيها يرى أن كل شيء بقدر الله ، ولا بد من تحمل هذا القدر والصبر  
عليه الى أن يفوت ، ولن يفوز بالنصر الا من رضى بقضاء الله وقبل مصيره ،  
اذ لا ينفع الهرب منه فى شيء وليس للعبد أى اختيار ، فماله الا أن يسلم  
الامر لمولاه ويدعن :

سبحان امن اقضى بقدرتو واحكم \* ابما اجرى فى جمع البشر  
قدرو مولانا واعلم كل كايين

(1) مدرج البيع والمائدة التى يقف خلفها البائع، والكلمة من الدخيل الفرنسى  
(2) السوق السوداء ، وهى من الدخيل الفرنسى كذلك .

يقوز امن اصبر للشداحتى اتفوت • وارضى واقبل ما صـار  
 افلقضا ما ينفع لهروب يالفاطن  
 ليام دايرا والفلك امعاها ايدور • ما للعبد اختيـار  
 سلم الامر المولانا اوكون داعن  
 وفى قصيدة اخرى له فى نفس المناسبة يدعو الله أن ينصر المغاربة  
 ويفرج الكرب ، وان يخلصهم من يد أعدائه العصاة الحاكمين الذين رضوا  
 الدنيا وكرهوا الآخرة ، فالفلك يدور ولا بد لكل شدة من فرج :  
 ربى ينصرنا عنهم لا بد الفلك ايدور والسوايع هذا حال الزمان  
 قالوا لدهات ما تدوم الشمسـات  
 باللطف يتصرف لقضا فالازليا  
 يالعالم فرج كرينا ياغيـات • ابجاه سيد السـادات  
 سيدنا محمد طه خاتم الانبيا  
 لاتخلنا ياربى فيدهاد العصـات • من اعلىنا حكمـات  
 لآخرنا كرهوها وابغواوا غير الدنيا

وكما نظر الشاعر الشعبي الى الاحداث المحلية (I) ، فكذلك نظر الى

القضايا العربية الاسلامية (2) وتأملها من خلال ايمانه بالقضاء والقدر

(I) ليس من شك فى أن حرب الريف التى قادها محمد بن عبد الكريم  
 الخطايبى لتحرير البلاد من مختلف ألوان الاستعمار تعتبر من أهم  
 أحداث المغرب المعاصرة ولكن الاسف اننا لا نعثر لها على أثر فى الزجل  
 على الرغم من الشعبية التى يتمتع بها ابن عبد الكريم وعلى الرغم كذلك  
 من الصدى القوى الذى خلفته هذه الحرب فى النفوس .

وقد ذكر لنا الاستاذ ابراهيم الكتانى أنه حضر مرة موسما لاحسد  
 الاولياء فى الشمال - لعله موسم سيدي عبد السلام بن مشيش - وكانت  
 تقام حفلات رسمية حتى المساء يحضرها مسؤولون عن السلطة وحكومة  
 الحماية تنفض اثرها جموع الناس . ولكنهم لا يلبثون - بعد اطمئنانهم الى  
 انصراف هؤلاء المسؤولين - أن يعودوا للاجتماع حتى الفجر ينشدون قصائد  
 شعبية بالعربية والبربرية الريفية فى تمجيد هذه الحرب ، وقد حاولنا فى  
 إحدى رحلاتنا للشمال أن نعثر على بعض بقايا هذا التراث ولكن الاسف  
 اننا لم نوفق لذلك . ويبدو انه ضاع بسبب عدم الاعتناء بتدوينه كتابـة  
 او تسجيله بالصوت ، وبسبب موت الحافظين له كذلك ، وهم فى الغالب  
 من الشيوخ الذين شهدوا الحرب مع ابن عبد الكريم .

(2) تنسب لابن على ولد ارزين قصيدة طويلة تسمى «المصرية» نظمها  
 فى دخول نابليون الى مصر ، ولكننا لم نعثر لها على اثر .

في النصر والهزيمة على السواء . وقد كشفت حرب فلسطين الأخيرة (I) عن تجاوب شعبي صادق مع هذه القضايا ، نحسه عند الحاج محمد بن عمر الذي طغت عليه عاطفته الوطنية المتأججة فحالت بينه وبين النظر الى هذه الحرب من خلال حقيقة النكبة التي أصابت العرب والمسلمين ، فهو يحمد الله على أن تألق نجم الاسلام مضيئاً في الأفاق دون حد لنوره ، وعلت كلمة الله يسر خبرها جميع النفوس ، وظهرت أمة الاسلام في برج النصر يؤيدها الله ، وقد توحدت جيوشها وولفت متراصة على طول الحدود ، ونادى حظ النصر وظهرت بشائره فسرعد من كان قريبا منه وهو يأسف لمبعد المسافة ولو وجد لقطعها أجنحة لطار:

وبعدها يالامت لسلام الحمد لله اطلع النجم الساني

واتجلى فالافاق بان ضيو ما هم محسود

وارقات الكلما العاليواخبارها سر النفوس يا جمع اخواني

وظهر شعب الاسلام ايدو لحليم المعبود

في برج النصر شهدوه اجيوش لسلام جات من كل اوطان

واتحدت الاما الواقفا فمناهج لحسنود

نادى فال النصر وبانت ايشايرها يا سعد من اضحى داني

ونا ماصبت اجناح ولوصال اعليا مبعود

اليسست دولة اليهود فانية منذ العهود الاولى للتاريخ ؟ تنقصهم القيادة

الواعية ويخذلهم الله فتنهم في الحياة وأذلهم في كل مكان ، وجعلهم ضعفاء

جبناء :

مبطولا دولتهم يا هلى خلاهم طورا في اماج طوفاني

لا رايس واعى القاوا لامن بهم ايلود

واخذلهم مولانا افلحيات افتنهم أدلهم في كل امكاني

واجعلهم قالدنيا اكراف (2) لكراف الجنود

---

(I) حرب السنة أيام (يونيو 1967)

(2) الكرفا تعنى البخيل حين تطلق على الرجل وتعنى القبيحة حين تقصد بها المرأة ولكن الربط هنا بين الكرفا والجنود لا يجعل الكلمة تعنى غير الضعيف والجبان .

ثم ، أليست شوكة المؤمنين قوية ؟ وعندهم الله بالنصر والغلب على  
اليهود مهما انتشروا قى الآفاق ، فما كادت تسمع بشاراة الفتح الالهى تعم  
الامة الاسلامية ليهلك الطغاة كما هلكت ثمود من قبل ، حتى سطع نجم  
الاقبال وبدأت علامات الفرح والسرور والسلوان تحيي النفوس والبيد ،  
ونهضت سائر الامم والاجناس لحماية بيت المقدس مطلقة اعتها مستعدة  
للقـتال :

شوكت هل ليمان قويا وعدها ربى بالنصر عل لجبانى  
تغلب سائر ليهود لو اكساو القفر المـمـمـمـمـمـمـم  
مهما سمعت بشار السعادة عم لسلام بالفتح الربانى  
يهلك جيش امن اطغا ربنا كيف اعلك تمرد  
ها نجم اليقبال بان شف علامات الفرح والسرور أسلوانى  
شاع اذكرها واحيات به لمهاج امع لبدود  
قامت سناير لجناس ناهضا جات اتحامى اعلى البيت طلقت لعنانى  
محتالا عل لقتال واكدا بطرار وبنـمـمـمـمـم  
واليهود لا يؤمنون ، لا عهد لهم ولا ميثاق ، والأحمق هو الذى  
لا يحناط من أعدائه ولا يحذرهم :

بالك تامن من خالفو الحد ونقضوا لعهود  
وكذاك الميثاق ليس فيهم الى بنا ايتق يقرأ لمانى  
لحمق من يامن فى اعداء ماينجده من لنكود  
وقد بدأوا يطفون ويتجبرون ويسعون للفتن منذ مدة غير يسيرة ، ولكن  
الله سيهزمهم ويصون منهم البيت ويحييه :

هاذى مدا ليهود باش زاغوا واطغوا افرعنو ورادوا لفتانـمـمـم  
ربى يهزمهم من البيت ويصونو من ليهود  
فأرض الشام شرفها الله وأمنها من قديم ، لذلك فهو يرجوه أن  
يحميها من اليهود الاجلاف :

الارض الشام الله شرفوا من قادم للآن فيه سناير لمانى  
يامولانا حرسوا امن اجلاف الاما لهـمـمـمـمـم



وإذا كان ابن عمر قد نظر الى الازمة بمنظار غير واقعى فأشاد بوحدة صف المسلمين وقوة جيوشهم وبتخاذل اليهود وتشتتهم وما نتج عن ذلك من انحصار أصحاب الحق وانهزام الاعداء المتعصبين فان الشيخ ابن الكبير المراكشى كان اكثر واقعية فى النظر الى الازمة ، وتأمل أحداثها والاعتراف بانكاس المسلمين وليس أسبابه الحقيقية . فالمسلمون مستثمون متنازعون ، فى حين أن العدو الى جانبهم يترصد الفرص للانقضاض ، يسانده اخوته وأصدقائه يزودونه بالسلاح :

الفرع ادهانا امع بعضنا بعض العدى افجنبنا يتسنانا  
وامعاه اخوت سلحوه بقنا بل للمتحارب  
والمسلمون فى حاجة ملحة الى الاتحاد وتوحيد الصف ماديا ومعنويا ، ومتى كانوا متفقين متراضين فان أحدا لن يستطيع هزاجتهم :

لازم للصف انوحدوه حس امعنا نتاحدى الامن يقوانا  
اذا كنا متواققين ما يلحقنا كذاب

أما اليهود فطلغة متجبرون ، وليس من يهلكهم ويمحقهم غير الله ، وهم أقوى مستأسدون ومتحدون لمحاربة المسلمين ، وقد نجحوا بالقدرة فى اهانتهم وتشريدهم ، وإذا كانوا أقوى منهم فلان اخوتهم وحلفاءهم يمدونهم بالعون

ليهود اطلواو اتجبروا اولامن يهلكهم غيرك العاظم مولانا  
امحقهم ابلقوا القادرا والسهم الرعنساب

ليهود اقواو اتصرو واتحدوا عن قتل اخوانا وقصدوا لهانا  
هانونا حملونا اشدونا غدرنا لكلا

ليهود القاوا اخوتهم عانواهم ابقاوا اقويا عن اقوانا  
قوتنا هو انت اوقتك ما تحتاج اجعاب (I)

وهم لم يستحووا من انتهاك الحرمات سعيا الى تحقيق أمنيتهم . سبوا النساء ، ومكروا بالشيب والشباب ، واتخذوا المساجد مراقص ، وأخرجوا المسلمين من ديارهم ، ونهبوا وشردوا وقتلوا :

ليهود انواو احققوا امنيتهم اينكونا ايسبو نسوانا  
بنواع الفحش ايعاملو الشايب منا والشباب

---

(I) الجعاب : البنادق ويقصد أى سلاح .

امساجدنا للرقص هيؤهم اولاد الفاجرين قصدوا متفانا

قتلوا نهبوا لخوت شردوهم افكل اهضاب  
وهو يرى ان المسلمين خدعوا فى المعركة حيث نكل بهم العدو  
وتحداهم ، فكان مصابهم عظيما ولم يشاركهم فيه أحد ، لذلك فهو يلجأ  
الى الله يرجوه اللطف بعباده الاسرى والانتقام من العدو وحلفائه ، فمتى  
نزل الضيم بالعبد فليس ينجيه ويغيثه ويفرج كربه غير خالقه الذى  
يرعاه بالليل والنهار :

لمصاب اعظيم أهل الدين لمتين اتخدعنا اولا امن ابكى لبيكانا  
اربى ياربى لطفك نرجاوك ياوهــــــــــــــاب  
عجل باللطف اعبيدك اسرى شوه بهم لعدو اراه اتحدانا  
والقى من يحميه واحنا فاحما احماك الغلاب  
العبد الا ينضام الا من اغيثو يلا خالقو اولا سواه ايفاجى لكراپ  
ولكن لابد من التعجيل بالتوبة والاستغفار حتى تكشف الغمة ويشفى  
المصــــــــــــاب :

الله أهل لسلام بادروا بالتوبوا واستغفروا وطلبوا مولانا  
يفجى هذا الغم اعلى لجميع ايشفى لمصاب  
ولابد كذلك أن يتخلص المسلمون من كيد الشيطان ، ويشكوه الى  
الله وقد عجزوا عن محاربته ، فهو سبب كل ويل ، أغراهم بالطمع ، واستحوذ  
عليهم فغدوا له أعوانا ، وبعدوا عن الصدق ، لذلك فهو يطلب الله الا  
يحاسبهم وان يعفو ويسامح ويصفى مآهم ويجعلهم اخوة متحدين :  
اجعلنا من هل اليخلاص واحفظنا من كيد يبليس من قصد انكانا  
لمن نشكوه غير لك ما طفنا له احــــــــــــــراب

هو السباب الكل ويل خدلو يارب راه يطمع كاع (I) ادانسا  
كهربنا ولينا اعوان عندو واصدقنا غاب  
ياربى ياربى اولا تحافنا يا لكريم سامح اصفى مانا  
بك اجعلنا نتحدو ونضحاو للخوت احباب

(I) كاع بمعنى جميعا ، ولعل أصلها فى الفصحى القاع ، وكأن الوصون  
الى قاع الشئ يفيد جمعه كله .

وقد أوصى الله المسلمين وأنباهم بعداء اليهود لهم ، ونبيههم الى ان  
من اتخذهم أولياء فهو منهم ، ولكنهم خالفوا قول الله ، وخضعوا لاهوائهم ،  
واتخذوهم أحببا وأصدقاء وتزوجوا منهم ، فكانوا بذلك عونا لهم على الغلب:  
لنا قال المولى الكريم راليهود اعداكم ابهذا وصانا

خالفنا قول الله كلنا درناهم احباب  
من ولاهم الله قال هو منهم ابلا احيا اخضعنا لهوانا  
وتزوجنا منهم غلبهم كنا له اسباب

ولكنه متفائل طالما أن كل شدة لابد وأن يعقبها الفرج :

الشدا يتبعها الرخا احنا نترجوا تحقيق نصرنا يوفانا  
رب اللطف الخافى أنت المعطى من دون اسباب  
ثم فيم الخوف والجبن ، مادام الموت حقا على الناس ، ومادام الاستشهاد  
ضمانا للجنة ؟

الموت اعلينا حق ياك من مات شهيد احنا اوفاز ما يحتج اضمانا  
راح اعريس الجننا افلاخرا يا سعدو يسطاب

#### ملاحظات :

نود فى نهاية هذا الفصل أن نسجل بعض الملاحظات ، عماها تكمل  
الجوانب التى قد تبدو ناقصة فى نظرية الزجال المغربى الى الحياة .  
**الاولى :** أنه على الرغم من أن الشاعر الشعبى عاش فى حياته وفنسه  
متجاوبا مع مجتمعه مهتما بمشاكله وما يتعرض له من وقائع وأحداث ، فإنه  
يبدو وكأنه لم ينظر الى هذا المجتمع الا من علو وبعد ، لم ينزل اليه ولم  
يقترب منه ليختلط به ويرسم حياته اليومية ليعرض لوحة مكتملة الملامح  
والابعاد . قد يكون ذلك صحيحا ولكن الى حد . حقا ان الشاعر الشعبى ظل  
وهو يعالج مشاكل المجتمع والحياة محصورا فى نطاق خاص ، هو نطاق  
القضايا الكبرى التى تشغل الراى العام من انحلال يصيب المجتمع  
او أزمات تعترضه ، ولكننا لا نريد أن ننقى عنه النزول الى الشوارع والاتصال  
بالحياة فى أبسط مظاهرها واصغر مشاكلها ، ونكاد نجزم بأن هذا الشعر  
ضاع بسبب عدم رغبة الجماهير فى سماعه وتربيده ، وبالتالي عدم اقبال  
(24)

المنشدين على حفظه وتداوله . ونكاد نجزم كذلك بأن مثل هذا الموقف يتخذه الجماهير والمنشدون من شعر لا يسيغه الذوق الجماعى للترديد والغناء جعل الشاعر بدوره يحجم عنه ولا يقدم عليه الا حين يقوى الانفعال فى نفسه ويضغط عليه ويجبره على القول وفى الحدود التى لا تزعج الذوق العام . ويبدو أن رجل الشعب - شاعراً كان أو منشداً أو مستمعا - لا يرى فى الحياة اليومية العادية موضوعاً للامتاع طالما أنه يمارس هذه الحياة ويعيشها بكل الابعاد والجزئيات . ومع هذا فإن الباحث لا يلبث أن يعثر على نماذج - ولو قليلة - تثبت تجاوب الشاعر الشعبى مع مشاكل مجتمعه ومعالجته لقضاياها . من ذلك قصيدة «المطر» (I) التى تصور قسوة فصل الشتاء على الفقير الذى لا قدرة له على الاحتماء من البرد والمطر . فالقسم الاول منها وصف لحال الجو الطبيعى ، لقد هبت الريح ، وصوتت الرعود ، ولعت البروق ، وتهاطلت الامطار ، وراح كل الى مقره ملتفاً فى جلبابه ، وغدا الحى بمشيئة الله وقدرته خاويًا بعد أن كان عامراً بالناس ، ووقف الشاعر يطل عليه من سور سطح بيته ومعه كاتبه :

حسيت بالرياح الصرصارا \* والرعود افلكوان ايزيم صوتها بهدير  
لبروك من القبلا شباروا \* خطفوا المن انظر لبصـور  
وابدت شى امشاتي غزارا \* صابا من لسحاب الواسقا الما لكثير  
والناس كلها لقـرارو \* سرى وراح فالغـبـور  
طلبت عل الحى امن اسطارا \* بانلى فاضى بعدن كان فيه جمع اكبير  
كلا امشى اسريع السـدارو \* يضحى من لمطر مستور  
سبحان امن اقدرتو جبارا \* جل شان الى كيخلى الكون بعداعمير  
ويلا ايريد لو تعمارو \* يضحى افساعتو معمـور  
لطار ما عملت الفـتـارا \* وناكما اصبحت افبيتى ظلت ما قدرت انسير  
وامعاى كتابى مختارو \* يدري الشعر والمنشـور  
وفى القسم الثانى يطلب الشاعر من كاتبه أن ينبه الاغنياء الى أنهم

(I) سجلناها من المذيع غير منسوبة الى صاحبها، وسألنا كثيراً من الاشياخ فلم نهتد الى معرفة اسمه والغالب أنه معاصر .

مصاييح التنوير وراحة المتألم ، يجب عليهم الا ينسوا مواطنيهم الضعفاء ؛ ويرسم صورة للعامل الاجير يكدر الشتاء صفو حياته حيث يظل يدور طول النهار يبحث تحت المطر عن عمل يكسب منه قوت يومه فلا يجد . ويعود فسى المساء الى المغارة التى يسكنها ويفترش فيها مع أسرته الحصى ، فيدخل حاوى الوفاض نارغ اليدين وقد تعثرت قدماء من شدة الكدر والهم ، ويلتف حوله الاطفال ، وتحس زوجته بحقيقة حاله ، وتحاول تصبيره على ما قدر الله ، فهى من أسرة نبيلة كريمة راضية بعيش الحلال مهما كان قليلا : ووجود مثل هذه الزوجة فى بيت الرجل الفقير عمارة له :

قل الكاتب لهل لغارا \* عار لفكار اعليكم يا مصاييح التنوير  
انتم افشعنا دكارو \* وانتم راحت المعكـور  
الى ايظل يخدم بجارا \* انهار تاتيه الشتوا كيظل فى تدير  
من حيث مادرك مسوارو \* او يظل افطار ايـدور  
وايعود افلعشى اللـغارا \* فين يوجد لطفال وزوجتو اعلى حصير  
ويشوك اللحم واشعارو \* لوصاب لرض به تنغور  
ويزند ؟ بلقـدام العشارا \* والدرارى به ايدوروا اكبيرهم واصغير  
واتحس زوجتو بكـدارو \* واتقول هكذا مقـدور  
بنت لجواد نسل الخيارا \* راضيا بالعيش دالحلالون كان اقـصير  
اعمارت لفقير افـدارو \* زوجا ومنهـا مسرور  
وينستعرض القسم الثالث نماذج من الغرباء المشردين الذين يفدون الى المدينة ، وليس لهم فيها مأوى يجدون فيه الدفء ، منهم من يخنبي تحت الاقواس وقد ستر جسمه بازار أو لبس ثوبا قصيرا أو ممزقا يكشف عورته ، ومنهم كثيرون يذهبون الى المقبرة عساعهم يحتمون من الامطار ، ومنهم آخرون يتسولون فى الطرقات يسعون الى جود الاغنياء ، ولكن هؤلاء فى دورهم وقصورهم مدفأون فى البطاطين والازر لا يحسون بشيء ، وقد نسوا الكون والخلق :

ماريت من جاوا اللـعمارا \* امشردين ولشافى كطـيح بالتدير  
ماريت من جاوا اللـعمارا \* امشردين وصاـبوا الشتا ولا الفـاوانـصير

والدفع ما لقوا اثارو \* بين لقواس داروا \*  
فيهم امن اكساتو دزارا

فيهم يالغنى من لابس ثوب عل الجسم اقصر

فيهم امن اتبان اعوارو \* من شرگ افوسط المحصور  
واشحال متهم فالمقبيرا \* امكمشين امن امشاتي كطبح بالتبدير  
واخرين فالزناقي ساروا \* يسعاوا جود هل لقصور  
وانت اكما لبخيل افدارو \* ناسى الكون والمعمور  
وانت افيشك وتفشارو \* بين لبطاطن وليزور

وفى القسم الرابع والاخير يكمل اللوحة برسم ارملة لا قوت لها  
ولا كساء ولا نور ، تظل تدور فى البساتين تلتقط الفاسد من الخضر ، ولكن  
جسدها طاهر اشترت بالجوع طهره ؛ وها قد اقبل الشتاء بمطاره ، وهى  
تعلل اطفالها ، وتفكر فى وسيلة للتصرف فيما قدر الله ، فى حين يظل الغنى  
فى تعاليه وتعاطمه ناسيا كون الله وخلقه :

لو كان ريت كمن صبارا \* مات لها والدولادها افيوم اعسير  
اولا بقى لها تدخارو \* لا خبز ولا كسا لا نور  
واتظل فى ابساتن خضارا \* تلتقط الطايش والعيان والجسد اطهر  
بالجوع شاريا تطهارو \* واليوم جاتها لطور  
صبحت للدرارى حزارا \* وكنتم كيف المعمول فى اقضالقدير  
وانت افيشك وتفشارو \* ناسى الكون والمعمور

**اللاحظة الثانية :** ان الشاعر الشعبى لجأ فى الوعظ الى الخطاب ، وهو  
خطاب صريح مباشر قد يوجهه الى نفسه او الى غيره . ولعل مخاطبته لنفسه  
تعتبر من قبيل التجريد المعروف فى علم البديع حيث يجرد المتكلم من  
نفسه شخصا ثانيا يخاطبه ؛ بل انا كثيرا ما نجد الشاعر يوجه الخطاب  
لرأسه وقلبه ؛ ففي خطاب الرأس يقول ابن احساين فى «اللقمانية» :

لازلت نوصيك ولو صايا علم وعرفان \* راسى ياراسى ايلا اصغيتى لبدانى  
واعملت بوصايتى اتنال الدنيا والدين

ويقول ابن علي في «الوصاية» :

اراسى نوصيك يالزايد تعبى واشقايَا ۞ من خلطت هل جيلنا اعزل

ويقول ابن سليمان في «التوبة» :

تب ياراسى لا تشقى ۞ التاعب لابد من لفراق

لا تامن غالدنيا ابناسها غرارا

ويقول شقور :

بسم لكريم صفت انحاسى ياراسى بسم لكريم خلصتنى تخلص

ويقول المدني التركمانى في «الزهو» :

اراسى تنها من لمزاح ابناسو شواه ۞ والفى هل لفساد وخطا والفعل المدموم

ويقول علال العلوى :

اراسى واش ادلعميسا ۞ يزاك اخايب لفكر

الشيب اجرا اعلى الصغر ۞ وانت مازال افلعميا

مطموس القلب ولبصر

وفى خطاب القلب يقول ابن علي :

يالقلب اتفكر مافات الدوى والتالى \* كيف شافوه اخرين اولادرا واليا كيف اجرا

ويقول العلمى :

عدتى يالقلب الغافل تخطا الصواب

الصمت كيتولو لعرب حكما

مجدوه الناس القدا

واسكات عام افضل من كلما

ابغير ندما

وقد يخاطب الشاعر غيره على حده ما نجد عند المغراوى فى خطاب

الغافل :

يا غافل حضر بك ۞ لاتامن اقدار لغرور اسمع نوصيك

ويقول الشاوى :

حضر لدهان يالغافل اصغى لوصيتى المزيانا

ويقول الحاج ادريس لحنش :

أغافل مثلى اعلى اصلاح اسمعنى توصيك     بادر تب لله وحضر بالك  
وفى خطاب الساهى يقول بوخريص :

يالساهى عما يعنيه والعمر فان     قم واعزم واخدم يكفا امن اتفرعن  
وفى خطاب النائم يقول الشاوى :

يالنائم فق امن النوم راقب الفجر الطالع

قم تنغم ربحك واتفوز ابلغنايم والطاعسا

وفى خطاب الفاظن يقول العميرى :

ياالفاظن مغرور الواهيا افطن

وفى خطاب محبى الدنيا يقول العباس الحرار :

أغابطين فالفانيا ام السيات     غنموا اتوايها قبل الايفوت الفوت

وفى خطاب ابن الدنيا يقول ابن على :

لك يا ابن الدنيا خذ اوصايت الدهات الى مرويا

قول مؤمن لك اعطاها اوخوك فالله

وفى خطاب قبيح الافعال يقول محمد ولد سيدى بوعمرو :

زال حكمك من صرفك يا قبيح لفعال     يالى عن منهاج السالكين ما يل

وفى خطاب الواله يقول الحاج محمد بن عمر :

يا أخ الولهان بهموم الدنيا الفاتنا

من شطنت لنا اقلوبنا

عشنا كالحيوان

لا من فاق ابتمجانو

وفى خطاب الصاحب يقول الشاوى :

رد بالك يا صاح اوصغ طرز لقوال     كن عايق فايق خذ لشيا بمهلا

وفى بعض نصائح السلوك الصوفية نجد الخطاب يوجه للمريد كما

عند ابن رموية اذ يقول :

يامريد وجه قلبك واقرا لوح الشهود



أو الى الفاهم كما عند الشريف المرباط محمد المنالى اذ يقول :

يا فاهم صغ لنظامى اوكون فاهم \* ردت نوصيك أوصايا فى اطريرق لخوان

**الملاحظة الثالثة : ان فكرة تنبيه الغافلين المتهافتين على الدنيا جرت**

بعض الشعراء الى تخصيص قصائد للتذكير بقدرة الله وعظمته على حد ما فعل

المغراوى فى قصيدة له تناول فيها تكوين الانسان وخلقه ، ومختلف أطواره ؛

يقول فى أولها :

سبحان المهيئ خالق الانسان \* من ماء مهين والاصل صلصال

لآدم أبو البشر امعزوجتو صفوان \* منهم ذا النسل افلزواج نسمال

سبحان امن اخلق جميع لوجود شاهد \* لله بالشنا والحمد والتوحيد

سوى امن اكفر بجهالت لاحد \* عن نهج لهذا ضل اشقاء اعني

شان الله اعظيم كيف ينكر الجاحد \* واشهود اقدرتو فى اصنعتو ترشيد

وفيه يقول :

كم قد اتى افحكيم القرآن \* تطوير انشيت من حال الحال

نظفا ثم علقا افاول النشيان \* مضعا ثم لحم اعظم اوصصال

وعلى حد ما نجد كذلك عند ابن على العمرانى فى «الذرة» التى يقول فى

حزبها :

يا ساهى من نومك فق منبج الرب \* لمتا وانت تايه افلغرور لـراب

الصلاح والسلام اعلى اخيار لتسبب \* سيدنا محمد طه اشقيع لعراب

وفى عروبي منها يقول متحدثا عن الذرة وكيف قسمها الله أربعة

أقسام ، الاول للرسول عليه السلام ، والثانى للقلم ، والثالث للعرش ،

والرابع للكبرى :

من نور اقبض قبضا واقسمها \* اعلى ربعا اكما امن الدار حادت

القسم اللولى للحبيب اجعلها \* وقال لها كون محمد كانسم

والقسم الثانى لقلم انشامنهما \* ومن القسم الثالث العرش الثابت

والقسم الرابع للكبرى ورثها

الفصل الثالث

مع الناس

لكل انسان فى مجتمعه علاقات تربطه بالاناس الذين يشاركونه الحياة فيه أفرادا وجماعات ، وهى علاقات تتسع وتضيق بمدى اتساع وضيق النطاق العددي لهؤلاء الناس ومدى متانة وفتور الروابط التى تشده اليهم أو تشدهم اليه . ويمكن اعتبار هذه العلاقات عند الشاعر الشعبى من خلال مستويين ، أحدهما عام والآخر خاص . اما العام فيتمثل فى نظرتة السى الناس كجماعات واهتمامه بمشاكلهم وقضاياهم وتجاوبه معهم فى رضى عن سلوكهم أو نفور منهم فى سخط على هذا السلوك . وقد عرضنا لهذا الجانب فى الفصل السابق لما رأينا فيه من تكميل لرؤية الشاعر الى الحياة وبلورة هذه الرؤية وتوضيح لاتجاه الحكم والعظات التى نتجت عنها .

وأما الخاص فينحصر فى العلاقات التى تربطه بأفراد معينين ، قد تكون لهم فى نفسه أو فى المجتمع مكانة تقدير واكبار ، فيثنى عليهم احياء وأمواتا ، مدفوعا بالحب الصادق حينما والتقرب والتعلق احيانا كثيرة ؛ وقد لا يكون لهم فى نفسه غير الشعور بالمنافسة والخلاف والخصام ، فيصعب عليهم جام هذا الشعور ذما وتعييرا فى غير هوادة او لين . وهو الجانب الذى سنتناول فى هذا الفصل ، نقصد به فنونا ثلاثة هى : المدح والرثاء والهجاء .

#### أولا : المدح

من عميق ادراك الشاعر الشعبى لما هية الشعر ودوره انه ابتعد عن فن المدح انشاء وانشادا ، وفى غير قليل من الاهمال والازدراء ، وكأنه أحس بما فيه من فتور العاطفة وتكلف التعبير وزيف الدوافع ، وخلوه نتيجة ذلك من امتاع الذهن وان شعور ، فلم تتفتح قريحته للنظم فيه ، وجاءت قصائده لذلك قليلة ، وهى على قلتها لم تجذب الحفاظ اليها والمنشدين ، فكان أن ضاع أكثر انتاجه فى هذا الفن ، الا ما كان منه فى مدح الرسول عليه السلام (1) ، فانه انطلق فى أجوائه ، تسعه عاطفة خالصة اساسها

(1) خصصنا له الفصل الرابع من باب الموضوعات .

العقيدة الراسخة والحب الصادق ؛ بل انا نجد الاشياخ - شعراء وحفاظا حين يطلقون تسمية المدح او «المداحي» لا يعنون بها غير المديح النبوى . وبين ايدينا نص يفيض بهذا الروح ، يعيب فيه بوعمره على الشعراء الذين تخلوا عن تمجيد المكارم والفضائل ، وغدوا يمدحون الناس ويصفونهم بما لا يتخلون به ، وهو يفتقد فى الممدوحين خصال الثناء ، ويرى ألا أحد يستحق المدح غير الرسول الكريم :

قال الاديب اعمره \* اد اعلى الشعرا

اسمعنا عن الاعيان \* فقديم الزمان \* كانوا يمدحوا الاحسان  
واليوم تمدح الانسان \* وتقول ذا فلان \* ساعا توجدو عجزان  
اصغ غايت الرقيب \* يامن هو البيب \* لك فالداس اعدو وحبیب  
تمدح ياأخى لنجيب \* وتقول ذا اريب \* وترى السعد فيه ايخيب  
امن هو البيب احسب \* فى ذا الجيل اغريب \* هذا صبح ابلا تكذيب

نجم الثنا قد غاب \* عنا حقيق واغبا

وانبطلت لنساب \* رجعوا لكرام تربا

وكذلك الاصحاب \* لاتامن الصحبا

نحلف لك اعظيم ايمان \* حقيق بالبيان

ما تمدح ولا انسان \* سوى سيد الثقلان

تذلك نجد الشاعر العباس الحارر يعتز فى بيت من قصيدته الفخرية

أنه لم يرفع بقوائم شعره سطوة ملك أو طاغية جبار :

أنا الذى ما رفعت بقوايم شعرى \* سطوت مالك شامخ او اطفى جبار

ومن ذلك ، فقد وفقنا الى تدوين عدد من القصائد ، ومن أهمها مجموعة

مدح بها السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام (1) ، والمولى أبوبكر بن

السلطان الحسن الاول (2) وكان خليفة فى مراكش للمولى عبد الحفيظ (3) ،

والملك محمد الخامس (4) ثم ابنه الحسن الثانى

(1) تولى من سنة 1238 الى 1276 هـ .

(2) تولى الحسن الاول من سنة 1290 الى 1311 هـ

(3) تولى من سنة 1325 الى 1330 هـ الموافق 1912 م .

(4) تولى من سنة 1927 الى سنة 1961 م ، حيث خلفه ابنه الملك الحسن

الثانى

أما الموثى عبد الرحمن فيمدحه ابن سليمان ويذكر استعداداه فسى  
مراكش للخروج الى حرب فى الحوز لم يشهد لها مثيل ، زاده وجود  
السلطان بهاء وهناء ، فابتهج الناس وانطلقت السنة المنشدین تلهج بشجاعته  
وجوده وعقله ودكائه :

فرجا يا بهجت لحضر وانزها \* زاد سيدنا فنهاها  
اعلى اسرور الملك افرحو كل اعقول \* واتبشرو يا بهجت لمدون  
وهو ياسميدى وعلى ازهوك ناسك تنشد بفصاحت السون  
وهو ياسيدنا لهما بن الامام لمجد بن سيدى هشام  
اشريف امن اسلام ضى لنيام

اشجع امن الضراغم والجواد عل الخلايق  
فالحوز غنمت به طيف امنها \* صاحب لعقل وانباها  
قام حارك بها جميع لحروك امثول \* ما شافت عوضها اعين  
ويخبرنا الشاعر بتقليد للسلطان يقضى قبل الخروج للحرب ان يزور  
على عادة اسلافه ، رجال مراكش السبعة (1) ليفوز بذخيرة اهل الكمال  
وينال مقصوده :

وهو ياسميدى ومنين وجد الحركا واسكاد الشور  
افعل ما فعلت اسلافو لفضال  
طاف عن سبعتو رجلا  
فاز بذخيرت هل لكمال  
حاجتو نال

ونجد العلمى يدعو له الله أن ينصره ويهزم اعداءه الطغاة المتجبرين :  
عث لهما ابريج النصر يانقهار \* ونقد ادعوتو فالطقات ولجبابر  
ويتوسل اليه تعالى أن يحفظه من كل ضرر :

يامن رسى اجبال وارصدها بصخور \* وابحور الطاميا ابقهر و محصورا  
واحجب ضو النهار بظلام الديجور \* واهزم لغسيق ابلقجر باهى الصورا  
ياعالم ما بدا وما تخفى لصدور \* سلتك بملايك لحجوب المشهورا  
احفظ ذات لهما من كل اضرورا

(I) هم اولياء هذه المدينة المشهورون : يوسف بن على والقاضى عياض وأبو  
العباس السبتي والجزولى والتباع والغزواني والسهيلى .

ويرجو الله ويسأله أن يكسوه حلة من نور هيئته ويؤيده بالنصر  
والحكمة ويوجد عليه بما يبهجه ويسره ، وأن يسعد حظه أينما حل ، وبيارك  
فى عمره ، وأن يجعل دعاءه على أعدائه كدعاء نوح على أصحاب الطوفان :  
يا جليل اكسه حلا ابهيتك نور \* وايدوا بالغلب وكرموا ابما ايسرو  
وظفرو بالحكما اوله سكم الشور \* افكل بقعا بارك ياربنا افعمرو  
اجعل ادعوتو دعوت نوح النبى المبرور

اعلى اصحاب الطوفان بدعوتو انبترو  
ويطلب الله أن يفتح له باب التيسير وأن يجعل الاولياء والصالحين  
جيشا لحمايته يدافعون عن كلمته ويغيثون ، وأن يعينه ويحفظ جيشه  
ويؤيده علمه بالنصر ، وأن يهزم قوم الفساد والزور المخالفين :

افتح لمام غربنا باب التيسير \* والصالحين جيش لحماه ايصيروا  
حق اعلى اكلمتوا يوكدوا ويغيروا

نعم المعين عن لهما المنصور \* واحفظ جيشوا وايد علمو بالنصر  
واهزم قوم لفساد واهزم قوم الزور \* وافن قوم لمخالفا بسنون السمر  
وقد عم الازدهار عهده فربح التاجر والمتعلم ، وغدا الصبى الصغير فى  
الكتاب يتقن تجويد القرآن الكريم :

انزايه ايامو ظهرت لو افجمع لقطار \* نال كل من اقرا واربح كل تاجر  
توجد الصبى فالمكتب اصغير محضار \* ايجود الآى تجويد لفقيه الماهر  
وبرى فيه الفقيه العميرى أميرا للمؤمنين شجاعا رفيع الشأن شريف  
النسب من قريش ، يتوسل به الى الله أن يعم الامة بالاحسان :

رفيع الشأن \* ماتهمو شجاعان \* فحروب امدان

نسبتو عدنانى \* من قريش مير المؤمنين

أيا رحمان \* كن لى مستعان \* بمن تلا القرآن

ودنى واعطانى \* اعطاء من خير الدارين

بوجود السلطان \* مولاي عبد الرحمان \* عمنا بالاحسان

انمجذو فزمانى \* من احكم فالبرين وبحرين

انقاد له الزمان وارخى له الدهر عنانه فاصلح احوال البلاد واعز  
الله به الاسلام :

اعطاء الزمان \* الدهر ارخى لوعنان \* اصلح به البلدان  
حقنى وارضانى \* الله بحكامو عز الدين  
وعند عزوز اللمتوني انه اعز الملوك ، نادت مدينة مراكش بصولته  
ونصره ، فهو سلطانها ومولاها وسليل الرسول :

لك البهجا ندادت \* يابن هشام السلطاني  
صول اعطاك الله النصر يا عز الملوك \* مولاي عبد الرحمن  
انت هو السلطان \* وانت هو مولاها  
مولاي عبد الرحمان \* نخبتم لمفضل طه  
وهو خلاصة الاشراف ورأفة الله بالعباد ، أمن الخائف وأغاث اللهفان  
فغدت الايام حلوة والاوقات ضاحكة ، كما ضحكت ثغور الذين احبوه  
بجوارحهم حب الظامى للماء :

هيا خالص لشراف \* يالهام الهشامى  
بك الله عنا راف \* يامول القدر السامى  
أمن بك الخواف \* ياغيث الشرب الظامى  
ايام الدهر احلات \* واضحكت اوقات الزمان  
كيف اضحكت افواه واجوارحها جبوكة \* حب الماء للظمان  
وأما الخليفة المونى أبو بكر فيمدحه محمد بن لقزين بأنه هلال ساطع  
سعدت بنوره كل المدن والقرى وجميع أركان المعمور واقطاره ، وهو  
كريم وفارس وشجاع بل هو أسد الاسود ، ومن سلالة الافاضل النجباء  
ذوى السر والعز والمكانة العالية ، وعدهم الله بالنصر وايدهم بجيوش قوية  
تبادر فى الجهاد للانقضاء واخذ النار :

لهلال الزاهر \* به سعدت واعنات امدينت لحضر  
جوف اقبلا امع لعمارا \* والتل وسائر منازل فى كل اقطار  
ضرم لقساور \* صيبت النجبا تفضال اهل السر  
من بهم العز والتجارا \* ناس الدرجة العليا هما هل لسرار

سطوا وادخاير \* . ودهم المولى بالعز والنصر  
 واعدهم لجهاد فالنصارى \* . برزاييم (1) ولقواس وقنا اورمع بتار  
 توكد واتكاير \* . فى بحر الهوشا وفحومت السقر  
 وقت اماركو من ليغارا \* . بقديو التار بالعزم ابلا توخار  
 صال بعساكر \* . ولمدافع وارجال وخيل تنشكر  
 والشجعان امقلد ازكارا \* . ابامر الله ربنا لجليل الستار  
 حلت لبشار \* . بالخليفة سيدى مولاي بوبكر  
 يم القرا فارس لغزارا \* . مسعد لسلام كافا بالليث الغزار  
 وهو بعد هذا شريف النسب ، بحر فى العلم ، خطيب على المناير  
 تزهى له الارواح وترقص اغصان الشجر ويفوح طيب نسمات الازهار ،  
 ثم انه لايفتا عن ذكر الله ينقى به الهموم والاكدار :

النسب الفاخر \* . يم لعلوم الفالح صاحب الذكر  
 نافي شغف الهول ولكدارا \* . به ازهات الرواح جن او انس واطيار  
 ما بين امنابر \* . ابلعطوف رقصت القطبان فالشجر  
 هب انسيم الروض ابلبشارا \* . ونفح طيبو امن الرضا بنساييم لزهار  
 وعند عبد الرحمان ابن الفقيه الحاج الطاهر انه خليفة السلطان المولى  
 عبد الحفيظ نعم الخليفة ، بمثله تفخر الخلافة فى كل عصر ، واذا كان  
 السلطان سعيدا فى كل مناطق مملكته فهو بخلافة المولى ابى بكر اكثر سعادة  
 اخليف المالك فى ذا الجيل \* . على الهما بالتجليل  
 جل ونعم لخلافا به فالعصر تفتاخ \* . ضمها العز الوافر  
 من اسعادت مولاي حفيظ ابساير لقطار \* . اسعد بخليفته اكثر  
 بتمام شفائه (2) استقام الحظ وعم السرور مدينة مراكش ، وقند  
 دعا الاشياخ للحفلات التى اقام فلبوها فرحين مبتهجين :

بكمال راحتو متسقم لنا الشور

تلقى السرور بالراحا فالبهجا \* . انحمدو مرفوع الدرجا

- (1) ج رزامة وهى الصخرة الكبيرة او القطعة الثقيلة من الحديد .
- (2) يبدو أن القصيدة قيلت فى تهنئة الخليفة بالشفاء من مرض .



كايناديننا للفرجا

فالسلا ما لبات اقلوبنا القول الذاكر \* فرحنا اضحى متكاثر

ايجاب التلبيا بسرورنا اتبشر

وتوضح غايت لخبر

وهو محروس بالسبعة بدور رجال مراکش

محروس عز لخلایق بالسبع ابدور

منهم سيدنا يوسف مول الفار

والذي بالشفأ (I) يذكر

وليمام السبتي غيار

له سندا مركز الاوليا ابيدو داير

...

والمجد صاحب الدليل (2) اعنصر ايفور

فكفالتو يجعل احراكو واسكون

وحرم سيد التباع ايكون

له رقا واحجاب ايصون

سر وعلان

الغزواني احققوا ببشائر

جالين كل ادخاير

ابسيدنا السهيلي يسهل جمع لامر

فقصد مولاي بوبكر

ومثل هذا وذاك نجده عند الشيخ عمر المراكشي ، لا يضيف الا انه

نجل السلطان مولاي الحسن ، وأنه جزيل العطاء للقريب والبعيد ، وفريد  
عصره في الكرم :

نجل الملك طلعت البدر السانسي \* ياسيدنا \* سيدى مولاي بوبكر

...

يانجل الماجد الشريف الحسانسي \* ياسيدنا \* ياغايت كل امن اتضر

(1) كتاب «الشفأ في أخبار المصطفى» للقاضي عياض .

(2) كتاب «دلائل الخيرات» للجزولي .

معطاك اجزىل عل القاصى والدانى \* ياسيدنا \* فالجود فارد العصر  
ومن المدح الذى قيل فى محمد الخامس مانجده عند محمد المودن  
التطوانى يصفه فيه بأنه الهام نور عينيه ، نصره الله واعطاء سطوة  
فاقت سطوة كل من سبقوه ، شبيهة بسطوة هارون الرشيد وعبد الملك  
ابن مروان ، به يفخر العصر ويباهى ، حاز الادب وحسن الخلق والتواضع  
والدين المتين ، ثم انه من ذرية الرسول عليه السلام وسلالة الملوك :

نصرو ربى يستاهل النصر \* سيدى محمد لهام نور اعيانى  
اعطاه الله سطوا عطلت سطوات \* دوك اللى فايتم فى لزمانى  
كسطوت هارون الرشيد \* ومالك بن مروانى  
اعلى لعصور اتباها عصرنا \* واستفخر بذا لهام يافاهم لوزانى

حاز الادب وحسن لخلق \* امع التواضع مايجب الانسانى  
ثم الدين لمتمين \* زاد خاصو به الرحمان  
ملك بن الملك ولد ملك \* دار الملك يا فهمم التبيانى  
من ذريت عين لوجود \* التسامع فالعصيانى  
ويتوسل الى الله ان يصلح رايه بحرمة اسمه العظيم :

تصلح ريقو يا كامل لسطوا \* حرمت اسمك لعظيم يا رحمان  
ولادريس الزمورى قصيدة خلد بها حفل (I) وضع الحجر الاساسى  
للمدارس باب شمالة المعروفة بمدارس محمد الخامس ، يمدحه فيها بأنه نهض  
بالعلم وانشأ المدارس واقام المساجد ، فأتاح للشباب أن يتفقه فى الدين  
والعربية واللغات وعلوم العصر :

يجيا يجيا ملك غربنا سيدى محمد الشريف الحسانى  
كيف احيا لمدارس امعا العلم وامساجد للدين  
فى ايام المبروكا لسلام العصريين اتفقوها فكل لديانى  
حتى العجم وعرب اقراوهم دركوا جاء امتمين  
بوجود نعم الملك لمشرف واقف احريص ابقلب ذاتو يقظاننى  
اعلى لمساجد وامدارس للقرايا واشيات اخرىمن

من علوم التوحيد وعلوم مصريا واقرأوا القرآن  
يتفقهوا فى دين لسلام واقواعدو المثبتين  
فحياتو المبروكا اتزادت امساجد وامدارس اللقرايا ببيان  
واتجددو لمساجد اللى اقدام ببنى فى تحصين  
وبعد استعراض مظاهر الاحتفال ، وصف وضع الحجر الاساسى لهذه  
المدرسة التى ستكون فاتحة خير كثير ، دون ان ينسى اكتتاب سكان الرباط  
لاقامتها وافتتاح الملك لهذا الاكتتاب بمبلغ مليون ونصف من الفرنكات :  
من بعد هذا الخطبات وقف لهما حجت الساس فارح قلبو هانى  
نزله بلطافا فى ساسها بالفتح المبين  
تحقيق دا المدرسا افغربنا فيه خير اكثير للسلام بالبيانى  
آذن عنها ملك غربنا نجل الحسين  
هو الاول معدن الجود اتكرم من مالو الخاص دون الكتمانى  
مليون ونصف مليون اهداء سيدى ولا تونين (1)  
وامر هل الرباط كلها تغنم دالاجر ولفضل يالحسانى  
لاين هذا هو الخير هذا ارباح الدرين  
وهو فى مدحه للسلطان يذكر انتسابه للرسول الكريم ولسلالة ملوك  
هو ياقوتها المضيئة ، وهبه الله الحكمة والعقل ، وأحبه فغدا محبوبا عند  
الشعب ، لم يتقدم مثله فى المغرب سلطان :  
بوجود هذا الملك ونعم ملك اصل الملوك نسب طه المدانى  
هذا ياقوتا منهم اضوات ابنور مبين  
هذا الملك الله فيه اوضع حكمت واعطاء اعقل نور نورانى  
هذا حاز الملك الشميخ والسعادة للمسلمين  
هذا ملك محبوب عند ربى وعند العباد افلحضر والعربانى  
هذا سلطان مافات فى غربنا مثلو بعقل افطين  
وعند العيساوى الفلوس انه رمح فى الحروب مهند يجدد ثوب العز ،  
وأنة صاحب المجد ووارث العلوم من الاجداد ، وأنه أسد تسعد بصولته  
(1) دون من باعطاء المبلغ .

العباد ، اختاره الله وجعل ثناءه مخلداً في القلوب ينقذ فيها حكمه ، وقد  
سعد من جعله عماده وسنده ، فهو ينبوع الفضل والجود ، من لم ينظر الى  
عرشه بعينه يظل بصره عليلاً وقلبه متجمداً يعاني من جراح لالتئام :

العين بك تراك امجد

رمحك افلحروب امهند

واثنائك افلقلوب امخلد

يا صاحب المجد

يا وارث لعلوم ولعنيا من جد الجد

يا ضرغم لحميا سعدت بك لعباد

واختارك لجليل الجيد

حكمك افلقلوب امنفد

يسعد امن اعليك امسند

ايولوج نكدو

يا ينبوع الجود ولفضل شلا ما ينعد

من لاشاف افعرشك ياسيدي ابليتام

بصرو ابلا اشكوك امرمد

قلبو عل لبدا متجلمد

لازال افلجراح ايكمد

ويراه قد فاز بالانتساب للنبي الكريم وحاز جميع المزايا والمفاخر  
والامجاد ، ويدعو له الله أن يديم صولة نوره المحمدى الذى اضاء نجم  
المغرب :

دام الله ايام صولت النور المحمدى ﷺ من به اضوا نجم غربنا سيدى محمد  
حاز الفخر ومجد ولمزيا نجل المهتدى ﷺ سلطان المغرب نورنا سيدى محمد  
ومن مدحه بعد هذا ما قاله مولاي احمد العلوى متغزلاً فى جمال صورته  
وعينه الشبيهتين بعينى الغزال :

نصر الله اجمال صورتك يانجلالات الشاد ﷺ اتهليل الزين ولبها سيدى  
محمد

ويقول كذلك :

الله ينصر احسان اجمالك \* يا ذات الادب والطفاف يا نور اتمادي  
ولعله كان متوقعا أن تكون وفيرة حصيلة القصائد التي مدح بها محمد  
الخامس ، لما كان يتمتع به من شعبية نتيجة مساندته لكفاح الامة من اجل  
التحرر ، وما عانى من جراء ذلك ، ولكن كثيرا من هذه القصائد ضاع بسبب  
منع حكومة الحماية لترديد المحفوظ منها وبسبب ائتلاف الشعراء لما دونوا ،  
خوفا من عمليات التفتيش التي كانت تقوم بها سلطات هذه الحكومة فى  
البيوت . وقد ذكر لنا بعض اشياخ فاس أن العيساوى الفلوس كان اكثر  
الشعراء مدحا لمحمد الخامس ، ولكنه اضطر تحت ضغط مضايقات السلطة  
والخوف من البحث والتفتيش الى دفن مجموعة كبيرة من قصائد هذا المدح  
فى احدى المقابر .

حقا ان عهد الاستقلال أتاح للشاعر الشعبى ان ينطلق فى مدحه ،  
ولكن اسراع الاحداث وتوالى المناسبات ورغبة اجهزة الاعلام ، والاذاعة  
خاصة ، فى أن يواكب الشعر الشعبى هذه المناسبات وتلك الاحداث ، كل  
ذلك جعل الناظمين - وهم قلة معدودة - يتكلفون مدحا يطفى عليه التقليد،  
مثاليا من كل روح ، بل يبدو فى أغلبه وكأنه ليس غير مسمخ وسمخ  
لبعض قصائد الغزل او مديح النبى وآل البيت والاولياء . وهو احساس  
نشعر به ونحن نستمتع الى القصائد التى تذاع فى مدح الملك الحسن الثانى  
كهاته التى يقول مولاي احمد العلوى فى حربتها :

الله ينصر سلطان هل لبها الحسن \* راحت اعضاء روح الروح سود  
لعيان  
ومنها قصيدة لسلام الفاسى يقول فيها :

حيالك الله يالبدر السانى ياهلال نور اعيانى

ياالحسن الثانى بأرفع لاسم تاج المغرب سيدنا

ومنها كذلك قصيدة للشيخ عبد القادر مدحه فيها بمناسبة استعراض  
الجيش ، يقول فى حربتها :

فرحوا بالخوان بالجيش الملكى اديالنا \* قايدعم لكبير سيدنا مولاي الحسن  
من له لجنود طايين

وعندها قصيدة لعلاها لاحيد سهوم هذه حربتها :

قائد الجيش اهماام الشعب نور لتمام  
على اننا الى جانب هذا المدح الذي استعرضنا أهم نماذجه ، نجد  
لوقفا آخر من المدح «جماعيا» اذا صحت هذه التسمية ، على حذما نصادف  
عند الحسن بن شقرون في رجال الطريقة الفتحية (1) يمدحهم بأنهم نور  
وشعاع وضياء للعيون وعلاج للعقل والروح ، من شرب خميرتهم ارتوى في  
حضرة الرضوان ، تسقيه تؤنسها ايدي محبيه ، وغدا متجليا في بساط  
السلوان ، يسلك طريقا تغمزه الافراح ، وجعله الله في مقام العز ومنحه  
السر والفضل والفتح :

ناس الفتح القلوب نور واشعاع اضيا لعياني  
واعلاج الروح ولعقل منهم امن اسقاه  
باح ابتمرت لحياب وارتوى افحضرت الرضواني  
بكسواب اللي اتناول ببنان امن اهواه  
فيه اتجلى يشراع في ابساط البسط السلواني  
واسلك منهاج ابلفراح ايوا في من راه

#### ثانيا : الرثاء :

ويطلقون على قصائده تسمية «لعزو» او «لعزا» ، وهو مثل المدح في  
نظر الشعاع الشعبي ، لم يقبل على النظم فيه ، بل انه كان اكثر منه عرضة  
للضياع لعدم مناسبة موضوعه للانشاد والترديد . ولولا ان بعض المعتنين  
دونوا في كتاباتهم نماذج لهذا الفن لكان ضياعه كاملا .  
ومن أقدم هذه النماذج قصيدة للحاج اعمارة في وثناء الشاعر عبدالله  
ابن احسان ، يبكيه فيها ويطلب من الشعر ان يبكي على أبيه كالمرأة  
التكلى وينوح كالطائر الغريب في الليل وأن يسقي من دموعه جذور النخلة  
التي كان يجلس في ظلها لينظم ، فلن يحلو له العيش بعد عبد الله ، ولن  
يعرف كيف يتصرف في الشعر ويخرج من مأزقه :

---

(1) احدى فرق درقاوة مضموبة لشميخها فتح الله بناني الرباطي .

ابك اعلى اباك اشعري ابكا دشى امرا ثكلى

او نوح كينوح ورشان اغريب بوحودو فالليل

ابك اعلى اباك اشعري واستقى اجذور ذا النخلا

اللى اشحال (1) من شعر احداها رصعوا باك اكبيل (2)

العيش بعد عبد الله او الله كاع مايحلا

ونايلا امشى عبد الله ابقيت فالشعار اوحيل

وللحاج اعمارة كذلك قصيدة فى رثاء الشاعر **بوعمر** يتساءل فيها

عن شعره لم لاينطلق ، وعن دمه لم سال على الخد كالنهر ، وعن ذاته لم

ارتعدت ، وعن فكره لم تجمد وقلبه لم خفق وقد جرحته الهموم :

مال دمعى عن خدى واد\* مال ذاتى فيها رعدا

مال قلبى خافق فدفاذ (3)\* جرحتو الف غدا

مال عقلى يا ويحى باد\* مال شعري ما يتسدا

وهو يتألم ويتأوه لفراق حبيب قلبه الفذ النبيل المنير الذى برز فى

النشود والغناء فغدا لايعوض :

أه اعلىا يالعباد \* من افراق احبيب الكباد

النبيل الفذ النشاد \* سيد من غنى او اشدا

بوعمر المنير الوقاد \* لحبيب الا ليه افدا

ومن أهم قصائد هذا الفن واشهرها **مرثية المغراوى فى المنصور**

**السعدى** (4) ، وهى كلها حديث عن فراق الاحبة والبكاء عليهم ، لم يتعرض

فيها تذكر شئ عن الرجل ، بل ليس فيها مايوحى بالموت غير حربتها التى

أخبر فيها بأن عام موته عام حزن وأنه لم يعد للسعديين (5) مايرجعون به

كفتهم :

---

(1) اشحال بمعنى كم

(2) من قبل

(3) من فدفاذ بمعنى طار

(4) توفى سنة 1012 هـ .

(5) دامت دولة السعديين من 961 الى 1069 هـ .

عام شايب مات الذهبي اخيار لثراب \* مابقى للسعديين باش ايرجحو  
فقد رمى الفراق الشاعر بسهم غاصب من قوسه أصاب قلبه وزاد  
فضربه بسيف ضربة هدت كيانه :

لفراق ارماني قوسو ابسهم غصاب \* ماخطاني مكن قلبي او لوحو  
بعده ما مكنتي جاني ابسيف غلاب \* هذني واهزم ديواني وجيحو  
ولم يكتف في الرمز لقوة الفراق بالقوس والسيف ، وانما جعله أميرا  
يصول في حزم وشدة ، يقود جيشا ماكاد يصل حتى أطلق عليه سهام وتره  
الشديد وضربه بالحسام ضربة قاتلة :

جاني مير لفراق صايل متحزم \* واقصدني للفنا ابجيشو واعلامو  
بوصولو لاحتي ابلبساط امسهم \* من وتر اشديد ماخطاني بسهامو  
واضربني ضربت لمقاتل بسهامو

وهو من اجل هذا يحق له أن يسهر ويبكى بالليل والنهار ، وينوح  
نواحا تتعجب له الغربان وتشيب :

ايحق لي نبكى للفرقا النهار والليل  
\* انقطعوا ساهر وانجدد اعلى اصباحي  
وانكثر من دمع المهرق كالسيل

\* اتعجب واتشيب الغربان امن انواحي  
ويلومه الناس على البكاء فيطلب منهم أن يتركوه في حاله وقد بان  
عنه احباؤه ، وغدا من وحشتهم كالطائر الذي قص جناحه بعيدا عن أهله  
ووطنه ووضع موثقا في قفص ، طأل فيه سجنه وكثرت محنه :  
دعني يالايمي اعلى لفراق نبكى \* غابوا عني احباب قلبي مابانوا  
راني من وحشتهم في حالا نحكى \* طير امقصص فارق اهلو وطانو  
في قفص اوثيق طال سجنو وامحانو

وعنده أن في البكاء راحة للذي التهب قروحه ، وأن الدموع تطفىء  
ناره ، ولولا البكاء لذاب قلبه وضلوعه من لهيب الجمر المشتعل في مهجته ،  
أما تنهده فتهد له الشواحق وتنحطم الاشجار :



لبكا راحا للمقروح من الهييو \* عندما يبكي تخمد بالدمع نارو  
اشواحق لو بانو بالنهد ايريو \* وارياض الناعم يتحطموا اشجارو  
مهجتي واضلوعى لولا لبكا ايدوبو \* اعلى الهييو شاعل فالقلب من  
اجمارو

ولكنه القضاء الذى جعل الفراق يعز عليه أن يرى روضا يانعا مزهرا  
فأبيسه واحرقه :

لقضا فرقنا والبين عند ماصاب \* روضنا متنعم حرقو وكلحو  
وتلك هى الدنيا تدور دواليها ، ممتلئة وفارغة ، محزنة ومفرحة ،  
جامعة ومفرقة ، مشغلة ومعطلة ، يكثر رزقها ويقل موقوتا ومحدودا ومقدرا  
كما يشاء الله :

هكذا الدنيا كدولاب اتحول ويتدور \* دورها يملأ ويفرغ فى كل حالا  
تارا بالحزن وتارا بفرح واسرور \* واجتماع وفرقا وشغال ولبطالا  
وارزقها المضمون ابوقتوا يفور ويفور \* كيف قدر بحكامو ربنا اتعالى  
وللحاج محمد النجار مريثة فى الفقيه حمدون بن الحاج (1) يترحم  
فيها عليه راجيا أن تظل البركة فى ابنه :

رحمت ربى اعلى لفقيه السى حمدون \* والبركا فخليفتو عز اولادو  
ويرى واجبا أن تراثه فأس وغيرها من المدن وان ينوح عليه المحبون :  
واجب تراثه فأس واقراها وامدون \* واكثر الحب فيه يقوى تفرادو  
ويذكر أن الفقيه كان معروفا بطبعه الحلو وبالجود والحياء والعلم  
والانشاد والاطلاع الواسع والتضلع فى الحديث وسنده ، وأنه ألف كتابا  
يحيى النفوس فاق فى أسلوبه ابن زيدون ، لو رآه ابن عبدون لانبهر :

---

(1) هو ابو عبد الله حمدون بن عبد الرحمن بن حمدون بن الحاج السليماني  
المرداسي توفى سنة 1232 هـ . وقد ترجم له ولده ابو عبد الله محمد  
الطالب بن الحاج فى كتاب «رياض الورد الى ما انتمى اليه هذا الجوهر الفرد»  
وهو مخطوط بخزانة الرباط العامة تحت رقم 396 . أما قصيدة النجار  
فى رثائه فواردة فى ديوان فى الثناء على ابن الحاج اسمه «روضة  
النيلوفر ثناء الناس عليه وبعض مناقبه التى هى اعطر من الادفر»  
مخطوط بخزانة الرباط العامة تحت رقم 383 D

غاب الشيخ الشهير بالطبع الممدود\* والجلود امع لحيا وعلمو وانشادو  
وانشأ حلا لشافها تنشط لبدون\* واتحلى ابلحديث واسما باسنادو  
يبهت لوراه فى احياتو بن عبدون\* سبحان اللى عطاء وارضاء وزادو  
وارقى بالفاظ رايقا عن ابن زيدون\* واعلى من باد فالحقيقا جتبادو  
كذلك نجد للكندور قصيدة فى رثاء المولى عبد الرحمان يرى واجبا فيها  
عليه أن يرثيه بدمع لا ينقطع كالقطر المتهاطل ، وأن يبقى طول عمره هائما  
حزينا عليه ، ويرى واجبا عليه كذلك أن يبكيه كما يبكي الذى فارق حبيبته  
فقد بيته خاويا مهجورا ، ولم يعد له من حبيبته غير الخيال ، وأن يبكيه  
بكاء الذى فقد أهله ضائعا فى السهول والجبال ، يبكي تارة وبتيه اخرى ،  
وأن يبكيه بكاء العليل الذى فقد الصبر والعلاج ، يسهر مرة ويغيب ثانية  
ويستيقظ تالثة :

أنا الواجب نرثى بدمعتى عن خدى طول الدوام كالودق الهاوى  
ونا الواجب نبكى طول عمرى هايم لكدان  
ونا الواجب نبكى مثل من فرق احبابو افلورى ابقى رسمو خاوى  
باقى غير اخيال لحبيب وما وجدو غابان  
ونا الواجب نبكى ابكا المفقود اعلى ناسو وتام فربا واسهاوى  
تسرا يبكى تسرا يتيه بين اجبال اوطيان  
انا الواجب نبكى ابكا المعلول اللى صبرو امضى ولاصاب امداوى  
تسرا ساهد تسرا يغيب تسرا طرفسو يقظان  
فالمصاب جلل والرء عظيم ، لذا فهو يعزى المسلمين فيه ، فقد كان  
ينبوعا للحلم والعلم ، اديبا نبيلا راجح العقل ، يعرف كيف يجرح ويداوى  
فذا فى كل شىء ، ليس فى اقطار الارض من يعوضه ، حجابا مسدلا على  
رعيته ، كم رد عنها من اخطار وأطفأ من نيران ، وكم انعم على رجال حكومته  
وحاشيته ، وكم فدا من قوم فى لحظة الموت ، وكم رقى رجال العلم ونهض  
بمجالسهم :

نفقد لهما الا انصيب عوضو فقطار الارض كان يجرح ويداوى  
أديب النبيل ارجيح افكل اشيا فذ اوديان

كم من صهديات (1) اطفأ اعلى الرعيا فالبحر ويرو لمهامه واعداوى  
وابقت احجاب الستر اعلى الغرب والذلف ولما

اما لاطف من قوم افلحكوما بالخير ايفوز كل من حرمو ياوى  
وما من قوم افدا افساعت الموت افكل اوطنان

وما رقى من قوم افلمجالس دا العلم الا ايحد سامع والداوى  
واحبيات امجالس العلم بين اكهول وشبان

وموت السلطان لم يترك اثره فى نفوس الرعية فقط ، وانما تركه فى  
خيول الركب التى غدت كالايتام مكوية بلظا جمر الفراق ، وفى المظل (2)  
الذى عاد ينوح من اليتم والهجر بعد ان كانت أيامه هناء وسلوانا ، وفى  
البنود والاعلام ، ونفوس الجنود الابطال الذين كانوا يسيرون خلفه لابسين  
افخر الثياب كأنهم عرسان :

خلى خيل الكاد اكم ليتام هداك الدايروم كالليث الكاوى  
بلظا جممرت لفراق ماقدوا افراق السلطان  
خلى لضل اينوح عن افراقه بلسان الحال صاب شلا ماناوى  
عساد اميتم مهجور بعد لهنا والسلوان  
خلى لمزارك ولعلوم والرايات ولبظال كلها بندو طماوى

كانوا فخلاف المير ليخرجو امثل العرسان  
وترك الموت اثره كذلك فى نفوس جوارى القصر النائحات وعبيد الدار  
التائهين وفى العلماء والقواد والوزراء ، وغدا المشور خاليا والاطيار نائحة  
على الاغصان ، وسكت صوت المغنيات اللائى كن يسرن خلف السلطان  
منطلقة اهازيجهن وزغاريدهن كابرعد :

خلى لجواد اعلى افراكو ترثى اكما ارثيت انا عل لفراق  
واعبيد الدار ابقاوا تايهين امع كل طريق كلها عقلو كاوى  
ويقولوا فالغاهم سيدنا غمتو لكفان

(1) ج صهد بمعنى الحر .

(2) يعتبر المظل من أهم مظاهر الموكب السلطاني .

والطلبا والقياد واتباعاها داك الدا اينوح بالدمع القاوى  
والوزرا فالغاهم كيقلو كنو ما كان  
والمشور فاضى عاد بعد توكت سيدى بن لبطل فات العلقاوى  
واطيبار عل لغصان كينوحو جهر وكتمان  
خلى لغياد اصواتهم خجلو ابعده اصوات لكوان مافيهم داوى  
كانوا خلف السلطان كن رعد اقمدت حيان  
وبلغ اثر الموت حدا ادرك خف السلطان وحذاءه اللذين باتا يشكوان  
الهجر والاهمال :

وابقايات امحائى اتماكو \* مهجور ما يوالم لطلوعو سناك  
والشربيل الباهى امساكو \* مهمول عاد كيدرك (1) تدراك  
والشاعر يتمنى لو استطاع ان يفديه بروحه ، ولكن عمره انتهى  
ولامناص لا قربائه ومحبيه من الصبر :

واسكن نعم السلطان قبرو \* لوكان ابلقدا برقبتي نفديه  
لكن نتهى حد عمرو \* الصبر واجب اعلى اللى دانى ليه  
تلك حال الدنيا الغرور ، اين هم الاقوام الماضون ، اين كسرى والظاهر  
والرشيد والقوم الشجعان؟ كلهم ذهبوا ولم يبق الا الله سبحانه ، خالق  
العباد وقاهرهم بالموت وانحاكم عليهم بالقهر :

هاذى هي الدنيا الفارا وين القوم اللى امضاوا وين الكسراوى  
وين الظاهر وين ارشيد وين القوم الشجعان  
ولا دامت الا المن انشاها من قبل الا ايكون العامر والسخاوى  
سبحانو جل اجليل ربنا سبحانو سبحان

سبحان امن اخلقنا وبالموت اقهرنا بعد لحيات الجليل القوى  
واحكم بالقهرا اعلى اعبادو نعم المنان  
وربما كان من جميل الرثاء واصدقه ماتجى به ذكرى بعض العظماء  
على حد مانجد عند الفلوس فى قصيدة عن «مقتل الحسين» يقول فى حربتها  
يالحضرا سمعوا وفات نور لنوار ولد فطيم الزهرا سيدنا الحسين

(1) يختبىء ويختفى .

وهي استعراض للاحداث الاسلامية منذ وفاة الرسول عليه السلام حتى حادثة كربلاء ، يختتمه بعروبي يعكس شكوى كان آل الحسين قد تضرعوا بها عند قبر جدهم :

مهما دخلوا ضريح لحبيب المهتاد \* قالوا يا جدنا الهادي محمد  
لوريت شين صار بنا دون افناد \* في كربلا امع اجيوش الا تنجد  
قتلوا لنصار ولصحاب امع لولاد \* وابن هاشم كلها يامحمد  
قتلونا دون حق فامهامه لوهاد \* واخنا فالشوم ولعطش يامحمد  
وقطعوا روس آل بيتك هل لعناد \* تركو لشباح افلوطا يامحمد  
سفكوا دم تشراف واعصاوا الاحد \* سبوا على المرتضى يامحمد  
لوريت شين كان دار ابن زياد \* هو واهلو وشيعتو يامحمد  
طعن الحسين كل من كان افلجناد \* ولا رحمو اطفالنا يامحمد  
قطعوا راسو ولا اختاوا امن الجواد \* داسو بالخيل مهجتو يامحمد  
كشفو الحريم دوك لعدا والحساد \* وبعدهما اسباونا يامحمد  
داروا لنا احبال واغلال ولكياد \* عاشقوا من احوالنا يامحمد  
وجهناهم للقوى يامحمد

ونجد كذلك عند محمد حسن التطواني قصيدة في ذكرى المنظري مؤسس مدينة تطوان ، وكانت قد احييتها جمعية «عباد الرحمان» ، يقول في أول أقسامها :

نشأت هذا الذكرى السعيدا \* السيد المنظري امجدد تطوان  
قامت نخبنا جادا وكيذا \* فيام سيدنا مولاي الحسان  
نادات ابدا الحفلا الرشيدا \* واعلى راسها عباد الرحمان  
وهو يغتنم فرصة اقامة هذه الذكرى ليقتراح تكوين ثلاث لجان ،  
الاولى لترميم ضريح المؤسس ، والثانية لجمع المال ، والثالثة للعناية  
بالتاريخ يرأسها السيد التهامي الوزاني (1) :

لاتخينا يا كريم افهذا المشروع لعظيم بجاه سيد اعجام وعربان  
اوقفنا لجمع كل خير \* وبأرك فالجميع اتخص اللجاني

(1) احد علماء تطوان الافاضل ، ويشغل فيها حاليا منصب عميد كلية أصول الدين التابعة للقرويين ، وهو مؤلف «الزاوية» .

لجنة الترميم المضريح عنها بالتوفيق لاغنى يترسم ينصان  
نصحاوا بالمضريح نشخر \* فرحا لهل البلاد ببلوغ الاماني  
ولجنة جمع المال عمها بالتأييد ولعنا سرا وعلان  
ولجنة التاريخ تذكر \* ابغدة سميدنا التهامي الوزاني  
ومثل هذه وتلك القصائد التي تحيي بها ذكرى محمد الخامس ممثلة  
في «ثورة الملك والشعب (1)» ولعل احدث ما نظم فيها قصيدة للحاج محمد  
العوفيس يقول في حريتها :

امن اعظمها ذكرا يامن اتسال تاريخ امخلد  
ثورة الملك امع الشعب يوم الاستعمار انفاه  
لكن المولى جاد اعليه ايدو واكرم مثواه

#### ثالثا : الهجاء :

ويطلقون عليه «لهجو» و «الشحط» او (الدق) عند اشياخ مراكش ،  
وكلاهما بمعنى الضرب . وهو اكثر انتشارا من المدح والرثاء ، بل هو من  
اكثر الموضوعات التي الهبت قريحة الرجال المغربي وجذبت المنشد  
والجمهور ، لما يبدو فيه من صدق الدافع وانطباع شخصية الشاعر عليه ،  
ولما يترك في نفس الجمهور من احساس بالمتعة وهو يشاهد عروض المنافسة  
والصراع والخصام في أقوى وأحد مظاهرها ، وهي مظاهر غالبا ما يكون  
سببها السجال الفتي الصرف بعيدا عن النزاعات الشخصية ، وان كانت  
لاتخلو عنها في بعض الاحيان .

واذا كان الهجاء يأتي في قصائد كاملة غرضا مستقلا قائم الذات ،  
فانه يأتي عرضا كذلك ، اذ لا تكاد نجد قصيدة مهما كان موضوعها لم تختتم  
بأبيات هجائية ، على حد ما سبق ان بينا لدى الحديث عن بناء القصيدة (2)  
وتعرف قصائد الهجاء باسماء مثل «الدعي» اي الذي يدعي ماليس فيه  
و «المطموس» اي البليد ، و «الديب» و (الرامي) و «المهراز» اي المدفع و

(1) الواقعة في العشرين من اغسطس وهو اليوم الذي نفى فيه الى جزيرة  
كورسيكا مع اسرته عام ثلاثة وخمسين وتسعمائة والف .

(2) انظر الجزء الثاني من الفصل الثالث من باب «الشكل»

«البوغاز» و «القرصان» أى السفينة الحربية ، وهى كلها أسماء تدل على أن الشاعر الشعبي كان يستوحى هجاءه من المعارك الحربية والبحرية خاصة .  
ويلحق بالهجاء الفخر وما يتصل به من محاولة تعجيز الخصم فى قصائد أطلقوا عليها «السولان» أى السؤال ، وهى عبارة عن احاجى والغاز يعرضها الشاعر على خصمه يطلب منه فى تحد ان يحلها

كذلك تلحق بهذا الفن قصائد تعرف بـ «الخصام» او «المحاورة» ، وهى قصائد مفاخرات ومنافرات على نحو «المدنية والعربية» او «الشابة والعجوزة» او «الخادم والحر» او «الزمنية والعصرية» .

**ومن أدوع الهجاء قصيدة «صارم الطعن»** حيث يتعرض الشاوى لخصومه (1) ، يراهم مجرد حنات ، يصيحون كالذئاب العاوية ، يلقون بأنفسهم فى المخاطر وهم دون مستوى مواجهته ، ويشبههم بالبومة التى تصطنع القوة والبراز ، وبالدجاجة التى تشد الباز من جناحه :

ريت موكا خرجت متصنعا المكفاح \* والدجاجة شدت فالباز امن اجناحو  
ظهرت ادياب الغابا عرسو اقلبطح \* ولحتايل بعد الكلبا اليوم صاحوا  
ولكن انى تههم الهرب وقد وقعوا فى قبضة الباز ، كبلهم بسلسلة  
مهنددة غدوا يرزحون فى قيودها ، وسيفترسهم كالاسد ويتركهم مجرد شظايا :

لين تهرب قوم الضبعا اوشاق لمراح  
\* صادهم باز اغنمهم تحت من ارياحو  
لهم اصنعت سلسلا من شغل الهند  
\* من عشر ادروع مالكياء معدودا  
بكعوب امن النحاس واخراص اعلى الوجد  
\* واميا فيها من لعنائى موجودا  
دالهادا يتجبد فالغلال واحديد  
\* بين خرص لكعوب اعدابها اتزادا  
طاح فيهم ضرغم لوحوش فارس البية  
\* اتركهم اشظايا مهما ارقى ونادا

(1) الاسف انا لم نوفق للتعرف الى اسمائهم .

وهم عمى ومدعون ومن احط المستويات واقبحها ؟ ولكن الايام سلطته  
عليهم فاصلمت فيهم سيفه ، وهم يعرفون انهم متى وقعوا في قبضته فلن  
يطلق سراحهم :

امن الزبالا للطيفور (1) او مجرا اتبالا

ماشفوا القوم العميا ابشيين فعلوا

سلطتني ليام اعلى اقباح لقباح

كل داعى بالزور ابصرمى انجرحو

كلهم ايعرفوا خبرى افكل مسركاح

امن احصل فيدى عمرو لالقي اسراحو

ومهما بكوا بالدم وناحوا بالليل والنهار فانهم لن يرتاحوا ولن يخرجوا

من سجنه الا بالموت :

اسناسلى عنهم مطبوخا افليل وصباح \* كل واحد يبكى ويقول يا جياحو

مايخرجو سجنى حتى اتغيب لرواح \* لو ابكاوا دموع امن الدم لارتاحوا

وعنده انه خير للجاهل بالشعر والعاجز عن خوض المعارك ان يعذر

نفسه ويترك الامر لاهله والا يحاول رفع رأسه ، فان المفلوب لا يقدر ابدا

على معاندة غالبه :

من لا يدري الغا او لا يتقوى لحروب

\* يعذر راسوا ولا يخرج امن اترابو

يخمد خمد الدياب بين اوطا واشعوب

\* ويفارق فاللقا اسيادو وانجابو

واش المفلوب كايعانده غلابو

(1) الزبالة المزبلة والطيفور يقصد به شيئان متقاربان ، ففي لهجة اهل الشمال يعنى مائدة الاكل ، وفي غيرها يعنى مائدة صغيرة مقعرة يحمل بداخلها صحن الاكل أو الحلوى أو التمر والحناء أو غيرها . وغالبا ماتستعمل فى المناسبات والولائم الكبيرة . وقد استبدلت فى معظم الاوساط بالصوانى الفضية . وفى كلا المعنيين يدل التعبير على الانتقال من المزبلة الى الموائد التى تعرض أمام الضيوف ، وهو يفيد الانتقال السريع من مستوى وضع الى مستوى عال رفيع دون استحقاق . وتند سار كالثمل يضرب فى هذا الباب .



ويمزح الهجو بالفخر فى أسلوب غير مباشر ، فيرسم صورة مثالية لاشك أنه يقصد بها نفسه ، يبدو فيها دائم السهر من اجل التحصيل والغوص على المعانى والافكار الزاخرة ، يبحث جهد الامكان لارضاء غيره واسكات طنين المتفرعين ، يتجنب الجهلة وأصحاب الضغائن والاحقاد ، ويرافق أهل الفائدة ويجالس العلماء ويصاحب العقلاء يضيئون له الطريق، له اشياخ فى كل مكان يطيعهم ويروى عنهم ، وهو بعد هذا يتقلد السيف ويركب السفن معلنا عن استعدادة لخوض الحرب ، وقد ساوت قوة ذراعه قوة اللسان ، أما خصمه فعلى عكس هذه الصورة ، كما يبدو من استقفاطاته الانكارية :

آش را من لابات امساهر الجفن \* والفكرا جايلا اغزاهر المعانى  
بالمفاتنا \* باش ايسود اعلى لوشما فزمانو  
آش رامن لايبحث افجهد مامكن \* واعمل مايترضى القاصى والدانى  
والفراعنا \* يقطع زيان عيظها بوزانو  
آش را من لاهل الطايلا اركن \* واترك فازوايت لهمل هل الضغاني  
والمراكنا \* واعمل هل لعلوم من رفقانو  
آش را من لاليه اشياخ افلوطن \* واروى منها كما اروينا يعلانى  
من اشياخنا \* اقليل الطاعا امزدرى شانو  
آش را من لاجرد صارم الطعن \* ويركب اسفون لحروب وايعطدانى  
ها حنا هنا \* ويكون ادراعو ابحال السانو

ولا يكتفى بهذا بل يزيد فيصف خصمه فى أسلوب مباشر ويشبهه بالنخاعة الملقاة على الارض تدوسها الارجل فى مقت ، بلغت به الخيبة والفشل أن بلل جلد ذفه بعد تسخينه ، وتقلد للطعان عصي طنبا رمحا ، وتدرع بالجلد ليقية ، كل همه مصروف للء بطنه ، لايفتر لسانه عن الشتم والكذب ، لايصول مع غير المفتابين المدخنين ويتملق الحنالات :

كتنهخيما فالطين \* معفوسا بالرجلين \* والمقت اعليها باين  
فذك جلد اكوالو بعد ما اسخن \* قلد كلخا وطنها رمح ائمانى  
للمطاعنا \* واعمل جلد ابني القيط اعوانو

همتو مصروفا فعمارت لبطن \* والسانو بالشتيم يصنع وايباني  
به ماهنا \* واصدوابو لعديم زاد امهانو  
صولثو عند اصحاب الناب والدخن \* يلحس لعماش للحتايل بالعاني  
كان شافند \* يكشر ويعرى اعلى تبيانو  
ابلكذوب اقلبو طاوى اعلى لخون \* تكن مها ايتوك حر البيزانى  
بالعاينا \* يتلف فرك اليوم عن جنجانو

فيو بن قوم الخداع والشيطنة والكبر ، مثلهم مثل الخنافس تسكن  
الخرائب وتتعلق بالاونى البالية . وقد حنت قفاها وهى تدب يدوسها  
الناس ، او مثل الذباب يتجمع على جلد لبن فاسد مطروح :

هل لخدع والتسليين \* والنعمة واتعنين \* لهم اموجد تمونى  
زيهم زى الخنافس بعضها اسكن \* فالخرب ابعضها ادرج بين اوانى  
باليا احنا \* للتعفيس اقفاء من دبانو  
او دبان اعلى شكوا من الرغن \* بات البنها وظل من ليها انسى  
عافها اغنا \* عنها وارماها اعلى عديانو

ويحاول أن يمتنع من الموقف بعض الحكم فيرى فى ايجاء بالمقارنة  
بينه وبين خصمه . ان الزر دخان لا ينسج فى الاماكن العفنة وان ثبات  
نخنة لا ينسج الحرير الرقيق ، وأن من عمى عثرت رجله فى قب برنسه :  
ماتنسج الزردخان فامنازل لعفن \* والحلقا ما شبهت لحرير الغاني  
من اعمات ايامو قالوا هل نوزان \* تعثر رجلو اققب سلهامو هانى  
جيت لاغنا \* تبطل للكهان سحر اكهانو

ويروى ابن حمدوش فى قصيدة هجائية يخاطب بها ادريس لحنش  
أن كل من دق بابه واستقره لابد وأن يجيبه ويرد عليه ، وأن كل من آلمه  
ضرسه يصرخ بقلعه ، وأن ما يقدمه الانسان من خير وشر ليس غير سلفة  
لابد وأن يرد ، وأن لكل قول جوابا :

من دق الباب \* مايلو غير اجوابو \* غر به من جابو  
من ضراؤو الضرر ما جا الكلاب (1) \* قالت لعراب  
الخير والشر اسلوفا كل قول بجوابو

(1) آلة قلع الاسنان .

ويرى محمد الزلايجي ان قول «الدعى» باطل ، وأن سجيته لاتساوى  
بصلة ، وأنه بالجهل يصلى نار الجمر ، وأن سور الدعوى لا أساس له ،  
وأنه لابد ان يهزم جند الجهاد ، مهمة كثروا ومهما حاولوا الفرار :

قول الداعى بطل \* نهم جند الجهاد اجمعهم لوطالوا  
لويهرب لى عرض او طول \* من صادفتو مبطل  
وما سجيتو ماتسوا بصلا \* بالجهل فوق الجمر اصلا  
سور اندعوى مالو الساس ضايح قالوا

صح عنى خذ المعقول

مروى عن هل لعقول

وهو لايعبأ بادعائه وانما يتقن مقاله ليصيب به المقل وينقل كاهل  
الجاحدين :

مايشوشنى قولت قال \* اولا نعبا بوجوه لغالى \* امطرز امقالى  
زنجار اقلمقالى \* والجاحدين لفظى عنهم ثقلا  
ويهزمه دون قتال ويرغمه على الرضى بالقهر والغلب ويقطعه اربا :  
نهزم الداعى دون انصال \* حتى يرضى بالقهرا عن افصالى  
وانفصلوا فصالى

وهو لا يهيمه الارذال مادام سورة عاليا ، وكل من حفر حفرة لابد وأن  
يقع فيها :

مايهمنى شى لردال

سورى سور عالى

والحافر كايوقع افما احفر فمدالو

أما عباس بن بوسنة فسور دعيه منهدم وشمله مشئت :

سور الداعى مهدم وشملوا مشئت \* راب سور الداعى واتشئت الشمل  
كلما اشتعلت نار الحرب أصابه شرارها بسبب سوء أعماله :  
كل ساعا نيران الحرب تشعل

اعلى الداعى تزند من قبح افعالو خاب فاعلو

سعيه يخيب وغزله ينجل ، وقد بعث الله له من يجزيه عن افعاله :

خاب سعى الداعى واتحل ماغزل

عن فعلو جاب ربنا من جزالو يوم دازلو

وقع بين اوقايح الزلزلا

وأما محمد بن عمر الكفيف فقد فاز برضى الشعراء ، وغدا لذلك

شجاعا بارعا وعودا فى عين «الدعى» الوغد اللثيم :

أنا زنجار فى اعيون امن ادعا \* قل لليم الوغد الداعى

برضا ناس لقريض حزت اشجاعا وبراغا

وقد كثر الاشياخ التافهون الذين لا يبعث كلامهم على غير المقت والمثل

يحطون به من شأن الفن ، ولو سكتوا لكان خيرا لهم :

كثروا فزمانا اشياخ الربعا \* اكلامهم ايقوى تصداعى

مهما نصغاه كانمقتو وانمل افساعا

والهرتلا امبخسين السلعا \* اعلى الغاهم اصمكت اسماعى

لو سكتوا خير مايقولوا معنى مبشاعا

ولم يعد فى هذه الصنعة مايليق بعد ان نزل الميزان ، والسبب هؤلاء

البغال الذين فضحوا سوق الشعر فى كل مكان دون حفظ أو رواية او طبع:

مابقى مايليق فى ذا الصنعا \* اكلام بالميزان الكراعى

...

فضحوا سوق اللغا ابغال الرتعا \* اشحال منهم املاو ابقاعى

ماحفظوا ما رواوا ماطبعوهم طباعا

ومثل هذا نجد عند مولاي احمد بن عبد السلام العلوى فى القصائد

التي كان يهجو بها خصومه (1) ، منها قوله :

بالداخل بحر المعنى ابغير تبججال

صغ طرز ابيانى وردات افلخجالى

وقوله :

لاتقى لاشراراك \* يالداعى سيف السانى اطوال

واكشفت اسراراك \* بالمواهب رمحي شظاك

(1) ذكر لنا أنه هجا كثيرا من الاشياخ وخاصة الغالى الذماتى .

وقوله كذلك :

نذاك حصولك \* يالداعي مالك منو اسلاك  
قطعت احوالك \* افلعضا نارك تكبت لك

وهن التهجاء المتبادل مانجده بين ابن على وتلميذه ابن سليمان \* ففي  
«ليل الزهو» يخاطب ابن سليمان خصمه يخبره في تحد ان بساطه في  
قلعة غطاءها وافرأشها خير ولكن لا تغطاها غير أقدامه ، فهي نقمة على كل وغد  
قبيح لا يستطيع الاثتراب من العساكر التي تحميها والرقباء :  
ابساطنا في قلعا ماتوطاها اقدام

الا اقدامنا توطاها \* صعب اجبالها ووطاها \* الخير افرأشها واغطاها  
نقما الكل داسر \* فيها حاصر \* ابلعساكر مادام احياتو  
مايتعدى شى احدودها من دون الرقبان  
وفد داس بقدمه على قفا الظالم العاجز الذي غدا كالبومة يخمد صوتها  
الما صرصر الباز الحر :

رجلى اعلى اقفات الظالم \* من لا يكون فارس ناجم \* رانى اعلى لحروب  
املازم

آش اداء لسقارا \* يوم الغارا \* ابقى اعبارا \* موهون افداتو  
يخمد فرخ البوم كان صرصر حر البيزان

ويستخرب لجدول الماء يعاند بحر الطوفان ، وللففادع تترك المستنقعات  
وتخرج للصحرأ تقصد غار الشعبان ، ولاهل الوقت يرفعون شأن الكلاب  
النايحة مثلهم ويهملون الاسود :

كيف اجرا للساقيا اتعاند بحر الطوفان

...

او الله ربمت الجران كيتعدا مرجاتو

اخرج للصحرأ ابغى ايروم الغار الشعبان

...

اهل هذا الوقت لقباح مثل الطاروس ابنيحاتو

رفعوا له اتجاه والسبع ماداروه افشان

ويرد عليه ابن علي في «الديب» يذكره بفضله وجميله عليه ، ويكنى  
عن ذلك بقصة يحتكى فيها أنه خرج ليصطاد غزالا اذا به يصطاد ذئبا ،  
فأخذه لداره وعطف عليه في حنو واشفاق واطلقه في روض الازهار وأطعمه  
وساد ولحنه لم يرض بالنعم الطيبة الحلال التي قدمها له وظلمت نفسه تتوق  
لجيفة يلتهمها في خربه ، فلم يلبث ان هرب عن الدار :

وأخرجت انبرى (1) افناحيات الصيد غرضي انصيد اغزال  
حيحت لصيادا برني يصطاد ما يجيب الوجبا \* ما جاب غير ديب وشديتو  
الموسمي اديتو فالروح اريت له بعد الغلبا \* حنيت لو واشفقت التمريتو  
في روض ازهارى التلت هذا الديق اشقيق الميوث واشسبال  
وجبتلو لحم الضاني نحساب في امكاني \* يرضى بانعايمي اطعمتوا واسقيتو  
وترنى دخري ما ارضا بانعايسم واللى احلال توكمال  
ما كئن عيشتو غير الجيفا كان صابها \* في خربا خلى لك المقلى في زيتو  
اهرب من وكري واش وكري بانى للديب يالعقال  
ولكنه له بالمرصاد يبحث عنه ، وقد وضع له مصائد كثيرة لن يستطيع  
الافلات منها مهما حاول الجرى والحيل والقرار ، والويل له ان وقع فسى  
قبضته ، فهو يبشره بحرب لن يقوى على خوضها :  
وانبشروا بحرب الا يقوى له في اضمومو يغيا \* واشفايت الدياب افتشتيتو  
تسرفنى نبرى جرئو ويلا جيتو له لهوال  
اشحال امن امصايه عندي فامخابعي وكمن خشبا \* للديب ويل بوه ايلا  
جيتو

آش جهدو يجرى يمتطع جهدو واتبور اعليه لحيال  
لم يعترف بالجميل ولم يعرف ان احسانه اليه هو الذى سيحكم  
ويتصرف ويأتى به في الحال ، اذ ذلك سيسجنه ويقيده الى أن يموت :  
ما يعرف خيرى فيه يحكم وايجبو لى الزمان والحال  
واندير له سماجور الهند ابسلسلا اتقلها كورا \* حتى ايموت فالسجن ابغيتو

(1) مضارع برا بمعنى بحث .

ويستأنف ابن سليمان هجاء لابن علي فيوجه له «قرصانا» يقول في  
حربته :

هكذا قول للداعي ايدير قرصن ويخرج ✽ كيف من سافر بين امواج  
واغنم وانجا

ويرد عليه ابن علي في «قرصان» آخر يغلب عليه الفخر هذه حربته :  
حجب القرصان السبع لمثاني

من عين كل معيان اذا يفها ابحسن اجمال القرصان  
ونقف وقفة قصيرة مع ابن علي في قرصانه الذي خاض به غمار  
البحور عارفا بالخارطة والبوصلة ومختلف الرياح والكواكب فاهما منتبها ،  
ميزانه النظر الذي لايمثله ميزان :  
راكب فوق اللجات قرصاني

فابحور لمعاني صاب الواري وجال فوق الجوج الطوفان  
ونا مدوب وقابض ادماني (1)

ندري انكارطا وامعلم فالبوصلا او حافظها على لتقان  
وارياح اتميز ليس تخفاني  
وكذلك لكواكب ندرها مانشوف اتراكم لمزان  
ابقسطاسي وادماني وديواني

واعلى كل ربح انساقر ماني اغشيم (2) دهرى حاضى لوزان  
عايق فزيق بالشوف ميزاني

قالوا هل اللغا فالغاهم ولا ابحال شوف العارف ميزان  
فقد اطلق قلاعهم وقصد عمدا بلاد العجم والديلم والعراق واليمن ،  
وجال في البحور السبعة ، وغاص بحثا عن المرجان والياقوت في مختلف  
ألوانه :

نهضو لقلوع وجلت بالعاني (3)  
لبلاد العجم والديلم واكداك لعراق وبلد اليمان

---

(1) المقود .  
(2) الغشيم : قليل التجربة .  
(3) عمدا .

والسمع ابـحـور ادخلهم غانى  
ندرى احسابهم وامخير باللى ايزيد واللى فيه النقصان  
جوال عل الوجبات فازمانى  
غواص بين لجات لبحر اصاح صنعتى نصاد المرجان  
والياقوت الوهاج يرضانى  
من كل لون عدت انصيف لبيض والزرق وكذاك اليرقان  
واللون الرابع شابه القانى  
هذا مناصف اخلاكى وقت مانصيف لك اصدور الغيان  
لم يشاهد أحد مثل ماشاهد وهو يبحث فى أعماق البحار عن الجواهر  
والعقيان والدر واللؤلؤ واللجين والزمرد والزبرجد والعقيق والحجر  
اليمانى ، وقد اجتمعت له فى خزائنه من هذه الكنوز درر مسلوكة فى خيوط  
من الذهب ، كما اجتمعت له ألوان من الاقمشة والحلل والحلى . ثم عاد  
الى شاطئه بلاده فدوت طلقات المدافع يتجاوب صداها فى كل أركان الفضاء:  
من لاشاف اكما شفت باعيانى  
بين اللجوج غير انبرى برجحتى اعلى الجواهر والعقيان  
والدر امع اللؤلؤ شهانى  
واللجين والزمرد والزبرداج والعقيق وحجر اليمان  
واللى يشبه هادوا فتبيانى  
فاخزائنى امد خر من كل ادرار ناصح فاسلوك الذهبان  
من كل انواع اوسقت حجانى  
اوسقت امن اقماش الهندى اوما يماثل فانواع الحجان  
كبلت البر ابلاد عشـرانى  
بامدفع شلا ماجوبت او جاوبو انفاضى من كل اركان  
وما أن وصل الى الشاطئ حتى رفع السنجق ولف القلاع ومد الحبال  
فجاء التجار للقائه وجاء آخرون لا يعرفونه يسألون عن المرسى التى قدم  
منها ، وتم البيع والشراء ، وعاد الى مكانه وقد ناداه وقت الفرح والسرور :  
وارفعت السنجق بعد جولانى  
اتقيت لقلاع واجيدت احبال مركبى واقلعت النيشان



جات اجميع التجار تلقانى

واخرين عاد سمعوني جاو ايسولوا شمن مرسى اخرج فلان

بأعوا واشراو اورحت لمكانى

واللى ايريد حاجا خلصها (1) من اخزاينو بلغها ثمان

هذا وقت الفرجات نادانى

بالعز ولهنا والسطوا والفرح ولنا واسرور وسلوان

هذا قرصان الا ايلو ثانى

فالبجر المحيط اخبارو عند الدهات من يدريو القرصان

ومثل هذه المساجلات الهجائية ماتبادلها ابن ريسون والغرابلى ،

بيدأها الاول فيوجه لخصمه «الرامى» بعد ان اتقن الرماية وحضر سلاحه

مزودا بالبارود والرصاص وخرج للصيد متوسلا بالمولى اذريس يدعو

الناس للتفرج :

جال عقلى فى ترميت بالرياسا واتمزج \* ساكنى منها فى تهاجرو

زايد درجا

درت شينخى مفتاح الغرب صاحب الطبع لبيح \* هبت الواخد عن منهاجو

فى ذا البهجا

درت رنا مقيو ماياها امن ازناد امزبرج \* فى ايمينى واللى نحتاجو

من مانرجا

درت بارود امشعر صنعت ايفادا وسنطرج \* ابلحساب وتعبير اصناجو

عقلى صنجا

درت مايكفيه امن ارمصاص فى اوجه لعدا يخرج \* لوخرجت الميدان اهراجو

تكفى خرجا

هكذا قول المن ابغى بالرميا يتفرج \* شارنو يسقطها فابراجو

حاضى مرجا

لقد شمر عن ساعده وخرج للصيد ، فويح للغراب ان صادفه فى الجو

فسيصيه بما لن يعالج منه ، وهو غراب اسود القلب والريش ، دعا عليه

(1) دفع ثمنها .

ليرعى ادريس فلا يستطيع الاقتراب من أسوار البرج ، وإن حاول فإنه سيقع :  
عن اطرافى شموت اخرجت للصيد ستدرج \* عل لبدا نرعى من راجو  
كنتبجا

...

ريح نغراب اللى فالجو صار ريشو سمار امدج \* لادوا لا راقى لعلاجو  
طير الخلجا

فيه دعوت مولاي ادريس مايروم السور النير \* عالس القلب امثيل ازباجو  
وعند لفجا

طاح فلققال المذكور الذى شانو يوهج \* صيدو من عنقو بافلاجو  
فسالچ فلجا

ويرد عليه الغرابلى فى «بوغاز» انشأه يحول دون خروج القرصان (I)  
وقد اختار لانشائه بقعة على الشاطئ بين انجبال والفجوات ، وأقام مرسى  
بنى أسوارها من الحجر المنجور ، تحيط بها البساتين ، وأبوابها ثمانية  
ليست عند عجم أو خزرج ، وحول الاسوار أطلق الاسود والاشبال والنمور  
التي ستفتك بأظافرها فى المعاندين :

درت بوغازى للقرصان وقت مايزعم يخرج \* تلتقاء نفاض امن ابراجو  
يصدق وهجا

اخترت بقعا على حرف اليم بين اشوامخ والفج \* خلق مانع بفرائن هاجو  
ليس اتنفجا

انشيت مرسي وابنيت الساسا بنيان المدرج \* للصعود اترقات ادراجو  
عن ونتجا

من لحجر المنجور اسوار فاقت المرمر لبلج \* واشرارم كدور افتاجو  
ترمى وهجا

وليساتن عن ربع ارکان وانفاض الكمن برج \* درت خلف السور وتبهاجو  
دور افبهاجا

---

1) يبدو أن «بوغاز» الغرابلى رد على «قرصان» لابن ريسون وليس على  
«الراهمى» ولكننا لم نعثر له على قرصان .

دُرث بيان الاعشى افسر لعجام وخزرج ❁ كل باب اقتقويم ارتاجو  
خزنت خوجا

واحفير اعلى السور ودور ولسود اعلى المنهج ❁ ولشبال افرادو وازواجو  
سكنت ولجا

والنمور فقلوب هل لعناد بامظافر تبعج ❁ من القاوه لتقاوه اسمماجو  
قطع المرجا

ويجيب ابن ريسون على خصمه فى «المهراز» الذى اقامه فى مواجهة  
البوغاز ، مرفوعا على سور منيع من الحديد ، يصعد له بألف درج ،  
لتنطلق منه على البوغاز قذائف ثقيلة تنسفه وتزعج قلب الجاحد وتنزل  
كالصواعق عليه :

فى اعراض البوغاز انشيت سور مرصود اعلى اللج  
طالع من لحديد ادراجو  
ألف درجا

سور مهرازي سور امنيع سام فالبحر امزبرج  
ضن واجزم من راد احراجو  
تركو نهجا

قابل البوغاز المخدوع بلعمير يتفرج  
من البومب (I) ايضا لرتاجو  
حتى يفجا

كل بومبا فيها قنطار لجعيد اتزعج  
صاعقا تنزلوا فامهاجو  
وقت الخرجا

ولكن الغرابلى يرى أن خصمه بليد جاحد جاهل ، أتلفه الشيطان ،  
فغدا عاجزا عن التفكير والانتاج ، ووقع من أعلى الجبل على حجر صلد  
فتكسر :

---

(1) القنابل والقذائف والكلمة من الدخيل الفرنسى .

ریت قلب الداعی مطموس غلف ابلجحد امسج

\* عایم افجهلو من تسماجو

حلکو ربجا

تلفو شیطانو واحکم اعلیه عمرو ماینتج

\* لوحو بین احیاف احداجو

یبهیم ادجا

طاح من جرف اعلی منداف فوق من صلده امزدج

صادف اهراسو من تزداجو

وادلج دلجا

واذا کان یظن انه بالمهرارز سینسف نه البوغاز فهو مخطيء اذ قد صنع

له «غطاسا» یغوص کالسّمک فی البحر ، زوده بالمذافع والقذائف والمناشیر ،

یهلك کل من صادفه أو اعترضه •

درتلو بابور الغطاس ضد مهرارزو لعرج

\* زی سمک ایغوص ایتواجو

بین اللجا

ابلمهارز واصواعق والنفاض وامناشر تودج

\* من القاوه خرقره اوراجو

فوق الموجا

هكذا من ینشی غطاس تحت لمواج ایموج

\* کل من صادفو قلب اصناجو

وابقی کرجا

نمام بوغازی وارقی فالصعود واخنق کمن فج

\* اعفارت الجن ابخرق امواجو

خرجت حرجا

من زعم یندل تحت ارمایتی ابلمهراز امکرج

\* مایهم ابطالی کجکاجو

دون المرجا (1)

---

(1) ذکر لنا الشیخ بنعیمی الدراز أن لهاشم السعدانی قصيدة سعی بها

ومن أشهر الهجاء المتبادل ما دار بين الغرابلي والتركمانى ، وهو هجاء أساسه خلاف موضوعى حول الايمان والعمل ، وهل الايمان وحده يكفى أم لابد من العمل ؟ ويطلق عليه «معرض» أى المعارضة ؛ فالغرابلي يرى فى «الدعى» أن الشهادة وحدها ليست كافية وأن العمل واجب ، فى حين يرى التركمانى فى رده عليه أن فى الايمان بالله ورسوله كفاء وخيرا فى الدنيا والآخرة ، وأن نية المؤمن أفضل من عمله • ويبدو أساس الخلاف واضحا فى حربة كل من القصيدتين ، يقول الغرابلي :

يالداعى بالعرف اصنع الهل العلم افما قالوا

الشهادا من غير اعمال ليس تكفى مولاها

ويقول التركمانى :

الداعى شهد والشهادا بالله ابالرسول تكفى واكفات وكافيا اوخير

فالدنيا وافلاخرا اكثر \* والمومن نيتو افضل من اعمالو

يبدأ الغرابلي فيرى أن خصمه دخل فى بحر لا يطيق هول أمواجه ، وأنه سار مع هوى نفسه ، وأنه بلغ من الهبل والعمى حتى غره الايمان وزين له الشيطان سوء الاعمال •

ويرى أن كل من صفا قلبه يعمل ، وكل من غدا قلبه مشوبا يستحلى الآثام • لقد أمر الله بالفروض ، فكيف يريد أن يتسامح فيها ؟ ثم ان الشهادة لاتكتمل بغير شروط لابد ان تستوفيها • انه يريد أن يطلق عنانا شبه الله ورسوله ، فهو ناكر شمس العلياء التى أنشأها الله من النور ،

---

الى الصلح بين الغرابلي وابن ريسون يقول فى حربتها :  
الصلاة اعلى الماحى سيد كل ماغالحي ادرج \* لمفضل طه وازواجو  
زين الفلج

وذكر لنا كذلك أن ابن ريسون كان السابق الى هذه الخصومة وأن الغرابلي لم يكن يكتفى فى الرد بالقصائد فقط وإنما كان يلجأ الى التمايم ووسائل السحر - وكان بارعا فى ذلك - فتصدى لخصمه بها ويقال ان ابن ريسون ظل من اثر ذلك مدة اثنتى عشرة سنة مقعدا فى بيته مكتوف الايدى الى أن قال السعدانى قصيدته فى الصلح والتمس من الغرابلي أن يذهب عند خصمه ويقبل رأسه • فذهب وماكاد يمسه بيده حتى نهض من مكانه سليما •

هو يزيد فيتهمه بعدم التمييز بين الحلال والحرام وبأن حياته كلها سفه وقبحور  
ويتهان وبأنه لم يجالس العلماء قط :

بالداخل في بحر الا تطبيق لمواج اهوالو  
يامساعف لغراضها افغيان اهواها  
من اهبالك غرك ليمان بالمطموس انجالو  
لك زين شيطانك سوء تعامل وبهاك  
من اصفات امرايت قلبو ايدير مايجب حالو  
والذي مارايم لصفا امتمو يستحلاها  
أمر فرضو ربى شد فيه وتبغى تسهالو  
والشهادا لهماكم من اشروط لاريسب امعاها  
كيف ترخف من شد الحق بعد رشذك مرسالو  
النأ كر شمس العليا اللي امن النور انشاها  
ياللى مايفرق بين لحزام حتى واحلالو  
عشتك فالدنيا الا افجور وافشر واسفاها

. . .

لا تائب قول النوام حين نصحك باقوالو

ياللى ماجالس عمرو هل لفوايد وانباها

ثم اخذ في شرح وجهة نظره والتدليل عليها مبينا أن العمل أصله  
النية ، وأن كل من سمى لشيء يناله وقد خاب من لا يبحث في شريعته ولا  
يعرف مقاصدها ، وأنه ينبغي معرفة ما يجب في حق الله تعالى من صفات  
الكمال وما يجوز وما يستحيل ومعرفة قواعد الاسلام ، من صلاة وصوم حتى  
يقوم الدين ويكمل ، وترد عن النفس مخالب المنكر والفحشاء ، بل انه يطلب  
منه أن يردعها وينذرها ويقهرها ان طغت بحديث الموت :

لعمال أصلو النيا ومن اطلب شئ اينعظالو

خاب من لاخبر فاشريعته وحقق معناها

جيب مايوجب في حق الجليل صفات اكمالو

او ماييجوز او مايستبح كيف نبأنا طبه

جيب اوصاف اقواعد ليمان يامضيع رسماو

اوجيب اوصاف الاسلام كان كنت (1) تقرأها

فالصلاة والصوم اتها و قوم دينك واكمالو

اورد نفسك عن فعل الفحش قبل تفرق فاطها

لومها وانذرهما فعسى اتنال زى اللى نالوا

الى اطغات اقهرها بالموت حق تدخل لجواها

حقا أن الشهادة مفتاح الدين وبدءه ولكن الفرض تمامه وكماله ، والباديء  
للعمل دون انهاءه كالخارج للحرب وفى يده قبضة دون سيف \* فالمسلم  
يقول بلسانه ويعتقد بقلبه وينفذ الفروض بجوارحه ؛ ويخشى على كل من  
فرط فى الدين اذا ما حان أجله أن ينسى الشهادة ، فلا احد يضمنها عند  
الاحتضار الا من جاد الله عليه وذكرها وحافظ عليها :

الشهادا مفتاح الدين والفرايض لكمالو

من ابتدا لشيا دون اكمال سار حجا فابداها

زى من راد ابقيطه دون سيف يلقى عدائو

واش من مرا للقبطه دون سيف تقضى بامضاها

القول باللسان والاعتقاد افلحديث اكما قالوا

ولجوارح تمتاثل من افرض عنها مولاها

كل من فرط فالدين لقويم يوم ايجى اجالو

اعليه ايخاف ايلا يحتاج للشهادا ينساها

ماضمن حد الحد افساعت لمنية تعطالو

غير من جاد اعليه الله وافتكرها واحضاها

ويستفهم فى انكار عن تارك الصلاة او الصيام أو الزكاة أو الحج ان

كانت تكفيه الشهادة فينجو أم لا تكفيه فيحاسب ويعاقب :

جول واسأل فالخمس اوقات امن اتركها مدالو

كان فيه القول او اشهادتو اكفاتو معناها

---

(1) كان كنت بمعنى لو كنت .

جول واسأل من اترك الزكا ولا زكى مالو  
عاش فحرام او اشهادتو اكفاتو معناها  
جول واسأل من اترك الصيام واشروط اكمالو  
كان يتعاقب او اشهادتو اكفاتو معناها  
جول واسأل من وجب الحج بعد زادو فاحلالو  
كان يتحاسب او اشهادتو اكفاتو معناها  
ويطلب منه أن يتوب ويرجع عما مالت اليه نفسه ، وأن يتمسك  
بالتقوى والطاعة حتى تصفو ذاته ، وأن يتغلى عن هواه ويطرد الشيطان  
اللعين الذى يغويه ويزين له المساوىء ويلذذ الشهوات ويتسرب الى داخل  
الانسان ويسرى كسريان الدم فى الجوارح :  
تب وارجع واترك ماريت له لجوارح مالوا  
ولازم التقوى والطاعة اتفوز ذاتك بصفاها  
لهوا والشيطان اعداك يالتابع عدالو  
ايبين لك لفضل حتى اتغيس نفسك فبلاها  
اللعين ايلذذ للمومنين شهوت محالو  
افلجوارح يسرى سرى الدم ويسكن فحشاها  
ولا يتركه دون أن يرميه بالجهل والعمى واتباع الشيطان ، ويسأله  
كيف يلقي ربه فى ظلمة القبر ويوم الحشر حين ينشر أمام كل واحد كتاب  
تسجل فيه الاعمال الحسنة والسيئة فيجازى عليها جميعا :  
غابت اشموسك واهزمها اظلام جهلك باكحالوا  
لادبك الشيطان اعماك زى قومان اعمها  
باش تلقى غبت اللحد ولوقوف وتهوالو  
يوم تزفر جهنم اعلى لخلايق بالظاهها  
يوم لاتنفع مرو لاشجاعتو ولا كثر مالو  
فى اصحوفك توجد لسطار دون ريب تقراها  
من ايجى بالنسيا بمثيلها امن الله تجزالو  
من ايجى بالحسنى عشرا من المهيمن مجزاها



ويرد التركمانى فيتهم خصمه بأنه حمار ابن حمار ، دخل ميدان المعارضة بالجهل ، حاملا خشبة غير منجورة ولا مسواة ، وأراد أن يتطاول على من لم يكن يعرفه ولا يسمع به ، ويتساءل عن سبب ما نزل به ، أهو مصاب بخلل أم مدعو عليه فى وقت صادف باب الاستجابة مفتوحا ، أم أنه يجنى نتيجة حلف زور أو غضب الوالدين ؟

ياداخل بحر المعنى بوجادى (1) واحمار بن احمار ورافد كلخا ابلا نجير واتبعت من لايلو اخبر ❖ ولاعمر اسمع حسك مدالو واش انت مخلول او صادفت شى دعوا امكنا ساعنت لجابا اعلى الضمير او احلوف ابلا اصفا اغدر ❖ أو من الوالدين سوقك واضلالو ويدعوه الى الاستغفار لو كان مسلما متحققا من الشهادة يراها اعظم من أى عمل . فكم من مغرور ظل يعمل حتى اقترب من الفوز ولكنه تبع نفسه فمات كافرا بأعماله ، وكم من احد ذاق بعد الكفر حلاوة الايمان بقلبه فشهد بالله والرسول وأدرك وغاز واعتبر بفضلها شهيدا ، وكل من قالها لامحالة يسير الى الجنة يوم الحشر ومعه فضل الله ، اذ تكفيه الخاتمة ، فهى تعادل كل حياته :

استغفر لله لونت مسلم وامحقيق بالشهادا ماتجعل عنها اكبير  
أهى من كل شى اكبر ❖ ولاعنها اعمال يعلى باكمالو  
والعمل ابكلمت الشهادا أهى به واش من عمل انفع كمن اغرير  
اخدم حتى شاهد الظفر ❖ واتبع نفسو ومات كافر باعمالو  
واكذاك ضدو اشحال من واحد بعد الكفر داق غسل احلاوت ليما ابلخبير  
وانهار اتبرا من الكفر ❖ اشهد بالله والنبي بلغ اعمالو  
قالوا مات اشهيد امن افضلها واجميع من قالها افصرو للجنة لاغنى ايسير  
وامعه فضل الله افلحشر ❖ تكفيه الخاتما اتعدل بجالو  
ثم انه لاينكر الاعمال ولايتركها ولايدعو الى تركها ، ولكنه يرى ان  
المومن مومن ولو كان زانيا أو سارقا أو هاجما أو قاتلا أو مخمرا ، ومهما  
اعتبره خصمه كافرا ، اذ تكفيه كلمة الايمان . والمومن لابد وأن يتوب مهما  
(1) البوجادى بمعنى عديم التجربة .

حاد عن الطريق ، وهو يجبر اذا تاب ولايعدم الفضل طالما أنه محافظ ففى قلبه على هذه الكلمة ، فهى رأسماله وسلاحه وعزه ونصره . وهل ياترى يقبل العمل من حمار مثل خصمه لولا أن الله يستر ويعفو ويقبل عباده ويرضى عنهم بجوده وفضله ؟ :

ماكرت اعمال ماتركته ولا عمري انيت حد اتركو لكبير والصغير  
الا لالايم قلت لو اعذر \* وما فالغيب امن احكام ابجالو  
والمومن مومن قلت لوزانى او لاسارق او هاجم او قاتل او مخيم  
نطق اللالايم قال ذا كفر \* قلت اكفاتو السابق واسعد فالو  
والمومن يرجع بعد يدلع ولايد اينال فضل الكلما من لالها انظير  
ويلا تاب المومن اجبر \* ولايعدم افضل حاضى راسمالو  
والمومن من فضلوراسمائو واسلاحو ونصرو وعن اكلمتو ليما فالسريرو  
يثلها ويحمد ويشكر \* وجعل ارجاء افلمكرم قبالو

...

ولعمال اصلا او صوم وازكا واجهاد وحج ياترا يقبال من امثالك لحمير  
والستار يسمع و يستر \* وقبلنا ابجل جودو وافضالو  
ويحاول أن يظهر فضل كلمة التوحيد فيراها تضم سبع كلمات تصد  
عن سبعة ابواب من ابواب الجحيم وألف ، يظفر صاحبها بالنعيم ويبلغ  
الآمال . واذا كان العمل من الفضة فكلمة الاخلاص من الذهب العالى  
العيار ، بل ان الله خلق عمودا من نور لا يقربه الا من يقول لا اله الا الله :  
وكلمت التوحيد جاب لحديث اسبع كلمات ضاما ضد اسبع ببيان فالسعيرو  
والف تغلق باب واطفر \* مولاهم بالنعيم وابلق امالو  
والعمل ايلا ايكون فضلا كلمت لخلاص ذهب يبريز امشجر خالطو اكسير  
وافضل ربى مايلو احصر \* سبحان الدايم لغنى جل اجلالو  
عمود امن النور مايلحقو الا من قال لا اله الا الله السامع لبصير  
يهتز العمود ويجهر \* يبردت وسع لفضل ومن افضالو  
وهو يرى خصمه قد ارتكب ذنبا كبيرا لن يستطيع التكفير عنه بغير  
الذهاب لمدينة مراکش مذموما حقيرا حتى ينتهى من أمره بالذبح . فسينادى  
( 27 )

بالنفير فى الحمراء وغيرها من المدن والقرى والبوادي ليعلم به ، ثم يأخذه  
للحمام حيث يغسله بالقطران ويخرجه بعد ذلك فى موكب مكبلا مغلولا ،  
ويذهب به الى فندق الجلود ويلبسه جلد تيس اسود ، ويضع له أسورة  
فى حجره ، وحزاما بظفائر وحذاء من النحاس الاصفر ليرقص به ، ويتوجه  
بكومة من الريش وعمامة عليها خمسة قرون طرية اللحم ، ويعلق له سبعا  
حباتها من الحلزون ، ثم يطوفه المدينة بالولاول والزغاريد ليرجعه الاطفال  
بالحجر وينكتوا عليه ويضحكوا طوال سبعة ايام ، وان تعب خلالها يعاد الى  
أغلالة ويركب حمرا :

وانصحك ماريث مايكفر ذنبك الا اتجى البهجت لدون امبهدل احقير  
وانجزرك وامالك يتجزر \* حتى نحتال عن اخلاصك وافصالو  
ونطلق البراح (1) افلمدين الحمرا وافجوزها ويمشى حتى للغرب بالنفير  
فاباد (2) امدان اوغر (3) \* يعلم بك لسلام ويرجع فى حالو  
ونا نفرج بك انديك الحمام الديق ببياض تفسن واتعوم افلغدير  
وانخرجك ابندق وطر (4) \* ويديك امكتفا وعنقك فاعلالو  
وندخلك الفندق لبطانا ونفرغ اعليك واحد الكسوا مكمولا اعلى الشهير  
ماقيمتها مال افلعفسر \* من غفروس اشبه القلبك فاكخالو  
وانبايل (5) افججرك طايشين ايماننا واشمال ولحزام امخالف بضفاير واعسير  
وانسباط اقدم امن الصفر \* فى رجنيك للشمطيح ايقل امثالو  
واعلى راسك رايمنا ازكوا بالريش نو عنها اعماما برذيل افوقها اندير  
خمس اقرون الجومها اخضر \* ومن البيوس (6) شى اتسابع يجمالو  
وانطوفك اعلى الشهد افمراكش بالكف ولولاول وازحام اكثير ولهدير  
ويرجموك اطفال ابلحجر \* واخريين اينيبوك ولا ينظالوا

(2) البوادي .

(1) المتادى .

(3) الجبال .

(4) سيق : ان ذكرنا فى المدخل هاتين الاليتين «الهندقة والطر»

(5) المسورة .

(6) الحلزون ويطلق عليها كذلك الغلالة وخاصة فى لهجة اهل الرباط .

سبع ايام وكل يوم تطويها فالحومما اولا اترمتى ترجع لغلايلى ايسير  
فوق احمار زند وعتر \* حتى يجتامعو الناس ويحتالو  
كذلك كان الفخر عند الشاعر الشعبي جانبا فى فن الهجاء وان لم  
يحفظ باهتمام المنشد والجمهور ، لما فيه لاشك من انانية وحب شخصى .  
ومن الفخر ما يذهب اليه محمد بن الصغير يخاطب حساده انهم لن يستطيعوا  
معارضة كلامه مهما اتفقوا ضده ، فشعره يحلو انشاده ويتوق الناس لسماعه  
ويطربون ، فهو غزل صافى سلس رقيق عرف كيف يسلك فيه مختلف  
المسالك والمسارب ، لا يخشى من الغرق ، وقد شيد قلاعا واعتلى القمة :  
قولوا للباغضين قولى ليام اتلاقى \* محال ايعرضو اكلامى لوجاواتفاق  
نظمى يتقال اعشاقا \* اهل الفرجات شوقوا  
غزلى صافى اسليس رتقا \* سالك منهاج كل طرقا  
وايق امسارب الطروق  
جفنى مضمون من الغرقا \* وامشيد ابلقلوع زرقا  
وازيادا طالع اللفوق

ومنه قصيدة لعباس الحرار يفخر فيها بأنه لا يتخذ صبره عند الشدة  
يوم يضيق الناس وتعبس الوجوه ، ولا ينقطع مورده يسقى جميع الظامئين  
حيث لا وجود للماء ، ولا يغيب نجمه زاهرا مشرقا بنور ثنائه فى كل مكان ،  
وبأنه لم يمدح قط ملكا أو طاغية ولم يؤذ أحدا ، ولم يفضح سرا له أو  
لغيره ، ولم يأكل غير أكل شريف حلال ، وبأن شعره لا يخلو من حكمة  
وبأنه ورث الرياسة عن أجداده وأنه لا يفر من مواجهة الاقران :

أنا الذى ماتضايق الشدا صبرى	* يوما تنقأبح لوجوه انا الصبار
أنا الذى مايزول للظامى نهري	* مورد عذبى فامواطن لا مايزدكار
أنا الذى مايزول فلك اسما ذكرى	* يشرق باكواكب الثنا فى كل اقطار
أنا الذى مارفعت باقوايم شعرى	* سطوت مالك شامخ او اطفى جبار
أنا الذى ماكويت مخلوق ابجمرى	* كاتم سرى ولا تفضح الحد اسرار
أنا الذى ما اخلات من حكما جفرى	* مشتمل اعلى قوا ايفادت كل اخبار
أنا الذى ماتكدر اجواهر ثغرى	* لقمتم منان لو انجوع اسنين اشوار

أنا اللى وارث الرياسا من بكرى \* من جد الجد حزتها امن دارالدار  
أنا اللى ما اتشاهد اعداى ظهري \* يوما تتواجه لقران لفدى الثار  
وكانت على العكس من ذلك عناية الاشياخ «بالسولان» كبيرة ، وهو  
فن يتصل بالهجاء وتحدى المدعين ، حيث يوجه الشاعر لخصمه جملة اسئلة  
هى فى الغالب احاجى والغاز ، ان لم يحل رموزها فهو مغلوب وعاجز .  
وغالبا ما يمهّد للسؤال أو بالاحرى لمجموعة الاسئلة بمقدمة يخاطب بها  
المدعى او راوى القصيدة ، وكذلك يختم السولان .

فهذا ابن على فى «سولانه» يطلب من راوى القصيدة أن يفخر بالسؤال  
الذى ليس له مثيل :

باسؤالك استفخر يا حفاظى \* اولا ابحال عند اللى عارفين سولان  
ويخاطبه فى القسم الاول يؤكد عليه أن يفخر ويواجه كل معارض ،  
وأن من عاتبه أو اغتابه فكأنما عاتب الشاعر أو اغتابه ، ويخبره أنه ضبط  
الحروف ورتب القوافى ، ويوصيه أن يقرأ جهرا ماكتب له على كل الناس  
القريب منهم والبعيد ؛ ومن كان منهم يدعى فليجب على السؤال وليجل فى  
معانيه وليشرح جوابه حتى لا يظل مدينا فيشهد عليه العدول :

باسؤالى استفخر واتلق كل من ايعاتب

اللى ايعاتبك كنو عاتبنا

او غتبك كنو غتبنا

او هكذا فالشعر اكتبنا

اضبطنا لك لحروف والقوافى لها ترتيب

اقرا بالجهر ماكتبنا على لبعيد ولقريب

واللى داعى لنا ايرد لجواب

ايجول افلمعانى

ويشرح لسؤالنا اجابو

اولا يعود مديانى

واعليه شاهدين اعدولى

وارضى ايكون مديان

ثم يستعرض له بعض الاثناز كهذا الذى يسأله فيه عن ماهية علم الشعر  
والمواهب وكيف تتسرب للنفوس ، وعن اقسامها التى لايعتبر شاعرا من  
يجهلها ؛ وكل من غاص فى بحر الهوى يجده صعبا الا من منحه الله الموهبة  
ويوصى راويه الا يهاب المدعى بالجهل ، فهو اعجز من ان يأتى بمثل هذا  
السؤال أو هذا الشعر مهما طأل به الزمان :

وانسال امن ادعاو اعلى علم الشعر ولمواهب

واعلى اشمن (1) اسبيل يدخل لجسام

كان تهم فالخلق ارسام

قسموه الفهام اقسام

من لايدريها لايقول شاعر فالحقول ايجيب

واللى داخل بحر لهوا بجهلو يلقاه اصعيب

الا من ودو ربنا الوهاب

واللى ادعا اعليك ابجهلو بالك تستهابو

ما جاب عوض سولانى

ألو ايعيش ماعاش المرو ولا ايجيب لوزان

ويختتم القصيدة بتحذير للمدعين ان عجزوا عن الرد - وهو عليهم

واجب - انه سيبقى دينا فى عنقهم طوال الحياة ، وأنهم لن يساووا شيئا

بعد ذلك ؛ ومن عرف كيف يحل السؤال فليشرح اجابته وليعرف بمصادره

ولينظم ذلك على نفس الميزان :

وانسال من ادعاوا بجوابى واعليهم واجب

ويذا يعجزو عنهم يبقى دين

لجواب الواضح المبين

طول ما دمنا فالحيين

لاتحسبهم اسواوا وخذلك فالخلطا تجريب

من يفقه لشيئا اكما انشاها علام الغيب

معناوى ياتينى افصح لخطاب

(1) وعلى أى .

ایفیدنی بشرح اسؤالی فاشمن اکتاپ صابو

واعلى اطلبوع میزانسى

واعلى اکواکبو وادراجو طرقات هل الغیوان

وللترکمانى «سولان» یقول فى حربته :

اصنع اوجول وائامل یا انسان \* جاوب اسؤالى کان انت البیب فاطن  
ويسأل فيه من جملة ما یسأل عن طائر یجول فی البر والبحر دون  
أجنحة أو زاد ، یقطع الارضین فی ساعة ویصعد للسماء بسرعة ، یتبیسض  
ویفرخ فی البطاح ، رأسه فی ذنبه ، ولیس لعینیه مثیل بل له عین زائدة  
وأذنان ، ولكنه لا یسمع الا بواحدة ، ترى ماهو وأین یتقیم ؟ :

عن طیر سلتنک ایجول ابلا جنجان بر وایجار

وایغیر زاد أولا لیه ابضاعا

ویقطع لرضین افساعا

وللسما یصعد باسراعا

وایبیسض ویفرخ اقلبطاح ایمین واشمال

وابراسو فی قزبنو وعینیه ابغیر امثال

بمقعد وبؤدنیه رد بالك

ویسمع غیر بودن وحدا سبجان ذا المواهب

وابعین زایدا ثانى

یندر اوحده ماندری

اکما هو اوفین کاطن

ومن اسئلته یتفسر عن رأى الشرع فی أمر رجل سافر الی فاس  
وترک زوجته فی القصر ، وفى یوم سفره تزوجها غیره فولدت له ، وکتبت  
للزوج المسافر تخبره بمولود رزق به وأصبح ذا مال ، وتقسم انه لیس  
ولده ولا ولد زنا وتطلب منه ان یلحق بها علی الفور ، فامتثل وحضر ولكنه  
وجد نفسه مغلوبا علی أمره وغریبا بعد ان کان قریبا :

وانهار فاش سافر غیرو خذها

وارجول سافر الفاس اخلی زوجته اقلقصر

اولدت امعاء امن ابطنها  
ولدت اكتببت انراجلهما  
فالكتاب قالت ولد زاد عندك واصبح ذو مال  
تالله ماهو امن ازنا ولا هو ولدك واحتال  
واقدم بالتكبير اوجسى اتبارك  
وامتائل الرجل امرها واضعا امن المغالب  
من بعد كان دخلاى  
عند الامر ارجع برانى  
والشمسرع بساش آذن  
وبمثل ماختم ابن على ختم التركمانى فقال :  
ياحافظ اللفا خذ اسؤال المن ادعا امختصر  
يعزم ابلجواب اويأتينى به  
ويرضى بالغلب اعليه  
ويقبل شرطى وانوريه

أما فى الخصام فيتحدثنا ابن على فى قصيدة «العربية والمدينية (I)»  
بحوار رائع بدأته بنت المدينة فرمت محاورتها بأنها كلبة الدوار ربيت فى  
الخلء ، واذكرتها بالقرب تملأها فى الصباح وبالخطب تجمعه فى النهار  
وبالرحى تسهر عليها طوال الليل ؛ حياتها تعب وشقاء ، ورجلها حافية  
متشققة ورأسها عاز ، تفترش التراب عند النوم وتوسد حجر الكانون ،  
وشتان ماينها وبين بنت الحضر تربت مصونة فى بيت العلماء . وأين هم أهل  
البدو الوسخون من سكان المدينة يعمرن المساجد وينصتون للخطب ويعثون  
ابناءهم للكتاتيب :

قالت لمدينيا \*العربيا واش افعالكم تنسأهم  
تربيت لخلأ كلبات الدوار \*آش ايجيك لبنات لحضر واترابى لعلوم  
وانت بدويا \*ما تفكرت لكرب فالصباح تملأهم  
واتحرفى احبل لحطب كل انهار واتظلى واتبانى اعلى الرحى ما طال الديموم

(I) المقصود بالعربية : البدوية .



متعوباً مشقياً \* ارجليك ابلحفا ينشقوا افسرت اشقاها  
والراس ابلعرا عمرو ما يستار وابحال التمود ترقد من جهلك واتقوم  
كحيا مطويا \* بالفرايق كتتغطى بكفاهم  
واتوسدى مناصب كانون النار واتروحي عيانا اعلى التراب ترقدوا حموم  
ما فيكم انقيا \* هكذا سيرت هل برا اسواك واسواهم  
شيخيكم لهل الظل والجدار \* وامساجد للخطبا امع الصلا وامسايد وارسوم  
وردت البدوية مشبهة الحضرية بالبومة فى الغار ، دائمة المرض  
لا يغيب عنها الطبيب ، لونها يصفر بدون داء ويذبل من أثر سم جير الجدران  
الذى ينعكس عليها فيجعل طبعها ساما كذلك ، وهى ميتة فى حياتها ، لم  
تخرج يوما الى البادية لتتعرف الى حى محاورتها تحيط به الاشجار ، وتحمية  
الخيول والسيوف والرماح والاشواك من الاعداء \* ثم ان العرب موصوفون  
هاكرام للضيف وبالطبع الكريم ، وهم كذلك ينشؤون المساجد ويتخذون  
الخيام كتائب للتعليم ، وكل من زارهم ينال من خيرهم على عكس المدن  
التي لا يوجد فيها شىء دون مساومة أو شراء :

وادوات العربيا \* قالت المدينة يالفاهم الغاهم  
خمدى ياشبيهت موكا فالغار \* آش ايجيبك لبنات لعرب واعوالى واسهوم  
وانت بلديا \* شوف لثالك ماعمر الطبيب يخطاهم  
وابغير ضر كتدبال وتصفار \* سم الجير ايولى اعليك مايثبه لك مسموم  
موتك وانت حيا \* يالى ماشفت عمرك عربنا ومأواهم  
امعريين بصوارمهم لقفار \* لوكان اتشوفى حيناً اذا صاكت قوم القوم  
بسيروت محضيا \* ابلقنا والدركا يدرقو امن اعداهم  
وامثيلهم من يوصف ويذكر \* هما كرمين الضياف وهل الطبع المكروم  
وامساجد منشيا \* رخيما الطلبا واجميع كل من جاهم  
يمشى ابخيرهم يتشكر تشكار \* واش ادى اللمدون كل شى بالمشرا والسوم  
وعلى هذا النمط تسير المحاورة تتناول جوانب مختلفة من الحياة  
الاجتماعية فى كل من المدينة والبادية . تفخر المدنية بأنها محجبة تحافظ  
على الصلوات وتعيش حياة زاهية منعمة وترفل فى الحلل والحلى ، وتعير

البنوية بأنها سافرة تظل تدور فى الأسواق وترعى الأبقار وتقلع نبات  
الدوم ، ليس لها مآثرهى به من النعيم والرفاه والحلى واللباس ، عيشها  
مذموم أساسه الذرة والشمعير وعفنها كثير والماء عندها قليل . أما العربية  
فترى أن التقوى موجود فى القرى والمدن على السواء وتغير ساكنات المدن  
بأنهن شر الخلق ، اجتمعت فيهن كل الهموم والسيئات وأعمال إبليس ،  
ساحرات كاهنات غادرات بالآخرة والأزواج ، تنفسي فيهن المناكر . وينتهى  
الحوار حين تفخر العربية بأنها من أصل قرشى معروف وأن الله وعد العرب  
بثلاث بالجنة والقرآن والرسول ، وتذكر بنت المدينة بأنها ببغضها للعرب  
تبغض الرسول ، ولكن هذه سرعان ما ترد بأنه لولا موقف محاورتها مامت  
العرب بسوء لأنها تتفانى فى حب الرسول وفى سبيل حبه تتغاضى عن كل  
مافان فى منها من شتائم وتطلب منها ان تستغفر .

ثم يتدخل الشاعر للمصلح ويقيم لهما نزعة ليسليهما ويتسيهما الخصام:  
قلت لهم اعلياً ✽ صلحكم وانزاهتكم كيف كنت نشاهم  
وصالحتهم وقمت لهم انهار ✽ كيف يشتهاو الباهيات وافجيت لهم  
اهموم

ومثل هذا الخصام نجده عند اميرد فى قصيدته التى حربتها :  
امى احنا وايلي امى لوريت يافاهم اللغا ماذا صار البنت لحضر والعربيا  
وايلي امى لوريت يافاهم اللغا

ولكنه يجعل محاورتيه تدعوانه ليصلح ما بينهما ، فيتدخل ويرضى  
كلا منهما فيبدى اعجابه بجمال العربية الكامن فى جادبيتها وعيونها الفاترة  
وخدودها الموردة وقدها العالى ؛ كما يبدى اعجابه بجمال بنت الحضر  
الشبيهة بياقوتة فى تاج النصر مصونة فى ابهج المدن .

ويرى أن الله كتب عليهما هذا الخصام وأنه ليس فيهما ما يعاب ؛  
فلم تلبثا أن انشرحتا لكلامه وصفا قلبيهما وغدتا تتبادلان اللعب والضحك :  
قالوا مرحبا جابك ربى يافصيح الشياخ اعز الماهرين

جول اخمم فالحين فارقنا

قلت لهم حتى عيب ماهو فيكم

زينات زينكم يرضانى

أنت اتبارك الله العربيا

امرونقا مسرارا بعيون نايماسرديا

واخدود فاتحا عكريا

والقد قد صارى

وانت يابنت لحضر

ياقوتا فى تاج النصر محضيا

فى بهجة لمداين صولى ياروح راحتى وهنيا

هاد لغير جابو ربي

لجواد مايعيبو

حاشا يكفا من لخصام

انشرحو واصفاو لقلوب افرحو

جازونى بخير اجازيت انباهيات ساروا فى حفظ الله ديك

تلعب لخر لها ضاحكا

ومن أروع قصائد الخصام وأشهرها قصيدة «الخادم والحر» للغرابلى

يقول فى حربتها :

قصا اجرات للخادم والحر ۞ يوم ظلو فخصام اكثير عل المعيار

وفيهما تصف الخادم (1) الحر بأنها كسولة وبخيلة وصفراء وباردة

وثقيلة ومسمومة ، دائمة الشكوى من الاضرار غير قادرة الا على الخصام

والتعير ، كل من مسها يصير عليلا ويصفر لونه ، أمها ساحرة وأبوها

يقضى يومه فى جمع الاعشاب والبخور ، وان كانت حرة فانها هى الاخرى

قد تعتق وتظفر بالحرية . ثم ان الخادماات يكن فى الدور الكبيرة عزيزات

فيهن العلاج واللذة الطيبة ولونهن يفوق لون العنبر . وترد الحر بأنها

تستحق كل ماحصل ، فقد قبلتها للسخرة وهى كالحجارة يحيط بها الويل ،

لا تخرج من المطبخ ، وتضرب بالليل والنهار ، رائحتها كريهة ، ولونها أسود .

وتذكرها بيوم مجيئها فى حال بؤس بلباس وحذاء ممزقين ، ثم انها مثار

شؤم ، كل من اقترب منها يعمى من شدة رائحتها الكريهة . ولم تكتشف

(1) المقصود بالخادم الامة .

الحرّة بهذا الرد وزادت فعنفّت معها فى القول - الذى سنمئل به - ووصفناها  
بأنها عجوز بنت عجوز وبأن الله فضلها عليها ، لو قتلتها لما حدث أى شىء ،  
وأنها قريبة قاذورات وعلقة فى بئر ، طبّاخة تسرق اللحم من القدر ، أمها  
تكشف عن الحظ فى المحار وتتلهف على القديد ، وابوها يسعى من دوار  
لآخر يضرب فى طاسات الحديد ، وأخوها يجول فى الحى ينفخ فى المزمار  
من أجل جمع قطع الخبز ليبيعها ويبقى بالجوع ، أماهى فكالخنزيرة أو  
القردة المسوخة . ثم تسألها أهى على دين الاسلام ام كافرة ؟ وكيف تم  
مجيئها جائعة حافية عارية الا من فوطه ائذرت بها ؟ وبأية عملة اشتراها  
التجار أبلالمح او الودع ؟ وتذكرها بأنها حين وصلت لم تساو عشر دينار،  
وكم مرة دللها السمسار ، وكل من رام شراءها يأخذها لتقضى الليل عنده  
ويصبح وقد تضايق من رائحتها الكريهة وشخيرها الشبيه بالمنشار ، فيردها  
للدلال ، الى أن قدر لزوجها أن يشتريها دون مشورة . وحين أتت للبيت  
وجدت ربته بارزة فى فراش قبتها ، جميلة لابسة افخر الحلى والثياب .  
ثم أخذت تصف جمالها وبشاعة الخادمة مقارنة بين بياض شبيهه بضوء القمر  
ولون كقطعة من الليل ، بين سواف رائقة للتصفير وشعر مكور كحبوب  
الابزار ، بين خدود حمراء منقوشة وخدود مشققة كالندوب عليها بالاطفار،  
بين أنف دقيق كالبار ، وانف منتفخ كالكير يوقد نار الجمر ، بين شفاه  
حمر كالشهد وشفة بعير ، بين نهود صدر كبرتقال فى شجر ونهود  
كالباذنجان الكبير ، بين أقدام دقيقة وأقدام كاظلاف الحمير . وما ان وصلت  
الحرّة الى هذا الحد حتى فقدت الامة وعيها ومسكت بحجر وقذفت الحرّة  
ولكنها اخطأتها ، فحمى وطيس الحرّة واخذت تلطمها وتضربها كيفما اتفق  
بقفل حديدى كبير . وقام هرج وضوضاء فى الدار ، وكادت ان تقتلها لولا ان  
حضر الجار وفكت الامة من قبضة سميدتها . وحين رجع رب الدار وحكى له  
ماوقع باع الامة واستراح وعاش بقية ايامه يزهى مع زوجه الجميلة :  
قالت افلجواب الحرا مهما اطوال لكحار  
سكتى بالنكرا بنت النكرا ❦ اعليك فضلنى ذا لقدرا  
اولو اقتلتك شى مايجرا

لاش اتصلحي ياكربت لخنز ياعلقا فى بير

طيا با طباخا او سارقا اللحم امن الطنجيسر

اتقول يما حافظا الكارا

امك ابلودع شوفا واعلى لكديد تسعار

واباك يالقنجا (1) \* بالقرقا اىطل ايكوع وايدور كل دوار  
اوخوك اقلمدينا داير شهرا \* كاي سوط افقرن اعشارى افقاع مزمار  
وايدور افلحوم ايلم الكسرا \* ايبيعها وايقل بالجوع بن المطيار  
وانت امثل حلولا فى قفرا \* او قردا ممسوخا سأكنا افلوعار  
اعلى اضنايتك حكم المسخ اجرا \* عيدي لى جنسك اسلام او كفار  
واعلى امجيك عيدي لى كيف اجرا \* ابلودع ولا بالملحا اشراوك تجار  
جابوك ابلحفا والجوع ولعرا \* ولا اسويتى يوم اوصلتى اعشور دينار  
ولاعليك بعد اكشيف السترا \* امتزرا بالفوطا وامتبع السمسار  
واشجال ماتدلتي من مرا \* من راد ايقلب عندو اثبات فالدار  
فالصبح كيقول ايولاهى جرا \* بايتا كاتشخر شخرات زى منشار  
وصنان ريحك خنزير شكرا \* خرجك للدلال وعاد له ماصار  
دلال امن احواز البهج الحمرا \* اعيا ايهات وبعبدا ابقى افلكرار  
حتى جا المغرور امع القدرا \* اشرا وخلص فالساعا ليس دار بشوار  
وامنين جيت صبتينى مشتمرا \* بارزا فكساوى واحلول زهو لبصار  
وافراش قبتى ماهو فى حضرا \* كل من شاهد زينى دون قيس يعداد  
شوف ابيض لونى كضى القمر \* شوف لونك كنقطة امن اظلام لسحر  
شوف اسوالف تعجب للضفرا \* شوف شعرك لمركب كاحبوب لبزار  
شوف انقيش عل لخدود الحمرا \* شوف لخدودك زى النادبا بالظفار  
شوف الانف باز ابطحا خضرا \* شوف انفك نحكيه كير واقد اجمار  
شوف اشفايفى كاشهدا حمرا \* شوف دوك اشلاقم لبعير جافتحكار  
شوف انهود صدرى ليم افشجرا \* شوف لنهودك دنجلات دوك لكبار  
شوف اقدامى كن خدلج واطرا \* شوف لقدامك نحكيهم افراقش اجمار

(1) الحمارة \*

تما انرا الخادم رفدت حجرا \* شميرت اعلى الحرا واتقول كلمت الدار  
زكلايتها وحركت لها الحرا \* ابقات تعطيها بالزكروم دون ختسيار  
وما اكلت من طرش ابلا فترا \* عاد رجعت لحسبها بعد بان لعوار  
بالهرج نوضت فالدار الكسرا \* امشات تقتلها لو ما كان حاضر الجار  
وفكها وخرجها واتبرى \* حين جامول الدار وعاد ليه ماصار  
باعها وعينا راسو وابرا \* وسار يغنم زهوا اياموا مع الخنار  
ومثلها قصيدة «الزمنية والعصرية» لحسن اليعقوبي ، وحربتها :

آش را من لارا لبنات يوم قاموا لكحار (1)

زوج هيفات اصغار

شبابا عصريا وامع الحاجبا فالجورا

وفيها نجد ثريا «العصرية» تنهم هنية «الزمنية» بالامية والتأخر ،  
لم تذهب مثلها للمدرسة ولم تحضر المجالس ، مشغولة بأعراض الناس تشتم  
وتغتتاب ، ولكن هنية ترد بأن محاورتها غير مؤدبة وبأنها مشغولة بدفاترها  
ودعن شعرها المخلوق وتسريحه ، لباسها بعيد عن الوقار ، سافرة الوجه ،  
غارية الرأس ، لاتعرف شيئا عن الطبخ وشؤون البيت :

نسمع العصريا اتقول للزمنيا

يا جارتى اهتيا

سمعى منى اخبار

من يوم اسكنت احداى جارا وانتيا فاشفار

يا حسبي لله سالبيا بخصامك جمع لفكار

عمرك ماشفت اتقول شى مدرسا

اولا حضرت مجالسا

ولا اهواتك الدراسا

ايلا اهواتك

بك اعوار الناس جارحا بالسانك

فيمات لقياس

(1) الخصام .

مشغولا بيا

اولا العنت شيطانك الشرير

خوذيني نصفك تشتمى فيا

جهرا ابلا اخفيا

فالسنا تاعت لعشيا

عند اغروب النهار

قالوا للمشتاما النار

بالسانك قلت اعلى الشكارا (1)

مصحوبا ديما امعايا

محمليا ابكتوب عل لفتخار

سابقا بالمعيار

كأبرا اميا فالسب ولغتب والزورا

لالك المدرسيا فايقا عل لكار

ياتسمعى لخبار

يالزمنيا غشميا اموخا للورا

قالت الزمنيا بجهار

يا لعصريا هذا عار

ياك حق الجار اعلى الجار

ماعرفت كود الهدرا (2) اعلى الشكارا

قمت كسرا

وزايدها اتفلقى ابلجار

مخصوصا ادب بالشبانيا

يارهط البويا

مشطونا ابلشعار

السانك مطلق ما عرفت مونا

ولا اعجنتك معجونا

ومع اكنانك مشطونا  
طول النهار  
أنا زمتيا او حاجبا في داري  
وامع الشغال طول انهارى  
ليا اصغاي  
انت ديما امقربا  
صايا فالمحزم امع اقويمجا دون اخفا امجيفك  
اكريفيطا خانتك  
وانعالا محسوب صاندالا  
للخرجا والدخول  
شرع الله امعاك يالعصريا  
مادرت اصواب ليا  
فالشعر امحلقاه تيا  
دون لغراض لقصار  
حتى الراس امع لوجه باين  
لادرا لانكباب  
قالوها مثلا اعلى ابخالك  
خرجى سوق الزحام  
آش اتعرفى فالطبائح  
طبجين امحمر ابلفراخ  
ولا ميذا ولا مخرقا  
ولا بسطيلا امورقا  
لاقورما لا محنشا اشغل الدار  
زايداها تعفار  
ماتعرفى لشغال الدار  
حتى دورا  
آش غير الدهنا والراس حالقالو لشعار



## امخالف للآثار

### فالسوالف نظرا

#### ماهى ابحال بتورا

ونجيب العصرية بأنها مهتمة بالتعلم وطى مراحل الدراسة ؛ فلم تجد الزمنية غير التركيز على مظهر العصرية الذي لا تراها لائقا وعلى معرفة الطبخ وشؤون البيت لاسيما ان جاءها ضيوف فانها تعجز عن تهيب الطعام وتأخذهم الى المطاعم . ولكن العصرية ترد بأنها مثقفة وأن الطبخ من اختصاص الخادمة التى تتقن كل أنواع الطهى ، وتخبرها بان خطيبها راض عنها تخرج معه وقد تعرفت الى أهله وتعرف الى أهلها . وتدعوها الى ان تخرج من غمة الدار وتصبحها فى فسحة بالسيارة لتزور مدرستها . وتؤكد الزمنية أنها محجبة تتبع العادة وأنها بذلك سعيدة ؛ وهى كذلك مخطوبة ولكن على الطريقة التقليدية حيث لم ينظر اليها خطيبها ولم تنظر اليه بعد ، يقول أهلها انه شاب صغير ومن خيرة الناس ، وقد خطبها فى البيت وتولى أبوها الامر وهو يبعث لها بالهدايا فى الاعياد . ويتدخل الشيخ الجار فيصلح ما بينهما ويصارع الزمنية بضرورة مسايرة العصر ومحو الامية ، وينبه العصرية الى ضرورة تعلم شؤون البيت . ثم يعود اليهما بعد سنة ليجدهما عملتا بوصيته فتحضر له العصرية مائدة اكل شهية وتنسخ له الزمنية أقسام القصيدة .

ومن الخصام المعتاد مانجد فى محاوره بين العروس وحمااتها ، وهى محاوره لم نوفق للتعرف الى صاحبها ، تقول حربة القصيدة :

ماغظمها فالزمان قصا سارت يافاهم لخطاب

بخصام اكثير خرق عادا بين اعكوزا وشابا  
فالعروس تعير الحماة العجوز بكبر السن وضعف العقل والغيرة  
وتوعو عليها بألوان من العلل والامراض قبل ان تموت ، بضعف البصر والبرد وداء الجانبيين والحمى والمرض الخبيث . فقد انحنى ظهرها وشاب رأسها وخلا فمها الا من ناب ومع ذلك مازالت نار الرجال تلتهم اعضاءها :

قالت للشايبا اكبرت واهترت بالعايبا

غرقتى اكرفتي لعكايز منى يعطيك الضباب ■ والبرد اعلمت الجنباب  
والحمى واخيبت يديوك للروضا اعاقبا

بعد ميخنك ظهرك احنا والراس لك شاب ■ فمك مافيه غير ناب  
مازال ياخلاك نار الرجل فاعضماك تاكبا

وتحييها الحماة لتطعن فى عرضها ، داعية عليها بانقسطاع الرجاء  
نكثيرا ماوعظتها ولكنها لم تنتبه من عماها ، كانت تريد ان تشتغل فى  
البيت كما يفعل من هن خير منها ، وتقنع بالواقع وتحمد الله عساه تعالى  
يرضى عنها كما رضيت هى عنها عروسا لولدها ، على الرغم من أن طالعها  
ان شمرها على البيت حيث ضاق العيش وارتفع الخبز وسب رأس ابنها  
الشباب ، ولكنها كلبة لاتعطف طالما ان قلبها ميت اسود . وخالما انها لم  
تسوف دينها :

نسمع فاشاينا ونطقنا ■ قالت للبيت كيتك  
عدفنى عرضك لمشمت ■ يقطع ربي ارجيتك  
اعيت انواعك وانحدث ■ مافقتى امن اعيتك  
معنيت اعليك قلت واش التيقى ياغرت لكلا ■ واتكونى من اهل العراب  
واتعرف بين الزمان ابعوانو يالسايا

ياحدمى كيف لالياك وانقى ابا اكتاب ■ واتجسدى غائق الرباب  
او طلييه يقبل اعلينا ويهون كل صعبا  
كيف اقبلنا اعليك بعد اعرفنا اندامك الزغاب ■

مللى حضروا الخير غاب  
وارضيها ابلقضا وقلنا لاهرب من لكاتب

انويت اعماك باللطافا من جانب وقتنا اصعاب ■  
والولد اصغير كيف شاب

نبغيك اتساعفيه واتكافى من دى لعاتب  
وامتين شفت قلبك ميت اكحل امن اغراب ■  
والظن الذى انويت خاب

احرام اعليك يالكلبا دينك ابلا امراتبا

وترى العروس فى ردها انها لو لم تستح من شيب الحماة للطمتها ،  
وأن كبر السن معدن كل العيوب وأن الخدمة والكنس لا يليقان بها  
وبمئلاتها من الشواب ، وأن شغل البيت من واجب الحماة ، فهى تخرج  
بلا لثام ، وعليها ان تنفق فى السوق وتطبخ وتقدم الطاس (I) وتحضر  
المائدة . اما هى فتتعمع مع زوجها فى مجالس الاستمتاع متزينة فوق الفراش  
وعلى ضوء الشمع وأمامها صينية الشاي يتساقيان فى سسلو وتيه وضحك  
وملاعبة ، وإذا ما شئت الخروج للحمام أو الذهاب لفرج عند الاصهار فان  
العجوز تسير خلفها حاملة لها رزمة الملابس على ظهرها كما تفعل  
غيرها من العجائز :

نسمع فالبت ابغير دهشا ■ للشمايا وقالت ابصوت الهيب  
ماحق اعليك غير طرشا ■ لولا استحييت امن الشيب  
ولاينى يالشاخشا ■ لكبر معدن كل عيب  
آش ابقى لى ايلا اخدمتك قولى حشمت بالشواب (2) ■

واتهون انشطب الرحاب

ولانرضى انكون لك خادم ياعجب لمعاجبا

انت بعد ايلابقيت سهم الخرجا ابلانقاب ■

والمقضييا والطياب

وارفود الطاس يتبع الميدا واعليك واجبا

ونا فامجالس امع ولدك فوق لفراش بالشواب ■

واعلى الماكول والشراب

والشمعا شاعلا افبيتى والصينيا امرتبا

ترا نسقيه ويسقيني بتاى اعجيب افلكواب ■

ترا نسلوا ابلحجاب

ترا بالتية واخنات منى ترا ضحك واملاعبا

---

(I) آنية غسل اليدين قبل الاكل وبعده

(2) جلبت لهن العار ، من الحشومة بمعنى العار ، وهى كذلك بمعنى الحياء

انهار ايلض لى الحمام واحضور افراح النسب ■  
وايلا كنت امن اللباب

تتبعينى ابحال لعكايز بالرزما امراكبا  
وتسير المحاورة على هذا النمط فى تبادل الشتائم ، تحاول الحماة ان  
تحط من شأن العروس والطعن فى أخلاقها ومستوى أسرتها وأن تقنع ابنها  
بضرورة طلاقها لتخطب له غيرها . وترد العروس بالوان من السباب  
تستوحيا من الشيوخ وآثارها المادية والنفسية على الحماة . ثم يتدخل  
الولد بعد أن حار فى الامر وكأنه يصارع الف امرأة وبعد أن بكى وقرأ ولعن  
الشیطان ، فينحني أمام أمه ، يدها خلف ظهره وخذة فى التراب معترفا لها  
بأنه لها عبد ، ولكنها أحرقتة بالحطب والنار ، وذلك جزاء كل من يساعف  
زوجته وتهون أمه عليه وتغلبه نفسه ، وهو يفضل أن يؤدى فى الدنيا  
ويزيل غضب امه ويريحها على أن يظل متابعا فى الآخرة ليعاقب شر عقاب .  
فكان ان لانت الام وحنّت وزال عنها كل كرب . ثم التفت الى العروس  
بحزم ونظر اليها بعينين ملتهبتين ، فاعتذرت لوالدته ورجتها ان تفك رقبتها  
من العقاب وأكدت لها انها تائبة الى الله وأن اسلامها سيتم ويحسن على  
يدها :

طاح الولد يبكى ويقرأ ■ ويلعن المارد الرجيم  
ويحك اعمامو ايقهرا ■ وادموعو ساكبا ايضيم  
واتقول اتلقى ابالف امرا ■ والعز ابوجهك لكريم

اينادى بعد مد ايديه اوراه اوخذ اعلى التراب ■  
العبد اوكل ما اكسب

انا مكسوب عبد يالميما (I) وانت الكاسبا  
احرقتنى ياميمنى فالدنيا بالنار ولحطاب ■  
يستاهل امن اخطا وساب  
واسعف امراتو وهان بمو والنفس اعليه غالبا

اللهم انخلص احنا وانقول اصفنا من لغضاب ■

خاطرك ولا بقی اعناب

ولا نبقي الاخرى نتعاقب شر لعاقبا

حنت وارطابت لميما وزال من خاطري لكراب ■

واهنا ممن بسعد التعاب

واتلفت افلمرا بقلب امصم واعيون لاهبا

زاركت فمو وقالت لها عتقى رقبا من لعقاب ■

منفعا واجبر والتواب

واليوم انا اعلى ايديك اسلمت ولله تايبا

وقد تتعدد المحاورات في قصيدة واحدة على حد ما نجد في «الخصام بين عشر جوار» لابن داوود ، وهي عبارة عن خمس محاورات ثنائية تدور بين البيضاء والسمراء ، والطويلة والقصيرة ، والسمينة وال نحيفة ، والحضرية والبدوية ، والشابة والعجوز . وهي في الواقع مجموعة محاورات مستقلة لا يخرج الحوار فيها من الثنائية الى نطاق واسع تتعدد فيه الاطراف كما يتبادر من التسمية

تبدأ البيضاء فتفخر بأن لونها كالعاج وجسمها كقطعة قطن في يد النساج وبأن بين البياض والسواد مثل ما بين الليل والنهار ، والوسخ والنظافة ، وبأن السواد شبيه بالقار :

لوني ابيض اكما العاج ■ بدني اكما القدان بيدين انساج

بين لبياض وبين لسواد ادراج ■ مثل النهار والساج

انظر تفكرتك فالشوب المجلوب ■ صاحب لبياض محبوب

وما السواد من راد يتنقى ■ باطل كذاك يشقى

وانت لسونك يحكى للقار ■ وادنيث (I) ياسودا تعاندينى

فتجيبها السمراء بأن لونها كلون الخمر في الزجاج وكماء الذهب يكتب

به الثاج ، أما العاج فليست تنقش به غير القباقيب ، وفي البياض خمسة  
كلها بارد وثقيل هي الملح والجير والرخام والعاج والقداد (I) ، تداس  
مبخوسة الثمن بالاقدام ، وليس يسام غالبا غير الاسمر كالعسل والدمام  
والمسك والعنبر والتبر والبرهمان ، ولولا السواد في العين ما نظرت الى الدنيا  
يشرق اكما الخمر في قطعان الزاج ■ نسما وطيبها واعلاج  
وبماء الذهب كيتكتب الثاج ■ ونقش لقباقيب العاج  
ماريت افلبياض سوى خمسا ■ معروفين بالثقل ولبراد  
ملح وجير به تكسا ■ وارحام وعاج غالبياض اقداد  
مبخوسين او قلها بخسا ■ تحت لقدام ايجرعوا النكاد  
وارفاعت لسوام \* تعرف للاسمر  
شهد لعسل وامدام \* والمسك والعنبر  
والتبر حين يغنام \* والبرهمان لحر

لولا السواد فالحين ■ ماترمقى الدنيا  
وتفخر السمينة بأنها ان جلست اشبهت جيشا وان مشيت تبخترت  
كمركب محمل موسوق ، جمالها شحمها والشحم معشوق ، لاتحتاج الى  
رداء او كساء ، ولحم السمين لذيد في حين ان لحم الهزيل مذهب مردود  
ليس غير عظام وجلود . وأما النحيفة فكالقطعة يبيت زوجها في قنط وهم  
ونكد كانه يغسل الموتى لايلمس غير العظام والجلود ، وهي تستغرب له  
كيف يذال منها مقصوده :

تمشى مثل المركب الموسوق ■ ويذا نجلس كنى امحلا  
زنى شحمى والشحم معشوق ■ مانحتاج اردا اولا اجلا (2)  
لحم السمين ملذوذ ■ واما لهزيل مردود  
مارج اعظام واجلود

وانت يارقيا مثل القطا ■ زوجك انراء افقنطا

(I) لم يتضح لنا معنى هذه الكلمة  
(2) الكساء

ايبات قلى مرتبا \* هائم اهميم منكود  
يغسل الموتى \* يلمس اعظام وجلود  
عجبنى وكيف حتى ؟ يبلغ امعاك مقصود

فترد النحيقة بأنه شتان ما بين الغزاة والناقة ، وبأن السيف لولا  
رقته ما قطع ، وبأنها لطيفة ظريفة الطبع . أما السمينة فلا طعم لها ، يكفى  
أن يعرق جسمها قليلا ليحمض :

كان هي لغزالا تشبه الجملا ■ او افلحضور اتجلا

...

وامن الرقا السيف كما يقطع ■ ويشطر كل من صادف بدنو  
منى هيا اللطافا ■ والطبع والظرافا  
ياصاحبت لغلافا

وانت باسلا تشبه للزقا ■ تحماض ابقل عرقا  
وتفخر الطويلة بقدها الذى يغار منه البند والرمح ، وتشبه القصيرة  
بكيس كائس لحفاة الملتصقة بارض او القردة تتدحرج فى مشيها ، وتستشهد  
بما يقال من أن الكامل الوافى فى الناس لا يغدر وأن الناقص مستعد للغدر  
وأن الكامل من الثياب يستر والناقص يكشف العورة :

نطقت الطويلا قالت بالشدا ■ مثلى ايصول بالقدا  
منى اغير بين القامات البند ■ والرمح كيف ينحد

...

ومانت ياقصيرا خنشا ■ مثل الفكرون فالشراب يحبو  
فمشيك اتدردب ■ كنك قردا

اسمع قول الناس واستعبر ■ واتأمل فيه انخبرك خبرا  
الوافى فالناس ما يغدر ■ والناقص تزيان لو الغدرا  
والوافى فالثياب كيستر ■ واللى ناقص يكشف العورا  
فترد القصيرة تشبه قامة محاورتها بقامة الزرافة وبأنها تدور  
كالمروحة حين تهب الريح ، وتفخر عليها بأن السهم على قصره يذهب ابعده  
من الرمح ، وبأنها لا تكلف زوجها كثيرا فى المأكل والملبس فيبيت فرحا ،

السنه شهر هجری ■ حاصلات کیودی

اعلى الرمح كيعدى

أنا فاكلي واكسوتي نرفق ■ بالراجل وانبيتو فرحان

لَقَصْر فِيهِ انْقَاوَا ■ وَالطَّبْعُ وَالذِّكَاوَا

بانت اعليه اطلوا

وتفخر المدنية على البدوية بأنها ليست مثلها تدين الرحي وتنام على  
التبن وتخرج للقطف في الصيف وتمض اللبن ، وتعيرها بأن العرب  
مكشوفون دائمو العذاب والشقاء ، وتفخر عليها بأداء الصلاة واقامة مختلف  
شعائر الدين وبنقاء الثياب وستر الوجوه :

ما نطحن ارحى ما انبات فاغبين ■ ما نرقده اعلى اتين

■ مانحترقي فالصيف باللقطا ■ ماندحاو امع امخيض شكوات

• • •

لعرب مكشوفين فاشقيا الكثير واعذاب

واحتنا الصلا والدين ■ وانقاوت لثياب

بِوَجْهِهِ مُسْتَوْرِينَ ■ عَنِ الْعِيُونِ فَاحْجَابِ

وتجيب البدوية بأن جمالها معروف يشار اليه لايحتاج الى ثناء او سراويل : يشرق جسمها كالياقوت أو الذهب ، وهي ليست كمعيرتها صفراء توشك أن تموت شبيهة بأعشاب الظل سرعان ماتذبذب حين تهب الريح . ثم ان سكان البادية يقضون اوقاتهم فى الصيد والحفلات ، يعمرن الخلوأ ويؤمنون الخائف . ومن راح ضيفا عندهم لابد وأن يبيت ، يتنافسوا فى الفروسية واقتناء الذهب والخيول ولا يعرفون غير السخاء والاحسان والكرم والصدق :

العربيا زينها منعوت ■ ماتحتاج الشام اولاً اسراول

وأيديها يشرق كما الياقوت ■ أو الذهب النايير الشعال



وإما أنت يا صغرى قريت الموت ■ اربيع الظل ابنهوا يذبال

...

بالصيد والفرجات ■ كنتطعو الازمان

وانعمرو الخسوات ■ وانأمنو الخوفان

واللى ايروح ايبات ■ من سماير الضيفان

نتعاندا عل الكادا والمركوب ■ والذهب فوق لركوب

والسحا ولحسان ولكرام وصدقا ■ نزلوا جميع رفقا

ونشخر العجوز على الشابة بأنها لم تعد تلد فأراحت نفسها وزوجها

من هم الرضاع وبكاء الصغار ، طعمها لذيد يشتهيها الذوق شبيها بطعم

التين الذى لا يحلو الا بعد يسه ، ثم ان القادة والفرسان لا يركبون الجذع

الصغير ويفضلون عليه الفرس المكتملة يذهبون بها للمبيت فى أى مكان :

اقطعت الولدا واتهنيت ■ واتنها زوجى وصبت امنأى

مانكسب غير الزبون فالبيت ■ ماغندى مصاص ولا زواى

...

طعمى الذينة وابنين ■ للذوق فيه شهوا

...

ماكتراشى (I) التين ■ يحلا اذا يلىوا

...

القدوات اضراغم الفرسان ■ افرسنان الحرب والجملات

ماقط ارضوا يركبوا الجدعان ■ قالوا لك فامثالسهيم كلمات

اركب كارج ايبيتك فرحان ■ لاین ماغولت به اتبات

فتجيبها الشابة معيرة اياها بالتجاعيد ، تدعوها للنظر فى عيني

واسنان كل منهما ، وفى جيدها الذى تغار منه الغزالة ، والوجه المضىء

والجبين الواضح وثغرها الشبيه بالشهد وريقها الشميه بمدام معسول ،

أما العجوز فان طبعها شرس نخر وكذلك قولها والفعل ، كما أن السم

يخالط جسمها ، وريقها مهلك ، ثم ان الناس لا يمدحون غير الفتى الصغير

سواء فى نبات أو مأكول ، أما غيره فيحطب وتوقد به النار ، ومعروف ان

العجائز لا يدخلن الجنة (I) ؛ وإن الكبير مذلة ومرض أول منه القبر ، وليس  
يحمد الكبير في غير الدنانير :

قالت لها الصغيرا كيف تشبهني ■ باكما شك المثني  
انظر اترا العينك وانظر العينى ■ وانظر اترا السنك وانظر السنى  
والجيد منو غارت الرشا ■ والوجه ايلوح ولجين اصباح  
والمرشف شاهد ويغشى ■ والريق امدام فى اعسل لجباح  
طبعك اقبيح امسوس ■ تولك امع افعلك

السم فيك مدسوس ■ ريقك كيهلك

اجميع ماهو افتى مشكور ■ فاجميع انبات الارض والمأكول  
فالقاح الارض كلها واشجور ■ كل فتى منها ايصول وايقول  
والشارف يحطب بالشاقور ■ يصلح للنار اشهير معقول  
واللى اعجوز قطعى ■ ماتدخل للجنة  
لكبر فيه امذلا ■ ومرض ابغير علا  
لقبر به اولى

ماهو لكبير امليح الا فالمضروب ■ مسكوك اموهوب

#### ملاحظة :

بلغ ولوع الشاعر الشعبى بفن الخصام انه لم يقصره على الاشخاص  
وانما تخيله فى النبات والحيوان والجماد وبعض مظاهر الكون . وقد سبق  
أن عرضنا لخصام بين الورود والازهار (2) ، ونريد ان نقف قليلا عند  
ألوان الخصام الاخرى

فمن الخصام بين الطيور ما يقدمه محمد بن على المسفيوى فى البستان  
حيث يعرض لمحاورة بين أم الحسن والكنار . فأم الحسن تتهم الكنار بأنه

---

1 إشارة للحديث النبوى الشريف «أما علمت ان العجائز لا يدخلن الجنة»  
يعنى انهن يدخلنها شابات

2 انظر الفصل الاول من هذا الباب

يخسدها لجمالها ويعيرها بين الطيور ، وبأن محاولاته في التقرب اليها  
لن تجديه ، وسيظل جسمه يحترق بنار الاكدار تبدو آثارها على وجهه  
الذابل المصفر من هجره لوطنه ، فقد أصابه الغرور وحضر الى بلدها  
يسعى الى المجد ولكنه لم يدركه ، وهو شقي أسير مقصوص الجناح مسقوم  
الذات ، ومع ذلك يريد ان يبرز عليها ويتفوق :

ابغضتني واشمتني بالعار من لطيور

ليس انفعتك في امحبتى تحزار

مكواك في جسمك نار

ومن لكدار

عن جسمك لون الضنا ولصفرار

ومن لغرور

جيت لبلادى ولا دركت شان

ولا عمرت بك اوطان

في كل آن

تصفار وتدبال ابلهجر يرقان

.....

طول ايامك افلشقا امع السجنان

أسير عيادم الجنحان

حتى لبيدان

مسقوما وانت اتعول يا ولهان

عنى اتران

ويجيبها الكنار بأنه يعذر في حاله لان العشق وهوى الفاتنات هما  
سبب الهموم الساكنة في جسمه ، فقد اتى به صغيرا من بلاد العجم  
وأدرك مقاما رفيعا لترنمه بالانغام في أوقات السرور والهناء ، حيث يتصدر  
مجالس الانس كالسلطان تحيط به الفاتنات والفتيان ، يهديهم الحنان  
ويرحبون بأنغامه المتفنتة :

دار لهموم لوكان اتعرفى الساكنة افلجسام

فأمصايب لعشق وأغرام  
بهوى اليريام  
اتعذرى حالى أولا تزيد اكلام  
ليا اتروم  
جابونى ونا صغير من لعجام  
وادركت اعلو وامقام  
طول الدوام  
كانلاغى وقت لهنا ابكل انقام  
ولا انعام

تلقانى وسط لبساط كالسلطان  
بين اليريام وشبان  
نهدي احنان  
واكذاك فى شغلى ابغيت اليتقان  
قالوا اهملان

وتنطق ام الحسن بعد هذا تعيره بأن قلبه فى حريق وضيق ، لم  
يجد من رفاقه من يشفق عليه ، أخذ بحيلة وسجن وعزل عن وطنه ، لاصديق  
له بين الطيور ، هائم فى قفصه دائم الظمأ والجوع متغير الالوان

قلبك امن اجفاك احريق  
وانت افضيق  
ويحك ما صبت اليوم قلب اشقيق  
بين الرفاق  
سجنوك ابحىلا أولا ايليك تدريق  
مالك فالطيور اصديق  
ولا ارفيق  
عن وطنك معزول ماتعرف اطريق

وانت يا عجمي اعلى لبدا ظمآن

بالجوع انخيف عيان

واعلى اللوان تختلف وانت افلقصص هيمان

وسط لعفان

ويرد الكنار معبرا محاورته بأن وجهها أسود كقابها ، تخرج في  
الليل شبيهة بالجان :

وجهك اكحل ابحال قلبك

وايلا ايبان الليل تخرج انت من لغطان

امثيل جان

ثم يتدخل السمريس ويصلح بينهما ذات البين

ومن الخصام بين الجمادات ما ذهب اليه خيال الحاج محمد بن

عمر المراكشي حيث تمثل حوارا بين القلة والغراف في قصيدته التي يقول  
في حريتها :

اختصام اكثير أفاهمين نوضح شلا يوصف ■ والكلا والغراف ■ داروا  
باتنين اخصوما

باتوا فالمغيار ما ارتاوا اولاهم قصصروا

وفيها يقول على لسان الغراف يعير القلة دون خوف بأنها غدت زائدة  
لا يحتاج اليها بعد ان استغنى الناس عنها بالخوابي التي تملأ بالماء وتبخر  
بالعود ، وهي لم تشاهد الركوات المختلفة الاصناف تحمل في همة وشأن  
متبختره على البغال لتملا وقد وقف عندهما الحراس :

نسمع فالغراف ■ قال فاجوابو ولا خاف ■ للكلا فالتعناف

شيظت يامدموما

لخوابي بالما كاي عمرو ■ بالعود اتبخرو ■ ماشفت ركوا اولاهم انظرت  
عمرك وقاف

عندو ركوات اصناف

درکوا هما واحکوما ■ دايم عل لبغال كي عمرو ■ بالما يتبخثرو

وترد القلة بأنه أولى بالغراف أن يخجل وقد استغنى الناس عنه

بغراريف الخزف والبلور الجديدة (I) المحيرة ، تشتهى العين ان تراها  
زينة فى الدور الكبيرة تقدم فى المناسبات . أما الغراريف مثله فملقاة فى  
المطابخ مضطايا معيقة :

جاوبت الكلا اسريع قالت هذا الغراف ■ من شيط يا عراف ■ ساجاتوشى  
احتموسا

ماشاف اغراف ادلبديع وبلاز ايحيرو

اعشاقنا مهمما اتشوفهم فيهم مايتشاف ■ موجود غير الناف (2) عند  
الكبرا مفهوسا

فى ساعت لفراح بست (3) حاشا مايتشوخرو

وابخالك روى افلكشاعر ما بين اشقاف ■ امطايا حين اتعاف ■ طارت  
منو شاقوما

تركوه استغناو ابلاغراف الا ينظيرو

ومن أروع الخصام بين مظاهر الكون مايتجفنا به العيساوى الفلوس  
فى قصيدة «النجمة» التى تصور الصراع (4) عابها بين الليل والنهار ،  
يقول فى حريتها :

سمعوا انحصار ماجرا للضى البهيم

عن حسن النجما اتجاربو فى سائر لأكام

وانصار الضى وحازها الرسمو وانزاح اللوم

ومى فى الحقيقة قصيدة رمز الشاعر فيها بالنجمة للحرية وبالليل  
تلاستعمار وبالنهار للوطن . فقد اشتد حزن الليل وبكاؤه وأبينه وطال  
به السهر ، وسأله قومه عن سبب حاله فأجابهم بأنه اختفاء النجمة وعجزها

---

1- المقصود فى المعاورة الغراف المصنوع من الفخار

2- الكلمة من الدخيل الفرنسى ، بمعنى جديد

3- بمعنى زينة وهى من الدخيل

4- سبق أن رأينا فى الفصل السابق ألوانا من الصراع بين بعض مظاهر  
الكون وخاصة بين الليل والنهار ولكنه لم يكن فيه خصام وحوار  
كهذا الذى نمثل به

له ، واستغربوا لذلك وقد ضم تحت اجنحته كل النجوم وطلبوا منه اسمها  
ونعتها فرد عليهم بأنها الحرية لاتخفى ، يريد أن يذهب اليها فى أى أرض  
أو بحر تكون ، فقالوا له انها كانت من قبل فى القيروان :

والليل أقرا حزنو من الجفنى ■ كيهدر ويزيم ■ قالوا لـ ناسو اشبيك  
خبرنا يا إمام

قال لهم النجما اخفات عنى ■ واهجرت النوم

قالوا لو جمع النجوم ■ تحت اجناحك لفحيم

واتقول النجما اخفات لك يا صاحب لحكام

ورائنا سمها ونعتها لاتبقى مهموم

قال الحريا ابلا اخفا سماها لعظيم

فاشمس ارض اتكون اولمافا بحور رسام

قالوا فالقيروان قاطنا كانت قبل اليوم

وذهب مسرعا الى القيروان وسائر بلاد تونس فلم يعثر لها على اثر ،  
وبعث جواسيسه يبحثون عنها فى كل مكان ، وطالت به السنون ينتظر  
وهو مهموم حزين . ثم جاءه الخبر بانها فى حوزة النهار حيث يوجد سلطان  
فى المغرب يمتطى جوادا ملجما مستعدا بجيشه للقتال . فتاقت لها نفسه  
وهيا جيشه كذلك ، وكانت مقابلة كاد فيها سلطان النهار ان يأتى على الليل  
بسيفه ، وخاطبه بأن طالب الحرية ينبغى ان يكون فارسا مقداما وانه هو  
صاحبها منذ اليوم :

جاو الجساس جمع قالوا لو يالغريم \* جينا خبر النجما انتيا فارس ضرغام

حاجبها مير الضيا افرسمو وانت مغموم

اوجدنا سلطان فالضيا دون شكا فالغرب امكيم \*

وجندو للحرب واجدا بالرماح والحسام

واهمام الضى اشجيع عن اجوادى امسرج ملجوم

قال السداج ابغير اوقار \* لا بد ما نغور النجما بسقارو

لوطال الحرب اقليل وانهار \* عندى اجنود هما للحرب اصهار

قام الضى ابسيف بتار \* واهوا على الداج كاد يقطع اتارو

واخرج سلطان الضى للوغى ندا يا لبهيم \*

من راد الحوريا ايكون فارس خربى زطام

انا مول النجما اليوم ولا من بعد اليوم

ورضى الليل بالهزيمة وسلم أمر النجمة للنهار الذى عفا عنه وامره

بالرحيل ، ولكن الليل امهله ورجاه أن يكون له عبدا يخدمه فى كل شىء ،

فوافقته النهار ، على أن تعقد بينهما شروط تحدد مدة اقامته وتعود على

البلد بالخير (I) :

انطقى الداج وقال للضى انا لك اخديم \* وانتظم لحوال كلها كعادت لغلام

أمر بجميع ما تريد انفعلو محتوم

وادوا الضى وقال للدجا هذا الامر الزيم \*

خبرنى لصلاح ارضنا شيقدك من عام

قال هك هوام ياما بالشرط المبروم

ولكن الليل لم يلبث ان تنكر للاتفاق وغدا يحشد جيوشه ويقوى

مركزه فى الساحل والداخل ويكسب له اعوانا يتقوى بهم ، فما كان من

سلطان النهار الا أن ارسل له كتابا يستفسره عن هذه الحشود ، فأجاب

الليل بأنه يسعى بكامل استعدادده لحياسة النجمة التى طالما بحث عنها

ولاقى الهموم والاهوال فى سبيلها ، ورد النهار بان نجم الحرية فى أرضه

منذ الف عام كما يشهد التاريخ :

احرك الليل وجا على لبحر كيرحل ويقيم \*

وانزل فالساحل كيف ماذكرت وزاد القدام

واعمل صدقان احدها واصبح شملو ملموم \*

واخرج سلطان الضى فى امجال كفجر ابهيم

وارسل للداج اكتاب بالصواب وحسن لنقام \*

قالوا شتريد افارضنا لاش اجمعتى د القوم

وادوا لبهيم وقال جيت للنجما بالتقويم \*

هذى مدا جوال عنها فالعرب وعجام

واحجبتها عنى وحجبتها خلانى مهموم \*



خبرنا بالنجما الى اعشقتى حتى نفهام \*  
وانطق سلطان انضى للدجا قالوا يا ثيهم  
قال الحريا اغرامها فى قلبى مرسوم

قال اهمام الضى للدجا ياك الكذب اذميم \*  
نجم الحريا افارضنا هذى الف عام  
طلع لتاريخ الغرب شاهد اعليتنا كم ارسوم \*

وهيات الظروف ليل فحكم بسلطانة البلاد مستوليا على خيراتها  
طاغيا ومتجبرا ، يقتل ويسجن ويطرد ويشرد ، واحس النهار بقومه ثابتين  
واعين لقضيتهم فدعاهم الى ضرورة الاستعداد للانتقام وتخليص البلاد من  
الذيل الخائن ، فاستجابوا ، طائعين لاوامره واعتبروا انفسهم حماة الشعب  
مستعدين للتضحية بالارواح . واعترف لهم سلطان النهار بهذه الشجاعة  
المعهودة فيهم يوم البراز . ولكنه نصحهم بان ينهضوا للتعليم وان يطيعوا  
رأى زعيمهم :

فاق اهمام الضى بالدجا خوان امن اقديم  
واثبت اليخلاص امن اقوامو وافجا لغيام  
واعرف ما دار الدجا من مكر لله مضميوم

واخرج من لحجاب للكباح امحزم تهريسهم  
شار اعلى قومو المخالصين ايتبدو لحزام  
بلسان الحال ادوا وقال لهم اليوم اليوم

قالوا قوم الضى لاحقا قولك قول احكيم  
احنا لك ارعيا ابلا اشتر الركابك خدام  
امرنا واتشوف منا ما يفجى لهموم

نحن حماة الشعب دون شك خدام واخديسهم  
نحن لشبال اشهود عندنا قالتاريخ العام  
ليس انبخلو بروحنا اعلى ذا الشعب المضيوم

قال اهدم الضي للرعيا بلسان احليم  
ندريك افساعت لوغاما تخشاو آلام  
انتم المخلصين امن الصبا مانا جاحدكوم

لكن خذوا وصيتي نهضوا للتعليم  
تبعوا رأي الزعيم صاحب الفكر واهتمام  
هذي روجي وأرواحكم هذا العارف يا قوم



الفصل الرابع

في

حمى الله والرسول

ليس غريبا والشعر الشعبي مرآة تنعكس عليها نفس منشئيه ومردديه ، وان فى غير وضوح وصفاء ، وليس غريبا كذلك وهذا الشعر يقوم بوظيفة — ولو محدودة — فى نطاق التوعية الروحية والتعبير عن شعور انجماهير الدينى ، أن تكون المداخل النبوية والتوسلات من أغنى الموضوعات التى شغلت ذهن الزجال المغربى وملأت قلبه وعقله . فافاض فى القول كاشفا عن خالص حبه للرسول عليه السلام ، مادحا ومصليا ومتوسلا ، ليس له من غاية غير زيارة قبره والتبلى بمشاهدة نوره عساه يكسب عطفه وينال شفاعته ويحشر فى زمرة يوم القيامة .

وقد سبق أن رأينا فى أول الفصل السابق أن الشاعر الشعبى ابتعد عن فن المدح الا ما كان منه فى الرسول عليه السلام فانه انطلق فيه ، الى حدان تسمية المدح أو «المداحى» لا تعنى عنده غير المديح النبوى .

ولم يكتف الشاعر الشعبى بارتضاء القول فى المديح النبوى ، وانما جعل منه فنا قائم الكيان ناضج الصور مكتمل الخصائص ، تناول فيه سيرة الرسول بما فيها من صفات وشماثل ومعجزات ، عرض قصصها فى قصائد أطلق عليها المعراج و «الخلوق» اى ميلاد الرسول ، و «الوفاة» يعنى وفاته عليه السلام . وقد يتناولها عرضا فى قصائد التوسل والقصائد التى سماها « هول القيامة » حيث يتحدث عن شفاعته الرسول فى أمته ، وفى قصائد الحنين الى البقاع المقدسة والشوق لزيارتها ، وهى قصائد يمتزج فيها ذكر هذه الاماكن بالحديث عن الحب والوجد . كذلك غدا التوسل غرضا مستقلا مقصودا لذاته مستوية معانيه ، وان اتى عرضا فى قصائد المديح .

وكما حبذ مدح النبى فكذلك حبذ مدح ابنته فاطمة وحفيديه الحسن والحسين ومدح الاولياء والصالحين تبركا بمقاماتهم وكراماتهم وتوسلا بها الى الله .

وكانت المواسم الدينية - وخاصة ذكرى المولد النبوى والمولد  
الطريقى - أعظم مناسبة لانشاد هذه القصائد . وكان ضريح سيدى فرج  
بقاس ، منذ منتصف القرن العاشر (1) حتى اليوم ، من اهم ملتقيات  
حفاظ الملحون فى ذكرى مولد الرسول ، تسرد (2) فيه القصائد التى تحكى  
قصة السيرة وخاصة منها المطولات التى يندر تداولها ويقل اقبال الناس  
عليها ، والغالب ألا تلقى فى هذا المحفل غير قصائد كبار الاشياخ أمثال  
المغراوى والنجار وابن على وغيرهم من أعلام الفن .

### حب الرسول

عبر الشاعر الشعبى عن حبه الصادق للرسول ، فبدت فى تعبيره  
بعض سمات الحب المعروفة فى شعر الغزل كالفراق والهجر والحزن والبكاء،  
تعلوها مسحة من روحية المعنى وسمو العاطفة ، وتتخللها بعض الانفعالات  
والمواجيد البسيطة الساذجة .  
فحب الرسول عند النجار علاج للقلب لا يستطيع طبيب أن يداوى  
بغيره :

يا مسعدنا به حب للقلب \* اعلاج لا امداوى من غير ادواء

اشتعلت نار غرامه واتقدت فى صميم مهجته فلا يطفئها موج البحر  
الزاهر لو فاض ، وبكت عينه من الشوق حتى رسمت دموعه سطرين  
على الخد ، وغاب النوم عن عيئه فى كل وقت ولم يعد يستطيع الاكل من  
السقم والهيام ، وهو يطلب ممن كواهم الشوق مثله ان يعذروه ، ويوجو  
أن يمنح نظرة فى الرسول نور الحق السامى لانه علاج دائه :

شعلت نار اغرامسى \* واكبت فى اصميم امهاجى قبل الصيام  
موج البحر الطامى \* لو فاض لاطفاها بالداجل والديسام

- 
- 1) انظر الفصل الاول من الباب الثالث لدى تعليق على قصيدة ابن عبود  
المعروفة بـ «الحربى» .  
2) انظر الفرق بين السرد «السراة» والانشاد فى المدخل .

واكتب دمع انيامى \* سطرين فوق سجن (I) الوجن لهل لمام  
بعد اجفيت امنامى \* فالضى ولغياهب واضحى قوتى اصيام  
عسرتسى فهيامى \* امن اكواو كيفى واكماو اعلى السقام  
نرجسا طب اسقامى \* وانمنع النظر وانفوز بطيب لمرام  
نور الحق السامى \* صلى اعليه ربي وعلى آلو اكرام  
وابن على فى « جل الصلا مهديا » يعشق الرسول ومقامه منذ صباه،  
ولكن البعد يكيده له ، فهو فى حالة يرى لها من شدة السهر ، وقد حطم  
الفراق جسمه وأوهن قلبه ، وفاضت دموعه حتى ان غرقة منها تفوق  
الامطار . وعبتا حاول أن يخفى هواه ، فان عليه شواهد تكشف عن اسراره  
الدفينة ، اذ لا ينفع فى الهوى كتمان . وعرف أهل الغرام داهه ، ولكن لا  
علاج له غير زيارة كنز غناه ومنبع سروره وسلواه :  
عشقى امن الصبا فمقامو والبعد كد لى والبين  
لحال حالتي مدالى نرعى اكواكب الديجان  
هد لفراق ديوان اسيارى ولخبير (2) صار اوهمين  
غرقا امن ابجور ادموعى ولا اغوارض من امزان (3)  
اشحال ما خفيت اهوايا والبين افلمهاج اكبين  
خبرو اشواهدى بسرارى ما فاد افلهوا كتمان  
وهل لغرام عرفوا ديا مالى اطبيب فالبرين  
الا اوصول كنز اغنيا هو السرور والسلوان  
ويعبر ابن الوليد عن حبه للرسول بأن فيه عز روحه وهواه :  
آه اعلى بهواك \* يامن روحى فهواك عزها واهواها  
وقد تمكن الغرام من كبده وسكن الحب جسمه ، وهو حب خفى ،  
ولكن مرضاه كثيرون ، اصابه فشقت اعضاؤه وحرمت عيناه النوم ، يقضى

(I) فى القصصى : السحنة يفتحون بمعنى الهيئة .

(2) الاسيار الدواخل والخبير القلب .

(3) اغوارض امن امزان اى سجب ممطرة ، وهسى كذلك فى  
القصصى اذ العوارض ج عارض وهو السحاب الذى يعترض فى الافق ، أما  
امزان فجمع مزنة وهى السحابة البيضاء او المطرة .

لملأه من الاشواق فى مصارعة الافكار والهواجس ، عيناه ترفرفان وجوارح  
قلبه ترجو الوصال :

وانت الى اغرامك ذلك نطناجو اعلى اكبادى  
والحب ولمحببنا سداكن لعضنا  
واخفا وكثرت المرضى  
صعبن واحرممت الغمضا  
اشواق لعضنا

واتبات امن اشواقى فالداج نضرع لعزايم  
والغير فى امنامو متهنى كيبات نايم  
عينى اتبات رفرافا  
واجوارحى وقلبى ترجا لوصال ليل وانهار

والحراق يخاطب محب الرسول ان يفنى فيه اذا اراد أن يتم له  
الوصال ، ويشهد نور الحضرة المحمدية ، ويرقى سعده على جميع الاكوان  
حتى يغنيه عنها بنظرة واحدة . فمن كان هذا الحبيب نصيبه فهو يشفى  
من كل الاسقام والاضرار ، وتشرق شمسوه واقماره وتأتية البشائر فى  
كل وقت وحين :

يامن ابغى اوصال احبيبو \* افنا اتشوف نور الحضرا  
وارقى عل لكوان اتصيبو \* يغنيك عنهم ابنظرا  
من كان ذا لحبيب اتصيبو \* من كل باس حالو ييرا  
تشرق افلقلوب الشموسو واقمارو \* واتجيه افكل وقت ابشارا

اما الغرايلى فيشقى عقله من الحب ويشتعل جمره فى ذاته ، ولو  
فاض موج البحر لما اطفأ نار اشواقه . من ذاق طعم الهوى ينصفه ومن  
لم يذق لا يعذر ، ليس به غير حب الهادى ضوء عينيه ، فهو يتمنى أن  
ينظر اليه :

آه اعلى بلحب عقلى شاق \* واجمار اليمين اكداث فسفاقى (I)  
ألو فاض ابموجو بحر دفاق \* محال ايمرد نار لشواقى  
ما يعذرنى فهو من لا ذاق \* والى ذاقوا يعطوا تحفاقى  
يا حب الهادى ضى لرماق \* هل نظرا فيباه برماقى

(I) اتقدت فى دواخله .

وعنده ان حب الرسول ملك الروح والعقل والاحشاء والاكباد ، وترك عيونه ساهرة ودموعه سائلة ، وليس يتمنى الا أن ينال غاية مراده ويرتاح مزاجه المكدر ، وهو مملوك يريد ان يكون فى كنف سيده حتى يعيش فى رغد وهناء ، بل انه يهرب من أخطائه يريد اللجوء الى حماه كما تفر من أعدائها العيس والغزلان :

حبك املك الروح ولعقل واحشمايا واكبادى \* وانجالى (I) بدموع ساهدا  
هل يا مدرا انال بها غايت امرأتى \* وترويع اخلاكى الناكدا  
آش ايلا المملوك دون سيده فحماه ايفادى \* دينال العيشا الراغدا  
اهروبنى لحماك امن اخطايا ما هرب الشادى \* والعيس الى ظلمت لعدا  
واما الفلوس فحب الرسول عنده فرض على المسلمين دائم باقى ،  
به يروق أهل الايمان ، وهو رونقه وحلته المنمقة ، وهو يقوى شوقه ويرى  
المشتاقين ، بل ان حبه كان سابقا لوجوده مسجلا فى صحيفته بقلم القدر .  
ويرى أن كل من لا يملأ قلبه حب الرسول فهو عامى الابصار غارق الذات  
فى بحر اللهو ، هائم فى الشقاء ، تمزق ريشه أعضاء :

حبك فليسلا فرض باقى عن كل اخلاقى \* به هل ليما رايقا  
حبك يا عين لوجود عندي هو روناقى \* واحلول اكساتى امنقا  
...

حبك يا سلطان كل تقى قوى تشواقى \* به اروات اقوام شايقا  
ونا قبل انكون كان حبك سابق فوراقى \* بقلم القدر الصادقا  
قلب الا سكنو احوالك باقى عامى لرماقى \* داتو عل ليما غارقا  
فلجوج اللهو لقصيف حتى هام افلشقاى \* واعضاء ابريحو امزقا

#### اوصاف الرسول وشمائله

وانطلاقا من هذا الحب الصادق العميق غدا الشاعر الشعبي يستعرض  
أوصاف الرسول صلوات الله عليه يقتبسها من شمائله وخصائصه المعروفة.  
فهو عند الحاج اعمارة غاية الجمال الهاشمى القرشى المدنى ، حبيب الله ،

(I) العيون وأصلها فى الفصحى من النجل بفتحيتين سعة شقة العين.



وقرة الابصار ، وعين الهدى الهادى ، ومصباح الانصار ، وعين الرحمة ،  
وسيد السجودين :

زين الزين الهاشمى القرشى محبوب البارى  
المدنى قرت لبصار  
محمد عين لهذا مصباح انصارو  
عين الرحما سيد امن اسرا  
وهو عند المغراوى فى « عين الرحمة » سيد الرجال المصطفى صاحب  
الشفاعة والخاتم :

ازغرتى ازغرتى (I) اعلى المصطفى سيد الرجال  
عين الرحما صاحب الشفاعة والخاتم طه  
وهو جميل الملامح مشرق الانوار ، المخصوص بغاية الكرامة ، جعله  
الله رفعة وشأنا وبعثه رحمة :

هذا عرس اضيافت النبى محمد زين لحروف صلى الله عليه  
لازم اعلىنا انجملو اسم القيوم ابدى لكوان  
وانصلو اعلى الرسول شارق لنوار انبيننا  
المخصوص ابغاييت لكرام جعلو رفعا وشان  
من بعثو رحما اوجاد من فضلو به اعلىنا  
وهو تاج المرسلين وخاتم الانبياء الكرام ، قدره كبير لم يحصر  
وصفه اكبر العلماء ، سبجان من خلق صورته وكساه الحسن والكمال ،  
ومنحه الحرمة وعلا درجته الرفيعة . والنظرة الى جماله لا تفدى بمال ، وكل  
من عشق غيره لم يجن غير الهول واللهو :

من مدحو يدخل تحت ظل يوم القياما  
لنو تاج المرسلين وانهايت لنبيا لكرام  
قدرو اكبير ما تنهى وصفو علما  
سبجان من اخلق صورته واكساه بلحسن الكمال  
اعطاء الحرما

(I) زغردى (انظر آخر نص بهذا الفصل) .

ادرجتو العلياً علاها

نظروا للعشاق في اجمالو ما تفديها امال

هول راسو كل امن اعشق غيرو كي تلاها

وهو عند التجار سيد الدنيا ووجهها ، صاحب المعراج وخير الاولين

والآخرين ، ليس يشابهه أحد :

والغدار اجفيه واعلم سيد الدنيا اوجهها من لا حد سواء

طه مول المعراج خير من ياتو والي فاتو

انه المفضل طه خير الانام :

نحسن به اختامي \* محمد لمفضل طه خير الانام

لا مثيل لجماله ، ومادحه لا يخيب ولا يهمل غزله :

حسنو مالو ثاني \* حاشا ايخيب مداحو غزلو ما يبور

وعند التجار كذلك انه صاحب التاج واللواء والخاتم ، وانه سيد

الابرار ومشرق الانوار :

لمفضل سيد لبرار \* طه شارق لنوار

صلوا على المختار \* محمد مول التاج واللوا والخاتم

ويصفه ابن علي بانه صاحب الكرامات خير النسب على القدر :

واثنى بصلات لمفضل محمد صاحب الكرامات لكرام بن عبد الله

خير النسب اوعلى القادر

وهو الشفيع الذي جاء بالفرقان ، وعين الهدى وسيد البشر :

صلى الله على اشفيعنا من جا بالفرقان عين لهدا رسول الله

يا عشاق افسيد لبشر \* عيننا في اصلات لمفضل طه

وهو عين الوجود ، لولاه لما كان آدم او اى مخلوق ، ولما وجدت

ارض تسكن او قفر خال ، لولاه لما أرسى الله الجبال ولما وجدت بحور

بأمواج تصوت كالمرعد ، وبعجائب في أعماقها تفوق لكثرتها ما فوق الارض

وما يغطيها من موج ، لولاه لما كانت السماوات والافلاك تملأها الملائكة

تسبح بحمد الله دون انقطاع ، ولولاه لما كانت الحجب والكرسى والقلم

والعرش :

لولا عين لوجود ما يكون آدم ولا يكون حتى مخلوق امعاء \*  
 لا ارض اسكان لا اقفر \* ولا كانوا اجبال تجليل ارساها  
 لولا عين لوجود ما تكون ابحور ابلياج كرعود اتركلم بيماء \*  
 واعجايب قوسطها اكثر \* من فوق الثرى او موج اغطاها  
 لولا عين لوجود ما تكون اسماءات اكل فلك منهم بملك املاء \*  
 مشتملين ابدا ابلا افتر \* في تسييح الله بصوات الغاها  
 لولا عين لوجود لا حجب الاكرسى ما يكون قلم ابأمر و نهاء \*  
 سبق باسم الله فالسطر \* واسم عين لوجود مقرون امعاء  
 لولا عين لوجود ما يكون العرش افعطمت استعجب مهما تنشاه \*  
 خلق الحى عالم الامر \* ايسيح ادوار به دارت معتاها

ويستعرض ابن على بعض خصائص الرسول ومعجزاته ، فهو صاحب  
 الشفاعة ، وهو الذى انشقت له الارض وحضرت الملائكة بين يديه ، وهو  
 المؤيد بالعز والنصر ، رضى الله امته للنعيم ، وهو الذى كانت تسجد  
 الملائكة لضيائه كوكبه حين يسطع ، وهو صاحب الاسرار والمعجزات من صفوه ،  
 دانت له التخله ليجنى ثمرها ، ونبع الماء بين اصابع يده ليسقى جنود جيشه  
 وقد اطعمهم من صاع تمر ، وفر اليه الغزال وكلبه الضب ففهم كلامه وآمن  
 برسالته ، ودخل الغار مع رفيقه فستر بابه بنسيج العنكبوت وعشش الحمام  
 وشجر اليقطين ، وغرس عودا نخر اذابلا فعاد بذكر اسم الله مخضرا وانبت  
 تمرا طيبا :

هذا هو صاحب الشفاعة فهل الذنوب لكثيرا واعدو بها مولا  
 داخل حرمو ما يشوف شر \* ونامنو اطلبت للروح افداها  
 هذا هو من انشقت اعليه الارض اجات لو املاك ابأمر امن اعطاء  
 حمزيد بالمعز والنصر \* اماتو فالنعيم لجليل ارضاها  
 هذا هو من كانت لملك تنظر كوكبو حين يطلسع تسجد لضيائه  
 بول اغيب عمل لبصر \* سبعين الف سنا ويطلع فوقها  
 هذا هو صاحب لسرائر المعجزات له ظهورا من حال اصباها

يوما كان افعالت الصغر \* له النخل ادنات بتمر واجناها

صلى الله اعلى من انبع من بسين اصباغو الما اسقا جيشو بعد اظماه  
واطعمهم من صاع امن اتمر \* من بركتو اروات والصاع اكفاها  
صلى الله اعلى امن اهرب لغزال العندو اكلم الضب افهم الغاه  
واشهد لـو برسنت لبدر \* واصعد معصوم كان ملقاه اعلاها  
صلى الله اعلى امن ادخل برفيقو للغار ولهبون اطلق غزل اسداه  
واليقطين ابعرفها انشر \* واحمام العش دار بمهر وابناها  
صلى الله اعلى امن اغرس عود امسوس بعد ما ذكر لسم الله  
وارجع لو من بركتو اخضر \* واطعم بتمر مختلف طعم احلاها  
ويصفه العلمى فى « الشافى » بانه علاج كل مريض ، رفيع المكان  
سيد الموالى وقدوة الافاضل ، شريف القبول سراج الهدى وكوكب  
المعالى والطاهر المطهر والصادق القول :

جد بدوايا يا طب كل معلول \* يا رفيع المأوى يا سيد لموالى  
يا قدوت لفضالا يا شريف لقبول \* يا سراج الهدى يا كوكب لمعالى  
يا الطاهر لمطهر يا الصادق القول \* ادخيل جاهك عندالله روف يالوالى  
وهو عند ابن الوليد الزاد واليون واعز الاهل ورسول الله المختار  
وسيد الابوار :

فيك عاد الزاد العوين يا عز الوالدين

انت ارسول الله يا المختار \* منك نور لنوار \* وانت سيد لبرار  
وهو الكامل البهاء :

ياالمصطفى ضيف الله يا المختار \* ياكامل لبها نزهى فبهاك  
وجد الحسين :

هل يا مضرا نلقاك ونشاهد نور ابهاك ياحمد ياطه يالمصطفى زين الزين  
ياجد الحسين  
وهو عنده جميل الوجه أسيل الخد أسود العينين :

انحى ذاكالوجه الجميل ونشف فالخد الاسيل ونزه فالطرف الكحيل  
وهو طيب المسك :

الصلا والسلام افكل ليل وانهار \* اعليك يا الهادى طيب لمسك

ويمدحه ابن الوليد كذلك بأنه تاج المرسلين ، اعطاه الله فممنح  
الرحمة للمسلمين من عطائه ايها ، به تم الاسلام وصحت الهداية يوم  
هداه الله وتولى أمره وأجله من نوره ، وعلا درجته وشرفه وانصر به  
المؤمن :

وانت لكريم اعطاك \* والرحما من معطاك \* للسلام اعطاها  
بك يسلم المسلمون صبح اصدق لمبين  
صبح لهذا بهذاك \* انهار الله اهداك \* لليهدى هداها  
ودها في ليلى لثمين بك المولى لحنين  
يوم الحق اتولاك \* من نور اتجلاك \* ادرجتك علاها  
شرفك وانصر بك الدين يا تاج المرسلين  
انه سيد الثقلين ، اكرم الله مثواه ورفع درجات مأواه ، وسماه  
الزكى بين الرسل ، وقرن اسمه باسمه ، وجعل الشمس تشعشع فسى  
السما بنور ضيائه ، وتزدان به الارض والسما :  
اكرم لكريم مثواك \* وارفع ادراج مأواك \* واسمك بين لرسال الزكى  
واسمو مقتنون باسمك  
والشمس ابنور اضياك \* شعشعت فسمها \* زانت السما والارضين  
بك امسيد الثقلين  
وانه طبيب روجه وعلاج دائه ونفسه ، احسن فيه الظن ليدأوبه ،  
جعل الله صلاته فرضا في مجالس المسلمين ، يحدث عنه العلماء ويؤلفون  
الكتب فيه وفي الصلاة عليه :

وانت علاج روحي والروح الساكن افجسدى  
وانت اطيبها واعلاج ادواها  
فيك حسن الظن افداها  
وانت الى الله امر بصلاتك فرض لازم  
اعلى امجالس أمتك وحدث بك كل عالم  
ولفتها (I) الولافا  
واكدايا فى اكتب النساخ امصحح افلسطار  
وهو مدد ونور وعن رحمة للعباد ، وهو المبين الشافع فى المذنبين ،  
(I) الراجع انه يقصد التأليف كما يفهم من السياق وليس اللفة .

من رأى صورته فاز بالكرامة ونال الكرم ، وتزوج الحور فى جنة النعيم ،  
وشفى وغفر الله ذنبه بالنجاة من النار :

مدر شفتك نور اعز للمعبدى

لله الشكر يا جد الحسنين

يا المصطفى ذيين الزين

يا الشافع فالمذنبين

يا المبين

من شاف صورتك يا محمد فاز بالكرام

نال الكرام

وازواج الحور افجنات انعام

وابرا اراح واتعافى

والله يغفر ذنبه وايقط النجا امن النار

وهو الامام المهدي وخاتم الشهداء وعروس الملك وصاحب اللواء

والحمد ، رقا الله وشرفه وناداه :

سبحان امن اكرمنا بالمصطفى الهاشمي الامام المهدي

الشفيع لشفع خاتم الشهداء

...

الظاهر لمظهر عروس الملك صاحب اللواء والحمد

من ارقى واترقى واتشرف واتسادى

ويكشف الشاعر عن هذا النداء القدسي يخاطبه به الله ان يا محمد

قد هديتك فأهلا بك فى بساطي فتقدم وطأه ، ليس لى حبيب يماثلك ولم

أناد لحضرتي محبوبا ، خلقتك من نور النور ، فى صلاة أمتك عليك

غفران لاوزارها قليلة او كثيرة ، جعلتك شفيعا لامتك يوم الحساب

وبدأت باسمك قبل خلق الكون قرنته باسمي وقدرتي وعزتي وكرم

جودي ، من سألتني بك وجدني فى غاية الاستعداد ، لولاك لما كان عرش

او كرسي او لوح او قلم او نبي يهدي او ملائكة تاتيكم مني بالرشد ،

ولما كانت الاغاثة والجنة والنار والصراط والنهار ياتي فى اعقابه الليل ،

ولما كانت الدنيا والبحر والارض والسماء المضيئة بالنجوم ، ولا الشمس

والقمر والكواكب الفريدة . لولاك لما كان آدم والخلائق اننى خلقت من  
أجل العبادة ، ولما كان الايمان والصدق والمسلمون يهدون الى طريقى ،  
ولا حياة ولا ملة ولا صبر ولا زهد . لولاك لما كانت الكتب والعلوم ولا  
قضاء الحق وشهوده وشهادته ، ولما كانت الصلاة والصوم والحج والزكاة  
الواجبة فى المال ، ولا الفروض والسنن ولا العمل والدين . لولاك  
لما كان الرعد والبرق والمطر والخصب والشجر والطلح النضيد ، ولا  
الفضل والاستنجاد والعطاء ، ولا الحكم والحاكم والملك والقيادة ، ولما نال  
الاشياخ عندى غاية مرادهم بمدحك :

ناداه ربنا سبحانه امن انشاء واهداه الى الرشده  
قال نو يا محمد هاك ليفسادا  
اهلا بك زد اوطا اقبسطى يا لى ما مثلك عندى  
احبيب اولا محبوب ليحضرتنى اتباد  
انا الى اخلقك من نور النور لمتك فضلاتك تقبلى  
اوزارها من قلل النقصان وزادها  
انا الشفييع فيهم وانت الشافع فمتك يوم التنبى  
واسمك خالقو قبل الكون ابتدا

... .

قرنت اسمى واسمك بقدرتى اعزتى واكرام جودى  
من اسأل بك اوجدنى غايت نوجدا  
واعلم قال نو يا مختار انسا الى عند ظن عبدى  
با لمعلوم يا كرمتم لجدا  
لولاك لا عرش لا كرسي لا لوح لا قلم لا نبي عهدي  
لا ملايك منى تاتيک بالرشادا  
لولاك لا ايقانا لا جنا لا نار لا جنم صراط امعدى  
لا نهار او لا ليل خلف ذا افهنا  
لولاك لا بحر لا دنيا لا ارض لا سما بنجوم اتكنى  
لا شمس لا قمر الا كوكب نفسا

لولاك ما يكون آدم او لا يكون بادي ولا عبيدى  
لا خلايق اخلقتهم لاجل لعبدا

...

لولاك لا يمان الا صدق الا اسلام يهدو النجسدى  
لا حيا لا مل لا صبر لا زهدا  
لولاك لا كتب الا علم الا شهود فالقرطاس اتودى  
لا قضا بالحق تركى اشهود الذا  
لولاك لا رعد لا ميض اولاً فيض لحزن وكم مزدى  
لا خصب لا دوح الا طلح لا نضدا  
لولاك لا صلا لا صوم الا حج لا ازكا للمال الوبدى  
لا فرض لا سنا لا دين اولاكدا (I)  
لولاك لا فضل لا صرخ ولا يكون كف لعطا بيدى  
لا حكم لا حاكم لا ملك لا اقيادا  
لولاك لا شياخ ايمدحك لعزير يا حبيبى نالت عندي  
عكذا بك اكمل لمرام والسودا

ويصفه التركمانى بانه لا مثيل له فى الارض او فى السماء ، فى  
الغيب او فى الوجود ، سبجان الذى انشاء واسعد به آمنه ، هو  
صاحب اللواء والحلة والتاج والورد والفرس النجيب ، وصاحب الخاتم  
والسر والمعجزات التى لا عد لها ولا حصر ، من اجله خصص روض الجنة  
رحمة للسعداء وعذاب النار للجاحدين ، لذا يرجوه أن يرأف به فانه  
صاحب الاغاثة يوم الشدة . وهو عروس يوم القيامة ، يفرج غمها  
حين يشتد الهول ويستعصى الفداء :

انت والله ما فلرض امثيلك افالسما اوجد \* وحدك فالغيب والوجد (2)

سبجان الى انشاك واسعد بك الام الساعدا

انت المخصوص باللوا والحلا والتاج والورد \* والفرس الناجب لمجد  
والخاتم والسر أمعجزاتك شمتى امشاهدا

(I) الكد والعمل . (2) الوجود ، أما اوجد الاولى ففعله .



انت لجلك كان روض الجنة رحما لمن اسعد \* والنار عذاب لمن اوجد  
رافا يا صاحب لغا عن ذا الشد الواكدا

...

انت هو اعريس القياما فشهارة الهول والشك \* بين اهل القرب والبعد  
وانت فراجها اذا اشتد الهول وعصا لندا

اما الغرابي فيراه نور كل الانوار ، المبرور الصادق الامين ، امام  
المومنين ورحمة لاهل الايمان ، وأول الاولين وامام المرسلين :  
أحمد يا نور كل انوار \* صلى الله اعليك يا المبرور

انت الصادق وانت الامين انت امام المومنين \* انت رحمة ربى لاهل ليمان  
انت أول الاولين \* انت امام المرسلين \* واعلا منهم رتبا وعز وشان  
ويخاطب الرسول عليه السلام بأن الله اختاره ورفع قدره واصطفاه  
ومنحه المعجزات ، لا سبيل الى حصر ثنائه ، لو اخذت الارض صحيفة  
والاشجار اقلاما والبحور السبعة مدادا لما وصف الخلق غير عشر معشار  
قدره وجاهه ، من نظر الى حقيقته دخل عقله مهما كان ثابتا ، لانه بشر  
وليس كالبشر ، اخباره في التوراة والزيور والانجيل والفرقان وكتب  
الجنس :

يا من جعلك ربى انبى مختار \* وارفع قدرك عن سائر الجمهور  
يا من اصطفاك الملك الجبار \* بالمعجزات الواضح والنور  
يا من سررك واثناك ما يحصار \* لو كانت من لمداد جميع البحور  
والارض اصحيفا والقلوم اشجار \* لا وصف الخلق اعشور من لعشور  
لو انظرت احقيقتك لبصار \* تدل على عقول الراسخ والتصور  
لنك بشار اوليس كالبشار \* واخبارك التورات والزيور  
والفرقان والانجيل والافجار \* شهور بوجوه حمالك المبشور  
واما الفلوس فيصفه بانه التقى حبيب الله صاحب الحجة الموثقة ،  
وصاحب اللواء والفتاح والبراق :

صلى الله اعليك يا التقى محبوب الباقي \* يا مول الحسج الموثقا  
يا محمد صاحب اللوا والفتاح والبراقى \* لغرامك لخلاق شايقا  
(30)

### المولد

وكان مولد الرسول الاكرم وما يتصل به من أخبار تهكميا السيرة النبوية مادة خصبة لشمخد قريحة الشعاع الشعبي وبعث الهامة ودفعه الى التعبير عن كمين عواطفه نحو صاحب الرسالة عليه السلام . وتعتبر قصيدة «مولد النور» للغالى الدمناتى من أروع القصائد التى سجلت هذا الحادث العظيم . بدأها بذكر النسب النبوى من جهة الاب ، فهو محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان :

هذا محمد الزكى قوشى لنسب \* ابن عبد الله بن عبد المطلب  
ابن هاشم بن عبد مناف افترتاب \* ابن قصي الدكى الممدوب الارب  
ابن كلاب لوضيخ بن مر المجتاب \* ابن كعب المجد راحت القلب الكارب  
ابن لؤى التقي الراقى بن غالب

غالب ابن فهر المذكور بين لعرب \* بن المالك بن النضر دون تكذيب  
بن الكنانة من به لثال تضرب \* بن الخزيمة زخار لحسان لعجيب  
بن المدرك بن الياس در لجياب \* بن نزار ونزار الاديب لحسيب  
بن الممد ايلا عدنان ابلختصار \* اجود محمد هاذو سرهم سمارى  
وانتقل الى نسبه من جهة الام ، فذكر انه ابن آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، ومتوقفا فى نسبها عند كلاب الجد المشترك فى سلسلة الاب :

أما ام الشفيخ من لها تشريف \* أمين بنت وهب بن عبد مناف  
ابن زهر المرتضى نعم المتصف \* ابن كلاب الذى اسرارو ما توصاف  
هو جد النجى اوجد مو تعريف \* كيف اروينا حقيق من بعض العراف  
ثم ذكر نور الرسول ، وقد جعله الله يتكون فى صلب آدم ، وينتقل من فاضل لفاضل الى أن وصل لعبد المطلب ثم ابنه عبد الله :

فصلب آدم اتكون نور سديد لرسال \*

وسار ينتقل نورو من الفضيل لفضيل

ابعد ابلغ النور الصلب انذكى المفضل \*

سيدنا عبد الملطب طب لعلييل

كون المولى من صلبه اوضح لجمال \*

آب محمد عبد الله نعم نجليل

وكان بعد ذلك زواج آمنة بعبد الله يوم الخميس فاتح رجب او

يوم الاثنين ، لم يلبث أن تلاه الحمل . وما كادت تحمل به حتى اكرمها

الله بكل خير ، اما ابوه فارتقى سعده وغدا تور جبينه يسطع ليل نهار :

او بعد عبد الله ادخل حق الآمناء \* تم حملت بشفييع القوم كامل الزين

اول رجب ليل الجمع اكما اروينا \* كان عرس آباويه اوقول ليل ثنتين

سعد أمينا أم الهاشمي انبينا \* اكل خير اكرمها نعم لعظيم لمعين

أسعد عبد الله اهلل لبها السيار \* آب طه من فاز ابغايت نوطازى

كان نور اجيينو يضى اليل وانهار \* اذن انوار المصطفى سيد انظارى

وما ان عاد الرسول نطفة حتى نودى فى السماء والارض أن النور

يسطع وأمر الله رضوان ففتح باب الفردوس ونطقت دواب قريش فى الليل

مقسمة أن الرسول قد تكون فى رحم أمه وأصاب الملوك بكم وانقلبت

أسرتهن :

يا عاه الرسول لطفنا يافهم \* فبطن مينا الزايقا دوحه لنسوم

نودى فالسما وفلرض ابتسوام \* نبدأ بأمر الجليل لعظيم القيوم

أن النور اسطع من حاز التفخام \* الى منو اشفيعنا نعم المعصوم

فبطن مينا اضحى اقدا الليل مقيوم

وأمر الله الرضوان لفصيل لوسيم \*

ايحل باب الفردوس اكما اتقول لعلام (I)

ثم انطلقت ادواب قريش وقت لبهيم \*

واقسمت بين اتزاد الهاشمي افلرحام

أو كل ملك اصبح بين لخلق ابكيم \*

اوصاب ليه اسريرو مقلوب صح لكلام

وما كاد يمر شهران على الحمل حتى توفي عبد الله :

لما مرت من حمل مينا شهران \* مات المرحوم آب طه بالتمكين  
ورأت آمنة ليلة في المنام آتيا يخبرها أنها حملت بسيد البشر على  
الإطلاق :

عهما حملت بالتقى طيب لخلق \* آتاهما آت قال لها قول البيق  
راك احملي ابسيد لبشر بليطلاق \* قالوا فالتوم رات والرؤيا تصديق  
وغدت بعد ذلك على غير عادة النساء لا تحس ثقلا او ضيقا او وجعا  
أو حرقا :

ليس شعرت بحمل ولا بثقل وإضيق \* أولا بما يوقع للنساء من الوحى واحريق  
وذات يوم ، وهى بين اليقظة والنوم ، آتاهما من سألها عما تشعر به  
من الحمل ، مؤكدا لها أنها تحمل بسيد الانام . وحين اقترب الوضع عاد  
البشير وطلب منها ان تستعين بالله من شر الحساد واوصاها اذا ما وضعت  
أن تسمى المولود محمدا :

وقالت آتاهما آت بين نوم وإيقاظ \*  
أقال لها كان اشعرت ابدا الحمل عيق  
ابسيد لنام احملي قال جل بشمار \*  
امهل اعليها قالت زينت لحوارى  
أحين قرب ميلاد المجد خير لخيار \*  
ثم آتاهما دلشمار كيف دارى  
وقال أعيديه ارب لورى الجبار \*  
من اشرار الحساد امكالب اشنارى  
ايلا وضعت طه سميه اعلى الخيار \*

سيدنا محمد امفرج لغيرارى  
وما ان بدات تحس آلام الوضع حتى رأيت شيئا ابيض شبيها بجناح  
طير مسح على فؤادها فزال ما كان بها من روع وكرب ، والتفتت لتجد  
شرابا صافيا ابيض كالحليب فشربته من لظم ، فاذا هو حلو كالشهد :  
كاجناح الطير قالت ابيض لا تميت \* جا وامسح عن افؤادها فالحين ابرات  
واذهب عنها الروح واجميع الكربات

التفتت وجدت شربا صافيا ابتذعات \*  
ظنت البن لاجل لبياض كيف نظرت

بالظما كانت نور اهلال كل غيدات \*  
بعد ما شربتها مثل المصال وجدت  
وتقوى المخاض فرات بياضا ناصعا يمتد بين الارض والسماء ،  
وسمعت هاتفا يوصيها بأن تصون مولودها حين تضعه من الآفات وعيون  
الناس ، ولمحت بعد ذلك قوما وقفوا في الهواء تبدو عليهم الهيبة وقد  
حملوا ابريق من الفضة كما لمحت اطيارا تغطي السماء ، مناقيرها من  
الزمرد وأجنحتها من الياقوت ، ثم تبدى لها الشرق والغرب ، وظهرت  
لها ثلاثة اعلام ، احدها في المغرب والثاني في المشرق والثالث فوق  
ظهر الكعبة :

ولمخاض اتقوى عنها وبعدها رات \*  
ابليخا اذباح ابياضو ابيضج وصفت  
امتد بين الارض وبين السماء وسمعت \*  
قائلن ايقول لها واحكات كيف سمعت

قال صونية افوقت الوضع من الآفات \*  
خوف من عين الناس وبعد ذاك لمحات  
قوم وقفوا فالفوا حايزين صولات \*  
فيدهم ابريق فضا او تم رمقات  
اطيار غطاو اسمها سرهم ينعات \*  
من ازمرد منقرهم كيف راد واحداث

ومن الياقوت اجوانحهم ثم نظرت \*  
بامر المولى شرق اغرب كيف ذكرات  
بعدها رات اعلوم اعلا لحقايق انبات \*  
اجميعها ثلث اعلوم اغدادهم حسبات

الولى فالشرق الثانى افغرنا رات \*  
افوق ظهر الكعب لاخوز حق واضحات  
ثم خذها لمخاض وبعدها المولات \*  
بالعزم وضعت طه والفسراج كبالات

وبذلك تمت ولادة الرسول قبل الفجر على المشهور أو بعده صباح  
يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول حيث يجب أن يعم الفرح  
والسرور :

أكان ميلادو قبل الفجر كيف شتهار وبعض قالوا من بعد الفجر قول وارى  
اصباح لثنين اخلاق اشفيح ناس لوزار اتناش ربيع الاول قالت لحبارى  
واجب اتفرحو لخلوقو بقلب واسيار لاین لاجلو كان الخير افلقطارى  
وهنا ينهض الشاعر ويقوم (I) ليهدى السلام للرسول الاكرم على هذا  
النحو :

حق اعلينا انسلم اعلى محمد وقت اخلوغو انقول من داخل لفؤادى  
اعليك اسلام ربنا يا محمد قد اوحوش لقفار والبطير الفدفادى  
اعليك اسلام ربنا يا محمد قد لحصا والتراب واقراهب لوهادى  
وأخذ الشاعر الدمناتى بعد ذلك يستعرض بعض المعجزات التى  
ظهرت اثر الوضع مباشرة ، وأهمها اهتزاز ايوان كسرى وانهدام شرفاته  
الاربع عشرة ، وخمود نار فارس التى ظلت موقدة مدة الف عام :

حين اتزاد الرسول طه بحر العلم ظهرت من غير شك للناس اعلايم  
منها كسرى اهتز ايوانو واغتم من بعد املاكتو ابقى حاير هايم  
واشرافو امن ابنه عادواليه اردم ربعا عشر كيف قالوا اكنم عانم  
بها كسرى ابقى اضميرو متفاكم

أثار فارس خمدت يوما اخلاق لحليم بعد كانت موقودا ألف عام بتمام  
وتحدث عن قصة الرضاع وكيف ان نساء سعد سمعن مناديا يخبر  
بمولود فى مكة سيتسعد مرضعه ويسعد كافله فهرعن الى مكة . وكتب  
لحليمة ان تكون مرضعه ، وتقدمت اليه ، فاذا هو يبتسم كالهلال الساطع  
تلوح أنواره ، فأرضعته من ثديها الايمن ثم أعطته الايسر فرفضه لحكمة  
أرادها الله ، وهى أن يبقى هذا الثدى لآخيه فى الرضاع :

صا بوكن اهلل اوضيح لايح انوار اكذاك وجهو متبسم ذاك فالانارى

I — على عادة قراء المولد النبوى حين يذكرون خروجه عليه السلام  
الى الكون .

ثم حملته فيديها ابشوق لسيئار اوتدها ليمين اعطاه ابلين طاري  
اشرب دنو فالحين اعطاه ليه ليسار ليس رادو بحكمت امخصب الشجاري  
ابقي الشدى الخوه افلحليب هكذايسار سميرت القرشي تحكيمها افداشيطاري  
ثم ذكر بعض المعجزات التي واكبت السيدة حليلة في طريق  
عودتها الى بنى سعد وقد حملت معها المولود ، منها أنها عوفيت من أدواء  
كانت تحبسها وأن الفمام كان يظله عليه السلام طوال الطريق :

ربنا عافاها من علت الجوارح لاجل المدنى طه امليح للملاح  
ولعمام امعاه اتمشى اكما لجوانح وظلموا يا صاحى من حر شمس لمضاح  
وما كادت تشرع حليلة في تربيته حتى بدأت ترى له اسراراً باهرة .  
تسلم عليه الحجارة والاشجار ، وترخى هذه أغصانها عليه حين يمر  
تجتها لتظله :

أقامت احليما بترابى اهللال لفلالك سيدنا محمد من عظمو المالك  
كل يوم اترى له اسرار ما تتراك وكم اعلاما شافت للنبي السامك  
وساعت امرا بسيد الخلق تحت لشجار اعليه ترخى لفصان اصاح ادلشجاري  
وابلفصاح اتسلم عنو اشجار واحجار يا سعدنا بمسلكننا من لوعاري  
وحين بلغ السن الرابعة جاءه ملكان وشقا صدره وأزالا من قلبه  
مضغة وطهراه بماء قيلت في وصفه نعوت كثيرة :

وحين كمل ربع اسنين الشفيح بثبات كان لو شق المصدر الى ادعى اعداته  
جائلو زوج املايك فى انهار سدات ثم شقوا صدورهم وكذا صميم ذاتو  
وزولوا من قلبو مضغ ابغير تمرات وطهروه ابماكم اقوال فى انعاتو  
وأخذ بعد ذلك فى الصلاة على الرسول ، وبها أنهى القصيدة .

ومثل هذا العرض المفصل نجده مجملاً فى ثانيا قصائد الصلاة  
أو المدح ، كما عند الشاوى فى «تصايفته» حيث يقول :

ليلت زاد اوحات ليه للملايك دون اعداد رفعوه اقلقا من تحرير اخضروقادى

للزور لثقات له لملك اجنود اجنود

طاغوا به اعلى الكون وبلغ قصد لمراد وارجع سيد المرسلين لمقام وجدادى

وشرقت انوارو الاحت اعلى الجهات ابنود

مهما جاوا يقربوه للمتدي انقر وابعاد حتى جات احليميت النساحرت لسعادى  
بالفرحا لها انحاز وارضاهها عين الجود

سارت به الناسها اوربات اضيا لتمام حين ابلغ شذو افدات يوم اعلاج انكادى  
سار اخوه امع الرفيق يسرح مالمو مكود

له اوحى جبريل لمفضل كههدف التمجاد بالطاس البريق من انهر جنت لخلادى  
والما من كوثر ولمايك بحماء اتلود

شقوا صدر الطاهر لمطهر نعم المهتاد غسلوه انظفوه زالت المضغ للهادى  
شايين دار احكاه خوه واشنع خبر الممجود

وليس كل الشعراء يستعرضون القصة حين يتناولون مولد الرسول  
عليه السلام ، بل ان بعضهم يقف عند تمجيد شهر ربيع وذكرى المولد  
الواقعة فيه ، على حد ما نجد عند المدغرى الذى يرى انه بقدم هذا  
الشهر الانور هب النسيم يبشر بكل خير ، فاضت النعم وازهرت ورود  
البطاح ، فليس كعيد مولد النور عيد يزهو ويزهر ، تفيض بحوره وتزخر  
أمواج ذخائره ، ويستقيم السعد فيغدو الكون شاكرًا لله :

هب انسيم لعفو ابشور لعباد ابكل خير  
فى ربيع الشريف لنوار فاض الخير لكثير  
وازهى زهر لبطاح وازهر من لحزين لكثير  
مولود النور ما كيفوعيد ازها او زاهر  
فايض ببهور موج زخار امن الدخاير  
واسقام الشور الكون اصبح لله شاكر

وعنده أن عيد مولد النبى منور ليس كنوره نور ، يفخر على الاعياد  
الكبار بوجود الرسول البشير ، ويفوق شهره كل المواسم :

عيد المولد النبى امنور ولا كيفو امنير  
عن لعياد لكبار يفخر بالمرسول لبشير  
ما كيفو افلماسمم اشهر بين انجوهو اشهير

### الوفاة :

وكما تناول الشاعر الشعبى قصة الميلاد فكذلك تناول قصة



الوفاة ، وكان الغرابلى من أكثر الشعراء استيفاء لمختلف فصولها ، وفى قصائد كثيرة كهاته التى يقول فى أولها :

يا نساى وحد رب لكوان لجيل \* حتى باقى فى ملكو بالودام لزال  
قدز اعلينا فرض الموت دون تمهيل \* مايدوم املكو يلا لغنى المتعال  
ومن أروعها القصيدة التى يقول فى حربتها :

معظم يوم يتوفى بدر التام \* سلطان النبىا بلقاسم  
يبدأها بنزول آخر سور القرآن الكريم حين جاء جبريل يختمها له ،  
وعودته عليه السلام الى بيته فى صحبه يشكو من صداع حيث عصبت له  
عائشة رأسه :

وانزل جبريل بمر الجبار اعلى ارسول خير البرىا  
واتلا عليه سور ختمت لسوار انظر يا فهم الا شىا

...

واقدم المنزلو وصحبو لحلام وادخل البيت عيشا عازم  
قالت لو اشميك أقرت لنيام \* فقال امن اوجاع ساقم  
وادنت عصبت لوخو الاسلام \* وانبا غيرها بعلايم  
وامر عليه السلام بلالا أن ينادى الناس للصلاة فى المسجد حيث  
يريد ان يجمعهم ، ثم خرج اليهم وخطب ، وحلفهم الله ان كان بلغ  
رسالته بصدق ، وهدى الى سبيل الرشاد ، وأحسن القول والفعل ،  
ورأف بالايتام والغرباء والارامل ، وأنبأهم بما فيه صالحهم ، فأجابوه  
بانه جاءهم بالدين القويم الواضح ، بلغه بحق لا تبديل فيه ولا تحريف ،  
ودعوا له الله ان يجزيه :

يا قوم سلتكم بالله المتعال \* هل جيتكم صادق ناصح  
برسالتى او حسن القول الفعال \* واسبيل الرشاد الصالح  
واحسنت ابليتام اغربا وارمال \* وانباتكم افكل امصالح  
قالوا جيتنا حق ابلا تبدال \* بالدين لقويم الواضح  
بجزيك ربنا بالخير ولنعام \* وانت الكل مومن راحم  
واحس سلمان كان الرسول يودع المسلمين وداع الرحيل ، وصارحه

باحساسه ، فكان رده عليه السلام أن الموت فرض ، وإن العمر محدود ،  
وإن الجميع راحلون ، لا يجزى أحدهم عن الآخر :

ثم جاوبو سلمان أقدمقام \* ما لك يا البدر الواسع  
كنك كتودع جمع الاسلام \* يوداع الرحيل العازم  
قال النبي احمد للماجد \* سلمان خذ لك إيفادا  
فرض لمات عنا واكد (I) \* لعمر ليس فيه أزيادا  
والقلق للرحيل اموعد \* هذا ما جزى عن هذا  
وعاد الرسول الى بيت عائشة وجمع نساءه ، وطلب منهن أن يصبرن  
وألا ينحن لكى يعمهن الغفران ويرغد عيشهن ويزيد خيرهن :  
وادخل البيت عيشا بلقصد اوكد (2) \*  
فالجين عن ازواج نادا  
وقال لا تنوحوا والله اشهد \*  
صبروا اتمكم إيفادا  
وايكمم غفران وعيش ارغيد \*  
والخير عنكم يتزادا  
وتأخر عن الصلاة وأتاب عنه ابا بكر . وخرج بعد ثلاثة ايام للمسجد  
متكئا على عثمان وعلى ، فوجد ابا بكر فى المحراب يبكى وينوح ، وأراد  
الصديق ان يخلى له المحراب ، ولكنه طلب منه ان يبقى فى مكانه حتى  
يؤم بالناس :

ندا على اتجى والعباس امعاك \* واخرج بنهم امتكى  
حتى اوصل المسجد المبرك \* واستنشق اشدها المسكى  
يوجد بابكر فالمحراب اكذلك \* اينوح ابلشواق ايبكى  
واجلس عن اخلافو درت لفلاك \* ايزيم (3) بسقام المحلك  
راد الصديق يفرغ لو دون اشكال \* ناداه الرسول المكى  
اثبت فى اصلاتك بالناس ايمام \* تغنم جل طيب اغنايم

I و 2 - أكيد

(3) يثن .

وبعد ان صلى الرسول جالسا تكلم فى الحاضرين ونهاهم عن البكاء والنواح ، وسالهم عما اذا كان لاحدهم حق عليه أن يقتصر لنفسه ، فتقدم عكاشة وذكر الرسول بضربة تركت أثرها فى نفسه كان عليه السلام ضرب بها ظهره يوم تبوك ظنا منه انه يريد الهرب ، فى حين انه كان يريد أن يذهب للاستطلاع :

صلى اجلوس طه سيد لانام \* حتى اقضى الغرض اوسلم  
واسأل عن الاما وانطق بكلام \* وانهى عن النواح الهزم  
وقال يا جميع المحضرا \* من كان له حق اعليا  
ياتى القصاص افمرا \* من قبل ما تجى افنيا  
ثم جوب باجهرا \* عكاش ابغير اخفيا  
أقال يا طلوع البدر لعنير \* انا ايلي الحق الشاهر  
كنا افأرض تبوك افحرب اكبير \* واخرجت نسر ح ونخبر  
ما هو اهروب منى ولا تؤخير \* رب لعباد حاضر ناظر  
واضربتنى الظهري دون التقصير \* ضربا قثرت فالخاطر  
فسالت دموعه عليه السلام وامر بلالا أن ياتيه بقضيب أخذه عكاشة  
غير مبال بلوم الصحابة وطلب منه الرسول ان يضربه ولكن عكاشة أجاب  
بأنه كشمف ظهره قبل الضرب ، فهو لذلك يريد منه ان يفعل كذلك .  
فنزع صلوات الله عليه قميصه ، وما كاد يفعل حتى بدا الخاتم بين كتفيه  
بسطع بنور ربانى يفرج الكروب وتحار فى وصفه العقول والافهام . فلم  
يستطع عكاشة الضرب واخذ يتمسح بالخاتم والنبي الكريم يدعو له  
بالخير ودخول الجنة :

قال جزاك لكريم اعليا خير \* وارسل ابلال عند الامر  
جاب لقضيب فالساعا ابلجزام \* والدمع آمن اعيونو سجم (1)  
قبضو الشيخ عكاش دون املام \* واصحاب النبي تنلايسم  
ثم الرسول ندا بالجهر وقال \* تركوه حين مبا (2) يقبل

(1) سجم كما فى النصيحى بمعنى سال .

(2) مبا اى ما أراد وهى فى الاصل ما بغى بحذف حرف الغين ، وهو

فقال لو اتقدم والنخ لجداول \* واقص اجزاك منى واعادل  
وقال كيف تضرب وانت ما زال \* افتوبك اضيض مرفول  
انا اعزيت ظهري افساك الحال \* نبغى اكمل افعلت نفعل  
نزع لقميص طه واظهر لختام \* بن لكتاف نعت الخاتم  
شلا (I) اتصيف لعقول واليفهام \* به اختص عل لعوام  
يضوى بنور واضح يفجى لغنام \* من نور اد لجلال العالم  
لغريم نال جل انصيبو \* واظفر ابكل ما يتمنى

مرغ عل الخاتم شيبو \* واقليد عروض المزنا

وادعالموا بخير احببو \* واضملو ادخول الجنا

وقال كيف تضرب قوت لهداب \* وننا اوصيف من وصفانو  
وتجكى القصة بعد ذلك كيف عاد عليه السلام الى بيته ، وكيف بعث  
الله عزرائيل ليأخذ روحه ، ولكن الرسول اميله حتى يسأل شيئا يعتمل في  
صدره ، ورفع كفه الى السماء وشكا من شوقه لجبريل الذى ما كان يظن  
أنه سيغفل عنه ويتخلى فى هذه الايام . وما كاد ينتهى من سؤاله حتى نزل  
الملك الامين وسلم عليه :

وادخل المنزلو يتسنى المكتاب \* محسوس امن اوجع ابدانو

عزريل جلا ابأدب وانقر الباب \* ثم ادوا ابفصح السانو  
وقال جيت لكم ياهل لمقام \* انزور درت بن هاشم

قال مهل اعل نسال بدمام \* عن شين ما افسرى كاتم  
مد لكفوف وادعا واسأل \* وقال يا سامع اسو الى

تعبير خاص بلهجة مدينة مراكش وقد سارت عنهم عبارة تعدد فيها هذا  
الفعل ، هى قولهم : الى بيت بيتو واللى ما بيت ما بيتو الى الذى بغيت  
بغيته والذى ما بغينه ما بغيته . ومن الغريب ان يأتى مثل هذا التعبير  
على لسان الغرابلى وهو شاعر من فاش ، ولعله فعل ذلك مدفوعا بالميزان ،  
اد لا يبدو أن ذلك من تحريف الرواة ، لان ما بغى لا يستقيم معها الميزان .  
(I) فوق ما تصف ، وتستعمل التعظيم والتكثير .

جبريل ما نويتو يغسل \* كنى اقمتهى فى حالى  
ثم لامين فى النحن انزل \* وافشبا اسلام نعم العال  
اذ ذاك اطمان الرسول وحمد الله ، واذن لعزرائيل ان يتقدم ويأخذ  
روحه مستعدبا لقاء ربه . وفي الحين صعدت روح محمد الى صدره واحسن  
بغضته تضغط عليه ، وتبر عما أحسن . فاجابه الملك انه لم يذق عشر  
معشمار سكرات الموت ، وامهل عزرائيل لحظة ليدعو ربه ان يخفف عن  
ابناء امته ضيق الموت وما يحسن من شدة حره على ذاته ، فلم يلبث أن  
سمع هائفا قدسيا يقسم له بعزته وجلاله بالا يذيقهم سوى ما أذاقه وان  
يجود عليهم ويعفو ويرحم ، ثم حمد الله وشهد بجهر :

احمد ربنا واشرح ابشسام \* وقال العزرائيل اتقدم  
اعزم وخوذ نتهى لمكام \* محلا انقا اعظيم الاعظم  
فالحين روح طله صعدت \* لمصدر الشريف اورسات  
وانطق بلسان امتبت \* يا ملك ما صعبها غصات  
قال لا ابحق جاهك ما دقت \* امشور امن اعشور السكرات  
قال لو امهلنى على ندعو دعاء \* بلطف ولعفو لماتى  
خفف على الام ضيقت لمات \* وشدة حرها عن ذاتى  
سمع انذا ابذن سامع لصوات \* وجلال عزتى واقدرتى  
بذاقوى سوى ذاقك من لمرات \* والنجود ونعفو برحمتى  
وتحكى القصة بعد ذلك ان عليا وابن العباس غسلاه ، وهو يتلألا  
كالبدر من البهاء والنور وكفناه فى ثوبه كما شاء وطيباه ، ثم دفن ، وقد  
ذهلت العقول واحتارت الالباب وغدا الناس فى دهشة وحزن :

وحارت العقول ودهشت لوهام \* واشحال امن اضمير اتفانكم  
وتاولوا المقام اخصوص ولعوام \* شلا يطيق بوصف ناظم  
ادناوا ليه وقت التفسيل \* وغسلوا لمفضيل وعلى  
وجدوه كالبدر فاليكيل \* والنور امن ابهاء ايلالى  
وكفناه فتيابو اكما قال \* وابنوع كل طيب احتعلو  
...

وبعد ادفينو اشتدت لنكال \* واشحال امن اعقول اندهنو  
وتنتهى قصة الوفاة بالكلمة الخالدة التى فاه بها الصديق ليهدى من  
دوع المسلمين وفزعهم ودهشتهم حيث قال : « من كان يعبد محمدا فان  
محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت » :

اكثر اصياح بن الناس ولهوال \* شد لفراق عنهم حبلو  
وقام ببكر واخطب افهل البال \* خطبا لا تخطبت قبلو  
وقال فخطبا يا جمع السلام \* الموت فرض عنا لازم  
من كان يعبد الماحى سكن ارغام \* هذا وصف شأن ابنادم  
ومن يعبد الحى لا يعدم \* باقى اقديم بنا عالم

### المعراج (1) :

وهكذا ، وعلى هذا الاسلوب فى عرض السيرة النبوية تناول الشاعر  
الشعبى قصة الابرار والمعراج فى القصائد التى اطلق عليها « المعراج »  
ومن أشهرها قصيدة عبد العزيز المغراوى وعبد القادر الجرارى . يقول  
المغراوى فى أول معراجة :

لسم لعظيم ذا العرش الديان \* رافع لفلانك افلهوا دون اعماد  
من خص المرسلين ابايت البرهان \* وارسلهم ابلهوا اودين الارشاد  
ويقول الجرارى فى حربة معراجة :

الصلاة اعلى الهادى راكب البراق \* سيدنا محمد لمشرف الصديق  
من اسرى من حرم الى حرم افلغسيق

وفى أوله يقول :

ابديت لسم المولى لمقسم لرزاق \* رب لكوان الحق الدايم لتحقيق  
والصلا عل الماحى طيب اخلاق \* خير لورا لفضيل الماجد الشفيق  
والرضا آل والصحاب والرفاق \* وهل البيع والعهد الوافى لوثيق  
بعدها فكرى هاج وخاطرى اشتاق \* نحتك معجز كبر اكما ايليقيق  
فالسرا والمعراج فغيهب لغساق \* لكن اصلاات الماجد قولها اسبيقيق

I - كان مفروضا أن يسبق المعراج الوفاة ولكننا أخرناه لانه دونها  
عند الشاعر فى الاهتمام وهذا ما جعلنا لا نفصل فيه القول .

التصلية (1) :

ومن عميق تفانى الشاعر الشعبي فى الرسول عليه السلام وتعلقه به أنه لم يقف فى التعبير عن عواطفه الجياشة عند الحديث عن حبه وذكر صفاته وعرض مراحل من سيرته الكريمة ، وإنما زاد - منوعا فى مدحيه ومتفنا فيه - فخصه عليه السلام بقصائد اطلق عليها « التصليات » يصلى فيها عليه محاولا أن يبلغ بصلواته أكبر عد يمكن تصويره أو تخيله ، مستعرضا أنواع الكائنات والمخلوقات المختلفة ، عساه يبلغ أعلى درجات العد والحساب . ومن أروع التصليات وأقدمها تصلة محمد بن عبد الله ابن احسانين ، وفيها يبلغ بصلوات الله على نبيه الكريم الى عدد ما هطلت الامطار وسقت من اشجار ، وعدد ما حملت هذه الاشجار من غلال ، وحمل النخل من تمر ، وعدد ما يوجد من بساتين وأغراس عطرة :

صلى الله اعليه عد ما هطلت من لمطارى \*

وما كتسقى امن الشجر

وحملت امن اغلول والنخل عد اثمارو \*

وما من حرجات (2) عاطروا

وعدد البحور والانهار الفائض منها والجاف ، وعدد ما فى جوف الارض من عيون وآبار لا تحصيها العين من الكثرة :

صلى الله اعليه عد لبحور امع لنهارى \*

ما واكح فيها او ما اعمس

وما فى جوف الترى امن اعيون اوعد ابيارو \*

شلا شافت عين كترا

---

1 - المقصود بها الصلاة ، وقد استعملناها محافظة على المصطلحات المتعارف عليها عند الاشياخ ، والمعروف لغويا أنه لا يقال صلى تصلة فى الدعاء ، وإنما يقال صلى صلاة بوضع الاسم موضع المصدر ، أما التصلة فالقاء الشيء فى النار لاحتراقه .

2 - الحرجات البساتين وهى كذلك فى الفصحى اذ يقال مكان حرج بكسر الراء وفتحها أى كثير الشجر .

وعدد لسع القر للعدار ، ولفحات الزمهرير والحر ، وعدد نسيم  
الصباح وما هب من رياح غربية فى العشايا الساحرة :  
صلى الله اعليه عد لسع القر افلعذارى \*

وازمهرير الحر بعد قر  
واعداد انسيم الصباح او ما هب ابتطارو \*  
واغرابى لعشى الساحرا  
وعدد الرياح والاعاصير والبرق الخاطف للابصار ، وعدد الرعود  
تدق طبولها ، والبروق المضيئة تعلن شاراتها عن مطر غزير :  
صلى الله اعليه عد لرياح اميع لعصارى \*  
والبرق الى خاطف لبصار  
والرعد ايلا رعدوا اطلولو وبروقو شمارو \*

واذن بالرعد الغازرا  
وعدد الغيم المتوارى الغابر ، وعدد السحاب المجمل الذى حارت فيه  
العقول :

صلى الله اعليه عد لغيام الى متوارى \*  
ذاك الى فتوايجو اغبر  
واعدد الوارى امن السحاب الى فى كدارو \*  
كتضحى لعقول قاصرا  
وعدد نجوم الثابت والشارى ، ودوران الارض والافلاك فى كل وقت  
وحين :

صلى الله اعليه عد نجم الثابت والشارى  
فغروب ولسمجار والفجر  
وما دام الليل فى اعقابو يا صاح انهيارو \*  
منهما لحوال داسرا  
وعدد ما ظهر المريخ والمشمري ، وما اشرقت الشمس وضاء القمر ،  
وعدد كواكب زحل وعطارد والزهرة :  
صلى الله اعليه عد ما انبى مريخ ومشمري \*  
وما بانتم شمس ولقمر



والزحل وكوكب لعطارد ساعى يظهر \*

ونجمت الزهرا الزاهرا

وعدد ما فى اعماق البحار ، وما من وحوش فى القفار ، وعدد الاطياف

المخلقة باجنحة وحكمة من المبدع العظيم ، وعدد ما باضت اشي الطير :

صلى الله عليه عد ما فدواخل البحارى \*

وما من لوحوش اقلقفس

واطيار ابدجناح واحتايم ذا الباسع طاروا \*

وما باضت كل طائرا

وعدد الحيوانات الاليفة ودواب النحر والركوب :

صلى الله عليه عد بكم الساكن لجدارى \*

لموالف بنا امن الصغفر

واعداد الى للنمير كانوا واثلى نخسارو \*

للركبا يوم لمفاخر

وعدد النحل والنمل ، وعدد الهائم من الحيوانات والحشرات ما ظهر

منها وما خفى عن العين :

صلى الله عليه عد لهوام يا من هو قارى \*

ونحل ونمل وعد ما كبير

وما من ليوام ما تسافر من حيث اصغارو \*

يرجود انقدرا القادرا

وعدد الذين سموا ذكر الله من ابيض واسود واسمر واشقر واعجام

صغر ، وعدد اقوام البدع والفدر :

صلى الله عليه عد لنفاس السماواذكارى \*

ليبيض واسودها امع لسمير

وادهم وابراكا مع الشقار واعجام اصغارو \*

وقوم البسدة والمفادرا

وعدد تكور الليل والنهار :

صلى الله عليه غمى وادجا تنبى فشطارى \*

مكتوبا من اجل الذكسر

صلى الله اضلا اعداوما تبلغ لى فقرارو \*

فى حضرت ربي الذائر

وعدد مدن كل الاقطار وما فيها من دور وتصور ، وعدد الصحاري

والمداشر والقبائل ودواويرها ، وعدد تلال النيد والقفار :

صلى الله اعليه عد لمدون افكل اقطارى \*

وما فيها دار اول قصص

والصحرا وادشورها اوكل اقبيل ودواير \*

واتلول البيدا القافرا

وعدد الهضاب والسهول والشعاب الخالية والمعمورة ، وعدد الربى

وعدد كل طول يقاس :

صلى الله اعليه عد لكدي اوحيت لغدارى \*

واشعاب القفرا او ما عمنس

والربوات او عد كل طول وقيمت مقدارو \*

بكيال الدنيا العابرا

وعدد الغابات والبرارى وما فيها من عرين الاسود والنور ، وما بها

من ماوى وغيوان :

صلى الله اعليه عد لغيباب امس لبرارى \*

وعرين الاسد والنسر

والثوى دجميع امن اسكنها كل فى غار \*

صلى الله اعليه غاررا

وعدد اكسية الحيوانات الضارية وغيرها من صوف وحرير ووبر

وريش وشعر :

صلى الله اعليه عد لكسا ذلى هو ضارى \*

بالصوف والحرير والسوبر

والمكسي بالريش والذى متلف بشعارو \*

والى ما ضارى اساترا

وهو يصلى عليه بقلبه ودواخله ولسانه وعقله وفكره عدد الاكوان

التي لم يحص منها حتى العشر :

صلى الله عليه والسلام اقبلني واسميري \*

ولساني والعقل والفكر

عد الكون الي ما احصيت منو حتى معشاري \*

صلى الله عليه كاترا

وعدد ما في علم الله وهو فوق الحصر ، وعدد الزبور الذي لم يبق

منه غير خبره ، وعدد الألواح العامرة بالحكمة :

صلى الله عليه عد علم الله اشدكاري \*

علم الله الا ايفو احصر

عد الزبور الذي الا ابقى غير احصاري \*

والسواح ابلحكاه عامرا

وعدد الانجيل وقاريه قبل ان يحرفه ويطفي نوره جحد الحكمة .

صلى الله عليه عد لنجيل وعد القساري \*

والقاري اكما وحي اخبر

قبل ايجيو الي امحرفيو يطفيو اسوارو \*

جحد احكمما القساري

وعدد سور القرآن الكريم وما تظم من سطور ، وعدد حكمه وبراعينه

واسراره ، وعدد ما في السنة الطاهرة :

صلى الله عليه عد سورات القول الواري \*

وما فالسور امن اسطبر

واعدد الحكمت والبراهن واعداد اسرارو \*

وما فالسنا الطاهرا

وعدد الرسل والانبياء في كل عصر ، وعدد الاولياء والاقطاب

والملائكة ، وعدد الجن الذي لم تره الابصار :

صلى الله عليه عد لرسال اكل اعصاري \* والنبيا لنسوان ادلبشار

وانوليا واقطاب ولمايك وين ما ساروا \* والجن الارات باصرا

ومثل هذا نجده عند المغراوي الذي يبلغ بصلوات الله على الرسوما

فى «عين الرحمة» عدد الحب وأوراق الاغصان ، وعدد الفواكه التى تمتجها  
الاكوان فى كل عام ، وعدد نجوم السماء وحور الجنان ، وعدد اعشاب  
البيداء المختلفة الاصناف ، وعدد ما احاط به علم الله وكل ما هو حى  
وميت وكل ما ظهر للعين وما خفى :

صلى الله اعليه عند اطعام الحب اوراق لغصان

واعداد الغل افكل عام من لكوان اتجيننا

واعداد نجوم السما وجور الجن والجنان

واعشوب البيدا اعلى اصناف ايسار وايميننا

واعداد ما احاط به علم الله كيف اقضاء كان

والحنى والميت او شلا شافوا عيبننا

وكذلك المنجار فانه يصلى على النبى الكريم عدد النحل وشهده ،  
والاطيار المغنية فى رياض حافل بالغلال ، وعدد الجراد والنمل وما زرع  
الفلاح ، وعدد الحصى والرمل ، وعدد انفاس الخلق والالوان والصور  
المتشابهة ، وعدد اصناف الارزاق المختلفة ، وعدد اللغات والمتحدثين بها  
والسامعين ، وعدد حروف آيات القرآن وسوره والحديث الشريف ، وعدد  
ما يلقيه الفقيه لطلبته ، وما فى السماء والارض من سكان ، وعدد ما دب على  
الارض ، وعدد الرانحين والخادين ، وعدد ومضات البرق الخاطف وأصوات  
الرعود وهبوب الرياح وما تهطل من أمطار ، وعدد مياه البحور وعجائب  
الحوت ، وحب الجوهر والياقوت والمرجان وكل ما يلمع ، وعدد الاقمشة  
الهندية المزينة كالزرايى ، وعدد نعيم الجنة والقصور ، وعدد ما فى  
علم الله :

اعليه اصلات الله دائما قد انجل واعفاء

وما غنت اطياف فى ارياض احفيل ابغلاتو

...

واعداد اجنود الجراد والنمل جندو يتعداه

وما زرع الفلاح ولحصا والرمل اعتماتو

ما تقوى نحصيه

واعداد افلاس الخلق واللوان اصورت لشباب  
واصناف ارزاق امخالفات او كل امحدث بلغات  
والللي يصغى ليه  
واحروف آيات اسوارو ولحديث ارقى معناه  
وما قاد الطلبة افاقية نجمي يدري معنا  
مهيا بلفظ بيه  
وما فتخوم اسفاليها او قد الساكن فسماء  
وما دب على الارض قاطبا والرياح نمباتو  
والعاطف لمجيه  
وما شار البرق لخطيف والرعد اصوت انداء  
وما هبت لرياح والركم اكافى مناتو  
والمتوكل بيه  
وما صبت لمطار امن اسماها وابحور امياه  
واعجائب حوت فحجابها وحب الجوهر واتقات  
مرجان ايوتيه  
وبديع الياقوت الرفيع وما يلمع بضياء  
واقماش الهندي وما يماثل تنوار افحرجات  
لزرابي تحكيه  
وانعيم الجن والتصور وما في علم الله  
ويذهب ابن علي في عدد صفاته الى ما خلق الله وما سائر على الارض  
وعام في البحر ، وعدد سائر المخلوقات التي لا يمكن احصاؤها ، وعدد ما  
طار في الجو من اطيبار ، وعدد النحل وما قطف من ازهار ، وعدد ما هبت  
الرياح وصوتت الرعود ولمعت البروق ، وما نزل من امطار ، وما فاض  
بمائها من أنهار ونبت من أعشاب ونما من أشجار ، وعدد ما انتفع الخلق  
بهذا الماء ، وعدد ما ظهرت النجوم ، وعدد اوقات الفجر ومصلية ، وما  
أشرقت الشمس وضاء القمر ، وعدد الاكوان التي أخفاها الله :  
صلى الله اعلى اشقيعنا عد ما خلق لكريم يدرج من فوق اتواه

وما دب افساخل لبحر \* من مخلقات لا من يقوى يحصاها  
صلى الله اعلى اشفيعنا عند ما طاروا اطيوار وارقوم الجوى اعلاه  
بقدرتسو واتروج للموكر \* واعدد الحبل ما قطف زهر اعفاهما  
صلى الله اعلى اشفيعنا ما هبت لرياح وارعود والبرق اشعاه  
وما نزل الارض امن انظر \* واعدد اعشوب به تقحت واحياهما  
صلى الله اعلى اشفيعنا ما فاضت لنهار ابلمياه اساق اسجراه  
وما تقحت به امن اشجير \* واعداد ما تنفع المخلوق ابماها  
صلى الله اعلى اشفيعنا عند ما طلعو انجوم والفجر او من صلاه  
وما طلعت الشمس ولقمر \* واعداد اكوان رب لعباد اخفاهما  
ولا بن على تصلية رائعة يقول فى حربتها :

صلو اعلى الصديق الصادق جد الشراف نور العين  
امام لنبيا بلقاسم محبوب ربنا الرحمان  
وله اخرى يدعو فيها للصلاة الدائمة دون حصر :  
عين الرحما يا عاشقين طهلو عليه \* اصلات الاتحصى امدوما هى ربح امانو  
اخاتم كل ارسال

اما ابن الوليد فيصلى عليه مائة الف مرة صلاة صافية خالصة :  
يا صاحب الشفاعة صليت اعليك فى انشادى  
اميات الف من اصلا مقبولا  
ثابتا من عند المولى  
امحققا ما فيها لولا اولو ابندولا (I)

بل يصلى عليه فى كل ليل ونهار ، عدد الرياح والرعود والامطار ،  
والاقلام والالواح والافلاك والعرش والكرسى ومياه البحار ، وعدد ما خلق  
الله من اغصان دائمة الفوح بالطيب والعبير دوام ملك الغنى القهار :  
اصلا والسلام فى كل ليل ونهار  
اعليك يا الهادى طيب لمسالك \* قد ارياح قد ارعادهما ولمطار

---

(I) اللولة : الشائبة ، والبندول : التبديل والتحريف .

واعلم القلم واللوح الفسلاك \* والعرش والكرسي واكذا امياه لبحار  
واعدد ما خلق فالدنيا من ياك (٢) \* دايما ما دام الملك لغنى القهار  
بالطيب والعبير وعنبر وامسك

ومن ادوع التصليات بعد هذا تصلية الشاوى التى يقول فى حريتها:

صلى الله على الشفييع تور الحق المرشاد

عين الجود الطاهر الزكى ربهى واسنادى

طه مولى التاج واللوا وانحوض المورود

#### الغاية من الملح والصلاة :

والشاعر الشعبي فى مدائح وتصلياته مدفوع بحب يتأجج فى قلبه  
للنبي الكريم ، وهو حب لا شك فى أنه خالص صادق ، وان بدا فى التعبير  
عنه تشابه وتمائل أساسيهما وحدة الرؤية من جهة ، وعدم تعمق حال  
الوجدان لاستخراج الجديد من الافكار والاحوال ، وخاصة عند الشعراء  
الايوساط من جهة ثانية . ولكن هذا الحب رغم خلوصه وصدقه ليس غاية  
فى نفسه ، وانما هو وسيلة لتحقيق هدف يطمح الشاعر اليه وهو زيارة  
مقام الرسول الاكرم والدخول فى حماه لنيل شفاعته وادراك الجنة . وقد  
يبدو فى ذلك ما يدعو الى الطعن فى صدق هذا المحب طالما انه ليس بمقصودا  
لذاته ، ولكن عظمة الغاية التى يسعى اليها وبعدما يشفعان لهذا ازدواج ،  
وهو ازدواج يكاد لشدة تقاربه يوحى بالتحام الغاية والوسيلة فى وحدة  
وارتباط . ولا عجب فالمحب اى محبب يسمى الى نيل رضا حبيبته ووجاهه ،  
والوصال بالنسبة لمحِب الرسول يتم بزيارة مقامه الشريف ومشاهدته  
نوره ، اما رضاه عليه السلام فدليله ان يمنح محبه الشفاعة يوم القيامة  
حتى يفوز بالجنة . لذا فلا غرابه ان يتخذ الشاعر الشعبي مديحه للنبي  
وصلاته عليه جواز عبور للبقاع المقدسة ثم الدار الآخرة عساه ينال  
فيها الجزاء الحسن .

فالمغراوى يطلب من الله أن يجود عليه بفضله ويجعل مقامه فى الجنة

ويكرمه بالنظر الى وجهه :

١ - لايتك .

يا ذا الجليل جسد عليا \* في ذى اوديك حرمت في  
واجعل امقامنا فالجنا \* ابهرمت الشريف ارسد  
وارحم اسلافنا واكرمنا \* بزيادت النظر في وجه  
ويرجوه ان يعجل له بزيارة مقامه الكريم حتى تشفى  
في جماله وان يمنحه ظل لوائه يوم الحساب ليفوز بالجنة وينه  
عجل انزورتي امقامك نعم النظرا \* تشفى في جمالك الرو  
وانكون تحت ظل المواقف انهار العسرا \* الفوز وانجنب نار  
وهو يرى في «عين الرحمة» ان مدح المختار تمزه وان  
يوم القيامة في ظله :

ربي كريم اجعل ارحمتو سبقت غضبو افلا زال  
واجعلها فقلوب هل ليمان مدح المختار انزاهها  
من مدحو يدخل تحت ظلو يوم القيامة

لنوتاج المرسلين وانهايت ل  
ويرى كذلك ان تجيد الرسول يطرد الحاسدين ويطهر  
وان صلاته تصفى القلوب من الكدر :

تمجاده يجرى اعلى انكودي ويطهر جمع لحران  
اصلاتو اتصفى اولا تخلى فالقلب اغبيننا  
ويسال الله ان يلطف يوم الحشر ، فهو قادر على ان  
ويعمهم بالغفران ، وان ينقيه من شر النار المحرقة وان يسه  
وان ييسر له الطواف بالكعبة ورؤية حرمها والسعى بين الد  
ومشاهدة مقام الرسول وطيبة ، اذ ذاك يهنا ويعود طاهرا ك  
وقد انطلقت مهجته وارتاحت روحه :

...

من نسعاوه لقبول يلطف بنا يوم لوقوف \*  
والخلق كل يفعلو



يسعدني فدائيتي يجعلني نمشي انطوف \*

بالكعبا وانشوف حرمها والمروا واصفا

انشاهد عين لوجود المفضل عن اجميع لفضال \*

وانشاهد طيبا اوقبتو نبصرها وانراها

نتينا وانعود كيف نفى ميا صافى ازال \*

اصميم المهجا ايريع والروح ااصيب انساها

ويرى النجار أن الصلاة على النبي تمحو سيئات المكث من الذنوب :

واكثر الذنب ايزيد في اصلاتو تمحا سيئاتو

وغاية المني عنده ان يحج قبل ان يموت ، فبذلك يندى روضه

ويتفتح زهره ، وهو مشتاق لزيارة البقيع والكعبة والحجر الاسود ، لو

وجد الى ذلك أجنحة لطار ، وقد طال جرحه وليس له دواء غير الاقتراب من

باب السلام ، ولكن جسمه مثقل ، وليس له ريش يطير به ، فهو لهذا

راض بالقدر :

اتوجه يا بادي \* نوصيك للسفر واعمل قبل الموت زاد

يصبح روضك نادى \* ويفتح الزهر والسوسدان عن تغناد

ونقول آتغرادى \* اعلى لبقيع والكعبا واحجرت لسعاد

لو صبت امرادى \* واجتاح طير زاعم تدنا به لبعداد

طال الجرح الكامى \* مالو اطبيب دون القرب الباب السلام

لكن ثقل اعظامى \* والريش خاني وارضيت ابما افلحكام

وابن على يرجو من ممدوحه الا ينساه ، ويطمع ان يدخل فى حماه

لينجو من حر جهنم ، فقد اثقلت كاهله الاوزار فلا يستطيع تحملها جسمه ،

ومادحه يصول ويفخر ويطلب الجنة :

أمحمد لا تدوز (I) مداحك طامع فى احماك يتجا من حر الظاه

حامل عن كهلى من لوزار \* وامحمل عن اعضايا شل تقواها

أمحمد لا تدوزانى ربى يقفر المخلق كافا الو جمع اعضاه

(I) داز فات ولعن اصلها من دامن فى الفصحى .

مداحك ايصول ويفخر \* لك الجنأ اطلب وانت مولاها  
 أمحمد من ادخل افحرمك يحى وزرو لكريم لجنك اجعل مأواه  
 فالجنأ يهنأ ويستقر \* دار اليكرام ينكرم من قحماها  
 أمحمد لا تدوز مداحك طمع الخير فيك اجعل الجنأ مجزاء  
 كان اشفعنى ربنا اغفر \* للنفس الو اعيش فى وزر خطاها  
 ويرى العلمى فى احدى « جلالياته » ان الصلاة على الرسول حرزه  
 ورقيه وأمانه ، تحفظه وتصون دينه وايمانه ، ويراها زهوى ونزاهته وسلواه  
 وعزه وحرمة وشأته ، هى ورده فى كل وقت وحين طالما امتدت به الحياه :  
 هى حرزى ورقيتسى هى الامان \* هى حفظى اوصمون دينى ويمانسى  
 هى زهوى وانزاهتى هى السلوان \* هى عزى وحرمتى هى شمانسى  
 هى وردى اعلى اندوام افكل احيان \* ان شاء الله ما فاعيات ابقانسى  
 أما ابن الوليد فيطمع فى أن ينظر اليه لكى يصلح فسادة بجاء  
 مديحه ، وان يشهد له باتسابه اليه ، ويرحب به حتى يزول عنه الكرب  
 والضيق وأن ينقذه من الاضرار ، ويدخله فى زمرة للجنة ، ويسقيه من  
 حوض الكوثر ، وتلك أقصى غايات الضيافة :

وابغيت فيك نظرا تصلح بمدادها افسادى

وابغيت فيك تشهد لى بالنسبأ

بعد تلقائى بمرحبا \* اتزول عنى هاذا الكربأ \* اكل نشبأ

وابغيت فيك تنقذنى من لضرار واسقايم

وابغيت فيك ندخل فزمرتك للجنان راعم

اكمال عز امضافأ

وابغيت فيك تسقينى من حوضك ما الكوثر

فاذا ما تمت له النظرة فى طه فرجت كل انكاده واغتنى بعد فقره ،  
 وعلم ان الله قبله فى جنته واعتقه من النار ، وحق له ان يصول بشرفه  
 الحسنى مفتخرا دائم الفرح ، زاهيا منتشيا ، وقد سلم من كل عيب ، وهو  
 يلج على الرسول الاعظم ان يجود عليه فى سخاء وعطف ورحمة :  
 ونا ايلا انشوفك ياطه تنفجا انكادى

ونعرف بين رب البيت اقبنتي  
امن اعذاب النار اعتقنتي  
بعد فقري نصيحتي  
اشمريش حمتني  
انصوب ولفخر افطول ازمانتي  
بفسراح دايهـ

اشريف بالزعم متخمر من كل عيب سالـم  
ونت معدن الوافا جداسخ اعطف وارحمتي ياطب كل اضرار  
وهو يريد ان يراه في المنام حتى يعالج من سقمه وتزهي عيناه ،  
ففي رؤيته بشري وغنية :

هل يامدرا نلقاك في امنامي  
فيسرا من اسقامي  
وتزهي انيامي  
نظرا فصورتك لكريما  
بشرا على الرضا واغنيا  
أبو لال فاطما

وعنده ان النظر اليه غاية طلبه ومناه :

اخيار كل ما نتمناه  
فالدنيا شوقا فيك يا عربي  
هادك حد رغبتي  
عند الكريم ربي

ومثل هذا يذهب اليه التركمان حين يرى ان الصلاة على النبي مفتاح  
كل المقاصد وغايتها :

طه واصلاتك الشريف مفتاح الكل امن اقصد \* عليك اغايت لقصد  
واما الغرايبي فيريد من الرسول ان يكون له سندا يوم القيامة حيث  
الامة كلها لا تذه بحماه ، فذنوبه كثيرة ، وهو يخشى من ضيق القبر وعذابه  
ويروجو ان يقبل مدحه هدية ويرضى عنه ويرشده وينظر في حاله ويأخذ

بيده حتى يصلح فسادہ ويخف حمل ذاته الثقيل :

أطه نبغيك اتكون لي اسنيد واسنادى \* افيوم الا تجزى الوالدا  
عن مولود او لا اسنيد دونك يوم المعادى \* والاما فحماك لايسدا  
أطه ذنبى اكثير خوفى من ضيق الحادى (I) \* يوم اتكون الذات فاقد  
لا أهل لآخوان او لا عمل او نيس التفردى \* لا توبا للائم هسادا  
أطه تقبل اهديتى برضاك وتمجادى \* وارشدنى جل لمرشدا  
انظر من حالى اوخوذ بيدى ينصلح افسادى \* ذاتى حمل اشغيف راقدا  
لعله واضح من هذا ان امل الشاعر من الرسول يكاد ينحصر فى

امرين : أحدهما الفوز بشفاعته يوم القيامة والثانى زيارة مقامه .

اما الشفاعة فقد جز موضوعها بعض الشعراء الى الحديث عن رسوم  
القيامة وما يتم فيه من حساب وجزاء وعقاب ، وكيف يشفع الرسول فى  
المسلمين ، على حد ما نجد عند المغراوى فى «هول القيامة» حيث يذكر انه  
عليه السلام كان قد اخبر دعاءه الذى طلبه منه الرب الكريم ليحجبه عليه ،  
الى يوم الحشر ليجعله عاما على أمته خاصا بالشفاعة :

انجوا الهاشمى باهـيـج انوار \* ويقولوا جمـلـت لأمرام  
جنا لك نطلب الشفـاعـ يا مختار \* يا عالى الجاه ولمقام  
ويقول انا نها واليوم الموعود \* وخرت اجواب ادعوتى عنداسـوالى  
عند امنابر ايقوم بمقام المعبود بين الكراسى لوليا شمس ايلالى (2)  
ويسجد فالترا اينادى ياموجود \* وعدك بشفاعت لورا تعبر حالى  
ويقول الدايم لمسرمد \* ارفع راسك من السجود  
اشفع نشفع يا محمد \* واطلب تعطد اجل جود  
وايقول الهاشمى لمجد \* اعجل بقضاك يا ودود  
اهل الجنا بدخلوها واهل النار \* يمشوا لها ابلـمـرام  
انا الشفيع فمتى وانت الفقار \* يا عالى الجاه يا سلام  
ايقول الرب كونوا افجنت رضوان \* اهـنيا جميع ما وعدت اليوم اكون

### الشوق والحنين للبقاع المقدسة :

واما زيارة مقام الرسول الاكرم فقد أتاحت لكثير من الشعراء ان يعبروا عن شوقهم وحنينهم للبقاع المقدسة وما يعانون من ذلك الشوق وهذا الحنين ، فعبد الله بن احساين دائم السهر والبكاء من الشوق ، معتل الصدر من التئهد ، لا شئ يطفىء من ناره غير زيارة أرض طيبة حيث يريد ان يمرغ وجهه على قبر الرسول ويتضرع اليه أن يمنحه الامان :

رأى الله شاهد عن قلبي واللسان كل احيان

انبأت كنضل ابشوقي والدمع كايون لـمـان

بتناهدى اتعلل صدري والصعب ما بقى يـليـان

نمشى الارض طيبا نطفى ما فالقلب من نـيـوان

وانمرغ لخدود وتضرع فوق من قبر العدنان

وانقول يا شريف لاسم مداح طالبك للامان

ثم يعود الى منزله فرحان ليصلي ويصوم ويمدح الرسول :

وانعود من الحج المركاحى يا عنايتى فرحان

للصوم والصلا وامديحك بين لحديث والقران

ويخاطب الطالب لحسن حجاج البيت ، وقد تعلق بهم قلبه وارتبط

عقله ، متمنيا ان يقف مثلهم فى عرفات ويلى :

عقلى طاش امعكم يا زيار العدنانى

لجبل عرفا وامننا

قلبي كيتمنى

بفضل مول المننا

نحصن بالحرم ايمانى

نوقف فى موقفكم

وانلبى بالرحماني

يرحمنى بفضلكم

وانقول ابـلـغت امانى

وهو يامل ان ينادوه فيقطع السافات ليلحق بهم :

مدرا لي بالدحقان  
تربى نهج الطريقان  
ندهولى يا صدقانى  
نصبر فى حضرتكم  
مير العشاق اسقانى

ومن اجل ذلك يرجوهم ان يدعوا له الله ان تتم له مشاهدة نور  
العين والشرب من المعين ما دام يعشق وما دام الشوق يدعوه :

رغبو فيا المعين  
انشاهد نور العين  
تروى من راس العين  
نعشق والشوق ادعانى  
فالمعلا ننظركم  
وانشاهد من يرعاني  
كرموني بدعاكم  
خايف نفسي تسعاني

ومثل هذا نجده عند الكندي الذي يخاطب الزائرين يرجوهم ان  
يخبروا صاحب المقام بحال مهجته الفانية وذاته النجيلة من الشوق ، يقضى  
ليله ونهاره تائه الجوارح ذاهل الروح ، لا يحلو له عيش فيرغب فيه ولا  
يناديه الموت فيرتاح ، دمه متهاطل كالمنظر لا يفتقر ، وسهره لا ينقطع فمن  
فراق من سلبه وملك عقله ، لا يزيد قلبه الا لظى واحتراقا وقد حالت دون  
الوصول اليه الروابي والجبال ، وهو وحده الذي يستطيع معالجة دائه :

خبروه ابجالي رامهجتى ارشأت \* من الوحش وذاتى بالشوق ناحلا  
اكما انظر الانالى (I) بالشوق كنبات \* ولجوارح تاهو والروح داهلا  
ما زهى لي عيش اولا ناداني اممات \*  
من افراق امناكم لنجبال هاطلا

ليس تغتر كالودق (I) السائب الدقيق \*

تاه عقلي شئى ايلقنى ابحبكم

...

وين ما سمرت انشاهد ما ريت اخيال \*

فالفكر واليقظ والذات فاهيما

اسلمبني واعلمك عقل سميد الرجال \*

تاهت اسيار الذات امعا داوينا

...

نن ماعا اينيد القلب الظا احريق \*

يا لى غيبتم اوفين حدكم

اكما اتقيل نمشى سهران كسل ليل \*

من اهوى محبوبى فاقد راحتى

...

درقوه اعليا لرواب الطواد \*

ليس من غيرو كان اليعنى اطيب

كذلك بيعت الفلوس سلامة للرسول مع الذهاب لزيارته ويطلب منه

تبليغه انه من الفراق ينحب معذب القلب هائل الدمع ملسوخ الضمير ،

راجيا ان يقرب لمقامه وحماه وقد طالت غربته :

يا الغادى لمقام الماشى المرشاد \*

بلغ اسلامى حزم ناضى الهادى

قل المحبيب من افراقى عدت انجيب \*

وقلبي ابلفراق يا صاح متعذب

قل المحبيب دمع عيني ما طل اسكيب \*

واضميري ابلفراق لا زال امنكب

قل المحبيب ردت لمقامه تقرييب \*

هادى مد اشحال ونا متغرب

امتى لجماه فحياتى تتقرب

(I) الودق كما فى الفصحى المطر .

ويتوسل الى الله بمن زاروا بيته ان يزين اسمه ويذكره وينعم عليه  
بلقب الحاج ، كناية عن أدائه الفريضة :

يا لمولى زكى اسمى باسم الحاج \* ابجاء من حج أطاف أزار حرم طه  
فما أسعد من زار مقام الرسول الكريم وادى الشهادة عنده ، وما  
أسعد من رأى سكان طيبة وفاز بالعز والرشاد ، وما أسعد من شهد نور  
الهدى المبهج ، فما مثل النظر اليه تنزه ، ولكن هل سيمتع بصره فى جمال  
الرسول ليرقى عند رؤية صورته ؟

يا سعدات من زار امقام سيد لسياد يا سعدات من عتدو أدى الشهادة  
يا سعدات من شاف امقام تلك لوهاد قوم طيبا فاين بالعز والرشاد  
يا سعدات من رانور تهدي المبهاج ما بحال النظرا فشمائلو انزاهها  
ياترى ننظر فجمالو ابشوف نغناج عاد نترقى لما صورتو انراها  
وقد تناح الزيارة للشاعر فيحس هذه السعادة على حد ما تم للحاج  
اعمارة الذى غدا سعيدا وقد حج مع الابرار ، وطلب العفو عن أوزاره ،  
وزار مقام النبى المختار ومتع بصره فى قبته ، أنعم الله عليه بالزيارة فتثور  
قلبه ، وتلا القرآن فى مسجد الرسول وسبح فى ساحته :

سعد سعدى حجت امع لقطاب لبرار سعد سعدى وطلبت لعفو عن اوزارى  
سعد سعدى زرت امقام النبى المختار سعد سعدى متعت افقتو ابصارى  
سعد سعدى نعمنى خالقى ابلمزار سعد سعدى واتنور ساكن السيارى  
سعد سعدى فى منجدو اقريت لسماور سعد سعدى سبحت افساحتو البارى  
لذلك فما شاهد — فى رأيه — شيئا من لم يشاهد مقام الانوار ،  
وما أدرك من لم يدركه ، وما أحس من لم يحس سر الاسرار فى مقام  
المصطفى عظيم الاسرار ، وما فاز من لم يفز بالحج والذكر عند قبر النبى  
الكريم ، وما رشف من لم يرشف من ماء زمزم العذب خير الآبار ومظهر  
القلوب :

آش شافوا من لاشافوا امقام لنوار واش دركوا من لادرکوه افلعمارى  
واش حسوا من لاحسوا بسر لسرار فى امقام المصطفى عاظم السرارى  
واش نالوا من لنالوا الحج واذكار فوق قبر الهادى لمشرفو البارى



واش رشفوا من لارشفوا افخيرليبار بينر زعزم لعذيب امطهر السيمارى  
واذا ما هيئت الزيارة للشاعر فانه قد ينقل وصفا للركب ومراحل  
الحج فى قصائد أطلق عليها «المحمل» ، وهذا ما فعله عبد القادر بوخريص  
الذى وصف ركب الججاج المغاربة وهو يستعد للرحيل من فاس ، وقد  
ضم جماعات من سوس ومراكش والحوز والعرب والبربر ومختلف القبائل:  
أرواح أراسى اثنوف هذا الركب السائر  
خلا ناس المدوق سايقا لمقام المختار  
مادامن قومان جات تمشى لدحج اثخاطر  
من سوس امراكش اللفريج جلوا الخطار  
واهل الحوز اوكل امن اتها واعرب وابراير  
واقبايل شلا انصفها والطلبا لخيار  
ويعطى صورة لاطار هذا الجمع الذى برز فيه اكابر أهل فاس ،  
حيث نصبت الخيام واصطفت الخيول ولعت الخناجر والسيوف والبنادق  
والرماح ، وحضر أبناء السلطان يحيط بهم الخدم والحشم ، ووقف رئيس  
الركب يستعد للرحيل وقد فاضت عينه بدموع كالجواهر :  
واخوايج هل فاس برزوا بمضارب واسمحاجر  
واخيام اعجيبا امتحفا فرجا للنظار  
واهجاين واخيول رايشا واصوارم واخناجر  
وامكاحل واسنون والسيوف اتقصر لعمار  
واولاد الملك عبدو رضى اسناهم زاهر  
حفت بهم ناس لوقا واعبيد ولحسرا  
والحاج الطالب (I) فاض بحرو دافق بجواهر  
واتها للميز والسفر بالمال ولجوار

---

I - فى البحث الذى كتبه الاستاذ محمد المتونى عن «ركب الحاج  
المغربى» ان ركب هذا العام (1326) حج فيه المولى ابراهيم ابن السلطان  
المولى سليمان وان الذى ترأسه هو الحاج الطالب بن جلون (ص 15 ط،  
معهد مولاى الحسن - تطوان 1953) .  
(32)

واجمال وابغال ولحمال والصائم والفاطر

واهوادج واجحاف صاينا واعوانس وابكار

ويستعرض مختلف مراحل الحج ، وتبدأ في زابغ حيث مكان  
الاحرام - بالنسبة للمغاربة - والشروع في التلبية ، فالطواف بالمقام  
وتقبيل الحجر الاسود والوقوف بعرفات ، ثم الهدى والنحر في منى  
صباح يوم العيد فرمى الجمار ، وبعد ذلك يؤدي العمرة ويقوم بزيارة  
قبر الرسول في المدينة :

وافرابغ يحرم امن اتھيا للحج وهاجر

ويلبي للمحى امن اصميم القلب البكار

ويطوف ابل مقام ولحجر قدامو يتجاو

وافعرفا تكمل حجتو ابرحمت الجيار (I)

وايضحي بمنى اصباح عيدو وايولى طاو

بفرايض وامناسكو او حجو يرمى بجمار

وايجب العمرا اعلى النهايا ويطيش الخاطر

وايجدد بالسير للشفيغ الماحي لمزار

أما اذا لم تنح الزيارة ، فيكتفى برسول يبعث معه كتابا للنبي  
العظيم ، على حد ما فعل الحاج محمد بن علي المستفيوى في «المرسول» الذي  
يقول في حربه :

من الغرب اتسير ابلكتاب بالمرسول وصلوا الحمد طه خاتم الرسالا

ويشير عليه بالطريق الذي ينبغي أن يسلك للوصول الى البقاع

المقدسة ، مع تحديد لكل المحطات التي يمكنه أن يتوقف بها ، وهو في

البدء يوصيه ان يتجنب الصحراء لقلّة الماء وصعوبة الطريق وينصحه ان

يسلك طريق الساحل وان يظل في ركاب الحجاج :

لا تفرق الحجاج اتنال كل تقراو في اجمعهم تدرك لمراد دون ريبا

جنب الصحرا تنجا من هول واشغاب قلت الما فيها واطريقها اصعبا

اعلى اطريق الساحل تفادا وصغ للقول رايد النصحك بحديثي افد لمقالا

أما الطريق في المغرب فيبدأ من الرباط فسلا فمهدية فأصبيلا  
فالعرائش فطنجة فسبتة فططوان فملييلة فجبال الريف :  
من الرباط أخرج كركب ينفجسا \* ولقبول ايشملك طيبو اعطير افاج  
في اسلا تلقى لرجوعك لفرجا \* دوز مهديا وزلا (١) او فوت لبراج  
من لعرايش نضم في طنجا \* الجاجا ابزورت الوالي لمكنى اسمجد الحاج  
يمن على سبتا وفتطوان محفول \* اكون فملالا واتعود افلكفالا  
دوز فجبال الريف اولاً اتوافق اجهول \* اترك خلفك قومان الجور ولجهولا  
ثم يعبر الحدود للجزائر حيث يمر بوهراة ومستغانم والجزائر  
العاصمة فعنابة ليصل الى تونس ، وفيها يزور بنزرت وتونس العاصمة  
حيث يوصيه أن يقف على مقام سيدي محرز قبل أن يأخذ طريقه لسوسة  
وسفاقس وقابس ، ومنها يدخل الى ليبيا بادئا بطرابلس فطبرق فبنغازي  
فبرقة .

دوز للمغزوات بنى انصاف بظهر \* وهران (2) اقبالو ينبا احصين زاهر  
مستغانم اسراسر اتبها امينيس \* كان فالتية اتبان امدينت اتزاور (3)  
بعد عنابة في بنزرت ماترى هول \* بات في تونس لها روح افلمهالا  
زور سيدي محرز واغدا متيل رقاص \* ذكر احبابي في سنوسا امع اسفاقس  
في احصاهم تحظى هاني او لاترى باس \* ما تظن اقبالك حتى اتشوف كابس  
بعد كابس في امساير اتشوف بفلاس \* من اسواحل جرب حتى طرابلس  
بات واقصد طبروق ولا تراقى اكفول \* تصيب بنغازي طرف اليم غفالا  
كن في برقا حاضى لا يصيدك ادهول \* في امهامه درنا ما تلتق ادهالا  
ويصل بهذا الى الحدود المصرية الليبية ، فيدخل السلوم ومنها الى  
الاسكندرية فدمهور فطنطا فالزقازيق فينها فالقاهرة :

زد المسلموم اصغالى انفيدك بغراض \* ابلتلى كن افلمشنى اخفيف لعضا

1 - يغلب قلب صاه أصمبلا زايا

2 - يغلب على المغاربة نطق وهران بكسر الواو .

3 - يغلب على لهجات الشمال الاغريقى قلب جيم الجزائر تاء وكأنها

تستقل الجمع بين الجيم والزاي .

فى اسكندرية تلقى من لوفاحظ. \* للدمهور اتكلف ابلمشى اكبالا  
فوت دار الرهبان تدرك عز واقبول \* بلعباس المرسى اللى افلحظا  
زى سيدي البدوى كان رايد اتصول \* افطنطا ما تحتاج لمراسمو ابدا  
لى كازيك امع بنها اتصيب فالحين \* منها روح المصر يا رسول فرحان  
ويتوقف ثلاثة ايام فى القاهرة ليزور مقام سيدنا الحسين والقلعة  
وضريح الامام الشافعى والسيدة سكينة ويستمتع بضفاف النيل . وهو  
خلال هذه الايام يتفرج على حفلات المحمل بقبابه وهوادجه والمشاعل  
والعساكر فى زياء الجميل والابواق والاعلام والطبول :

سر مقام ولد الهاشمى اتصيب فالحين الجاههم اسع الرب لورا المنان  
اطلع للقلعا لحصينا ومنع العين اعلى لخبير انفتش من به حق ستعان  
زر امام الشافعى اتعود مشمول بالثنا والبركا ولا تر امهالا  
اكداك ست سكينا (I) طب كل معلول افحرمها زد اتدل غايث الدلالا  
اجلس تلتيام افرجا ابغيتك اتنال بنزايه بين القلعا وساحل النيل  
كل يوم افراجا بين لكهول واطفال فى ايام المحمل اللى هو موكب احفيل  
بالجوامر شمع يبريزها ابللال ولقيب وهوادج تشفى اسقام لعليل  
ولعساكر تظهر فى زياء المكمول افلكسا وما دركت كيفها اعمالا  
ابلعساكر واغوايط ولعلوم واطبول ايجددو داك الموكب كل ما اتبالا  
أما الرسالة التى يحمل فسيبلغها عند شباك المقام ، حيث يوصيه أن  
يضع يده ويخبر صاحبه الكريم انه جاء مبعوثا من محب فتى جسمه فى  
حبه ، لو اسنطاع لقدم روحه مقابل وصله ورؤية نوره ، جاء برسالة منه وقد  
تركه رهين الشوق يريد أن يتشرف بطيب اللقاء ، وألا يحرمه من رؤية  
جمال وجهه وأر فى المنام ، فكل رغبته وكسبه أن يجود عليه بالرضا  
والعطف :

بعدها توضع فالشباك راحت ايديك

قل لويا من روح النفس هايم افداك

(I) الذى يحفظه الرواه هو «ست ستينا» ولكن لا يعرف ضريح بهذا الاسم  
فى القاهرة ، ورجحنا أن يكون تحريفا لـ : «ست سكينا» .

جيت من عند اللى جسمو افنا افجبك  
قال لك حق اللى بين لعباد نباك  
لو ايصيب ايبدل روجو ابطيب وصلك  
ايشوف نورك من سجدت لو اجميع لملاك  
جيت برسالا واتركتسو ارمين شوقك  
راد يتشرف يا سيدى ابطيب مملقك  
لا تحرمو من نظرا فى اجمال وجهك  
حبها ولو فى امنامو ايشاهد ابهاك  
كان رفتلو من بعد الرضا ابعطفك  
ذاك رغبو واكمال اتجارنو امن اوفك  
ومثل هذا نجده فى القصائد التى يطلق عليها «المرحول» أو «الورشان»  
أو «الحمام» حيث يرسل الشاعر طائرا الى البقاع المقدسة يحمل رسالته  
للمرسول ، مارا بنفس المراحل ومزودا بنفس التوصيات . من هذه القصائد  
«مرحول» الحاج عمر المراكشى الذى يقول فى حربته :  
أولد لحمام ادى لى عنوانسى للصادق لمصدق رسول الله  
ومنها كذلك قصيدة الحاج ادريس لحنش المشهورة بـ «حمام المدينة»  
والتي يقول فى حربتها :  
هاك اكنابى يا حمام المدينة من أرض فاس سبر اتزور المدنى  
ويوصيه اذا ما وصل الى الشباك أن يلقي بالكتاب ويبلغ الرسول أنه  
مبعوث من طرف عبد أثقلته الاوزار ، تحبسه وتقيده جرائم كبيرة ، وهو  
يرجو شفاعته ليل نهار :  
أوقف فالشباك الشريف الزاهر والى اكناب للماحى تاج انصارو  
ثم قل أضافع لعباد الطاهر هذا كتاب عبد امثقل بوزارو  
محبوس امقيد فى اجرايمو لكبار يرجا اشفاعتك فى ليلو وانهارو  
**التوسل :**  
واذا كان الشاعر الشعبى قد عبر فى قصائد الحنين الى البقاع المقدسة  
والشوق لزيارتها عن حال ضعفه مثقلا بالاوزار ، فانه فى قصائد التوسل

تشتب في وضوح أكثر عن هذا الحال وعن رجائه المنح في الله أن ينقذه ويعفو عنه ، متخذاً وسيلته إليه أو إلى رسوله الكريم وساطات مختلفة (I) .  
ومن أشهر قصائد التوسل قصيدة العلمي التي يقول في حريتها :

يا من ابتلاني عافني ارحمك انال    خف ثقل يتسرح يرتخا اعقالي  
وفيها يطلب من الله أن يغف عنه حتى يفرج كربته ويصرف همه ويهنا  
خاطره ويسلو قلبه ، فليس له من ملجأ الا هو بعد أن فشلت كل حيلة  
وخيمت الاكدار في ساحته ، وهو يريد أن يقضى حاجته في الحال متوسلاً  
إليه بالرسول والأنبياء والأولياء والسادات والصالحين وكافة الأقطاب  
والإبدال وجبريل وملائكة العرش وعزرائيل وميكائيل واسرافيل  
واسماعيل وإبراهيم :

غثنى يتفجاً كربى انلوح لهوال \* خاطرى يتهنأ قلبي ايعود سالى  
لين يركن من بارت لو اجمع لحيال \* اوعاد منزل ديوانو ابلكدار مالى  
ادخيل لك أمولاي بالانبيسا ولسال \* ادخيل لك اسيدى بجاه كل والى  
ادخيل لك بالسادات الصالحين لفضال \* كافا لقطاب ولجراس وابدالسى  
يايلاه اسأنتك بجاه حق جبريسل \* اسمع املايكمت العرش هل السما العالى  
اوجاه عزريل وميكائيل ويسرافيسل \* كل ما نطلب لك نبغيه ينعطالى  
اوجاه اسماعيل ومول لمقام لخليل \* حاجتى نبغيها فالحين تنقضى لسى  
وهو حين يتوسل الى الله يعرف أنه غير غائب حتى يرجوه أو عاجز  
حتى يعذره ، وانما هو قريب حاضر ناظر ، جزيل العطاء والاحسان ، قادر  
على أن يشفى ذات العبد من كل علة :

مانت شى غايب نرجاك يالجليل \* اولاً انت شى عاجز تعذر يالمولى  
اقريب حاضر ناظر معطاً احسانك اجزيل \* تقدر تشفى من ذات العبد كل علا  
أما هو فضيف الجسم ثقيل الحمل لا يعذره الناس فى بلواه ، لا حول  
ولا قوة له ولا جهد ولا حيلة ولا تدبير فيما قضى الله :

لبدان اضعييف والحمل جابر اثقييل \* ولخلاق ما تعذر حال من اتبلا  
مأيل قوا ولا جهد ولا حــــــــــــــــول \* ولا تدبير اقلقضا ولا حــــــــــــــــلا

(I) معلوم أن للدين رأياً فى موضوع التوسل الى الله بالغير أو التوسل  
لغير الله ، ولكن ليس من شأننا أن نتعرض له فى هذا البحث .

وأمله كبير في أن يبلغ مقصوده ، فالعبد اذا شكأ لسيده قبل  
شكواه وحرره ورفع مرتبته ، لذا فهو يدعو ويرجو منه القبول والاسراع  
فيه ، ما دام باب الاجابة غير مقفل ، وما دامت خزائنه مفتوحة  
للسعاة مثله :

اذا اشكأ العبد اعلی سيدو ايزيد يقبال \*

ايحورو ويديرو فمراقب لعلی

باب اجابا عندك ما تسأل بنفسك \*

ايحسازنك مفتوحا للساعي ابحالی

من عندی انا الدعی ومن عندك لقبول \*

والحاجا ما تكون فيها تعطلا

أليس هو القائل لرسوله : «واذا سألک عبادی عنی فانی قريب  
اجيب دعوة الداعی اذا دعانى » ؟ واذن فلن يخيب عبد دعاه وسأله ،  
فهو سريع العطاء ، تنفيذ امره رهن بحرفی الکاف والنون ، وتلك قدرة  
الجليل التي حارت فيها العقول ، وما حاول احد ان يحقق فيها الا وغاب  
عن عقله وتاه :

حق قلت يا ربی للنبي المرسول \* من ادعائك فبيدك حق تستجب لو  
كيف يدعی عبدك واخيب بالمسؤول \* يا سريع المعطا لجميع امن اطلب لو  
أورك بين الکاف ونون حق مضمول \* من اتحقق يحق واخيب له عقول  
ولا عجب فقدرته وسعت كل شيء ، اذا اراد شفا العليل واغنى  
الفقير ورفع الوضيع وعلا شأنه وجاهه ، واسعد الشقي وغفر له معاصيه  
وصيره من اوليائه . لذا فالواقف ببابه يطمع في العفو الذي وجود به  
على العصاة أمثاله :

اذا ردت بحكمتمك تشفى لعليل \* ويذا ردت لفقير يرجس ذو مالى  
ويذا ردت لوضيع يدنا للتفضيل \* ترفع جاهو ايعود في منزل عالى  
ويذا ردت الشقي اتسعدو بالجليل \* تغفر لواقفا اعصاك واتجعلوا والى  
بعفوك اتجود \* عل العصاة ابحالی

وهو يرجوه الا ينظر الى قبائح أفعاله ، وان ينظر الى ضيقه وضعف حاله ، فلن تنفع الله طاعته ولن يضره جهله ، ما دام غفارا لا يحاسب على الضلال :

لا تنظر يا كريم لقبايح فعلى \*

انظر من ضيقتى وضعف الحال

ما تنفعك طاعتي ولا ضورك جهلى \*

لنك غفار ما تحافى بضلالا

فيه رجاؤه وعليه توكله ، ولا يريده ان يسلمه الى من لا يرحمه ولا يرى له ، هو المتعالى يعلم سر قلبه وانه لا يفكر فى غيره ، مهما ضاق به الحال وفاض قلبه فهو لا يسعى لغيره ولا يفتر عن سؤاله :  
من فيك البرجا واعليك الاستكال \* لا تولجنى اليد من لا يرى لى  
انت تعلم اسر قلبي يا متعال \* لا ينى ما ندير غيرك فى بسالى  
ههما يقنط ساكنى ويضيق الحال \* نسعاك اولا يغيب عنك اسؤالى  
ولا بن الوليد توسل رائع يقول فى حربته :

ناديت ابكرحتى اوصوتنى \* وادفعت صوتى الرب الملكوت  
وادعيت اقلت فى ادعوتى \* يا من نجيت يونس فبطن الحوت  
اما قبل الموت وما بعد الموت ياربى كن لى اقموتى

وهو يتوسل به اليه ان يسمع دعاءه ويلبى طلبه ، فقد وقف ببابه مملوكا يرجو ان يغنيه من احسانه وفضله الواسع ويهديه لذكره ويجعل هذا الذكر قوته والذ فى لسانه من كل لذيذ ويكتب له فى قسمته قصرا بالجنة :

انلهم ابحقك امولاى اعليك \*

سالتك بك ياالسميع المن ادعاه

كن افطلبى اسريع اكما نطلب لك \*

يامن صورت صورتى فى شين ارضاك

انت السلطان مايك فالملك اشريك \*

ونا المملوك واقف فى بابك نرجاك



ياربنا اسألك \* من فضلك واحسانك \* وانت الخير عندك  
ضافى اعلى اعبادك \* اغننى بفضلك \* الواسع اخزانك  
واجعل مشروبى اوقوتى \* ذكرك فلسانى اغلى من لذ القوت  
واجعل يا خالقى اقسمتى \* اقصر امؤيد افجنت لعلا موروث  
وله آخر يتوسل فيه الى الله باسمه وبعض سور القرآن الكريم ،  
يقول فيه :

نتوسل باسمك ليك اوصاد اوطه اوقاف والقرآن لمبين والرحمان اياسين  
ولمولاي على شقور توسل يقول فى حربته :

ياالله نتوسل لك ابنورك يا سيدنا مولاي محمد حبيب عندك  
يرجو فيه الله ان يحن ويشفق على عباده ، والا يخيب من جهل  
بأمره والا يعاقب العصاة لانهم يلتمسون رحمته ، فكل الخلق فى قبضته  
وحكمه ، وكلهم يعرفه بقدر ما يريد هو ، بيده شفاء المريض لا يداويه  
غيره ، وييده القبض والبسط ، واحد فى ملكه لا شريك له :  
حسن واشفق اعلى اعبادك ياسيدنا \*

اولا اتخيب شئ ياسيدنا من جهلك

لا تزعج ابلعقوبا اعلى الى اعصاوك ياسيدنا \*

اوهمما ابلحبيب يرجاوا رحمتك

كل ما خلقت ياربى كلو فى احكامك ياسيدنا \*

كلها اوما بينت لو منك

والى امريض امعلال ادواء بك ياسيدنا \*

اولا ايداويه يا سيدى من غيرك

يا باسط لنعام ابسط اعبادك ياسيدنا \*

ابخيرك يا سيدى ونعمك

القبض والبسط كلو منك ياسيدنا \*

فيه القت يا مولاي عبدك

لا شريك امعاك اولاً مشرورك ياسيدنا \*

واحد احد فى ملكك

ومن طريق التوسل الى الله لون جماعى يشترك فى انشاءه اكثر من شاعر يطلق عليه « التويزة » او «الراحة والشفاء» (I) ، وهو عبارة مسجلة يقصد منها الى طلب شفاء صديق مريض ، او انتقام من طاغية ، يتطرح فيها الشعراء عروبيات أو اقساما تكون فى مجموعها قصيدة (2) ومن اروعها تويزة مراكشية شارك فيها الاشياخ محمد بن لكبير ومحمد بن عمر ومحمد بن بوسنة متوسلين الى الله ان يشفى صديقا لهم مصابا بداء الضيقة النفسية ، بدأها ابن الكبير داعيا الشعراء الى طلب الرحمة والشفاء لهذا الصديق ومتوسلا الى الله ان يدركه بلطفه الخفى :

أسادنى اقوامس العلم الموهوب \* يامن لكريم هبكم افضل وافى  
عنكم اسلام فايق المسك افلجويوب \* يعبق عن جمعكم ياهل لقوافى  
وبعد مرو اقصدكم وجا مزعوب \* امريض النفس طالب الله ايعافى  
طلبوا له الرحمة العالم لغيوب \* اسميع امجيب ابلخطا ليس ايحافى  
هو يعفو اعليه من هذا المكروب \* يشفى ضررو افحين بدواه الصافى  
وادرك هاذ لمريض باللطف الخافى

(I) فى مراكش يطلقون على هذا اللون «التويزة» وفى فاس يطلقون عليه «الشفاء والراحة» . ومعنى التويزة الحصيلة ، وهو اسم شائع عند الفلاحين . وذكر لنا الشيخ ابن عمر المراكشى فى نشأة التويزة عند شعراء الملحون قصة اسطورية تقول ان ملكا كان له كنز لا يفتحه الا ايام المجاعة . وفى يوم من هذه الايام أراد ان يفتحه فلم يستطع فاستدعى العلماء فعجزوا فهدهم بالقتل . وكان احد هؤلاء العلماء متصلا ببعض اشياخ الزجل فحدثه عن الموضوع فقال له الشيخ : «انتم علماء الاوراق ونحن علماء الاذواق» واخبر العالم السلطان فاستدعى هذه الطبقة من حملة علم الاذواق - وهم الشعراء - فاخذ كل منهم ينشئ وينشد الى ان تيسر فتح الكنز .

(2) ذكر لنا اكثر من شيخ ان التويزة تقال قصيدة فى فاس وعروبيات فى مراكش .

فأجابه محمد بن عمر :

واعليك السلام يا نعم المدوب \* اسلام الا يزول من عند اولافى  
 ساعدنا جل قولك والمخطوب \* افشان هذا الرجول من ضرو. خافى  
 له اسمال اعلاج ضرو دون اسبوب \* يضمحى سالى اسليم هانى متعافى  
 ما بين اهلو ولامتو فارح مطروب \* قوب الراحا اكساه ليس بالوافى  
 انزلت بالمسقم ما بقى مشغوب \* شفاه الله امن الضيقا متشافى  
 حفظو من لاينام وانسى كل انكوب \* واهضى ضرو وعاد بدنو صافى  
 له اسمال لكريم وكفى منصوب \* فدعايا كنقول يا نعم الكافى  
 ادرك هاذ لمريض باللفظ الخافى

ثم رد عليهما ابن بوسته متجاوبا منهما فى التوسل :

اتى مسطوركم يا لامت لنجاب \* والشرح صدرى امنين ريتو بهدافى  
 افشان هذا الرجول بالضيقا موصوب \* بالراحا بشروه ضرو متنافى  
 وفاه الله بعلاج ارمى لنحوب \* نجاه الله سار جرمو مترافى  
 المهمم ابجاء لحبيب المحبوب \* طسه عين لوجود نعم المقتفى  
 اللهم ابجاء ما ضمت لكتوب \* وابجاء الساجدين فى كل افئافى  
 اسمالتك بك لك عجل بالمطلوب \* يامن ترى وليس ترى كشوافى  
 ادرك هاد لمريض باللفظ الخافى

كذلك توسل الشاعر الشعبى للرسول على حد ما نجد عند ابن الوليد  
 الذى يتوسل اليه بحرف القاف من القدرة ، وبحرف العين من اعز اصحابه  
 العشرة ، وبحرف الفاء من فضل فاطمة وبحرف اللام من الملائكة المقربين :  
 ادخيل لك ابقاف القدرا \* اعين عز اصحابك عشرا \* افا فضل فاطم الزهرا  
 الام لملك لقربا عند مولاك

ويقف عند بابه يشكو متوسلا الى حماه ليعتق روحه من ايدى اعدائه :

هواها الخشن والشيطان اللعين :

واقف عند بابك شاكى  
 زكت يا محمد فحماك  
 فادى روحى بفداك  
 امن ايدين اعداها

نفسها واهواها لخشين

والشيطان اللعين

ومثله توسل الطالب لحسن الذى يقول فى حربته راجيا من الرسول

أن ينجيه من حر النار :

فكنا من صهد النيران \* يالعدنان \* يا رسول الدنيا والدين

ويطلب منه الا يفرط فيه يوم اللقاء الكبير ، فهو صاحب الفضل

والبر والشفقة ، وان ينجيه كما نجا الفارقين مثله فى الذنوب :

يا رسول العاهد لوثق \* لا اتفرط يوم الملقى

يا فصيح اقوال التصديق \* والفضل والبر اشفقا

يا مسلك من كان اغريق \* فالذنوب امثلي وابقى

ويتوسل اليه بعمر وعثمان والحسن والحسين والصدى وعلى وبقيّة

الصحابة الاركان واهل القرآن ، وبحمزة وفضلاء عقىل وبحرمة الكتاب

وصحف العلم ، يتوسل اليه بكل هؤلاء أن يفكه والمسلمين فى ساعة

الحساب :

ادخيل لك بعمر وعثمان \* بالعدنان \* والحسن واكداك الحسين

والصدى اجملت لركان \* يالعدنان \* ابعلى وهل اللبين

ادخيل لك اجملت لصحاب \* يالعدنان \* ابحمنا وفضايل عقىل

ادخيل لك ابهرمت لكتاب \* يالعدنان \* والصحوف اعلم ادليل

اتفكنا فى سباعت لعقاب \* يالعدنان \* ياشريف النسب انفضيل

ويتوسل محمد بن الحسين العلوى الى أصحاب الرسول العشرة

الشرفاء المنورين الذين سبقوا الى تصديقه :

زكت فحما نعم العشرا اخيار لصحاب \*

اصحاب محمد من لا كيفهم محبوب

زكت افحرم لصحاب نعم الاكرمين \*

من بهم طابت لمكارم فلجسنا

هما الشرفا لمكارما فالعالمين \*

هما الى نورهم لكمل اقتبسنا

هما الى صدقوا ابلحليم الامين \*  
مهما نور عل لفلان ارضا واسنا

فيما جابه صدقوا نور اشمسنا

ويتوسل الحاج ادريس لحشش الى أبناء الرسول أصحاب الجود  
والفضل ان ينظروا الى حاله حتى يظفر بأمله ويسلو وتهنا روحه ويزول  
عنها الشقاء ، فقد جاء يسعى حماهم ، وهم اهل الوفاء والرحمة ، ونجوم  
الدنيا الزاهرة ، عساه يقبل وينال الرضى ويذهى بالبشر حاله ، فقاصدهم  
لا يخيب ، وقد صال عليه الزمان فاتاهم شاكيا تسيل دموعه :

أسادتى اولاد طه \* شوفوا من حالى

جمعوا داتى امح ادواها \* نظفر بمالى

واتريح الروح امن اشقاها \* وانولى سالى

أسادتى اولاد طه \* بغى نبرا من لعلال

شوفوا حالى افغير حال \* ورفعوا عارى اوصارخونى تهنا روحى الحايرا

أسادتى اولاد طه \* لحماكم جيت يافضال

قبلونى بالرضا انال \* يادار الجود ولوفا وانجوم الدنيا الزاهرا

أسادتى اولاد طه \* قاصدكم ما يرا انكال

لين لميعر ولغزال \* اهرب لمقام جدكم يا اهل الرحما الناشرا

أسادتى اولاد طه \* عنى هذا الزمان صال

والدمع من لعيون سال \* قبلوا من جا لبابكم شاكى يزها ابلمبشرا

فليس له من دواء غيرهم ، فى رضاهم عنه ربحه وغناه وراسماله ،

وهو يرجو ان يقبل عبدا فى حماهم للخدمة ، فهم آل النبی الاصفياء الاوفياء

المطهرون ، أعطاهم الله من اسراره الباهرة ، وهم ابنا فاطمة القرشينة

الشريفة الكريمة درة الجمال الحسنة الافعال ، الشبيهة بحور الجنان :

شيدونى ابلا دواكم يا اهل لمعالى

ربحى واغناى فى ارضاكم هو رسمالى

قبلونى عبد فى احماكم نخدم مدالى

انتم اهل الصفا ولوفا وانتم اهل النبی الآل

طهركم حق ذو الجلال  
واعظاكم كامل لعطيا حسن اسرارو الباهرا  
انتم اولاد الشريف القرشيا درت لجمال  
لكريما زنت لفعال  
مولاتي فاطما البتول الحريا القاصرا  
والى اولاد فاطمة كذلك يتوسل الغرابلى فى قصيدته التى يقول فى  
خربتها :

طلبكم ضيف الله سرخنا ياهل احسان \*  
من يقصدكم حاشا ايخيب ياهل انبيت العدنانى  
لشراف الحسين

وفيها يقول متوسلا اليهم بجدهم ونورهم السننى وشانهم العظيم  
وطيبهم العطر أن يفكوا اسره ويغنوه ويجبروا كسره ويزيلوا ظلمته ويضيئوا  
نجمه ، تفتتح له أبواب الخير ويربح ويسعد فى آخرته ودنياه ، وطالما ان  
خلفهم مستر ، فهم رحمة للعصاة والمتقين ، وكل من لجأ الى حرمهم لا يخاف ،  
وهم يشفعون فى محبهم فيدخل الجنة :

نبغى اسراح يسرى \* وغنا فقوى \* اوطب كشرى  
نسعد وانفوز ابلمزيا حين اعطفو اسياذا  
هل ثوبا ضمانى لشراف الحسين  
وابحق جدهم نسألهم الماجدين  
وابحق نورهم الوسن \* وابحق شانهم الفاخم \* وابحق طيبهم الناسم  
نبغى انلوح ظلمى \* يضموى نجمى \* ابتور يسمى  
وابواب الخير تفتتح افربح الدنيا او لآخرا نسألهم يعطانى  
نسعد فالدارين

يا ولاد الزعرا الطاهرا الشرفا نخبة عدنان  
ما داموا فالدنيا انجالهم تقات وعصيانى  
بهم مرحومين

كيف انخافوا واحنا افحرمهم يالمت لخوان

ايشفعوا قائلين جبههم ويدخل الجننا عاني

يغتم حور العين

ومثل هذا التوسل بأولاد فاطمة الزهراء نجده عند الفلوس اذ يقول :

يا ولادة المختار الياسمين الوصال \* لا تدوزوني يوم البعث ولهمولى  
توركم اكسبا الدنيا يا هل لكرايم \* يا ترى فيها كم يتجمعوا انيامسى  
ودكم ايفضامو نسم لغنى الدائم \* اهل الخلد احتياكم اوجاهكم سنامى  
اذا اعطفتو عنى رضى ايعود ناعم \* من اسقيتوه ما يبقى اكليل ضامى  
اذا ارغبتو على ارضى اجميع نهوال \* ما يذيب امن افضامكم يا هل لعالى  
اذا اعطفتو عنى قديم ايربح والبال \* كان وصل ارضاكم على ارضى العالى

...

يا هل النور السانى جيتكم مكيود \* سر حرا سجنى بالشراف امن اكيادى (I)  
يا هل النور السانى جيتكم عطرود \* دنكم ما عندى من ذا الغلال فادى  
يا هل النور السانى جيتكم موكود \* عاملوني يا آل المصطفى الهادى  
يا هل النور السانى جيتكم موصال \* صرخوني يكمل قصدى امع اسوالى

#### مدح الاشراف والاوتياء :

واذا كان الشاعر الشعبي يتوسل بأبناء الرسول فهو يمدحهم  
كذلك ، فابن الوليد يطلب من المنشد ان يفخر بفاطمة بنت رسول الله  
عروس يوم القيامة ، الصائلة بجمال الشرف على سائر بنات آدم ، ويطلب  
منه ان يمدحها ويتغنى بمدحها حتى يفوز بنظرة فى جمالها ويفرح :  
صول يا غانى وافخر ابلا فاطما الزهرا بنت ارسول الله اعريس يوم القياما  
الصايلا ابزين الشرف اعلى ابناات آدم

...

وامدح للا فاطم بنت الرسول \* غنى بالمدح وامدح حتى بالمدح

تربح نظرا فزيتها وافراح

...

---

(I) مكيود : مقيد ، والاكياد القيود . (2) سائل .

امدح يامدح أقول أزيد قول \* عسى ان شا الله اتحوز نظرا

افزينها واتفوز كنز امعظم افلكنوز

ولكنه لا ينسى شرف المقام فينبه مخاطبه ويطلب منه أن يتعظ  
وبتادب ويتأمل ويمتثل ويطلب الامان ، ويهدى كلامه الجميل الى أم الجمال  
حتى يهدأ من الفتنة ويحوز الهناء وينال الغنى ويفوز بنظرتها في المنام :  
اتعظ واتادب واتأمل يارجول

وامتائل واطلب لمان

واهدى كلامك الحسن

لم الحسن

وارتاح من الفتنة

واطلب لهناء

اتنال لغنا

واتفوز ابعد لحلاما

ويذهب شقور في مدحه للاشراف حفدة الرسول الى أنهم معروفون  
في كل مكان ، لا يخفى سرهم ، من احبهم عظم وشرف وغدا سيفا مصقولا  
لا يقل ، ومن ابغضهم صار حزيننا ذليلا مهموما :  
اولادك في اجبال ووطا سناورا بالتعريف \*

شوقوا بالناس سرهم عمرو ما يخفوا

الى ايحبهم صار امعظم اشريف \*

سيفو مطحون عمرو ما يخفوا

والى يبغضهم صار احزين احصيف \*

كيف المغبون الى يرقب لحفا

وفي نطاق مدح الشرفاء حفدة الرسول والتوسل اليهم ، مدح

الشاعر الشعبي مشاهير الاولياء والصالحين وتوسل اليهم (I)

---

(I) لا يخفى ان للدين رايًا في تقديس الاولياء والتوسل بهم او اليهم ،  
لا نعرض له ، فهو بعيد عن موضوع البحث . وكانت قد قامت في المغرب



وكان المولى ادريس (I) اوفرهم نصيبا ، ويطلق على قصائد مديحه «الادريسيات» ومنها قصيدة للعلمي يصفه فيها بأنه هلال أهل الرأفة والوفاء والاحسان ، اذا رأف به لال لا شك ما فى طئه ، وهو الاعير الذي لا يعجز عن تنفيذ الاحكام ، يامر ان عطف فينفذ امره :

هلال لال الرأف والوفاء والاحسان \* الى اقروف ابلا شك انال ما فظنى  
بالخير الا يعجز لى انفسه لبحكام \* ايلا اعطفت امر يعمل شرط كازم  
شاهد بجوده أقدم الكرماء أمثال عدى وزيد وتاجهم حاتم ، كما تشهد  
الانس والجن والوحوش الهائمة والبر والبحر وسائر العوالم :

لك تشهد بالبحر والسماحين تقدم \*

امثيل عسى او زيد وتاجهم حاتم

الانس والجن ايتمهوا وانوحوش لحوام \*

ولبحر وبرين وسائر لعوالم

من العشرينات الى الثلاثينات من القرن الحالى حركة سلفية متأثرة بالوهابية ودعوة الافغانى ومحمد عبده الاصلاحية ، قادها الشيخ ابو شعيب الدكالى ، حاربت تيار الطرق والاضرحه والزوايا ، وبحثنا فى شعور المعاصرين الشعبى علنا نجد انعكاسا لهذه الحركة فلم نجد شيئا حتى قابلنا شيخ مكناس السيد بنعيسى الدراز فذكر لنا انه كان مرة عائدا من زيارة ضريح المولى ادريس فقابله احد اشياخ مكناس كذلك ، يسمى مولاي احمد الدلال ، وعلم بامر الزيارة فخاطبه بعروبي فيه روح سلقى لم يبق منه فى علم الشيخ الدراز غير هذا المشطر :

اجى نوصيك يالى زاير لقب

فاجابه الدراز فى روح معاكس بعروبي لم تحفظ ذاكرته منه غير قوله:

غرك يبليس يالى غت ابلنبيب

عنهم لا خوف لا حزن قول العالى

...

هادوك هل ليمان والتقوا والحب

حب المولى اوجب حاتم لوسالى

وواضح انه يردد فى هذا العروبي الاية التى كان يتمسك بها الطرقيون وهى قوله تعالى «الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون» (I) وفد المولى ادريس الى المغرب فارا من وقعة فسخ سنة 169 هـ ، وبايعه المغاربة سنة 172 هـ ومات مسموما سنة 177 هـ ، ودفن بزرهون ، وخلفه ابنه ادريس بن ادريس المتوفى سنة 217 هـ والمدفون بمدينة فاس ، وكلاهما كان موضوع «الادريسيات» .

هو مقام الخير وكهف الاحسان والجود ، وهو القطب والسلطان  
المرفوع الاعلام ، وهو القرشي الهاشمي المرشود الوارث للفضل والحلم ،  
وهو سنده المساكين والغرباء والمفقودين ، يلوذ به الفقراء والاغنياء واهل  
المدن والقرى وساكنو الخيام والاقطار المجهولة ، يتوسلون به وينادونه  
فتصيبهم جميعا رحمة الله :

يا مقام الخير وكهف احسان والجود \* يا لقطب السلطان الراقب ابنودو  
يا احسن القرشي الهاشمي المرشود \* يا الوارث للفضل والحلم من اجدودو  
اسنيد لمساكن والغرباء اوكل مفقود \* او غانين وفقرا بك كيلودو  
او اهل لمدون وقرىات وساكنين لخيام \* وهل لقطار الا نعرف لهم اسم  
كافا ترغب واتنادى بفصيح لكلام \* او كافا ترحام ابفضل لغني الراحم  
ويتوسل اليه بحرا فاض ماؤه على الثرى \* ويرجوه ألا يترك روضه  
يابسا وان يعطف عطفا تشفى من الادواء ، شبيهة بعطف الناقة على بكرها  
بين العيس ، ويتوسل اليه ذا منزلة عالية لا تخفض ، ونورا يسطع ضياءه  
كالشمس ، جاءه ولهان مستهيام القلب مفتاظا متعب الفكر مهموم القلب يرجو  
ان يجود عليه بالعلاج :

يا من بحرو اعلى الثرى دايم فياض \* لا تترك روض غلتي ظمان ايبيس  
اعطف عطفا اخننرا تشفى لمراض \* عطفت ناقا اعلى ابكرها بين العيس  
ياماسك امنزلا اعلامها ما يخفاض \* ياهن نورو انبا اعليك اضياها اشميمس  
اعزم لي البلعاج يا مولاي ادريس

فالذي لا يسقى غرس روضه من مائه لن يفوز بزهن جميل ، والذي  
لم يغتن أو يربح فى حماء فان جيبه يبقى خاويا ويظل مفلسا على الدوام ،  
والذى لم يعالج داءه بدوائه يظل متألما من مرضه :

من لا يسقى ارياض غرسو من ماكم \* ما يدرك ماينال بهجت زهر انفيس  
من لا غنا وفاز واربح فجمماكم \* يبقى جيتوا على الدوام اصفر مفليس  
من لا يبر استقام ذاتو بدواكم \* لازل ابضر علتى معثور احسميس  
ويرى الطالب لحسن ان ببركة المفضل مولاي ادريس شاع ذكر خير

مدينة فاس بين مدن المغرب :

امدينت فاس خيرها يتذكر بين المدن افغربنا

ابركت الفضل مولاي ادريس

ماس رمحه فظهر العز والفرح ، حيث جنب الناس الفتنة ، وملا  
صدورهم بالعلم وأبعد عنهم الوسواس :

ها رمحه ماس \* هن العز فرحا عنهم جنب لفتان

لحمر الصدور ابعلم التدريس \* ذهب الوسواس

أما الغرابلي فيرى له مجدا قديما متاصلا يصونه كرم الجدود ، يكفيه  
النسب الطاهر الذي يقربه من الرسول :

لك المجد اقديم صائناه اكرام لجداد \* بالعرفان أغايت الرضا ماهي مجودا

دريا تاصلا (I) ضيلها ما يحتاج اشهود

تكفيك النسب الطاهرا وقريب الميعاد \* من معدن الجود ولحظا نسب محمودا

ما بينك أبين الزكي غير ادى لجسود

ذاعت علومه في كل مكان متقنة يرونها كل الناس ، غزيرة لا تدرك الا

بجهاد :

واعلومك تائي اصقوعها في غايت لبعاد \* متقونا يروى انساجها عمراوازيودا

مغزورا تغزير ساجيا مدروكا بجهود

وكالادريسيات «الجيلاليات» وهي القصائد التي قيلت في المولى عبدالقادر

الجيلالي (2) على حد ما نجد عند العلمي حيث يصفه بأنه بدر لحد للمعان

شعاعه ، ينهج بذكره الشباب والكهول والشيب في أركان الدنيا الاربعة

من عجم وعرب وانس وجن :

بدر الا ينتهي امن اشعاعوا لمعان \* الشريف الكامل الشريف الكيلاني

ياسميدى بك ايلغطو هل ربع اركان \* اشباب اشبابا وكهل وشيباني

...

---

1 - الطاصلة : الاصل ، وقد ترقق الطاء .

2 - الجيلاني (ويغلب نطقها باللام) او الكيلاني او الجيل ، ولد في  
جيلان سنة 471 هـ وتوفي ببغداد سنة 561 هـ ، واليه تنسب الطريقة القادرية ،  
ولها عدة زوايا في المغرب .

مُداين والتقرى والعجم والعربان \* اتعيط كافا باسم الجيلانى  
كيف ابتدئ الانسى بك اينادى الجان \* سبجان الواحد لوحيد الوجدانى  
منحه الله من سره وقوته ، وولاه ملكا على كل السلاطين ، يرفع من  
أراد له الله العلو والرفعة فيصعد به الى أعلى الدرجات ويحط من شاء اهانته  
وتحطيمه فينزل به الى أسفل مقام :

ولك الحق عن اسلاطين كل اوطان \* تتبختر فى امجاسن الملك الهانى  
ترفع من راد به خير لعلو امكان \* يصعد فالحين للمقام الفوقانى  
واتنزل امن ايقاه يسلب ويهان \* يحط اسريع للخصييض السفلى  
ويمثل للمهانين بالسودانى الذى استولى عليه الكبر ورفض طاعة  
الشيخ وقال غاضبا الا طاعة الا لله الذى ولاء ، فكان ان سلب كل شىء  
وغدا حزينا وخرج من عالم النور الى عالم الظلام ، وتبدلت حلاوة غسل  
القبول الى مرارة الهجر :

كل افحل مد ارقبتو طايح رضيان \* اسوى ما كان امن احديث السودانى  
اضمت نفسو وقال بكلام الغضبان \* ما نعرف حد دون ربا ولانى  
ثم فالحين شاهد السلب والحزان \* راح امن الضو للمقام الظلمانى  
بدل غسل لقبول بمرار الهجران \* معلوم الكبر امن اسباب الحرمانى  
وعند العلمى ان تعظيم الاولياء جزء من الايمان ، يسلو لذكرهم خاطره  
وبفرح مزاجه ويلين قلبه ، ويتهدل من البشر وتذهب أحزانه :

تعظيم الاوليا امن او ظايف ايمان \* ونا تعظيمكم هو سلوانى  
عند ذكركم نوجد قلبى فرحان \* كنى منكم من كشرت مازهانى  
قلبى القاسى اىلا اتفاكدكم يلىان \* تتهدل ايشارتى ويذهب شيطانى  
حبه لهم قوة لساعده وحجاب يستره من عيون الحساد :

دوت اشكال حبكم لعضودى عوان \* احجاب اعلى اعين لحسود اخفانى  
وهو عبد له يخدمه عساه يوفيه بعض جميله عليه وعساه وجود عليه  
برؤية بدر وجهه فى المنام ، مثله حين يراه كمثل المرتعش من البرد ينظر  
الى قرص الشمس فيشفيه الله من داء البرد :  
عبد انخدمو انكون له من الخدمان \* اولاً نستوفى البعض من شايين افانى

من فرقة الحب شقت للرؤيا عزمان \* ابلاها شفت نور وحبك يكفاني  
كيف اللي شاف دارت الشمس البردان \* من ضمور البرد قال الكريم اشفاني  
وكيف وفضله أعظم من ان يحصى أو يحصر ، فلو اجتمع الانس  
والجن والحيوان ومخلوقات ما وراء الكون ، ولو اجتمعت دواب الارض  
وطيورها وهوام اليم وحيتانه ، لو اجتمع كل هؤلاء ومثلهم آلاف آلاف  
الاضعاف ليشربوا من بحره لظل بحره ملآن فائضا :

لو اجتمع آدمي أو جن أو حيوان \* أو عاشق أو الشهد الموراني  
وادواب الارض وطيور امع الجردان \* أو ما فاليم من هموم وحيثاني  
يرواوا اجمع والبحر يبقى مليان \* وامثلهم ضعف ألف ضعفاني  
لذلك فهو يتوسل اليه بجاه الرسول عليه السلام والصحابة وكبار  
التابعين ومشاهير الاولياء والعلماء في كل مكان ، وبجاه الملائكة والانبياء  
والاماكن المقدسة والكتب المنزلة أن يعالج سقم ذاته ويحميه ويرعاه .  
وهو يستعرض أسماء المتوسل بهم على هذا النحو :

الجيلالي حرمت جدك بوله دسان \* الهاشمي لهما ذا النور المساني  
وابن ابي طالب الفضل روح الشجعان \* كوكب لمجاهدين رشدي وماني  
وبابكر الزكي عمر وعثمان \* نرجا يوم اللقا ا يكونوا رفقاني  
واجمع الانبياء امن ازمان الطوفان \* لزمان المجتبي اشفي العصيان  
وابحق املايك تعظيم المستعان \* واسددت المنتهى وعرش الرحمان  
حرمت طيبا امن شحرت بها مسكان \* من ليم ارجال ابلا اضماني  
وابحق العلم وخديت المضماني \* والايما اوكل من لهم ياني  
بسلافك ولحفاد والاهل والجيران \* داوي ذاتي او لود بيا وارعاني  
وبمثل هذا الروح يتوسل اليه في قصيدة أخرى يقول في حربتها:  
لاخلاك أليت البيوت أهولاي عبد القادر \* صارخني ماتخاف أولد رسول الله  
وقريب من هذا نجده عند الطالب لحسن الذي يقول في حربة  
قصيدته الجيلية :

غثنى يا مولى بغداد \* ادخيل لجواد \* بك شجنى محسوب اعليك بك عانى  
ويقول فى رجال مراکش السبعة :

ليغائا يالفضالى \* ياناس البهجا لبذور سبعة رجال

ويقول الفقيه العميرى فى سيدى عبد السلام بن امشيش (I) راجيا  
منه الرأفة والعون ومشبها اياه بالبدر الذى لا يتوارى ضوءه على طول السنين  
وقد حجب أنوار كل الكواكب :

انا يا بن امشيش غارا بالرأفا كن لى اعوين

يا بدر انبا اولا اتوارى يضى ما طالت السنين

يخفى لالهال ولنارا والسيرى الباقين

ويشبهه الحاج ادريس لحنش بالهلال الذى أشرق نوره فى المدن  
والبوادي :

اتمجد لالهال الذى اشرق اضياه \* بين لمدون ولديا

امام الوسيلا ضيف الله \* ابن امشيش غير اعليا

ويقف لحنش بباب حمى الجزولى (2) بحر الكمال وكريم النسب  
المقرب من الرسول عليه السلام ، يرجوه أن يعطف عليه ويكرمه بشراب  
ويعطيه من فضله ما يطلب :

عطفا اويا الجزولى \* مولاي ابن اسليمان بحر لكمال

عطفا اويامام الغربا \* العبد جالعندك يشرب

كره و فحماك ابشرى \* واعطه ابلفضل ما يطلب

لنك يا شريف النسبا \* من سيد لوجود امقرب

ويتوسل معمد بن المختار الشرايى الى الله بالتباع صاحب الخير  
العظيم والسعد الطالع والقدر الرفيع لكى يكمل قصده ويبلغ مناه ، ويرجوه  
أن يسقيه من سر بحره الفاض الذى فاقت حلاوته الشهد حتى يفوز كما  
فاز أتباعه وقد هداهم الله بسره :

I — هو شيخ أبى الحسن الشاذلى ، قتل سنة 625 هـ اصحاب المشعوذ  
أبى الطواجين الكتامى بجبل انعلم فدفن هناك .

2 — محمد الجزولى صاحب «دلائل الخيرات» توفى سنة 870 هـ .

رسول الكيمياء \* لله غير اعلى  
اطلب ربي في \* يكمل ليا قصدي  
بن اتوسلت لله \* وابجاء رسول الله  
ندرك ما نتمناه \* أطالع السعدى  
الله ارفع قدرك \* اسقنا من سرك  
يا فايض بحرك \* احلى من الشهيد  
يا سيد الثباع \* ربح منك لشباع  
لاين سرك نفاع \* بك المولى يهـ

ويصف الطالب لحسن عبد الرحمن المجذوب بأنه طب كسره وصاحب

الاقوات :

فى حق الله طب كسرى \* سيدي عبد الرحمان المجذوب لوقات  
وقد جاءه قاصدا متلهفا مطرودا من شدة الشقاء والتعب عنده يقك  
أسره ويبشره بزيارة لمقام الرسول عليه السلام ، فقد اشتاق له :  
غارا لله جيت قاصد لك لهفان \* مطرود ابلا طراد من شد التمهان  
يا بو لوقات سيدنا عبد الرحمن

تبشر حالي اوغك حصرى \* شايق لمقام من اعليه اوحى لايات  
فشمير رمضان بعد لئسرى \* واحكم حكم لمبين فجميع الاشيات  
وللفقيه العميرى نوسل الى بو عسريه (I) يقول فى حربته راجيا منه  
أن يجود عليه :

ضيف ربي غارا جود يا سيدي قاسم \* لمختنر هيا حمر لكرورن يا بو عسريا  
والرغبة التى يتوسل اليه فى تحقيقها أن يكون له خلف وعقب فى

---

(I) لعلة أبو القاسم بن احمد بن الرشيد السفيناني المتوفى سنة سبع  
وسبعين وألف والمدفون على ضفة وادى ارضم حيث له قبة كبيرة . ترجمه  
الافرانى فى الصفوة (ص 157 - 158 - 159) قال : «وأصحابه يلقبونه بأبى  
عسريه لانه كان يعمل بشماله أكثر ، كان رحمه الله من المولمين فى ذات  
الحق سبحانه ومن أهل الاحوال الصادقة والشطحات الربانية . وكان فى  
ابتداء أمره معدودا من شجعان قبيلته ، ومن أهل الفروسية الثامة فيهم » .  
ترجمه كذلك صاحب «ممتع الاسماع» ص : 134 .

حياته ، وأمله في ذلك كبير طالما أن برشان الشيخ قاطع ظهرت آثاره في كل مكان يقضى حاجة كل من قصده وبغنيه .

عنى واسرخنى آيا الشيخ أوكون امجازم

ابغيت تولاد فالدينيا انشوفهم ابغينيا

ابغيت تنعزم امعابا أوكون فالدينيا ناجم

الوالى برعمانك بان افلمحضر البديا

كايجوك من لقباييل اوسوس اوعرب تتلايم

كلها تقضى حاجتها اوكيف من جا بالنيا

اشحال من واحد نغنى اوسار فى حالو قادم

هكذاك أنايا يا شميخ واتكمل ليا

وقد يمدح الشعاع كل الاشراف أو جماعة منهم دون تحديد للأسماء ،

على حد ما فعل المدينى التركمانى واصفا اياهم بأسياده الابرار أصحاب

العز والنصر ، ومشبها اياهم بالاسود الذين لا يهابون الجائرين ، ومتوسلا

اليهم ألا يتركوه معذبا بين الثلج والجمر ، وهو عبد الدار :

واسيادى لبرار كلهم اقساور

مايهمهم الجايــــــــــــر

عيب عل لاسود هل العز والنصر

تبقي بين الثلج والجمر

ونسا عبيد السدار

ومثل هذا نجد عند المدينى فى قصيدته التى لا شك يمدح بها

الاشراف العلويين ملوك الدولة ، يقول فى حريتها متوسلا الى المولى ادريس

والمولى على الشريف جد الاسرة العلوية :

غاراً مولاي ادريس بن ادريس امفتاح الغرب والشريف الفيلاى

سيادى مولاي اعلى الشريف الينبوعو خصال

وفيهما يصفهم بأنهم المسك والورد والورد والتدا والعبير ، وأنهم طيب

الغرس ورثوا العرش عن الرسول عليه السلام ، وأطيب سائر المخلوقات

وأنهم الاصل ، ومن سواهم الفرع ، وأنهم الملوك الصائلون على الدوام ،



وأنهم الفتح المبين فى قلوب العارفين الواصلين ، من لم يصل بهم تاه فى  
الظلمات ، وأنهم مفاتيح كل المغلقات وعلوم الاولين والآخرين ، بهم يفتح  
العباد أقفال أبواب الله :

هما المسك افطيمو أوعود (I) والورد امع النداء عبيد فوطا واجبالى  
والجنا فاح انسيم طيمها من طيببت لفضال  
هما طيب الغرس والعرش ميرات امن انسيم لحبيب راحت لنجالى  
هما طيب الثقلين جن وناس وانسا وارجال  
هما الاصل والخلق كلهم افروع من اوجودهم وجدى يبقسى لى  
هما لملوك اعلى الدوام بهم صايل من صال  
هما الفتح لمبين فى اقلوب العرفان الواصلين حضرت لوصالى  
من لا يوصل بهم تاه فالظلمة عن لوصال  
هما امفاتح لمغالىق الرقيقا واعلوم الملولين والختم التالى  
هما افبيان الله للعباد امفاتح لقفال

ومن قصائد مدح الاولياء والصالحين بعد هذا ما يطلق عليه «الجمهور»  
أو «جمهور الاولياء» وهى قصائد — كما يبدو من تسميتها — تستعرض  
مجموعة كبيرة من الاولياء ، ومن خير الامثلة عليها قصيدة العلمى يقول  
فى أولها :

يا من يشفى اضرار عبدو بعد السقم \* وايفرح من اقوات فالصدر احزانو  
وفيهما يستعرض أولياء المغرب على هذا النحو حيث يذكر بعض رجال  
مراكش كالقاضى عياض والامام السهيلى وابى العباس السبتي ويوسف  
ابن على والجزولى :

---

(I) المقصود به العود الهندى وهو نوع من البخور معروف بطيب عرفه  
حين يحرق ، وهو شائع الاستعمال فى البيوت المغربية حيث تصنع لاحراقه  
مباخر خاصة تكون فى الغالب من الفضة ، ويطلق عليه فى المغرب «العود  
نقمارى» .

قاضي عياض والسهيلى والسبتى \* ابو العباس غوثنا بسو لدروش (I)  
هو يطفى ابصرختو صهد الهفتى \* اكما يطفى الما الظاجوف العاطش  
يا يوسف بن اعلى انجيت ايلارفتى \* عيظت اعليك عيظت المرو الداهش  
الجزولى الشريف ستجب لدعوتى \* دعوت من اعلى العطف ييحث وايفاش

لاه الله يارجال حضرة مراكش

كذلك يستعرض العلمى فى هذه القصيدة بعض كبار المسلمين على  
نحو ذكره الحسن والحسين وحمزة والعباس وسعيد وسعد وطلحة والزبير  
وأبى عبيدة وأنس وابن عوف :

ياحسينين ياسياد اجميع الناس \* عند اذكر جاعكم يصغر كل اكبير  
ادخيل اعمامكم حمزا والعباس \* واسعيد وسعد ثم طلحا والزبير  
وابجاه أبا ابييد والسيد أناس \* حرمت بن عوف لا تركونى فى ضير  
سالوا من رافتو اعلى ساير الناس \* ساعد واشقى ومعتذر واغنى وافقير  
يعطينى كل ما اطلبت اكثير الخير

ومن هذا النوع من القصائد ما يطلق عليه «المرحول» ويقصد به الرحلة  
تتشد لزيارة بعض الصالحين على حد ما نجد عند الشيخ البرى السلوى الذى  
اعتاد أن يخرج لزيارة بعض الصالحين كل عام ، يزور وزان وصدحاء ثم  
تازروت ووليها سيدي يوسف ومنها الى جبل العلم حيث قبر سيدي عبد  
السلام بن امشيش ، ومن الجبل الى تطوان ليزور سيدي بركة ثم الى طنجة  
ووليها سيدي بوعراقيا ، ومنها للقصر الكبير لزيارة سيدي بوغانم ، ومنه  
الى لال ميمونا والشريف ابن منصور ، فالى مولاي ادريس الاكبر بزرهون  
وجاره سيدي محمد بلخير ثم الى سيدي بوغابة وسيدي غلال فى طريق  
عودته الى سلا :

فى كل عام نقصدهم أوفكل يوم بالحاجا مقضيا

طاحت اصبناها رقدوا احوال من طاح

...

---

(I) ابو الفقراء : اشارة الى مذهب السبتى القائم على أن « الوجود  
ينفعل بالوجود » .

أزرت وزان أشفت اركان السعيد واضراغم لحميا

أزرت سيدي يوسف في تارزوت مصباح

واطلعت للجبل لمكنى جبل لعلام بصناكر اعلى النيا

من ابن امشيش المولى عبد السلام نرتاح

أبعدها اخرجت التطاون قابط لفيافي والبريا

زرت سيدي بركاوالكسريم فتاح

.....

من الطانجا شايلاه ابشامخ لقدر بوغراقيا

اشكيت بالغربا واغرايبي وتكلاح

.....

من اللقصر ياصاحي خويا قلت وين الندلوسيا

وين بوغانم وين الساكنين لبطاح

وياك فالقصر تنغشم يا من لا اعرفت لو طويا

لقصر برجالو طول الدوام صلاح

منو الال ميمونا والخير ماخطا رجل ووليا(I)

اقرت معروف الله واختمت سورت افلاح

واخرجت كانسال اعلى الحد انا غشيم وطريقو ملويا

ماوصلنا حتى شفتنا امسايف اقباح

منو اللعنيا بن منصور الشريف وارجال الصوفيا

والبحارا ساداتي كلهم صلاح

والغوث ابن ادريس اكبير الخصال اخايلوعندي مرويا

احداه سيدي محمد بلخير امن السياح

.....

اصبح الصباح وارمات الشمس اعلى لبطاح واخطفنا سمرويا

زرت سيدي بوغابا باللسان لحلاح

واعلى الشجيع سيدي علال الشيخين عز المساويا

اعصارت المعبورا والفايسز واسلاح

---

(I) يطلق اسم « النوليا » على المرأة .

منو البورزيم أفتوا واثبتت لمسافات المثنيا

اعلى اوصالى اسلا ثم ابروا لجراح  
وقد لا تتاح للشاعر فرصة الزبارة فيكتفى برسول يبعثه ، وهذا ما نجد  
عند الحاج ادريس لجنش الذى بعث مرسوله يحمل رسالة الى الولي ابن  
المهيدي ، فى قصيدته التى يقول فى حريتها :  
الغادى للرباط هاك اسلامى لسيادى \* الى بن لمهيدي  
يبدأ الرحلة من فاس الى الرباط مستعرضا أسماء الاولياء الذين سيمر  
بهم فى طريقه :

أمرسولى هاك البرا (I) \* تدها لسيادنا لطار  
من فاس الحضرا الزاهرا \* لرباط الفتج ولسرار  
اطريقك سهل ظاهرا \* اسمع لى لبيان ولخبار  
زور الشيخ امع سيدى يعلى جارى \* والمتفنى به لاح بدرى  
باب المحروق فوتها واتوسل للبارى \* يكفيك الستار كل شمرى  
بوعبد النور ولفقيه الشيخ الجرادى \* سيدى مسموع طوب ضرى  
الشدادى ابوبكر اشموسى واقمارى \* اتأدب للباقيين واسرى  
وهكذا الى أن يصل الى سلا حيث ضريح سيدى ابن عاشر وابن حسون  
وسيدى موسى ثم الى الرباط حيث زاوية الشيخ ابن المهيدي ليسلم الخطاب  
الى مقدمها الذى سيتكفل بتسليمه للسادة الشرفاء :

هاغر اسلا اقريب بلسان الحال اينادى \* وايقول اهلا زيد عندى  
ثم تدخل اقواسها \* ناشط بنسيم لعشى اتميس  
زور العارف عز ناسها \* بن عاشر والدر النفيس  
بن حسون وتابع راسها \* سيدى موسى نور اشميس  
واقطع لمدينت الرباط هم اكدارك ناسى \* فتنام الحج افدوك نفسى  
وادخل للزاويا اسعد تدفع قرطاسى \* لمقدم صافحسو اورسى  
هو يعطى اكتابنا للسادات امجادى \* للى بهم حاج وجدى  
واقصد لضريح جدهم فمان لقصادى \* بن امييدي للصلاح يهدى

ويذكر بعض أولاد الشيخ ، من مات منهم ومن لا زال على قيد الحياة ،  
أمثال سيدي الحاج محمد وسيدي علال وسيدي عبد السلام والسيد الجيلالي  
والسيد المستل وسيدي الحاج بنعيسى :

بن لمهيدي به عزنا \* له السر الواضح المبين  
معظمها عند سلطانا \* مدامت ليام واسنين  
ولدو نال السر ولعفا \* ورث ذاك الجاه لمبين  
نعني سيدي الحاج محمد هو الثاني \* ثم الاول اسراج اعيناني  
سيدي علال له جاه اعظم رباني \* كان ابري والنبي امعاني  
لوسيدي عبد السلام امع سيدي الجيلاني \* سيد الستل بدوام حصني  
يارب نعم لجميع افجنت رضواني \* واللى باقى عنهم نعني  
لفحل سيد الحاج بنعيسى سرو سناني \* ادعى لى واكمل به ظني  
بن عمق شامخ لقد جملت لعاني \* اسدى بومهدى اشريف سنني  
.....

ايطلبوا لى الله عند اتمام لوراد \* يطلع بكمال اسرور سعدي

#### ملاحظة : العشق الالهي

وتبحث بعد هذا عن العشق الالهي في شعر الزجال المغربي ، فنفتقده  
أو نكاد ، وكان الشاعر الشعبي ابتعد أو تعمد أن يبتعد عن النظر الى ذات  
الله والتفزل فيها والتعبير عن حبه لها ، حتى في أبسط صور هذا الحب  
الخالية من التفكير والتأمل والفلسف ، وأغلب الظن أنه خشى الوقوع في  
التجسيم وتشبيه الله بخلقه . ولعلنا لن نستغرب ذلك من شاعر شعبي  
محدود الثقافة بسيط الايمان ، يلقى بشعره الى الجماهير تنشده وتتغنى به ،  
وهي بدورها لن تقبل على أى شيء لا يوافق مزاجها الساذج . ثم انه مهما  
ارتفع المستوى الفكرى للشاعر وجمهوره فانه يظل محصورا في نطاق  
الفكر العام ، ونعرف ان الفكر المغربى طوال فترات التاريخ - اذا استثنينا  
عهد الموحدين - كان يتمسك بحرفية النصوص ويبتعد عن التأويل ، بما  
لا يتيح المجال للنظر في ذات الله وصفاته وتعمقها وبالتالي للتفزل فيها  
والتعبير عن حبه . ومن هنا اتجه الشاعر الى الرسول عليه السلام يفجر كل  
طاقة حبه الروحي وعاطفته الدينية .

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن الشاعر المتصوف أبا الحسن الششتري ، وهو — كما سنرى — (I) أحد الذين نقلوا الزجل الاندلسي إلى المغرب ، كان ينظم قصائده وموشحاته وأزجاله في مذهبه متغنيا بحب الله ووحدة الوجود ، ولكن يبدو أن الناس الذين كانوا يستمعون إلى أزجاله في الاسواق وحلقات الذكر ، لم يكونوا يدركون في هذه الأزجال ما تصور من جوانب مذهبه التصوفي الفلسفي ، ولم تكن تأخذهم غير واقعيتها المتجلية في شخصه وهو يجول في الاسواق ينشد ويغنى ، وكذلك كان شعراء الشعب لا شك ، لا يفهمون مذهبه ، وربما كانوا سيقدمون فيه ويكفرونه لو فهموه .

ومع هذا فانا حين نتعدى نطاق هذه الطبقة من الزجالين الشعبيين إلى طبقة العارفين المتصوفين ، فانا لا نفتأ نعتز على بعض ألوان حب الله . ومن هنا لم نجزم في الحكم بعدم وجوده ، وقبلنا في بداية الملاحظة اننا «نفتقده أو نكاد» . وربما كان عبد الله الهبطي (2) أكثر من غيره تعبيراً عن هذا الحب ، يتجلى لنا ذلك في بعض قصائده ومقطوعاته كهاته التي يقول في أولها :

للرب شوقونى \* يا أيها الرجال

للحضر اوصلونى \* حتى ترى الجمال

وكقوله من قصيدة أخرى :

ربى دايم اعظيم حصار \* قد جهلت انعوتو

ايغيب عنى ما تقدر \* أو يحضر انموتو

حن لجمال عذبنى \* يا قوم العندو

قهر لجلال يقهرنى \* من قريبو البعدو

من لطفو للعين \* يختفى ويبعدو

وكقوله كذلك في «القصيدة النورانية من المسامرة الربانية» :

الحبيب فى ذى المبانى \* التى سوى وعدل

قد ظهر لى بالعيانى \* لا ترانى بعد نغفل

(I) فى الفصل الاول من باب « الاعلام »

(2) انظره فى الفصل الثانى من باب « الاعلام » .

ان تقول بعد التجلى \* ربما يسدل حجابو  
يظهر لك لكن يولى \* فى لحظا يضرب نقابو  
لا تامن عند التحلى \* أن يعرك من ثيابو

قد يقول قائل : وماذا عن القصائد التى خصصت للسلوك الصوفى  
ونصح المريدين ، أليست تعبر عن الحب الالاهى مهما كانت صور هذا الحب  
وصفاته ؟ حقا انا نشتم رائحة عشق ذات الالاد فى بعض هذه القصائد ، وان  
كان يبدو من هذه الرائحة خلط بين حب الله والرسول . ونستطيع أن نمثل  
لذلك بما ورد فى دالية ابن رمويه حيث يقول فى لغة تكاد تكون معربة :

هم فى الحب واتوله وفى القلب ردد الله  
ثم غب فى الله بالله كالجلى والجنيد  
طف ابكعب لوصال وافن ذاك لخيال  
وقف عند لخيال واشرب كاس التفريد  
فحجنا مشروط وموقوف ومنوط  
على البذل والسقوط وتمام الوعود  
حجت لهوا اغالست وبالنفس اشترست  
وعلى الصادق هانت بها نال المقصود  
اتجرد عن الحس وعن الحب للجنس  
واقصد حضرت القدس لب باسم المقصود  
اذكر ما دبت طالب وفى وصفو راغب  
حتى لا يبقى حاجب وتصل للمعهود

وحنى اذا كانت تشتم من مثل هذا النموذج رائحة تتصل بالحب الالاهى ،  
فلعله واضح أنها خالية من تناول ذات الله وصفاته وعلاقة السالك بربه وما  
قد يصل اليه المرید من مشاهدة او اتحاد ، وانها محصورة فى التنفير من  
الحب الجنسى والحث على الذكر .

وقد يقول آخر : وهذه الاشعار التى تنشده فى حلقات الذكر وخاصة  
منها قصائد الحراق ومقلوعاته ، أليست هى الاخرى تدور ولو من بعيد فى

فلك حب الله والتغزل في حضرته ؟ قد تكون ، ولكننا لعدم وضوح صورة هذا الحب  
نميل في غير قليل من الترجيح الى أن الحراق لا يقصد غير حب الرسول  
عليه السلام ، ولنستمع اليه يقول انه حين جن الليل وسطعت كواكبه لطف  
الله به ووافاه بالمرغوب اذ ظهر له حبيبته وظل يمتع النظر فيه ، فهو يهديه  
روحه لا يطالب بها أبدا ، وهو له عبد مكسوب اذا رضى به :

جن الليل اعليا \* حتى ظهروا كواكبوا

والطف ربي بيا \* وافى ليا المرغوب

بان احببى ليا \* ماذا لنا انراقوا

روحى ليه اهديا \* عمرى فيها مانظالموا

ويدا يرضى بيا \* آنا لو مكسوبا

وهو يرى أن كل من حملت النية في قلبه ظفر بالمحبوب :

واللى فيه النيا \* يظفر بالمحبوب

ويقول كذلك انه حين تم له الوصال واشرق نور بقاء حبيبته نسي كل  
شئ غاييس يذهب عقله غير هواه :

جاد اعنيا برضاه

لحبيب اللى حبيتوا \* زارنى وانعم لى ابلوصال

حين اشرق نور ابهاه

كل شئ بالقهر انسيتوا \* ياهلى عقلى اذا شفتوا زال

ما بى غير اهواه

ويذهب في موضع آخر الى أن ذكر الحبيب ذرا يشفى من داء الارهاام ،  
به يضىء الوجود ويجلى ظلام الحب :

ذكروا حقيقى للقلب ادوا \* يشفيه امن اسقاموا اوهاموا

به لوجود كلوا يضيوا \* من عشق ليهوا واظلاموا

وعنده ألا أسعد ممن عشق الحبيب وخلع في حبه العذار ودار في حلقة

الذكر ينشد الاشعار في مدحه وحوله القوم سكارى من هواه :

ياسعد امن اضحى يخلع فيه اعذاروا \* وايدور فى اسواح السدارا

ينشد افلحبيب اسجالوا واشعاروا \* والقوم امن احواه اسكارى



ويشجعنا على هذا الرأي ما شاع في قصائد الذكر عند غير الحراق من تمجيد للرسول صلوات الله عليه ، ومن أروعها قصيدة المغراوي التي يطلب فيها من مخاطبته ، لعلها حببته أو زوجه أو نفسه ، ان تزغرد فرحا وطربا بالمصطفى ، وأن لا تظل ساكنة ، وان تستوحى صوت زغردتها من وجده ، ويستغرب منها صامته كأن نعمته لم تهزها ، ويشبتها ويلج عليها في الطلب ان تزغرد بصوت عال على سيد الرجال والناس :

ازغرتي ليس ساكتا \* من وجدى صيغى اوصيتي  
مالك مبكوما أو صامتا \* ما هزك غيوان مايتي  
كوني زكموطا أو ثابتا \* واعلى سيد الرجال زغرتي  
واعلى سيد الناس زغرتي \* بالصوت العالى اقوام  
ويلج على ذلك أن يكون طول النهار ، ويطلب منها أن تشد حزامها وتكف عن المشي والحركة ، فقد حضر ضيف الحفل واشعل الشمع من العشي وفرشت الزرابي ورصت المخدات على اللحوف وأسدل الستائر على القباب ليبدأ الذكر والصلاة في هذا الجو ، جو الفرح بضيافة الرسول :

ازغرتي لا تمل شي \* بن اصالات الصبح ولعشا  
شد احزامك مابقى امشي \* ذا الفرجا ضيفها اغشا  
اشمعها يكدي من لعشي \* واقطوف ازرابي امفرشا  
واسخايد فوق اللحوف \* واخوامي زينا اعلى اسباط القبا سجا  
هل الحضرا اعظمو ويذكرو نعم الرؤوف \* ابلوا اعلى خير خلق الله المصطفى  
هذا عرس اضيافت النبي محمد زين لحروف \* صلى الله عليه والرضا لهلو والخلفا  
ما دام ادوام لغني ينظر حضرا فينا ايشوف

فالليلة ممتعة يجب السهر فيها وقد سب التسميم الطيب العطر ، وعين العاشق تنظر ، وكل من نظر الى الله ينصر :

ازغرتي لازم السهر \* ليلتنا ليلا امختنرا \* هب انسيم الطيب ولعطر  
واعيون العاشق نظرا \* اللي نظر الله ينتصر

الباب الثالث

الأعلام

## الفصل الاول

# مرحلة النشأة

## اسماء ونصوص قديمة

ليس من شك في أنه من الصعب تحديد نشأة شعر اداته لهجة عامية دارجة ، وليس من شك كذلك في أن تلك الصعوبة تزداد حين لا تتوفر النصوص الأولى لهذا الشعر ، مروية كانت أو مدونة ، لذا فانا نجد غير يسير علينا ان نحاول بحث اصل القصيدة الزجلية المغربية ونشأتها طالما أن الرواية الشفوية لا تمتد بعيدا عبر القرون ، وطالما أن المصادر المكتوبة لم تعن بتاريخ الآداب الشعبية وتسجيل نصوصها الا في القليل النادر .

وقد لجأنا الى هذا القليل النادر علنا نعثر فيه على ما يسعف في البحث ، كما لجأنا الى الشيوخ الرواة وتتبعنا معهم تسلسل محفوظاتهم حتى الخيوط الأولى منها عسانا نقف على مرويّات قديمة ، فتجمعت لنا من المصدرين مادة هزيلة ، ولكنها على هزالها القيت بشعاع من الضوء رقيق لا يساعد على غير تلمس السبيل في متاهات مظلمة لسرى قد يحمد عند الصباح وقد لا يحمد .

وقد حاول الاستاذ محمد الفاسي أن يحدد البواكير الأولى لهذا الشعر ، فوقف عند قصيدة نظمها ابن عبود في منتصف القرن العاشر ، واعتبرها أقدم نص . وفي هذا يقول :

« وكانت أقدم قصيدة بلغتنا عن طريق الحفظ والكنائش القديمة هي قصيدة «الحربى» للشاعر ابن عبود ، وهو من اهل فاس ، كان أيام الوطاسيين وكان مع سيدي عمرو الوطاسي قائد الجيوش الوطاسية في وقعة تادلا بين احمد الاعرج السعدي واحمد الوطاسي ، وهي التي اسفرت عن اعتراف الوطاسيين بسيادة السعديين على الجنوب ، وهذه القصيدة في وصف هذه المعركة ، وتاريخها سنة 943 هـ الموافق لسنة 1536 م (1) .

---

(1) مقال «الادب الشعبي المغربي الملحون» مجلة البحث العلمي العدد الاول السنة الاولى 1964 .

أما القصيدة ، ولم يذكرها الاستاذ الفاسي (I) ، فهي التي يقول  
الشاعر (2) في أولها :

(1) اكتفى بالتعليق عليها بقوله في نفس المصدر : « وقد اجيز ابن  
عبود على هذه القصيدة بتلمية طلبه في جعل محل بفاس رهن اشارته  
لانشاد قصائده به يوم المولد النبوي ، وهذا المحل هو ما يسمى مسيد  
سيدي فرج بسوق الحناء بفاس وقد خلفه فيه الشاعر الكبير سيدي  
عبد العزيز المغراوي . ولا زال شعراء الملحنون الى يومنا يجتمعون يوم عيد  
المولد وينشدون كلام سيدي عبد العزيز المغراوي وكلام النابهين منهم »  
ومن ادرك أن ينشد شعره في ذلك المحفل البهيج فقد بلغ المنتهى في تقدير  
زملائه له »

(2) تجدر الإشارة الى أنه تطلق على الرجالين المغاربة اسماء وصفات،  
أهمها :

أ - الشعراء : يقول ابن علي في القسم الرابع من «السولان» :  
واسلامي عن كل من احضر \* متادب في كل حال للشعارا  
هكذا سميت هل لشعار

ب - النظام : يقول عبد الفضيل المرينسي في «الفصادة» :  
قالوا مرحبا بالنظام

ج - الاشياخ : يقول امشير في نهاية محاورته :  
قال اكمل لشيخ عز الودبا حبر النظام

د - أشياخ السجية (تميزا لهم من المنشدين الذين يعرفون بأشياخ  
لكريحة) يقول المرينسي في قصيدته المشار اليها :  
شافوني احضرت اكبالتهم شيروا اوندوا  
رسلوا لي الخادم قالت ليا  
من اتكون ابقصد النيا  
قلت لهم شيخ السجيا

هـ - أشياخ النظام (تميزا لهم كذلك من اشياخ لكريحة)  
يقول المكي الصويري في آخر « فطومة » :  
واسلام الله لشيخ النظام

و - أهل النظام : يقول محمد الشاهد في آخر قصيدة « معلوم الشوف  
ما طفا نار الجوف » :

نتهى قولي امع انظامي \* من فضلل الا ينم  
احسنت اعلى الرضا اقسامى \* برضات اهل النظام

ز - اهل القوافي : يقول محمد بن لكبير في «تويذة» :  
عنك اسلام فايق المسك افلاجيوب  
يعبق عن جمعكم يا اهل لقوافي

مال الخيل السنى اخيلط فميدان \* صمكت هاذى الذى واهذك الهاذى  
والغبرا عمدت اكسات اعلى التيجان \* حتى عاد النهار غائس فارصادى  
ولسنا نوافق الاستاذ الفاسى على اعتبار هذه القصيدة أقدم ما وصل  
مرويا او مكتوبا فقد وصلتنا قبلها بعض النصوص منها ما هو من نوع زجل  
القصيدة ومنها ما يختلف عنه ، وهى نصوص سنستعرض بعضها فى هذا  
الفصل - بعد سطور - وسنترك البعض الآخر الى الفصل الثانى من هذا  
الباب .

حقا ان قصيدة ابن عبود تعتبر من النصوص الاولى للزجل فى  
الشكل الذى بدأ يستقر عليه وقد أخذ يجرز كيانه ، وحقا كذلك ان القرن  
العاشر يعتبر بداية انطلاق مرحلة جديدة بالنسبة لهذا الزجل - كما  
سنرى فى الفصل الثانى من هذا الباب - ولا نقول بدايته ، ولكننا نستبعد  
أن تكون اللغة العربية قد تم انتشارها فى القرن السادس بشكليها المعرب  
والدارج ، وتمر اربعة قرون دون أن يصدر شعر عن الناطقين بهذه اللهجة  
الفنانين ، ثم فجأة يظهر فيها نمط من الشعر مكتمل جميل . وهو رأى تدفعنا  
الى ترجيحه هذه النصوص التى وقفنا عليها ، على الرغم من انها مختلفة

---

ح - اقوامس الملحون : يقول سعيد التلمسانى فى رثاء عبد العزيز  
المغراوى :

لو حد عبد العزيز قاموس الملحون \* من لاحاطوا ابشرح معناه اقوامس  
ط - اقوامس العلم الموهوب : يقول محمد بن لكبير فى استهلال  
التوزيع السالفة الذكر :

اسادتى اقوامس العلم الموهوب \* يامن لكريم هبكم افضل وافى  
ى - أرباب الموهوب : يقول المرينسى فى «الفصادة» :  
واسلام ربنا لرباب الموهوب

ك - الودبا (اي الادباء) : يقول المدغرى فى «زهرة» :  
واسلامى للشراف والطلبا قال القارى \* ما دوحث انسام لعطر  
واعلى الودبا اقوامس الموهوب الشعارا

(وانظر كذلك قول امتيرد السابق)

ومتباينة ، كما يدفعنا اليه ما ذكره الحسن الوزان (I) في كتابه « وصف افريقية » ، فقد لاحظ في فصل منه بعنوان « شعراء بالعامية الافريقية » (2) ان هؤلاء الشعراء كثيرون ، وانهم كانوا يتبارون لاطهار براعتهم الشعرية في مناسبة ذكرى المولد النبوي حيث يتجمعون صباح يوم العيد في ميدان رئيس القناصل (3) ويعتلون المنصة واحدا تلو الآخر لالقاء اشعارهم وقد تجمهر عليهم الناس ، ثم ينصب أميراً للشعراء من احرز منهم قصب السبق . وذكر كذلك ان السلطان المريني كان يقيم حفلا بهذه المناسبة يستدعى له رجال العلم والادب ، وان الشعراء كانوا يلقون القصائد أمامه فينعم على الفائز الاول بمائة دينار وفرس ووصيف وحلته التي يكون لابسا في هذا اليوم ، ويمنح سائر الشعراء خمسين دينارا لكل واحد . ولاحظ الوزان بعد ذلك ان هذه العادة انقطعت منذ انهارت دولة بني مرين (4) ، وهي فترة تمتد عنده مائة وثلاثين عاما .

وهذه أسماء الزجالين وما وصلنا لهم من أزجال او اجزاء من ازجال

على الاصح :

### ابن غزلة

قال عنه الجلي : «وقد كان ابن غزلة الشاعر المغربي ، وهو من اكابر اشياخهم ينظم الموشح والزجل والمزمن فيلحن في الموشح ويعرب

---

(I) الحسن بن محمد الوزان (901 - 956 هـ ، 1495 - 1548 م) ولد في غرناطة ورحل مع أسرته الى فاس وقام بجولات داخل المغرب وخارجه في الشمال الافريقي وبلاد المشرق . اسر سنة 926 في نابولي بايطالية واخذ الى البابا ليون العاشر فقربه اليه لعلمه وتجاربه ، ودعاه الى المسيحية فتمسح وسمى بـ : جان ليون Jean Léon وهو الاسم الذي يعرف به في اوربا . ويقال انه بعد موت البابا عاد الى الشمال الافريقي ونزل بتونس وفيها توفي .

« Poetes en vulgaire africain » p 130 131 (2)  
Description de l. Afrique - Jean leon Africain  
Ed. C.H. SCEFER Paris

(3) Le chef des consuls لعله يقصد به رئيس القواد او الوزراء

(4) من 674 الى 869 هـ

فى الزجل تقصدا منه واستهتارا ، ويقول ان القصد من الجميع عذوبة اللفظ وسهولة السبك ، وكان الوزير ابن سناء الملك يعيب عليه ذلك ، ولهذا لم يثبت شيئا من موشحاته فى دار انطراز (1) .

وقد كان ابن غرلة يعيش فى عهد الموحدين ، بل كان معاصرا للخليفة عبد المؤمن الكومى ، وتذكر المصادر حبه لاخت هذا الخليفة ، وفى ذلك يقول الحلى : « فمن موشحاته المزمعة الموشحة الطنطنة الموسومة بالعروس التى نظمها عن عشيقه ربيعة اخت عبد المؤمن الاموى (2) ملك الاندلس وقتله الملك بسببها لتوهمه من مطلعها وما يليه الاجتماع بها ، والواقعة مشهورة ، وكان حسن الصورة جليل القدر ذا عشيرة » (3) وذكر له مطلع هذه الموشحة ، واوله :

من يصيد صيدا فليكن كما صيدى \* صيدى الغزالة من مراتع الاسد  
ثم زاد قائلا بعد ذلك : « وقيل انه لما اخرج الملك ليقتله نظر الى الناس وارتجل بيتا فى الوزن يستنجد به عشيرته لاخت ثاره :

هــا الـاسـيـل \* بـدت مـنـه انوار  
طـرفـيـا الكـحـيـل \* سـل مـنـه بـتار

قد اسوت عبدا \* ولم اك بالعبد \* مت لا محالة \* فاطلبو دمسى بعدى (4)  
وقبل ان نورد بعض ما ذكرته المصادر لابن غرلة من قطع جديدة نقف قليلا عند ملاحظة لاشك ان القارئ سيثيرها ، وهى اذا ما كان ابن غرلة مغربيا حقيقة اى من المغرب الاقصى ، ام اذا كان اندلسيا ونسب للمغرب على اعتبار ان النسبة بالمغربى كانت تشمل حتى الاندلسى نظرا للمفهوم الذى يدخل فى المغرب كل المنطقة التى تقابل المشرق ، ونظرا كذلك لان الاندلس عاشت فى وحدة مع المغرب الاقصى طوال عهدي المرابطين والموحدين .

I) العاقل الحالى الورقة 20 وجه وظهر ، وسنعود الى موشحات ابن غرلة .

(2) هذا خطأ ، والصحيح : عبد المؤمن الموحدى .

(3) العاقل الحالى الورقة 20 ظهر .

(4) العاقل الحالى الورقة 21 وجه .



والواقع انه ليس من السهل البت في هذا المشكل الذي كثيرا ما يعترض الدارسين لتاريخ الاندلس والمغرب وآدابهما ، ولكننا مع ذلك نرجح أن يكون ابن غرلة غير اندلسي ، ونعتمد في ذلك على نص وارد عند الحلبي : « . . . » ومداين الاندلس المختصة بالمسلمين دون غيرهم اربعة وهي التي خرج منها الموشح والزجل وهي اشبيلية وقرطبة وبلنسية ومالقة والذين خرجوا منها من الزجالين سبعة وهم يخلف بن راشد ابن قزمان مدغليس الحبيط البردعي الجمال ابن اللمنكة (1) »

وسبق لنا ان اثرنا هذا الموضوع مع الاستاذ الصديق الدكتور احسان عباس ، فكان رايه في ترجيح مغربية ابن غرلة انه لو كان اندلسيا لما جرؤ على نظم موشحة في اخت الخليفة وان ذلك لا يتصور صدوره الا من مغربي . وقد ذكر الرباط لابن غرلة في «العقيدة الادبية» اجزاء من الزجال يقول فيها :

بنت قزمان في خباها \* عند اباهـا  
العريس خاطب اباهـا \* وقد تباها  
لو يكن بزال \* كان امعاء اموال \* الا دا دجال  
بالمحال يقنى الاست البراقع (2)

ويقول في جزء آخر :

ان كنت ريس ومالك عاقـة \* هذا خبرك على الزلاقة  
اسمى \* ورمى (3)

بل انا نجد الرباط ينسب لابن غرلة قطعة « عروض البلد » التي ذكر ابن خلدون لابن عمير — كما سنرى بعد — ويمثل منها البيتين الاولين ، وهما :

(1) المصدر السابق الورقة 22 وجه  
(2) الورقة 45 ظهر ، وقد قدم لهذا الجزء بقوله : « وهذا الوزن لابن غرلة مقز من »  
(3) المصدر السابق .

أبكائي بشاطئ النهر نوح الحمام \* على غصن في بستان قبيل الصباح  
وكف الطلا يحكى مداد الظلام \* وريق النداء يجرى بثغر الاقحاح  
ويقدم لهما بقوله : « وهذا الوزن لابن غرلة رحمه الله مقر من  
رباعى » (I)

كذلك ذكر له صاحب « بلوغ الأمل في فن الزجل » بيتين قدم لهما  
بقوله : « ومن لطائف ابن غرلة قوله في مطلع :

بعد ذبحك يا فروجي \* واش ايفيد الجرى  
كنت «جرى من قبل ماتدبح \* وعنيةك يـرى (2)»

### عبد المومن الموحدي (3)

ذكر له الرباط قوله : (4)

يا عصفير الجنيّة \* جل ربي نشاكم  
الجمل طوله وعرضه \* لم قد يطلع احداكم

### رميلة أخت عبد المومن

قال عنها الحلي بعد ان ذكر علاقتها بابن غرلة : « وكانت هي ايضا جليّة  
القدر جميلة الخلق فصيحة اللسان تنظم الازجال الرائقة الفائقة » (5)  
ثم قال : « ومن ازجالها الرقيقة الرشيقة الزجل الذي مطلعہ :  
مشى السهر حيران \* حتى رأى انسان \* عينى وقف  
تقول في خرجة منه تصف خلا كان بخده :  
اسيمر جنان \* فى شقة من نعمان \* قد التحف » (6)

### ابن خبازة

قال عنه صاحب « الجدوة » : « ميمون بن علي بن عبد الخالق

(I) المصدر السابق الورقة 44 ظهر

(2) مخطوطة الزيتونة رقم 4467 ص 47 .

(3) تولى سنة 524 بعد وفاة ابن تومرت وتوفى سنة 558 هـ .

(4) العقيدة الادبية الورقة 38 وجه

(5) المعامل الحال الورقة 20 ظهر

(6) المصدر السابق الورقة 21 وجه .

الخطابي نسبة الى قبيلة من صنهاجة من اهل مدينة فاس ، ويعرف بابن خبازة نسبة الى خاله الشاعر المشهور بابن خبازة ، كان سريع البديهة ناطما نائرا مع الاجادة والتفنن في اساليب الكلام معرفة واتقانا في هزله وجده على اختلاف اللغات (1) ومثل هذا الكلام نجده في «ازهار الرياض» ينقله المقرئ عن « الذيل والشكلمة » فيقول : «كان متفننا في أساليب الكلام معربه وهزله على اختلاف اللغات » (2)

وليس من شك في أنه يقصد باللغات وهزل الكلام النظم فسي الزجل ، والاسف اننا لم نعثر له على أثر لذلك .

### ابن حسون

سماء الحلبي ابا عبد الله محمد بن حسون الحلا المغربي ووصفه بالاستاذ والشيخ (3) وذكره لدى الحديث عن اسقاط الهمزة عند الزجالين حيث اورد له بيتا من زجل يقول فيه :

كم نبت منكبد \* من هواك وهجرانك يا مليح القند

يا مليح بمن سماك اش هذا التجنى

طول ما نشتهى قربك تبعد انت عنى

ان كان الرقيب بلغ لك قضية عنى

لس انا في ذا الجد \* تنوذ بالله يا حبي الاخير هو اجود

وعلق عليه بقوله : «فقد اسقط الهمزة في موضعين في قوله ليك

بمعنى اليك وفي لفظة عوذ وأصلها أعوذ » (4)

(1) ص 208 وقد استمرت ترجمته حتى 214 . توفي آخر سنة 637 بالرباط ودفن بسلا قريبا من الشيخ ابراهيم ابي حاجة . وقبره معروف بسيدي الخباز واليه ينسب الباب المعروف بهذا الاسم في سلا . انظر في ترجمته الذيل والتكملة ، ورايات المبرزين لابن سعيد ، وتحفة القادم لابن الابار ، والعدد السابع من ذكريات مشاهير رجال المغرب للاستاذ عبد الله كنون .

(2) الجزء الثاني ص 379 . (3) الورقة 36 وجه و 54 وجه .

(4) الورقة 30 وجه .

وذكر له كذلك مطلع زجل لدى حديثه عن استقاط حرف العلة ،  
يقول فيه :

صحبة العينين السود طول صدورك ابلاني \*  
انا في سدوك هايم وانت ترضى هجراني

قال بعده : « ومراده صاحبة العينين » (1)

ثم ذكره بعد هذا الاستشهاد على اقامة الخاتمة خذ ، بقوله :

قد ضحك ضد الصباح \* واقترض سر النوار  
لا زمان غير ذا الزمان \* الصلاة على الرسول  
خترا ذا المهرجان \* خترا جر الذبول  
وهكان ابداع مكان \* تفنن فيه العبول  
ولقاح املح لقاح \* وهمار املح ثمار  
والظيور قامت وقام \* الوتر مع الجوار

« فقله خترا بمعنى خذ ترى ، وله مثلها في خرجة أخرى من هذا  
الزجل :

لا تقل شراب وراح في الزجاج ولا عقار \*

خترا ماء الغمام قد رجيع من نور ونار » (2)

ومثل بمطلع أحد أزجاله لادخال حرف النداء على قافية الالف واللام ،  
وفيه يقول : (3)

اهجر بالغزال واتدلل \* واعمل ما تريد فمن بلي يحمل

كما استشهد باجزاء من أزجاله في الوصل في القافية ، فاشار  
إلى قوله :

ارفع قطيعك وطيب واتملا \* والسخ عمسن ولي

فالوصل الالف بعد اللام ، ثم قال في إحدى خرجاته :

وهذي عندي نصيحة في الله

فالوصل منها الهاء » (4)

ثم ذكر له مطلع زجل هو : (5)

---

(1) الورقة 33 ظهر (2) المصدر السابق 36 وجه

(3) المصدر السابق (4) المصدر السابق 41 ظهر

(5) المصدر السابق 49 ظهر

لى تقديرو شمسو \* الله عصفقت الفلازية

وأخر ما اشار به الحلى لابن حسون قوله : « وجدت للشيوخ الاستاذ

ابى عبد الله محمد بن حسون الجلالى زجل مقلعه :

صحبة العينين السود طول اصد ذلك ابلانى

يقول فى خرجه بمت عنه حكاية عن قول معشوقته :

وترى سيفا مجبوز \* منتخب من اجفانى

بالحال المعجمة فى لفظة مجبوز مقابل السدال المملة فى لفظة

السود (1)

ويذكر مبارك شاه لابن حسون من زجل قوله : (2)

لو ريتنى حين ناسقيه \* مما نجد من شوقى ليه

نصفى ونرعه من يديله

اما بعد هذا فنجد ذكرنا لابن حسون فى مقام بعيدة الكفيف الزرهوبى

التي يذكر فيها هزيمة ابى الحسن المربنى فى القيروان ، حيث يقول

مخاطبا نفسه :

واستغفر يا لكفيف لابن حسون \* واتفكر ما ذكر فى عام ستا

فهو يدعو نفسه الى الامتناع له والى تذكر ما قاله فى السنة السادسة

ولسنا نعرف هذا الذى قاله ابن حسون ، ولسنا نعرف كذلك سر ذكر

الكفيف له ؟ لأنه شيوخه — وكانت العادة أن يهدى الشاعر السلام ويقدم

الاستغفار لشيوخه — ام لأنه سبق فى زجل له الى ذكر حوادث هذه السنة

المضار اليها ؟ والنايب أنه شيوخه .

الحسن المجبوز (3)

يقال ان ابا الحسن التمشترى (4) حين وفد الى المغرب اتصل بابن

(1) الورقة 54 وجه .

(2) السفينة ج 4 الورقة 26 وجه مخطوط رقم Feyzullal 1612

مكتبة Miller اسطنبول .

(3) عبد الحق بن سبعين السبتي 613 — 669 هـ .

(4) 658\_610 .

سبعين وتلمذ عليه ، ويقال كذلك ان المتصوف المغربي اعطى تلميذه علما وطلب منه أن يتجول في السوق مغنيا ببيت زجلي يقول فيه :

ابديت بذكر الحبيب \* وعيشى ايطيب

ومضى الششتري يغنى في الاسواق بهذا البيت وقضى يومين دون ان يستطيع اضافة شيء اليه حتى كان اليوم الثالث فاكمله وقال :

لما دار الكاس \* ما بين الجلاس

عنهم زال الباس

اسقاهم ابكاس الرضا \* عفا الله عما امضى (I)

ومثل هذه الحكاية تثبت لا شك ان ابن سبعين كانت له معرفة بنظم النزل وان هذا الفن لم يكن غريبا على المغاربة الى حد انهم يسمعون في الاسواق .

### ابن شجاع النازي

ذكره ابن خلدون على اثر ذكر فن «عروض البلد» (2) حيث قال : « فاستحسنه اهل فاس وولعوا به ونظموا على طريفته وتركوا الاعراب الذى ليس من شأنهم وكثر سماعه بينهم واستفحل فيه كثير منهم ونوعوا أصنافا الى المزدوج والكازى والملعبة والغزل ، واختلقت اسماؤها باختلاف ازدواجها وملاحظاتهم فيها » (3)

واورد له مقطوعتين ، يقول في بداية الاولى : (4)

السال زينة الدنيا وعز النفوس \* يبهى وجوها ليس عنى باهيا  
فيها كل من هو كثير القلوس \* ولوه لكلام والرتبا العليا

---

(I) انظر شرح احمد زروق على نونية الششتري التى يقول فيها .  
ارى طالبا منا الزيادة لا الحسنى \* بفكر رمى سبها فعدى به عدنا  
(مخطوط الاسكوريال رقم 4186 ص 21)

(2) سنشير اليه فيما بعد .

(3) المقدمة ص 530 .

(4) المصدر السابق .

ايكبر من كثر مالو واو كان اصغير \* ويصغر عزيز القوم اذا يفتقر  
من ذا ينطبق صدرى وعن ذا يفر \* يكاد يفتق نولا الرجوع للقد  
ويقول فى بداية الثانية : (I)

تعب من تبع قايى ملاح ذا الزمان \* اعمل يا فلان لا يلعب الحسن فيك  
ما منهم مايح عاصد الا وخان \* قليل من عليه تحبس ويحبس عليك  
يحبو اعلى العساساق ويتمنعوا \* ويستعمدو تقطيع اقلوب الرجال  
وان واصلوا من حينهم يقطعوا \* وان عاصدوا خانوا على كل حال

### الكفيف الزهوني

قال عنه ابن خلدون فى مقدمته : «وكان لهذه العصور القريبة من  
فحولهم بزهرهون من ضواحي مكناسة رجل يعرف بالكفيف ابدع فى  
مذاهب هذا الفن ، (2) ومن احسن ما علق لى بمحفوظى قوله فى رحلة  
السلطان ابي الحسن وبنى مرين الى افريقية يصف هزيمتهم بالقيروان  
ويعزيهم عنها ويونسهم بما وقع لغيرهم بعد أن عيهم على غزاتهم الى افريقية  
فى ملعبة من فنون هذه الطريقة يقول فى مفتتحها وهو من ابدع مذاهب  
البلاغة فى الاشعار بالمقصد فى مطلع الكلام وافتتاحه ويسمى براعة  
الاستهلال :

سبحان مالك خواطر الامرا \* ونواصيها فى كل حين وازمان  
ان طعنناه عطفهم لنا قسرا \* وان عصيناه عقب بكل هوان  
... (3) »

ثم ذكر له منها جملة أبيات . وقد وقفنا على القصيدة كاملة - وهى  
طويلة من واحد وتسعين واربعمائة بيت - بآخر مجموع مخطوط فى خزنة  
مراكش رقمه 184 واوله شرح المقدمة الوغليسية للشيخ زروق .

I المقدمة ص 530 - 531 .

(2) يعنى الفن الذى نظم فيه ابن شجاع التازى . وقد ذكر ابن خلدون  
من الذين نظموا فيه كذلك على بن المؤذن من تلمسان ولكنه لم يمثل  
لنظمه .

(3) المقدمة ص. 531 .

### المنصور الاعشى

ذكر له الحل (I) مطلع زجل هو قوله :

الحبيب ابيض يا حبيب \* وكؤوس الخمر حمير  
نعم المزج بالرحيق \* فط ما نعرف السلو  
فالحبيب فى حريق غريق \* عايم ابيض عجبت لو  
فاسفنى مع زشما رشيق \* كل من راه ميجلو

### مولاي الشاد

وهو اقدم شاعر وجدنا ذكره عند الاشياخ الحفاظ ، ويقولون عنه انه من تافيلالت وانه كان يعيش فى أوائل القرن التاسع للمهجرة ، وينسبون له قوله يذهب فيها الى أن «من لا يحفظ موهوب يبقى عقلو مقلوب » ، ويستنتج بعضهم من هذه القولة المبكرة ان الشعر الشعبي المغربى كان يطلق عليه « الموهوب » او «العلم الموهوب» قبل ان يسمى « الملحون » او غيرها من التسميات .

وكل ما يحفظ الاشياخ من زجل مولاي الشاد مقطوعتان قصيرتان ، يقول فى الاولى :

لا تقولوشى يا حسمرا اعلى ازمان \* الخير والشمر افكل ازمان كايين  
ما حيد اكتاب الله فالصدور \* اعلاه نبكيوا اعلاه  
ما قاطعين ياس من رحمة الله \* واحبيينا الشافع رسول الله  
فاش جا ذنب المخلوقين \* عند واسع الغفران  
ويقول فى الثانية :

خوك عبدك وانت ديما الخوك مملوك

لا تأديه الله يهديك ما يؤديك

لك عايش وانتى له كاتعيش

لا تكونوشى طوب افشى ابنى اهشميش

عيشوا بالله والنبي والقرآن مع لتحديث

وقد علق عليهما الشيخ احمد سهوم فى حديث اذاعى نشر فى « مجلة



الاذاعة والتلفزة المغربية فاعتبرهما تمثلا للملحون «قبل ان توضع له بحوره وعروضه ، انه مجرد كلام غير موزون وغير مقفى لكنه بليغ وهادف وفيه مسحة من جمال الشعر» (I)

#### عبد الله بن احسان

يقول عنه كبار الاشياخ انه كان معاصرا لمولاي الشاد وانه مثله من اضرا فى تافيلالت . ومن جملة ما يحفظون له قصيدة طويلة ، هذا نصها :

نبدا لسم الله انظامى يا الى ابغا لوزان \*

لوزان خير لى انيا من قول كسان حتى كان

ربى الى الهمنى نمدح جد الشراف يا لخوان \*

بالشعر السليس الفايز هو ايكون لى عنوان

حتى انقول ما قالوا عشاق الدبى افكل ازمان \*

وانكون افلقريض الملحون انما المادحو حسان

مداح مادحو بلسمانى والشموق له من لکنان \*

والمادحو ابقلب اکنانو يرضاه ماعيا بلسان

الموغ واللقا واللفوا بين اللها امع اسنان \*

والحبيب ذا الشفيع الشافع فالقلب ذا الدخال اتصان

رائى الله شاهد من قلبى واللسان كل احيان \*

انبات كتضل ابشوقى والدمع كاينو لمزان

بتشاهدى التعلل صندرى والصعب ما بقى يلىان \*

نمشى الارض طيبا تطفى ما فالقلب من ثيران

وانمرغ لخدود وتضرع فوق من قبر عدنان \*

وانقول يا شريف الاسم مداح طالبك للامان

انت اشفيع يا محمد والى راحم ورحمان \*

والعبد بين شافع وارجيم ايعاين لعفو تهفان

انت الشفيق يا محمد والي عفا حسان \*  
ونا حسنت ظني قاله وفيك طالب الغفران  
وانعود من الحج الموكاحي يا عنايتي فرحان \*  
للمصوم والصلا وامديحك بين الحديث والقران  
تاريخ حلتني «دخل» عند ازمانها افكل ازمان \*  
والقايدين كاع امحضرا ونا فقيهم وزان  
واسمي اقلامتني عهد الله بن احسان الوزان \*  
اسايلين عني فاضرا عاصي ومعدن النقصان  
فرحان من لكريم التوبا امن الرمول فالميزان \*  
اشفاعتو الهذا الا ما ونا فوسطها فرحان  
واتمام ما نظمت السيدى من ذا العقيق والعقيان \*  
اصلا موصلا للماحي ما ناه طير عل لغصان  
وسلام ربنا للشرفا واهل نهنا افكل امكان \*

والناظمين عن ميزاني والي ايزيد لو ميزان  
ونميل الى اعتبار ابن احسان من خلال هذا النص يمثل مرحلة  
جديدة في الزجل المغربي ، لعلها فاصلة بين ما كان من قبل وما غدا  
عليه ، وسنعود اليه في بداية الفصل الثاني ما دمنا قد اعتبرناه كذلك ،  
ونكتفى الان بملاحظتين :

**الاولى :** ان الشاعر يشير الى «كان حتى كان» في أول بيت مقارنا  
بينه وبين «لوزان» ، ولعله يقصد بـ «كان حتى كان» نوعا من الشعر  
الشعبي يعتمد القص والحكاية كما يبدو من التسمية ، و بـ «لوزان»  
الشعر القائم على الوزن ، وهذا ما يعزز الاعتبار الذي ملنا اليه في أن هذا  
الشاعر بدا مرحلة جديدة في القصيدة الزجلية المغربية

**الثانية :** قوله في الرمز لتاريخ قصيدته بـ «دخل» فالراء بمائتين  
والخاء بستمائة واللام بثلاثين ومجموعها ثلاثون وثمانمائة ، وهي سنة نظمه  
نها ، وبهذا نستطيع تحديد تاريخ مرحلة القصيدة الزجلية الجديدة .

## أصل القصيدة الزجلية

نحن بهذا أمام نصوص قليلة ولكنها على قلتها متباينة الاشكال متباعدة الفترات . ومع ذلك فهي تثبت وجود زجل في المغرب منذ عهد الموحدين ، إلى الوان من الزجل مختلفة عن القصيدة المعروفة الآن ، وهي ظاهرة لا تدل على غير تطورها عبر الزمان . وعلى الرغم من ذلك يبقى السؤال قائماً حول نشأتها ، وتبقى كذلك متفجرة عنه جملة أسئلة عن الأصول التي استقت منها وتأثرت بها قبل أن تحرز كيانها :

- 1 — أهي امتداد للزجل الاندلسي ؟
- 2 — أم هي محاكاة مباشرة لفن التوشيح الاندلسي كما عرفه المغاربة ؟
- 3 — أم هي تآثر بشعر أهل الامصار العرب الوافدين إلى المغرب ؟
- 4 — أم انها استمرار لعروض البلد السذي استحدثه أهل المدن بالمغرب ؟

5 — أم انها تطور لأغان ومرددات شعبية محلية ؟

كل هذه أسئلة تراودنا في محاولة البحث عن البذور الاولى للقصيدة الزجلية لا نرانا نخرج منها الا بردود لا تقوم على غير التخمين والافتراض .

أما الزجل الاندلسي فقد تأكد لنا ان المغاربة نظموا على نمطه في عهد الموحدين (1) ، ولكننا لا نعرف ان كانوا قد نظموه في العهد السابق . وعلى الرغم من ان النصوص لا تسعف ، فانا لا نستبعد ان يكونوا نظموه في عهد المرابطين (2) ، يدفعنا إلى ذلك سببان :

**الاول :** ان المغاربة في هذا العهد — وبعد ان تمت الوحدة بين البلدين — كانوا يقلدون الاندلسيين ويحتذون خطاهم في مختلف مناحي الحياة ، وخاصة منها الحضارية والثقافية .

---

(1) من 524 إلى 674 هـ .

(2) من 430 إلى 524 هـ .

**الثانى :** ان الاندلس شهدت على هذا العهد ازدهار فن الزجل حيث لمعت أسماء كبار الزجالين وعلى رأسهم ابو بكر بن قزمان .  
والذى كنا نستبعده هو أن ينظم المغاربة الزجل على عهد الموحدين لما نعرف عن هذه الدولة من محاولة الابتعاد عن تقليد الاندلسيين وإيجاد كيان خاص بها يعبر عن شخصية أهم ما تمتاز به هو التأثير بالدعوة الموحدية والميل الى البساطة والوضوح والبعد عن الزخرف والتعقيد .

ويبدو ان هذه المحاولة لم تتعد الرسميات الى الشعبيات ، حيث صادفنا غير قليل من الزجالين المغاربة فى هذا العهد ، بل أكثر من ذلك وجدنا صاحب « العقيدة الادبية » يتحدث عن الاختلاف حول مخترع الزجل ويذكر من المختلف فيهم ثلاثة من المغاربة هم ابن غرلة والخليفة عبد المومن وأخته رميلة ، يقول : « اختلفوا فيمن اخترع فن الزجل فمنهم من قال ابن غرلة ، وقيل يخلف بن راشد ، وقيل ابن قزمان ، وقيل مدغليس ، وقيل عبد المومن ملك الاندلس ، وقيل رميلة اخت عبد المومن . والذى اتفق عليه الجمهور أن أول من تناشد به ابن قزمان وبعده القيم مدغليس وبعده ابن غرلة وبعده يخلف بن راشد وبعده سبع الاندلس عبد المومن وبعده رميلة » (I)

ولعلنا نستطيع ان نذهب الى أن نظم المغاربة لفن الزجل فى هذا العصر الذى كان يحاول منافسة الاندلسيين وعدم تقليدهم يدل لا شك على نظمهم له فى عصر المرابطين من قبل وان وجوده فى عصر الموحدين ليس غير استمرار لما كان من قبل .

وعلى الرغم من أنه لم ترو أزجال مغربية كاملة ، فانا من خلال النصوص الناقصة التى ذكرت لابن غرلة وابن حسون لا نرى اختلافا بين الزجل الاندلسى والزجل الذى نظم هؤلاء الشعراء ، وهى ظاهرة يمكننا أن نستنتج منها فى كثير من الترجيح أن الزجل الاندلسى انتقل الى المغرب عن طريق تبادل الوفود والرحلات . ويكفى فى التمثيل لهذا التبادل أن نذكر قدوم أبى الحسن الششتري الى المغرب ، فقد كان ينتقل

داخل المدن المغربية وينظم ازجالا يتغنّى بها في الاسواق كهذا الزجل الذي يقول في مطلعته :

شويخ من أرض مكناس \* وسط الاسواق يغنى

آش اعليا امـن الناس \* واش اعلى الناس منى (I)

فهل كان المغاربة يستمعون الى مثل هذه الاشعار تشد في الاسواق وحلقات الذكر دون أن يتجاوبوا معها ودون أن تبرز بعض المعتنين منهم لمحاولة النسيج عليها ؟ نحن لا نشك في أن تأثير المشتري كان قويا في نفوس المغاربة ، وهو تأثير تدل عليه الازجال التي لا زال يرددوها فقراء درقاوة حتى اليوم - وهم طائفة من الشاذلية - ، وتدل عليها محاولة بعض المتصوفة المغاربة تقليد المشتري في بعض ازجاله على حد ما نجد عند محمد الشرقي في قصيدة زجلية يبدو فيها التائر واضحا بزجل المشتري السالف الذكر ، وهي القصيدة التي يقول الشرقي فيها :

انا نالى فياش \* آش اعليا منى

نقنط من رزقى لاش \* والخالق يرزقنى

كذلك تدل على تأثير أشعار المشتري عناية المغاربة بنسخها وشرحها على حد ما فعل الشيخ أحمد زروق (2) وابن عجيبة (3) ، وقد كان بعض العارفين يحثون اتباعهم على قراءة هذه الاشعار وانشادها . يقول ابن عباد الرندى (4) داعيا الى ذلك : « وأما مقطعات المشتري وازجاله فلي فيها شهوة واليها اشتياق ، وأما تحليلتها بالنغم والصوت الحسن فلا تسيل فان قدرتم ان تقيّدوا منها ما وجدتموه فافعلوا ذلك » (5) . وهذا يجعلنا لا نشك في أن المغاربة - حتى في نطاق التصوف - حاولوا ان ينظموا في هذا الفن الجديد ، بل انا نكاد نجزم بذلك خصوصا

---

(I) ديوان أبي الحسن المشتري ص 272 تحقيق الدكتور على سامي النشار الطبعة الاولى الاسكندرية سنة 1960 .

(2) المتوفى سنة 899 هـ

(3) المتوفى سنة 1311 هـ

(4) المتوفى سنة 790 هـ .

(5) انظر مقدمة الديوان ص 4 .

حين نجد مؤرخا كأحمد بابا التميمكى (I) يقول : «وقد تسمع الناس على  
مثواله كثيرا فما ابرقوا ولا اعدوا ولا قاموا ولا قعدوا الا من قل وتندر  
لانهم ان اصابوا علما أخطأوا حالا وبالعكس » (2)

واذن فقد عرّف المغاربة الزجل الاندلسى ونظموا متأثرين به  
ومقلدين له ، وهذه حلقة من حلقات البحث .

وما قلناه عن الزجل نقولُه عن الموشحات ، خصوصا وان عهد  
المرابطين شهد ازدهارا لهذا الفن بظهور وشاحين كبار فى الاندلس أمثال  
ابن بقمى واحمد بن على المشهور بالاعمى التطيلي وعلى بن حزمون المرسى  
وأبى بكر بن باجة ، وخصوصا كذلك وأن غير قليل من شعراء التوشيح  
وفدوا على المغرب فى فترات مختلفة أمثال الحفيد ابن زهر وابن حزمون  
والهيثم المريبطرى وسهل بن مالك الغرناطى وابن الخطيب فيما بعد .

وقد رويت لابن غرلة أجزاء من موشحات ، فقد ذكر له الحلى طرفا من  
موشحته المعروفة بالعروس (3) وهذا مذهبا واول أبياتها :

من يصيد صيدا فليكن كما صيدى \* صيدى الغزالة فى مراتع الاسد  
كيف لا أصول \* واقتنصت وحشية  
ظبية تجول \* فى ردا وسوسمية  
صاغها الجليل \* فهى شبه حوربه

---

(I) المتوفى سنة 963 هـ .

(2) نيل الابتهاج بتطريز الديباج ص 70 طبعة فاس سنة 1317 هـ .

(3) لاحظ استاذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الاهوانى أن هذه  
الموشحة ليست الموشحة العروس التى ذكر ابن سناء الملك فى دار الطراز  
فقال : «اذا قارنا عدد الاجزاء فى اغصان هذه الموشحة واقفالها عرفنا انها  
ليست الموشحة العروس التى أشار اليها ابن سناء الملك فتلك كما صرح  
دار الطراز تتألف من اقفال ذات سبعة أجزاء وهذه اقفالها اربعة اجزاء »  
(انظر الزجل فى الاندلس ص 113) علما بان ابن سناء الملك لم يسم  
ابن غرلة .

كذلك وجدنا في « كتاب مجموع موشحات » (I) موشحة لابن غرلة  
يقول في مطلعها :

يا من حكى حده انشقاق \* وما له في البها شقيق  
تركنتي بالدموع سمارق \* لما بدا خدك الشريق  
ويقول في خرجتها :

بكر غدت في الدنان عائق \* ما الحر من رفا عقيق  
تلوح في الكاس شبه بارق \* ان مزجت صرفها بريق

واورد له الشهاب الحجازي (2) موشحة هذا مذهبها واول ابياتها :

باسم عن لآل \* باسم عن عطر  
نافر كالغزال \* سافر كالبدر  
اي ظبي ربيب \* اي فيه ارب  
ريقه كالضرب \* والما كالضرب  
يا له من حبيب \* باسم عن حبيب

---

(I) مخطوط مكتبة أيا صوفيا رقم 4243 - السليمانية - اسطنبول  
(الورقة 33 ظهر و 34 وجه وظهر) وقد وردت نفس الموشحة منسوبة لابن  
غرلة في كتاب « روض الآداب » للشهابي الحجازي - الورقة 98 وجه وظهر  
(مخطوط مكتبة احمد الثالث رقم 2293 قصر توبكابي باسطنبول) كما  
وردت في «مجمع الورق المنتجة» الورقة 33 ظهر و 34 وجه وظهر (مخطوط  
مكتبة فاتح رقم 3918 السليمانية اسطنبول) ولكن منسوبة لعلاء الدين بن  
أبيك وليس لابن غرلة .

(2) كتاب «روض الآداب» الورقة 96 وجه و 97 ظهر مخطوط مكتبة  
أحمد الثالث رقم 2293 . وفي نسخة أخرى من الكتاب مخطوطة بمكتبة راغب  
باشا باسطنبول رقم III5 الورقة 190 انها لصلاح الدين الصفدي ، وفي  
نسخة ثالثة رقمها 4017 في مكتبة أيا صوفيا باسطنبول (الورقة 91 وجه)  
ان الموشحة لاحمد بن حسن الموصلی .

واورد له الحجازى كذلك موشحة ثانية (I) يقول فى مطلعها :

زاير بالخيال \* زایل عن قربى  
باهر بالجمال \* ناهر بالعجب

ويقول فى خرجتها :

صديها وقال \* وهو يلقى قربى  
نحظ، عيني تنال \* قلت آه واقلبى

كما انه رويت لابن حسون فى سفينة مباركشاه (2) موشحة يقول

فى مطلعها واول ابياتها :

ما احمق \* عن قطيع من دقق  
الصباح قد اقبل والظلام قد ولى  
والنجوم قد غابت فى حجاب علم الله  
ونجوم الاغصان قد بدت ان تجلى

واذن فقد نظم المغاربة الموشحات على طريقة الاندلسيين ، وهذه

حلقة ثانية من حلقات البحث .

واما شعر اهل الامصار العرب الوافدين على المغرب فقد حدثنا عنه

ابن خلدون فى المقدمة فقال : « فاما العرب اهل هذا الجيل المستعجمون عن لغة سلفهم من مضر فيقرضون الشعر لهذا العهد فى سائر الاعاريض على ما كان عليه سلفهم المستعربون ويأتون منه بالمطولات مشتملة على مذاهب الشعر واغراضه من النسيب والمدح والرثاء والهجاء ويستطردون فى الخروج من فن الى فن فى الكلام فهربا هجموا على المقصود لاول كلامهم ، واكثر ابتدائهم فى قصائدهم باسم الشاعر ثم بعد ذلك ينسبون ، فاهل امصار المغرب من العرب يسمون هذه القصائد بالاصمعيات نسبة الى

---

(I) نسخة راغب باشا الورقة 191 ظهر و 192 وجه وظهر ، فى حين انها فى نسخة مكتبة احمد الثالث (الورقة 97 ظهر) منسوبة لجمال الدين يوسف الصوفى .

(2) الورقة 25 ظهر و 26 وجه مخطوط فيض الله مكتبة Millet رقم 1612 اسطنبول .



الاصمعي راوية العرب في اشعارهم ، واهل المشرق من العرب يسمون هذا النوع من الشعر بالبدوي « (I)

واورد من هذه الاشعار قصيدة على لسان الشريف ابن هاشم يبكي الجازية بنت سرحان ويذكر طعنها مع قومها الى المغرب (2)

قال الشريف ابن هاشم على \* ترى كبدى حرا شكت من زفيرها  
يعز للاعلام اين ما رات خاطرى \* يرد اعلام البدو ويلقى عصيرها  
وماذا شكات الروح مما طرا لها \* عذاب ودائع تلف الله خيرها

واورد منها « قولهم في رثاء أمير زناتة ابي سعدى البقرى مقارعهم  
بأفريقية وارض الزاب ورثائهم له على جهة التهكم » (3) ، هذا اوله :

تقول فتاة الحى سعدى وهاضها \* ولها فى طعون الباكين عويل  
ايا سائل عن تير الزناتى خليفة \* خذ التعت منى لا تكون هبيل  
واورد منها كذلك « قول شبيل يذكر انتساب الكعوب الى برجم :

فشايب وشباب أولاد برجم \* جميع البرايا تشتكى من ضهادها

ومنه قوله يعاتب اخوانه فى موالاة شيخ الموحدين ابي محمد بن  
تافراكين المستبد بحجاجة السلطان بتونس على سلطانها مكفولة ابنى  
اسحاق ابن السلطان ابي يحيى ... :

يقول بلا جيل فتى الحى خالد \* مقالة قوال وقال صواب  
مقالة جيران بذهن ونم يكن \* هريجا ولا فيما يقول ذهب

... » (4)

وقد كان المغاربة يستمعون الى مثل هذه الاشعار تنشد وتروى ،  
وهذه حلقة ثالثة من حلقات البحث .

ونصل بعد هذا الى الحلقة الرابعة وهى « عروض البلد » ، وقد

تحدث عنه ابن خلدون فى مقدمته فقال : « ثم استحدث أهل الامصار  
بالمغرب فنا آخر من الشعر فى اعريض مزدوجة كالموشح نظموا فيه بلغتهم

(I) ص 510 . (2) ص 511 - 512 .

(3) ص 512 - 513 . (4) ص 517 .

الحضرية أيضا وسموه عروض البلد ، وكان اول من استحدثه فيهم رجل من أهل الاندلس نزل بفاس يعرف بابن عمير ، فنظم قطعة على طريقة الموشح ولم يخرج فيها عن مذاهب الاعراب ، مطلعها :

ابكاني بشاطئ النهر نوح الحمام \* على الفصن في البستان قريب الصباح  
وكف السحر تمحو عداد الظلام \* وماء الندى يجري بشفر الاغصان  
باكرت الرياض والطل فيه افتراق \* سر الجواهر نى نحور الجوار  
ودمع النوار ينهرق انهرق \* يحاكي ثيابين خلقت بالثمار  
لورا بالفصون خلخال على كل ساق \* ردار الجميع بالروض دور السوار

...

فاستحسنه أهل فاس ونظموا على طريقته وتركوا الاعراب الذى ليس من شأنهم « (I) »

اما الحلقة الخامسة والاخيرة فالاغاني والمرددات الشعبية . وعلى

الرغم من أنه لم تصلنا نصوص لهذه الاغاني والمرددات ، فاننا لسنا بحاجة انيها لنثبت وجودها ، فلكل شعب - مهما كانت درجة حضارته وتمدنه اولية - اغانيه ومردداته ، بل «لسنا فى حاجة لان نثبت من الناحية العقلية ضرورة وجود الاغاني فى المجتمع الانسانى كله وان الاغاني الشعبية قديمة العهد بين سكان المدن والوادي وان الحياة الاجتماعية بمناسباتها المفرحة والمحزنة قد حتمت التعبير الجماعى الذى يستعين بالآلة الموسيقية وبالتنغيم اللفظى فاصطنع فن يجمع بين هذين الجانبين الموسيقى واللغة هو ما نصلح على تسميته بالاغنية الشعبية » (2)

وليس المغرب بدعا من الشعوب والمجتمعات ، فقد كانت له اغانيه ومردداته وانشيده يتنغم بها فى مختلف اللهجات المنتشرة فيه ، وبالعبارة العامة منذ ان تم استعراجه على عهد الموحدين وربما قبل ذلك .  
هذه اذن حلقات اوجب علينا استعراضها ما نفترض امكان اعتباره أصلا لنشأة القصيدة الزجلية المغربية ، فبأيها يا ترى نربطها ؟

(I) ص 529 - 530 .

(2) الزجل فى الاندلس لاسناذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الالهوانى ص 3 .

لمسنا نستطيع أن نقول بأنها امتداد لتيار الزجل الاندلسي ، فالفجوة الزمنية بعيدة بين الفترة التي وصلتنا عنها نصوص مغربية متأثرة بالزجل الاندلسي وبين الفترة التي ظهر فيها الزجل المغربي محرزاً كيانه وخصائصه والاختلاف الشكلي ظاهر بين الاولين وخاصة حين نقارن بين الزجل الاندلسي والزجل المغربي في المراحل الاولى لتطوره الاخير ، وخاصة عند أمثال الشاهد وابن احساين .

ولسنا نستطيع القول كذلك بأنها محاكاة لغن التوشيح لانا لا نعتقد ذلك حتى بالنسبة لمشاة الزجل في الاندلس .

واذا جاز لنا ان نتحدث عن محاكاة القصيدة الزجلية المغربية لمطمن الانماط الشعرية فاعلم الظن أنها لعروض البلد الذي أشار اليه ابن خلدون لاستحسان الناس له ونظمهم على طريقته . ويميل بنا الى ترجيح هذا الظن الشبهة الكبير الذي نجده بين النصوص التي نظم المغاربة متأثرين بعروض البلد كما عند ابن شجاع والكفيف وبين الزجل المغربي في مراحله الاولى وقبل أن يحرز كيانه الحالي اى عند الشاهد وابن احساين .

كذلك لا نخفي ميلنا الى الظن بان اشعار العرب الوافدين ، وخاصة منهم البلالين وحلفائهم ، القمت بظلال كثيفة على القصيدة الزجلية المغربية ، فليس من قبيل المصادفة ان تكون القصيدة في شكلها الحالي ظهرت في جنوب المغرب وان يكون اغلب اعلامها من الفيلايين الصحراويين ، ونحن نعرف ان اولئك العرب الوافدين أقاموا في الجنوب ، وليس من قبيل المصادفة كذلك أن يتخذ الزجالون المغاربة من التقاليد ذكر اسمهم في قصائدهم ، وهي عادة تعارف عليها الشعراء العرب الوافدون ، (I) بل ليس من قبيل المصادفة بعد هذا ان نجد في الازجال المغربية آثارا للقصص والملاحم الشعبية التي جاء بها أولئك العرب ، تتمثل في الاشارة الى أسماء عبلة وجازية وعنترة

---

(I) انظر الجزء الثاني من الفصل الثالث من باب « الشكلى » .

والشجعان الزناتيين (I) وفي التعليل لوجود هذه الاسماء بانها مقتبسة من القصائد الاصمعيات (2).

ومع هذا فنحن نرجح ان تكون الاغانى والمرددات والانشيد الشعبية المحلية هي الاصل الاول للقصيدة الزجلية ، وقد ذكر لنا الشاد ما يطلق عليه «الموهوب» كما ذكر منها ابن احساين «كان حتى كان» . وبذلك تكون القصيدة نشأت شعبية محلية نابعة من البيئة ومتأثرة بها كغيرها من الفنون والآداب الشعبية ، ولكنها ظلت محصورة فى نطاق ضيق محدود . ونرجح كذلك ان تكون هذه القصيدة اثرا طبيعيا من آثار استعراب المغاربة وانسجامهم مع اللغة الجديدة وتطويعهم وتذوقهم لها فى قالبها العامى حين عجزوا عن ذلك فى قالبها المعرب ، وهى بذلك نتيجة الازدواج فى اللغة تعاطاها العوام فيما بينهم ، ولكنها لم تصبح لونا ادبيا معترفا به اذ لم يتح لها الشاعر الفنان الذى يعمل فيه موهبته وعبقريته ويقدمها فى صورة فنية مكتملة . وظلت لذلك مدة طويلة تننفس فى جو شعبي خالص ، وبقيت بهذا نماذجها الاولى مجهولة .

(I) على حد ما يقول اميرد فى «خديجة» :

لوصول اتحول \* صولى يامولاتى اخديجا \*

صولت عبلا وجازيا \* يا سلطانت الريام

ويقول مبارك السوسى فى «زهرة» :

سلبت عقلى زهرا \* بالبا والحسن المكمول حازت اسرارى

بشمائل لبها فاقت عل لبكار \* فاقت عن عبلا وجازيا وامحاسن لبكور

ويقول المدغرى فى «ام كلثوم» :

كلثوم تريقا لسقامى \*

كلثوم كنها ياقوتا فى سلسلا امن اذهب تشعارو معلوم

كلثوما شمس اضوات فارسامى \*

كلثوما ما ادركها عيسى فضخامتو اشجيع اسناحو مقيوم

ويقول محمد ولد افريجة فى «خنانة» :

يا دات الزين الوارث \* امنين امجيك آمولاتى الخنتا

سبحان امن انشاك اقد الرمح الصقيل آرايا فى تشجيع بين شجعان ازنا

(2) يستعمل الاشياخ مصطلح «الاصمعيات» دون ان يعرفوا انه يعنى

قصائد اهل امصار المغرب من العرب كما شرح ابن خلدون وكما سبق ان أشرنا لذلك .

ولكننا نرى ان الشعراء الشعبيين تأثروا بعد هذا بالازجال الاندلسية والموشحات فى محاولة للتقريب بين القصيدة كلون شعري عامى وبين الاشعار التى كانت تلقى فى مجالس غير العوام عند العلماء والحكام والملوك ، وفى محاولة كذلك لفرض وجوده وتوسيع نطاقه واقناع الطبقات المثقفة والارستقراطية بهذا الوجود ، وهى طبقات لا شك كانت معجبة بالازجال والموشحات الاندلسية بل بكل ما هو تراث اندلسى ، لا سيما وان غير قليل من الاسمر الاندلسية انتقلت الى المغرب وظلت تعيش على ماضى تعتز به وتفخر ، وهو شعور يكاد يعم جميع المغاربة حتى الذين ليسوا من أصل أندلسى .

والغالب ان هذه المحاولة تمت حين انتقلت القصيدة الزجلية من البيئات الشعبية الصرف الى بيئات راقية ان لم نقل انها بعيدة كل البعد عن الشعب . ومثل هذه النقلة تظهر فى التفنن الشكلى الذى اصبحت عليه وزنا وقافية (I) وفى المعانى والافكار التى بدأ يصورها الزجال المغربى والتى لا تمت بصلة للشعب ولا تمثل الا حياة الرفاهية والقصور والطبقات الغنية المنعمة ، وهى حياة يكاد تصويرها ان يكون اقرب الى نسج الخيال منه الى الواقع (2) .

على أنه لا ينبغي ان ننسى عاملا آخر ساعد على التأثر بالازجال والموشحات الاندلسية ، وهو انتقال الموسيقى الاندلسية الى المغرب بنوباتها وانشيدها ، وهى موسيقى حافظ المغاربة عليها . وقد سبق ان راينا (3) انهم اضافوا الى الميازين الاندلسية الاربعة ميزانا خامسا هو الدرج وان الحاج علال البظلة استخرج طبع الاستهلال فى أوائل ايام السعديين . وكان طبيعيا ان ينظم المغاربة - لهذه الاضافات على الاقل - مقطوعات كانت

- 
- I) أنظر الفصل الثالث من الباب الاول وانظر كذلك الفصل المقبل عن تطور القصيدة الزجلية .  
2) انظر فصل المرأة من باب الموضوعات وانظر كذلك الجزء الاول من الفصل الثانى من نفس الباب .  
3) فى المدخل .

بلغة عامية فى الغالب ، ولعلنا نذكر «البراول» التى سبق ان جعلناها نوعا مستقلا من الزجل المغربى لا يختلف كثيرا عن القصيدة .

وتتجلى عناية المغاربة بالموسيقى الاندلسية ومقطوعاتها - حتى بعد ذلك - فى العمل الذى قام به الحايك التطوانى فى أواخر القرن الثانى عشر الهجرى من جمع الموشحات والازجال التى تنشد فى هذه الموسيقى فى كتاب يعرف باسمه .

ولعلنا ان نذكر بعد هذا ان القصيدة الزجلية حين دخلت مرحلة الغناء لم تجد غير ميازين الموسيقى الاندلسية ونوباتها تقيم عليها الالحان .



## الفصل الثاني

# مرحلة التطور

رأينا فى الفصل السابق أن مرحلة جديدة من القصيدة الزجلية بدأت قبيل منتصف القرن التاسع للهجرة فى أواخر عهد المرينيين على يد عبد الله بن احساين ، وهى مرحلة تطورية كانت القصيدة خلالها تكتسب غير قليل من الجديد وتحاول احراز كيانها الذى ستستقر عليه ، سواء من حيث الشكل أو المضمون .

وليست هذه المرحلة قصيرة ، فهى تمتد زهاء ثلاثة قرون ، ومع ذلك فانا لم نتتبع كل شعرائها وما أنتجوا من أرجال ، واكتفينا بذكر الاعلام الذين قدموا جديدا أو طوروا قديما ، ولم نقف الا عند النصوص التى اعتبرناها معالم فى طريق هذه المرحلة . والحقيقة أننا لم نقصد الى ذلك ، ولكن المادة التاريخية والشعرية لم تيسر لنا لاستعراض كامل نؤرخ به لهذا الفن ، والسبب أنها لم تدون فكان مآلها الضياع ، وما بقى منها فى أذهان الاشياخ قليل ، وهو على قلته ملئ بالتناقض والخرافات ، يحتاج الى كثير من التصفية والغربلة حتى يستخلص منه ما يمكن اتخاذه أساسا للدرس والبحث .

لهذا سنركز على القصائد نفسها ، نحاول أن نستكشف منها ملامح هذه المرحلة وما يميزها من ظواهر التطور والتجديد ، وسنتتبع نصوصها من خلال استعراضنا لاعلامها ، حتى نجتمع بين التاريخ للقصيدة والتأريخ لممثليها ، ونستبدأ بعبد الله ابن احساين ونختم بالمصمودى .

### عبد الله بن احساين

من قبيلة «اضراء» بصحراء تافيلالت كما يصرح فى شعره . ولسنا نعرف تاريخ ولادته ووفاته ، ولكننا نستطيع القول بأنه عمر زهاء مائة عام معتمدين على أمرين :



**الاول :** ان احدى قصائده مؤرخة في سنة ثمانمائة وثلاثين ، واذا افترضنا أنها من أولى قصائده ، فيحتمل ان يكون قالها وهو بين العشرين والثلاثين من عمره .

**الثاني** انا نجد يذيل قصيدة لاحد تلاميذه يسمى الحمري ، وهي قصيدة مؤرخة في السنة العاشرة بعد المائة التاسعة ، وليس من شك في أنه كان اذ ذاك في أواخر حياته .

ويعتبر ابن احساين - في رأى بعض الاشياخ (I) - صاحب مدرسة وأستاذ جيل ، وضع لمن جاء بعده من الرجالين غير قليل من التقاليد ابتدعها في رجليه ، والاسف أنه لم تصلنا منه غير قصيدتين سنحاول منهما أن نستخرج ما يعزله من ابتداعات وأسبقيات :

**أولا - البحر المثنى :** يستشف سبقه الى النظم على هذا البحر من استهلال القصيدة الاولى حيث يقول :

نبدا لسم الله انظامي ياللى ابغا لوزان

لوزان خير لى أنيا من قول «كان حتى كان»

ربى الى الهمنى نمدح جد الشراف يالخوان

بالشعر السليس الفايز هو ايكون لى عنوان

ويستشف كذلك من قوله في نهاية نفس القصيدة :

واسلام ربنا للشرفا واهل لهذا افكل امكان

والناظمين عن ميزانى واللى ايزيد لو ميزان

فهو يريد أن يقول شعرا موزونا سلسا يراه خيرا من «كان حتى كان». وقد سبق أن راينا (2) أن «كان حتى كان» ربما كان نوعا من الشعر غير منظم ولا موزون ، يقوم موضوعه لا شك على حكاية القصص والخرافات ، كما يبدو من تسميته .

والجدير بالملاحظة ان هذه القصيدة على قصرها - فهي لا تضم غير سبعة عشر بيتا - ليست معروفة الا عند كبار الاشياخ ، وأول قصيدة

---

(I) هو السيد أحمد سهوم الذى استفدنا من تقايده غير قليل من النصوص والاخبار المتعلقة بشعراء هذه المدرسة .

(2) أنظر الفصل الاول من هذا الباب .

بحفظها أغلب المنشدين على «قياصها» هي «تصلية» ابن علي ولد ارضين  
التي يقول في حريتها :

صلوا على الصديق الصادق جد الشراف نور العين

امام لنبييا بلقاسم محبوب ربنا الرحمان

**ثانيا - البحر الثلاثي :** نظم فيه قصيدته «اللقمانية» ، وهي - كما  
سنرى حين نتحدث عن سبقه الى تأريخ القصائد - منظومة سنة ثمانية  
وثلاثين وثمانمائة ، أى أنه ابتدع هذا البحر بعد ثمانى سنوات من ابتداعه  
البحر الاول . يقول فى أول «اللقمانية» :

يا راسى توصيك كيف وصى ولدولقمان \* وانت تصغا كيف عاصغا ولدو لبياني

واتوصى بوصايتى المرويا قوم اخرين

**ثالثا - البدء بالبحر المثلث :** يبدو فى أول بيت من القصيدة «المثناة»

حيث يقول :

نبدا لسم الله انظامى باللى ابغا لوزان

لوزان خير لى أنيا من قول كان حتى كان

**رابعا - توجيه الشهاب الى الرأس :** يقول فى أول بيت من قصيدته

اللقمانية :

يا راسى توصيك كيف وصى ولدو لقمان \* . . . . .

**خامسا - الإشارة الى تأريخ نظم القصيدة :** يقول فى أواخر أبيات

القصيدة الاولى :

تاريخى حلتى «دخل» عند ازمانيا افكل ازمان

والقايامين كاع امحضرا ونا فقيهم وزان

حيث رمز بس : ر خ ل ، فالراء بمائتين والحاء بستمائة واللام بثلاثين ،

ومجموعها ثلاثون وثمانمائة ، وهي سنة التأريخ .

ويقول مؤرخا لقصيدته الثلاثية ، محمدا تاريخها بالتميز واليوم :

واسمى عبد الله بن احساين نسل العدنان \*

مركاحى فاضرا وحلتى فالوزن السانسى

«خرجها الى» جماد والشهر باقى لو يومين

أما السنة فـرومن لها ب : خ ر ج هـ ل ، فالخاء بستمائة والراء بمائتين  
والجيم بثلاثة والياء بخمسة واللام بثلاثين ، ومجموعها ثمانية وثلاثون  
وثمانمائة .

وأما الشهر فـجمادى ، وأما اليوم فـقبل نهاية الشهر بيومين .  
**سأدسنا** - ذكر الاسم : يقول في قصيدته الثنائية مصرحا باسمه وبأنه  
من قبيلة «اضرا» :

واسمى اهلمنى عبد الله بن احساين الوزان  
اسمايلين عنى فاضرا عاصى ومعدن النقصان  
وكذلك يقول في «اللقمانية» مسمرا الى شرف نسبه كما يتضح من  
آخر أبيات ذكرنا منها عند التأريخ .  
**سابعاً - اهداء السلام والصلاة والدعاء** : يعرض ذلك فى الابيات  
الاربعة لقصيدته الاولى حيث يقول :

نرجا من لكريم التوبى امن الرسول فالميزان  
اشفاعتو الها ذا الاما ونا فوسطها فرحسان  
واشفاعتو الها ذا الاما هى اذخيرث ليمان  
اشفاعتو الها ذا الاما هى الضامننا لجنان  
واتمام ما نظمت السيدى من ذا لعقيق والعقيان  
اصلا اموصلا للماحى ماناح طير عل لغصان  
واسلام ربنا للشرفا واهل لهذا افكل امكان  
والناظمين عن ميزانى واللى ايزيد لو ميزان  
ويقول فى اللقمانية :

واتمام المقصود فالصلا عن سيد عدنان \*  
زين الزين الهاشمى احمد محبوب الغانى  
والرضوان اعلى اجميع آلو وانصار الدين  
**ثامناً - هجاء الخصوم** : يعتبر نفسه أستاذا وسائر الشعراء له تلاميذ ،  
حين يقول فى قصيدته الاولى :

..... والقابلين كاع امحضروا ونا فقيهم وزان

فالقائلون عنده - وهم الشعراء - امحضرا ، وهو الاسم الذى يطلق على صيغة الكتاب القرآنى ، أما هو ففقيه ، وهو الاسم الذى يعرف به مدرس الكتاب ومدرسه .

**تاسعا : تذييل قصيدة التلميد :** وهو دليل اعترافه بشاعريته واجادته حيث يختم قصيدته بيتين أو ثلاثة . ويقال عنه فى الاصطلاح «اطبع لو» (I) ولا يكون الا بعد أن يراجع الشيخ القصيدة أو على حد قولهم «صفى لـ» لقصيدا» و «دوز اعليه» . ويعتبر التذييل شهادة يعتز بها الشعراء مثبتيين تلمذهم على كبار الاشياخ الى حد قالوا : «شيخ ابلا اشياخا باطل شاخ» (2) . من ذلك ما نجده فى نهاية قصيدة لحمد الحمري ذيلها أستاذة ابن احساين بهذين البيتين مشمرا فى البيت الثانى منهما الى أن الحمري يحفظ معانيه :

واسلام ربنا للشرفا وهـل لعلوم يا حـضـار  
اعداد ما هـطـلت امن امطار وما لقحت من تـزـهـير  
فاشعار حافظ امعانينا حماد رايق للشمطار  
والحمد للكريم الدايم عما اعطى ابلا تقصير  
وقد قدم الحمري لبيتى أستاذة بقوله معتزا بسنده :  
والحمد والشكر فالختما واصلا اتسير للمختار  
من درع ابن احساين الحمري حماد رمزها «فلخير»  
وتجدر الإشارة الى أنه رمز لتاريخ قصيدته بالفاء واللام والخاء والراء ،  
فالفاء بثمانين واللام بثلاثين والخاء بستمائة والراء بمائتين ، ومجموعها  
تسعمائة وعشرة .

---

(I) نصادف هذا المصطلح عند محمد بن عمر الكفيف فى «الدعى» حيث يهجو الاشياخ الذين كثروا دون أن يكون لهم سند من حفظ أو رواية أو تلمذ على أشياخ يطبعون لهم ويجيرون :  
فضحوا سوق اللغا ابغال الرتعا \* اشحال منهم املوا ابقاعى  
ما حفظوا مارواوا ما طبعوهم طباعا  
(2) ويقال كذلك انه «سلك الطريقان» أى حصل على تجارب وتعرف الى مختلف جوانب الفن عن طريق تلمذه على شيخه .

هذه جملة الاسبيقيات التي استغلطنا استخراجها لعبد الله بن احساين  
من ثنايا قصيدتين هما كل ما وقفنا عليه من رُجله ، وقد وجد من شعراء  
قبيلته غير قليل من السخط بسبب اتخاذ الوزن ، وهو سخط يكشف عنه  
قوله في أواخر «اللقمانية» :

من غتبك يكفيك فيه خفف عنك عصيان \*

كيغتبونى فقبيلتى عن طرر اوزانى

نرجا من ربي ايتوب عن ساير المسلمين

ولكن احتضان ابن احساين لجماعة من تلاميذه فى الفن ، سواء فى  
اضرا أو خارجها ، جعل ابتداعاته تنتشر وتفوز وجودها فى بيئة الزجل  
ويعترف للسابق اليها بالفضل ، وهو اعتراف تكشف عنه هذه الابيات التى  
رثا بها أحد تلاميذه الفاسيين واسمه الحاج اعمارة ملقبا اياه بأبى الشعر ،  
يقول مخاطبا شعره ، يحثه على البكاء على أبيه حتى يسقى من دموعه جذور  
النخلة التى كان يجلس اليها ابن احساين لينظم قصائده :

ابك اعلى اباك أشعري لبكا دشى امرا تكلى

اونوح كينوح ورشان اغريب بوحدو فالليل

ابك على اباك أشعري واسق اجذور ذا النخلا

اللى اشحال من شعر احداها رضعو اباك اكبيل

العيش بعد عبد الله او الله كاع مايحسلا

ونايلامش عبد الله ابقيت فالشعار اوحيل

### حماد الحميرى

نعرف أنه من تلاميذ ابن احساين وأنه كان يعيش فى أوائل القرن  
العاشر كما تقدم ، وقد ظل ينظم على بحرى استأذه كما تكشف قصائده .  
فمن نظمه على البحر المثنى قصيدته «الريعية» التى يقول فى حريتها :  
الورد والزهر واغصانو واشجار باسقا واطيار  
ايسبحو النعم الغنى والما افقلب كل اغدير

ومن نظمه على الثلاثي قصيدة «التصليية» التي يقول فيها :  
صلى الله عليك يالهادى خاتم لرسال \*  
عد ادواب البحر والاسماك اللى فالمالى  
العائش واللى امضى ومن هو مازال اقبيل

وقد ظل كذلك يسير على جميع التقاليد التي سنها أستاذه ، ولكنه -  
في رأى الاشياخ - لم يكتف بها وأضاف لها من عنده . واذا كانت كل  
أسبقيات ابن احساين محصورة في نطاق الشكل ، فان ما أحدثه تلميذه  
الحمري يتصل كذلك بالشكل ، ولكن يتعداه الى المضمون . ويتبين لنا  
ذلك من خلال قصيدة واحدة هي التي وفقنا الى تسجيلها كاملة ، وهي  
«الربيعية» :

#### أولاً : تطور المضمون :

ويتجلى في كون القصيدة نظمت في وصف الطبيعة وجمالها أيام  
الربيع ، وهو موضوع يؤكد كبار الاشياخ أنه لم يكن معروفا من قبل عند  
الزجالين الذين كانوا لا يخرجون في أشعارهم عن المدائح النبوية و «التصليات»  
والحكم والمواعظ .

وقد سبق أن مثلنا بعض أبيات هذه القصيدة لدى الحديث عن شعر  
الطبيعة (I) ، ونود هنا أن نلاحظ أن الحمري جعل ربيع شعره أزهى من  
ربيع الزمان ، هذا ينقضى بمرور فصله ، وذاك دائم الازهار والاثمار لا  
ينتهى ولا يذبل ، يقول في القسم الثاني من القصيدة :

هاك ارياض يا من لاشاف ارياض في اقريض اشعار  
انزايه لفكار ارياضي الشعر فايق التشجير  
لخريف كايقصف ندمر والورد ويربى لزهار  
والورد والزهر فارياضي فيام لخريف اغزير  
لشجار افلخريف اتغرد واتنوح عن اشباب اقبار  
ويجف ورقها ويفدقد ويصير كحطب لهجير

---

(I) أنظر الجزء الاول من الفصل الثاني من باب (الموضوعات) .

ونا اشجار روضى خضرا تسبى ارباع النظار  
فخريف ولمشاتي ، الصيف اربيعا اربيع اغزير  
نغصان يانعا ممرارا والسورق منها يخضار  
واقطاطر النداء فغروق ساير التشجير

### ثانيا : تطور الشكل :

يتمثل فى ثلاثة جوانب هي : تقسيم القصيدة ووضع لازمة لها  
واستعمال الحوار .

#### 1 - تقسيم القصيدة :

قسم قصيدته «الربيعية» الى تسعة اقسام كل منها مكون من  
خمسة أبيات وهذا أولها :

سارت لمشاتي كالجيش ايلنا انهازم افلكحار  
حي بعد زام طبلو واتنصر سار افلقفار اكسير  
وجا اهمامنا لمسمى الربيع حايز التفخار  
وصاب ما يصيب المنصور ايلنا امشى اعداء احقير  
ارمات السما ثوب حزنها ولبست الافتخار  
واتحزمت بالسبع الوان اللي اهدى لها لخبيير  
وانعائم لغنى سبحانو واسقات منها لشججار  
شلا احصى السان الفاصح سبحان ربنا لقدير  
اعراجن ادر فالتخلات الراكبات عل لجدار  
واعناقد لعنب فادوالى سالو عل لعصير اخبيير

#### 2 - وضع الحربة :

فقد جعل لقصيدته حربة أى لازمة تلتزم فى نهاية كل قسم ، هي  
قوله :

الورد والزهر واغصانو واشجار باسقا واطيار  
ايسبحو النعم الغنى والما افقلب كل اغدير

#### 3 - استعمال الحوار :

وهو حوار بسيط وقصير أجراه فى القسم الثامن بينه وبين النحل

والقراشات ، وقد سماها «أم الوبرات» . فقد جاء على لسان القراشات ما  
ضمنه الحمري أول بيت من هذا القسم ، وجاء في رد النحل ما ضمنه في  
الشطر الثاني من البيت الثالث ، أما هو فردده عليها يبدأ من آخر البيت  
الرابع ويكمل في البيت الخامس ، يقول :

«اهلا بالربيع اللي جانا بعد ماهزم لمطـار  
واهلا بالنسيم اللي هب حامل اشدا واعبير»  
هكذا كانت أم الوبرات الطائفات عل أزهار  
الراشفا اعطور النوار افطاست الندا لغزير  
سمعوا اقوالهم النحللات وجاوبو ابلا تستار  
«لاصيف لاخريف ابغينا الا اربيعنا لمنيـر»  
لكلام ابلقلوب يتسمع فسادا امرايح النـوار  
ونا بقلب قلبي صغتو وانطقت قلت: «كل اغرير  
ما راد غير راسو والهاني مارتا اعلى محتار  
واللي القى اغراض وامرادو مايسالشي عن غير»

#### محمد بن علي بوعمرو

وهو كذلك من تلاميذ عبد الله بن احساين اذ يترجم عليه في آخر  
قصيدته «عبلة» ملقبا اياه برفيق النخلة ، فيقول :  
لازم ايجي من يدري فضلي \* والفضل الخالقي فالاول والتالي  
ورحمة الله اعلى ارفيق النخلا  
ونعرف من تأريخه لاحدى قصائده أنه كان يعيش بعد السنة الثلاثين  
من القرن العاشر ، يقول في أواخر قصيدته «عبلة» :  
بوعمرو محمد لعشيق ابن علي \* والوعز «الحب اقهرني قتالي»  
فقد رمز ب : ل ح ب ق ه ر ن ق ت ل فاللام بثلاثين - وقد ذكرها  
مرتين - والحاء بثمانية ، والباء باثنين ، والقاف بمائة - وقد ذكرها كذلك  
مرتين - والهاء بخمسة ، والراء بمائتين ، والنون بخمسين ، والتاء بأربعمئة ،  
ومجموعها خمسة وعشرون وتسعمائة .



وقد أحدث بوعمرى - حسب ما انتهينا اليه فى البحث - بعض التطور على مضمون القصيدة وشكلها ، يتمثل الاول فى سبقه الى الغزل ، ويتمثل الثانى فى ابتداعه وزنين : احدهما داخل البحر المثنى ، والآخر داخل البحر الثلاثى ، كما يتمثل فى نظمه قصائد غنائية خفيفة :

#### أولا : تطور المضمون : الغزل

يعتبر بوعمرى سبق شعراء القصيدة الى النظم فى الغزل ، ونسب لذلك ب : «العاشق» . ومن محاولاته الاولى فيه قصيدة «زهرة» التى يقول فى حريتها :

زورينى قبل الانقباز \* ياهلال الدار زهرا

وقد كان لغزل بوعمرى وقع سيء فى نفوس معاصريه الذين استاءوا منه وسخطوا عليه لاتخاذهم المرأة موضوعا للشعر ، وبالغوا فى ذلك فرموه بالزندقة والفحش على حد قول أحدهم - اسمه لمرانى - وهو من امدغرا :

زنديق ابن الزنديق الوغد اللئى ايردنا فساق

يستاهل الرجيم ابلحجر حتى يموت بالتحقيق

ويلا يموت يتصلب عام وبعد دلتو يحرق

وانشتتو ارمادو وانقول هكذا بغى لعشيق

فهو عنده زنديق ابن زنديق ووغد دنس الشعر بفسقه ، يستحق الرجم حتى يموت ثم يصلب مدة عام وتحرق جثته بعد ذلك ويذر رماذها جزاء عشقه وقوله فيه .

وعن مثل هذا السخط العنيف عبر أحد شعراء عراكش المعاصرين له اسمه حسون وتير فقال :

ملت امن السجيا ولئى فيها العار والشنار

واغضبت اعلى الشعر الملحون اللئى ناظموا فاضرا

الفاسق اللثيم الزنديق اللئى شنع بالبيكار

أويلي اجناح انقدفد وانطير له للصحرى

واندير له الكبل واستاسن من الهند للتشبار

وانطوفو اشهر وانجسو عشرين عام في عسرا

فقد مل الشعر الذي غدا فيه العار والشنار ، وضاق بالملحون الذي  
ينسله شاعر اضرا محمد بوعمرى ، وهو يرميه بالفسق واللوم والزندقه  
والتشنيع بالابكار ، ولو كانت له أجنحة لطار اليه حتى الصحرء ليضع له  
القيد في رجليه ويكبله بسلاسل الحديد ليقوده منها ويطوفه شهرا ثم  
ليسجنه مدة ثلاثين عاما .

ولم يكن بوعمرى يسكت عن خصومه ، وكان يرد عليهم بأنهم لا  
يعرفون حقيقة ما به وأنهم لو أدركوا هذه الحقيقة لاتخذوه نبراسا يضيء  
لهم الطريق وتبعوه ، وبأن سر ما يعانى كامن في رقة قلبه ؛ يقول في القسم  
الثاني من قصيدة تأملية :

واسباب ليعتى وامصابى حتى اوصلت للتخناق

قلبي ارهيف يامكرانى طبعى ابل اشعار ارقيق

البعض راد لى تشنيقا والبعض راد لى نحراق

والبعض راد لى تتصلب بالسلاسل حين اعشيق

تالله لون عرفوا ما ساكن فالقليب بالتحققاق

حتى انكون لهم شمعا تضوى افضيق كل امضيق

وفى القسم الاول منها يرجو الله أن يطبعه بطابع قومه أو يطبعهم  
بطابعه حتى لا يطل كالعاقل بين المجانين أو كالمجنون بين العقلاء ، وحتى  
يتفاهم مع مجتمعه الذى يحلل من الاشياء ؛ ويحرم ما يشاء :

يا خالق لخالق خلقتى بطبايع دا الخلاق

ولا اخلايقك خلقتهم بخلايى اتبان الطريق

ايلا انقول لهم ياناسى هامسارب التحققاق

ايجهروا اللخرايف ويقولوا هانهايت التحقيق

والعاقل لفطين ايلا كان امشى الحارت الحماق

هو ايصير لحمى والحومق عاقلين بالتحقيق

ناعفيل بين الحومق واهيبيل فوسط العيساق

ياشجال حلدوا من شبات وجرموا ابلا تحقيق

كذلك كان يرت عليهم محاولا أن يبرر لغزله على حد ما يقول في القسم السادس والاخير من «زهرة» يسمائل الذين لعنوه - في استفسار انكارى - عن العيب الذى يمكن أن يكون فى التغنى بمحاسن المرأة ومدح الجمال ، ويطلب من الله أن يقيه شر الجاحدين :

واتمام القول افلشمعار \* ياللى لعنوسى جهرا

آش من عيب املى لشطار \* نقدا بمحاسن لمر

واش من حشما بالحبار \* فى امديح اعلوم النظرا

ياحلى والجحاد اكثار \* بين امغرا وامغرا

والستر من عند الستار \* منهم يوقينسى جهرا

وقبل ذلك وفى القسم الرابع يلمن الذين يخشون من العار الذى قد يلحق بأهل حبيبتهم فيمن لهم أن العاشق لا يحتار فى أمره طالما أن العشرة تعلم بالنزواج ، وقد كنى عنه بالصداق :

خافين اغنيا من عار \* كيدل احباب البكار

والذى عاشق ما يحتار \* بالصداق التسم العسرا

ويقف سدوم خصوم بوعمرو عند هذا الحد ، ولما زادوا فمنعوا تداول جميع قصائده حتى ما كان منها فى غير الغزل ، فلم تعد تنشده فى المساجد والزوايا والمجالس العامة حيث كانت العادة أن تنشد قصائد المزجل ، ولكن الشاعر استمر فى اتجاهه الجديد الذى وجد قبولا واستحسانا من المجالس الخاصة ولاسيما عند النساء والشباب . واضطر بوعمرو الى أن يساير جمهوره الجديد وأخذ ينظم له أغنيات خفيفة كباته التى يؤكد بعض الاشياخ أنها ما زالت تغنى حتى اليوم فى الصحراء ، يقول فى أولها :

اتقربو الزوج اخراص \* طمسار المنعاس

خلونى منا لونس \* غابسرا الفاس

وسنعود الى هذه الأغنيات فيما بعد كتطور للشكل عند الشاعر ، ونبقى قليلا مع بوعمرو فى مواجهته لخصومه ، فهو لم يقنع بالمصير الذى

آل إليه شعره وظل يرد على خصومه مؤكداً تمسكه باتجاهه فنظم قصيدة  
«عبلة» التي يقول في حريتها :

ايلا اتعذبت اعذابى من انواجلى \* ويلانا هنيت واسعدنى فالى  
اسبابى فالهنا اغزالى عبلا

ولعله فى اختيار اسم عبلة لم يكن يقصد غير الابتعاد عن أسماء  
النساء المألوفة ومحاولة اقناع خصومه أنه لا يعنى بنت هذا أو زوجة ذاك  
أو أية امرأة بالذات .

وفى القسم الثانى يخاطب الذين شوهوا قوله ولاموه على هواه ، ويبين  
لهم أن الحب كدز حصل هو منه على قدر كبير ، وأن المحبة رضوان من الله  
يهبه للعفيف ويرفع به الوضع ويغنى به المعدم ويحول به القفار الى جنان :  
ياللى شوهتو ليا افاعلى \* لومونى افلهوا ونا فسجالى  
نوريكم حب ماتوصلو خلا

لمحبا رضوان الخالق العالى \* للى هو اعفيف الحب احلالى  
وايامو ابلهوا العذرى تحلا

ايلا اىكون اوضيع افلعباد ياللى \* ما ساق اخبار لازم اينال لمعالى  
ويعود ايلو اجنان ما كان اخلا

كم عادم فغنائه اليوم بان لى \* الحب اكنوز ياللى كايفغالى  
أنا بعدا ادركت منها شلا

وفى القسم الرابع والاخير يكشف لخصومه أن البون شاسع بين  
العشق والفسق ، وأن العاشق لا يمكن أن يكون فاسقا ، وأن العشق يبعث  
الركة والنور فى قلب الجاهل البليد فيصير فاضلا لييبا أدبيا لا تمل  
مجالسته :

عاشق وفاسق مايتصاب فى اخلا \* ولا فعمارت لمـدون ولطلالى  
بين العشق والفسق عندى شلا

من اعشق يترقق لو كان كرغلى \* ويصير افضيل بين لامت لفضالى  
الييب اديب عنـو ماتسلا

ويرفع شكواه الى الله من أولئك الذين اغتابوه وهاجموه فاسودت

صفحة وساء حظه :

يا للى بفتبكم سعدى اسود لى \* واشكيا الكريم لجيل العالى  
لاقولا خافيا ولافعلا

ولكنه لا يفقد الامل فيمن يدرك فضله ، فيقول فى آخر بيت من

قصيدته :

لازم ايجى من يدري فضلى \* والفضل الخالقى فالاول والتالى  
ورحمة الله اعلى اوفيق النخلا

وكذلك كان ، فقد جاء فيما بعد شعراء عرفوا قدر بوعمرو واعترفوا

بفضله ونزهوه عما اتهم به معاصروه ، من هؤلاء الجيلانى المشير نالنه  
قال فيه :

ماوتيتى حاشا لله \* غير سماعتى من تهواه  
زاد لك اولاعا

الزهو فسطور انظمناه \* ولعوا ساقى سميناه  
ولودن سماعا

ومنه كذاك التهامى المدغرى شاعر الغزل الاول فانه قال :

لو كنت فى ازمان «العاشق» \* انكون لو الخو الشقيقتى  
وانحق للجحود احقايقى \* وانقول بالنائم فقى

والحقيقة أننا حين ننظر فى قصيدة «عبلة» لبوعمرو نكاد نلتمس  
العذر لثورة معاصريه الذين لم يالفوا فى الزجل غير المدائح النبوية  
والتوسلات والمواعظ ، ثم فجأة يسمعون لشاعر مثل هذا القول :

انظم وانغنى سعدى اسكام لى \* رانقول افعلتى وشعرى واسجالى  
فى محراب لغرام هى القبلا

ليس من شك فى أن بوعمرو كان جريئا على مجتمعه المحافظ حين اعتبر  
الحبيبة قبلته فى محراب الغرام ، بل انا لا نجد شاعرا آخر من الغزلين  
الذين جاءوا بعده استطاع أن يجرؤ على مثل هذا القول باستثناء التهامى  
المدغرى الذى قال فى قصيدة «غينة» :

اخلعت لعدار فى محراب لهوى وصليت \* وامطارب لخمى تركع لصلاتى

ومن عجيب أن الموقف الذي اتخذته معاصروه منه بمنع تداول كل شعره وما نتج عنه من انتشار قصائده الغزلية في بيئات خاصة حمى هذه القصائد من التلف والضياع في حين ضاع كل ما عداها من زجله .

ثانيا : تطور الشكل :

ويتمثل عند بوعمر في ابتداعه وزنا قصيرا لكل من البحرين الثنائي والثلاثي ، وفي نظم قصائد خفيفة للثناء .

#### 1 - الوزن الاول للبحر الهشبي :

ويعتبر أصغر وأقصر أوزان هذا البحر ، وقد سبق اليه في قصيدة «زهرة» التي يقول في حريتها :

زوريني قبل الانقباز \* ياهلال الدار زعرا

ويؤكد الاشياخ أن أحدا لم ينظم في هذا الوزن غير التهامي المدغري في قصيدته «فروح» التي يقول في مطلعها :

مال ذاك الغنج الذباح \* كاي زيد القلب المجروح

#### 2 - الوزن الاول للبحر الثلاثي :

ويعتبر كذلك أصغر وأقصر أوزان هذا البحر ، وكان أول نظمه عليه في قصيدة «عبلة» وهذه حريتها :

ايلا اتعذبت اعذابى من اناجلى \* وبلا نا هنييت واسعدنى فالى

اسبابى فالهنا اغزالى عبلا

ويؤكد الاشياخ كذلك أن أحدا من الشعراء لم يوفق في استعمال هذا الوزن كما وفق الفقيه العميري ، على حد قوله في إحدى قصائده :

بارت احيال لعقالا افجيلنا \* والحق اغبر ولعلايم كبالا

وعلامات المسيح لنا وصلو

#### 3 - قصائد خفيفة للثناء :

اضطر بوعمر الى نظمها تلبية لطلب جمهوره الجديد بعد أن أعرض الاشياخ عن شعره ومنعوا تداوله ، وهو جمهور - كما سبق أن ذكرنا - محصور في نطاق النساء والشباب . وقد وقفنا على قصيدتين من هذا النوع الغنائي الخفيف ، يقول في الاولى على لسان فتاة سافر

حبيبها الى فاس وتركها وحيدة لا تكاد تنام حتى يوقظها صوت حلقات  
أذنيها لتسهر طوال الليل معذبة على آلة القلب ، وهي ترجو الناس أن  
يحدثوا أباه وأمه وعمها في كولميم ليندعبوا في البحث عن حبيبها الذي  
طالت عيبتها وكانها مدة عام :

تقرئوا الزوج اخراص \* طار النعاس  
خلوني هنا لونس \* غابوا القاس  
انبات ساهرا فالليل \* ليلى اطويل  
لو اعمل كيف كان اكبيل \* بانسى اهبيـل  
تاسيت فالعذاب اشحال \* نلبسى اعليـل  
دالشي احرام أو احلال \* صدوا الخيل  
جاني البارح فالنـام \* مساشم اليوم  
واشمو البارح افنيـام \* أنسيتهم  
اتقول غاب هذا عام \* ردى النـوم  
دالشي احلال أو احرام \* صدوا الخيل  
لاغيوا لى ابا وامى \* لا غيسهم  
لاغيوا لى اعلى عمى \* من كولمـيم  
افتشوا على نجسى \* بين النجوم  
دالشي احلال أو احرام \* صدوا الخيل

ويقول في الثانية مستعرضا مجموعة من الفئات المزدغيات في  
سن المراهقة يتحدثن باللهجة السلحية والعربية ، وقد لمع جبينهن كالبدر  
وانطلق شعرهن الفاحم على الحدود ، وما كاد يراهن حتى أحس بدوار ،  
ودخل معهن في حوار حيث سألته عن مكان قدميه فرد بأنه من منطقة وزغة  
جاء الى امزغا لينظر الى طغيان الجمال في خدهن وليعاني من جفائهن  
ربى حبهـن :

روح اتشوف الزين ياللى ما شاف الحسن فامزدغيا  
طفلات افجهـم لمـوغ  
صاكا صاكا دايزين اعلى ورغا رافدين صيغا  
يلغوا بشاءا اولـوغ

اجبين كالبدن والتيتوت مفروغين اعلى لخدود فرغا

واين اللي راهو ايروغ

مهما ريت ابهاهم دوخوا دماغى ياصاغى ولا وجدت وين انروغ

قالوا لى امنين اتكون قلت لهم أنيا من احواز ورغا جابتنى رجلى انزيغ

انشوف الزين افخذكم طاغى \* وانتما حبكم باغى

جفالات كلكم غواغا \* مزينكم بملاغا

والجدير بالملاحظة أن مثل هذه الاغنيات خرجت فيما بعد من نطاق

مجالس النساء والشباب ودخلت مجال الانشاد حيث اتخذها المنشدون

لخفتها مقدمات للقصائد الكبيرة يضبطون بها ايقاع النغم والدجن ، وقد

نطورت هذه المقدمات الى ما عرف فيما بعد بالسرايات كما سنرى فى

الفصل الثالث من هذا الباب .

وقد ظل بوعمر وطوال حياته ينظم فى الغزل لم يتراجع عنه الى أن

وافته المنية ، فرثاه أحد رفاقه فى التلمذة على عبد الله بن احساين هو

الحاج عمارة الفاسى بقصيدة منها هذه الايات :

مال دمعى عن خدى واد \* مال ذاتى فيهما رعدا

مال قلبى خافق فدفا \* جرحى الف غدا

مال عقلى ياويحى باد \* مال شعبرى مايتسدا

آح اعليا ياالعباد \* من احراق احبيب الكباد

النبيل الفد النشاد \* سيد من غنى أو اشدا

بوعمر لمينير الوقاد \* احبيب الا ليه افدا

### الحاج اعمار

من شعراء فاس كما يصرح فى آخر قصيدته «الحجة» اذ يقول :

والذى سالك عن اسمى ابلجهار \* الحاج امارا مادح درت النوارى

من امدينة مولاي ادريس صيل لطهار \* امدينة العلم وأرض النور افلقطارى

وهو من تلاميذ عبد الله بن احساين ، وقد ذكر لنا بعض أشياخ فاس

أنه نشأ فى طريانة بالطالعة الصغرى ، وأنه عمر طويلا حتى قارب المائة



عام ، وأنه دفن بمقبرة باب الفتوح فى نفس المدينة ، وعلى الرغم من أننا لا نعرف بالضبط تاريخ وفاته فإنه من المؤكد أنها بعد وفاة بوعمرو لأنه رثاه .

وقد وقفنا من زجته على أبيات فى رثاء ابن احساين وبوعمرو سبق أن أشرنا إليها ، وعلى قصيدتين : احداهما «فاطمة» والثانية «الحجة» . وعلى الرغم من أنه نظم فى الغزل قصيدته الأولى فإن أحدا لم يثر عليه ولم يخاصمه ، ولعل مرد ذلك لمرتين :

**أولهما :** أن ثورة الاشياخ ضد الغزل كانت قد هدأت لا شك ، ولعلهم بدأوا يالقونه ويعجبون به ، علما بأن قصيدة «فاطمة» مؤرخة خمس سنوات بعد قصيدة «عبلة» لبوعمرو الذى ربما كان توفى حين نظم الحاج اعمارة قصيدته ؛ ويتضح تاريخ نظمها من قوله :

رمز الحلا ياللى اصغى «غالى» ذاك اقوام \* مهديا لام النيوت مولاتى فاطما  
ذات الزين الفايز الدكى سلسالت لكرام

فقد رمز ب : غ - ل أما الغين فبتسعمائة وأمام اللام فبتلاثين أى أن القصيدة نظمت سنة ثلاثين وتسعمائة .

**الامر الثانى :** ان الاشياخ بدأوا يلتمسون التبريرات للحاج اعمارة ويحاولون تأويل قصيدته زاعمين أنه لا يقصد غير فاطمة الزهراء (I) .

وباعان النظر فى قصيدتى الشاعر يتبين لنا جانبان من جوانب التطور يبدو أن الحاج اعمارة سبق اليهما ، أما الاول فوزن جديد للبحر المتننى يعرف ب «قياس لمشركى» ويظهر فى قصيدته «الحجة» وأما الثانى فمقدمات الاقسام المعروفة ب «النواع» وذلك فى قصيدته «فاطمة» .

**أولا : قياس المشركى :**

وهو وزن من البحر الثنائى سبق أن رأينا (2) أنه أسهل أوزان هذا

---

(I) فى حين أن الواقع غير ذلك كما بينا فى الملاحظة الثانية بآخر فصل «المرأة» من باب (الموضوعات) .

(2) أنظر الجزء الأول من الفصل الثالث من باب «الشكل» .

البحر ، وكان أول ما نظم فيه قصيدة «الحبة» التي يقول في حربتها :  
يا لعظمرا قولوا بالسر ولجهار \* الصلا والسلام اعلى النبي المختار  
وهي قصيدة تحدث فيها عن أدائه لفريضة الحج ، ويبدو أنه نظمها  
في البقاع المقدسة ، ومن هنا جاءت تسمية وزنها بـ «المشركي» منسوباً الى  
المشرق ، بل انا نراه يؤكد ذلك حين يقول في البيت الرابع من القسم الاول  
انه أتى به من مكة :

واش كنزوا من لا كنزوا قياض لشعار \* يوم جبت من مكا تربت الطهاري  
ويقول كذلك في أول بيت من القسم الخامس والاخير :

هاك ياراي درأ من ادرار الشعار \* في اقياض امشركي من بلدة السراي  
والملاحظ أن شعرا لم ينشأ من هذا القرن - كما جاء به الحاج اعشاري -

احسن من التهامي المدغري في قصيدته «فروح» التي يقول في حربتها :

هانروح المفرح ولا نروح بالراح \* دهن راحة روح اللوامح افروح  
ثانيا : مقدمات الاقسام (النواع)

اعلمنا ظهرت لأول مرة في قصيدته «فاطمة» التي يقول في حربتها :  
اذا فطمتني اعلى امواك اباشت لريام \* وانت مخطوما اعلى اعذابى يافاطما  
والتي فرمتنا ايلمنا ما طالست ليام

فقد قدم لكل قسم بايات ثلاثة ابتداء من القسم الثاني دون الاول  
الذي كان يمهده له بالمعربة على عهد الحاج اعشاري ، ثم اصبح يقدم له فيما  
بعد بالسراية .

وكشال على ذلك نورد «نواع» القسم الثالث من القصيدة ، وفيها  
يقول :

كم اسنين وكم امن اشهور \* واشحال من اليالى داروا وانهايسر  
ونيا منسى مهجسود \* طمس امحايى واشرايى لرايى  
بعد الصبر اكتبتم مسطور \* مرسول سار به وعايينت ابشاير  
وبها ينتقل للقسم حيث يقول :  
افاطما لله جا اكتابى فايح بنسام \* افاطما لاجواب جانسى لا تسليمما  
اطردتى مرسول عاشقتك وانسميت ليام



### أولاً : البحر الرباعى :

فقد جعل البيت مكوناً من أربعة أشطار على حرف واحد فى القافية وبحركات مختلفة ، والتزم نفس الحرف والحركات فى كل القصيدة ، ويتضح ذلك من حربتها التى يقول فيها :

صلى الله امع املايكو عل لحبيب السارى \* وامر هل ليمان افلبشر  
بصلاة الهادى امع اسلامو بايات اسوارو \* صلى الله اعليه وافرا

فانه التزم قافية الراء فى كل أبيات القصيدة وجعلها فى الاشطار الاولى على الكسر وفى الثانية على السكون وفى الثالثة على الرفع وفى الرابعة على الفتحة .

ومن الزجالين الذين نظموا على هذا البحر بنفس الوزن محمد بن على ولد اريزى فى قصيدته «الوصية» وان لم يلتزم بنفس الحرف والحركات المختلفة ، وفى لازمتها يقول :

بعض الناس احباب درتهم نوجدهم اعدايا \* من عدالى كرهنا احصل  
واعيت انهادى افحيهم ماداروا بهدايا \* كل مادارو لنا اوصل

### ثانياً : البحر الخماسى

نظم عليه قصيدته «طامو» التى يقول فى حربتها :

قالت يما اتقول طامو \* قلت او أبيك يالطام  
يا قد اعلام فاللطام \* قالت ترا يقول طاما  
ترات ايقول فاطما

ويذكر الاشياخ أن أحدا لم يستعمل هذا البحر فى نفس الوزن الذى وضعه له ابن احساين كما استعمله التهامى المدغرى ، ومن الامثلة على ذلك قصيدته «فارحا» التى يقول فى حربتها :

سلتك ببهاك يالرايح \* مالك سكران دون راح  
ونا عقل امعاك راح \* بايت من ليعت لجرايح  
ساهر والناس رايجا

ثالثا : التجنيس (1) أو الجناس

ويتضح سبق محمد بن حسان إلى استعماله في هذا البيت من قصيدة «طامو» حيث يقول :

كيفى بنا انهار ناموا \* عيني فعيون موحرام  
واعقبني من الهام هام \* بالحال اللي افقلب شاما  
فوق الورد النامما

فالهام الاولى بمعنى الراس والثانية فعل الهيام .

رابعا : التصريف (2) :

وهو أن يتصرف الشاعر في كلمة باستعراض عدد من اشتقاقاتها ، وكأنه نوع من الجناس ، ويتضح ذلك في حربة قصيدة «طامو» .

خامسا : التضمين (3) أو التلزم :

وهو أن يجعل الشاعر قافيته على أكثر من حرف شبيها بلزوم ما لا يلزم في الأدب المعرب ؛ ويتضح سبق ابن حسان إليه في حربة طامو السالفة الذكر حيث جعل القافية على حرفي الطاء والميم .

سادسا : الشعر القصصي :

فقد حكى في قصيدته «طامو» قصة حبه لها بدأها بأول لقاءهما واعجابه بجمالها الذي وصفه في القسم الأول حيث تشجع على أن يسلم عليها ويسألها في نهايته عن اسمها ، فقال :

قلبي فيها القى اغرامو \* زعم نطقى اعلى السلام  
ماودت بالحيا اسلام \* جرت قبظتها ازعاما  
قلت اسمك بالناسم

---

1،2،3) أنظر الجزء الثاني من فصل «اللغة والفنية» بالباب الاول .

فأجابته بأن أميا تسميها «طامو» ، وحين سألها بم يسميها أبوها ردت  
بأنه تارة يتادىها بطامة وتارة بناطمة ، وقد ضمن هذا الاستجواب في حربة  
القصيد .

فزاد جوابها لوعته وسرى في جسده كالخمر وأسكره وأفقده وعيه  
وعقله ، ولكنها لم تلبث أن لاذت بالفرار وكأنها الفزال حين يحس بالخطر  
الصياد يحوم حوله ، ولم تفعل كالعادة توهم نفسها أنها بعدت عن الخطر  
بدفن رأسها في الرمال ؛ وساعدتها على الفرار أقدام شابة قوية لم يقدر على  
متابعتها لو هن عظمه ، فاختلفت عن نظره طائرة كحيامة وتركته كالقمرى  
الظامى ؛ ذلك ما يحكيه في القسم الثانى اذ يقول :

صوت العذرا مع انغامو \* امرا فمفاصل لجسام  
خمر ذاتى ابلا امدام \* وافقدت العقل والفهام  
صدقته هي الفامما

دارت مادار في اوهامو \* لفزال الراتع لوهام  
حس بالصياد به حام \* ما درق راس كالنعاما  
وينى طار فالسمما

الباهى عانتو اقدامو \* ونا لموهن لعظام  
ماطقت لجرى ابلقدام \* والخودا كنها الهامما  
فتلول الرمل فاييمما

حتى ختقات بها عدامو \* تلبى من ليمت لغرام  
من بعد اسامم ولكنلام \* طارت كطمرت لحمامما  
نفرت كمرى لها اظما

وظل في القسمين الثالث والرابع يحكى أثر حبها عليه معذبا مسيدا  
طوال شهر الى أن كان يوم خرج القوم للصيد وخرج معهم على حد ما يقول  
في آخر بيت من القسم الرابع :

حتى لليوم فاش قاموا \* المصيد اسياتل لخيام

ونا مالدي امكام \* واخرجت امع اهل الزعاما

اليوت اضرانهم لجمما

ويحكى في أول القسم الخامس أن الناس تشبثوا في البطاح والآكام

بحثا عن الصيد حتى كان آخر النهار وعاد الجميع ، وقد اصطاد بعضهم

النعام والغزال آخرون ، أما هو فعاد ومعه فاطمة :

كلا ننساق في اقوامو \* ما بين ابطايح لوهمام

وتشتتنا على لاكام \* ضلينا كافا اهياما

من مور او حوش هايما

حتى عكب الضيا اظلامو \* عدنا بجميع في اسلام

شي منا قانص النعاما \* شي جاب من لغزال لاما

ونيا جيت فاطما

أدريس المريني

### الثورة على قيود الوزن والقافية

من شعراء مراكش ومن معاصري محمد بن عبد الله بن الحسنين كما

سنرى من مساندته له في دعوته التجديدية ، ذلك أن المريني ضاق بقيود

الزجل المتمثلة في الوزن والقافية ، ودعا إلى التحرر منها في ثورة عليها

تكشف عنها هذه الابيات .

أنا ابغيت ننظم والعرف ابداء يغور

اعلاه ما يكون الشعر ابلا حرف

غير حس او قول الكلمات

ولودن تسمع ما قلتي

ولقلوب اتغنى بغدالك

تابعا تلديد المعنى

ولا اعنات ابشى قافيات

.....

لاش نهجس فكري فالحرّف

ونعجس عقلي فالتبسيط

ولفكار اتمائل لطبور

مارضات اقفز من لبيات

جايب اسلوكو من لحروف

والركايز من لقياسات

فهو في هذه المقطوعة يوضح فكرته ويدافع عنها بروعة ، انه يريد أن ينظم ولكن القافية تخونه . ولم لا يكون الشعر بلا تقفية ؟ لم لا يكون مجرد كلمات تعبر عما يحسه الشاعر ، تسمعها الاذن ويتغنى بها القلب متجاوبا مع ما فيها من معنى رائق لذيد دون اعتماد على القافية ؟

ويتساءل في الجزء الثاني منكرا تقييد الفكر في القافية والعقل في الوزن ، في حين أن الافكار كالطيور لا ترضى أن تعجس في قفص الابيات المشبهة أسلاكه بالقوافي وركائزه ب «القياسات» .

والعجب أن المرينى لم يتعرض لنقد معاصريه الذين لا شك فوجئوا بهذه الدعوة التحريرية ، وربما كان السبب في سكوتهم أن عميد الزجل في وقته وهو محمد بن عبد الله بن احساين لم يتخذ من دعوة شاعر مراکش موقفا معاديا ولا حتى سلبيا ، بل على العكس من ذلك وقف منها موقفا ايجابيا كأحسن ما يكون الايجاب وأقواه ، فنظم قصيدة على نسق مقطوعة المرينى دليلا على تجاوبه معه ومساندته اياه ؛ والاسف أنا لم نقف من هذه القصيدة الا على هذه الابيات القليلة التي يقول فيها :

وصف لهوا وعدو خبرو به لكتوب

اصغ انصف احساب اعدادو

للذى سول بجهادو

وجاه محال افترشادو

ونكاد نجزم بأن هذا التجديد في نظام الوزن والابيات والقافية هو



الاساس الذى اطلق منه مكسور الجناح والمستتب والسوسى .

### عبد العزيز المغراوى (1)

عميد زجالى عصره كما يكشف وصف الاشياخ له بأنه «شجرة الكلام» عاش فى النصف الثانى من القرن العاشر وأول الحادى عشر ، وكان معاصرا للمنصور (2) السعدى ، حيث نجده يرثيه بقصيدته التى تسمى «لعزو» والتى يقول فى حريتها :

عام شايب مات الذهبى اخيار لشراب ، هابى السعدى بساش ايرججسو  
وهو من أمغرا فى صحراء تافيلالت ، وقد ذكر لنا الشيخ بنعيسى الدراز  
أن أحد شعراء فاس - واسمه باحدو - كان يتهاجى مع المغراوى فيعيره  
بصحراويته ، فكان المغراوى يرد عليه بمثل هذا القول معتزا بأصله  
وشرف نسبه :

فيلالى ياحزين مائكر حسبى من جد الجد

من اقريش الى عثمان

(1) وجدنا فى بعض مصادر التراجم المغربية ذكرا لعالم يدعى عبد العزيز المغراوى من تافيلالت كان قاضى الجماعة بفاس وكان يعيش فى نفس الفترة التى عاش فيها شاعرنا الزجال ، ولكننا لا ندرى ان كان هو أم غيره ، وقد سألنا عن ذلك من عنوا بالتاريخ لعلماء فاس فلم نظفر بجواب . ومهما يكن فانا نورد ما وقفنا عليه فى تلك المصادر . يقول محمد الصغير الافرائى المراكشى فى «كتاب صفوة من النثر» من أخبار صلحاء القرن الحادى عشر: «ومنهم الفقيه القاضى أبو محمد عبد العزيز بن على الفيلالى المراكشى المغراوى قاضى الجماعة بفاس ، كان فقيها مدروسا أحد عن ابن مجير والمنجور والحميدى والسراج ، ذكره سيدى العربى الفاسى فى تأليفه المعمول فى شهادة اللقيف حسبما ذكره الشيخ ميارة فى شرح الزقاقية ، توفى رحمه الله عام أربعة عشر وألف» . (ص 102 ط فاسية) .

ويقول أبو عبد الله محمد بن الطيب القادري فى «نثر المثنى» : «ومنهم الفقيه العالم القاضى عبد العزيز المراكشى المغراوى الفيلالى ولى قضاء فاس بعد أبى مالك عبد الواحد الحميدى ، وفى وفاته قال المكلاتى :

فواها لاحكام توارى شهابها » بعد العزيز المراكشى المعزل»

(ج 1 ص 98 - 99) .

(2) هو أحمد المنصور الملقب بالذهبى ، تولى على اثر وقعة وادى المخازن سنة 986هـ وتوفى سنة 1012هـ .

ولعله كان من العلماء على حد ما يقول عنه الادريسي في «كشف الغطا» :  
«وكان من أهل العلم وذوي الزهد والورع» (1) . وعلى حد ما ذكر لنا آغا  
الاشياخ من أنه كان يدرس بجامع القرويين . ويقولون عنه أنه انتقل إلى  
فاس وأقام بها مدة طويلة ، وأنه خرج إلى رحلة استطلاعية في بلاد الشمال  
الأفريقي دامت بضعة شهور عاد بعدها إلى أمشرا ، ويقولون أنه خرج بعد  
ذلك بظاهرتين جديدتين في عالم الزجل هما : «الصروف» و «العروبيات» .  
أولاً : الصروف :

أحس المغراوي أن الشاعر إذا أراد أن ينظم قاس على قصيدة غيره ،  
ليست له قواعد أو ركائز أو ما يسمى غي العروض العربي بالتفعيلات ، فدعا  
إلى اتخاذ «الدندنة» مقياساً و «صروفا» لوزن الأبيات . وقد سبق أن رأينا (2)  
أن هذه الدندنة تقوم على «دان داني» وانها مقياس موسيقى صرف ، أساسه  
النظم والايقاع ، كما سبق أن مثلنا لتطبيقها بمثل قولهم بالنسبة لهذا البيت  
من شمعة ابن علي :

ايلا باكيا بسقامك شوفي اسقام حالي \*

من قيس وارثو بعد افناه اغرام حيب ليلى

أدان دان داني داني يادان دان دانى \*

أدان دان دانى داني يادان دان دانى

ثانياً : العروبيات (3) :

وهي الأبيات التي يقدم بها للأقسام ، ويذكرون للمغراوي من قصائده

(1) كشف الغطا عن سر الموسيقى ونتائج الغناء . ص : 112 .

(2) أنظر الجزء الأول من فصل «العروض» بالباب الأول . والجدير  
بالملاحظة أنه يوجد في الزجل التونسي وزن معروف يطلقون عليه «المغراوي»  
يترجونه تحت نوع يسمونه «التقسيم» يسمي على الشكل الآتي :  
لسم المعبود في البقا واحد احسد \* لا دونو دون ابتسخيرو جرت الاقدار  
(أنظر مقالا لمحمد المرزوقي بعنوان «الشعر الشعبي في تونس» نشر  
في مجلة الفنون الشعبية بالقاهرة - العدد الأول - السنة الأولى 1965) .  
فلعله منسوب للزجال المغربي عبد العزيز المغراوي ، خاصة وقد عرف عنه  
أنه قام برحلة طويلة للشمال الأفريقي زار خلالها تونس والجزائر .  
(3) أنظر الجزء الثاني من فصل «العروض» بالباب الأول .

الاولى التي اتخذ فيها العروبيات قصيدة «الغاي» التي يقول في حريتها :  
رد بالك للقبلا را الحال ضسوا \* ولقبول امن الله امقرب لخطاوى  
نقد قدم لاحد انسماعها بيتا : الغريب :

يا راسى تب شف لمآثم يقواوا \* تب المولك تب يا هذا المنوى  
واعمل حسنات قبل لصحوف ينطواوا \* تلقاعم فارغين واتولى مكوى  
يبليس امع النفس فى الغى اتواوا \* وامت ما زال غابط وزايد تهوى  
راسى لله لين غادى يامقوى

أما القسم فغير :

ياللى كايستها سهرامسور سموا \* فارغاسهولك استيقظ لاش ذا السهاوى  
ماحضنا زرع اللى ما حارثو افرىوا \* ولا حث من يرجا لسوايع لفجاوى  
لا اتخاف امن الذنب اىلا اتقل واقوا \* تب لله ايقم الليل ذا اتسآوى  
قم واستغفر للمولى افكسل نجوا \* اولنا تنخل نفسك تبوا مع السهاوى  
اترك ارضا النفس ويبليس لا تنكوا \* يحلق فعلو الروح العالى السطاوى  
بالشماكي من دا فالدين جالك ادوا \* اىلا اتعملو تضمجى من كل دا امدواوى  
ويعتبر المغراوى من كبار الشعراء الذين بوزوا فى الموضوعات الدينية،

ومن أهم قصائده فيها «المعراج» التي يقول في أولها :

لسم الله لمظيم ذا العرش الديان \* رافع افلاك انلها دون اعساد  
من خص المرسلين ابآية البرهان \* وارسلهم اباهما ودين الارشاد  
لسم الله ابديت نظم لسمد به \* ويحتمس ابصكمتمو ما لم نعلم  
بجاه اجلال اقدركو وارجايا فيسه \* يهدينى للصواب تحمدي نظم  
خالص مدح الرسول صلى الله عليه \* ازل امع اصحابو عد امراج اليم

ومنها كذلك «هول القيامة» التي يقول في أول انسماعها :

نعم القيوم خالق اكوان الكونين \* وسير امسيرها اعلى وفق امرادو  
الكون الملولى انشاء اعلى وصفين \* العلوى والحضيض ملك وابلاود  
والفوقى لملايك جميع الثقليين \* والسفلى كون الجمهور اعبادو  
والفلك الدايم لمغيب \* فاسيار اسميار لودود  
والنار الكاخرين تلهب \* بلغاها مالها اخمود

وانعيم السرمد لمؤهب \* لاهل الاسلام افلخلود

من آمن بالله والرسول لخيار \* سعدو الرحمان واستقام  
واكمل اسعادت الهادي نعم المختار \* الماحي صاحب لحسام  
وعلى الرغم مما يقال من أنه لم ينظم فى الغزل فقد وقفنا منه على  
عروبيين مرتبطين بحادث وقع له يستنتج منه الاشياخ صلاح الرجل وسمو  
نفسه وتقواه . يحكى فى هذا الحادث أن المغراوى كان خارجا من جامع  
القرويين فلقى فتاتين تتوادعان فقال لهما معلقا : «وأنا أين اذهب ؟» فردت  
عليه احدى الفتاتين : «اذهب الى الحبس» فما كان منه الا أن ذهب فعلا  
الى السجن وأقسم ألا يخرج منه الا اذا حضر الشخص الذى أمره بدخوله ،  
وكانت للمغراوى مكانة وسمعة فى فاس فاضطر باشا المدينة الى أن «يطلق  
البراح» أى المنادى يجول فى الاحياء يطلب حضور الشخص الذى دعا على  
المغراوى ، وكان خارجا من القرويين ، أن يدخل السجن . وسمع أبو  
الفتاة النداء وأخبر به أهله فعلم أن ابنته هى المعنية بالامر فذهب بها فأطلقت  
سراحه . ويقال انه بعد أن حضرت الفتاة لتسريحه أنشأ هذا العروبي  
- ويبدو أنه كان مولعا بنظم العروبيات حتى فى غير القصائد - :

ركبت اعليا عنسى من طاق الطاق

وكل طاق ابواق

عينى رات شى ازواق داروه الحداق

مر مر العاشقين منو يحماقو

هذا حال لغرام يا من لاذاقو

وتذهب الحكاية الى أن الاب قدم ابنته للمغراوى زوجها له ، وفى ليلة  
الزفاف دخل المغراوى غرفة زوجه ، ولكنه لم يلبث أن خرج منها دون أن  
يشعر به أهل الدار ولا أن يعرفوا من أين ولا كيف فعل ، ووجدوا مكتوبا  
على ورقة - تركها لهم - هذا العروبي :

أنا عاشق مانا فاسق

نعرف ربى احقيق

مرجان واعقيق فيدى متلاشى

### الدنيا ما تدوم سبحانه الحي الباقي

أما بعد هذا فبينا أني كنت من كرامات المغراوي أنه حين جاء من الصحراء إلى فاس كان يلبس العصاة والقسيس الصوفييين ، فضحك منه أهل فاس ، ولكنه حين جلس للدرس بهمهم ، وذات يوم حاول بعض رواد درسه أن يهزأ به وسط المجلس فاتفق مع خادمة له أن تائه أثناء الدرس وتزعم بأن البغل مات ويحتاج إلى معجراوى ليقيده ويضفه ، وتأنت العادة ألا يقوم بذلك أهل فاس ، وبما كانت بالفعل وأخبرتة ، فقام إلى المغراوي — وهو يلقي درسه — وطلب منه أن يقوم لدفن البغل فلمي الغلب وخرج من الجامع وذهب مع الشخص إلى المكان (I) المعين فوجد البغل قد مات بالفعل ، فأخذ المغراوي يحرقه من كرامته مازا به من حي إلى آخر ، وكلما مر بحي انهدمت بيوته ودكاكيتة فأدرك الرجل والناس صلاح المغراوي فأخذوا برجونه أن يتوقف عن السير .

ويحكى عن صلاحه بعد هذا أن «بلغته» ظلت جديدة طوال سبعة عشرين عاما لم يلحقها التلف والبلى لأنه كان يسكن المدرسة المصباحية ولا يخرج منها إلا للدخول إلى جامع القرويين لأداء الصلاة .

هذا وقد وجدنا في أول ورقة من كناش (I) يضم قصائد للمغراوي فائدة بقلم كاتبها أحمد الهاللي يقول فيها : «يوجد ضريح صاحب هذا الكتاب بمقبرة تسمى باسمه بين عبد القادر الهاللي جنوبا وامبارك بن عزى شمالا ولا زالت أحد الساعات . له عائلة كبيرة بعضها في أنحاء المغرب وبعضها جالس بقصر امسيفي فرقة الغرفة ، وهم دار علم وكرم وشجاعة وتقوى وصلاح ، وقبره فيه ثلاثة أمتار تقريبا وليست له غيبة حيث يمكن أنه كلما بنوها عليه تهايمت . وتقصده الناس من كل حدب وصوب للبركة . ويقال : كل طوبىل حاوى «سوى» العائلة والمغراوي ، كما يزعمون أن الشقي — وقانا الله — هو الذي لا يزور قبره» .

I يقال انه هو المعروف الآن ب «زقاق البغل» وإن سبب التسمية هذا الحادث .

(I) مخطوط الخزائن الملكية رقم 860 .

من كبار أشيخان القرن الحادى عشر ، وهو امتداد للمغراوى وعميد الزجل بعده كما تكشف القولة السائرة «المغراوى شجرة الكلام والمصمودى فرع من فروعها» . ويراد أشيخان الزجل النقاد مقعد الفن وحلقة وصل بين مرحلة سابقة لا يعرفون عنها الا القليل ومرحلة لاحقة كاد الركود يأتى عليها فى البداية ، ولكنها لم تلبث أن شهدت ازدهارا كبيرا سنتحدث عنه فى الفصل الثالث من هذا الباب .

والواقع أن المصمودى يعتبر آخر شعراء مرحلة التطور الذين وصلنا أخبارهم ، فقد انتهى بنا البحث الى أنه شارك فى تطوير القصيدة بشيئين : أحدهما شكلى يتمثل فى محاولة وضع تفعيلات جديدة لعروضه ، والثانى يتصل بالمضمون وهو السبق الى أسلوب المراسلة فى الغزل .

#### أولا : مائى مالى :

اشتهر المصمودى بثورته على «دندنة» المغراوى وتبديلها ب «مالى مالى» حيث يروى عنه أنه قال «زولوا علينا دانى دانى فأت وقتها واعملوا لنا مالى مالى» . وقد سبق أن رأينا (2) أن «مالى مالى» لا تكفى وحدها لضبط الإيقاع ويضطر الرازن بها الى أن يضيف إليها بعض الكلمات التى يشد بها الميزان مثل «الرادا - سيدنا - للأعولاتى للا...» وذكرنا من الأمثلة على تطبيقها قولهم فى هذا البيت من «وردة» ابن سليمان :

لا تلومونى فى ذا الحال جيت نشهد وانودى \*

يا عدولى فالصوت اسبابى خد السوردا

لا يامولاتى للا ويا مالى مالى \*

لا يامولاتى للا ويا مالى مالى

#### ثانيا : المراسلة :

(1) من لطيف الاتفاق أن يطلق «المصمودى» على بعض الإيقاعات الموسيقية حيث يفرق فيها بين المصمودى الكبير والمصمودى الصغير .

(2) أنظر الجزء الاول من فصل «العروض» بالباب الاول .

وقد ظهرت لأول مرة في قصيدته «يامنة» التي يقول في حريتها :  
قولوا ليامنا تهليل العثمانيين \* مينا مينا يامينا امعاك شرع الله

فبعد أن طالت غيبتها واشتدت لوعته بعث لها خطابا مع رسول .  
ولكنها طوت الخطاب وطردت الرسول وهددته ان عاد الى مكانها وطلبت  
منه أن يرجع الى صاحبه ليكي واياه ، وأقسمت بصوم عامها ألا يظفر مرسله  
بها أبدا ، فقد شاءت بعد الوصل أن تهجره ، وهذا حال الجمال ولا بد  
للعاشق أن يرضاه . ذلك ما ضمنه القسم الثالث من القصيدة حيث يقول :

صفت للغزال ابراتى \* مرسولى امشى طرداتو  
اقرالها احروف ابياتى \* «قبطات مصولا عن مخطوطة  
قالت لو : «ابصوم استاتى \* بيا لا اظفر فحياتو  
من ذا النهار ماتتصورمكاني \* وللى العذو ابكى انت واياه  
بعد لوصل ردت انهجرو بلعاني \* هذا حال الزين عاشقو يرضاه  
وارجعت اللبكا بالدمع الطوفانى \* اكتبى نطوا ودرت له اعزاه

ولكنه لم ييأس وأرسل مبعوثا مرة ثانية بعد أن حثه على عدم الملل  
وأغراه بالمقابل ان قضى حاجته . وما كاد يصل الى دارها وينقر الباب  
حتى وجدها في الانتظار وقد انصرفت دموع عينها ، والكتاب بين  
يديها مفتوح تقراه ، فرجبت بسلامه واعترفت بخطأها معلنة توبتها الى  
الله ، وطلبت منه أن يبلغ حبيبها أنها ستلحق به يوم الاثنين ويتنم  
لوصائى . وكذلك كان حيث أوفت بوعدا فسعد قلبه وطابت له الحياة .  
هذا ما يحكيه فى القسمين الرابع والخامس - وهو الاخير - اذ يقول:

عاود قلت : «يا مرسولى \* اترك المواج وارجع لها  
بادر لا تكون امسولى \* لا بد حاجتى تقضيها  
احكى لها وكن امسولى \* ونا بشارتك نعطيها  
وللى لعند ولفى بكتابى ثانى \* نقر باب الدار صابها ترجاه  
وامموع عينها فاقت دمع اعيانى \* واكتبى محلول فيدها تقراه  
«مرسولى عاشقى هو هذا جانى \* املا بسلامو تايها لله

لله يا رسول احبيبي \* ولي أو وفرج نكدو  
ولي وكر لو بذنوبي \* واعطيه الدلال ايسعدو  
ويلا وتيت يستر عيبي \* حاشا مما نخالف عهدو  
يوم لثنين هو العاهد يرجاني \* وانقدو فرجا اعل احسان ارضاه  
وافات يامننا في عاهدنا ثاني \* قلبي من بعد الصدود طاب امناه  
اما بعد المصمودى فقد تشعب شعر المراسلة وتعدى نطاق المحبوبة  
الى نطاق البقاع المقدسة ومقام الرسول عليه السلام ، وغدت قصائده تحمل  
أسماء مثل « المرسول » و « الحمام » و « الورشان » اى الطائر ، بل  
تطور عند بعض الشعراء الى الحديث عن الرحلة والتجوال على حد ما نجد  
عند الكندوز فى « الرحلة » وابن على فى « الطوموبيل » ، وهى قصيدة  
مشهورة جال فيها يسيارته كل بقاع الارض ، وفى حربتها يقول :

سعدى زارتنى اخيلتى لغزال ام ادلال  
وازهينا بعد لوصول واركبنا طوموبيل  
واتسارينا بالجميع فالدنيا عرض وطول



بالشيخ المصمودى تنتهى هذه المرحلة فى أوائل القرن الحادى عشر  
بعد ان بدأت بعبد الله بن احساين فى أوائل القرن التاسع ممتدة عبر  
ثلاث مئات من السنين شهدت القصيدة خلالها تطورا لم نستطع لضعف مادة  
التاريخ والنصوص ان نقف عند غير بعض اعلامه ومعالمه . وكان منتظرا ان  
تستمر هذه المرحلة ويظهر اشياخ كثيرون ، ويبدو انها استمرت بالفعل وان  
الركود اصاب الرواية ولم يصب النظم لانه سيتبين لنا لدى الحديث عن  
سعيد التلسانى أنه حين قدم الى المغرب فخر عليه الزجاون المغاربة  
وعابوا عليه الموازين الجزائرية البسيطة ، وسيتبين لنا كذلك فى الفصل  
القادم انه ما كادت تمر هذه الفترة حتى انطلق الزجل ناهضا مزدهرا ،  
وما كان له أن ينطلق لو لم يستمر سيره دون توقف .



وإذا كنا نرى ذلك فأننا لا ندري الأسباب التي جعلت الرواة يركدون ،  
ولعلهم لم يركدوا وإنما أهملوا قصائد الزجالين المغاربة فلم يتداولوها  
وتداولوا بدلها قصائد الزجالين الوافدين من الجزائر ، والدليل على ذلك  
أن المنشدين المغاربة يحفظون حتى الآن كثيرا من هذه القصائد وإن بعض  
التكنائش التي عنيت بتدوين الزجل تضم منها غير قليل . وربما كان  
العامل في هذا التحول إعجاب الرواة بإنتاج الشعراء الوافدين وما كان  
لهم من مكانة عند السلاطين جعلتهم يبسطون نفوذهم على الحفاظ ويغرونهم  
برواية قصائدهم . وتلك عادة جبل المغاربة عليها ، يؤخذون بما يأتي  
به الغريب ويبهرون به حتى ولو كان تأفها غير ذي قيمة ، ينطبق عليهم  
ما يقال في المثل من أن «عقبة الحي لا تطرب» .

والأسف أنه حتى بالنسبة للزجالين الوافدين ظلت الرواية محصورة  
في شعر واحد أو اثنين ، ولا سيما في قصائد سعيد التلمساني ، ولعل  
السبب في ذلك أنه كان متصلا بملوك الدولة .

وكم كان يكون مفيدا لو أن الحفاظ قدموا لنا أسماء أغلب الوافدين  
وكثيرا من قصائدهم ، ولو أنهم رويوا كذلك إلى جانبها أسماء المغاربة  
وقصائدهم ، ولو أنهم فعلوا لكان في إمكاننا أن ننظر في إنتاج هؤلاء  
وأولئك ومدى التأثير المتبادل بينهما والمنافسة كذلك . حقا لقد وصلتنا بعض  
أزجال الصوفية في هذه الفترة ، ولكنها محصورة في نطاق ضيق يجعلها  
بعيدة عن أن تكون موضوعا للمقارنة .

مهما يكن فقد دام هذا الركود زهاء قرن ونصف لم تنفتح سمحاته  
إلا في النصف الثاني من القرن الثاني عشر على عهد السلطان سيدي  
محمد بن عبد الله (I) حيث بدأت فترة نهوض وإزدهار هي التي سنخصصها  
بالحديث في الفصل التالي من هذا الباب . ومع ذلك فقد لاحظنا خلال مدة  
الركود تلك ظاهرتين نرى أن نعرض لهما : الأولى انتشار الزجل في بيئة  
المنصوفين ، الثانية قدوم بعض زجالي الجزائر إلى المغرب .

(I) سيدي محمد بن عبد الله بن اسماعيل ولد بمكناس سنة 1134 هـ  
في ربيع 1171 وتوفي 1204 .

اولا : زجاليون متصوفون

تقدمهم لنا مصادر الترجمة المغربية لهذه الفترة ، وقد وقفنا منهم على هؤلاء : (I)

عبد الرحمن المجذوب :

سبق أن ذكرناه كشاعر «الحكمة» الاول واشيرنا الى مصادر ترجمته واستعرضنا نماذج من أبياته المزدوجة في هذا النوع (2) .  
ونضيف هنا أنا وجدنا في « تحفة الاخوان ببعض مناجب شرفاء وزان » (3) لحمدون بن الطاهر الجوطي ، لدى ترجمة مولاي الدهامي الوزاني وكان ايضا من الزجاليين : «انه ذكر بين يديه كلام سيدي عبد الرحمان المجذوب ، وهو :

غميت نظري افنظرو ۞ وافنيت عن كل فاني  
حققت ما نظرت غيرو ۞ اورحت والقلب هاني

(I) ليس مقصودنا استقصاء كل المتصوفة الذين كانوا ينظمون الزجل فلعل معظم رجال التصوف كان لهم ميل الى نظمه لاتصالهم بالجمهير . ومن هنا لا سبيل الى تتبع هذه الظاهرة ، ومع ذلك نود ان ان نضيف الى من ذكرنا : السيد الغزواني . فقد وجدنا في كتابه عبد الله الشرقي (مخطوطة الخزنة الملكية رقم 5958 وهي مجموع من الكراريس والاوراق) : «ومن كلام سيدي الغزواني نجل سيدي محمد الشرقي نعم الله بهما أمين :

ريت لعريس انعرس ريجو ايهوس من شرق وغرب اتهوس يا بابا  
انخضر الى يابس يفجي الدحامس ايسوى الى ناعس يا بابا  
جوابه لاييه نفعا الله به أمين :

هيا الراقد نض اسال فوق المعاني ۞ كان اسال تعطيك اخبار يا بابا  
لا بد من لهوال عقبي الليالي ۞ «ارس اعليك افحالي يا بابا ... »  
وهي قطعة من عشرة ابيات .

(2) انظر آخر الفصل الاول من باب « الشكل » لدى الحديث عن « الحكمة » كنوع من الزجل .

(3) ص 100 - 101 طبعة حصرية .

فقال مولاي التهامي رضى الله عنه. هذا انما قضى حاجة نفسه ولم يقض حاجة لغيره فاننا لا اقول هكذا فليل له وكيف تقول يا سيدي ؟ قال أقول :

من جا الحضرتنا يسرا \* يحمي ابقاه مستمن  
ايحيى لهاس يمشي نقرا \* وسيدنا محمد ضامن «

مقام القمري :

سبق ان ذكرناه كذلك في نفس الموضوع (1) ونضيف له هنا مراسلة زجلية دارت بينه وبين ابي المعاسن الفاسي (2) تدل على انه كان ينظم في غير المزدوجات الحكيمة ، وقد ذكرها محمد المهدي بن احمد بن علي ابن ابي المعاسن يوسف الفاسي في «كتاب منيع الاسماع في ذكر الجزولي والتباع وما لهما من الاتباع » فقال : «وكان الشيخ صاحب الترجمة صاحب فيض وقوة في حاله فكان لا يعتبر أحدا يشكره لكنه اذا وجد من هو اعلى منه أنصف له واعترف ، وقد كان وقع له انكار في جانب سيدي يوسف الفاسي بسبب كلام بلغه عنه حمله على غير وجهه فكتب - اعنسى صاحب الترجمة - اليه كلاما يعرف فيه بحاله ويصف له مبالغ الرجال ويدعوه الى صحبتته ، فلما اجابه سيدي يوسف وتعرف له اعترف بتقدمه عليه . وذكر ذلك هنا متآله لما فيه من وصف صاحب الترجمة لحاله وهو اعرف بنفسه من غيره . قال صاحب الترجمة :

الملك والملكوت وصفهم منعوت اهل الجبروت ما غيبوا عنا  
تنوح السموت على ارباب القوت بادر لا يفوت عندك وقتنا  
شموس القلوب تشاهد المحبوب في عالم الغيوب شرابها مختوم  
الشرق والجنوب في طيها مكتوب تخرق الحجب للواحد اليوم  
رياح الصبا تأتي على غبا وارباب المحب ما خفاهم حال

---

(1) انظر آخر الفصل الاول من باب « الشكل » لدى الحديث عن «الحكمة» كنوع من الزجل .  
(2) المولود سنة 937 هـ بالقصر الكبير .

القلب نسا من سررك اقربا والروح جاذبا في حضرة الجلال  
نفحات المحب من رياض العرب بها لم يزل روضا زاهيا  
اذا سقيتوني اشرب الرشيـف ثم انشاهدوا ليلى كما هيا  
قولوا للنسوى اتـهيج لهوى القلب انكوى من حبك الحراق  
الغيت النسوى وتركت ما نهوى فالوا الى الدوا في راكب البراق

فبلغ سيدي يوسف خبر هذا الكلام قبل ان يدخل يده وانه  
قاله معرفا له بحاله لما بلغه عنه وانه مع ذلك انكر حاله فكتب اليه كتابا  
يذكر له توجيه ما اراد بكلامه في شأنه وانه ليس من دأبه البحث في  
الخلق جملة فضلا عن مثله ويعلمه بانه ممن يحبه ويحسن الظن به ويعرض  
عليه حاله على جهة اتهامه لنفسه لما بلغه عنه من انكاره وتنازل معه في  
ذلك كله غاية التنازل ثم دخل يده كلامه فاجابه عنه بكلام على وزنه  
وقافيته معرفا بحاله هو نصيحة له وتنادية لحق كتابه ، فقال :

الملك والملوك في طينا منعوت حتى الجبروت لا يختفى عنا  
جملتها مبتوت حتى الرحموت وقات النوقوت هو وقتنا  
شمسودا التحقيق قد تعطى حقيق لمن سير وديق للواحد القيوم  
عقوف بالتوفيق فنعتو ارشيق قل يستقى الرحيق الصافي المخنوم  
رياح الصبا ما تنتهى عنا والعالم الاسنى هو مصعد الكمال  
القلب للمعنى والروح متهونا والسمر يتعنى من سرذا الجلال  
نفحات المحب وكذلك المحبوب فارياض التعريف احوال مستويا  
لكن فالتهذيب يختلف السطوب حتى في التشريف اسرار سرىا  
من هو متهنا ما يخشا لعنا بشرب يتعنى يمسى من السباق  
موصول المنا من كل ما يشمنى محفوف بالعنا في الواحد الخلاق (I)  
هذا وينسب له بعض الاشياخ القصيدة «الفياشية» التي حريتها :

انا على فياش \* واش اعليا منى

كما ينسبها له جامع الكناش ك 3027 (I) من مخطوطات خزانة  
الرباط العامة . مع ان المعروف انها للمشيخ عبد الوارث .

محمد بن عبد الكريم بن يحيى التنازى :

ترجمه محمد بن على بن مصباح المعروف بابن عسكر فى «دوحة الناشر  
لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر» (2) وعنه نقل الحضيكى  
فى « المناقب » (3)

قال عنه ابن عسكر : «وحدثنى بعض الفضلاء من اهل بلده قال : كان  
المشيخ رحمه الله عاشقا لا يكاد يفارق السماع ساعة واحدة ، وله قصائد  
كثيرة :

خرجنا واحد الصباح \* انشاهدوا روضا ابهيا

واطيار تشهد يا صاح \* لله بالوحدان يا (4)

وقال عنه كذلك فى نهاية ترجمته : «واسه توشيحاح وقصائد  
ومقطعات كلها رائقة وله على برودة الامام البوصيرى تخميس عجيب ، وله  
فى فن التصوف العجيب من النظم والنثر .. توفى فى آخر العشرة الثانية  
والله اعلم» (5)

محمد بن يحيى البهلولى :

ذكره ابن عسكر فى «الدوحة» فقال عنه : «كان هذا المشيخ ممن لازم  
باب الجهاد وفتح له منه ، وله فيه اشعار وقصائد زجلية وغيرها .. وله  
زجلية ومقطعات حسان فى البحث على الجهاد منها اللامية المشهورة  
التي خاطب بها السلطان ابا عبد الله البرتغالى ، ومطلعها :  
قل تلامير محمد يا طلعة الهلال \* الويلة غالسواحل من افضل الميالى

(1) ص : 2

(2) ص 51 - 52 - 53 - 54 ط. حجرية

(3) الجزء الثانى ابتداء من ص : 17 .

(4) ص 51 - 52 .

(5) ص : 54 .

ومنها القصيدة التي مطلعها :

ظهر الرمل مراد والعشر يا كرام \* نكسى على انجهاه سلبتو السلام (I)

عبد الله بن محمد النهبطي :

ترجمه صاحب « الدوحة » فقال انه « الشيخ العالم الزاهد المحقق جنيد زمانه وقطب دائرة أوانه الهضبة الراسخة والحجة الدامغة الناسخة » (2) وان « اصله من صنهاجة طنجة من قبيلة ايمتنة (3) » وان « له تأليف عديدة بين منظوم ومنثور وله فى علم المشاهدة الشان الذى لا يدرك ... وكان الشيخ ابو القاسم بن على بن خجر يقول هو غزالى هذا الزمان ولقد من الله علينا وعلى المسلمين به » (4) . ثم ذكر له كرامات وختم بقوله : « توفى ... سنة ثلاث وسمتين وقد نيف على الثمانين ودفن بزاويته بموضع يعرف بمواهب » (5) .

له « كتاب الاشادة لمعرفة مدلول كلمة الشهادة » و « الفية فى تاريخ الدولتين الوطاسية والسعدية » . وقد وقفنا فى الخزانة الملكية بالرباط على كراس ، لم يرقم بعد ، يضم له ست قصائد زجلية كلها فى انذكر والشوق للحضرة ، منها هذه القصيدة التى يقول فى اولها :

ربى اعظيم يا حضار \* قد جهلت انسوتو  
ايغيب عنى ما نقدر \* او يحضر الموتو  
حب لجمال عذبنى \* يا قوم العندو  
قهر نجلال يقهرنى \* من قربو البعدو  
من لطفو المعين \* يخففنى ويمدو

احمد بن منصور المناسي :

ترجمه القادري فى « نثر المثنى » (6) والحضيكي فى « المناقب »

(I) ص 45 ، 46 ، 47

(2) ص 7 .

(4) ص 7 - 8 .

(5) ص 13 .

(6) ج I ص 255 .

حيث قال عنه «وله كلام ملحون يخبر بالمخيبات ظهر أكثرها ، توفي رحمه الله سنة خمس وسبعين والـف ودفن داخل مدينة مكناس » (I)

ابو البقاء عبد الوارث بن محمد الفياصوني :

ترجمه ابن المقاضي في « نثر المئاني » فذكر ان « له زاوية بناها قرب داره بزقاق الحجر ... بفاس يقرأ فيها اصحابه الاحزاب ، يقرأون صياحا المعشرات وحزب الفلاح وصلاة مولاي عبد السلام بسن مشيش والحزب الكبير للشمادى ، ومساء حزب الفلاح ولا اله الا الله مائتين .. وتوفي رحمه الله يوم الاحد الثالث من ربيع النبوى سنة ست وسبعين والـف ودفن بزوايته المذكورة» (2) . وقد وقفنا له على قصيدة في الذكر حربتها :

لا اله الا الله

يقول في اولها :

الحمد لله والشكر لله على فضل الله لا اله الا الله  
استمع القول واعلى النبى صلى وابصوتك على لا اله الا الله  
يامن هو راغب فالخير وطالب افضل المآرب لا اله الا الله  
وينسب له كثير من الاشياخ القصيدة « الفياشية » التى ذهب بعضهم انها للشمرقى كما تقدم ، وهذه حربتها :

انا مالى فياش \* واش اعليا منى

وفى اول أقسامها يقول :

انا عبد رب له قدرة \* يفون بها كل أمر عسير  
شان كنت عبد اضعيف القوى \* فربى على كل شى قدير  
منى آش اعليا \* ونا عبد مملوك  
والأئمة مقضيا \* ما فالتحقيق اشكوك  
ربى ينظر ليا \* ونا نظرى متروك

(I) ج I ص 73 - 74 .

(2) ج I ص : 26I .

ونؤكد ما سبق ان لاحظنا فى مدخل الرسالة لدى الحديث عن  
الانشاد ان هذه القصيدة جمعت بين المعرب والملحون حيث نجد فى بداية  
كل قسم بيتين معربين يستهل بهما بعد الحربة ، وهى ظاهرة لم نعر  
عليها فى غير هذه القصيدة ، على أننا نلاحظ فى ازجال المتصوفين عموما  
سواء فى هذه الفترة او غيرها ، لغة هى اقرب فى كلماتها وتراكيبها الى  
الفصحى منها الى العامية ، لا تكاد تنقصها غير الحركات لتصبح معربة  
سليمة .

#### محمد بن على بن ريسون :

ترجم له الشيخ محمد التاودى بن سودة (I) فى فهرسته ، (2)  
فذكر ان ولادته كانت سنة ثمانية عشر ومائة وألف ووفاته عام تسعة وثمانين  
ومائة وألف ، وقال عنه : «وله كلام مؤثر فى القلوب بتحقيق معانيه  
وفهمها ارباب القلوب ، فمن كلامه صدر قصيدة فى الملحون :

الى يرفقنا فمحبت سيدى الرسول \* هو احبينا واحنا له احباب  
ومن كلامه صدر قصيدة اخرى :

انا سيدى عندى طبيب \* ويعالجنى بسد واه  
متولع ابحب لحيب \* سيدى رسول الله  
ومن كلامه صدر قصيدة :

الروح فالجسد والقلب امعكم \* ما خاب فيكم ظنى  
الى اتركبوه يحسب امعكم \* واتقربوه بدنى  
الله انظر كم ما عاد ينساكم \* اهل لكمال نعى  
ايا اهل لكمال قلبى يرعاكم \* هذا لكريم رادنى  
ومن كلامه صدر قصيدة :

العيون الجاريا فيض اعليا \* من ابحور محمد عليه السلام  
ومن كلامه ايضا صدر قصيدة :  
ما بكيت اعليكم الا اترحمونى \* والدموع من عينى تجرى الحبكم

---

(I) المتوفى سنة 1209 هـ .

(2) مخطوطة الخزانة العباسية رقم 3388 من صفحة 86 حتى 91 .



ومن كلامه في هذا المعنى كثير .

وقد وقفنا من هذه القصائد على الثانية ، وهي من خمسين بيتا .

#### أحمد بن علال الشرايبي المرأة تسمى :

ترجم له الشيخ محمد التاودي بن سمودة في فهرسته (I) حيث ذكر أن له ديوانا من كلامه بالملحون بين توسلات ومقامات ، وأورد له نص قصيدة مطلعها :

بسم الله الرحمن الرحيم حلا نبداها

في اسلوك الذهبان والجوهر تشرق بجمالو  
كما ترجم له عباس بن ابراهيم في « الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام » (2) نقلا عن فهرست ابن سمودة . كذلك ترجم له محمد بن عبد الله الموقت في « السعادة الابدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية » فنقل بعض ما جاء في الفهرسة السودية وعلق عليه بقوله : « ولم يذكر وفاته وما كان ينبغي ... ولا شك وانه من اهل القرن الثاني ، ويعمل له موسم في اوائل كل ليلة من رجب الفرد ، وينشدون أزجاله » (3) .

#### ثانيا : رجالون جزائريون

يبدو ان كثيرا من الرجالين وفدوا في هذه الفترة من الجزائر الى المغرب فارين من حكم الاتراك او منفين ، ولكن المصادر لم تغدنا بغير اثنين من اكبر رجال القطر الشقيق هما : سعيد التلمساني واحمد التريكي ، علما باننا وقفنا على غير قليل من الذين لجأوا الى المغرب فيما بعد هذه الفترة ، وخاصة بعد احتلال فرنسا للجزائر ، (4) وهو دليل على أن

(I) المخطوطة السالفة الذكر من ص : 77 حتى 82 .

(2) الجزء الثاني ، ص 203 — الطبعة الاولى سنة : 1936 فاس .

(3) ص 154 — المطبعة الحلبية — مصر — سنة 1341 .

(4) خصصنا جزءا في آخر الدليل الملحق بالرسالة لقصائد الشعراء الجزائريين الذين وفدوا الى المغرب والذين لم يقدوا ، ولكن كانت قصائدهم منتشرة فيه .

هجرة المتنورين الى المغرب من ابناء هذا البلد الجاز ظلت مستمرة طوال عهد الظلام المتمثل فى حكم الاتراك والاحتلال الفرنسى .

ابو عثمان سعيد التلمسانى :

زجال تلمسانى اشتهر بقصيدة فى السيرة النبوية تسمى «العقيقة» نسبة الى وادى العقيق فى الحجاز ، وفد الى المغرب فى أول الدولة العلوية وادرك مكانة عند سلاطينها وخاصة المولى اسماعيل (I) .  
ذكر صاحب « الدر المنضد » لدى حديثه عن المولى محمد بن الشريف (2) قال :

« وكان سخيا جوادا حتى انه اعطى الاديب الشهير المتقدم فى صناعة الشعر الملحون ابى عثمان سعيد التلمسانى نحو من خمسة وعشرين رطلا من خالص الذهب جائزة له على بعض امداحه فيه ، وحكايته فى هذا المعنى شهيرة » (3)

اما قصيدته العقيقة فهى التى يقول فى أولها :  
كيف ينسى قلبى عرب لعقيق والبان \* والعقيق اعيونى بقلايديو انهلسو  
وقد بلغت من الشهرة انها نشرت بالجزائر فى نصها العربى ومترجمة للفرنسية ،

وذكر المشرفى فى « الحسام » انها « قصيدة طويلة مشحونة باللغة والحكم وامثال العرب تنافس علماء واسطة المغرب فى شرحها ومنهم

---

(I) اخو المولى رشيد تولى سنة 1082 وتوفى سنة 1139 حيث دام ملكه سبعا وخمسين سنة. عند العربى المشرفى ان للشاعر ديوانا ضخما فى ملحون الشعر جله فى المولى اسماعيل « الحسام المشرفى فى الرد على اكنسوس المراكشى » (ميكرو فيلم خزانة الرباط العامة مصور عن مخطوطه ابن سودة رقمه 1207 ص 423)

(2) بايعه اهل تافيلالت سنة 1050 وقتل سنة 1075 .

(3) الدر المنضد الفاخر فيما لابناء مولانا على الشريف من المحاسن والمفاخر لابى عبد الله محمد بن عبد القادر بن احمد الكلالى الشهير بالكردودى توفى بفاس يوم 11 رمضان 1268 هـ (مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 1584 D الورقة 113 وجه)

الشيخ ابو راس الناصري ثم المعسكري فقد جعل عليها ثلاثة شروح اصغر  
واكبر ومتوسطا بينهما « (I)

وتوجد بخزانة الرباط العامة نسخة من احد هذه الشروح رقمها 1656 D  
تحتل عنوان :

« الآداب الرقيقة في شرح العقيدة ، وان شئت قلت الدرة الانيقة في شرح  
العقيدة ، وان شئت قلت التحف المهدية في شرح السعدية » ، وتحديث  
الشارح في مقدمة شروحه عن الناظم فوصفه بأنه «الشاعر المفلق ... الشيخ  
الرباني والهيكل الصمداني العلامة ... فان له اليد الطولى في آداب  
العربية ومقاييسها ومعيار حكمة الوضع وقسطاسها ، فقد كان تشد له  
في ذلك الركاب » (2) وذكر ان المولى اسماعيل نفاذ ثلاث مرات وانه  
توفي « بعد الخمسين من القرن الثاني عشر ودفن بسجلماسة فهو منداسي  
نجارا وتلمساني منشأ ودارا وسجلماسي مدفنا واقبارا » (3)

ونجد لسعيد التلمساني في اواخر « العقيدة » بيتا يفخر فيه  
بان هذه القصيدة فاقت كل قصائد المغراوي عميد الزجل في عصره ، وهو  
البيت الذي يقول فيه :

تفنى العشاق ما تخلى عداوى \* ما ضمت مثلها خزانة مغراوي

وفي كتاب « كشف القناع عن آلات السماع » لابي علي الغوثي بن  
محمد الجزائري تعليق على هذا البيت ذكر فيه ان التلمساني «لما قال هذا  
الشطر رأى الشيخ المذكور في المنام معاتبا له فلما أصبح رثاه بالقصيدة  
التي أواها :

يوفارس الفارس في كل اعلم \* بحر المحيط ما تنهيه اقراطس » (4)  
وفي نفس الكتاب « ان الشيخ سعيد لما قدم المغرب الاقصى ولقى  
الاكرام من المولى الرشيد ... حسده شعراء المغرب وعابوا عليه شعره قائلين  
ان موازين اشعار المغرب الاوسط يقدر على الاتيان بمثلها صبياننا لان

(I) الحسام المشرفي (الميكروفيلم ص 423)

(2) ص 2 . 3 ص 5 .

(4) ص 73 - مطبعة جوردان بالجزائر .

غالبها يتمشى على حرفين فلو ارتكبت ما ترتكب من التفتن لما وجدت معنى أصلا فعندنا من ينظم الرباعي والخماسي حتى العشاري (والخماسي والعشاري ... الخ عبارة على أن القصن أي البيت الواحد يشتمل على خمسة أو ستة أو عشرة قواف) فلما رأى الشيخ سعيد رحمه الله من شعراء المغرب ذلك الإنكار ذهب من فوره وقال قصيدة بليغة لا من السداسي ولا من السباعي بل من الثنائي عشر وأتى بها إليهم فعلموا حينئذ أنه بحر لا يطاق ولا يقاس وسلموا له . وطالما بحثت عن هذه القصيدة ولم أقف لها على خبر إلى الآن « (I) .

وقد وقفنا للزجال التلمساني على غير قليل من القصائد التي مدح بها السلطانين المولى رشيد (2) والمولى اسماعيل ، منها قصيدة في مولاي رشيد يقول في أولها :

حياتك ريح الصبا بالفين اسلام \* واستقاك اغمام السما رحما وانعيم  
ومنها قصيدة في المولى اسماعيل هذا أولها :

بين اكرام الفعل والعليا ميعاد \* بيدهم يرموا على الصدق احوالو  
وقصيدة أخرى فيه مطلعها :

برقا جرد صارمو في ساحت نجد \* ذكرني في امانزل اشهابو  
كذلك وجدنا في كتاب « الكنز المكنون في الشعر المبحون » لقاضي محمد الجزائري قصيدة قالها حين خرج من فاس على اثسار غضب المولى اسماعيل عليه ، يقول في أول أبياتها :

هذا جد اودعنا بوقا واكمال \* ماذا لي فالتحنت نغدى وانولى  
بعد اثلاثا (3) مابقى للرد احلال \* غير ايل تلمات عمن تالى بعلى  
خليناكم بالسلاما يا لفضال \* يا شرة وجه الشراف اولاد على

(I) المصدر السابق .

- (2) تولى بعد موت اخيه مولاي محمد سنة 1075 واعلن ملكا سنة 1079 بعد ان استولى على مراكش واستمر في الملك حتى سنة 1082 .  
(3) في هذا تأكيد لما ذكر شارح الحقيقة من أن السلطان نفاة ثلاث مرات ، وهو في الشطر الثاني من البيت يشير الى أن المرأة التي تطلق للمرة الثالثة لا تحل لزوجها الا بعد ان تنكح زوجا غيره .

وفى تقديم القصيدة ذكر مؤلف الكتاب حكاية ذهب فيها الى أن المولى اسماعيل « كان له شاعر آخر مغربى اسمه خباب فامرهما ذات يوم بنظم قصيدة يمدحان بها جارية له اسمها سلمى . اما سيدى سعيد المنداسى جعل استخارة ورآها فى المنام فحكى على حسب ما رأى ، واما السيد خباب قال من غير رؤية ، ولما تلوا القصيدة على الملك قال لخباب : سعيد افضل منك ، فأجابه بأن سعيدا ولعله رآها ، وأما انا فلم ارها ، فعند هذه التهمة خرج سيدى سعيد من مدينة فاس واتى الى مدينة تلمسان فكتب له الملك ليرجع فأبى وبعث له هذه القصيدة » (I)

ولكن يبدو انه عاد بعد ذلك الى المغرب بناء على ما نعرف من ان وفاته ومدفنه بسجلماسة .

والتلمسانى لم يكن شاعر ملحون فقط وانما كان شاعر موزون كذلك ، وقد ذكر له صاحب « الحسام المشرفى » قصيدتين :

الاولى يجيب فيها بلسان المولى اسماعيل على رسالة بعث بها اليه احمد بن محمد الحاج الدلائى مستدعيا للحرب حين ثار عليه ، يقول فيها (2)

تاهب ليوم الحرب فالحرب عيد \* لنا وعليكم محنة ووعيد  
ستعلم اشقى الناس يوم لقائنا \* اذا قعقت تحت العجاج زعود  
فسل ان جهلت الناس عنا وعنكم \* متى قابلت جنس الاسود قروود  
دعوت مجيبا فارقب ما طلبته \* فانا بما تبغى عليك نجسود  
عدمنا فحول الخيل ان لم تملككم \* عليها من الابطال منا اسود  
اتطلب دار الملك من غير قدرة \* وانت من المجد الاثيل بعيد  
اساتم فكنا المحسنين وعدتم \* الى السيئات بالعقاب نعود  
عقونا وكان الظلم منك سجية \* ستبلغ من غي الصبا ما تريد

---

(I) ص 22-21 (الطبعة الشعلبية - الجزائر سنة 1928) .

(2) الميكروفيلم ص 422 - 423 حيث وصفت القصيدة بأنها رائعة ومشتمة على سهام راشقة

والثانية في الامام مالك وموطاء منها هذه الابيات (I) :

فلا مالك في الارض قام لسنة \* وشدت له بالخافقين المناطق  
سوى المدنى الطيب الاصل مالك \* اواه على الاسلام بالغرب خافق  
ترقى فوطا بانموطا مواطنا \* صعبا ولم يسمقه للمفتح سابق  
موطاء الاسلام في الارض كعبة \* فوطا بها للسالكين شواء

#### أحمد النريكي :

تلميذ لسعيد المنداسي ومن تلمسان كذلك . قال عنه القوي في  
« كشف القناع » : « وقد نفتته دولة الاتراك من قطر الجزائر سنة ثلاث  
وثمانين والافذهب الى المغرب الاقصى وآوى الى جبل بنى زناتن قبيلة من قبائل  
المغرب قريبة من وجدة فمكث هناك اياما نظم هناك قصائد كثيرة يصف  
فيها حال بعده عن اهله وعشيرته واوطانه ... منها قصيدة مشتملة على  
ثمانية ابيات كل بيت يشتمل على عشرة اغصان وطالع مركب من ثلاثة  
اغصان ، يقول في مطلعها :

طال نحبي وادموعي كل يوم زراب \*

والفراق اكوانى كيا ابلا اسباب

من اسمومو سييت لي فالدليل مشهاب \*

ما وجدت الضرى حكما اولا اطييب

شباب راسي يا ربى من افراق لهجاب \*

بهم اجمع شملى ايا المير حقب» (2)

وقد وقفنا من شعره على قصيدتين : الاولى في مكة المكرمة ، يقول

في مطلعها :

شعلت نيران اكبادى \* واعيت ما نبكى ولا انفعنى نواح

أما الثانية فربيعية ، يقول في حريتها :

اتبسمو وضحكوا غصون اللقاح \* يسبوا من عاشق ومن هو والع

---

(I) المصدر السابق من 434 حتى 438 .

(2) ص : 80 .

### الفصل الثالث

## مرحلة الازدهار

ما كادت سحابة الركود الكثيفة تنقشع ويزول كابوسها الجاثم حتى انطلقت القصيدة الزجلية فى نهضة مزدهرة وصلتها بماضيها لتستكمل معالم كيائها وملامح ذاتها ، وهى نهضة كتب لها أن تمتد فترة غير قصيرة ، تبدأ فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر الهجرى وتنتهى فى أوائل القرن الحالى بعد أن فشأ فى الشعراء الضعف والوهن وأصيبوا بداء الجمود والتقليد . فقد بدأت على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذى يقال انه كان ينظم الزجل وان كنا لم نعثر له على أثر ، ولكننا لانشك فى أنه كان يحتضن هذا اللون من التراث ويشجع فنانيه . وليس غريبا أن يفعل ذلك فقد شهد عصره نهضة شاملة عمت جميع مرافق الدولة ومناحي الحياة ، وكان حظ الثقافة منها غير يسير (1) .

ثم كتب لهذه المرحلة أن تجدد ازدهارها فى الربع الاخير من القرن الثالث عشر على عهد سيدي محمد بن عبد الرحمن (2) الذى كان بدوره من شعراء الزجل كما سنرى حين نتحدث عن صديقه التهامي المدغرى . وكان آخر بريق للنهضة فى هذه المرحلة ايام السلطان المولى عبد الحفيظ الذى كان من علماء عصره وزجليه ، وسنخصص بوقفة قصيرة . وقد بلغت هذه الفترة من الازدهار حدا جعل العارفين بالغن يطلقون عليها «الصابا دلشياخ» أى موسم الاشياخ لأنها تعتبر أخصب فترات الزجل فى المغرب لكثرة ما نبغ فيها من الشعراء . ولكننا لن نتبعهم جميعا لان مادة التاريخ والنصوص لا تسعنا لذلك ، وسنكتفى بالوقوف عند الاعلام البارزين .

- (1) كان السلطان سيدي محمد بن عبد الله من العلماء والمؤلفين وخاصة فى فن الحديث ؛ ومن المؤلفات التى تنسب له :
- أ - الفتوحات الالهية الكبرى (من منشورات المطبعة الملكية)
  - ب - الفتوحات الالهية الصغرى
  - ج - مواهب المنان بما يتأكد على المتعلمين تعليمة للصبيان
  - د - طبق الارطاب فيما اقتطفناه من مسانيد الائمة وكتب مشاهير المالكية والامام الخطاب
  - هـ - الجامع الصحيح للاسمائيد المستخرجة من ستة مسانيد
- (2) بويغ سنة 1276 هـ وتوفى 1290



### الجيلالى امثيرد

وهو فيلالى الاصل ، ولكنه ولد ونشأ فى مدينة مراكش حيث كان له مكان لبيع الخضر . ولسنا نعرف بالتحديد تاريخ ولادته ووفاته ، ولكننا نعرف أنه على عهد سيدى محمد بن عبد الله كان شاعرا مكتملا ومجددا، يتبين لنا ذلك من حرازه - وهو أول حراز عرقه تاريخ الزجل - حيث يذكر من جملة الصفات التى تنكر بها ليصل الى محبوبته صفة «مخزنى» للسلطان سيدى محمد ، وفى هذا يقول :

من سماعنى ارجعت امخزنى مشمور امن اصحاب الملك  
الله ينصر سيدى محمد

ويبدو أنه عمر طويلا حتى أدرك بداية النصف الثانى من القرن الثالث عشر الهجرى على حد ما يذهب الاستاذ القاسى من أنه توفى «فى اواسمست سلطنة مولاي عبد الرحمن حوالى سنة 1840 م ودفن بمقبرة سيدى على ابى القاسم بجوار مسجد الكتبية تحت مناره (I) »

«يقال فى تعليق تلقيبه بامثيرد على صيغة التصغير أنه كان ضعيفا البنية نحيل الجسم ، ويحكى أن السلطان المولى عبد الحفيظ كان اذا ذكر فى مجلسه الشيخ الجيلالى بهذا اللقب علق بقوله : «بل هو عترد امعمر بالتريد» وهى قولة تدل على المكانة التى كانت للشاعر حتى بعد عصره ، واكثر منها فى الدلالة على مكانته ما قاله التهامى المدغرى :

«لو كان احضرت لامثيرد كنت انكون لو عبد اشويرد»

ولا عجب فقد كان عميد زجالى عصره - أو كما يقال فى المصطلح عندهم شيخ الاشياخ - لقبه معاصروه فى مراكش بـ «الفاكية دالاشياخ» أى فاكهتهم ، ولقبوه فى فاس «عرصت لاشياخ» أى روضهم ، وبلغ من تأثير قصائده على الجماهير أن المنشدين أطلقوا عليها «الشعالة» للجوئهم اليها فى تحريك السامعين وإثارة انتباههم اذا ما أحسوا منهم ضيقا بما ينشدون وعدم تجاوب .

---

(I) مقال «الادب الشعبى المغربى الملحون» مجلة البحث العلمى العدد الاول السنة الاولى 1964

ويعزو العامة نبوغ الشيخ الجليل الى حادث خرافى يقولون فى حكايته  
أنه «كان يذهب كل عشية منفردا لصهريج ابن الحداد خارج باب الخميس  
من محروسة مراکش وهو محل مخيف فيه مياه راكدة تسمكتها الضفادع ،  
وكان الشيخ الجليل يجلس هناك للتفكير والاعتبار ، فخرجت له ذات يوم  
ضفدعة وكلمته وقالت له: يا شيخ انى أريد أن تحضر عرسى وتغنى لنا فقبل وجاء  
فى يوم موعود فأنغمض عينيه ووجد نفسه فى عالم آخر فأحضروا له آلة تقول  
هذه الخرافة الشعبية لم يكن له عهد بها فغنى لهم وجازوه بما يستحق ثم  
أرجعوه لصهريج ابن الحداد فوجد فى يده تعريجة فرجع الى المدينة وحكى  
للناس ما وقع له ، ومن ذلك الحين صار يأتى بالمعجز من القول ، وتظن  
العامة انه لم تكن التعريجة معروفة قبل هذا وهى من اختراع الجنة (1)  
وقد كانت لامتيرد جملة اوليات نرى حسب ما وصلنا من نصوص (2)  
أنه سبق اليها فى تطوير القصيدة الزجلية شكلا ومضمونا ، سنذكر منها  
ما أمكننا أن نستخرجه من القصائد التى جمعنا له :

أولا : فى المضمون تظهر ابتداعاته فى الموضوعات الجديدة التى  
طرقها وهى :

#### 1 - الخمريات :

يعتبر امتيرد اول الزجالين نظما فى الخمريات ، فتح لها الباب بقصيدته  
«الساقى» التى يقول فى حريتها :

الساقى وكفى لريام رد بالك للنوبا لا تغيب عن مولاها

كب يا ساقى راح الليل

وكان الشعراء قبله لا يجزؤون على مثل هذا الموضوع ، وبين أيدينا

نص يثبت ذلك ، نجده عند الحمري فى قصيدته «الربيعية» حيث يقول شى

---

(1) المصدر السابق

(2) نلفت النظر الى أننا فى كل ما نعزو للزجالين من اسبقيات لا نعتمد  
على غير ما وصلنا من نصوص وما بلغ الى علمنا من أخبار ، وقد يكونون  
مسبقين بغيرهم فيما ننسب لهم من اوليات ولكن بين أيدينا من  
نصوص وأخبار لا يسعفنا فى اثبات ذلك .

واعناقيد لعنب قذوائى سألوا عل لعصير اخبير  
فهو يذكر عناقيد العنب فى الدوائى ولكن يحيل السامعين الى خبير يمسألونه  
عن عصير هذه العناقيد .

لعله أول من اتخذ من الشمعة في احتراقها وذوبانها موضوعا للكشف عما يعانيه المحب في مقارنة بين حاله وحالها ، مستعرضا على لسانها ما تمر به من مراحل قبل أن تصبح شمعة تبكي لتضيء للآخرين . ويتضح هذا من شمعته التي يقول في حريتها .

وانت اجواهر ادموع ابكاك اللا اهلـلا  
ومن عجيب أن شمعة امتريد لم تلق من الشهرة ما لقيته شمعة ابن  
علي ، وهي التي يقول في حبرتها :

3 - الحشرات

يبدو أن امتيرد كان صاحب فكرة التنكر للوصول الى المحبوبة في محاولة لاغراء محررها والايقاع به ، وذلك في حرازه الذي يقول في حبيبته :  
حراز للا لرسامو جيتو انصيب قلبو نصراني : كيف عارفو ----- ازال  
وهنا كذلك نلاحظ أن حراز البغدادي (I) حاز شهرة أكبر من حراز  
امتيرد ، وهو الذي يقول في حبيبته :

مال حراز الدامی ما یثیق بیا همیات    جارس غی کل اوقــــــــــــــات  
اعلی الدوام ایچنب ولا یرومنی تطعیا

وقد تحورت عند المسلمين إلى قولهم :

مال حراز الدامی مایبق بیا هیهات غیر حاضی لوقیات

فی اثبات مسلم فعالیت رومیا

(١) المستوفى في نهاية القرن الماضي

#### 4 - الضيف

كما كان صاحب فكرة التنكر في هيئة «ضيف» للوصول الى حبيبته  
على حد ما فعل في قصيدته «ضيف الله» التي يقول في حريبتها :  
أضيف الله رد لجواب اصغ لي : لا تحشم رد السلام  
فقد طرق باب دارها ليلا يطلب ضيافة الله ولكنها لم تلبث بعد أن  
أدخلته وأزال اللثام ان تبين لها انه حبيبها لجأ لهذه الحيلة حتى يصل  
اليها .

#### 5 - القاضى

وقد كان - على ما تعلم - أول من فكر في اللجوء اليه للفصل  
بينه وبين محبوبته بعد أن جارت وطال هجرها ، يقول في حربة قصيدته  
«القاضى» :

القاضى لك ادعيت لغزال خنارى  
اعلاش دون سبا هاجر لوكار  
جفلت من رسمى قامت لقنا بودواح ازهور  
زينت لاسم زهرا

#### 6 - الخصام

ظهر أول نظمه له في قصيدة «بنت الحضر والعربية» التي يقول في  
حريبتها :

امى حنا ايلا امى لوريت يافاهم اللغا ماذا صار البنت لحضر والعربيا  
«ايلى امى لوريت يا فاهم اللغا

#### 7 - الخلخال

ويتبين لنا سبقه الى نظم هذا النوع من القصائد في «خلخال عويشا»  
حيث يحكى أن محبوبته بعد أن زارته قدمت له خلخالها تذكرها يحتفظ به  
لتخليد الزيارة وحتى لا ينساها ، ووضع الخلخال في جيبه ولكنه ضاع منه  
فأخذ يبحث عنه فلى كل مكان فلم يجده واضطر الى اللجوء لفقيه منجم يكتب  
الخط استطاع بواسطة الجن ان يحضر له الخلخال . يقول اميرد فلى  
حربة هذا الخلخال :

خلخال اعويشما درت لبها في مكتوبى يا فهم درتو وامشى لى  
كيف المعمول ايللا اتسالنى مولات الخخال  
وقد فتح امتيرد بهذا الخخال بابا لمن جاء بعده من الشعراء الذين  
جعلوا موضوع قصائدهم : الخخال او الدمليج او الخاتم او الضيلون ،  
وهو بهذا طور فى الواقع جانبا من جوانب القصة فى القصيدة الرجزية

### 3 - الفصادة

فى قصيدته «لفصادا» سن لمن جاء بعده من الشعراء أن يصفوا  
الحفلات التى تقيمها النساء بمناسبة اخراج الدم حيث يبرزن متزيئات  
متحليات بأفخر الحلي وأجمل الثياب ، وهى التى يقول فى حربتها :  
آش را من لاحضر امع اوجوه لريام \* يوم حنطو فثياب العز للفصادا  
ثانيا : فى الشكل تتمثل براعة امتيرد فى الجوانب الآتية :

### 1 - السراية

فهو - حسب ما انتهى اليه علمنا - اول من اتخذها فى التمهيد  
للقصيدة ، ويذكر كبار الاشياخ أنه قبل ان ينظمها كان يقدم بأغاني بوعمرو  
الخفيفة . ومن أول السرايب التى نظم امتيرد هذه السراية التى يقول فى  
أولها :

اعلاش امحوب خاطرى تجفينى \* الجافينى واعلاش دالجفنا  
حببتك من خاطرى ولا ردينسى \* كاتمينى يا شارد لعفنا  
خالفت فالقول باش واعدتنى \* ولاوصلتى الرسمى قاسيت ما كفا  
(قالت ناس الشعر والقوافى \* الزين ايللا تيه صورتو تعداف)  
والخير صاحبو يعرف

ويذكرون أنه يقصد بقوله «قالت ناس الشعر والقوافى» الشاعر  
بو عمرو ، ويقول «الزين ايللا تيه صورتو تعداف» شطرا واردا فى قصيدة  
لهذا الشاعر تعرف بـ «باهى لحروف» ، وأنه لجأ الى هذا الاقتباس تخليدا  
لذكرى بوعمرو واشعارا بأنه الموحى بفكرة السراية .

### 2 - وزن تلبحر المشنى

فقد وضع فى «المساقى» وزنا لتلبحر المشنى لم يكن معروفا من قبل .

صدره أطول من عجزه ، او كما يقال فى الاصطلاح «الفراش» أطول من  
«الغطا» ، وتتضح هذه الملاحظة من حربة القصيدة التى يقول فيها :  
الساقى وفض لريام رد بالك للنوبا لا تغيب عن مولاها  
كب يا ساقى راح الليل

### 3 - بحر السوسى

نميل الى انه أول من سبق الى النظم عليه ، وذلك فى قصيدته  
«الحراز» التى يقول فى حريتها :  
حراز للا لرسامو جيتو انصيب قلبو نصراني  
كيف عارفو مازال

### 4 - الحوار

كما قد رأينا فى الفصل السابق أن فكرة الحوار بدأت عند الحميرى  
فى قصيدته «الربيعية» ولكن امتد طوره وجعله يمتد فى كل القصيدة ،  
وقد ساعده على ذلك نظمه فى موضوعات تستدعى تبادل الخطاب أمثال  
الحراز والقاضى والخصام .

### الحاج محمد النجار

من مدينة مراكش ، وهو ربيب الشيخ الجيلالى لان هذا الاخير تزوج  
أمه بعد أن توفى أبوه على النجار . ويقال ان النجار سجل قصة هذا الزواج  
ساخرا ومستهزئا فى عروبي سماه : «هولة الربيب» وهو بالتالى مساعده  
فى الدكان وتلميذه فى الفن . ولعله دخل الكتاب القرآنى قبل ذلك حيث  
تعلم القراءة والكتابة وغدا فى سن مبكرة يدون لشيخه بعض قصائده .  
ومن هنا زاد تعرف النجار الى الزجل ينسخه ويحفظه ويردده ،  
ومن هنا كذلك بدأت تظهر فى النظم اولى محاولاته التى كان زوج أمه لاشك  
يتعهد بها بالتصحيح والتنقيح .

ويحكى الاشياخ أنه حدث فى الوقت الذى أخذ النجار ينظم ان  
اصيبت البلاد بجفاف دام سنتين ، أصبح معه من المتعسر على النجار أن  
يظل عبثا على امتيرد ففكر فى الرحيل الى فاس ، واتفق يوم سفره أن يظهر  
كسوف فى السماء أرخه النجار فى قصيدته التى قالها فى توديع مراكش .

واشباخها . يقول في مطلعها ملتصبا من اهله الدعاء له ان يحقق مناه  
في فاس :

لله يا هلي سمحوا في شئ فأت  
وادعوا لي انصيب انيا  
في بلد فاس كنز اغنايا  
عند الشراف هل لعنايا  
يسقوني السقوا بعد السقوا انال تقوا  
نبسط لكفوف ضى وادجا  
للخالق ساير لخالق يغفر الواتى فجميع السيات  
ويقول في حربتها :

ألين اوين الشمس فالسما ريناها كسفات  
حتى ظهوروا النجوم فالنهار الكهار العاتى  
والظلمة سدات  
ويسجل في القسم الثانى ما أصاب البلاد من جفاف ، فيقول في اوله:  
عامين يا هلي هاذى مرت ما اشتات  
عامين ما اعطت الصابا  
ولا ابقى احسان ايهايا  
واقوا الرهط دالنهايا  
وفي آخر قسم يؤرخ للقصيدة ويسفره فيقول :

تاريخ حلتى «مشقانى والدال» \* دال اعلى ترتيب ابياتى واسميك المعنات  
فقد رمز ب : م ش ق ن د ، فالميم بأربعين والثمين بألف والقاف بمائة  
والنون بخمسين والدال بأربعة ، ومجموعها أربعة وتسعون ومائة وألف (I) .

(I) وهذا ما تؤكد كتب التاريخ على حد ما نقرأ عند الناصرى في الاستقصا  
حيث يقول «وبعد صلاة العصر من يوم الاربعاء الثامن والعشرين من جمادى  
الاولى سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف انكسفت الشمس وظهرت النجوم  
لكثرة الظلام ثم انجلت ورجعت لبحالها بعد نصف ساعة ونحوها ، وفي اعوام  
تسعين ومائة وألف كانت المجاعة الكبيرة بالمغرب وانجس المطر ووقع القحط  
وكثر الهرج ودام ذلك قريبا من سبع سنين» (ج 4 ص 128 ط المصرية)

ويقال ان أشياخ فاس تفاعلوا بمقامهم النجار لانه ماكاد يصل الى مدينتهم حتى كانت الامطار تنهطل ، ويبدو أن من اول القصائد التي نظم في فاس قصيدته التي يقول فيها مخبرا انه سكن منطقة فاس البالي :

دعت اهلي وارسامسى ❦ واسكنت بلد فاس البالي دار لهما

القوم ارعأت اذما مسى ❦ ونا ما نزول انراعى لها الدمام

ولسنا نعرف شيئا عن أخباره في فاس ، وكل ما نعرف انه استطاع

أن يفرض وجوده ويصبح «شيخ الاشياخ» و «مداح النبى» .

ونقف قليلا عند اللقب الاخير الذى اكتسبه لكثرة مدحه للرسول عليه

السلام ، فان بعض الاشياخ اعتمدوا عليه وذهبوا الى أن النجار لم ينظم في

غير هذا الموضوع ، وهو رأى جانب الصواب .

حقا ان جل قصائد النجار في المديح النبوى والصلاة والتوسل ، ولكن

له قصائد في الغزل ، لعلها ليست كثيرة ولكنها كافية في اثبات ما نقول .

فقد وقفنا له على «البتول» و «ام كلثوم» و «مسعودا» . يقول في حربة

.. البتول .. :

داوى اجوارح اعليلا ❦ أشوم ليعتى بفراق البتول

ويقول في أول قصيدة «ام كلثوم» :

الأيمنى فهوى اشبهت الدامى دعنى او كف خلى اجوارحك اسليما

واعذريا لايم حال المنروم

ويقول في حربة «مسعودا» :

ما فالحودات ريم اتشابه مسعودا ❦ مسعودا رايت النصر بأشمت كل املاح

مسعودا مولوعا او ساعدا

ومن يدري فلعل هذا التنويع في الموضوع حدث بعد أن استقر في

فاس وطابت له بها الحياة ، بل انا حين ننظر فيما بين أيدينا من شعوره

نلاحظ ظاهرة لاشك أنها متأثرة بحال عيشه في مراكش وما آلت اليه حياته فيما

بعد بفاس . هذه الظاهرة هي طغيان النفس التأمل الجاد - والمتشائم - في

بعض الاحيان - على قصائده في مراكش وأول مدة اقامته في فاس ، ثم



تغير هذا النفس بعد ذلك ، وقد علته مسحة من التفاؤل ، وتناكده لنا هذه  
الظاهرة حين ننظر في قصيدتين : احدهما في تأمل الناس والحياة ،  
والثانية في يوم عاشوراء . يقول في أول القصيدة التأملية وقد مل الدنيا  
ومعناها ولم يعد يتمنى غير الموت :

مل قلبي من دنيا كلها امحـــــان      ولا ابقى يترجى الا يموت هاني  
ويقول في حربة القصيدة الثانية فرحا مبتهجا :

أجى اتشوف يا من لاشاف الهايجات بسداري  
كيف شفقت عين حسن يوم عاشـــــور

### عبد القادر بن عبد الرحمن بوخريص

فيلالي الاصل لكنه ولد ونشأ في فاس ، وهو تلميذ للنجار كما يقول  
في أول القسم الثامن والآخر من قصيدته «مرحول للمشرق» :

نهيت القطعا الرايقا واسمى عبد القـــــادر  
ابن عبد الرحمن بوخريص تلميذ النجار  
ويعتبر من الزجالين الذين كان لهم حظ وافر من الثقافة، بل يزعم بعض  
الاشياع أنه كان من كبار العلماء وأنه تولى قضاء مدينة فاس ، في حين أن  
القاضي غير الشاعر ، وهو سمي وجدّه ، كان قاضيا بفاس ، توفي سنة  
1188 هـ

كان بوخريص متأثرا أشد التأثر بالنجار من حيث الاكثار من النظم  
في المدائح النبوية والتوسلات والمواظ خاصة الى حد يطلق الاشياخ على  
قصيدته في الوصاية «المدونة» وهي التي يقول في حربتها :

يالساهي عما يعنيه والعمر فان      قيم واعزم واخلم يكفى امن اتفرعين  
ويتأكد هذا النفس المشبع بعاطفة الدين في قصيدته «مرحول للمشرق»  
وهي التي يقول في حربتها :

أرواح أراسي اتشوف هذا المركب السايـــــر  
خلا ناس الذوق شايقا لمقام المختـــــار

وكما لاحظنا عند النجار نلاحظ كذلك عند تلميذه ، فهو لم يقصر نظمه على الموضوعات الدينية والتأملية كما يظن غير قليل من الاشياخ ، ولكنه نظم في غيرها على حد ما تثبت قصيدته «الجار» التي يقول في حريتها :

جـارى                      يـاجـارى                      حن واشفق واكرم من له جـار  
واعطف                      لو كـارى                      اولا اتخلى رسمى مهبجـار

هذا وقد وقفنا عند أحد كتبي فاس على ديوان لبوخريص بخطه ، يضم حوالى مائة قصيدة كلها في التوسل ومدح النبي والاولياء ، كان جد ضنين به لم يسمح لنا بغير تصفحه ولبضع لحظات ، ومازلنا لحد الساعة نقاوضه في اقتنائه ، واذا ما تهيأ لنا الحصول عليه فانا ندوى أن نحققه ونقيم دراسة خاصة عليه .

### محمد بن علي العمراني

ويكنى ولد ارزين ، يصرح هو نفسه بذلك على حد ما يقول في نهاية قصيدة «الشمعة» مؤكدا شرف نسبه :

واسمى انبينو ما يخفى موضوع في اسجالي

محمد الشريف ابن علي ولد ارزين صيلا

وعلى حد ما يقول كذلك في آخر قصيدة «حجوبة» :

واسمى محمد ولد ارزين القب تلقاب                      وافضل من كل انسباب  
حق                      نسابى                      من اولاد المختار الي اعليه منسوب

وهو من تأيلا حيث ولد في مسيفة على ما يؤكد جل الاشياخ ، وهم يذهبون الى أنه نشأ في بيت علم لان والده كان صاحب كتاب قرآنى اناج له فيه فرصة التعلم وحفظ القرآن الكريم وبعض المتون التي جرت العادة بحفظها في الكتاتيب وقد قضى في هذا الكتاب وبجوار والده فترة لاشك أنها لم تكن قصيرة ، ظهر خلالها نبوغه المبكر متجليا في سرعة الحفظ والادراك ومحاولة نظم ما يتلقى من فوائد وقواعد على طريقة نظم المتون . ولم تنته هذه الفترة الا بسفره مع أسرته الى فاس لتتسنى له الدراسة في جامع القرويين . وعلى الرغم من أننا لا نعرف طول المدة التي قضاهـا

طالباً في القرويين ، فانا لانشك في انه حاز حظاً وافراً من العلوم المختلفة التي كانت تدرس بها ، وفي أن تكوينه الثقافي انعكس على بعض شعره وخاصة في قصائد «السولان» و «الوصاية» و «هول القيامة» و «الذرة» بل انا نجد في بعض قصائده يصرح أنه يستقي من الكتب ويقتبس منها على حد ما يقول في أوائل القسم الثاني من «حجوبة» :

ثم نبهيك اتشوقيني افعين من يعرف لمرات « واطالع كل اكتاب  
حق اكتابي « فارسي افايتي وائراجمي افلكتوبــــــــــــا  
ويقال انه ما كاد يقضى بضع سنوات في فاس حتى هلك والداه فأحس  
قسوة الوحدة والغربة على الرغم من أنه كان قد تعرف الى التجار واتخذ  
صديقاً وأستاذاً ، فعاد الى مسقط رأسه في الصحراء حيث نظم قصيدة في  
مدح مولاي علي الشريف جد الملوك العلويين ، تعتبر من أروع المدح على الرغم  
من أن ابن علي لم يكن الا مبتدئاً ، وهي التي يقول فيها مخاطباً ممدوحه :

ياحلاوة تمر الصحرا ويا حفيد امام العشرا

يا سنا الصحاري يا مولاي علي الشريف  
ولكنه لم يلبث أن عاد الى فاس لينظم القصيدة تلو الاخرى ، ليصبح  
«أعظم شعراء فاس في القرن الثامن عشر (I)» ويحزق لقب «المعلم» قبل وفاته  
«سنة 1237 هـ (1822م) وقد تجاوز الثمانين (2)» .

وقد كان ابن علي مكثراً ومجيداً ومنوعاً في موضوعاته ، ومن اللطيف  
أن تجده في قصيدة «حجوبة» يستعرض أسماء بعض قصائده ، وهي التي  
يقول في حبرتها :

ياألي زينك فاق الشمس والقمر والبرق اعلمحجاب « عيلتي بحروف اعجاب  
صغ لوجابسي « عالجني بوصولك يا لريم حجوبا  
ففي القسم الثاني منها يخاطب حجوبة ، بعد أن وصف مجلس الانس

(1) Anthologie d'auteurs arabes par M. Bekhoucha et A. Akkal p 75.

المطبعة المهدية - تطوان سنة 1934

(2) «مقال الادب الشعبي المغربي الملحون» للاستاذ الفاسي العدد الاول من

مجلة البحث العلمي سنة 1964

الذى يتمنى ان يجمعهما ، يريدان ان تستمع فيه الى قصيدتين له فى «الحجامة» وقصيدتين فى «المرسم» وقصيدة «القاضى» و «الورشان» وقصيدتين فى «السالف» وقصيدة «الشمعة» و «الحراز» و «جمهور البنات» يقول فى هذا القسم :

ثم نبغيك اتسمى «حجامة» اللولى والتالى باسمباب ❖ ما غتبتهم غتاب  
دون غتابسى ❖ اولاً يردوا قولى الا اعقول مقلوبسى  
ثم تبغيك اتسمى «لمراسمى» ابزوج «اقاضى» للباب ❖ و «الورشان» الخباب  
ماسك اكتابسى ❖ «والسوالف» زوج «أشعما» اضوات مرغوبسى  
ثم نبغيك اتسمى «حراز» حارمو فمناصف لجواب ❖ دور افذهب التذهاب  
ايحير الصابسى ❖ وقت مايتذكرو اتصيب لحسود مرهوبسى  
ثم نبغيك اتسمى «جمهور لبنات» افمعنى وذب ❖ فيه اسميات اغراب  
طرز بغرابسى ❖ كيف نحل ماياتى فالنظام معروبسى  
واذا ما أمعنا النظر فيما بين ايدينا من قصائد لابن على فانا نلاحظ  
خمس ظواهر :

**الاولى :** أنه - على ما نعلم - أول من نظم زجلا سياسيا على حدة ما تثبت قصيدته «المصرية» التى يكاد يجمع كبار الاشياخ أنه قالها فى حمزة نابليون على مصر ، والاسف أنا لم نعر على أثر لهذه القصيدة التى لاشك تكشف عن تجاوب المقاربة مع اخوانهم المصريين فى هذه النكبة التى حلت بهم .

**الثانية :** أنه ربما سبق الى قصائد «السولان» يوجهها لخصومه  
يحاول تعجيزهم ان لم يستطيعوا حل سؤلها بل الامثلة التى تتضمنها ،  
وهى فى الغالب معميات والغاز ، منها قصيدته التى يقول فى حربتها :  
بسؤلك استفخر يا حفاظى ❖ اولاً ابحال عند الى عارفين سولان  
وفى أحد أقسامها يسأل من جملة ما يسأل عن ماهية علم الشعير  
والمواهب وكيف تتسرب للنفوس ، وعن أقسامها التى لا يعد شاعرا من  
يجهلها ، ويرى أن كل من غاص فى بحر الهوى يجده صعبا الا من منحه  
الله الموعبة ، ويوصى راويه الايهاب الداعى فهو أعجز من أن يأتى بمثل

هذا السؤال أو هذا الشعر مهما طال به الزمان :

وانسمال امن ادعا واذل علم الشعر والمواهب

واعلى اشمن اسمبيل يدخل لجسمام

كان لهم فالخلق ارسام

قسموه الفهام اقسام

من لا يدريه لا يقول شاعر فالقول ايجيب

والى داخل بحر اموا اجهلو يلقاه اصعب

الا من ودو ربنا الوهاب

والى ادعا عليك اجهلو بالك تستهاجو

ما جاب عوض سولانى

الو ايعيش ماعاش المرو ولا يجيب لوزان

الثالثة : انه وضع وزنا للبحر المثلث فى قصيدته «زينب» التسمى

يقول فى حريتها :

يابدر ماغطاك احجاب « فى ادجايا شمس النهار السعيد يازنوبا

تاين العهد يا زينب

وعمر فى الواقع تطوير للوزن الذى وضعه امتدرد للبحر المثنى فى

قصيدته «الساقى» التى يقول فى حريتها :

الساقى وخض لريام رد بالك للنوبا لا تغيب عن مولاها

كب يا ساقى راح الليل

فقد لاحظ أن «الفراش» أطول من «الغطا» فجعله قسمين .

الرابعة : أنه عدل بعض الشئ فى «قياس لشركى» وجعله على نحو

ما نجد فى قصيدته التى يقول فى أولها :

يا هلى ريت اجبال الغرب غيبو « وجبال الصحر اتبان غير العظلمات

وقد نظم أغلب مطولاته على هذا الوزن ، ويقال ان الغالى الدهماتى كان

أكثر الشعراء تقليدا له فيه على حد ما يبدو فى قصيدته التى يقول فى

أولها :

ياهل البيت اسيدى لامت لشراف « زكت لهماكم قبلو زوكت لوصيف

وكان هذا «القياس» قبل ذلك على نحو ما تكشف عنه قصيدة  
«الحجة» لابن احساين ، وفي حربتها يقول :

يا حضرا قولوا بالسر ولجهار ❦ الصلا والسلام اعلى النبي المختار

**الخامسة :** أنه - حسب ما تثبت النصوص التي وصلتنا - أول من  
أطال القصائد فجعلها «ملاحم» كما يقولون . حقا ان للمغراوى قصائد طويلة  
مثل «هول القيامة» فان أبياتها وصلت الى مائتين ، ولكن ابن على تعدى هذا  
الطول بما يزيد على ضعفه . ومن خير الامثلة على قصائده المطولة «الذرة»  
التي ضمنها ما كان معروفا في وقته من معارف كونية ، فهي تضم ثلاثة  
وستين وخمسمائة بيت ، يقول في دخولها :

سبح المولى تسبيح اللسان والقلب

وقدس المولى تقديس النجاء لقراب

سبح المولى ماشرق الضياء وغرب

قدس المولى مادام الضياء وغيباب

ويقول في حربتها :

يا ساهى من نومك فبق سبح الرب

لمنا وانت تأيه فالفرور لواب

الصلا والسلام اعلى اخيار لنسب

سيدنا محمد طه اشفيع لعراب

ويقول في القسم الثاني منها :

منها اللوح انشاه ابقوتو وحولو ❦ ومنها الروح والعقل كيف شأ وقدر

اللوحي جعلو خمسين الف اسنا فطولو ❦ والفين في عرضو كيف جا امعبر

ولقلم طولو ألف اسنا ايقولو ❦ كلهم فالكرسى نقط الديام فبحار

لقلم والكرسى واللوحي مكتوب ❦ والسموات والارضين والثلول وارواب

ولحجوب ولشيا فالعرش كل تذهب ❦ خرس منسى فقفر قال النبي الاواب

وقد سبق ان راينا فى المدخل ان مثل هذه القصائد لم تكن تنشد فى المجالس وانما كانت تنرد فى بعض المناسبات وخاصة فى ذكرى المولد النبوى .

واشتهر ابن على بعد هذا بالمعارك الهجائية التى كانت له مع تلميذه ابن سليمان ، وقد تعرضنا لها فى الفصل الثالث من باب الموضوعات

#### هتفه بن سليمان

من زجالى فاس ، وهو تلميذ ابن على وخصمه الذى خاض ضده معارك هجائية شهيرة ، لم ينس فى غمرة حديثها اعتراجه بالفضل لشيخه على حد ما يثبت هذا البيت ينصفه فيه :

رجلى اعلى اقفات لعلى (1)     حجا ايلا او طيت ابن على  
ولكن جاء بعض الاشياخ فقلوبه هجاء وثالوا فى جناس بين اسمم  
الشاعر والنعل الذى يلبس :

رجلى اعلى اقفات ابن على     حجا ايلا او طيت ابن على

ويذهب الاشياخ فى حكاية قصة حياته الى روايتين : تقول الاولى ان اياه الحاج ادريس بن سليمان كان رجلا رقيق الحال يشتغل بالبرزة ، وتقول الثانية ان والده كان من اكبر اغنياء واعيان فاس ، وانه كان محبا المطرب المكون يحيى لياليه فى بيته ، وانه كان صديقا لشيخ ابن على .

ونحن نميل الى هذه الرواية بل نذهب الى ان ابن سليمان الابن متأثر لاشك - وهو طفل صغير - بهذه الليالى التى كان يقيم والده ، والى ان تلمذ لابن على بدأ فى هذه الفترة ببيت والده .

وتحاول هذه الرواية ان تربط بين وضع أسرته وما ترتب منه من تأثير كبير على حياة الابن فتضيف ان والده توفي وترك له ثروة طائلة كان فيها واره الوحيد ، فلم يلبث - وهو فى اول الشباب - ان ينطلق للحياة

---

(1) البليد .

اللاهية الماحنة في غلو واسراف كانت نتيجهما أن أصيب بداء القلب الذي  
أودى بحياته ولما يتجاوز الثلاثين من عمره

وتعتبر قصائده التي نظم في حال مرضه وهو طريح الفراش من  
أروع ما أنشأ الزجالون صدقا وابداعا ، تشم منها رائحة الموت تكاد تخنفه  
وهو يحاول الفرار منها في خوف وتثميت بالحياه . ومن أهم قصائده في هذه  
الفتره «الطيب» و «الوردة» ولعلهما آخر ما نظم قبل موته ، يقول في حربه  
الاولى :

الطيب يعرف دايا والدوا سمومو غال

عالجوني يا ناسي لا نموت موت الغفلا

ويقول في حربه الثانية :

لاتلوموني في ذا الحال جيت تشهد وانودي

يا عدوى فألوت اسبابي خد السوردا

وقد كانت لابن سليمان عناية بأسلوب زجله تمثلت في اكناره من  
التضمين - وهو كما سبق أن رأينا (I) بناء القافية على حرفين - ومن الامثلة  
عليه عنده قصيدة «الرعد» فقد التزم في قافية الاشطار الاولى لالبيات حرفي  
الياء والميم على حد ما يقول في هذه الابيات من الدخول :

الرعد زام طبلو من بعد اقناطر الصمايم

والبرق سل سيقو ويخيل في اخيول لمران

والريـح فالرس ايشالسي

عن اعيون العلفات اعلى اللغا امشمــــ

لقزاج شد بندو للمرجا اعساكروا تلايم

واحرك ابلمطار البيدا حتى اجرات ويدان

قلبي ابحبها سالى

كل فج اصبح من ذاك الضباب خضر

---

(I) انظر الفصل الثاني من الباب الاول ، وانظر كذلك الفصل الاول من  
الباب الثالث لدى ذكر محمد بن عبد الله بن احساين .





ويقول في أول بيت من قصيدة «الزَيْن» :

هيا هيا زَيْن • يا من زهو السلطان  
بسيوف الضمديين • لو طاروا ما طونسي

ويقول في حربة قصيدة له يمدح بها المولى عبد الرحمان :

بوجود السلطان • مولاي عبد الرحمن  
عما بالاحسان • لمجد فزمانسي  
من حكم فالبرين وبهرين

الثانية : سبقه (2) الى النظم في «الجفريات» ، وهي - كما سبق أن رأينا (3) - قصائد يتأمل فيها الشعاع أحوال المجتمع والناس ويستنتج منها تنبؤات بما يحتمل أن يقع . ومن جفريات العميري قصيدته التي يقول في أولها ، رامزا بالصوف والقطن الى طبقات من الناس :

لا اتوطن فالغرب اتخطط لوطن  
الصوف امع القطن عاد فابطانا تحت ابطانا  
ابرزلهوا املايس قفطانو

ومنها لاميته التي يقول فيها :

ذاك الولد المهيسول • أضلو من أناضول  
الفرخ يشبه الخوالو

وقد وجد الناس هذا القول مطابقا لوضع السلطان المولى عبد العزيز بعد أن عزمه أخوه السلطان المولى عبد الحفيظ لأن أمه تركية ، مع أن العميري كان يعيش في عهد المولى عبد الرحمن .

وإذا كانت هذه القصائد تعتمد على الرمز والتلميح والاشارة ، فإن العميري بسبقه الى النظم فيها كان سابقا كذلك الى هذا النوع من الأسلوب في القصيدة الزجلية

(2) حسب النصوص التي وقفنا عليها

(3) انظر الجزء الثاني من فصل «في الحياة» من باب الموضوعات.

يعترف بـ «سبيدي قدور» (I) ، وهو من مكناص ومن أكبر الزبجاليين وأشهرهم ان لم يكن أشهرهم جميعا ، وهو كذلك من أولياء هذه المدينة. نظم في مختلف الموضوعات وبهرز في التوسل والحكمة والموعظة حتى غدا يعتبر بيلسوف الزجل بلا منازع. وأمله من أكثر الشعراء الذين حفظت قصائدهم من الضياع بسبب كثرة انشادها وتدوينها ، لما له من مكانة في النفوس باعتبار ولايته ، وهي فكرة جعلتهم ينزهونه عن كل ما لا يعطون همده من الأولياء ، ويؤولون بالنال شعره في الغزل والخمر على حد ما سنرى بعد . ترجمه المشرقي في «الحسام» (2) فتحدث عن زاويته وبعض كراماته وقال ان «له قصائد عديدة في مدحون الشعر قتلي في حضرة الملوك وتنشيد في مجالس السور وتشرق بها الاسماع ويطيب بذكرها وانشادها في السماع ، احتوت على توحيد عظيم ، ويتنزل بالخمر والنساء وما حبل طائفا لامرأة من شعره لكثرة» (3)

فى شان شرحها يقول : ومن قال هى لى ؟ ويسكت . فلما لجيت عليه القول قال لى : نم وغدا ان شاء الله يظهر لنا ولك ها يكون عند فسكت وما سألته بعد ذلك الا ما يكون من أمر الدهاء الصالح « (I)

وترجمه المؤرخ المرحوم عبد الرحمن بن زيدان فى «أتخاف أعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس» (2) باعتباره من صلحائها فذكر أنه «عبد القادر بن محمد بن أحمد بن بلقاسم الادريسي العلمى الحمدونى ... نشأ فى صيانة وعفاف بمكناسة الزيتون فى حجر والده بالدار التى اتخذها بعد وفاة والده زاوية وبها أقبر ... وكان رحمه الله من أهل المقامات العالية والاحوال السنية لا يعرف لعبا ولا لهوا ولا ما يرجع لزخرف الدنيا وزينتها كثير التطوف على أضرحة الصالحين وزيارة الاحياء منهم والاموات » (3)

ونقل ابن زيدان عن ابي عبد الله محمد الامين الصحراوي المراكشى فى «مقدمة الارتجال فى مشاهد ومشاعر سبعة رجال» قوله : «قال لى السولى سيدى عبد القادر العلمى انه مكث بضعا وعشرين سنة وكان بمراكش وكل يوم يزور سبعة رجال او يزور الاربعة المتقاربة : سيدى ابي العباس السبتي وسيدى محمد بن سليمان الجزولى وتلميذه سيدى عبد العزيز التباغ وتلميذه مولانا عبد الله الغزوانى ، او يقتصر على زيارة ابي العباس السبتي (4) » وزاد ابن زيدان : «وقد لازم دهرنا طويلا زيارة ضريح المولى ادريس الاكبر وبالاخص يوم الجمعة لم يتخلف عن صلاتها بسجده فى صيف ولا شتاء مدة من ثلاثين سنة ، و كان ذهابه لزعمون كل جمعة على أتان له وكان يتطارع على شريف تلك الاعتاب ويتضرع الى مولاه فى تنوير سريره وشفاء باطنه وتطهيره من الرعونات النفسانية ثم بعد مدة لازم داره وصار لا يخرج منها الا يوم الجمعة . وفى آخر عمره لما كبر سنه ووهن عظمه واعتراه ما اعتراه من الجذب وذلك قبل انتقاله لدار النعيم بنحو أربعة أعوام ... ترك حتى للجمعة وكان يتحرى صلاتها بجامع الزيتونة اجد المسجد الشهيرة بمكناس (5) »

(I) ص 289 - 290

(2) الجزء الخامس من ص 336 حتى 352 (الطبعة الاولى - الرباط) .

(3) ، (4) ص 336 . (5) ، ص : 336-337 .

وقد اعتمد في تحديد مدة جذبه على ما ورد عند الطبيب محمد غريبط - وهو من تلاميذ العلمى وملازميه - فى رجن له يسمى «رياض انس الفكر والقلب» قال فيه (I) :

والجذب معه نحو اربع سنين . . . وبعضنا به من المستيقنين ومع ذا سائر الاذكار . . . يصدع بالليل وبالنهـار حتى قضى بقرب فجر الاثنيـن . . . ليلة يوم سادس وعشريـن وذهب ابن زيدان الى أن السلطان المولى عبد الرحمن كان «من خصاصة محبى المترجم ومعتقديه يذهب لزيارته كلما حل بالحضرة الكناسية ويستشيريه فى كل مهم عن له ويقف عند حد اشارته ، وقد شاهد له كرامات وخوارق عادات (2) » .

وقال عنه كذلك انه كان «سيدا حصورا لم يحتلم قط ولا عرف معنى الالتذاذ كما أخبر هو بذلك عن نفسه لا فى صغره ولا فى كبره ، ولا يأكل دسما ، جل قوته الخبز والزيتون ... وقد ظهرت له رضى الله عنه كرامات وأسرار وقصده وفود الزوار من سائر الاقطار (3) » .

وذكر له من مشايخه : (4) العارف السيد الحاج المختار البقال المتوفى عام خمسة وخمسين ومائتين وألف ، وسيدى على بن عبد الرحمن المعروف بالجمل دفين فاس المتوفى عام أربعة وتسعين ومائة وألف ، والشيخ بدر الدين . ومولاي الطيب الوزانى ، وسيدى محمد ابن أحمد الصقلى المتوفى عام اثنين وثلاثين ومائتين وألف ، وذكر له من تلاميذه السيد فضول ابن عزوز والسيد فضول السوسى والسلطان مولاي عبد الرحمن والسيد محمد غريبط والعارف محمد بن عبد الحفيظ الدباغ والامام محمد صالح الرضوى وسيدى عمير بن المكى الشرقى والسيد عبد الرحمن بن التهامى الادريسي الزرهونسى وسيدى العربى بن السائح الشرقى دفين الرباط .

(I) ص : 337 . (2) المصدر السابق .

(3) ص : 339 .

(4) ص : 341-342 .



كذلك كتب عنه المستعرب بورى بحثا بيوغرافيا في مجلة هسبيريس (1)  
ذكر فيه أن سونيك نشر قصيدة للعلمي في «أغاني المغرب العربية» (2)  
هي المسجلة في الرقم الثاني عشر ، وإن فيشر في مجموعة الاغاني المغربية  
التي نشر (3) اورد له قصائد في الارقام السابع عشر والسادس والعشرين  
والثامن والعشرين والرابع والثلاثين وإن كان لا يذكر اسماء مؤلفي أغاني  
مجموعته . ثم نقل كلام الناصري في «الاستقصا» عن وفاة العلمي وبعض  
ما جاء في ترجمة ابن زيدان له ، كما نقل من مؤلف للشيخ عبد الحى الكتاني  
كان أطلع عليه عنوانه «مواهب الرحمن في صحبة القاضي أبي محمد عبد  
الرحمن» أن العلمي توفي في السنة السادسة والستين ولكن عن مائة  
وعشرين سنة وأنه كان على اتصال بقاضي الجن شهروش الذي كان صديقاله  
وروى بورى عن شخص من فاس الجديد حكاية مفادها أن العلمي كان  
حاضرا في أحد الاعراس ، ورغب بعض المدعوين في الاستماع الى قصيدته  
«طامو ابهيح الخدادا» ولكن المنشد لم يجزؤ على تلبية هذه الرغبة لانه كان  
يعرف أن صاحب القصيدة موجود وأنه لا يليق انشاد قصيدة غزلية في  
حضرتة ، وعلم العلمي بالامر فاذن بانشادها مؤكدا أنه لا يعرف لا طامو  
ولا نظومة .

وختم المستعرب المذكور بفائدة عشر عليها في كفاش يضم قصائد  
للعلمي يقول كاتبها ان السلطان المولى عبد الرحمن أراد أن يعرف ان كان  
العلمي في أواخر حياته مازال ينظم فبعث له وزيره سيدي محمد بن ادريس  
يطلب منه بعض قصائده تبركا ، وقابل الوزير لول الامر تليذه محمد غريط ،  
فأكد له أن الشيخ لم يعد يعنى بالنظم ، وكذلك قال العلمي نفسه للوزير  
ولكنه أبدى استعدادا لتلبية رغبة السلطان التي اعتبرها أمرا تجب طاعته  
وطلب من السيد غريط أن يكتب ما يمل عليه ، وأخذ يرتجل القصيدة  
التي أولها :

- 1) M. T. BURET : Hesperis 1038 1er trimestre, dans ; communications  
« Sidi quaddur El-Alami - Notes biographiques »
- 2) Sonneck : Chants arabes du maghreb
- 3) A. Fischer : Das liederbuch eines marokkanischen sangers (Leipzig 1918)

عشق لجمال طبع اغزير افمن هو البيب

ولعلنا من خلال هذه الاخبار ومن خلال ما يروى على السنة الاشياخ وعامة  
الناس ، ثم من خلال ما وصلنا من شعره ، وهو غير قليل ، نستطيع أن  
نتحدث عن العلمى من خلال خمس نقاط :

الاولى : أنه كان شاعر الحكمة الاول وفيلسوف الزجل دون منازع  
ولكن يبدو للكثيرين أن فلسفة سلمية يائسة تقوم على التشاؤم من الناس  
والحياة ؛ والواقع أنها ليست كذلك أو بالأحرى ليست دائما كذلك . حقا  
اننا نجد روح التشاؤم تطفى على العلمى فيرى أن كل ابتاء جيله مطبوعون  
بطابع واحد ، فشا فيهم النفاق والتحايل والخداع والرياء وانعدم الاحسان  
والصدق والحياء والعرض والحسب ، وهى كلها علامات الخراب :

هناؤو اشروط اعلامات التخراب

عاد النفاق امودا بين الناس الكبرا

.....

بالحيلة والمصانعا ولخدع عادت اخلاق اطبايعهم مقلوبا

.....

منذهبهم ندرية خممت اولاد جيلنا كاع بعضا وحدا مضروبا

شباع الريا ولحسنان اغبر والصدق غاب

واترفع لحياء والعرض ولحسب

ويرى أن الصحبة غدت وسيلة للاغراض وأن من يصاحب شخصا

يريد أن يشمت فيه بمجرد أن تتاح له الفرصة :

ولات عند ناس اليوم الصحبا امباب

الى اتخالطو يبغي يشمت فيك

.....

غير تركن لو يغدر فيك

ما يخليك داير كابوس لغدر فيك يتسناك

وهو لهذا يرى ضرورة معاملة الناس بالمثل :

من لا يخدع ويلاطف ويدارى لعدا ويرشى لخوان

ما يوجد حتى رايك فالرخفا والشدا ابخاؤو يستعان



ولكنه لا يلبث أن يعتدل في نظيرته فيرى أن الحياة لا تخلو من الحلاوة

والمرارة ، فيقول في قصيدة «الدار» :

يوم اشواق ويوم احلو ويوم زقوم ❖ ويوم مستعدل بين الطيب والزحاما

ويقول في «طامو» :

معلوم كيف ما دامت رخفا ما تدوم شدا

هذا امسواجب احكام اصروف الدهر

يوم احلا من طعم الثمر

ويوم كمثل الحنظل مر

ثم ان فلسفته لم تكن دائما سلبية حيث نجده يقدم نصائح ايجابية

في أدب السلوك يدعو فيها من أراد السعادة أن يتحلى بخمس خصال ويتجنب

خمس أخرى ، ان يتحلى بالصمت والعزلة والمسألة والقناعة وترك الملام ،

وأن يتجنب الحسد والكبر والجفاء وضيق الخلق والطمع :

من احفظ خمساً دالحسنات حفظ محكام

أفيه رسخوا كرسخ الوشم افلمعاصم

الصمت والعزلة والهدأ وترك الملام ❖ ولقناغا من كاسبهم امن ابناذم

يعتدل ميمون والسعد له يستقام ❖ يرتفع بعد الخفض الهمة الضراغم

ومن اترك خمساً السيئات ترك عزام ❖ من اجملت المحروم الى اعليه حازم

الحسد والكبر ولجفا وضيق لثيام ❖ والطمع بيت الدل امناصب لحشايام

كل سيا من ذا السيئات ضر سممام ❖ فاق سم الحيات الرقط السوام

الثانية : ان العلمى كان ينظم في الغزل ، ولكن الناس يذهبون الى أن

هذا الغزل غير حسي لم يقصده الى المرأة ، ويحاولون بذلك تأويله كقولهم

ان قصيدته «طامو بهيج الخدادا» لا يعنى فيها غير فاطمة الزهراء ، وقد سبق

أن لا حظنا (I) أن مثل هذه القصيدة لا يمكن أن يكون قالها فى بنت الرسمول

وفيها مثل هذه الابيات .

بتنا وبات الخمر يتزادا

---

(2) الشعر جميل امرأة من ليلى كمالى .

لا عدو لا واثق لا حيران احسيد  
فبساط امحتفل مركادو  
الكاس والشمع موقود  
ليا ادراعها بات اوسادا  
وريقها بات اشرايى انرشفو الذيذ  
بشربو امن احلا تورادو  
غفران ربنا موجود

ونحن حين نذهب الى هذا الرأي لا نريد أن ننفي عن العلمي صلاحه وولايته ، ولكننا نريد فقط أن نجعل في حياته مرحلتين : الاولى مرحلة حادية كان فيها يعيش حياة انسانية ، يحب ويستمتع بحبه ما أمكنه ، وفيها نظم قصائده الغزلية والخمرية ، ولعل الشعر الذي ذكر ابن زيدان أنه أحرق بأذنه كان صادرا عنه في هذه المرحلة . والثانية مرحلة زهد وانقطاع عن الدنيا وابتعاد عن متعها ولذاتها ، وفيها نظم معظم توستاته ومدائحه النبوية ومواعظه ووصاياه .

ولعل حادثا ما لا نعلمه جعل الرجل يغير اتجاه حياته ، وان كنا نستأنس بما ذكر لنا بعض الاشياخ من أنه حين نظم قصيدة «المحبوب» وحربتها :  
كيف ايواسى الى افرق محبوبو وبقي ابلا عقل في لرسام افريد  
كيف اجفاني احبيب قلبي ما خلا غير صورتو وانعوتو واخيلسو  
أمن لا عمري انظرت زين الملبدر ابخالو  
عارضها أحد معاصريه — لا نعرف اسمه — بقصيدة في مدح الرسول عليه السلام قال فيها :

كيف ايواسى الى عشق محبوبو وبقي ازيارتو لكن جاء ابعيد  
وناكيف اعشقت سيدي العربي ما نهوا غير صورتو وابها حيمنو .  
فكان لهذه المعارضة تأثيرها عليه ، آلى بعدها على نفسه الا ينظم في غير الابتهالات والتوسلات والمواظد ومديح النبي والاولياء .

الثالثة : انه كان يقابل احترام السلطان له ومحبة اياه بغير قليل من التواضع . في مدحه رسمائيا حذره ونوعا للندرة العنوية . ومن

الأمثلة على ذلك قصيدته التي يقول في حريتها :  
غث لهمام أبريج النصر بالقهار \* ونفذ ادعوتو فالتطاة ولجبايسر  
وفيها يدعو للسلطان بالنصر والتأييد وطول العمر حيث يقول في

أول القسم الخامس :

يا لجليل اكسه حلا ايهبتك نسور \* وأيدو بالغاب وكبرو ابسا ايسر  
وظفروا بالحكما وله سگم الثور \* افكلى بقعا بارك يا ربنا اعمسر  
اجعل ادعوتو دعة نوح الفس المبرور \* اعلى اصحاب الطوفان بدعوتو ابترور  
يظهر وفاء العلمي لهذه الدولة وملوكها في قصيدته التي يقول في

حريتها ناصحا بزيارة قبر سيدي محمد بن عبد الله جاد المولى عبد الرحمن ،  
يكان عاصره كذلك :

لذا ابجد لشراف لهمام السلطان \* ابن عبد الله كوكب الغرب الجوان

وفي سيرة القسم الاول منها يقول

يمم للزاويا الشريفيا \* واعلى اضلاحيها اتطوف  
والقبا الباهما النظفيا \* تبسط في بابها لكفوف  
رامح بسرارك الخلفيا \* ملاما لا غنى يسروف  
يا نجل السيد لعفيف \* أمن قولى أمن الخوف —

المراد : أن كثيرا من الاشياء الرواة يذهبون الى أن بعض القصائد  
التي تنسب للعلمي ليست له وإنما هي لبعض تلامذته أمثال الطيب  
الراستري (١) ومحمد بن هاشم العلوي (٢) ومزور الماتري (٣) ، وهم  
من أشباح مكذبة ، يمشون بذلك قصائد ابن زهران انهما من نظم الراستري

(١) كان من كتاب العلمي ، وقد اشتبه بسرابة ربيعة تعتبر أحسن سرابة  
نظمت في «الربيع» ، يقول في أولها :

فصل الربيع كبل والوقت ازبان \* واعلامات الخير للورى بانو  
وله كذلك قصيدة «المحبوب» التي يقول في حريتها :  
أنا فعارك أسلطانى توفى ازارتى \* واتفكلى يا عنايتى  
يا من طاعة لك بالقمر لسان

(٢) اشتبه بقصيدة «أم كلثوم» التي يقول في حريتها :

الايمنى فهو اى اشبهت الدامى دعنى أو كف خلى أجوارحك اسليبا  
واعذر يا لايم حال المغموم

(٣) له قصيدة في مدح السلطان المولى عبد الرحمن ، يقول في حريتها :  
صل اعطاك الله النصر يا عز الملوك \* مولاي عبد الرحمن

هما «الجافي» و «المزيان» .

أما الأولى فتقول حربتها :

رف ادا بل لعيان

يا بو حجبين امعرقا وزينا

زر لعشيق يزك امن الشيهان ياغزيرل بستانى

واما الثانية ، فتقول حربتها :

حن واشفق واعطف برضاك يالمزيان

لاسمحا ميعاد الله يالهاجر

وأخبرنا شيخ مكناس السيد بنعيسى الدراز أن بعض الشعراء كانوا حقيقة ينظمون وينسبون للعلمي ، ولكنه كان يقول في حقهم داعيا عليهم بالفقر والمرض والموت على غير ملة :

«الى ايقولنى شلا قلت الله ايرزقو القلا والعلا والموت من غير ملا» .

وذكر لنا الشيخ الدراز كذلك أن الطيب الواسترى حاول أن يضيف

لاحدى قصائد العلمي الادريسية هذا العروبي :

ياناظر دا البيات بشعاع المقلات

اقراهم بالتبات تصطاب اكلامي

اتصيب من الثقات نى جيبك احلات

اتبين للدهات كالبدر السامي

مصيون عل لوشات بسيوف وحربات

مفهوم للدهات عراف انظامي

للحافظها احلات وللكاتب زهات

والسامعها ادوات

قالت افوهامي يوجب عنى انقول ربحو العلمي

وعلم سيمدى قدور بذلك فقال له في انكار: «واش انا شكارتي اخوات؟»

يقصد : هل خوى وفاضه حتى يحتاج لغيره يكمل له . وفي هذا مايرجح أن

تكون القصيدتان المذكورتان للعلمي وليستا للواسترى كما يظن .

كذلك وجدنا بعض الاشياخ يخلطون بين قصائد العلمى وقصائد أحد معاصريه ، واسمه محمد بن الوليد التسميطى الدرعى العلوى ، وهو من كبار الزجاليين ، وقفنا على غير قليل من شعره ، ولكننا نستبعد هذا الخلط لان ابن الوليد يذكر اسمه فى كل قصائده ، على عكس سيدى قدور .  
الخامسة : ان العلمى لا يسمى نفسه فى قصائده ، وهذه حقيقة ؛ ولكننا عثرنا على قصيدتين يذكر فيهما اسمه ، الاولى قصيدة « الشافسى » التى حبرتها :

الصلا والسلام اعلى النبى المبرور    «    عدا ما خلق الله اميات الف مرأ  
فانه يقول فى آخرها :  
وبالبحث عن اسميتى بعد السولان    «    عبد لقادر اعلام رب الفوقانى  
والثانية قصيدة « بسم الفتاح المعبود » وحبرتها :  
يارسول الله غشنا يا يمام لرسال  
تخذ بيدى واعتق حالى امن النكايسل  
فانه يقول فى آخرها :  
وارحم سماج القصيدة العلمى

### محمد الحراق

ألف عنه تلميذه أبو عبد الله محمد بن العربى الرباطى (1) كتاباً سماه « النور اللامع البراق فى ترجمة محمد الحراق » وقفنا منه على نسخة

(I) الدلائل المجاطى المتوفى بالدار البيضاء يوم الجمعة 15 شوال 1285هـ (1868م) ، وكان هو أيضاً من الزجاليين ، وقفنا من قصائده ومقطوعاته على خمس ، كلها فى الصلاة والذكر ، وفى أول احدى هذه المقطوعات يقول مخاطباً شيخه الحراق :  
مير لغرام أساقى هيج اشواقى    «    ناديت يا حراقى يا بابى  
هاذ لمدام الباقي يروى اذواقى    «    والوقت حين ايلاقى يا بابى  
اذا شربت الرافى تزها اخلاقى    «    فسبيل حل لئواقى يا بابى

مخطوطة بمكتبة تطوان العامة تقع في سفر متوسط ، وهو عبارة عن مجموع يضم رسائل الحراق وتقاييده وقصائده وشروحه لبعض كلام العارفين ، جعله المؤلف على خمسة أبواب وخاتمة :

الاول : في الرسائل .

الثاني : في الحكم .

الثالث : في التقاييد على آي قرآنية وأحاديث نبوية وكلام بعض أئمة الصوفية .

الرابع : في قصائده وتواشيحه وأبياته ومقطعاته مرتباً بذلك بحراً بحراً .

الخامس : في شروحه لبعض كلام العارفين وذلك كالصلاة المشيشية والحزب الكبير لأبي الحسن الشاذلي وبعض كلام المشتري ونبذة من شرح الحكم العطائية .

الخاتمة : ذكر فيها بعض دعائه وقصائده مدحه بها بعض تلامذته .

ثم ان المؤلف صدر كتابه بمقدمة عرف فيها بالحراق قال فيها عنه أنه «العلامة القدوة الفهامة مصباح الظلام وحجة الاسلام شيخ الطريقة ولسان الحقيقة شريف النسبتين ومفتي المذهبين الشريف الحسن القطب الرباني أبو عبد الله ... محمد بن محمد الحراق» (1) وأنه كان «اماماً جليل القدر متضلعا في علم الظاهر والباطن انتهت اليه فيه الرياسة مشاركا في فنونه من تفسير وحديث وفقه وفتوى ومعقول بجميع فنونه. واما الادب والشعر كاد ان يتفرد به في عصره قد شهد له بذلك كل من عاصره او خالطه أو وقف على كلامه (2) » .

وتحدث عن طريقته التي أخذها عن مولاي العربي الدرقاوي (3) فقال بأنه جعلها «بين شريعة وحقيقة حتى سهلها للسالك ونهجها في

(1) ص : I .

(2) ص : 2 .

(3) أبو عبد الله محمد العربي الدرقاوي II50 - 1239 هـ .

أوضح المسالك وأثنى فيها بالعجب العجيب من علم الإشارة بالطف بيان وأوجز عبارة وكشف غوامض من إشارات القوم وحل رموز ما ليس بمعلوم وأسس طريقته على أربع قواعد : ذكر ومذاكرة وعلم ومحبة (1) « وقد أخذ هذه الطريقة عن الحراق «خلق كثير لا يعد كثرة من طلبة العلم وأعيان الناس وأهل الاعتناء بدينهم من حاضرة فاس ونواحيها كصفرو والبهاليل وجبل كنذر وقبائل الغرب وأهل الجبال والمداشر من نواحي تطوان وجم غفير من أهل تطوان . واما شفشاون فكاد أهلها كلهم ان يدخلوا في طريقته ، وانتشر مدده الى ان بلغ الى الرباط مع أنه لم يصلها بنفسه (2) » . واستمر يدعو الى طريقته «الى أن توفي ... يوم واحد وعشرين من شعبان سنة احدى وستين ومائتين وألف ، فلتحصل ان مدة عمره ثلاث وسبعون سنة .. وفي رواية عن بعض ملازميه ان عمره خمس وسبعون سنة (3) .

وللحراق ديوان صغير (4) متداول يضم سبعة أرجال وعددا من الموشحات والقصائد المعربة ، وهي في أغلبها مقطوعات قصيرة في حب الرسول عليه السلام والتغزل في حضرته والسكر من خمرته ، أنشأها لأشك لتتشهد في مجالس الذكر وحلقاته ، على حد قوله في ذكر الحبيب وان حبه يشقى من داء الاوهام ويضيء الوجود ويجني ظلمة الحب :

الحب تحقيق للقلب ادوا :: يشفيه امن اسقامو اوهامو  
به لوجود كلو يضمو :: من غسق لهوا وظلامو  
وعلى حد قوله كذلك وقد تم له الوصال مع حبيبه وأشرق نور بهائه فنسى كل شيء :

---

(1) المصدر السابق .

(2) ص 10 وتجدر الإشارة الى أنه توجد بالرباط زاوية يطلق عليها «الزاوية الحراقية» يجتمع فيها فقراء هذه الطائفة وهم فرقة من درقاوة .

(3) ص 12 ونشير الى أن السيد التهامي الوزاني ذكر الحراق في اماكن متفرقة من كتابه «الزاوية» (مطبعة الريف تطوان 1942) ضمن منشورات مكتب النشر .

(4) توجد منه طبعتان : احدهما على الحجر بفاس ، والثانية من نشر وتوزيع مكتبة المعارف بمكناس .

جـاد اعلىا برضاہ

لحبیب الی حیثیو ۞ زارنی وانعم لی ابلوصال

حین اشرق نور ابہاء

کل شی بالقہر انسیتو ۞ یا ہلی عقلی اذا شفتسوء زال

ما بیبا غیر اہواء

ومن قوله فی الخمر الصوفیة :

اغتم کاس الراح ۞ ہاحبیبک زار

اسبق او دور ۞ انسف الشـرور

طول الدهور

صل الشراب ۞ فالنکد غاب

والخبر صاب

رشف لکواب ۞ امع لحبیب

عین الصواب

فازہا فیامک ۞ لـر اتعیش انہار

نظرا فالحبیب تمحی کل اجرايم ۞ والرحمن اکريم یالی نرجسہ

اذا مارضی ماتنفع اعزایم ۞ لوبعمال الخیر کلہا تلقسہ

أما موشحاته فمنها هاته التي يقول في أولها :

زال عن قلبي توله الفنا ۞ وصفا أمری

اذ غدا لی کل ربع وطننا ۞ وانتفی نکرى

کل ماء قد حوته شربشی ۞ فأنبا ریان

لست یوما أحتمسى من خمرتی ۞ وأنا نشـوان

من رآنی ثابتا فی حیرتسى ۞ ظنننى وسنان

وأما قصائده المعربة فأشهرها وأطولها تائيتها التي يستهلها بهذه الايات:

أتطلب ليلي وهي فيك تجلت ۞ وتحسبها غيرا وغيرك ليست

فذايله في ملة الحب ظاهـر ۞ فكن فطنا فالغير عين القطيعة

ألم ترها القت عليك جمالها ۞ ولو لم تقم بالذات منك اضمحلت



أصله من امدغرة بتافيلالت كما هو واضح من اسمه ، ولكنه نشأ وعاش في مدينتي فاس ومراكش . وكان صديقا للامير سيدي محمد بن عبد الرحمان وملازما له أيام الدراسة ثم حين ولاء أبوه الخلافة ، ولكنه لم يدرك عهد سلطنته لانه توفي سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف قبل أن يتولى رفيقه الامير الملك بأربع سنوات ( I ) .

وقد بلغت الصلابة بين التهامي المدغري وسيدى محمد بن عبد الرحمن حدا من العلاقة جعل المولى عبد الرحمن يضيق بها ويخشى منها عليه أن تفقد في تربيته وسلوكه فلا يقدر على تحمل أعباء الملك بعده . ويحكى أنه سأل مرة أحد وزرائه ان كان ابنه مجدا في دراسته فأجاب بأنه «بين الشقى والعاصي وملئذ المعاصي» يقصد بالشقى مولاي السعيد وبالعاصي أخاء مولاي المطيع وبملئذ المعاصي صديقه التهامي المدغري ؛ ويعرئ تكملة لهذه الحكاية أن المدغري علم بها فاغتنم مرة كان على حضرة السلطان وحاول بلباقة أن يجعله يثير الموضوع ليرد عليه ويصحح ما وصفه به الوزير فقال :

«بل أنا ملئذ المعاصي يا مولاي» .

وتتجلى هذه العلاقة واضحة في غير قليل من القصائد قالها المدغرى  
في صديقة الأمير ، منها قصيدة « غزيل » التى يقول فى حبرتها :  
دام الله اجمال صورتك يا شادى      انت اعنايتى وامــــــــــــــرأدى  
اغزيل يا سالب من جا ايصينو      زنجار فى عين حاسدى مبيدى محمد

(I) في «اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكّناس» لابن زيدان (ج 3 ص 575) أنه توفي بفاس ضحوة يوم الأحد 21 محرم 1273 ؛ وقد ذكر لنا الاستاذ عبد السلام بن سودة أنه سجل فني وفياته المسماة «اتحاف المطالع» أن المدغري توفي سنة 1271 .

ولم يكن المدغرى ينظم فى الزجل فقط ، وإنما كان ينظم فى الشعر  
المعرب كذلك . قال عنه المشرفى فى «الحسام» مبرزاً مكانته عند الأمير ومدى  
ذوق شعره : «هو الشاعر الملقب الحائز لفصاحة المغرب والمشرق ، ملحوته  
من الهموم يبرى ، وموزونه على أبحر الخليل يجرى هو والله واسطة عقد  
الدهر فى صناعة الشعر الملحون والموزون ، كان بهما يسلى قلب المحزون ،  
شاعر تاج الدولة العلوية المنسوب اليه والمشهور به لانه الذى جذب بضبعه  
ورفع من قدره وألقى عليه شعاع سعادته حتى سار شعره فيه سير الشمس  
والقمر وطار كلامه بالملحون فى البدو والحضر وكادت الليالى تشده والايام  
تحفظه «I» .

ثم ذكر له من شعره المعرب قصيدتين طويلتين (2) فى صديقه  
الامير :

الاولى قالها حين ختم جامع البخارى ، مطلعها :

حديثى غريب عن تواتر لوعتى • وأمرى عجيب عن غرامى بميتى  
روته عدول عن تلاق وسجلات • سجدوا بأخدود الخدود وأدت  
وأثبت قاضى الوجد رقى بجيرتى • وقد كان رقى ما نويت بهجرتى

وفيهما يقول متحدثاً عن البخارى :

تراجبه كأنما النخل أينعت • قللدها لم ازدت وتدللت  
وأحكامه الوفاة التبر أحكمت • يداها لعمري منتقى كل حكمة  
الا فاضربوا أكبادكم لصحيحه • وجدوا كما جدت مطى الاعنة

والثانية أنشأها بمناسبة ختمه كتاب اقليدس (3) سنة 1271 ، يقول  
فى أولها متحدثاً عن الهندسة :

برزت على قدر لنا أشكالها • من خدرها فى طيها أشكالها

(1) ص 380 - 381 (المصورة 1207)

(2) الاولى وارده فى ص 381 - 382 - 383 (المصورة) والثانية فى ص 271

272 - 273 من المخطوطة ك 2276

(3) وهى وارده كذلك فى «اتحاف أعلام الناس» (ج 3 ص 575 - 576)

وحكت مقالتها المقادر بعدمسها \* صحت نتائجها وصح مقالها  
أشكالها تحكى قباب محللة \* تحت الخليفة خيلها ورجالها  
أوخلتها شجرا صغيرا مسمرا \* فاجن الثمار ولو أبت عدالها  
أوخلتها خيلا بدت عريبها \* برباطها قبل العدا أبطالها  
ما شئت من قوس رنت أوثارها \* ترمى البغاة سهامها ونصالها  
رنت وأنت فنى فنا أفكارها \* وحمت مناشرها الحما ونضالها

الى أن يقول :

فانظر لهندسة تلاشى حصنها \* لولا الخليفة ما بدت أضلالها  
لولا الخليفة بنها فى غربتها \* غربت ضعيفة شمسها وخيالها  
وعلى هذا النحو يستمر فى إبراز ولع الخليفة بالهندسة وحيائه لها  
ولعل شهرة المدغرى فى الزجل طغت حتى غطت على ما سواه ، وهى شهرة  
لم يدركها غيره حيث كان يعتبر شاعر المرأة والخمر الاول ، ليس فى هذه  
الفترة فحسب وإنما فى كل فترات الزجل ، ويعتبر بالتالى أكثر الشعراء  
قبولا لدى الجماهير ، وهى ظاهرة جعلت كثيرا من قصائده يصل إلينا سواء  
عن طريق الرواية أو التدوين ، على أنه من المؤكد أن بعض شعره قد ضاع  
أو اختلط مع شعر غيره لأنه لم يكن يذكر اسمه فى قصائده ، وقد سبق  
أن رأينا (I) فى سبب ذلك أن صديقه الأمير كان ينظم الزجل كذلك وكان  
لا يريد أن يعرف ذلك عنه ، ولعله كان يخشى من والده ، فاتفقا على أن  
ينظما القصائد دون ذكر الاسم على غير عادة الزجالين حتى تناسب كليهما  
للمدغرى ، وهذا ما يجعلنا فى ريب من أمر غير قليل من شعره ، فليس من  
شك فى أن بعضه من إنتاج سيدى محمد بن عبد الرحمن ؛ فقد ورد أنه  
«برع فى نظم الأزجال وفاق ، يأتى بالتخييلات العجيبة والتشبيهات البديعة  
والنوادير» (2) وقد تنبه بعض الاشياخ لذلك وحاولوا تحديد بعض هذا

(I) انظر الجزء الثانى من الفصل الثالث من باب «الشكل» .

(2) لا تصحف ج 3 ص ٤٨٥

الانتاج ، فذكروا منه قصيدة «عزبا وشابا» (I) فانهم لا يرونها للمدغرى  
- وان نسبت اليه - ويقولون ان سيدي محمد بن عبد الرحمن نظمها على  
اثر زيارته لاضرحة فاس عشية يوم جمعة وكان قد شاهد في طريقه بزقاق  
الحجر فتأتين تطلان من شباك . وهذه القصيدة تقول حربتها :

أنا عشيت الجمعا شاب أشبابي ❦ هلكتني عزبا وشابا  
من شاهدهم يسخا بشبابو

ومثلها قصيدة «الزهو» التي يكاد يجمع الحفاظ على أنها لسيدي  
محمد وليست للسي التهامي ، وهي التي أولها :

الزهو في طبلا حسن ❦ لبرارد زوج وكيسان  
لونهم يهوانني ❦ احكيهم خرجت بلعمان

ولسنا في حاجة الى الكشف في هذا الفصل عن شعر المدغرى ، فقد  
بسطنا عنه القول في باب الموضوعات ولا سيما ما يتصل منها بالمرأة والخمر ،  
ولكننا - تماما لذلك - نضيف بعض الجوانب عساها تكمل التعرف اليه .

**أولا :** كان المدغرى ولوعا بقافية الحاء الى درجة لقب بـ «حياح الحاء»  
ويحكى أنه سئل عن ذلك فأجاب بأن هذا الحرف يجسم كل أحوال الانسان  
وأنه . قامم مشترك بين المتعة والالم لان الانسان اذا ارتاح أو التذ قال :  
«أح» واذا تألم أو تعذب قال «أح» كذلك : والامثلة على ذلك أكثر من أن  
تعرض ، فجل قصائده على هذه القافية ؛ ونكتفي بالاشارة الى قصيدتين :  
الاولى «فارحا» ، وفي حربتها يقول :

دسني تحت لخلال بين ادروعك لملاح

واللبا والدواح وانهداتك تفاحا

خفت ايشوفوني ايجرحوني يا فارحا

الثانية «رابحة» وفي حربتها يقول :

---

(I) ونسبني كذلك : «عشية الجمعة» .

زين الدواح عطفى بالغزال رابحا

يا عين الدامى السارح أطاوس فادواح

يا بدر اضوا ابكوكب اوضيح

وقد دفعه ولعه بهذا الحرف الى أن يتخذ منه قوافى داخلية ، كما هو واضح فى الحربتين ، بل ان هذا الولع جعله يقع فى عيب من عيوب القافية (I) ، وهو ألا يكون حرفها موحيا بالموضوع ، ويتبين لنا ذلك من قصيدته «زينب» التى يقول فى حربتها :

زينب كنزى وارباحى \* زينب للقلب اصلاحى  
زينب زهوى واقراحى \* زينب للسعد افراحى

فقد كان لازما ، حتى تسلم القافية من هذا العيب ، أن تكون على حرف الباء ، ولكنه أتى بها حائية . ومثلها كذلك قصيدة «طامو» التى يقول فى حربتها :

نصرو رايت لكفاح بو وجنات الوضاحا

والشاما والخال والشفر والغنج الدباح

طامو يا قوت الروح

فهى على حرف الحاء ، وكان يجب أن تكون على قافية الميم .

ثانيا : سبق (2) المدغرى الى «النشب» (3) وهو استهلال البيت بكلمة أو شطر من البيت السابق عليه ، ويتمثل فى قصيدته «قارحا» على حد ما يقول فى القسم الثانى منها :

رفدى ياللا الطايح \* بهواك اعيابى ابقولت أح  
ما بين الهيص والنواح \* سرو بين لحسود بايـح  
كدامك يالمالحا

سرو بين لحسود بايـح \* يا كنز الكنز والرباح

---

(1) انظر الجزء الخاص بالقافية من آخر فصل فى الباب الاول (قوافى صيادية)

(2) على ما نعلم .

(3) انظر الجزء الثانى من فصل «اللغة والفنية» بالباب الاول .

ياروح الروح والنجاح : يا دامى فالفجوج سايح  
بين ازهارو اللامحا

يا دامى فالفجوج سايح : كمن مغروم بك ساح  
حس الخلخال به صاح : صاح الخلخال والدواوح  
فى تحياح لمكباحا  
صاح الخلخال والدواوح : من حسو ما يلى انجاح  
ما ريت الفاه فاكباح : فالليل ايهيح اللوايح  
وسط المهجا اللافحا

فالليل ايهيح اللوايح : ما يقبل غالهوى الحاح  
رحمى يا رايس للاح : رحمة الله الذى ايصافح  
ويدارى بالصافحا

**ثالثا :** كان المدغرى بارعا فى نظم السراب ، ويحفظ الاشياخ  
منها سراة يعتبرونها من أروع ما نظم فى هذا الفن ، يقول فى أولها :  
أنا الى ابلغرام قلبى مجروح : ولهوا منو فانى ما جبرت راحا  
أش اعمالى انبات مجروح انوح : طول داجى وادموع انواجلى سياحا  
من فلكد الى اهويت نعت الدبدوح : ياترى تعطف لى واتجود بالسماحا  
**رابعا :** يظن الكثيرون أن المدغرى لا ينظم الا فى الغزل  
والخمريات ، ولكننا وقفنا على بعض قصائده فى غير هذين الموضوعين ،  
نذكر منها :

I - قصيدة «ربيع النبوى» نظمها فى ذكرى مولد النبى عليه السلام ،  
يقول فى حربتها :

لله الحيد جاد من هو نتاح : فاتح البيان ابمفتاحو  
مفتاح الخير والرضا والرحما الفتاحا

2 - قصيدة فى مدح «العروسة الشريفة» يقول فى حربتها :  
ابهاك اشهد لجباحك : صفى امصفيا واصفيا من برهمان  
شهدا من طيب امصالك : شهدا امصفيا من نسبا قرشيا  
3 - قصيدة فى مدح الاشراف ، يقول فى حربتها :

غاراً مولاي ادريس بن ادريس أمفتاح الغرب والشريف الفيلاي

سيدي مولاي علي الشريف الينبوع خصال

وقد استطاع المدغرى بهذا وغيره أن يشغل عصره ويغطي على كثير

من الاشياخ الذين عاصروه ، نذكر منهم :

I - ابن ابراهيم : وهو من مراكش ، وقد اشتهر بقصيدة «مباركة»

التي يقال انه رمز بها لمكة المكرمة ، وفي حريتها يقول :

حرمت نعم لغنى المالك : ديري ياللا امعاك

شرح المولى ايلا اهداك

نستحسن في ابها اجمالك : أمولاتي امباركا

2 - الفقيه ابن الفاطمي المراكشي : ذكر لنا الشيخ محمد بن عمر

المراكشي أنه كان صاحب كتاب قرآني يحي اربط بمراكش ، وقفنا من

رجله على قصيدتي «الرياض» و «الجافي» .

3 - الرجرجاني : وقفنا على غير قليل من قصائده .

4 - الحاج عبد الفضيل المرينسي المكناسي : وقفنا له على قصائده

«جسمهور الخوذات» و «المحبوب» و «الفصادة» ، وكان تلميذا

للنجار علي حد ما يصرح به في القصيدة الاولى حيث يقول :

واسمى معروف الحاج عبد الفضيل المرينسي الا اخفات اخبارو

الذكي تلميذ النجار

5 - علال الكحيلي المراكشي : يقال انه كان شيخ الاشياخ في مراكش،

له قصيدة «زهور»

6 - محمد الحبابي الفيلاي : اشتهر بقصيدتي «مباركة» و «خنائة» .

7 - محمد الشاوي : من أشياخ فاس ، وقفنا من قصائده على

«الحراز» و «ضارم الطعن» و «عيشما» و «الوصاية» وقصيدة خامسة في

الهجاء .

8 - الطاهر فعييس : لعله من مراكش ، لم نقف من شعره على شيء،

9 - الجيار : ولعله من مدينة الرباط .

10 - الفقيه القريعي .

II - أحمد امريقق المراكشي : ذكره الادريسي في «كشف الغطا» فقال انه كان شيخ الاشياخ (I) له «زينب» و «راضية» و «وأمنة» . ذكر لنا بعض الحفاظ أنه كان من العلماء وأن له قصيدة «الخادم والحسرة» وقصيدة «بستان الفكر» يقول في حربتها :  
دير الوجهك امرايا شف صنعت الله

I2 - أحمد ابجيوات : وقفنا من زجله على قصيدتين : «عرصة الرضا» و «فطامة» .

I3 - أحمد بن علي الغنيمي : ترجم له محمد الكانوني في «جواهر الكمال في تراجم الرجال» - وهو القسم الثاني من «تاريخ أسفى ومسا اليه -» فذكر أنه «كان أستاذا حافظا للقراءات السبع عارفا بأحكامها معروف الصلاح مشهور الاحوال من رجال الفضل والدين والسماحة ، له قصائد ملحونة (أزجال) منها ما هو في المدح النبوى ، ومنها ما هو فى أحوال الزمان الحاضرة والمستقبله ... توفى حوالى سنة 1290 ودفن بمقبرة أسلافه» (2)

### أحمد الكندوز

من كبار أشياخ الزجل ، وهو من الرباط ولكنه انتقل الى فاس حيث أقام مدة طويلة . كان يعيش فى عهد السلطان مولاي عبد الرحمن وابنه سيدى محمد أى فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر ، ويثبت لنا ذلك أن له قصيدة يرثى بها مولاي عبد الرحمن ، وهى التى يقول فى حربتها:  
الله اعظم اجرنا واجركم يالاسلام فالشريف العلوى

ينبوع الحلم وعلم نعم مولاي عبد الرحمن  
وقد امتدت به الحياة حتى أوائل القرن الرابع عشر حيث عاصر الغرابلى والتركماني على حد ما يثبت هجاء هذا الاخير لهما فى أواخر قصيدته «الداعى» حيث يقول :

وللشيخ الكندوز اخرج فعراضى نحسبو اعقيل وامودب ذوقى صارمو اصقير  
واحمد لغرابلى افشر لين منو سمعت لعراض او قالوا

وقد شرح لنا الشيخ محمد بن عمر سر هذا الهجاء فذهب الى أن



الغرابلي حين خاطب التركماني بقصيدته التي حربتها :

يالداعي بالعرف اصنع الهل العلم افما قالوا

الشهادا من غير اعمال ليس تكفى مولاها

لم يصرح باسمه فيها أول الامر وشيع أنها للكندوز ، ولكن التركماني عرف أنها للغرابلي فجمعهما في الهجاء . ولم يصف الغرابلي اسمه الى القصيدة الا بعد أن كشف الامر . وقد علل الشيخ ابن عمر محاولة التستر هذه باحساس الغرابلي بالضعف والخوف من الشيخ المدني .

ويحكي الاشياخ أنه قيل مرة للكندوز : «انك تنكر فضل ابن علي ،

ولو كان حيا لما جرؤت علي ذلك» يقال ينصفه :

قالوا تنجحد ابن علي وشهدو بعقود الزور

ونا لو جبرت الزاد كل يوم انجدد لمزارو

واجب لو يزار .

وربما كان في هذا ما يدل على أنه أدرك ابن علي العمراني وتلمذ عليه.

وقد اشتهر الكندوز في فنين :

**أولهما :** التضمين والتجنيس .

فقد كان أبرع الشعراء في استغلالهما حتى قيل عنه أنه «رايس

التضمين والتجنيس» . أما التضمين - وهو جعل القافية على أكثر من

حرف - فيظهر في قصيدته «غاسق لنجال» وهذه حربتها :

أيا غاسق لنجال عذبتني بالتيه يا شمالا

زر رسمى يا مول الخال كم لى نرجا لوصال

يقول في أول القسم الثاني منها :

احكم ابتيهانك يا الخليل

لكن بعد التيهان جد واعطف

قلبي امعاك نخطف

نبغى ابهاك نقطف

نقطف من الورد الناسم

وانقبل الجبين الواسم

وانقول يا رفيع الاسم  
لنا اسمائك احباب

ويظهر كذلك في قصيدته «البتول» التي حربتها :

كبل يا رقاص للرضا واحتال \* لوصول بوشفر قتل  
السرواح تــــــــــــــــال \* حسن ابهاها لالا البتول

وأما التجنيس فيتبين من قوله في القسم الاول من «غاسق لنجال» :

بحفائك عمدا لي عدت انجيل  
ما شفق تعذابي اولا امحاني  
سيف لجفا امحاني  
لعباد لامحاني

فامحاني الاولى جمع محنة والثانية من المحو والثالثة من اللمح (I) .

### الثاني : ذكر حمادشة .

وهي قصائد نظمها لينشدتها «حمادشة» في حلقات ذكرهم ، ويطلق عليها «الدرع» ويحكى الاشياخ في تعليق هذه التسمية أن الكندوز لم يكن يعتقد في الطائفة الحمدوشية أو غيرها من الطوائف الطرقية ، ولكن كان له ولد ينتمى لهذه الطائفة ورآه يوما يسر في استعراض الطوائف في حالة حماس وجذب فأخبره من الصف وحاول منعه من الاستمرار في هذا الاستعراض ، ولكن الولد استطاع أن يفلت من أبيه ويعود الى ماكان فيه . أما أبوه فأصيب للحين في ذراعه التي ظلت مريضة منتفخة تنته من القيح الى درجة أنه اضطر - لشدة الرائحة الكريهة التي كانت تصدر منها - الى ان يعتزل الناس في غرفة عالية . وذات ليلة صعد اليه في الغرفة مؤذن جامع الحن - وكان حمدوشيا - وضربه على ذراعه فكان في هذه الضربة شفاء ؛ ومنذ ذلك الحين تراجع عن رأيه بالنسبة لهذه الطائفة وبدأ ينظم القصائد للحمدوشيين . والاسف اننا لم نوفق في الوقوف على نماذج من هذه القصائد.

### محمد الموقت

من أشياخ مراكش ، ولعله والد المؤرخ ابن الموقت صاحب «السعادة

(T) انظر الجزء الاخير من الفصل الثاني من باب «الشكل» .

الابدية فى التعريف بمشاهير الحضرة المراكشمية» . ويبدو أنه كان معاصرا للعميرى حيث وجدنا فى الكناش الذى وردت فيه زازيته المعروفة بـ «الساحى» تعليقا على هامش الحربة كتب فيه : «على قصيدة الموقت» (I) كأنها قيلت فى معارضتها أو الرد عليها . أما الحربة فيقول فيها العميرى :  
اشروط على لتقلاب بشرا امقلزا ۞ أوجوه اصلاب ولقلوب افتكريز ولجيا الزا  
والمسكين بين لشواق كيتحزا  
وقد اشتهر الموقت «جفرياتة» وخاصة قصيدته «الزازية» التى يقول فى حريتها :

أسايلنى انفيدك ابكافر باريز ۞ استفد آكن عايق واتبع الغرزا  
وله كذلك من الجفريات غروبي مشهور تحدث فيه عن الواقع المؤلم  
الذى أصبحت عليه الاحوال ، يقول فى أوله :  
سبحان الله صيفنا ولى شتوا ۞ وارجع فصل الربيع فالبلدان اخريف

#### مولاي على بن أحمد شقور الحسنى العلمى

ذكر لنا السيد هاشم السفينانى الشاونى أنه ولد بالشاون «شفشاون» سنة ثمانية وعشرين ومائتين وألف وأنه توفى بها سنة خمس عشرة وثلاثمائة وألف حيث دفن بزاوية تعرف باسمه لازال أتباعه يقيمون بها حلقات ذكر كل يوم جمعه . وذكر لنا كذلك أنه كان ناسجا ويمارس الفلاحة والبيطرة فى نفس الوقت وأنه كان ولوعا بالطرب يعزف على آلة الكمبرى . وحين زار السلطان مولاي الحسن الاول مدينة الشاون سنة سبع وثلاثمائة وألف أعجب بالشيخ شقور فاستضافه مع عشرة من رفاقه المطربين مدة تسعة أيام فى قصره بفاس ، وأهداه وصيفا وكسوة وبغسلا وخمسمائة ريال وأخرج له مردود «قاعة» (2) الشاون ، كما أهدى كسوة لكل من رفاقه . وكان الشيخ شقور يطعم من هذا المردود فقراء المدينة كل سبت حيث يقدم لهم الخبز «والبيصارة» (3) بالزيت .

(I) انظر الكناش المخطوط بخزانة الرباط العامة رقم : 165 قصفحة 509

(2) السوق الخاصة ببيع السمن والعسل والزيت .

(3) شربة القول ، وينطقها أهل الشمال بفتح الباء.

ويعتبر مولاي على شقور من كبار أشياخ الزجل فى الشاون ،  
وقد ترك وردا لاتباعه وديوانا صغيرا يضم أربع عشرة قصيدة ومقطوعة  
معظمها فى الذكر والشوق لحضرة الرسول عليه السلام والسكر من  
خمركه . وقد تفضل السيد السفينى فانتسخه لنا عن مخطوطة لديه .  
ومازال أتباعه فى الزاوية ينشدون هذه القصائد ويذكرون بذلك الورد .

يقول فى احدى مقطوعاته :

بسم لكريم نظرا فيكم	❖	وهو الحاكم فيكم
سبحان امن اتجلى فيكم	❖	كريم الا اينوم
لا تصحب من لا ايسدوم	❖	لابدا يغرب بك النوم
يا وافي كل مظنون	❖	يا معاهد لفنون
ما بين الكاف والنون	❖	اذا يقول كن اكون
لا اله الا الله	❖	لا اله الا الله
والله بالله يا لله	❖	ما يكون غير ماكون الله

ويحفظ أشياخ الشاون قصيدة فى مدح مولاي على شقور من نظم  
محمد العملى ولد زيطانة ، يقول منها فى نفس جفرى :

مولاي احمد اعلا امقامو	❖	اهدى اهديا امن امكانو
امحابق من اشغلنا	❖	موكنا ولات ابلقفاطن
هل الضلعا اتغننو	❖	فالصولا ارجعنا للحرارطن

كذلك يحفظون فى مدحه قصيدة معربة لعبد الهادى الصقلى ، يقول  
فيها :

وتحية أنسية قدسية	❖	تهدى مع الرضوان فى المنشور
لفريد هذا العصر قطب زمانه	❖	ووحيد المنصب المشهور
بحر المعارف والعوالم شمسها	❖	من أشرقت أسرارها كالنور
ذاك الوالى الواصل الفرد الذى	❖	حاز العلا مولى على شقور

### شاعران من شفشاون

أخبرنا عنهما صديقنا الدكتور عبد السلام الهراس :

### الاولى : الشاعرة التوردانية

وهى ابنة الفقيه التوردانى (I) الشفشاونى ، كانت تعيش أيام سيدي محمد بن عبد الرحمن وعمرت حتى أدركت عهد الحسن الاول ، وكانت تنظم الشعر ملحونا ومعربا ، وكانت متزوجة بالسيد أحمد بوجنة . ومن أبياتها فى مدح امرأة ريسونية اسمها العزيزة بنت أحمد ، وكانت جميلة وغنية :

للاعزيزا يابنت احمد \* يابنت الجاه العالى

### الثانية : الشاعرة الوردية

من اسرة الوردية ، ومما يحفظ لها قصيدة فى مدح سيدي محمد بن الحسن الريسونى المتوفى سنة 1131 هـ تقول فيها :

القطب لهمام \* شافتو عينى افلمنام  
لابس لحريير \* دايرت خضرا

### أحمد بن على الدكالى السلاوى

ترجمه والدنا حفظه الله فى الجزء الاول من كتابه : «أعلام الفكر المغربى المعاصر فى العدوتين : الرباط وسلا» فقال انه : «كان ذا زهد وورع وتعفف مع أدب وفكاهة، يحسن علم التوحيد ويتقن التلاوة ، وله معرفة بالملحون على اصطلاح أهله .. وهو جد المؤرخ الكبير أبى عبد الله محمد بن على الدكالى .. أخذ عن جماعة كالعلامة العربى أحضرى والعالم أبى عبد الله ، وكان أديبا متقنا ، توفى عام اثنين وعشرين وثلاثمائة وألف» (2) .

وأخبرنا الشيخ بنعيسى الدراز أن ابن على كان من كبار زجالى عصره وأنه كان من جلساء السلطان الحسن الاول وأنه اشتهر بقصيدته «زينت الغبا» التى يقول فى حريتها :

يا زينت الغبا حزت من لغزال الركب

يا توكت الركبا نسل لقراهب

زينك وانا اعجايب واستولى ابلحكام عل لقلوب .

---

(I) اندثرت هذه العائلة من شفشاون . (2) مخطوط المؤلف ، ص 51 .

## الحاج إدريس بن علي السناني لحنش

أكبر شعراء الزجل بعد التهامي المدغري ، كان ينظم في كل الموضوعات فيجيد على ما يبدو من النماذج المتعددة التي مثلنا بها من قصائده في «باب الموضوعات» ؛ وأغلب شعره محفوظ . وهو من العلماء المؤلفين ، له رسالة بعنوان «المقامة المغنية عن المدامة المسماة بروضة المدامة والايناس في لطف محاسن وادي فاس (I) ، وله كذلك ديوان من الشعر المعرب أسماه «الروض الفائح بأزهار النسيب والمدايح (2)» نقتطف منه قوله في مدح آل البيت: (3)

بربك هل تحت ظل السماء \* أناس كأنجمها في السماء  
وأبهى من الشمس وقت الضحى \* ومن دارة البدر حال الضياء  
سوى آل فاطمة إذ لهم \* لباب المعالي وكنه العلاء  
فمن مثلهم في الوري «منصباً» \* أما قدرهم والسما ذو استواء  
وان شئت قل قدرهم فوقها \* تكن قد أصبت مرامي السماء

- (I) تقع في ثمانى صفحات مطبوعة على الحجر بفاس .  
(2) فرغ من جمعه سنة 1316 هـ ، عدد صفحاة ثمانية عشرة وأربعمائة تضم احدى عشرة وثلاثمائة مقطوعة وقصيدة مرتبة على حروف المعجم . توجد منه نسخة مخطوطة بخزانة الرباط العامة رقمها 1678 ، وهي بخط ابنه محمد الرضى السناني ، انتهى من نسخها سنة 1327 . كذلك أورد له ابنه المذكور مقتطفات من شعره في كتابه «الشذرات» المسمى «التقاط الفوائد وغرر العوائد» وهو مطبوع في جزءين بمطبعة بوشنتوف في الدار البيضاء (ص 28 من الجزء الاول وص 39 - 143 - 156 - 163 - 164 من الجزء الثاني) وقد وردت له أيضا قصيدة تقريرية بآخر كتاب «الابتهاج بنور السراج» وهو شرح للسيد أحمد بن المأمون البلغيشي على منظومة سيدي العربي بن عبد الله المساري (ص 228 - مطبعة محمد أفندي مصطفى بصر سنة 1319 هـ) والقصيدة موجودة بالديوان كذلك من ص 225 الى 229 وهذا أولها :

شرحت سعاد صدورنا بمزار \* فبدت محاسنها بلا أستار

وقوله متوسلا الى الله (I) .

يارب عاملنا بعطف شامل \* بصباحه ليل المكاره يدمغ  
يا رب ألبسنا لباس سلامة \* من حفظك الكافي علينا يسبغ  
يا رب هب أمانا لنا ووقاية \* ننجو بها وحمى أمانك تبلغ  
انا تشفعنا بأعظم شافع \* قد فاز وجهه فى حماه يمرغ

وقوله متغزلا (2)

يا رب سائلة الاعراف غانية \* مليحة من ذوات المجد والحسب  
غزاة قد غزا الأكباد ناظرهسا \* بصارم سل قصد الفتك والعطب  
تختال كالرمح أو كالغصن قامتها \* تلفعت بلباس الحسن والادب

جاءت تميل بكأس الراح قائلة \* أجب لكأسك يا ادريس واقترب  
فأطربت بلذيد اللفظ واحتجبت \* فغاب عقلي لما قد نلت من طرب  
حكى لنا بعض الاشياخ انه كانت للحاج ادريس مساجلة مع شيخ سلا  
عبد الرحمن بن حمدوش أثناء زيارته لفاس حيث استضافه جماعة من  
الاشياخ كان من بينهم الحاج ادريس ، وهو الذى «قام» (3) الاتاى ، ولكنه  
حين وزع الكؤوس مد للضيف كأس «التشيلية» (4) فسكت ابن حمدوش  
ووضع الكأس بجانبه ونظم قصيدته التى حربتها :

من دق الباب \* ما يليه غير اجوابو \* غربه من جابو  
من ضربتو الضرسا جبا الكلابو

ويقال ان كل الاشياخ ردوا عليه وان الحاج ادريس برز فى رده الذى  
ضمنه القصيدة التى حربتها :

قصر لعنان يالى غرتو نفسو وطول السانو  
وابغى ايكون شيخ ابقوة لغنان  
كانت وفاته سنة تسع عشرة وثلاثمائة وألف .

(I) ص : 372 (2) ص : 48

(3) قام الاتاى : هيا (الاتاى : الشاى)

(4) تطلق التشيلية على الماء القليل الذى ينظف به البراد بعد أن توضع فيه حبوب الشاى . وقد جمرت العادة أن يصب فى كأس تبقى فى الصينية ، وكثيرا ما تختلط بكؤوس الشاى لاتخاذها نفس اللون .  
(42)

أحمد بن عاشر بن محمد الحداد الرباطي

ترجم له عباس بن إبراهيم المراكشي في الجزء الثاني من «الاعلام بمن حل بمراكش واغلمات من الاعلام (I)» فنقل ما كتب عنه الحاج عبد العزيز بك المصري في رسالته المسماة «مختطفات الشوق من مقتطفات الذوق» (2)، حيث قال : «اجتمعت بشيخ ذاكر مذكر مغربي الجنس والمقام وأدبي الخلفي والكلام يقال له الشيخ أحمد الحداد بن عاشر صحبته رضى الله عنه أياما بعد رجوعه من الحج والزيارة فوجدت في ظاهر أحواله على عمارة باطنه أكبر إشارة ووقع بيني وبينه من المحبة والالفة ما أهلني لأخذ أوراده جميعها من غير كلفة ، وقد كفاني في فضله ما رأيت له من الأوراد والصلوات الإلهامية مع ما هو عليه من الأمية والعامية كما أتى استدلت مما يظهر عليه من الوجد والهيام الذي ينجذب له كل من رآه من الأنام ان الشيخ رضى الله عنه خارج من حضيض أراضى الطوائع والعادات عارج في أوج السعداء والسادات (3)» وذكر ابن إبراهيم أنه وقف له على مجموع أحزابه ويسمى «مجموع الأحزاب وتيقظ أولى الالباب ومفتاح الابواب لمن أراد القرب من رب الارباب» وقال انه سكن مدة أربعة أعوام مدينة مراكش حيث قال متوسلا برجالها السبعة قصيدته التي حررتها :

أهل البهجة الحمراء أسيوكم بطار      مال سيفي ما بين أسيوكم قاصه  
وفى دخولها يقول :

أهل لحما فحماكم زايكت اوزار      واش عمار اعليكم سربت لغنادر  
أليوت الحضرا يا باهيين لسراد      بالنبي تتشفع خير لورى الطاهر  
أنجوم اضياها ويا سحوب لمطار      للذى أرضو عطشاننا ابشوم قاهر  
ثم ذكر أنه توفي في تاسع ربيع الثاني عام ست وعشرين وثلاثمائة وألف .

(I) الترجمة 129 من صفحة 271 الى 276 (الطبعة الاولى - المطبعة الجديدة - فاس)

(2) مطبوعة مع الحزب الاعظم للقارى شارح الشفا سنة 1300

(3) ص : 272



كذلك ترجمه والدنا حفظه الله في الجزء الاول من «أعلام الفكر  
المغربي المعاصر بالعدوتين : الرباط وسلا (I)» حيث ذكر أنه دفن بالزاوية  
الحراقية بدرب الزهراء في الرباط .

### محمد بوزيان

من كبار أشياع فاس في نهاية القرن الثالث عشر وأوائل الرابع  
عشر الهجري ، اشتهر باستعمال نشب الكلمة على حد ما تثبت قصيدته  
«المحبوب» التي يقول في أولها :

محبوب خاطري من فكدو عمدالى      عمدالى والنوم ضاجر من لنجال  
لنحال عل الخد دمعها سلسالى      سلسالى تهوا كما لطر هطال  
هطال من افرق اللي زاد اهبالى      اهبالى من فكد من اهويت اغزال  
اغزال اقلبها غيرو ما يحلال      يحلالى وصلو ايلا انعم ابلوصال

### الحاج أحمد الغرابل

من فاس ومن كبار أشياع هذه الفترة ، كان يشتغل بالدرازة ثم  
تركها للاشتغال بكتابة الحروز والتمائم . كان بارعا في «التضمين» كما  
يتضح من قصيدته «ملكة» التي يقول في القسم الثالث منها وقد ضمن  
القافية حرفي الدال والكاف :

ايلا اوفى ميعادك  
روحى انهب لغداك  
ننكى اعداى واعداك  
نبغى اتودنى من ودك  
وازيارتى اجعلها وردك  
حتى احبيب مالى بعدك  
يامن اقوام قدك

مرهاف اصقيل هازم اعدوك

ويحد من ايحدوك

اضفاير اسوالف بالطيب اتسيمها ادكا

تسبى عقل الى ايشاهدك

واترصع لدرار دى اتناسب ديكما

كذلك كان بارعا فى تشب الكلمتين على حد ما تثبت هذه الاشطار من

قصيدته «عين الرحمة» :

أعين الرحما الراحما يا قمرت لنيام

يا قمرت لنيام جد لى يا بحر التعظيم

يا بحر التعظيم والفضل يا عين الرحما

وقد كانت له مع معاصره ابن ريسون منافسة شديدة تجلت فى خصوصيتهما

التي سبق أن ذكرناها (I) والتي تدخل هاشم السعدانى (2) لا صلاحها

بقصيدته التي يقول فى حربتها :

الصلاة اعلى الماحى سيد كل ما فالحي ادرج ❖ لفضل طه وازواجـ

زين الفلجـ

وكانت له أيضا مع احمد المدنى التركمانى المراكشى (3) مساجلة

مشهورة دارت حول الايمان والعمل سبق أن ذكرناها (4) ، قال فيها شاعر

مراكش قصيدته التي حربتها :

اللايم خلى لعباد كل واحد فى حالـ

الشهادا بالله وبالرسول تكفى مولاهاـ

---

(I) الفصل الثالث من باب «الموضوعات» لدى الحديث عن الهجاء

(2) من كبار أشياخ هذه الفترة ، يقال أنه كان يتاجر فى البلغة بسوف

السباط فى العطارين ، وكان له كناش بالدكان يدون فيه قصائده .

ووقع مرة حريق فى السوق فأحرق الدكان والكناش . وقد نقل عنه

أنه قال بأنه لا يستطيع من حفظه أن يعيد كتابته ، وبهذا ضاع غير

قليل من إنتاجه . وقد اشتهر بقصيدته «دخول وجدة» التي يقول فى حربتها:

يالاسلام ابكوا اعلى ادخول وجدا ❖ دون حرب اغنمها لعدو ونال المراد

(3) كان درازا بحى أبى صالح بمراكش

(4) الفصل الثالث من باب الموضوعات

وقال فيها شاعر غاس قصيدته التى حربتها :

الداعى بالجهل اصغ الهل العلم وما قالوا

الشهادا من غير اعمال ليس تكفى مولاها

ورد التركمانى بقصيدته التى يقول فى حربتها :

الداعى شهيد والشهادا بالله وبالرسول تكفى

واكفات وكافيا وخير فالدنيا ولاخرا اكثر

والمومن نيتو افضل من اعمالو

ومن القصائد التى اشتهر بها الغرابلى قصيدته «لطف الله الخافى»

التى يقول فى حربتها :

يا لطف الله الخافى \* العطف بنا فما اجرات به القدرا

وقصيدته «ملكة» التى يقول فى حربتها :

أرايت لملكا يا مولاتى المالك \* لك العبد وكل ما ملكك

نصرو ملكا احمايت الملك

وقصيدة «المرسول» التى حربتها :

خبرنى يا مرسول عن اسراج اعيانى \* وشمس انهار تغفر بوصالو عراض الزين

الله ينصر مولاي المزيان

وقصيدة «الخادم والحر» وهى التى حربتها :

قصا اجرت للخادم والحر \* يوم ظلوا فخصام اكثر على المعيار

وقصيدة «لشرف الحسين» التى يقال انه نظمها فى مسجد سيدنا

الحسين بالقاهرة ، وكان يزورها فى طريق عودته من الحج ، وقد ضاع منه

زاده ؛ ولكنه لم يلبث أن عثر عليه بعد توصله بأبناء فاطمة الزهراء ؛

يقول فى حربتها :

طالبكم ضيف الله سارخونا يا اهل لحسان

من يقصدكم حاشا ايخيب يا هل البيت العدنانى

لشرف الحسين

كذلك اشتهر بنظم قصائد للذكر كهاته التى يقول فى حربتها :

بيا حب الهادى ضى لرمماق \* منلى نظرا فبهاه برماقى

كان للغرابلي تلاميذ أشهرهم محمد، جسوس وعبد الهادي العامري الذي وقفنا من شعره على قصيدة «فاطمة» ، وهما من أشياخ فاس . وكان له معاصرون لم يرقوا الى درجته ، منهم :

1 - الحاج العربي الرحوي الفيلاي : من فاس ، يقال له «المعلم» وهو من فقراء طائفة احمادشة ، اشتهر بقصيدته في «المحمل» ، وفي حربتها يقول :

غارا لله يالوالى ❖ مولى مكناس جد برضاك اعليا

2 - عبد الهادي بناني : له قصيدتان مطبوعتان على الحجر بفاس ، أخبرنا بهما الفقيه الباحث سيدي ادريس بن الماحي :

الاولى : «الدرة البهية في مدح رجال الشاوية» في ثمانى صفحات.

الثانية : في شرح ما وقع عند الفتنة التى حدثت عند خلع المولى عبد العزيز ، في أربع صفحات . وقد وقفنا من شعره على جملة قصائد .

3 - عبد السلام الزفري : من أشياخ القصر ، ولكنه أقام مدة فى

فاس ، اشتهر بقصيدته «خلخال يامنا» التى يقول فى حربتها :  
خلخال يامنا تفكيرا خلا تو وامشى لى ❖ عجبي افيوم توفى واتقول اراه مانقول  
وله كذلك «الساقى» الذى يقول فى حربته :

كعب يا ساقى كاس السراح ❖ كاس اعراقى فعراقى  
وتحض الى طايح ❖ وكعب للساهى باش ايطيح

4 - الغالى الدمناتى : من فاس ، وكان رفيقا للزفري وتلميذا له كذلك ، له قصيدة «مولد النور» التى يقول فى أولها :

ابديت بسم المولى نعم لغنى الستار  
باسمو نستفتح يا صاحى فاشعارى

وله قصيدة فى المدح والتوسل يقول فى حربتها :

يا رسول الله غثنى فنهار الميعاد

يا رسول الله ما يلى دونك حد اسنيد

وقد اشتهر بقصيدة فى مدح آل البيت والتوسل ، هذه حربتها :

يا هل البيت اسياى لامت لشراف

زكت فحماكم زوكت لوصيف

لا تدوزونى يوم الموقف لعصيف

السلطان مولاي عبد الحفيظ العلوي

هو ابن السلطان الحسن الاول (I) ، كان خليفة في مراكش لـ «  
المولى عبد العزيز الذي تولى من سنة احدى عشرة وثلاثمائة وألف للهجرة الى  
خمس وعشرين ، ثم اعتلى العرش بعد موت أخيه حتى سنة ثلاثين حيث  
تنازل لأخيه المولى يوسف بعد أن أمضى عقد الحماية الفرنسية على المغرب (2)  
يعتبر من العلماء والمؤلفين ، له :

I - العذب السلسبيل في حل ألفاظ خليل  
2 - كشف القناع عن اعتقاد طوائف الابتداع (في الرد على أصحاب  
الطرق)

3 - نيل النجاح والفلاح في علم ما به القرآن لاح  
وهي كلها مطبوعة ، وله كذلك :

I - منظومة في مصطلح الحديث  
2 - الجواهر اللوامع في نظم جمع الجوامع (في أصول الفقه)  
3 - ياقوتة الحكام في مسائل القضاء والاحكام  
وكان المولى عبد الحفيظ الى جانب علمه وتأليفه شاعرا زجالا ، له  
ديوان طبع على الحجر بفاس دون تاريخ ، يضم تسعا وثلاثين قصيدة أغلبها  
في الغزل ، وبعضها في الهجاء والتوسل .  
ويبدو في غير كثير من هذه القصائد ميل الى العناية بالاسلوب يتجلى  
في استعمال النشب والتضمين .

(I) يقال ان ابنا آخر للسلطان الحسن الاول كان ينظم الزجل وهو المامون ،  
وكان خليفة لوالده في فاس . وتنسب له قصيدة «زعمريا» التي يحكى أنس  
قالها اشتياقا لزوجته حين تركها في مكناس وسافر الى مراكش . وهذه  
القصيدة هي التي تقول حربتها :

خاطري سلبتوني يا ولد سيدنا زعمريا  
وتنسب للتهامي المدغري .

(2) كان عقد الحماية في II ربيع الثاني سنة 1330 الموافق 30 مارس 1912  
وكان تنازل المولى عبد الحفيظ لأخيه في 13 غشت من نفس السنة .  
أما وفاته فكانت سنة 1937 في انجان لوبان حيث كان مبعدا عن المغرب ثم  
نقل جثمانه الى فاس .

أما التضمين فنظم عليه قصيدته «زهرة» على حد قوله في القسم الاول  
منها جاعلا قافيته على حرفى الياء والسين :

وهو ياسيدى واهواك زاد ليا واعيت امعاد افلمقايس  
وافنيت من اشغل هجرك اياسى \* كيف ما يعياوا اعياس  
لاش مانفها فقياس

لنشئ قولى من سر صورتك ما يسلب لكياس  
كيف ايسلبو فكرى اعيونها من دون القياس  
من اتيه اشغال الزين والكياسا

امتا انشوف وجهك ما بين اغراس حق ياسى  
فرياض طابت الياسو

الورد والزهر والخيلى كحوان جار ياسى  
وأما النشب فيتضمن من حربة قصيدته «الحاجبة» حيث يقول ناشبا  
بكلمتى الراس والناس :

من اسموم الهجرا واليه شاب لى راسى  
راسى الحاجبا يهوى بدر الناس  
الناس الى تعشق حالها ما تعدر بقياس

يا حسرا الانفاسى  
وقد ساورنا شك كثير فى أن يكون المولى عبد الحفيظ ناظم هذا الديوان  
حقيقة ، وسألنا غير قليل من الاشياخ فوجدناهم يشكون كذلك ، بل أخبرنا  
بعضهم أن الديوان نظم له أيام كان خليفة لاختيه فى مراکش ، وأن الذين  
نظموه هم ثلاثة من كبار زجالى هذه المدينة كانوا من جلسائه ، وهم :

1 - الحاج أحمد الزغبات

2 - الكبير بن عطية الذى يقال انه كان كاتبا للبasha ابن داوود وأنه  
توفى فى نهاية الربع الاول من هذا القرن ، وهو صاحب  
قصيدة «بودلال اهنيا»

3 - الاحمر المرياق الذى كان معروفا بالوجد والذى يقال انه توفى  
سنة خمس وستين وثلاثمائة وألف .

والواقع أن سبب الشك عندنا يرجع الى جملة ظواهر لا حفظناها في

الديوان :

**أولها :** وجود قصائد بأكملها في الهجاء بالاضافة الى أن معظم

قصائد الديوان مختومة به ، فهو يقول في حربة أحد أزجاله :

لاش تظلم قوسك تركو المن اعتن •• من لا يسبح في بحور امواجو محسوب تحشا

خلي ريحو ما قلبت اسفان

وفي دخوله يقول :

مادري رمز امعاني نايم الجفن •• ولا يوصل للدواخل لمدارك في اعلومنا

من لا يدرك نهلج اعيانو

مادري كيف ارقاوا الناس فالدهن •• حتى صادوا من امعانيها كنز ما فنا

بنيان ابنا اقويم عن تيقانو

مادري من لا عتق الجسد من اسجن •• يرمى جهل لعلوم فاقفر خليان من ابلادنا

يقطف مسموم ويهيج في تفنانو

واش تعتدا بفكرت الجاهل الفن

من لا يقرأ اكتب علمانو فاهم كيف اصنعنا

وقت ما يروى ايزيد امحانو

ويقول في آخر قسم من «المرمم» :

شتم اقديم شاننسى •• ما نرضاشسى ابقولهم

نفخبا نهلك تركنسى •• من شاتم في انظامهم

من يتعاضم ما يلوشان •• حسبو اديم مالو فالخلق امزيا

ما يرقى في ادروج اسنان •• طبعو ابهيم ما فاز اكل انويسا

حتى لو طالوا بيهتان •• فالحين ما يرجعو الا مخزيسا

ويقول كذلك في القسم الخامس والاخير من قصيدة «كنت هانى» :

كل دعوا بفنون القول صاهضا •• ناس الدعوات ما يلهم تفويض

ماداروا امعاني ترجيح ولقضا •• حتما ليا انجبهم في تربيض

كل مايا يفصح بها امخوضا •• ليس يسوا اكلام ناس التخويض

ما لبالي بكلااب الدوز اقلقضا •• حق لهم جيت معراض اعريض

ولسنا نتصور شخصا جمع بين مركزين عظيمين : الملك من جهة بما يفرضه من سلطة وسلطة ، والعلم من جهة ثانية بما يكتسب من صبغة التجلة والاحترام ، ثم يكون له في نفسه هذا الاحساس بالمنافسة وما يترتب عليه من خصام وهجاء لرجالين آخرين ، مهما علا شأنهم فهو دون الملك العالم ، وما نظنهم كانوا يجروؤون على مواجهته أو مبادلته نقدا أو معارضة بله الخصام والهجاء ، وهو فن لا شك يقوم على المواجهة والتبادل .

**الثانية :** تغزله في نساء يذكر أسماءهن مثل :

«حجوبة» التي يقول في حربة قصيدتها :

واعلاش يا محجوب نساك وافراقك عز اعليا

وادموع اعيانى لضناك ساهرا داج

و«رقية» ويقول في حربة قصيدتها :

اليوم نبغى ارمزك يلمع بالشفير ❖ زورى رسمو ايزول حقا تخمامسو

بشرى بمجيك يالريم ارقيا

ويقول فيها قصيدة أخرى هذه حربتها :

كنت امسلى اقديم من قبل انشوف ابصارو

من صالت بالزيين ولفخسر

تستاهل فالريام تعظيم النصر ارقيا

و«امينا» التي يقول في حربتها :

شير بحداقسى ❖ واعط امدام صافى بالرضا الاشواق

بوجود امينا ليلت لبها شارقا

و«لالا ربيعا» وفي حربتها يقول :

الله ينصر زهو اللحظيين ❖ والظرافا مصباح الزين لالا ربيعا

لوجيبا نور المطبوع

وله فيها قصيدة ثانية يقول في حربتها :

ربيعا قوت الروح ❖ من اهواها نرجا منو اصلاح

يوم اتواصل بعطوف عاينا بفصاحا

و«زهرا» وهذه حربتها :



لازلت امنن اهواك فانزايله واعراس  
كيف نقطع منك يا زهرا اياسى  
وله فيها قصيدة ثانية هذه حربتها :  
عنوا اليوم زارت زهرا لرسام ناكرا  
نكوا قلب اللى ما ادرى  
من خزرات اللحظ منها واسهوم  
و«هنيا» ويقول فى حربتها :  
دام الله ابها امحاسنك من فاقت لهلال  
قد اسهوم البين ولزارك دون ادزيلا  
من لازال القلب كايراجى بك اهنيا  
وهى ظاهرة نراها تتناقض مع تقاليد الملوك العلويين التى تقتضى عدم  
الكشف عن نساء القصر والتصريح باسمائهن حتى لا يعرفن ، وخاصة من  
تكون لهن مكانة فى نفوسهم .  
**الثالثة :** المعاناة من الحب و اظهار الخضوع والطاعة للمحبوب  
على حد ما يبدو من حركات القصائد المشار اليها سالفا ، وعلى حد ما يقول  
فى الابيات الاولى من قصيدة «الغروب» :  
ذكرنى لغروب فى اصفورتو لونو مغير  
ظن اخليل اصغا من اقوال العادل بهديس  
واتوارى لحجاب ترك رسمو منو مهبجور  
وافجات اسرارى وحالتو عيت المردار  
من طعنوه اشفار الريام باللعنا فاضمير  
واتهدم صبرو لادرى من حكمو مشهور  
واتمادى هولو من اسكاب ادموعى فسحار  
واتحكم قولو افساكنى واسرع بالنذير  
يا حسرا لسموم مالكى من صعبو بالنفور  
ما حادر عيبي ولا فهم ابشارت لشفار  
كن اظلام الليل حامل من قبحو تغيير

خلانى بضناه فى امهامه حكمو مقصور

وافنايا واصفورت ورقتى يعطوك لخبار

لاش اتزيد اتسال امن احوالو يكفيك اخبى.

والعارف من شوفت لعيون ايميز مدعور

ويقول فى حربة قصيدة «زهرة» :

بالنيه ولبها والشفيرين اتزاد هول اعايطو

من يوم فيه زارت زهرا ونا فى احكام شطط

ويقول فى آخر قسم من قصيدة «عنية» :

من بايع للزين واليه والتيه الدلال

وامطايب لحديث كاتخامر به اغنياسا

ما مثلو سلطان امن اسلاطن سعدويا

فمثل هذا الشعور لا يحسه ملك ما نظن الا أن الحياة كانت متيسرة

له بمختلف امكانيات اللهو ووسائل الامتاع ، وأنه كان يأخذ منها ، ان لم

يكن فى اسراف ، فيما يكفيه لوعة الحرمان . وحتى ان كان يحس شيئا من

ذلك الشعور فنخوة الملك تحول دون اظهاره والتعبير عنه ، الا أن يكون

حديثه فى ذلك من باب المحاكاة والتقليد .

ومع هذا فنحن نلاحظ ظاهرتين لعلهما تحولان دون ترجيح الشك الذى

ساورنا ان لم تنفيا : :

الاولى : ان الديوان طبع فى عهد سلطنة المولى عبد الحفيظ كما

يتضح مما كتب فى الصفحة الاولى عنوانا له ، حيث نقرأ :

«هذا ديوان فائق ومجموع رائق بارع عظيم الشأن شامل الدور المعانى

وفحوى البيان جمع من الملاحاة أصفاه وأعلاها ومن الرقائق والحكم أوفاهها

وأغلاها فأصبحت به نفوس ذوى الادب فى ابتهاج وهمم العوانى فى تحريك

وانزعاج ، وكيف لا وهو من بنات افكار من لا يضاهى نجاره ولا يماثل

فخاره ، كوكب الادب الوقاد ، الناظم النائر ، المشارك الحجة النقاد سلطان

البلغاء الذى تاهت العقول فى تصانيفه وحارت الاوهام فى فنون تصاريفه

أمير المؤمنين ناصر الملة والدين سيدنا وولانا عبد الحفيظ ، لازال حسامه

منتصبا لكل قط غليظ ، أدام الله نصره وتأييده وخلد ملكه وماثره العديدة  
آمين» .

**الثانية :** تتجلى في النفس الذي يعلو هذه الأزجال ، وهو  
نفس - يبدو من الشعر الذي سبق أن مثلنا به - أنه غير طبعى ، نحس فيه  
بعض التكلف ، كأن الناظم ، لطغيان اللغة المثقفة عليه ، يجد صعوبة فى  
استعمال اللهجة الدارجة وتطويعها للتعبير . ثم انا لا نلبث لنلاحظ بعض  
التعابير العربية التي لم نألفها عند الزجالين ، منها استعماله «حيص بيص»  
فى آخر بيت من أول أقسام قصيدة له فى التوسل والاستغاثة حيث يقول :

من اعلا واطغى اتهد ذاتو يا لجليل  
حتى يبقى ايشوف نفسو لدليلا  
فى حيص وبيص ما سالى بالحيلا

واستعماله المثل العربى «الصيف ضيعت اللبن» فى آخر دخول  
قصيدة له فى الحكم حيث يقول :

عاد ييحت الشخص افغير ما تقن \* قل المن جايرمى اشهاقو فى اكلامنا  
الصيف ضيعت البانور

واستعماله «خبط عشواء» فى أواخر أبيات قصيدة «الداعى» حيث  
يقول :

لاتعانء جاهل يهوا امخابط \* خبط العشوا ما يمثل تخباطك  
والى معدور ما يخيظ اخياط

### ادريس العلوى

شيخ أشياخ فاس بعد الحاج احمد الغرابلى ، أخذ عن الشيخ التهامي  
الغرفى الفيلالى الذى كان مقيما فى فاس يحترف البناء . كان يقصده  
الأشياخ من كل مدن المغرب ليأخذوا عنه كلامه ، ومن خارج المغرب كذلك  
حيث يقال ان بعض أشياخ الجزائر كانوا يفدون عليه أمثال الحاج محمد  
العلقا وقاضا الكصاب وعبد الكريم دالى والمنور التلمسانى ومولاي الجيلالى  
الزيانى .

كان بارعا فى قصائد «التصلية» ومدح الرسول عليه السلام ، على حند

ما تثبت قصيدته «عين الرحمة» التي يقول في حريتها :

يالهادى عين الرحما الحال ضاق     غشنا يا محمد طيب لخلـوق

ومن تصلياته هذه التي يقول فيها :

صلى الله اعليك ياالماحى محمد ياشريف لاسم سيد لملاح

يا من بك الناس فارحـا

من شهد بك نال ربحو واصلاحو

اصلاتك كنزى ورأس مالى وربحى واذخيرتى اصلاتك هى المفتاح

تفتح لى لققال قاصحا

واتلين لقلوب بعد يقصاحو

وكان بارعا كذلك فى قصائد التأمل والموعظة ، ومنها قصيدة وقفنا

منها على هذه الابيات :

لا غنى يرحم ابلفقير معنا لقلوب اقساها

اقسى من لحجر يفجر سيل ابمـاه

لا صغير ايوقر لكبير قلت الناس احياها

والخمر والميسر والزنا جاهم يا محـلاه

لاصلا فى اوقتها ولامن فيهم اداها

من غير الغيبا امع اشتم والكذاب الخـاه

غرتهم الفانيا وعادت لهم انزاها

ولا انساوا الآخرا وكل واحد هاذا يرجـاه

ابسطنا لكفوف للذى خالقها مولاها

وينجينا سامع الدعا من شر ويلاه

يكرمنا بالدين وليقين والخمسا واصلاها

والتقديس والحمد وشكر للمعبود اللـه

وقد ظهر تفوقه فى الغزل من قصيدة «غارو لعواتق» التي لم نوفق منها

الا الى هذه الابيات :

غاروا لعواتق من اجمالك ياد البدر الشريف يازهو العاشق

ياللى زينك ما ريـاه

مكوانى فايق امن اجفاك أولفى جفنى وسيف تيهانك واسق

كل كهلى بحمول اسفـاه

مدرا يا حادق واش قلبك عن محبوبو اشفيق من حالو شافق  
ياللى غيرك ما نهواه  
بالقول الصادق يالبدو غوضك مالى اصدىق لن حبك سابق  
افلكنان امورث مئواه  
والسابق لاحق امن اجبينى كتب اقلام اترفيق سمحان الرافق  
ما يواخذ عبدو بخطاه  
وقد وقفنا فى أوراق للشيخ أحمد سهوم على قصيدة فى رثائه لم يذكر  
ناظمها ، نسوق منها هذه الابيات :  
وكحت لعيون يا حبيبى من لدموع  
والقلب من لفراق محسوك امقطع  
والجسم ابد العذاب يا سيدى مصروع  
والعقل امع الضمير بالشوق اتزعزع  
واسيارى واهنا اوجدانى ملسوع  
والنفس املاحقا افصدري المليع  
والروح السايير امع النعش المرفوع  
يمتا تسخا ابذاك لضريح اترجع  
الصبر اعلى لفراق ما عطانى طوع  
بعد ما كان عنده الشدات امطوع  
باكى شاكى افريد ما رايم لجموع  
انقيـل فالضنا ونمسي نتزع

#### محمد المدغرى المكنى العيساوى الفلوس

آخر كبار أشياخ فاس ، توفى سنة خمس وخمسين وتسعمائة وألف  
وهو دون الستين . انتسخنا غير قليل من قصائده من كتانيش لاحد حفاظ  
شعره كان يشتغل معه فى الدرازة هو السيد ادريس المرونى الفاسى .  
كان ينظم فى كل الفنون ، ولكنه اشتهر بالقول فى الموضوعات  
الدينية ، ومن خير الامثلة على ذلك قصيدته التى يقول فى حربتها ، وهى

فى مدح الرسول عليه السلام :

صلى الله اعليك ياالتقى محبوب الباقي \* يا مولد الحجا الواثقا  
يا محمد صاحب اللوا والتاج والبراقى \* لغرامك لخلق شايقا  
وقصيدته التى يقول فى الشوق للديار المقدسة ، وهذه حربتها :  
يا مولى زكى اسمى باسم الحاج \* ابجاه من حج وطاف وزار حرم طه  
وقد اشتهر كذلك بقصائده الوطنية ، ومنها هذه القصيدة التى مدح بها  
محمد الخامس ، وفى حربتها يقول :

دام الله ايام صولت النور المحمدي

من به اضوا نجم غربنا سيدى محمد

حاز الفخر ومجد ولمزيا نجل المهتاد

سلطان المغرب نورنا سيدى محمد

ومنها قصيدة «النجمة» التى رمز بها للحرية ، وقد جعل الليل والنهار

يتصارعان من أجلها ، يقصد بالليل الاستعمار ، وبالنهار الوطن ، يقول فى  
حربتها :

سمعوا يا حضار ما جرى للضى البهيم

عن حسن النجما اتحاربو فى ساير لاكم

وانصار الضى وحازها الرسمو وانحاز اللوم

وقد ذكر لنا الفقيه السيد محمد بن الهاشمى القاسى - وهو من حفاظ

شعر الفلوس - أن كثيرا من قصائد هذا الشاعر الوطنية ضاعت بسبب

احجام المنشدين عنها لخوفهم من سلطة ادارة الحماية ، بل ان الفلوس نفسه

خشى الامر بعد أن حذره رجال السلطة فأخذ مجموعة من قصائده الوطنية

ودفنها فى احدى المقابر حتى لا يعثر فى بيته على شئ منها اذا ما فتش ،

علما بأنه كان غالبا ما يخفى اسمه «محمد» فى قصائده بمثل هذه الرموز :

(1) اسمى لللا والبا .

(2) اسمى كعب .

(3) اسمى عبك .

وهى كلها كلمات مجموع قيمة حروفها اثنان وتسعون ، وهى قيمة

حروف م ح م د ، ولكن السلطات الاستعمارية كان لها من عيونهم —  
وجواسيسها من يدركون مثل هذه الرموز .

### بنعميسى الدراز

أكبر زجالي مدينة مكناس منذ بداية القرن ولا يزال ، وهو رجل —  
مسن يناهز الثمانين وأمي ، كان يشتغل بالدرازة ومنها اكتسب لقبه ، زارنا  
في بيتنا بفاس لمدة أيام أملى علينا خلالها بعض قصائده وقصائد غيره ، وأقادنا  
بأخبار ومعلومات كثيرة يتصل جلها بمعاصريه .  
يكاد كل شعره يكون في الغزل ، ومن قصائده التي يعتز بها «زهرة»  
التي يقول في حبيبها :

بمزاري بمزاري • جدلي بوصالك نبراً

يسا مولاتي زهراً

ويقول في دخولها •

سلطان حبك اسكن لي فصميم السيار

يا راحت لعقل يا قرت لبصار

يا طلوع البدر السيار

شف دمعى هواي مدرار

ورخ اسطار

فوق لحدود بجهار

والبين زاد حسراً

وكند جمراً

اكدات حمراً

ما تطفئها امياه لنهارى

ولا اطبيب يوقى من ذا التشحار

نضاري نضاري \* افنا ونرجا مول القدرا \* يشفى ذاتي تبرا

### الحاج محمد بن عمر الملحونى

شيخ أشياخ عمراكش ، زرنه في بيته حيث قضينا معه يومين أمل

علينا خلالها من كنانيشمه مقتطفات من قصائده وغير قليل من الفوائد. وقد ذكر لنا أنه تلقى على الشيخ اسماعيل عميد الزجل في وقته ، وأنه كان ينظم في مدح مولاي يوسف (I) جده الملك الحسن الثاني ، وإن عمره الآن يقرب من الخامسة والسبعين . وهو على جانب غير يسير من المعرفة فضلا عن القراءة والكتابة ، وينظم في كل الفنون . وقد واكب بزجله الحركة الوطنية في مراكش ونظم قصائده في أزمة نفى محمد الخامس سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة وألف .

وفهمنا من كلامه في السراب أنه خيم من نظم فيها من أشياخ العصر ، ومن مرابة له يصف فيها ورة الشعب على اثر نفى السلطان لموق عنه الأبيات :

يا علي معظم يسوم السميت بانث ارجال  
فالمدين خرجت بطرادها كاتقاتيل  
شبان افصول خالرجين اكفول  
ذالها جذبان الحال سار في حال  
كل واحد بلسانو كيصرخ قايل  
وينادي فالحججاييف ولحفول  
يا هل الشعب المغربي الكيسول واطفال  
ما بقى بعد اليوم اصبر يا لسايل  
به الشبان بالجميع اتقول  
يوم الخميس (2) امضى وابقى الحرب مازال  
عمر الثورا ماتها الشعب حاميل  
واليوم اهلو سيبو لحوول  
والشيخ ابن عمر لا يتجاوب مع أحداث وطنه الصغير فحسب ، وإنما هو يتجاوب كذلك مع وقائع الوطن الكبير على حد ما تثبت قصيدة قالها في حرب فلسطين الأخيرة (3) ، هذه حربتها :

(I) تولى على اثر تنازل أخيه مولاي عبد الحفيظ سنة 1330 هـ الموافق سنة 1912 م وتوفي سنة 1346 هـ الموافق 1927 م حيث خلفه نجله محمد الخامس .

(2) إشارة الى أن النفي تم يوم الخميس (20 غشت 1953) .

(3) خامس يونيو 1967 .



صوتوا بيوت المقدسي يارجال النجدا نصرؤا الدين ياهل ليما  
واحسوه عن لعدا اتفر مفر سائر ليهود  
ومن أروع ما للشيخ ابن عمر بعد سراربه ووطنياته قصائده الغزلية  
كما تثبت هذه الايات من «أميننا» :

أميننا حبك نيران	•	اعلى نيران
كاديا فميم الوجندان	•	وسط اكندانى
أميننا هاذى لزان	•	أو الطورفان
فوق خدى أو الويدان	•	قالجريانى
أميننا قلبى لوبان	•	جسمسى موفان
لاخلينى فالحرمان	•	راه اضمنانى
أميننا مانى نعدان	•	مانسى يقظان
كيف بت اتقى ولهمان	•	وسط امكانسى
أميننا قلبى ملاق	•	محننا واحزان
مابقى ينفعنى كتمان	•	بين امكانسى

### شعرى الزكوى

أكبر شيوخ الرباط المعاصرين ، وممن كانت تشد اليهم الرحلة .  
والاسف أنا لم نادرکه حيث كان قد توفى حين بلدأنا نعى بهذا الفن .  
كان كثير النظم فى الازمات السياسية والاقتصادية على حد ما تكشف  
عنه قصيدة له فى التوبة ، يقول فى حريتها :

يا طالب لمان	•	تب واعمل ما أمر به ويننا
وفى بعض اشعارها يقول :		
حدثك بلسان	•	ساكن الساكن كان اتريد وعظما
والى زاد اييمان	•	ما حشر قبر اللى يكرهنا
قالوا ناسى الزمان	•	ولا بنى لنا قصر الى ايحنا
لو طاروا جحان	•	ما يلو قدرا لنفعنا وضرنا
واش اللى هديان	•	كيدان امرؤ معروف عندنا
ما وافى صدقان	•	غير من كره اغلب ايدي اهلينا
سال اهل التبيان	•	والحديث ايخبروك ابايت لنا

وانصت للقرآن \* لا تجسس على لقوام المؤمن  
واجز هل لحسان \* ابلحسان او بدعوت خير عمنا  
لا تشهد نقصان \* افلعباد الى بالمولى اميقنا  
لا تعمل عديان \* غير زوج الى هم اسباب اذنبنا  
لفسق والشيطان \* خالف امرهم قبل انشاهد لقنا  
ومن شعره في غير هذا الموضوع قصيدة في الهجرة النبوية ، هذه  
حربتها :

يا محمد يا خير خلق الله \* صلى الله عليك يا طه

#### عبد القادر الجبرائي

من كبار أشياخ الرباط وأحد أعضاء جوق الاذاعة للطرب الملحون ،  
وهو تلميذ الشيخ عثمان الزكي ، تذاكرنا معه غير ما مرة فأفدنا منه ؛ ولعله  
أكثر الاشياخ المعاصرين ثقافة ومعرفة بأصول الزجل وقواعده . له دكان في  
حي فران الزيتونة يبيع فيه الدقيق ، وكان من قبل يحترف فيه النجارة .  
من انتاجه قصيدة في أزمة البون «بطاقة التموين» يقول في حربتها :  
حرت ابلقت لبزار والفاخر  
والزيت والسمن والصابون امع السميد عاد اهموم السكر  
وقصيدة في الذكر حربتها :

اللهم صل على النبي راكب البراق

محمد الزكي نعم المجيد التقى  
وله في معارضة «الداعي» (I) لعباس بوستة المراكشي قصيدة هذه  
حربتها :

تاك بشار السعد وفرحنا اكل

ومن اظلمنا القى افعالو واعمالو

السويل رام لو \* ولي عند الناس فالمهمل

(I) وحربتها :

راب سور الدعى واتشتت الشمل \* وارجالو ما جزوا ليه اعلى مالو  
جاء عاملو \* لمرقى شانو افكل اعمالو

وفى أحد أقسامها يشير إلى فرنسا وما لاقت من ويلات في الحرب العالمية  
وما واجهت من الوطنيين في حركة «اللطيف» المشهورة ، فيقول :

يامن أعيا كهلو بتقال ادحمل \* فالحين ارميه جاب ربي حمالو  
اللى ايحملو \* ملا كان افطرقنو لحمالا

غير جابر كان امن المجور ليس من \* ويقول اعمام البلجيوش وعمالو  
ومن احتملو \* وارضوا اشرطو ابغير ايমা

كان طنو باقى دالشرط ينكملى \* لكن الله جاب لو من رتمالو  
ابشر دام لو \* بسيف اللطيف والبسملا

بعد عزو فيامو صادف لهممل \* ضاع املكو وزاد بهلو وابمالو  
الهم شاملو \* عاد يشقى طرقت الحمالا

بات ملك واصبح ينكس لخملى \* ويختم فى ابلاه شى ايكون اعمالو  
واسقام لو \* ليس اوجد لبدو اولا لكمالا

ومن أروع شعره قصيدة «ألف باء» تتبع فيها حروف الهجاء ، ليس فى  
أول الابيات فحسب وانما فى القافية كذلك ، يقول فى حريتها :

يا راسى من لوزار تمى \* واسترجع من وهم لعيوب  
تنتهى واترك فعل الذنوب \* خاف الله الثواب  
بيداهما بقوله على حرف الالف :

اسم المولى فالمبتدا \* سانس النظام افما انشأ  
واللى بها جيحو امرا \* يدرك بها مرتساب  
الى أن يقول على حرف الياء :

يارب كسل نى ارجى \* جاور عنى وامحى الخطى  
يوم اسوالى ايحضر و امعنى \* ليس يعجز اقل جواب  
ثم يختتمها بتوسل يتتبع فيه الحروف على هذا النحو :

بالالف الف بيننا \* وآتى بالنصر الديننا  
انتبعو منهاج ايقيننا \* ايعود احكمننا غلاب

بالياء يسر أمر الضعيف \* عبد القادر يمشى الخفيف  
لقام المبرر الشريف \* ثم ينسزع تمغاب

وواضح أن القصيدة بائية حيث جعل المروي باء في كل الأبيات ، ولكنه نوع في قوافي الاضطار الثلاثة الأولى من كل بيت . وقد ذكر لنا أنه يطلق على هذا الأسلوب اسم الدبلة والعزودة والمرشوش (I) والشيخ الجعاري بعد هذا مشهور بقصيدته في «المعراج»

### الشيخ شهاب الدين القزويني

شيخ أشياخ الرباط والرئيس الحالي لجوق «الطرب الملحون» بالإذاعة المغربية ، وهو على قسمة لا بأس به من المعرفة ويشتمل على ما ينبغي للمؤرخ الرئيسية للخضر . أطلعنا على بعض كتاباته التي كتبها بنفسه وأخبرنا أن أكثر نظمه في الغزل ، من ذلك قصيدته «فوزية» التي يقول في حريتها :

صل بجمالك عن جمع لبنات يا قد الرايا  
ياخدود الورد المفتوح ياغزالي فوزيا  
وقصيدته «نزهة» وهذه حريتها :

أش يزها من لايزها ايزين مولاتي نزا  
أش را من لاغني مع لغزال فرجا وانزاها  
وقصيدة «كريمة» وفي حريتها يقول -

جسد ابغيت لمرام : يا مصباح الخودات لالا كريمة  
بردنسي رانا المشروم : نضحني سالي مكروم  
ومن أروع قصائده «الحمام» ، يقول في حريتها :

بالله يا حمام ادي عنواني امع السلام  
لسبيغت النواجل آمنة زينت السمما

و «الخاتم» وحريته :

خاتم ولفي تاج لبها اتوضر وامشي لي -

كيف المصول : لا اتسمال عنو نرت لجسمال  
كما أن له بعض القصائد ينظمها في المناسبات الوطنية كقصيدته التي قدم في الصيف الماضي بمناسبة ذكرى «ثورة الملك والشعب» في العشرين

(I) الدبلة المرقعة : العزودة : دودة سوداء مخططة بالأصفر : المرشوش : شعر أو أنيش عنقار : الأذن أو الأرم .

من غنمت ، والتي يقول في حربتها :  
من اعظمها ذكرى يامن اتسال تاريخ امخلد  
نورة الملك امع الشعب يوم الاستعمار الفاه

لكن المولى جاد اعليه ايدى واكرم مثواه

### المؤلفون آخرون

تبين من المعاصرين كثير من الزجالين غير من ذكرنا ، منهم من وقفنا  
على نماذج من إنتاجهم (I) ، ومنهم من لم نلف لهم على شيء ، نرى تكملة لهذا  
الفصل أن نستعرض أسماء بعضهم مرتبة حسب هذهم :

أولاً : مراكشي :

I — العباس الحرار : صاحب «الشبيبة» التي يقول في حربتها :  
ياغابط فاحوال الفانيا استعرجم » شف الدنيا بعد اكجالها اياضت  
وله «الفجر» ، يقول في حربته :  
يقتل جفك يانايم » قم اتودي حق لكريم من لاينام  
مولانا خيرو دايم

وقد وقفنا له من قصائده على «الوصاية» وعلى قصيدة فخرية ،

2 — أحمر العراس : كان بارعا في قلب القصائد ومسخها ، وقد  
سبق أن مثلنا لذلك (2) .

3 — عباس بن بويسته : كان قويا ، وقفنا من شعره على ثلاث  
قصائد ، احداها في احوال الناس واثنين في الهجاء . له كذلك قصيدة  
تأملية يقول في حربتها :

لا تغرب فالتغرب امع لفاربسا » الغرب اشريب سايعرا فيه اغريبا  
من اغرابو من اهل غربا

كان كثير الميل الى الحكمة والموعظة ، ومن أشهر أبياته التي سمارت  
كذلك قوله :

(I) انظر الدليل الملحق بالرسالة .

(2) انظر آخر الجزء الاول من فصل «مع العيان» من باب الموضوعات  
(والمنهج) عن شعر الفلاسفة .

يحصد حب لكذوب من ازرع المحال

4 - محمد الروداني : له «خديجة» ، وفي حربتها يقول :

يا هلي رغبو فيا بوشغار وداجيا      شمس الضحا الواضح كمرا في داج

في داجي في داجي كان راجي لك اخدوج

5 - محمد بن موسى الشريف : كان بارعا في النظم على وزن مكسور

الجناح ، ومن شعره نسوق هذه الابتهالات :

مرغت في ابواب رحمتك هاذا لخدود

وانويت فيك يا سيدي ظن اكميل

ايلا اعصيت أنا عبد اذليل

طامع فالخير اقريب اجزيل

ما نخاف امن الدنيا ايلا اصفات ايماني

ومن اطلب شئ يقصدو ايلا اصفات النيا

وقد وقفنا من قصائده على : «لغزال محمد» و «الحجام» و «زينب»

6 - عبد الرحمن بن الحاج الطاهر : كان دباغا ، توفي منذ نحو ربع

قرن ، له «شمعة» ولكنه جعلها خصاما بين بنت البر وبنت البحر ، اذ

أن الشمع اما ان يتخذ من شهد النحل أو مسحوق السمك ، وهي فريدة

من نوعها ، يقول في حربتها :

غنمي غايت لفراج الشمعا بك أبنت الطميم لخلق زاهيا

عندي لي سبت لبكا من قادم للآن

7 - ولد احجام .

8 - مولاي ابييه .

9 - محمد بن لكبير : من كبار الاشياخ المعاصرين ورئيس «جمعية

هواة الملعون» ، قابلناه في إحدى زيارتنا لمراكش ، وهو مسن يناهز الثمانين

ومن قصائده التي يعتز بها قصيدته في حرب فلسطين الأخيرة

وهذه حربتها .

الله أهل لسلام بادروا بالتوبا واستغفروا وطلبوا مولانا

يفجى هذا الغما اعلی لجميع ايشفى لمصاب

10 - محمد المختار الشرايبي : اشتهر بقصيدته «مول الكمية» التي

قالها في الشيخ عبد العزيز التابع . ونذكر - ونحن في سن الطفولة - أنه كان يزور السيد الوالد كلما حل بالرباط وأنه كثيرا ما كان ينشد قصيدته المشار إليها «الفياشية» ، وكنا نحفظ غير قليل من أبيات القصيدتين لكثرة ما كان ينشدهما .

وهو ينظم في المعرب كذلك ، ومن شعره فيه قصيدة يمدح بها السيد فتح الله بناني الرباطي شيخ الطريقة الفتحية الدرقاوية ، يقول في أولها :

آل فتح لكم جمال بديع \* طاب أصلا ومنه طابت فروع  
لائحا في الوجود بدرا منيرا \* ماله مشبه ولا من يروع  
طلعت شمس على الكل بالفتح يراها \* من كان فيه ولسوع  
طبق الأرض ذكره وله \* في كل افق من الفتوح جموع  
بل ان اللغة المعربة كانت تغطي عليه حتى في زجله على حد ما يبدو

من الابيات الاولى لقصيدته «مول الكمية» حيث يقول :

أمول الكمييا \* لله غير اعليا  
اطلب ربي فييا \* يوفى ليا قصدي  
بك اتوسلت لله \* وبجناه ارسل الله  
قدرك ما نتمناه \* أطالع السعد

II - محمد بن بوستة : من الاشياخ الناشئين ، قابلناه في بيت شيخه الحاج محمد بن عمر بمراكش فأملى علينا نص «التويضة» التي اشترك في نظمها مع الشيخين ابن الكبير وابن عمر والتي تقول ردمتها (I) :

وادرك هاد لمريض باللطف الخافي

ثانيا : فاس :

1 - الهادي بناني : كان عطارا

2 - محمد الجابري : كان درازا وكان معروفا بالوجد ، له «فاطمة» .

3 - محمد لحلو : صاحب قصيدة «البون» التي حربتها :

يانعم الستار \* جد برحمتك ياكريم غشنا

توفي منذ سنوات قليلة

(7) التويضة «ردمة» كالتروبي . وهو الاسم الذي يطلق على آخر شطر .

4 - عبد العزيز بن ادريس الوزاني : وقفنا على قصيدة «سابع الشفر»  
وأخرى في المدح النبوي ؛ ويقال ان له قصيدة في «الزهو» فاق فيها التهامي  
المدغري . ومن أشهر شعره قصيدة في مدح الرسول عليه السلام ، يقول  
في حريتها :

عول ياساعبي اعلى الرحيل احتال \* اصغ افابت الرمال هالك لشال  
واتعلق فالماحي اوزوكة فالبثول اترك لخدبل

5 - عبد العزيز اعنون : وقفنا من شعره على «أم كلثوم» .

6 - محمد الشنتوي : له «الياسمين»

7 - الطيب الدباغ : له التوسل الذي يقول في حريته :

عاري اعليك يا محمد \* لله لا اتشافي فيا لعدا

8 - محمد الدباغ .

9 - غلال العلوي : هو أخو محمد بن عرفة الذي نصبته حكومة  
الحماية الفرنسية سلطانا على المغرب بعد أن نفت محمد الخامس . وهو  
مقاوم في البناء ، قابلناه في فاس ، ووقفنا من انتاجه على قصيدة «المجدد»  
من مطالع قصائده قوله :

أنا تكلي فالله يوقيني \* لتقديم الدائم من لا ينام أولا اتراه اعيان  
جيد لجاد الا ايحافيني \* المالك لكريم الغنى من لا تنظر من بابوسعيان  
ومن قوله في المدح النبوي قصيدة هذه حريتها :

صلوا على الرسول التقى طه ايمام هل ليمتين

محمد الشفييع الشافع من جا ابشير بالقران

ومن شعره في الوعظ قصيدة «الفجر» التي يقول في حريتها :

يارب جاد جدلي \* بالتوبا أباسط المستر

نخلف ما ضاع افلعمر \* نفدي ما ضاع لي

اخطيا وانعود امقابل لفجر

أخبرنا شيخ مراكش الحاج محمد بن عمر الملحوني أن الشيخ العلوي هو  
أحسن زجالي فاس المعاصرين .

10 - عبد القادر الودغري : تلميذ بوزيان ، كان درازا في فاس ثم

انتقل إلى الرباط موظفا بدار الانتاج . من شعره الديني قوله عن قصيدة :



المؤمن ايكون اعتقادو اصحيح فالله  
عند باب التوحيد احببى حق يحميه  
لو ايكون افلقوم الليث فاتح الهيا  
ينفضا ابقدرة السميع ما يحاديه  
ولو ايكون افمنصب لجار حباط بعضاه  
يتعدى مفدى ابراهيم ما اتاديه  
ولو ايكون اعلى نحره من سيف ممضاه  
ينفذا مفدى اسماعيل طوع ابيه  
ولو ايكون ادخل بطن الحوت سست اخطاه  
ينفذا مفدى ابن كنعان يونس انبيه  
هكذا حال امن اختبرو الحسى منان  
للسبر ينحاز افراجو ايبادر ايهون

ومن شعره الغنائى قصيدة «جمهور البنات» وفيها يقول :

آش را من لا را هيغلان \* بلسد لخر فيها وائبات  
بالكياسا والمين اكما اشهوتى \* والباقا فالزهو الا فيها بياس  
وكل وحدا تنهض فرحا ابن ورتى \* بجفال امنظما للزهو انفاس  
نير لوتارو الخ الفنا اسجيتى \* من صوت الباهيات وكض حساس  
حيث وقفوا للرقص افجات كريتى \* دى عن هاذى اتميس كفصن الياس  
لا - احمد سهوم : من اشياخ فاس المقيمين فى الرباط ، كان له  
طوال سنة خمس وستين وتسعمائة وألف برنامج يقدمه فى الاذاعة بعنوان  
«ركن الادب الشعبى» استفدنا منه . وقد أطلعنا على بعض الاوراق والتقاييد  
فأفدنا منها غير قليل من النصوص والمعلومات . وفيها وقفنا له على قصيدتين :  
احدهما «محكمة الضمير» والثانية فى تحية مؤتمر القمة العربى الذى  
انعقد بالدار البيضاء فى سبتمبر من السنة المذكورة .

ومن شعره كذلك قصيدة قالها فى مدح الملك الحسن الثانى بمناسبة  
الدروس التى يحييها فى شهر رمضان المعظم ، يقول فى حريتها :

ياراحت لرواح ولقلوب امع لفكار

والمهجات ولكباده يا رمز وحدة شعبنا

يا تاج اوطانا الحسن الثانى

وله من القصائد الغزلية «سعاد» ، وفى حربتها يقول :

ياللى سعدى بك اسعاد \* فى اركابك ساير لسعاد  
سعداتي ياسعاد منك اسعادي \* سعد سعدى بهلال اسعود السعديا

### ثالثا : الرباط :

1 - الشيخ فاضل : كان حجاما

2 - الشيخ التهامى : ابنه ، ويذكرون أن له قصيدة جفريه قالها  
فى التنبؤ باحتلال فرنسا للمغرب تسمى «الموندو» ، والاسف أنا لم نهتد  
اليها

3 - المعطى بن صالح الشرقى : وقفنا من شعره على قصيدتين فى  
«الذكر» .

4 - محمد بن احمد الشرقاوى : شيخ عثمان الزكى ، له قصيدة فى  
قبة بناها السلطان الحسن الاول يقول فى حربتها :

فرحوا يا اهل النيا جل افرايح \* اعلى فرحتنا يفرح كل اوطان  
اعلى قبتك ومولاى الصالح \* بانيتها لهما سيدنا مولاى الحسن  
5 - الشيخ محمد الضعيف : وقفنا من شعره على قصيدة فى مدح  
الرسول عليه السلام .

6 - التهامى بنانى : كان «مجادليا» أى حرارا وكان من الذاكرين  
وأهل الجذب ، وهو شيخ الريش

7 - المكى الريش : كان ينظم فى الذكر وهذه حركات بعض قصائده

أ - اللهم صل اعلى لحبيب المحبوب التقى \* محمد خير لورى انعشقوا

ب - يا عشاق النبى الماحى \* صلوا وسلموا اعلى كوكب للماح

ج - تهاما ناس لحسان \* نسعى من قلبى ولسان

غارا يا قنديل وزان \* يامولاى عبد الله

8 - بوغزة الدريكى : من قصبة الودايا ، اشتهر بقصيدته التى

حربتها :

عذروني يا هلي ولاش اتلوموني هكذا افحالي

سروا خلوا كل حال ايسير اعلى حالو

9 - محمد بن يوسف : انتسخ لنا من شعره قصيدة فى الملاح

النبوى .

10 - محمد الفلوس العلمى : كان خرازا ، اشتهر بالذكر ، وهذه

حربة بعض قصائده فيه :

يا شقاق النبى الهادى • صلوا وسلموا اعلى شافع لعباد

11 - الشيخ لحو : اشتهر بقصيدته «زهرة» التى يقول فى حربتها:

أنا امزارك اقرينك سلطانت لبذور

ألا ازهور

من بك طلعت الزهرا • وائت لالا ازهرو

12 - الطاهر افقير : كان حرارا

13 - ادريس بن بوشعيب : ويعرف بالغياط مازال على قيد الحياة

ويقول فى المناسبات .

رابعا : سلا

1 - أنجار : صاحب «الذهبية المشهورة» .

2 - محمد الشليخ : له قصيدة «الكاس» .

3 - الحاج محمد بن على : وهو غير محمد بن على المسنيوى نزيل عام

المدينة ودفينها

4 - العربى معينو : ذكر الادريسى فى «كشف الغطا» (I) أنه كان

صاحب كتاب قرآنى .

5 - الشيخ البرى : له «المرحول» لزيارة بعض الصالحين .

6 - حمان النجار

7 - حسن اليعقوبى : اشتهر بقصيدته «العصرية والزمنية» .

خامسا : أزهور :

1 - احمد بن رقية : وقفنا من شعره على قصيدة «الشمعة» . لسمه

قصيدة في «الزهو» يقول في حربتها :

الزهو فكتوب التنزيل والسرار الى موهوبا من لجليل العالى  
ولفراسا في هل لعقول

2 - البصير الزمورى : انتقل الى العرائش وبها توفي ودفن ، يقال  
ان له «الحراز» و «الادريسية» و «اليوسيفية» وهى قصيدة فى  
سيدنا يوسف .

3 - ادريس الزمورى : يعتبر من كبار الاشياخ ، ولكن شعره نبت  
لاتصاله بسلطة الحماية ومدحه لرجالها وأعوانها . وقفنا مسن  
شعره على قصيدة قالها فى تدشين محمد الخامس لمدارس باب  
شالة . وهو أخو المرحوم أحمد الزمورى الذى تولى قضاء مدينة  
الدار البيضاء .

#### سادسا : تطوان :

I - محمد المودن التطواني : له قصيدة فى مدح محمد الخامس .  
2 - محمد حسن : أمدنا بغير قليل من النصوص ، وله قصيدة فى  
ذكرى المنظرى مؤسس مدينة تطوان .

#### سابعا : أسفى :

I - ابراهيم السوفانى .  
2 - محمد بن على الدمناتى : انتقل الى أسلا وبها توفي ودفن ، وقفنا  
على جملة من قصائده .

#### ثامنا : وزان :

عبد العزيز الوزانى : أحد أشياخ هذه المدينة وعلمائها ، له قصيدة  
فى الشوق لزيارة البقاع المقدسة يقول فى حربتها :  
الرياح فى اصلا تو هما واتجارا  
أيارب لعباد كمل قصدى نمشى الحج ونطوف  
ونشاهد لبقيع والبيت وعرفا

#### تاسعا : شفشاون :

محمد العلمى ولد زيطانة : وقفنا من قصائده على «فاطمة» و «التوبة» .

شائرا : تافيلالاست :

سعيد أحمد لحبيب : ذكر الادريسي في «كشف الغطاء» (I) أنه من طبقة عبد العزيز المخرأوى .

السعادي عشر : صفرو :

الحسن الصفريوى : يقال انه نظم فى إحدى الليالى سميت قصائد فى «الزهراء» . تولى منذ حوالى خمسة عشر عاما .

الشائري عشر : بسنى هلال :

مولاي عبد الرحمن بوقطيب .

الثلاث عشر عشر : الهار البيضاء :

مولاي أحمد بن عبد السلام العلوي : من علماء هذه المدينة العدول ، أطلعنا على ديوان له نظم أغلب قصائده فى فترة الشباب وقبل أن يبدأ دراسته بالقرويين . اتصلنا به أكثر من مرة وحاولنا مذاكرته فى الفن ولكنه كان يصرح لنا بأنه لم يعد يخوض فيه .



وهذه ، فإذا كان لنا أن نقول كلمة عن القصيدة الزجلية فى العصر الحديث فهي أنها تجمدت فى صور ونماذج غدت لها سيطرة على هؤلاء الاشياخ الذين ذكرنا وعلى غيرهم ممن لم نذكر ؛ خضعوا لها مشدودين الى من سبقهم من الشعراء ، يتبعون ظواهرهم ويحتذون نماذجهم ، قانعين برؤيتهم لا ينظرون الا من خلالها ، ويتعابروهم وأساليبهم لا يحدون عنها ، عاجزين عن الانطلاق فى ميدان التجربة والابداع ، لا نجد عندهم غير أفكار وصور متكررة تتردد بنفس اللفاظ ، بعيدة عن احساسهم الذاتى وعن روح العصر . وحتى الذين عانوا تجربة ما فانهم لا يحاولون استيعابها والتعبير عنها من خلال واقع حالهم الوجدانى وتعمقه لاستخراج أفكار ومعانى وأقوال جديدة ، ويكتفون بالنظر الى ما عند غيرهم يقتبسونه منه دون محاولة لتكييفه أو تطويره ، وتلك أقصى درجات الجمود والتقليد ، لا يعقبها الا الفناء والموت .

## المصادر

### مصادر عامة

#### أولا - المخطوطة :

- 1 - ابتهاج القلوب بخبر الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب  
لعبد الرحمن الفاسي  
خزانة الرباط العامة : نسختان 326 ك - 2302 ك
- 2 - أعلام الفكر المغربي المعاصر في العدوتين الرباط وسلا  
لعبد الله بن العباس الجراري (والدنا حفظه الله)  
مخطوطة المؤلف (الخزانة العباسية)
- 3 - الاقنوم في مبادئ العلوم  
لعبد الرحمان الفاسي  
خزانة الرباط العامة : نسختان II 21 د - 15 ك
- 4 - بلوغ الامل في فن الزجل  
مخطوط الزيتونة 4467
- 5 - ثمرة أنسى في التعريف بنفسى  
لسليمان الحوات  
مخطوطة خاصة للاستاذ سعيد أعراب
- 6 - جميع نواميس الكنيسة والقانون المقدس  
المكتبة الوطنية بمديرية 4879
- 7 - الحسام المشرفي في الرد على اكنسوس المراكشي  
لمعربي المشرفي  
أ - مخطوطة خزانة الرباط العامة ك 2276  
ب - نسخة مصورة بخزانة الرباط العامة رقمها 1207
- 8 - الدر المنضد الفاخر فيما لابناء مولانا علي الشريف من المحاسن  
والمفاخر  
لابي عبد الله محمد بن عبد القادر بن احمد الكلالى الشهير

بالكردوى

خزانة الرباط العامة رقم 1584 D

9 - العروض الفائح بأزهار النسيب والمناجح (ديوان شعر معرب)

للحاج ادريس بن علي السناني لحنش

خزانة الرباط العامة 1378 ك

10 - روض الآداب

لأحمد الحجازي - ثلاث نسخ :

مكتبة أيا صوفيا (السليمانية - اسطنبول) 4017

مكتبة أحمد الثالث (قصر تويكابي - اسطنبول) 2293

مكتبة راجب باشا (اسطنبول) III5

II - رياض الورد الى ما انتهى اليه هذا الجوهر الفرد

لمحمد الطالب بن الحاج

خزانة الرباط العامة 396

12 - سجع الورق المنتجة في جمع الموشحات المنتجة

للسخاوي

مكتبة فاتح (السليمانية - اسطنبول) 3918

13 - السفينة (الجزء الرابع)

لمبارك شاه

فيض الله Feyzullah مكتبة ملت Millet (اسطنبول) 1612.

14 - شرح على نونية أبي الحسن الششتري

لاحمد زروق

مكتبة دير الاسكوريال 4186

15 - شرح القصيدة العنقية لسعيد التلمساني وتسمى : «الآداب

الرفيقة في شرح العقيقة ، وان شئت قلت الدرة الانيقة في شرح

العقيقة ، وان شئت قلت التحف المهدية في شرح السعدية»

لمحمد بن ناصر المعروف بابي رأس

خزانة الرباط العامة 1656 د

- 16 - العاقل الحالى والمرخص الغالى  
لصفى الدين الحلى  
مكتبة بايزيد (اسطنبول) 5542 (علما بأنه مطبوع ، نشره  
هوينرباخ)  
17 - العقيدة الادبية فى السبعة فنون المعنوية  
لاحمد الرباط  
مكتبة اسمعاد أفندى (السليمانية - اسطنبول) 2867  
18 - فتح الانوار فى بيان ما يعين على مدح المختار  
لابراهيم التادلى  
خزانة الرباط العامة 3285 د  
19 - فهرسة  
لمحمد التاودى بن سودة  
الخزانة العباسية رقم 3388 (خزانة السيد الوالد) .  
20 - كتاب الحايك فى الموسيقى الاندلسية  
الخزانة العباسية (غير مرقم) .  
نشره فرناندو مارتينيز ولكنه اقتصر على ايراد كلام الحايك فى  
التعريف بالنوبات وترجمته دون ايراد النصوص (انظره فى  
المطبوعات الاجنبية) .  
21 - كتاب مجموع موشحات .  
مكتبة أيا صوفيا (السليمانية - اسطنبول) 2243  
22 - لحن العامة  
لابن هشام اللخمى  
مكتبة دير الاسكوريال - نسختان : 46 - 99  
23 - مجموع قصائد وموشحات فى المديح النبوى مرتبة على نوبات  
الانشاد .  
لاحمد بن محمد العربى أحضرى المراكشى (مخطوطة خاصة  
بالكاتب)



24 - مسالك الابصار وممالك الامصار

للعمرى

جامعة اسطنبول AY 4355

25 - منظومة فى الموسيقى

للحوات

المكتبة الملكية بالرباط 4229

26 - موسوعة المغرب العربى (يشرف عليها المكتب الدائم للتعريب بالرباط

مادة : الآلة (الموسيقى)

لعبد الله بن العباس الجرازى

27 - النور اللامع البراق فى ترجمة محمد الحراق

لمحمد بن العربى الدلائى الرباطى

مكتبة تطوان العامة (وتوجد نسخة بخزانة الرباط العامة

رقمها 960)

ثانيا : المطبوعة :

أ - الكتب العربية :

28 - الابتهاج بنور المراج (شرح على منظومة سيدي العربى المسطرى)

لاحمد بن المامون البلغيشى

مطبوعة محمد أفندى مصطفى - مصر 1319 .

29 - ابن سناء الملك أو مشكلة العقم والابتكار فى الشعر

للدكتور عبد العزيز الاهوانى

مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة 1962 .

30 - البيان والتبيين

لابى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون

طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة 1948 .

31 - البيان المغرب فى أخبار المغرب

لابن عذارى المراكشى

طبعة لبنان

- 32 - اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس  
لعبد الرحمن بن زيدان  
الطبعة الاولى - الرباط .
- 33 - أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم  
للمقدسى  
طبعة ليدن 1909
- 34 - الاحكام فى أصول الاحكام .  
لعلى بن حزم الظاهري  
الطبعة الاولى - مطبعة السعادة - مصر
- 35 - الزاوية  
للتهامي الوزاني  
مطبعة الريف - تطوان - 1942
- 36 - أزهار الرياض في أخبار عياض  
لاحمد المقرئ - تحقيق مصطفى السقا و ابراهيم الابياري وعبد  
الحفيظ شلبي نشر المعهد الخليفي للابحاث المغربية - بيت  
المغرب - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة 1940
- 37 - الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى  
لاحمد بن خالد الناصري  
طبعة القاهرة 1894 - طبعة دار الكتاب 1956 (الدار البيضاء) .
- 38 - الاعلام بمن حل بمراكش واغمت من الاعلام  
لعباس بن ابراهيم  
الطبعة الاولى (المطبعة الجديدة) فاس 1936 .
- 39 - الانيس المطرب فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب  
لمحمد بن الطيب العلمي  
طبعة حصرية
- 40 - الانيس المطرب القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة  
فاس

لمحمد بن عبد الحلیم المعروف بابن أبي ذرع  
طبعة حجرية

41 - تاج العروس من جواهر القاموس

لمحمد مرتضى الزبيدي

42 - تاريخ خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادى عشر

لمحمد المحبى

المطبعة الوهبية - مصر - 1284

43 - تاريخ عبد الرحمن بن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ

والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى

الثنان الاكبر)

مطبعة بولاق

44 - الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا

لابى القاسم الزياتى

نشر عبد الكريم الفيلاى - وزارة الانباء - المغرب 1967 .

45 - التشوف الى رجال التصوف

ليوسف بن يحيى التادلى المعروف بابن الزيات - تحقيق

أدولف فور

نشر معهد الابحاث العليا المغربية - 1958

46 - تفسير القرآن العظيم

لاسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى

الطبعة الثالثة - مطبعة الاستقامة - القاهرة 1375 (1956)

47 - جذوة الاقتباس

لابن القاضى

طبعة حجرية

48 - جواهر الكمال في تراجم الرجال (القسم الثانى من كتاب :

أسفى وما اليه)

لمحمد الكانونى

المطبعة العربية - الدار البيضاء

49 - دائرة المعارف الإسلامية

الترجمة العربية - القاهرة

50 - دوحة الناشر لمحسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر

لمحمد بن علي بن مصباح المعروف بابن عسكر

طبعة حجرية

51 - ديوان أبي الحسن الششتري

تحقيق الدكتور علي سامي النشار

الطبعة الأولى - الاسكندرية 1960

52 - ذكريات مشاهير رجال المغرب (العدد السابع)

لعبد الله خنون

53 - الرحلة

لابن بطوطة

طبعة باريس

54 - رسائل اخوان الصفا وخلق الوفا

لاخوان الصفا

طبعة صادر - بيروت

55 - رسائل موحدية

نشر ليفي بروفسال

56 - ركب الحاج المغربي

لمحمد المنوني

طبعة معهد مولاي الحسن - تطوان 1953

57 - رياض النفوس

لابي عبد الله المالكي - تحقيق د . حسين مؤنس - القاهرة 1951

58 - الزجل في الاندلس

للدكتور عبد العزيز الاهواني

نشر معهد الدراسات العربية العالية - القاهرة 1957

- 59 — السعادة الابدية فى التعريف بشاهين الحضرة المراكشية  
لمحمد بن عبد الله الموقت  
المطبعة الحلبيه — مصر — 1341
- 60 — سلافة العصر فى محاسن الشعراء بكل مصر  
لابن معصوم  
طبعة مصر
- 61 — الشذرات (التقاط الفوائد وغرر العوائد)  
لمحمد الرضى السنائى  
مطبعة بوشنتوف — الدار البيضاء
- 62 — صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادى عشر  
لمحمد الصغير الافرانى  
طبعة حجرية
- 63 — الطقاطيق الشعبية  
لهبيجة صدقى رشيد  
نشر اللجنة الموسيقية العليا — سلسلة تراثنا الموسيقى  
القاهرة .
- 64 — العربية دراسات فى اللغة واللهجات والاساليب  
ليوهان فوك Johann Fück ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار  
مطبعة دار الكتاب العربى — القاهرة 1951
- 65 — فى اللهجات العربية  
للدكتور ابراهيم أنيس  
الطبعة الثانية — لجنة البيان العربى — القاهرة 1952
- 66 — القاموس المحيط  
لفيروزبادى
- 67 — قصة المواله  
لييلاد واصف  
القاهرة

- 68 - القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمن المجذوب  
تصنيف نور الدين عبد القادر  
المطبعة الشعالبية - الجزائر
- 69 - كشف الغطا عن سر الموسيقى ونتائج الغناء  
لادريس الادريسي  
الطبعة الاولى - الرباط 1935
- 70 - كشف القناع عن آلات السماع  
لابي علي الغوثي بن محمد الجزائري  
مطبعة جوردان - الجزائر
- 71 - الكنز المكنون في الشعر الملحون  
لقاضي محمد الجزائري  
المطبعة الشعالبية - الجزائر 1928
- 72 - لحن العوام  
لابي بكر محمد الزبيدي - تحقيق الدكتور رمضان عبد الثواب  
الطبعة الاولى - القاهرة 1964
- 73 - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر  
لضياء الدين بن الاثير  
طبعة الحلبي - مصر 1939
- 74 - المحاضرات  
للحسن بن مسعود اليوسفي  
طبعة حجرية
- 75 - مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن  
لمحمد العربي بن أبي المحاسن الفاسي  
طبعة حجرية
- 76 - المعجب في تلخيص أخبار المغرب  
لعبد الواحد المراكشي - تحقيق سعيد العريان ومحمد العلمي  
طبعة القاهرة

- 77 - المغرب في حلى المغرب  
لابن سعيد تحقيق الدكتور شوقي ضيف  
طبعة دار المعارف - القاهرة
- 78 - المقدمة  
لابن خلدون  
مطبعة بولاق
- 79 - ممتع الاسماع في ذكر الجزولى والقباع وما لهما من الاتباع  
لمحمد المهدي بن أحمد بن علي بن أبي المحاسن الفاسي  
طبعة حجرية
- 80 - المناقب  
لمحمد بن أحمد الحضيكي  
الطبعة الاولى
- 81 - المن بالامامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم  
الوارثين وظهور المهدي وتاريخ الموحدين  
لابن عبد الملك البرجى المعروف بابن صاحب الصلاة - تحقيق  
عبد الهادي التازي
- 82 - نشر الثاني  
لمحمد بن الطيب بن عبد السلام القادري  
طبعة حجرية
- 83 - نقد النشر  
لقدامة بن أبي جعفر - تحقيق الدكتور طه حسين وعبد الحميد  
العبادي
- نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة 1938
- 84 - النهاية في غريب الحديث والاثار  
للمبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الاثير
- 85 - نوبة الاصباحان  
تنظيم Arcadio de Larrea بمساعدة الفريد البستاني

نشر معهد الجنرال فرانكو للابحاث العربية الاسبانية -

تطوان 1956

86 - نيل الابتهاج بتطرين الديباج

لاحمد بابا التمكنى

طبعة فاس 1317 هـ .

87 - وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان

لاحمد بن خلكان

طبعة القاهرة 1355

ب - الكتب الاجنبية :

A. BEL 88

La religion musulmane en Berbérie (établissement  
et développement de l'Islam en barbarie).

E.F. Gautier 89

Les siècles obscurs du Maghreb

Fernando Valderrama Martinez 90

EL concionero de EL-HAİK

Instituto General Franco de estudios E investigation  
hispano-arabe Tétuan 1954.

H. de castries 91

Les gnomes du Medjdoub - Paris 1896.

Jean Léon Africain 92

Description de l'Afrique :

Ed. CH. SCEFER - Paris

J. Scelles - Millie et B. Khalif. 93

Les quatrains de Medjdoub le sarcastique, poète  
maghrébin du XVI S

G. P. Maisonneuve et Larose - Paris 1966.

Louis Brunot : 94

a- Sur le thème verbal F'al en dialectal marocain.

Mélanges W. Marçais - Paris 1950.



- b- Introduction à l'arabe marocain. 95  
G.P. Maisonneuve et Cie Paris 1950.  
M. EL FASSI 96  
Chants anciens des femmes de Fés  
Editions Seghers - Paris 1967.

ج - المجلات :

- 97 - مجلة الاذاعة والتلفزة المغربية - العدد 12 السنة الثانية  
يوليوز غشت 1966  
(الملحون بين ماضيه وحاضره لاحمد سهوم)  
98 - مجلة البحث العلمي - العدد الاول - السنة الاولى ، يناير -  
أبريل 1964 (المغرب)  
(الادب الشعبي المغربي الملحون لمحمد الفاسي)  
99 - مجلة البحث العلمي - العدد الرابع والخامس - السنة الثانية،  
يناير غشت 1965 .  
(لغة الملحون لمحمد الفاسي).  
100 - مجلة البينة - السنة الاولى - العدد الرابع - غشت 1962  
(المغرب)  
(نظرة عن الادب الشعبي بالمغرب لمحمد الفاسي)  
101 - مجلة تطوان - العدد الخامس 1960 (المغرب)  
(من أدبنا الشعبي لعبد الله ثنون)  
102 - مجلة هسبيرس (المغرب)  
Hespéris TX 1930 Fas 1 ( G.P.S. Colin : notes de dialecto-  
logie arabe )  
103 - مجلة هسبيرس  
Hespéris 1938 1<sup>er</sup> trimestre (M. T. Buret : «Sidi quaddur EL-  
alami notes biographiques» dans : communications)  
104 - مجلة الفنون الشعبية - العدد الاول - السنة الاولى -  
القاهرة 1965

أ - (المأثورات الشعبية للدكتور عبد الحميد يونس)

ب - (الشعر الشعبي في تونس لمحمد المرزوقي)

105 - مجلة معهد الدراسات الإسلامية - مدريد - العدد الخامس 1957

(الدكتور محمود مكي)

Egipto y la historiographia arabico - espagnola

106 - مجلة معهد المخطوطات (جامعة الدول العربية - القاهرة)

المجلد الثالث 1957

(الفاط مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة)

للدكتور عبد العزيز الاعوانى .

Annales de l'institut d'études orientales Faculté des 107  
lettres de l'université d'Alger T. 4 1938 - P 8

(مقال حول تعريب الشمال الافريقى لوليام مرسى)

W. Marçais)

### مصادر النصوص الزجلية

أولا : المخطوطة (مجاميع وكنائش)

أ - مجموعة الخزائن العامة :

1 - خزانة الرباط العامة :

108 - مجموع رقم 774 حرف د

109 - مجموع رقم 960 حرف د

110 - كنائش رقم 1518 حرف د

111 - كنائش رقم 1656 حرف د

112 - كنائش رقم 2067 حرف د

113 - قصيدة رقم 1115 حرف د (الجمهور للعلمى)

114 - قصيدة رقم 1458 حرف د (دالية ابن رموية)

115 - قصيدة رقم 1480 حرف د (ذكر لعبد الورات)

116 - ديوان في الثناء على حمدون بن الحاج (روضة النيلوفر نناء

الناس عليه وبعض مناقبه التى هى أعطر من الادفر) : رقم

383 حرف د

117 - كناش رقم 108 حرف ج

118 - كناش رقم 595 حرف ج

119 - كناش رقم 1644 حرف ك

120 - كناش رقم 3027 حرف ك

121 - كناش رقم 165 حرف ق

122 - قصيدة رقم 1017 حرف ق (الفياسية)

2 - مكتبة تطوان العامة :

123 - مجموع رقم 589

124 - مجموع رقم 866

3 - خزانة مراکش :

125 - قصيدة الكفيف الزرعوني في هزيمة أبي الحسن المريني

بالقيروان في آخر مجموع رقم 184

4 - المكتبة الوطنية بمدريد :

126 - مجموع اشعار غير مرتب رقم 5307

5 - مكتبة دير الاسكوريال :

127 - مجموع رقم 523

ب - مجموعة الخزائن الخاصة :

1 - المكتبة الملكية بالرباط :

128 - مجموعة قصائد للمغراوي رقم 860

129 - كناشة عبد الله الشرقي رقم 5958

130 - كناش رقم 1502

131 - كناش رقم 2097

132 - كناش غير مرقم يضم قصائد لعبد الله الهبطي

2 - خزانة الاستاذ ادريس بن الماحي :

133 - كناش أغلب قصائده لعبد القادر العلوي (رمزنا له ب : م 1)

134 - كناش يضم قصائد للتهاضي المدغري (رمزنا له ب : م 2)

3 - خزانة الاستاذ عبد السلام بن سودة :

I35 - كناش (رمزنا له ب : س)

4 - خزانة الفقيه محمد الهسكوري :

I36 - كناش رمزنا له ب : هـ

5 - خزانة الشيخ الزجال مولاي احمد بن عبد السلام العلوي :

I37 - ديوانه (رمزنا له ب : ع)

ج - مجموعة الكاتب الخاصة :

I38 - كناش رقم 1

I39 - كناش رقم 2

I40 - كناش رقم 3

I41 - كناش رقم 4

I42 - كناش رقم 5

I43 - كناش رقم 6

I44 - كناش رقم 7

I45 - كناش رقم 8

I46 - كناش رقم 9

I47 - كناش رقم 10

I48 - كناش رقم 11

I49 - كناش رقم 12

I50 - كناش رقم 13

I51 - كناش رقم 14

I52 - كناش رقم 15

I53 - كناش رقم 16

I54 - كناش رقم 17

I55 - كناش رقم 18

I56 - كناش رقم 19

157 - كناش رقم 20

158 - كناش رقم 21

159 - كناش رقم 22

160 - كناش رقم 23

161 - كناش رقم 24

162 - كناش رقم 25

#### ثانيا : المطبوعة :

163 - ديوان الاخضر بن خلوف (الجزائري)

164 - ديوان فائق ومجموع رائق للسلطان مولاي عبد الحفيظ العلوي  
طبعة حجرية

165 - ديوان محمد الحراق

أ - طبعة حجرية

ب - طبعة مكتبة المعارف بمكناس .

166 - كتاب نفع الازهار ووصف الانوار وأصوات الاطيوار ونغم  
الاولتار .

#### Anthologie d'auteurs arabes

اختيار القال غيد الرحمان وبخوشه محمد

المطبعة المهدية - تطوان 1934

Sonneck - 167

chants arabes du Maghreb - 885

A. Fischer - 168

Das liederbuch eines marokkanischen Sangers (Leipzig 1918)

ثالثا : المقتبسة : (انظر كذلك فهرس الاذاعة الملحق بالدليل)

169 - شريط تسجيل بأربعة وجوه رقم 19 (تسجيلات الكاتب الخاصة)

170 - شريط تسجيل بأربعة وجوه رقم 21 (تسجيلات الكاتب

الخاصة)

## الفهرس

د	نصدير للدكتور عبد العزيز الالهواني
	مقدمة :
1	دوافع تناول الموضوع
2	متاعب ومصاعب :
2	موقف المهتقين
4	المصادر
7	منهاج البحث
9	عرض الدراسة
19	مدخل : القصيدة الزجلية والغناء الشعبي
20	أنواع الغناء في المغرب
21	انشاد القصيدة الزجلية
24	الآلات المصاحبة للانشاد
28	كيفية الاداء
35	طريقة السرد
37	شعبية القصيدة الزجلية
	الباب الاول : الشكل
45	الفصل الاول : مفهوم الزجل وأنواعه
46	أولا : مفهوم الزجل
46	معنى الكلمة
47	أصل التسمية
50	سبب استعمالنا لكلمة زجل

54	أسماء أخرى :
54	الملحون (أصل التسمية به)
57	العلم الموهوب
58	السجية
58	لكلام
59	النظم أو النظام
59	الشعر
60	القريض
60	لوزان
60	اللفا
61	العلم الرقيق
61	كريححة
62	ثانيا : أنواع الزجل
62	تقسيمات مختلفة :
65	البرولة
67	العروبي
69	المزوكي
70	الموال
70	السلامات
70	العيطة
75	العلقولة
77	اعيسوع
78	الدقة
79	غيوان بن يازغة
81	أبيات المحكمة

الفصل الثانى : اللفظة والفنية

84

85

مراحل التعريب

96

نشأة العامية

103

خصائصها

104

خصائص عامة

108

ظواهر خاصة

111

جوانب بلاغية :

111

البلاغة والشعر العامي

114

التجنيس أو الجناس

115

التصريف

116

التضمين أو التلزييم

117

النشب

118

استخدام نوع معين من الكلام

121

فنية الاسلوب :

121

التشبيه والمقارنة

123

الحركة والحياة والتشخيص

124

الحوار

125

القصة

126

الرمز

127

لمحات نقدية

130

الفصل الثالث : العروض

131

البحور :

131

أساس بحور الزجل

133

تفعيلات خاصة

135

المهيمت



140	مكسور الجناح
142	المشتب
144	السوسى
147	بناء القصيدة :
147	مقدمة القصيدة : السراية
149	أجزاء القصيدة
160	القسم الاخير
167	الدريكة
169	نموذجان للايضاح
174	نظام القافية :
174	البراعة فى التفقية
175	القافية فى الاقسام
185	القافية فى المقدمات
189	القافية فى الدريكة
190	عيوب القافية
	<u>الباب الثانى : الموضوعات</u>
197	<u>الفصل الاول : المرأة</u>
199	أولا : المتجوبة
199	ألقاب وأوصاف
204	أوصاف عامة مفصلة
207	صورة مكتملة
217	أوصاف من خلال المقارنة
219	الوشم
223	ثانيا : المحب
223	الشكوى

233	الطاعة
235	المعاناة
241	محاولة الوصول :
241	بالرجاء والاستعتاف
242	بالعتاب
245	بإرسال مبعوث
247	بالقضاء
251	بالحيل
257	الوصول
264	ثالثا : الحب
264	صورتته
266	حكمة من تجربة الحب
270	رابعا : ملاحظات :
270	التفرز في أكثر من واحدة
271	الفرز بالهذكر
273	الرمز بالفرز
275	مدى الصدق في الفرز
277	<u>الفصل الثاني : في الحياة</u>
280	الخمر والطبيعة :
280	أولا : الخمر
280	أسماءها
282	أوصافها
283	قصتها
285	الساقى
287	نظام الشرب وأدبه

287	أواني الشرب
288	الوقت المفضل للشرب
291	مجلس الشرب
296	الرفقة
296	الاعراض عن الخمر
297	الاعراء بالشرب
300	الاستمتاع بمناذات الحياة
302	الاستغفار
303	الخمر الصوفية
305	ثانيا : الكون والطبيعة
306	1 - الكون :
306	العروب
309	الليل
314	الفجر
315	بين الصبح والليل
318	2 - الطبيعة :
318	الرياح
320	الازهار والاشجار
324	مناسبات التنزه
325	ملاحظة : شعر الفكاهة
331	الزهد والحكمة :
332	النظرة الى الدنيا
335	الموت
336	الضيق بسلوك الناس
341	نصائح وتوصيات
345	أدب سلوك ومعاملة
348	التفريجات والتسارم

354	الاحداث والتأمل
369	ملاحظات :
369	مدى التجاوب مع المجتمع
372	الخطاب في الوعظ
375	قصائد للتذكير بعظمة الله
377	<u>الفصل الثالث : مع الناس</u>
378	المدح
389	الرثاء
397	الهجاء :
404	هجاء متبادل
412	لعراض أو المعارضة
419	الفخر
420	السولان (السؤال)
423	الخصام
441	ملاحظة : تخيل الخصام في غير الانسان
451	<u>الفصل الرابع : في همى الله والرسول</u>
453	حب الرسول
456	أوصاف الرسول وشمائله
466	المولد
472	الوفاة
478	المعراج
479	التصلية (الصلاة)
487	الغاية من المدح والصلاة
493	الشوق والحنين للبقاع المقدسة
501	التوسل

511	مدح الاشراف والاولياء
525	ملاحظة : العشق الالهى
531	<u>الباب الثالث : الاعلام</u>
533	<u>الفصل الاول : مرحلة النشأة</u>
534	أسماء ونصوص قوية :
537	ابن غرلة
540	عبد المومن الموحدى
540	رميلة أخت عبد المومن
540	ابن خبازة
541	ابن حسون
543	ابن سبعين
544	ابن شجاع التازى
545	الكفيف الزرهونى
546	المنصور الاعمى
546	مولاي الشماذ
547	عبد الله بن احساين
549	أصل القصيدة الزجلية :
549	الزجل الاندلسى ؟
552	الموشحات ؟
554	شعر العرب الوافدين ؟
555	عروض البلد ؟
556	الاغاني والمرددات الشعبية ؟
561	<u>الفصل الثانى : مرحلة التطور</u>

- 562 عبد الله بن احسانين  
567 حماد الحمري  
570 محمد بن علي بوعهرو  
578 الحاج اعمارة  
581 محمد بن عبد الله بن احسانين  
585 ادريس المريني  
587 عبد العزيز المفاوي  
592 المصمودي  
594 ركود في نهاية هذه المرحلة  
596 زجالون متصوفون :  
596 عبد الرحمن المجذوب  
597 محمد الشرقي  
599 محمد بن يحيى البهلوي  
600 عبد الله بن محمد الهبطي  
601 عبد الوارث الياصوتي  
602 محمد بن ريسون  
603 احمد بن علال الشرايلي  
603 زجالون جزائريون :  
604 أبو عثمان سعيد التلمساني  
608 أحمد التريكي  
  
609 الفصل الثالث : مرحلة الازدهار  
  
611 الجيلالي اميرد  
616 الحاج محمد النجار  
619 عبد القادر بن عبد الرحمن بوخوبص  
620 محمد بن علي العمراني

625	محمد بن سليمان
627	محمد بن قاسم العميري
629	عبد القادر العلمي
639	محمد الحراق
643	التهامي المدغري
649	بعض معاصريه
650	أحمد الكندوز
652	محمد الموقت
653	مولاي علي شقور
654	شاعرتان من شفشاون
655	أحمد بن علي الدكالي السلاوي
656	الحاج ادريس بن علي السناني لحش
658	أحمد بن عاشر الحداد
659	محمد بوزيان
659	الحاج أحمد الغرابلي
662	بعض تلاميذه ومعاصريه
663	السلطان مولاي عبد الحفيظ
669	ادريس العلمي
671	محمد العيساوي الفلوس
673	بنعيسى الدراز
673	الحاج محمد بن عمر الملحوني
675	عثمان الزكي
676	عبد القادر الجراي
678	الحاج محمد العوفير
679	زجالون آخرون :
679	مراكش
681	فاس

684	الرباط
685	سلا
685	أزمور
686	تطوان
686	أسفى
686	وزان
686	شفشاون
687	تافيلالت
687	صفرو
687	بنى ملال
687	الدار البيضاء
688	المصادر
704	الفهرس





## تنبيه واعتذار

نلفت نظر القارئ الكريم الى :

1 - أننا عمدنا الى كل الكلمات التي يستهل نطقها بسكون ، فبدأناها

بحرف ألف حتى يسهل الاهتداء الى هذا النطق .

2 - أننا لم نتمكن في كل الرسالة من كتابة القاف التي تنطق جيا

مغلقة كافا بثلاث نقط ، كما جرت العادة بذلك ، والسبب ان

التصنيف تم في ثلاث آلات ( اللينو ) لم تكن تتوفر منها على

الكاف المنقوطة الا واحدة . كذلك حاولت الثانية تميزه بكتابه

بالاسود ، اما الثالثة فلم تميزه وكتبته كافا مجرداً

ونعتذر له عن الاخطاء المطبعية التي قد يصادفها والتي حاولنا جهد

الامكان تلافيها بالتصحيح اكثر من مرة . كما نعتذر عن

بعض الهفوات التي حدثت عند الطبع النهائي ، والتي لاحظنا منها

خلال المراجعة السريعة اثنتين :

1 - في صفحة 593 سطر 9 وقع خلط في عجز البيت ، وصوابه :

قبطات لسكتاب اطواتو

2 - في صفحة 630 نسيت كتابة سطر ، محله بعد السطر الثاني وهو :

الله فنمت الى الصباح فوجدت القار اكل سواد الصحيفة دون

بياضها